

هو

تفسير ابن كمال

108

تفسير ابن كمال

١٠٨

سورة يونس مائة وتسع آيات مكية والفوائد ... وألف وثلاثون كلمة وسبعة ... آلاف ... حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قرئ بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الإمالة وقرئ بين الفتح والكسر والأصل ترك الإمالة لأن ألفها ليست منقلبة من الياء ومن أمال قصد التنبيه على أنها أسماء لا حروف تلك آيات الكتاب الحكيم تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن والكتاب أحدهما والأول أبلغ من حيث أن البعض إذا استقل بوصف الكمال فالكل أولى والحكيم ذو الحكمة وصف به الكتاب لاشتماله عليها ويجوز أن يكون من قبيل وصف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر للمبالغة كأنه في نفسه حكيم لكثرة حكمه وأن يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمه فيكون استعارة مكنية وإثبات الحكمة قرينة أكان للناس عجبا الهمزة لإنكار تعجب الكفار من الإيحاء وتعجيب الـ[انكار] يعني من تعجبهم لكونه في غير المحل وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو أن أوحينا لكون الإ[نكار] والتعجب راجعان إليه وقرئ عجب فجعل اسما مع كونه نكرة لتخصصه بتقدم للناس عليه لأنه في المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقديم والاستفهام خصوصا الإنكاري في حكم النفي وأن أوحينا خبرا على عكس ما تقدم لا لأنه خلاف الأصل لأنه لا يخل بالبلاغة بل لأن الفعل المنفي هو المشتمل على النكتة أو اعتبر كان تامة وعجب فاعل لها والمعنى أحدث للناس عجب لأن أوحينا وأما قيل أن أوحينا بدل من عجب فلا يساعده ... أو المعنى اللام في للناس متعلقة بعجبا على طريق البيان بمعنى أن هذا العجب لهم كما في هيت لك بمعنى هذا الخطاب لك أي أنهم جعلوه أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم على إنكارهم واستهزائهم به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما في قولك ومن الناس من يقول كذا فكأنه قصد تجاهلهم فيما قصدوه بقولهم إلى رجل منهم يتعجبوا من أن يوحى إلى رجل من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وذلك لفرط حماقتهم وقصور نظرهم عن معرفة الأوصاف التي بها اختاره الله تعالى للرسالة فإن رسول الله عم لم يكن ينقص من عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر في الرياسة من أكرم الخصال إلا وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء عم قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه تع بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام فمن خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الأفهام أن أنذر الناس أن هي المفسرة لأن في الإيحاء معنى القول وجوز أن يكون مخففة من المثقلة على أن الأصل أنه أنذر والمعنى أن الشأن قولنا أنذر الناس وموضعه النصب بأوحينا وفيه حذف الاسم

والخبر وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان يكون مصدرية تفسيره بانذار الناس وذكر الناس
للتعميم للمؤمنين كانه قال ان انذر الناس مؤمنا كان او كافرا وبشر الذين امنوا خاصة
لان البشرية مشروطة بالايمان فالبشارة به ينقلب انذارا في حق الكفار لا الاستواء
كما ذهب اليه من قال عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ ولو
بارسال الخبر للكل من في عصره ليس في وسعه ،، واطلاق المؤمنين للتعميم لمؤمن من الثقلين
وبذلك يحصل القصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار باحدهما لكمالهما لا في امر البعثة
لان المفهوم يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا الشرط مفقود ههنا لان المفهوم وان كانت
ساكتة عن العموم لكن الدلالة ناطقة به بقرينة ما في قرينة من التعميم وانما قدم الانذار على
التبشير لانه اهم ولان التخلية بعد التحلية اتم ان لهم في محل النصب ببشر على حذف الباء
قدم صدق منزلة رفيعة سميت قدما لان السعي والسبق انما يكون بالقدم
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل
وانها محققة او ان صاحبها نالها بصدق القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة
معنوية او صورية فيكون كقوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر وبعضهم قوله عند ربهم
ومن قال اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة لم يصب لجمع بين وجهي المجاز بل بين وجوه
قال الذين كفروا ان هذا فيه دلالة على انهم يقولونه عند حضرته ،، لسحر مبين وقرئ
لساحر على ان الاشارة الى الرسول ،، وكيف ما كان ففيه اعتراف بعجزهم عن المعارضة
وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عنادا ومكابرة لان التحدي اولا
ثم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا عند تبين المعارضة داء العاجز المتحير ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش دل به على عظمة شانه وكمال سلطانه بالقدرة
على خلق اصول الممكنات كلها مع سعتها وبسطها في وقت يسير وعلى عظم ملكه بالاستواء
على العرش ثم قررها واكدها بقوله يدبر الامر لان تدبير امر الخلائق كلها بسهمه اسبابها و
ترتيبها على النظام الاكمل مما يقتضي امر العظمة ويقرره ثم زاد في تقرير معنى العظمة والكبرياء
والعزة والجلال بقوله ما من شفيع الا من بعد اذنه كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقد اثبت الشفاعة لمن اذن وانما الرد على من زعم ان الهتهم
تشفع لهم عند الله تع فلا يرد لانهم يدعون ان الله ياذن لهم في الشفاعة ولا دلالة على عدم
الاذن لهم والتدبير النظر في ادبار الامور ليقع على ما ينبغي من الاوجه الاتم الاصوب ذلكم الله
اشارة الى المعلوم الموصوف بتلك العظمة والكبرياء الموجبة لاستحقاق العبادة اي ذلكم

الموصوف

الموصوف باوصف هو ربكم لا غيره اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه
ولا تشركوا به شيئا من اشرف الموجودات فضلا عن الجماد افلا تذكرون ابعد التطلع
[illegible] في بعض الاوصاف الموجب لتخصيصه بالعبادة لا يتذكرون فتنتهون بادنى
تفكر على خطأ ما انتم فيه اليه لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث من القبور يوم النشور ظاهره
اخبار عن المآل وباطنه انذار عما فيه من سوء الحال وامر على وجه الارشاد بالاستعداد
ليوم التناد وعد الله مصدر موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تع حقا اي موكد
لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه استيناف كالدليل
لما تقدم وذلك انه تع لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده ما يدل على كونه في نفسه ممكن
الوقوع بقوله انه يبدأ الخلق لان امكان الوجود اولا يدل على امكانها ثانيا ثم ذكر ما يدل على
وقوعه بقوله ويعيده وقيل هو كالدليل لقوله اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان المقصود من
الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده
قراءة انه بالفتح اي لانه وبعد حذف اللام يكون منصوبا بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون
من غير اعتبار اللام منصوبا بوعد المحذوف مفعولا به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان
لان الموعود هو الاعادة لا البداء او مرفوعا بحق المحذوف وقد قرئ وعد الله على لفظ
الفعل وحق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق وقرئ يبدأ من البدء ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط متعلق بيجزي اي بعدله او بعدلهم اي بما عدلوا بايمانهم
وعملهم ولم يظلموا بالشرك لان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله بما كانوا يكفرون
والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار تغلي قد انتهى حره وهو في جهنم وعذاب اليم
اي عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون غير النظم ولم يقل ويجزي الذين كفروا
بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم كما قال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقاب ولصدق العذاب بهم وجعل ثواب الايمان
والعمل الصالح عوضا دون عقاب الكفر للتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة
هو الاثابة ~~[illegible]~~ وان الله تع يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه
ولذلك لم يعينه واما العقاب فانه واقع بالعرض كانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم
وشؤم افعالهم هو الذي جعل الشمس ضياء ان كان جعل بمعنى صير يكون ضياء مفعولا ثانيا وان
كان بمعنى خلق يكون حالا والقمر نورا جعل نفس الشمس ضياء وعين القمر نورا للمبالغة ولما كانت
الشمس اعظم جرما خصت بالضياء لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور

وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور فكأنه قصد بإذكر التنبيه على ان نور الشمس ذاتي ونور القمر
عرضي مستفاد منها ضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن
الواو وقرئ بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين وقدره قدر القمر منازل او مسيره
منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والمراد بالمنازل البروج اذ بها وبنقطها
عدد الشهور والسنين وخصص القمر بها لانه المعتبر في الشرع ولذلك علله بقوله لتعلموا
عدد السنين والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي في معاملاتكم و
عباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى ما ذكر الا بالحق حال مستثناه من اعم الاحوال اي ما
خلقه بحال الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة او الصواب نفصل
الآيات يبين العلامات التي يستدل بها على الحق لقوم يعلمون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون
ان في اختلاف الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما وكون احدهما يخلف الآخر وتفاوتهما وكون احدهما
يوجد بنقصان الآخر وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون خصهم بذلك لان الباعث
على النظر والتدبر لا يكون الا بتقوى الله والحذر عن العاقبة فهم الذين يعلمون بها آيات
وينتفعون بها دون غيرهم ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافونه لانكارهم البعث
لانه لا ينتظم مع تعليل قوية بل لاعتمادهم على شفعائهم واستغال الرجاء في معنى
الخوف شايع كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال الهذلي اذا لسعته النحل
لم يرج لسعها والمراد من لقاء الله سوء الحساب عند تعالى وما يترتب عليه من اصابة
المكروه وهذا صريح في عدم تأثير التحذير والترهيب فيهم ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة
لغفلتهم عنها ولا نسبة لهذا التعليل في حق المنكرين لها ضرورة ان الانكار لا يجامع الغفلة
عنه ووصفهم بهذا الكناية عن ان الترغيب لا يجدي نفعا في حقهم ولما احتمل ان يقال لم لا
يجوز ان يزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال دفعه بقوله واطمأنوا بها اي سكنوا اليها
سكون من لا يزعج عنها فانظر الى حسن انتظام هذا المقال فمن قال في تفسير الوصف الاول
لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فكأنما اخطأ في التعليل لم
يصب في العلل لانه اخل بشق الترهيب ثم ان قوله وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها انما
يناسب تفسير الرجاء بالامل على ما هو حقيقته وحمل اللقاء على نيل الثواب على ان عبادة
الذهول لا تقتضيه سوق الكلام لا يناسب المقام والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون
لانهماكهم فيما يضادها والواو بين الموصولين للجمع بين الوصفين المتغايرين والتنبيه

على ان

على ان الوعيد له او الذاتين وبما الموقفه الفارغة عن احوال الآخرة وابهوالها الراضية بالحيوة الدنيا
والغافلة الهائم حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون
بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بسبب ايمانهم
الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا او يهديهم في الآخرة
بسبب نور ايمانهم الى الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
او لما يريدونه في الجنة وجعل التمسك بسبب السعادة نفس الوصول لسرعة الاداء اليه و
على هذا يكون تجري خبرا ثانيا لان او حالا من الضمير المنصوب في يهديهم في جنات النعيم متعلق
بتجري او بيهدي او خبرا وحال آخر من الضمير المذكور او من الانهار دعويهم فيها اي دعاؤهم
سبحانك اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها تحية بعضهم لبعض او تحية الملائكة اياهم
سلام وآخر دعويهم خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك وان
هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله والضمير للشان وقرئ ان الحمد بالتشديد ونصب
الحمد يعني ان اهل الجنة مستغنون عن طلب النوال الحصول كل ما يشتهيهم في الحال امنوا عن
احتمال الانقطاع والزوال فلا جرم دعاؤهم اولا وآخرا مقصور على التمجيد والتحميد ولا يخفى
على من انصف وبالتجنب اتصف ان الجمع بين الايمان والعمل الصالح ظاهر في انه السبب
لا سيما في مقام الترغيب في اكتساب اسباب حسن اللقاء واجتناب اسباب سوء
الجزاء ثم التصريح بسببية الايمان المضاف الى الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص
على انه ذلك الايمان المقرون بالعمل الصالح لا مطلق الايمان غاية الامر انه ذكر لاصالته
وزيادة شرفه فلا يكون ذكره مستدركا ولا دالا على استقلال الايمان وبهذا التفصيل
اندفع ما قيل ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديفة قيل ولا تخالف لما ذكر من اهل السنة والجماعة لان العصاة غير مهتدين
واما ان كل من لم يكن مهتديا فهو خالد في النار فهو ممنوع ودعوى ذلك غاية المكابرة
ولا وجه له لان الكلام في الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة وعصاة
المؤمنين مهتدين بهذه الآية ولا خلاف في ان من لا يكون مهتديا بهذه الهداية لا يدخل
الجنة والصواب في الجواب عن تمسك المخالف بهذه الآية انها معارضة بمثل قوله تعالى
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله كان فيه دلالة
على الايمان وحده كاف في استحقاق اعداده والاصل في النصوص التوفيق وهو ههنا بحمل
النعيم عليها هو اسم خاص لاحدى الجنان السبع على ما مر تفصيله في تفسير سورة البقرة

ايمانهم

سعد الدين

والمراد من الجنة المضافة اليه ما فيه من البساتين ونظيره قوله تع فلهم جنات المأوى ويجوز ان يكون
الهداية الى جنة النعيم مشروطة بالعمل الصالح ويكون الايمان وحده كافيا في الهداية الى مطلق الجنة
دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها اي تحية بعضهم لبعض
او تحية الملائكة اياهم سلام وآخر دعويهم خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي
ان يقولوا ذلك وان هي المخففة من الثقيلة اصله انه الحمد لله والضمير للشان وقرئ ان الحمد
بالتشديد ونصب الحمد يعني ان اهل الجنة مستغنون عن طلب النوال لحصول كل ما يشتهيهم
في الحال امنوا عن احتمال الانقطاع والزوال فلا جرم دعاؤهم اولا وآخرا مقصود على التمجيد والتحميد
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير حين استعجلوه بالخير
فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله الخير وحذف ما حذف منه لدلالة الباقي عليه ايجازا و
ذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تع لهم في الخير حتى كان استعجالهم به نفس تعجيله له و
ان المراد بالشر الشر الذي استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء لقضي
اليهم اجلهم ولو يعجل الله لاهل مكة الشر الذي دعوا به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه
لما ماتوا لعوقبوا بل اهلكوا او ميتوا لان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك وقرئ لقضى على
البناء للفاعل وهو الله تع ويؤيده قراءة لقضينا وهذه الآية متصلة بقوله ان الذين لا
يرجون لقاءنا دلالة على استحقاقهم العذاب وانه تع انما يمهلهم استدراجا بدل ضميرهم
تغليظا للامر ثم قيل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون مصرحا باسمهم وذكر المؤمنين
انما وقع في البين تتميما ومقابلة فليس باجنبي ومن ههنا ظهر انه لا حاجة الى ان يجعل فنذر
جواب شرط محذوف واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته في جميع احواله لا يفتر عنه
في حال من احواله لجنبه ملقيا لجنبه في موضع الحال لعطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا
او قاعدا او قائما فالترديد للتعميم لجميع الاحوال او لجميع اصناف الضر ملقى لجنبه عاجزا عن
المقصود او قاعدا لا يقدر على القيام او قائما لا يقدر الثقله اي لا يستغني عن الدعاء في
نوع من الانواعه فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته الاولى من الذهول والغفلة عنا
ونسي الجهد او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اصله كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله ونحر مشرق التصدر كان ثدياه حقان الى ضر مسه
الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون عليهم من الاعراض عن الذكر و
الدعاء والانهماك في الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الخطاب لاهل مكة لما ظلموا حين
ظلموا بالتكذيب وجاءتهم رسلهم بالبينات الواو للحال ولا حاجة الى تقدير قد او عطف على ظلموا الان

معناه

معناه احداث التكذيب ومعنى هذا الاصرار عليه بحيث لا فائدة في امهالهم لانها لم تدخل على جاءتهم
رسلهم بالبينات وحده بل على جملة ذلك القول والتي يليها كانه قيل لما ظلموا وحصتهم بهذه وقد
مر نظير هذا في اوائل سورة البقرة في تفسير قوله وكنتم امواتا فاحياكم الآية وما كانوا ليؤمنوا
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم واللام لتأكيد النفي وانما علم تع بانهم يموتون
على الكفر فلا تأثير له في عدم ايمانهم لان العلم تابع للمعلوم فلا يؤثر فيه ويجوز ان يكون عطفا
على ظلموا ويكون ظلموا مؤخرا عن جاءتهم رسلهم بالبينات معنى وان قدم عليه لفظا للاهتمام
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا على وخروا سجدا لذلك والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم
الرسل وعدم الفائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسول ويجوز ان يكون
وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا لتقرير ما تخلل هو بينه كذلك مثل ذلك الجزاء
بالاهلاك على وجه الاستيصال نجزي القوم المجرمين اراد المجرمين بالجرم المعهود
وهو تكذيب الرسل في الاصرار عليه وانما قال نجزي القوم لان الكلام في عذاب
الاستيصال ومن لم يتنبه له قال في تفسيره نجزي كل مجرم والمقصود وعيد لاهل
مكة وتهديدهم وبناه على اندراجه فيه اندراجا اوليا وهذا ابلغ من الخطاب ومن لم
يتنبه له جوز ان يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع المضمر ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم من بعد القرون التي اهلكناهم جعل مختبر استعير للتراخي في
الرتبة فلا يغني عنه قوله من بعدهم لننظر كيف تعملون انعملون خيرا ام شرا
فنعاملكم على حسب اعمالكم وكيف في محل النصب بتعملون مستفاد المعنى اي شيء
فيكون نصبه على المفعولية ويجوز نصبه على الحالية اي لننظر على اي حال يعملون على حال
الخير ام على حال الشر ولا يجوز انتصابه بننظر لان الاستفهام لا يتقدم عليه عامله و
فائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال كيفياتها لا هي من حيث ذاتها
ولذا يحسن الفعل تارة ويقبح باخرى والنظر على ان حقيقته لان الكلام على طريقة الا
ستعارة التمثيلية كقوله تع وقدمنا الى ما عملوا على ما نبهت عليه آنفا ومن لم يتنبه رحمه الله
لذلك قال هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا ويلزمه الاستلزام حيث قلنا جعل مختبر
بان يكون علمه تع بالحوادث حادثا ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تع عنه ومنشاؤه
الغفول عن ان من ليس بزماني لا يتوقف علمه بالحوادث على مجيء الزمان وحصول
تلك الحوادث في اوقاتها كما هو شان علم من هو زماني واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون لقاءنا يعني من المشركين المستهزئين ائت بقرآن

غير هذا بكتاب آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم آلهتنا والوعيد على عبادتنا إياها أو بدله
بأن تجعل مكان آية منه آية أخرى وإنما قالوه كيدا أو طمعا في إجابته إليه فيلزموه
ويستهزئوا به ولما كان الإتيان بقرآن غير هذا غير مقدور للإنسان لم يحتج إلى نفيه ونفى ما
هو مقدور له وإن كان غير جائز في حقه ثم قيل له قل ما يكون لي ما يصح لي أن أبدله من تلقاء
من قبل نفسي مصدرا استعمل ظرفا هذا ما يحتمل النظر والذي هو وفقه أن نفي الثاني
نفي للأول فلا اقتصار في النفي والاكتفاء ببعض الجواب والله أعلم إن أتبع إلا ما يوحى إلي
تعليل لقوله ما يكون لي لأن المتبع لغيره في أمر سيما الوحي لا يستقل بالتصرف فيه بوجه
وجواب للنقض بنسخه بقرآن آخر ورد لما عرضوا به في هذه السؤال من أن القرآن كلامه عليه
السلام ومفتراه ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا
بقوله إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم أي بالتبديل فيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم به أي إن تلاوته ليست إلا
بمشيئة الله تعالى ولا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه وقرئ ولأدراكم بلام التأكيد
أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم الله به على لسان غيري والمعنى أنه الحق الذي
لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأتكم على لغة من يقول أعطأته
وأرضأته في أعطيته وأرضيته ويعضده قراءة ابن عباس رض ولا أنذرتكم به وقرئ
ولا أدرأكم به بالهمزة على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة لأنها من
واو واحد أو على من درأته إذا دفعته وأدرأته جعلته دارئا أي ولا أجعلكم بتلاوته خصماء
تدرؤونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا عمرا طويلا مقدار أربعين سنة
من قبله من قبل هذا القرآن لا أتلوه ولا أعلم شيئا وهو تعريض لكونه من إعلام الله تعالى
وبمشيئته فإن من نشأ بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم يتعلم شيئا ولم يجالس قط عالما
ولم يمارس علما ولم ينشئ خطبة ولا قريضا ثم أتى بكلام بذت فصاحته فصاحة كل
بليغ وعلا نظمه كل منظوم ومنثور خارق للعادة أعجز عن معارضته البلغاء عن آخرهم
محتو على فنون العلوم والحكم ناطق بغيوب لا يعلمها إلا الله مشتمل على أصول الأحكام
وفروعها معرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به
من عند الله تعالى أفلا تعقلون أفلا تستعملون عقولكم بالتأمل فيه فتعلمون أنه ليس إلا من
الله تعالى لا مني ولا تتهموني بالافتراء على الله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
كناية عنهم ومنهم أي من ظلم بتقدير أن أفتريت على الله كذبا بتبديل ما أنزل الله علي ومنكم

تكذيبهم بآيات الله تعالى وقد سبق في تفسير سورة البقرة وجه هذه الطريقة الاستفهامية في مقام المبالغة
وإنما قيل تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد فيأباه التصوير
بالفاء الدالة على ترتب الكلام على ما سبق وإنما زاد قوله كذبا مع أن الافتراء لا يكون إلا كذلك
إظهارا لما فيه من جهتي القبح إنه لا يفلح الكافرون لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون إلى مأمول
ولا يأمنون من محذور ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم أي الأوثان لأنها جمادات
لا يضرهم إن تركوا عبادتها ولا ينفعهم إن عبدوها ومن خواص المعبود أن يكون قادرا على
النفع والضر مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية ويقولون هؤلاء الأوثان شفعاؤنا
عند الله يشفع لنا في الآخرة وعن النضر بن حارث إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات
والعزى ومن زاد على هذا أن يكون بعث وكأنهم شاكين فيه فقد أتى بعجب عجاب كما لا يخفى
على ذوي الألباب قل أتنبئون الله أتخبرونه بما لا يعلم أي بما لا وجود له أصلا وهو أن له
شركاء أنبأهم تهكم بهم وتقريع لهم بإخبارهم علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي
هو وجود الشركاء وشفاعتهم عند الله تعالى وإعلام ببطلانه واستحالته بأن ما يتعلق
به علمه لم يكن شيئا أصلا لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ولا حاجة في تمشية هذا الكلام إلى
تفسير الشيء بما يعلم ويخبر عنه في السموات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف مؤكد للنفي
لا لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف من أنه يقال عند تأكيد
النفي ليس هذا في السماء ولا في الأرض لاعتقاد العامة أن كل ما يوجد فهو إما في السماء
وإما في الأرض فلا حاجة إلى التزام بكون الكلام واردا على دعوى أن الأمر كذلك في اعتقاد
المخاطبين سبحانه وتعالى عما يشركون عن إشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونه
به وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة من غير اختلاف بينهم وذلك في
عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان وتمامه موقوف على أن يكون
نوح عليه السلام مبعوثا لكافة الأنام حتى يلزم الكفر لمن لم يتبعه ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا
باتباع الهوى فبعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين على ما مر في سورة البقرة فمن زعم
أن اختلافهم ببعثة الرسل وما فهم أنه مخالف لنص القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك
قضاء منه جرى في الأزل بتأخير الفصل والحكم بينهم إلى يوم القيامة لكمال التروي والعمل
في دار التكليف لقضي بينهم عاجلا فيما كانوا فيه يختلفون بإبقاء المحق وإبطال المهلك لتمييز
الحق من الباطل ويقولون عدل عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع حكاية للحال الماضية
وقصدا إلى الاستمرار لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا به آية من الآيات التي كانوا

عليهم السلام

يقترحونها غير مكتفين بما نزل عليهم من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من الانبياء
قبله خصوصا القرآن المعجز الباقي على وجه الدهر وغير معتدين به عنادا ومكابرة بل جعلوا نزوله
بلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية من ربه للتحقير اي آية
ما واحدة وشيء من جنس الآية وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما
الغيب لله اي لا علم المانع من انزالها فانه غيب ولا يعلم الغيب الا الله وما قيل فلعله
يعلم في انزالها من مفاسد تصرف عنه لا ينتظم مع قوله فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من
المنتظرين ما يفعل الله بكم من العذاب لجحودكم الآيات العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا
اذقنا الناس رحمة كخصب وسعة وصحة من بعد ضراء من القحط والشدة والمرض
مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها قد سبق في تفسير سورة الاعراف معنى المكر وما به
يفارق الكيد اذا لهم مكر في آياتنا واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت جوابا للشرط
قيل سلط الله تعالى القحط على اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في آيات الله تعالى ويكيدون رسوله عليه السلام قل الله اسرع مكرا يعني منكم لان معنى
المفاجاة قد دل على السرعة فتفضل عليها اي فاذا جاؤا في وقت اذاقة الرحمة المكر
وسارعوا اليه قبل ان ينفضوا عن رؤسهم غبار الضراء ومعناه انه قد دبر عقابكم وهو
موقعه بكم قبل ان تدبروا كيدكم في اطفاء نور الاسلام والمكر من الله تعالى اجراء مكرهم
واخذهم بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تدبروا
في اخفائه من مقدمات المكر لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى على الله تعالى وايعاد بالانتقام
وتحقيق له وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في البر يمكنكم من السير فيه
بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون في مناكبها وقرئ ينشركم من النشر والبحر ولما كانت
السيرة في البحر اعجب وادل على ظهور آثار لقدرة الله تعالى والرحمة اقرب خصه بالذكر فقال حتى اذا
كنتم في الفلك في السفن وحتى غاية للتسيير والثانية لبيان ان غاية التسيير مضمون الجملة الشرطية
والالتفات في وجرين بهم اي بمن فيها للمبالغة جرى الفلك بمراديهم كان ركوبها وقوعهم
في الغيبة مع السرعة الجري وفي تفتيح حالهم عنده تعالى فاذا اعرض المتكلم عن المخاطب وحكى
لغيره سوء صنيعه وقلة حيائه كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم
الانكار والتقبيح وكان ان تقول في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب
امتنان واظهار نعمة للمخاطبين والسائرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب
شامل لهم فخطابهم بذلك ليستدل الامر في آخره الى ان المتلبس بها هو باغ في الارض

بمنزلة عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبين بصدور مثل هذه الحالة بريح
طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجوز ان يكون الضمير للفلك ولا يلائمه قوله وجاءهم
الموج لما فيه من تخصيص مجيء الريح بالسفينة ومجيء الموج من جهات متقابلة يستدعي ان يكون
الضمير للريح الطيبة حتى يفيد معنى التقابل والتدافع بين الريحين فيحصل المبالغة في
امواج البحر واضطراب امواجها المقصودة من قوله من كل مكان فان عبارة كل في مثل هذا
المقام للمبالغة والتفخيم لا للاحاطة والتعميم ومن غفل عنه قيده المكان بقوله يجيء الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو ومثل في الهلاك
فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم مخلصين
له الدين من غير اشراك لصفاء الفطرة بزوال المانع من شدة الخوف لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول دعوا لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقدير و
اللام في لئن موطئة للقسم فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق احتراز من البغي بالحق كتخريب المسلمين
ديار الكفار وقلع اشجارهم واحراق زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس تلوين
للخطاب في اثناء الكلام والتفات آخر لشدة الاعتناء بترك البغي والمبالغة في النهي
والتنفير عنه انما بغيكم على انفسكم بغيكم مبتدأ على انفسكم صلته متاع الحيوة الدنيا خبره اي
بغيكم على من هو من جنسكم وتكلمكم بعين بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا يبقى و
يبقى عقابها او على انفسكم خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون وقد سبق تفسيره في سورة التوبة انما مثل
الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا لتكاثفه مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها استعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظ الزخرف وهو الذهب
لما كان من الاشياء البهية المنظر السارة للنفوس وازينت باصناف النبات واشكالها
والوانها المختلفة وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت
من غير اعلال كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكنون من حصدها وتحصيل ريعها والارتفاع بها اتاها امرنا بالتلاف زرعها

وافاد زرعها ببعض العاهات بعد امنهم من آفاتها ليلًا او نهارًا فجعلناها اي فجعلنا زرعها
على تقدير حذف المضاف للمبالغة حصيدًا مقطوعًا مستاصلًا شبيهًا بالحصيد كأن لم تغن
اي كأن لم ينبت ذلك الزرع ولا حاجة هنا الى تقدير المضاف وقرئ بالياء على الاصل يقال
غني بالمكان غنى مثل عمي عمى وتغنى اذا اقام وقرئ لم يتغن بالامس فيما قبله مثل في الوقت
القريب الماضي كانه قيل كأن لم تغن آنفًا لما قدر ان البغي متاع الحيوة الدنيا عقبه بتمثيل
الحيوة الدنيا في سرعة جفافه وذهابه حطامًا بعد اخضراره قبل انتفاع الناس
العقلاء عنه والممثل به مضمون الحكاية لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه
المركب وقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة
من كل لون فاكتستها وتزينت بانواع الزين والحلي على طريق الاستعارة بالكناية كذلك
نفصل الآيات نبينها ونميز بعضها عن بعض لقوم يتفكرون انما خصها بهم لانهم المنتفعون
بها والله يدعو الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه في تعظيمها لها او دار السلامة من النقص
والآفة لسلامة اهلها من كل مكروه وقيل دار السلام لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة
عليهم ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم طريقها وهو الاسلام والتقوى ولما كان الدعاء عامًا
لم يتقيد بالمشيئة بخلاف الهداية فانها خاص فتقيدت بها وفيه ايذان بان الامر غير
الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله تعالى ان يرشده للذين احسنوا الحسنى وزيادة
عليها وهي التفضل لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الحسنى الجنة والزيادة من اللقاء و
من علامة اصحاب الضلال من قال زعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر
الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل
الجنة فكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئًا هو احب اليهم
منه قوله مرقوع صح بالقاف عنه ومعناه مرقع مفترى واما عند اهل الحق فمتضح
بالفاء رواه ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن عباس وعكرمة
وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى ومقاتل رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اورده
مسلم في صحيحه عن صهيب رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واورده البخاري في
صحيحه بلا اسناد وصححه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه فالحديث متفق على صحته
وذلك المتعصب طعن في الحديث الصحيح والخبر الحق الصريح ترويجًا لاعتقاده الفاسد
وتصحيحًا لمذهبه الباطل وصحف المرفوع بجعله مرقوعًا ليرقع به مذهبه المخروق

هيهات

هيهات اتسع الخرق على الراقع والحق الواقع ما له من دافع ولا يرهق ولا يغشى وجوههم
قتر غبرة سوداء ولا ذلة هوان يعني لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يلحقهم ما يوجب ذلك
من حزن وسوء حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها و
لا انقطاع لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات عطف على الذين احسنوا
كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو وجاز العطف على عاملين مختلفين لتقدم المجرور او مبتدا
خبره جزاء سيئة بمثلها على تقديره وجزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة
واحدة مثلها وفيه دليل على ان الزيادة هي الفضل لان جزاء السيئة بمثلها هو العدل وترهقهم
ذلة اذ لا ذلة لهم بما يتقدم منه رحمته ما لهم من الله من عاصم اي من سخط الله وعذابه او من
جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعًا من الليل لفرط
سوادها وظلمتها مظلمًا حال من الليل والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعًا ومن
الليل صفة له والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ
قطْعًا بالسكون من قوله بقطع من الليل فيكون مظلمًا صفة لقطعًا او حالًا منه لاختصاصه
بالوصف وبعضهم قراءة كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ولا يتمسك فيه للوعيد به لان سياق الكلام في الكفار لقوله ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقوله فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم واما التعليل باشتمال السيئات على الشرك والكفر ففيه تخصيص الحكم
المذكور بالمشركين ولا وجه له والتعليل يتناول الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من
المؤمنين فلا يتناولهم قسيمه فليس بقوي لان كونهم من المحسنين على الاطلاق غير ظاهر
ويوم نحشرهم جميعًا يعني الفريقين جميعًا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا
مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المرفوع المنتقل الى مكانكم من عامله لسده
مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ شركاءكم بالنصب على المفعول معه فزيلنا
بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل تباعدنا بينهم بعد الجمع
في المحشر وتبرئ شركائهم منهم ومن عبادتهم لقوله ان شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا
ضلوا عنا وتاباه ترتيبه قبل قوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون بالتاء الواصلة بلا
تراخ على ما تقدم وما يحاذى عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به والمراد من الشركاء الملائكة وعزير والمسيح ومن
عبدوهم من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فيكلمهم بذلك مكان الشفاعة التي

يتوقعون منها وقيل الشياطين ويرده قوله فكفى بالله شهيدا بيني وبينكم العالم بكنه
ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت باغوائهم ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من الخير والشر
او من المتعلق اي يتبع لان عملها هو الذي يهديها الى الجنة والنار وقرئ نبلو بالنون ونصب
كل اي كل نفس بالبلاء وهو العذاب بسبب ما قدمت من الشر فيكون ما ناصبا بنزع الخافض
او نختبرها باختبار ما اسلفت اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها
بمعرفة عملها في الصلاح والفساد والقبول والرد فيكون ما بدلا من كل نفس بدل الاشتمال
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم او المتولي امورهم الحق لا الباطل
الذي اتخذوه موليا او مولاهم على الحقيقة لا الذي بولاية حقيقة او العدل الذي لا يظلم احدا
وقرئ بالنصب على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد كقولك هذا عبد الله الحق
لا الباطل وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون
انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض منهما جميعا فان الارزاق انما تحصل من اسباب سماوية
وارضية معا او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف
اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما
او حفظهما وكلاءتهما من الآفات مع كثرتهما وسرعة تأذيهما وبطلانهما من ادنى شيء ولما كان
الوصول الى الرزق بواسطتها كان خلقها وحفظها من تمام الرزق ولهذا قال ام من ولم
يقل ومن كما قال ومن يخرج الحي من الميت ومن يخرج الميت من الحي اي ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم تعميم بعد التخصيص تنبيها على ان تفاصيل
المني والنعم واسباب الايجاد والربوبية اكثر من ان يحصى كانه قال وبالجملة من يدبر امر العالم
كله فسيقولون الله اذ لا يقدرون نسبة ذلك الى غيره مكابرين لفرط وضوحه فالسين
للتاكيد والفاء جزائية للترتيب على شرط محذوف تقديره ان سالتم عن ذلك فسيقولون
الله البتة فقل تفريع على الشرطية المذكورة افلا تتقون الله في اشراككم به ما لا يشاركه
في شيء من ذلك الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء لترتيب الانكار على الاعتراف المذكور
فهي مقدمة وان اخرت لفظا حفظا لصدارة الهمزة فذلكم الله اشارة الى من هذه افعاله
وقدرته ربكم الحق الثابت ربوبيته الواجب وجوده لانه انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم
فماذا بعد الحق الا الضلال الاستفهام انكاري اي ليس بعد الحق الذي هو التوحيد وتخصيص
العبادة به الا الضلال فانى تصرفون من الحق الى الضلال ومن التوحيد الى الشرك كذلك مثل

ذلك

ذلك الحق اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون
حقت كلمة ربك حكمه على الذين فسقوا وتمردوا في الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح
انهم لا يؤمنون مفعول كلمة لانها في معنى الحكم اي حكم بانهم لا يؤمنون او بدل عنها اي حق وثبت
انهم لا يؤمنون او تعليل على ان الكلمة كلمة العذاب وعدته اي لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده الزمهم بابداء الخلق واعادته وان لم يكونوا معترفين بها تنبيها على
وضوح ودلالة على ان من انكرها كان مكابرا رادا لظاهر البين الذي اعترف بصحته
العقلاء وكان عندهم من المسلمات وقد ادى الى لجاجهم وعنادهم وشدة مكابرتهم امر النبي عم
بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده اي لا يدعهم لجاجهم ان ينطقوا
بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق
بنصب الحجج وارسال الرسل والتمكين والاقدار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر والهام
الحق والصواب وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى
غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله تعالى في
قوله قل الله يهدي للحق اي الله تعالى وحده هو الذي يهدي للحق دون غيره افمن يهدي الى
الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى امن الذي لا يهدي بنفسه الا ان يهديه الله تعالى وهذا حال اشرف
شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل من لا يهتدي من الاوثان الى
مكان فينتقل اليه الا ان يهدى من هداه للمبالغة ومن جاء يهدي لمطاوعة كقولهم
قطعته فتقطع فما لكم كيف تحكمون بالباطل اذ تزعمون انهم انداد الله تعالى وما يتبع اكثرهم
في معتقداتهم الا ظنا غير مستند الى برهان بل مستند الى خيالات واقيسة فاسدة
كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر
من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني في معرفة الله تعالى
من الحق اي العلم والاعتقاد الحق شيئا مفعول به ومن الحق حال منه او نصب على المصدر
اي لا يغني بدل الحق شيئا من الاغناء وقيل وما يتبع اكثرهم في اتخاذ الاصنام آلهة
وانها شفعاء الا ظنا وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والتقليد الاباء
دون البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله وما صح ان يكون مثل هذا القرآن
في الاعجاز افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديقا لما تقدمه
من الكتب المنزلة الصادقة وتصديق الصادق صادق وهو لكونه معجزة دليل على
صدقها وشاهد لصحتها تصديق خبر كان المقدر او علة لفعل محذوف تقديره لكن

لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله عليكم وقرئ وتفصيل بالرفع عطفا على تصديق على قراءة في الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب كاينا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك فيه كريم او بالفعل المعلل بهما او حالا من الكتاب او الضمير في فيه لانه مفعول في المعنى ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان على كونه من عند الله ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه انكار لقولهم واستبعاد لدعوى الافتراء مع كونه حجة عليهم بالاعجاز قل فأتوا بسورة مثله اي ان كان الامر كما زعمتم فأتوا انتم بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في البلاغة والفصاحة بل اشد تمرنا بها مني وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا به من دون الله من خلقه اي سوى الله فانه وحده قادر على ذلك وادعوا غيره ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن في اول وهلة سماعه قبل ان يتدبروه ويقفوا على معانيه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم لشطاط انفسهم بالفوه وتعودوا به من دينهم ولغورهم عما يخالفه ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب يعني ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فراوزوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها ولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم قبل النظر في معجزاتهم تقليدا وبعده عنادا وحسدا فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه ولا يصدق او ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر ولا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا وداوموا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت وقل لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء

مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم قيل ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض قطعا والابهام بمعزل عنه ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلونه ولا يعون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم ابعد التبليغ تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل صدقك ونبوتك ولكن لا يصدق افانت تهدي العمي أانت بعد اظهار المعجزات ودلائل النبوة تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم عدم بصيرتهم فان انكار ان يكون هو الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية الاعمى لا بصيرة له وفيه تنبيه على ان حقيقة الاسماع هو فهم المعنى وحقيقة الابصار هو الاستبصار والاعتبار وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالحاستين ولذلك لا يوصف بالاول البهايم ويحدس الاعمى المستبصر [illegible] فاذا لم يوهب ولم يوفق فمحال ان يقدر على ذلك غيره وفي تشبيههم بالصم والعمي وان فائدة السمع والبصر الفهم والاستبصار فاذا لم يحصلا فكأنهما لم يكونا وفي ضمن سلب العقل والبصيرة الى الصم والعمي انتهى على اليأس من ان يفهموا ويستبصروا وانما سلب العقل في الاول وسلب البصيرة في الثاني لان بالبصر بدون العقل يوصل الى ابتداء الطرق والسلوك فيها الا ترى ان البهايم تبصر الطرق وتسلك فيها وتتقي بها المهالك ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها دون العقل فبظاهر البصر بدون العقل تبصر الاشياء وبظاهر السمع بدون العقل لا تعرف الاشياء والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا باخلال شيء من اسباب كمالهم ووسائل اتيانهم كنقص حواسهم وسلب عقولهم وبصائرهم واما الهدى بلا تنبيه ببعث الرسل وانزال الكتب ولكن الناس انفسهم يظلمون بترك استعمال مشاعرهم وعدم التفكر والتفهم بعقولهم والنظر والاعتبار ببصائرهم والذهول عن الوحي والاخذ بالا نهاک في شهواتهم ولا يظلمهم بالتعذيب بكفرهم وعماهم يوم القيمة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستجلابه فعلى هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي من عدم استعمالهم الات الاهتداء فيما خلقت له لان اسباب الهداية مفقودة وعلى الوجهين تذييل لما سبقه ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة استقصار منهم لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول ما يرون في بابها يقولون من النهار تأكيد للاستقصار لان النهار لكونه زمان الاشتغال بالاشغال لا يدرك طول ساعته بخلاف الليل والجملة التشبيهية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة

يوم والعائد محذوف اي كان لم يلبثوا قبله والمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله **يتعارفون**
بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف
بينهم لشدة الامر عليهم بيان لقوله كان لم يلبثوا الا ان طول مدة اللبث يوجب التناكر و
التعارف وانما يبقى مع قلتها **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** استيناف للشهادة من الله تعالى بخسرانهم
وفي تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر **وما كانوا مهتدين** اي الطريق التجارة وفيه معنى التعجب
كانه قيل ما اخسرهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب الاشعار
انما هو تكذيبهم بلقاء الله تعالى وعدم اهتدائهم لاستعمال ما اتوا من المشاعر والعقول و
البصائر في تحصيل المعارف واكتسابهم بها عقائد فاسدة وجهالات تؤديهم الى الخسار
والهلاك والعذاب **واما نرينك** نبصرنك **بعض الذي نعدهم** من العذاب في حيوتك كما اراه يوم
بدر **او نتوفينك** قبل ان نريك **فالينا مرجعهم** فنريكه في الاخرة قيل هو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ولا حاجة الى تقدير الجواب المذكور لان قوله فالينا
مرجعهم صالح ان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى فعلى كلا
التقديرين نعذبهم في الاخرة والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا لتخفيف عذابهم
في الاخرة وهذا هو المناسب للمقام فلا وجه بالعدول عنه بالارتكاب لمحذوف في الكلام
ثم الله شهيد على ما يفعلون اي بعد رجوعهم الينا الله معاقبهم على افعالهم اوالله تعالى
شهادته على افعالهم حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم
والمراد من الشهادة مقتضاها ونتيجتها اي العقاب لان شهادة الذي احاط علمه بجميع
افعالهم السيئة الخبيثة والظاهرة توجب العقاب الشديد لانه محض كلها سوء والا
لتفات من التكلم الى الغيبة واظهار اسم الله تعالى وايقاع ثم وايراد الجملة الاسمية للتنبيه
على ان المعاقب هو الله تعالى الذي لا يخفى عليه خافية والتهديد والتهويل بان مضمون الوعيد
في غاية البعد من تصورهم عند الرجوع ودوام العقاب وفيه انواع المبالغات في تشديد
الوعيد وتاكيده وقرئ ثم بالفتح اي هنالك **ولكل امة رسول** بعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه **قضي بينهم بالقسط** بالعدل فانجي الرسول و
من آمن به واهلك المكذبون وذلك لالزام الحجة كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وهم لا يظلمون بالعقاب في الاخرة بعذاب العذاب في الدنيا لانه جزاء سيئاتهم
والمعذب في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكافر وعلى هذا هو تاسيس لا تاكيد لما قبله
فالعاطف اصحاب الحق بخلاف ما قيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا

جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر كقوله
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم فانه تعيين التاكيد فالعاطف يكون واقعا بين
الشيء ولحاقه **ويقولون متى هذا الوعد** استعجال من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا
وانكارا واستهزاء **ان كنتم صادقين** خطاب للرسول ع وللمؤمنين به **قل لا املك لنفسي**
ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاعجل اليكم العذاب وتقديم الضر لان ما فيه الكلام من
جنسه **الا ما شاء الله** استثناء متصل اي الا ما شاء الله ان املكه او منقطع اي
ولكن ما شاء الله من ذلك كائن **لكل امة اجل** مضروب لهلاكهم عند الله تعالى وحد
محدود من الزمان **اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون** اذا جاء وقته انجز وعدكم
بالعذاب فلا تستعجلون فيجيء وقته وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة الاعراف
قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به **بياتا** نصب على الظرفية اي وقت بياتكم
وغفلتكم بالنوم **او نهارا** اي في وقت اشتغالكم بطلب المعاش والكسب او اللهو
جواب الشرط محذوف اي ندمتم على الاستعجال او عرفتم الخطا فيه وقوله **ماذا يستعجل**
منه المجرمون متعلق بارايتم اي اخبروني ماذا يستعجلون منه والشرطية متعلق
بارايتم ونحوها ان العذاب كله مكروه موجب يجب ان يستعاذ منه لا
ان يستعجل فاي شيء يستعجلون منه على ان الضمير في منه للعذاب وقيل لله تعالى ويجوز
ان يكون معنى الاستفهام في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار اي اي شيء هائل
شديد يستعجلون منه ومن في هذا الوجه يجوز ان يكون للبيان ووضع المجرمون موضع
ضمير المخاطبين على طريقة الالتفات تقوية لما في الاستفهام من معنى الانكار
والتعجب ودلالة على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام فان المجرم حقه
ان يخاف التعذيب ويستعيذ منه وان اخطا فضلا ان يستعجل ويجوز ان يكون **اثم اذا**
ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراضا اي اخبروني ان اتيكم عذابه آمنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول الهمزة على ثم لانكار تاخير الايمان الى وقت
لا ينفع وهو وقت العذاب وادخالها على المعطوف لان ثم منصب الانكار والاستبعاد
ثم زيد لها الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد على ان الاول كالممهد له وجيء
باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع والتحقيق وزيادة التجهيل وانهم لا يؤمنون الا
بعد ان لم ينفعهم البتة الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم به وقد عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر

والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو الضمير للعذاب الموعود احق خبر والضمير مبتداء
او مبتداء والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم اقائم زيد والجملة في محل النصب بيستنبئونك
والهمزة للاستفهام على سبيل الانكار والاستهزاء وقرئ الحق وهو على ان اللام للجنس كانه
قيل هو الحق لا الباطل وهو الذي سميتموه الحق وهو اقوى في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض
بانه باطل قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن واي من حروف الايجاب بمعنى نعم
ويختص بالقسم كما ان هل بمعنى قد يختص بالاستفهام فيقولون اي والله ولا ينطقون به
وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب اي هو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت
بفعل ما يستحق به العذاب ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها
وجميع منافعها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه
ولفظة كل لتعميم الحكم لكل واحدة من النفوس الظالمة واسروا الندامة لما راوا العذاب
حين رؤيتهم العذاب لانهم بهتوا بما عاينوه مما لا يخطر ببالهم ولم يحتسبوه في
سلبت شدته وفظاعته قولهم فلم يطيقوا اظهار الجزع والبكاء للدهشة والحيرة لا للتجلد
اذ ليس ثمة فامتلات قلوبهم ندما وقيل عن اتباعهم الذين يضلونهم حياء منهم و
خوفا من توبيخهم وقيل اسروا الندامة اخلصوها وجعلوها سرهم اي سلوا بواطنهم
بحيث لم يبق فيها شيء آخر او من قولهم سر الشيء لخالصه لانها يخفى ويضن بها وعلى هذا
يكون فيه تهكم بهم وقيل اظهروا ومنه قولهم اسر الشيء اذا اظهره وهو من الاضداد وقضي
بينهم بالقسط اي بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس تكريرا
لان الاول قضاء حكومة والثاني مجازاتهم على الشرك وسائر المعاصي الا ان لله ما في السموات
والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه اي بكلمتي التنبيه والتحقيق وجمع بينهما
في حلتي الاختصاص بالملك وانجاز الوعد تقريرا لما وعده وتنبيها على ان ما ذكروه
حق واجب الوقوع لا محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم في الغفلة هو يحيي و
يميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى ايضا لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة
القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لها ابدا واليه ترجعون بالبعث بعد
الموت تحذير وترهيب واطماع وترغيب ليخاف ويرجى يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد من الحكم
العملية المبينة لمحاسن الاعمال وقبائحها والتحريض على الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة

النظر

النظرية من المعارف والحقائق التي فيه شفاء لما في الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك
والنفاق والشرك والهداية الى الحق والتوحيد والرحمة لمن آمن به بازالة عليهم بانجيهم
من ظلمات الضلال والكفر الى نور الهداية والايمان ومن دركات النيران الى درجات
الجنان وتنكير موعظة وما عطف عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف
يفسره ما بعده تقديره بفضل الله وبرحمته يعني بانزال القرآن والهداية الى الايمان
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا او بفعل نوع ومابنا بسببه نحو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فليعتنوا الحذف الاول لدلالة الثاني عليه وذلك اشارة الى الفضل والرحمة بتاويل ما ذكر
وتقريره للتاكيد والبيان بعد الابهام هو ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون
ما عداهما من فوائد الدنيا وكذا تكرير الفاء للتاكيد وهو جواب شرط مقدر تقديره
ان كانوا يفرحون بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يكون
الفاء للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين الصفات موجب
للفرح ويجوز ان يتعلق بفضل الله وبرحمته بقوله قد جاءتكم موعظة بفضل الله و
برحمته وذلك اشارة الى مصدر جاءتكم فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء على
الاصل المرفوض وهو القياس وروي عن رسول الله عم مرفوعا وانما آثره عليه السلام
لانه ادل على الامر بالفرح واشد تأثيرا هو راجع الى ذلك خير مما يجمعون من حطام
الدنيا السريع الزوال وقرئ تجمعون بالتاء على الخطاب ومن لم يتوقف على هذا
الاستيناف في مقام التعليل ولم يدر انه اقوى الوصلين قال على معنى فبذلك فليفرح
المؤمنون وهو خير مما تجمعونه يعني واوهم ان حق المقام الوصل بالفاء التعليلية ولا
يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا
لانه مقدر في السماء ميسر باسباب منها من المطر والشمس والقمر في الانبات والانتاج
والتلوين وما في محل النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد
بالرزق ما حل ولذلك وبخهم على التبعيض بقوله فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي وما جعلوا لله من الحرث والانعام وانما قدم حراما لانه مصب الانكار
وفي اسناد التحريم والتحليل اليهم اشارة الى انهم هم المبغضون توبيخا وتهديدا الانبات
الشيء الثاني من المنفصلة في قوله قل الله اذن لكم ام على الله تفترون اي اخبروني الله
اذن لكم في التحريم والتحليل فتفعلون باذنه ام تكذبون على الله تعالى في نسبته اليه على
ان ام منفصلة وتكرير قل بين ارايتم وما يتعلق به للتاكيد والاستفهام للتبكيت والاشارة

فعدل
الى ان نسبة ذلك الى الله تعالى تقليد وقول بلا حجة فلزم الافتراء وكان الاصل الله اذن ام عليه
الى المنزل دلالة على ان الثابت هو الشق الثاني وهم نسبوه الى الله تعالى فهو مفترون عليه لا على غيره
وفيه زجر وتهديد عظيم وان جعلت ام منقطعة بمعنى بل والهمزة فالاستفهام للانكار
ومعنى بل اضراب عن ان يكون ذلك باذن الله تعالى ومعنى الهمزة تقرير الافتراء وتوبيخ
عليه وتقديم على الله تقبيح لتخصيصه تعالى بالافتراء عليه فانه نهاية في قبح الكذب وفي
العدول عن الضمير الى الاسم المظهر تقبيح زيادة اظهار لقبح الافتراء وما ظن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب في ابهام متعلق الظن بحذفه والسؤال عنه وعيد بليغ وتهديد عظيم اي اي
شيء ظنهم يوم القيمة وهو يوم الجزاء ايحسبون انهم لا يجازون على الافتراء وقرئ ظن
على لفظ الفعل على جعل المحقق الوقوع واقعا ونصبه على المصدر اي اي ظن ظنوا فيه
ان الله لذو فضل على الناس على كلهم بما انعم عليهم من العقل والحواس وساق
اليهم الرزق وهداهم الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من
غير سابقة صنع منهم يستوجبونه به ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم العظيمة لجهلهم مع انها
وما تكون في شان الشان الامر واصله القصد وعينه الهمزة من شانت شانه اذا قصدت
قصده والضمير في قوله وما تتلوا منه راجع الى الشان لان تلاوة القرآن شان معظم
من شئون النبي صلى الله عليه وسلم او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل من لتاكيد النفي اي اي عمل كان ولا
تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ومقدمهم حيث خص ذكرا فيه
فخامة وحيث عم ذكر ما فيه الحقير والخطير للمناسبة الا كنا عليكم شهودا رقباء
مطلعين عليه استثناء مفرغ من اعم الاحوال على تقدير قد كنا او اعم الاوقات
اي وقت كنا او تفيضون وقت اذ فاعلى فيه ظرف لشهودا او على الحال كونه بدلا من
الوقت المقدر ولا يعزب عن ربك قرئ يعزب بكسر الزاء وضمها والعزوب معناه
البعد والغيبة يقال عزب اذا بعد عن اهله من مثقال ذرة موازن نملة
صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء عبر بهما عن كله العالم المراد احاطة علمه بجميع ما في
الوجود فعبر عنه بما ذكر على معتقد العامة فان التنزيل وارد على لسانهم وهم ينكرون
وجود ممكن ليس بحيز وقدم الارض على السماء هنا بخلاف ما في سورة سبا لان الكلام
هنا في شئون اهل الارض وشانها دونه عليها رعاية للملابسة والا فالواو في الجمع بينهما

كالتثنية

وفي كتاب
كالتثنية ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه ولا لنفي الجنس واصغر مبني على الفتح اسمها
خبرها ولا اكبر عطف عليه بالنصب ولا مزيدة للتاكيد او منصوب مثله وقرئا مرفوعين على ان الاول
مبتدا خبره في كتاب والثاني عطف عليه ومن جعل رفعهما عطفا على محل من مثقال وفتحهما على
لفظ مثقال لكونهما غير منصرفين مفتوحين موضع الجر جعل الا في كتاب استثناء منقطعا بمعنى
لكن في كتاب مبين والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ فيصير مؤكدا لقوله لا يعزب عنه كانه
قيل كيف يعزب وهو في كتاب مبين على ان الاتصال له ايضا وجه لا سيما اذا فسر الكتاب المبين
بعلم الله تعالى كما مر في سورة الانعام ويكون المعنى لا يغيب عنه الا في علمه ومعلوم ان غيب الشيء في العلم
عين كشفه فهو من باب الا ما قد سلف وان فسر باللوح فلا باس ايضا لانه محل صور معلوماته
تعالى وكان مقتضى البلاغة بحسب جليل النظر تقديم الاكبر على الاصغر لتكون الكلام على طريقة
الترقي وانما عكس الترتيب سوقا له على مقتضاها بحسب دقيق النظر لتكون في كل واحد من جزئي
الكلام نوع من الاهتمام وذلك انه لتكون في الجزء الاول منه اهتمام التقديم وفي الثاني اهتمام النص
بعد العلم بالالتزام الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف
عليهم في الحال من لحوق محذور ولا هم يحزنون من وقوع مكروه من فوات نافع وحصول ضار
الذين آمنوا وكانوا يتقون نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء فيكون بيانا لتوليهم
ربهم او رفع على الابتداء او الخبر لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة بيان لتوليه تعالى اياهم
والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام
وما يريهم في الرؤيا الصادقة وما يسنح لهم بالمكاشفة وبشرى الملائكة عند النزع واما البشرى
في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة لا تبديل لكلمات الله
لا تغيير لاقواله واحكامه ولا اخلاف لمواعيده وذلك اشارة الى تخصيص البشارة بهم في
الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل جميع ما يرجى والامن من كل ما يخشى وهذه الجملة والتي قبلها
اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شانه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله
فلا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وقرئ لا يحزن
من احزنه ان العزة لله جميعا استيناف كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة
والقدرة كلها لله تعالى لا يملك احد غيره شيئا منها فهو يغلبهم وينصرك عليهم وقرئ
ان العزة بالفتح اي لان العزة تصريحا بالتعليل وفيه اخبار عن اهل العزة تسلية
لاهل العزة هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في
السموات ومن في الارض تمهيد لما بعده من امتناع ان يكون له انداد لانه تخصيص

فالعقلاء

للعقلاء بل لملكه بتقديم لله وايراد من دون ما مع التأكيد بتقصير الجملة لمزيد التنبيه والتحقيق من الملائكة والثقلين اذا كانوا تحت يده عبيداً مملوكين مع كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح كونهم شركاء فكيف يصح ان يكون الجماد له نداً فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء حقيقة ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقيناً وانما يتبعون ظنهم انها شركاء وان سموها شركاء فحذف احدهما لدلالة الباقي عليه وان جعلت ما استفهامية فهي مفعول يتبع وشركاء مفعول يدعون وان جعلت موصولة فمنصوبة المحل عطفا على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاماً بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم **وان هم الا يخرصون** اي يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديراً باطلاً **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً** تنبيه على انه تعالى هو المتفرد بكمال القدرة وعظيم نعمته التي لا يمكنهم ان يعيشوا دونها ليدل على انه المتوحد باستحقاق العبادة فيخصصوه بها وجعل متعد الى مفعول واحد بمعنى خلق ومبصراً حال ويجوز ان يكون متعدياً الى مفعولين والثاني لكم او لتسكنوا الذي جعله محلاً لسكونكم وقيل مظلماً والنهار مبصراً عطفا على المفعولين ذكر علة خلق الليل وهي لتسكنوا فيه وتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش وما يلحقونه في النهار وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوفين دل عليه المذكور في مقابله والتقدير جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه في مكاسبكم وتبتغوا الى مآربكم واسناد الابصار الى النهار مجازي على طريقة ليل قائم ونهاره صائم وانما عدل عن قوله لتبصروا فيه مناسباً لتسكنوا فيه للدلالة على انه مع كونه ظرفاً للابصار سبب له بخلاف سائر الظروف **ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون** سماع اعتبار وادكار **قالوا اتخذ الله ولداً** اي تبناه **سبحانه** تنزيه له عن التبني وتعجب من التبني وكلمة للحمقاء **هو الغني** علة لتنزهه عنه فان التبني عن الحاجة **له ما في السموات وما في الارض** تقرير لغناه **ان عندكم من سلطان بهذا** نفي لمعارض البرهان الذي اقامه تحقيقاً لبطلان قولهم ومبالغة

في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة بهذا القول مع ان الحجة دالة على خلافه **اتقولون على الله ما لا تعلمون** والباء في بهذا متعلق بسلطان او بقول ان عندكم بمعنى الظرفية اي ما عندكم وهذا القول حجة كقولك ما عندكم بارضكم موز لما نفى البرهان عنهم جعلهم جاهلين وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقائد لا بد ان يكون برهانية لا تقليدية والهمزة للتوبيخ والتقريع لهم على اختلاقهم وجهلهم **قل ان الذين يفترون على الله الكذب** بنسبة الولد والشرك اليه تعالى **لا يفلحون** لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة **متاع** خبر مبتدأ محذوف والتنكير للتقليل تقديره افتراؤهم متاع قليل اي منفعة يسيرة **في الدنيا** اي يتمتعون في الدنيا بانهماكهم في الكفر او حبوبهم وتقلبهم فيها متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا **ثم الينا مرجعهم** بالبعث بعد الموت فيلقون الشقاء المؤبد **ثم نذيقهم العذاب الشديد** في جهنم **بما كانوا يكفرون** بسبب استمرارهم على الكفر **واتل عليهم نبأ نوح** خبره مع قومه **اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم** شق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين **مقامي** مكاني اي كوني ووجودي ومنه فعلت كذا لمكان فلان او اقامتي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي على الدعوة لا بمعنى التذكير لان قوله **وتذكيري** بمعنى والتأسيس خير من التأكيد **بآيات الله فعلى الله توكلت** اي خصصت الله تعالى بالتوكل عليه والوثوق به جواب الشرط اي فلا ابالي وقيل جواب الشرط **فاجمعوا امركم** وما تقدم اعتراض بين الشرط وجوابه كما تقول ان كنت انكرت علي شيئاً فان الله علي حسبي فاعمل ما تريد واجمعوا قرئ بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع وهو العزم في اسناد الجمع او الاجماع الى الشركاء تهكم به وبشركائهم كما في قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **وشركاءكم** معطوف على امركم على حذف مضاف تقديره وادعوا شهداءكم وقد قرئ به وقيل اجمعوا بمعنى اعدوا فيتنع على المعطوفين جميعاً وقال الزجاج هو مفعول معه والواو بمعنى مع اي مع شركائكم ولا يباعده قراءة الوصل لما قال الحريري في درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع فلان وانما قال اجتمع فلان وفلان وقرئ بالرفع عطفاً على الضمير المتصل وجاز بلا تأكيد للفصل **ثم لا يكن امركم** في قصدي **عليكم غمة** مستوراً عليكم ولكن مكشوفاً مجاهراً به من غمه اذا ستره او لا يكن امركم اي ما تكونون فيه من شدة الحال والكراهة وثقل مقامي فيكم وشق عليكم عما ذكر ما عليكم والغمة كالكرب والكربة بمعنى وصيغة اي لا تتوقفوا في اهلاكي وتدبيره لئلا يكون عيشكم بسبب مصاحبتي وما لكم من غصة عليكم **ثم اقضوا الي** اي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون لي بمعنى ادوا الي ما هو حق عليكم من

وجوب

الى القضاء

اهلاكي لما يقضي الرجل عزيمه ثم اقضوا بالقاء اليّ ثم انتهوا الي بركم وقيل يقال افضى الرجل اذا خرج
الى الفضاء اي اصحروا به اليّ وابرزوا به لي ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اي اعرضتم عن تذكيري فما
سألتكم من اجر يوجب اعراضكم عني لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله من طمع في اموالكم
ان اجري في نصيحتكم ووعظكم الا على الله هو الذي يثيبني عليه اي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا
لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامر الله تعالى وقضيته
الاسلام انه لا يطلب على تعليم شيء من الدنيا ولا يبتغي بالدعوة والموعظة الا وجه الله تعالى
رضي الله تعالى عنه اجيبه ما اعني النظر اذ لم يرد الاجارة في الاجارة على الطاعات والمراد الزام
الحجة لهم وتبرئته ساحته عما يوجب الاعراض فكذبوه فاصروا على تكذيبه تمردا وعنادا
بعد طول مدة الدعوة والزام الحجة فنجيناه يعني من الغرق دل عليه قوله ومن معه
في الفلك من الانسان والحيوان وانما قال ومن دون وما تغليبا للعقلاء على غيرهم للتنبيه
على ان نجاة غيرهم كان تبعا لهم وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان والحمل موخرا عن الاغراق وان قدم لفظا للاهتمام به فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين تعظيم لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية
له والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين الى المنذرين للتنبيه على ان التكذيب
انما يستوجب نزول العذاب اذا كان بعد الانذار فاعتبر هذا اللطف ودق لطف هذا الاعتبار
ثم بعثنا البعث اعم من الارسال فان كل شيء ارسلته فقد بعثته ومنه قوله تعالى من بعثنا من
مرقدنا والذي امر بتبليغ الرسالة الى قوم وهو منهم انما يناسبه عبارة البعث دون
الارسال من بعده من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتكثير الى قومهم الى اقوامهم كل رسول الى
قومه وانما لم يجمع لانه في الاصل مصدر فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا عبارة كان الدالة على الاستمرار مقدمة على اداة النفي في الاعتبار اي
لم يؤمنوا بهم واصروا على الانكار وفي زيادة لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على ان اباهم
في حيز الامتناع فما كذبوا به من قبل بعثة الرسل اي ما تفاوت حالهم قبل البعثة
وبعده لاعتيادهم بالعناد والانكار الحق كذلك مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين لانه
الاعتداء والافراط في التجافي عن الحق يوجب الخذلان حتى يصير دينا وطبعا فالكلام على
الحقيقة دون الكناية ثم بعثنا من بعدهم من بعد هولاء الرسل موسى وهارون الى فرعون
وملائه خص اشرافهم بالذكر اكتفاء بذكر الجل عن الكل باياتنا بالايات التسع اضافها
الى نفسه تنبيها على خروجها عن حيز استطاعة العبد وتعلق كسبه بها وكونها من خوارق

العادات

العادات فاستكبروا عن قبول الحق واتباع من ارسل اليهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق
واعظم الكبر استهانة العبد برسالة ربهم بعد تبينها بالبينات وكانوا قوما مجرمين معتادين
بالاثام العظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها فانما يوصف الاثام بالعظام فلان الجرم
يوذن عن ذنب له عظم ثم ان سبيل الكلام سبيل الاعتراض التذييلي ويدل على تمردهم واعتيادهم
لجمعه لذلك على ان الكافر اذا وصف بالجرم والفسوق دل على اشتد واما السببية فمن تنزيل الاعتراض
والحمل على العطف الساذج لا يلايم بلاغة القرآن فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا
انه الحق وانه من عند الله تعالى لا من قبل موسى وهارون عليهما السلام قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر
مبين ظاهر او فائق في فنه واضح من بين فنونه والدليل على العرفانين المذكورين من النظم
ايقاع الحق موقع ضمير الايات واسناد المجيء اليه وقولهم ان هذا لسحر مبين لما في صدد
التورية من دلالة على الاعتراف وتناهي العجز قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انعيبونه
وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف اعالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول
وقيل حذف مفعول القول لدلالة ما قبله عليه وهو انه لسحر والهمزة للتوبيخ والتقرير ولا يجوز ان
يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه الا ان يكون الاستفهام
فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم وهذا على الوجه الاول اشارة الى وضوح حقيقته ولونه مما
في الحس عن الباطل معلوم الحقيقة بحيث لا يشك فيه صار اليه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد
لكونه موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر اذ
كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم
اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون وباباه قوله
ائتوني بكل ساحر عليم لانه مظنة طلب الفوز بهم وصيغة الجمع للدلالة على ان اجتماعهم
لا يجدي نفعا في طلبهم للفوز قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها فان الملوك
يوصفون بالكبرياء ويجوز ان يقصد به ذمهما بانهما يريدان ان يتكبروا ويتجبروا في الارض مصر
باستتباع الكل عما وجدنا عليه اباءنا مصدقين باجتماعه وقال فرعون ائتوني
بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
تحقيرا لهم وتقليلا واعلاما للناس انه لا شيء يلتفت اليه فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
ما موصولة مبتدأ خبره السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي جئنا به من ايات الله وقرئ
آلسحر على الاستفهام اي على ان ما استفهامية مبتدأ تقديره اي شيء وجئتم به الخبر والسحر

وما نحن لكما بمؤمنين

ول من ما او خبر مبتدا، محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا، خبره محذوف تقديره السحر هو ويجوز
ان ينتصب بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شي، اتيتم السحر افساده وغوبه لاحقيقة له ويحق
الله الحق ويثبته بكلماته باوامره فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من
ذراري قومه اي اولاد بني اسرائيل دعا اباهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابته
طائفة من ابنائهم وبناتهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه
او من آل فرعون واسية امرأته وامراة الخازنة وماشطته ولا يناسبه قوله على خوف
من فرعون فان صوغ الكلام اظهار اسم فرعون ثم واضماره ههنا وملائهم الضمير يرجع الى
فرعون يعني آل فرعون كما يقال بصر فيعمه اولانه ذو اصحاب ياتمرون له فعلى هذا يكون
من باب قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ولا يجوز ان يكون جمعه على ما هو المعتاد
في ضمير العظماء لانه يكون عند قصد التعظيم ولا يساعده المقام او الى الذرية او قومه اي على
خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من
فرعون او على انفسهم بدليل قوله ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول
خوف وعلى الوجه الاول افراده بالضمير يحتاج الى التاويل بان يقال الخوف من الملأ كان
بسببه وانما قال على خوف للدلالة على شدة خوفهم ولا يصير مع ما افاده على لان
المصحوب ليس كالمركوب وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها استئناف لبيان السبب
في كون اولئك المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون المراد من الاسراف في قوله وانه
لمن المسرفين تجاوزه عن الحد المعتاد في التعذيب والقتل لمن يخالفه في امر من الامور
وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به تعالى وباياته وفي ايراد
ان ايماء الى ان حالهم ليست حال المصدق بالله تعالى الصادق في الايمان الواثق به تعالى فعليه
توكلوا فخصصوه بالتفويض اليه واثقوا به في العصمة من فرعون ثم شرط في حصول
التمكن وصحة الاسلام بقوله ان كنتم مسلمين كما شرط في وجوب الايمان لان من قضية
الايمان وجوب التوكل على الله تعالى ولا يصح التوكل الا مع تسليم نفوسهم له تعالى خالصة سالمة
ليس لغيره فيها حظ ولا تخليط فيه فهو كقولك ان اتاك زيد فاضربه ان قدرت فقالوا
على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين ولذلك قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من
كانوا يخافون عذابه وبلائه وجعلهم خلفاء في ارضه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع
فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا به او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا يقولون
لو كان هؤلاء على الحق اجيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين بجاهدة استعبادهم وشوم
مشاهدتهم

مشاهدتهم وانما قدموا التوكل على الدعاء لان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا ليجاب دعوته واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوآ ان اتخذا مباءة اي مرجعا يرجع اليه لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى واقيموا الصلوة قال ابن عباس
رض ان فرعون لما اتاه موسى عم بالرسالة امر بمساجد بني اسرائيل فكسرت كلها وكانت مساجدهم
ظاهرة فامرهما الله تعالى ان يجعلا لقومهما مساجد في جوف البيوت ولا يظهروها وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه
رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم
وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشرع وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة ما يتزين به من لباس وحلي وفرس وغير ذلك واموالا صنوفا من الاموال في
الحيوة الدنيا عن ابن عباس كانت لهم من ارض فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن
ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بما هو فيه بلفظ الامر للابتلاء
عن قبولهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر كقولك لعن الله ابليس وقيل
ان اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر
استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها لله
للضلال فيكون ربنا تكريرا للاول وتاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض اضلالهم و
كفرانهم مقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحو واشدد على قلوبهم القسوة
على القلب الاستيثاق منها وقبضها حتى لا يدخلها الايمان اي واطبع عليها حتى لا ينشرح
لقبول الحق فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقيل ان جعلت
اللام في ليضلوا للعاقبة او التعليل فهو عطف عليه وقوله ربنا اطمس واشدد دعاء معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون اصح موقع
ولهذا عيب على النابغة في قوله لعل زيادا لا اباك غافل حتى يروا العذاب الاليم اي
ليروا ذلك ويحتمل الغاية اي الى ان يروا العذاب الاليم وكان ذلك فانهم لم يؤمنوا الا
الغرق قال ابن عباس رض ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير
قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما
عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته روي انه مكث بعد الدعاء
اربعين سنة ولا تتبعان سبيل المفسدين الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال
فان الامور مقدرة متعلقة باوقات او عدم الوثوق بوعد الله تعالى قال الزجاج قوله ولا تتبعان

موضع جزم والنفذير ولا تتبعان الا ان النون المشددة دخلت على النهي مؤكدة وكسرت لسكونها
وسكون النون التي قبلها فاختير لها الكسر لانها بعد الالف تشبه نون التثنية واستضعفه
ابن الحاجب وحمل على انه نفي بمعنى النهي لجواز العطف او الواو للحال وفعل المضارع المنفي لا يمنع
من دخول الواو عليه اي استقيما غير متبعين وهذا اشد ملائمة وقرئ ولا تتبعان بتخفيف
النون ولا تتبعان من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا
وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا لحاقهم
فتبعوا منهم واما الادراك فلم يحصل بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه
الغرق الغرق بالفتح القرب من الهلاك بسبب الماء والغرق بسكونها الهلاك فيها قال آمنت انه
قرئ بالفتح على حذف الباء التي من صلة الايمان وبالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت
وتفسير له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين على الاول تكرير للمعنى
الواحد بعبارات مختلفتين وعلى الثاني بثلث عبارات سعيا على القبول لكن لما لم يبق
وقت التكليف لم يقبل ولو بقي لكفت مرة واحدة وكان مؤمنا ضرورة حصول التصديق القلبي
ولم يكن مسلما لان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فاذا امر في وقت خرجت نفسه
من بدنه لم يصر مسلما نفسه الى الله تعالى اذ ليس نفسه في بدنه حتى يسلمها ولذلك وبخ بالعصيان
المقابل للاذعان دون الكفر المقابل للتصديق حيث قال الآن اي اتؤمن الآن وقد
ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين
الضالين المضلين عن الايمان روي الزهري عن ابن عباس رض ان النبي عم قال لما اغرق
الله تع فرعون قال آمنت الى قوله بنو اسرائيل قال جبرئيل فلو رايتني يا محمد وانا
آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة في الدنيا كما لو ادركه قوم يونس عم
فنجوا من العذاب فليس فيه ما يدل على كراهة ايمان الكافر والرضى بكفره فان الرضا
بالشيء لا يستلزم الرضا بسببه الا يرى ان المريض يشرب الدواء البشع كارها اياه
راضيا لما يترتب عليه من منفعة الشفاء فمن وهم ان في قوله مخافة ان تدركه الرحمة
جهالتان احدهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى
ان كره ايمان الكافر واجب بقاؤه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر وزعم
بناء على ذلك انه من زيادات الباهتين لله تع وملائكته فقد وهم ثم انه على تقدير
زيادة لا بهت فيه لله تع فاليوم ننجيك ببدنك بما وقع فيه قومك من قعر البحر طافيا
او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل ببدنك في موضع الحال اي بدرعك

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي بدروعك كانه كان مظاهرا منها وخروجه
من الماء او ظهوره على وجهه مع ما عليه من جسم ثقيل انه اخرى او قيل اي ببدنك عاريا
عن الروح وكاملا سويا او عريانا من غير لباس يا باه الباء لانها تقتضي وجود شيء آخر غير
البدن ولم يجئ غير صريح على انه فرق بين البدن والجسد فان الطراف خارج عن الاول
داخل في الثاني فحق المقام ان يذكر الجسد بدل البدن لتكون لمن خلفك لمن بقي بعدك من
السبطي والقبطي علامة اذ كان في نفوسهم من عظمه ما اخيل اليهم انه لا يموت حتى روي
ان بني اسرائيل لم يصدقوا موسى عم من اخباره بغرقه حتى عاينوه مطروحا على ممر من
الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا من شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان
او حجة تدلهم عن ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك والسلطان
مملوك ومقهور بعيد ومقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ ننحيك من التنحي وقرئ
ننحيك بالحاء من التنحية وهي التبعيد ببدنك على انه تهكم لمن خلفك بالقاف اي
يبعدك عن الرحمة بما كسبت يداك من الخطوة لتكون لمن خالفك آية للخلقة فان افراده
اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد لكشف تزويرك واماطة الشبهة عن امرك
دال على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه محتمل على المشهورة ايضا ومن قال في
تنحيك على القراءة الاخيرة اي نلقيك بناحية الساحل فقد غفل عن ان قراءة بالحاء
قرا ببدنك بالباء فوقع فيما وقع وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر
والشام ورزقناهم من الطيبات من اسباب المعيشة المستطابة فما اختلفوا اي كانوا
على ملة واحدة وطريقة مع موسى عم في اول حاله حتى جاءهم العلم بنزول التورية
فاختلفوا وهذا ذم لهم من جهة ان العلم سبب الاتفاق فصار عندهم سبب حتى
تشعبوا شعبا بعدما قرؤوا التورية وفي ترتيب ذلك الاختلاف لا يخلو عن نوع
كفران على انعامه تع عليهم المنازل البهية والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام تأكيد للذم
لتنزيلهم الكفران منزلة الشكر والمراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد عليه السلام
من بعدما علموا صدقه بنبوته وظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز
المحق من المبطل ويجري كلا منهم على استحقاقه وينزل منزلة استحقاقه على حكمه ووعده
ووعيده فان كنت في شك مما انزلنا اليك كلام مبني على الفرض والتقدير مؤكدا ما هو وارد على
سبيل التهييج وزيادة التثبت فلا يستلزم وجود الريب والاهتراء والتكذيب

ولا امكانها اذ كل ذلك من باب فرض المحال وبناء الكلام عليه اي من الشاك مقتضاه واشرفهم رتبة
واعرفهم بالله في شكك لو كان موصوفا بهذه الصفات الجبلية التي وضعوا بها الوقوع في الخسران
المطلق وكما دل على زيادة التثبت والعصمة له دل على سوء حال الشاكين فيه من بني اسرائيل
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من بني اسرائيل الذين آتيناهم الكتاب من قبلك فانه محقق
عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما انزلنا اليك والمراد اثبات نبوته ع م بشهادة الاحبار
وذلك انه لما ذكر بني اسرائيل ووصفهم بالعلم اراد ان يقرر عليهم صحة نبوته ع م وما انزل
الله تعالى اليه لا لاثبات الشك لرسول الله ع م ولذلك قال ع م لا اشك ولا اسأل بل
اشهد انه الحق وبهذا التقرير يتبين وجه تصدير الكلام باداة الترتيب على ما قبله وقيل
الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت في شك ايها السامع مما انزلنا على لسان نبينا اليك
وفيه تنبيه على ان كل من خالطه شبهة في الدين فعليه بمراجعة العلماء لقد جاءك الحق من ربك
اي ثبت عندك بالبراهين القاطعة والمعجزات الواضحة ان الذي جاءك هو الحق الذي
لا مدخل للشبهة فيه فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله فتكون من الخاسرين فاثبت على ما انت عليه من الجزم واليقين وانتفاء
المرية والتكذيب وقد مر انه من باب التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمت ربك حكمه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون
في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه لانتفاء تعلق ارادته
بايمانهم فانه لا حجر منه في وجود كل ممكن حتى يروا العذاب الاليم وح لا ينفعهم كما لا ينفعهم
لفرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب وضيق الخناق ولم يؤخره اليه كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله تعالى منها لو قوعه في وقت الاختيار ويكشف عنها العذاب
الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهلها وهو متصل والجملة في معنى
النفي لتضمن التحضيض معناه كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة فنفعها ايمانها
الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء والدليل عليه قراءته بالرفع على البدل او
منقطع اي لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما راوا امارات العذاب ولم يؤخروه الى
حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح
صاحبه ومتعناهم الى حين الى وقت انقضاء آجالهم ولو شاء ربك لآمن من
في الارض كلهم حتى لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دلالة

على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على من لم يشأ الله منهم حتى يكونوا
مؤمنين ترتيب الايمان على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام الانكاري للدلالة على خلاف
المشية مستحيل يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو انت وايلاء الاسم حرف
الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا الله
وحده لا يشاركه فيه احد لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان
وذلك غير مستطاع للبشر وبهذا المسلك من حمل المشية المذكورة الملجئة يعني اذا لم يشأ الله
تعالى ايمانهم لم يقدر عليه انت ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد الحث والتحريض روي
انه ع م كان شديد الحرص على ايمان قومه فنزل ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله اي بارادته وتوفيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله
ويجعل الرجس العذاب وقرئ الرجز بالزاء على الذين لا يعقلون لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الحجج والبينات فيه سؤال وهو ان في مقابلة الايمان عدم العقل جعل في مقابلة
الرجس لان الايمان انما يكون بصحة العقل والنظر في الدلائل العقلية والسمعية والاصرار
على الكفر المقابل للايمان مسبب عن عدمه كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون فاومي
الى ان العاقل هو المؤمن ومن لم يوفقه الله تعالى للايمان لعدم عقله لزم كفره الموجب
للعذاب فرتب لازم الكفر الذي هو الرجس على ملزومه الذي هو عدم العقل الجمع بين
التهديد والتوبيخ قل انظروا وتفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب الصنع الدالة على
توحيده وكمال قدرته وحكمته وماذا استفهام علق فعل النظر عن العمل وما تغني الآيات
با نافية والاستفهامية في محل النصب معنى والنذر عن قوم يؤمنون في علم الله وحكمه
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول باس الله
بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من
المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا
عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا والذين آمنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك مثل ذلك الانجاء حقا
علينا اعتراض اي حق ذلك حقا علينا ننج المؤمنين منكم ونهلك المشركين قل
يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا ديني اعتقادا وعملا
فاعرضوه على العقل الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهوان ما تعبد

ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم يتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد
وانه حقيق بان يخاف ويتقي فيعبد لا الجماد الذي لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان اجتمع فيه الوجهان والقياس وهو اي حذفه
مع ان وان مطرد في سائر الافعال والسماع وهو حذفه بعد فعل الامر وان اقم وجهك للدين
استقم عليه ولا تلتفت الى غيره عطف على ان اكون وجاز مع كون الفعل انشاء لان حق
ان هذه ان يكون مع الفعل في تأويل المصدر والامر والخبر في تضمن المصدر سواء حنيفا
حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك اي لا يقدر على نفع ولا ضر فان فعلت فان دعوت من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك فكني عنه بالفعل مجازا فانك اذا من الظالمين لان الشرك من اعظم
الظلم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله لما اشار الى علة النهي بايراده الى لغير العقلاء
وسلب النفع والضر عن اصنامهم واثبات الظلم لمن عبدها اتبعه بايراد العلة
الموجبة لتخصيص العبادة بالله تعالى وهي انه هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر
لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل قادر غيره فضلا عن الجماد الذي لا حيوة له و
ان ارادك بخير لا يرد احد ما اراده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان ليدل
على انه هو الحقيق بالعبادة دون ما عداه ورجح جانب الترغيب فيه على جانب
الترهيب لان المقصود الحث على اللجاء اليه تعالى وحده والاعتصام به ولا شك ان
داعي اللطف اشد والنفوس الكريمة اليه اميل فاوقع الاول المس الدال على ملاصقة
الظاهر دون ضرورة في عدم التصريح بالارادة زيادة لطف وكذلك في قوله ولا كاشف له
الا هو وما فيه من انه يكشف لا محالة ان لهذه وفي الثاني لفظ الارادة لحصول المخاطب مرادا
والخير تابعا له وفيه ابلغ اللطف ثم في اطلاق الارادة وما فيه من شمول الظاهر والباطن
زيادة تقوية له ثم انه طيب معه اولا بكونه خيرا مؤثرا وثانيا بكونه فضلا ولهذا لم يكرر
الرجاء بالتعقيب بالاستثناء وضعي مورده عن ثبوت الاضداد وفي ذكر المس مع
الضر والارادة مع الخير مع تلازمهما ايماء الى ان المراد بالذات هو الخير وهذا لا يخلو
احد منه وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول وفي وضع الفضل موضع الضمير دلالة
على انه من باب الامتنان والتفضل لا باستحقاق منا واستيجاب كالشكر واكد ذلك
بقوله يصيب به بالخير من يشاء من عباده وتقديم الضمير للتهديد والايماء الى ان عباده

الغير

الغير توجب المس بالضر وتعريض للعقاب لكونه ظلما وما قيل ولم يستقص بعض في الكلام لان
مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يصلح وجها لعدم الاستثناء فيه على طريقة مانع قرينة وطريقه
غير منحصر في ذلك الوجه ومن لم يتنبه لكون كل واحد من لفظي المس والارادة المتقابلين
من الاحتمال كأنه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر
والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مرسل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس
وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك ثم انه لم يصب في عدم الفرق
بين المس والاصابة وقد اوضحنا الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة وهو الغفور الرحيم
تحريض وبعث على التوبة من الشرك اي لا تيأسوا من غفرانه وتوبوا اليه من عصيانه
وتعرضوا الرحمة بتوحيده وتخصيصه بالعبادة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي
الرسول بالدين المبين والقرآن المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى واتباع الحق فما ينفع الا نفسه ومن ضل
فانما يضل عليها ومن آثر الضلال فما ذلك الا عليها وفيه حث على ايثار الهدى و
الاعراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير
نذير واتبع وثبت على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله
لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين
اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على
السرائر اطلاعه على
الظواهر والله تعالى
اعلم بالصواب

تم

سورة هود عليه السلام مائة واحدى وعشرون آية مكية والف وتسعمائة وخمسة عشر كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب خبر مبتدأ محذوف او خبر الر احكمت آياته صفة له اي احكمت من جهة
اللفظ والمعنى والنظم على نظم رصين محكم لا يقع فيه نقص ولا خلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت اي ميزت بعضها
عن بعض في النزول كيلا يختل امر الاستدلال على الاحكام فالتراخي على الحقيقة وقيل المراد
آيات السور ليس فيها منسوخ فهي احكامه منها من الفسخ او احكمت بالحجج والدلائل
او جعلت حكيمة منقولة من حكم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية
ومعنى فصلت انها فصلت بالفوائد كما تفصل القلائد بالفرائد من العقائد والاحكام
والمواعظ والاحكام او جعلت فصولا فصولا آية آية او فصل فيها ما يحتاج العباد اليه
بين ولخص فالتراخي رتبي وقرئ فصلت من الثلاثي المجرد اي فرقت بين الحق و
الباطل وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم من لدن حكيم خبير صفة
ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله مفعول
له اي لان لا تعبدوا او نهي وان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول او امر لان فيه
معنى الامر اي امركم ان لا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم بتقدير فالزموا منه على تخصيص الله تعالى بالعبادة او امرا به ويدل عليه
قوله انني لكم منه نذير وبشير اي من الله تعالى اي هلا تعبدوا الا الله تعالى او الزموا
ترك عبادة غير الله تعالى [illegible] ان مصدرية ولا نافية وانما قدم نذير على بشير لان الانذار
اهم وانم وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه اي استغفروا
من الكفر والمعصية ثم توبوا الى الله تعالى بالطاعة فالتراخي على الحقيقة ويجوز ان يراد
تراخي الرتبة لان التحلية افضل من التخلية والاستغفار ينتظم الندم على ما سلف و
اصلاح العمل في المستقبل حتى يكون راجعا بعمله الى ربه ولهذا قدم ذكر الاستغفار
على التوبة اي اطلبوا المغفرة من ربكم بالاسلام والاسلام على الثبات والدوام يمتعكم
متاعا حسنا في خفض عيش وسعة وامن ودعة الى اجل مسمى معين عند الله تعالى
فهو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في العمل
والطاعة فضله جزاء فضله في الآخرة او كل ذي فضل في الدين فضله في الثواب والدرجات

فان

٩

فان الدرجات متفاضلة في الجنة بحسب تفاضل الاعمال وان تولوا وان تتولوا وقرئ تولوا من ولي
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم
رجوعكم في ذلك اليوم جميعا وهو على كل شيء قدير بيان لوجه كبر ذلك اليوم بان مرجعهم الى من
هو قادر على كل شيء لا الى عبيده فهو قادر على اشد ما يريد من العذاب ولا يمكنهم التفصي منه الا انهم
يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه كما ان من توجه اليه استقبله بصدره او يعطفون صدورهم على الكفر
وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يضمرونهما وقرئ تثنوني صدورهم بالتاء والياء من اثنوني
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ ويثنون بالياء والتاء
واصله يثنونن يفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ اي تطاوع صدورهم
للثني كما ينثني الهش من النبات او تضعف قلوبهم وايمانهم وسبيعن من اثنان افعال
منه ثم حذف كما همزا بياضت في ابياض وثنوي بوزن ترعوي ليستخفوا منه اي يريدون
ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم لان في الصدور بعض الاعراض
اظهار للنفاق فلا يصح تعليله بالاستخفاء ونظم اضمار يريدون لقول المعنى الى اضماره والاضمار
في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى اي فضربوه فحيي كذلك يحيي الله
الموتى والمعنى يظهرون النفاق ويريدون مع ذلك ان يستخفوه هذا على الوجه الاول من
التفسير واما على الثاني فلا حاجة الى الاضمار الا حين يستغشون ثيابهم يغطونها يريدون
الاستخفاء ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في
آذانهم واستغشوا ثيابهم اي الا حين يريدون في اظهار نفاقهم ويفعلون ما هو
ادل على ثني الصدر قال ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في اخنس بن شريق وكان يظهر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث بحيث كان يعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين
جميعا وكون النفاق في المدينة عند مسلم بل ظهوره والانتقال الى ثلث كان فيها يعلم ما
يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم اراد التسوية بينهما [illegible] على اسلوب
التذييل الظاهر في خلافه اي يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف [illegible] ما يظهر و[illegible]
انه عليم بذات الصدور بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستئناف للتلويح المذكور
في قوله يعلم الى آخره والاول للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم في الاستغشاء وثني
الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اسباب معاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة

وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة
والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين
مثبت في اللوح المحفوظ بيانه وتقرير لكونه عالماً بجميع المعلومات والآية التي بعدها بيان
لكونه قادراً على كل شيء وتقرير لما سبق من التوحيد والوعد والوعيد وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام مر تفسيره في سورة الاعراف ووجه الجمع في الاولى
والافراد في الثانية مر في سورة الانعام وكان عرشه على الماء عرشه عبارة عن قوته
تعالى والماء اشارة الى صفة الحيوة اذ من الماء كل شيء حي وفي على بيان بناء الاولى
على الثانية اي وكان حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء ولا على ان الماء اول حادث
بعد العرش من اجرام هذا العالم وليت شعري من اين الدلالة على تأخر الماء من
خلق العرش ليبلوكم علة للخلق اي خلق ذلك ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف
تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم
ودلائل وامارات يستدلون بها ويستنبطون منها ولما كان الابتلاء اي الاختبار
اصطلاحاً في العلم واشبه بالعلم استعير للعلم لانه ملابس له كالنظر من قوله فناظرة بم
يرجعون وانما قال ايكم احسن عملاً وهم المتفوتون في المخاطبين من عمل قبيح والقبح
الامرين احدهما ان المقصود من الخلق بالقصد الاول وبالذات هو الايمان والعمل
الصالح وتطلع الى ما هو احسن من ذلك لا الى القبيح والاقبح وكان التحريض والحث
على حسن العمل والترغيب فيه وهو اعم من الاعمال البدنية كالطاعات والحسنات والعملية
كالاعتبارات والنيات فكانه قال ليظهر من هو اكمل علماً وعملاً ويتميز ممن هو على
خلافه ولهذا قال النبي عم ليبلوكم احسن عملاً واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله وفيه تعظيم للمحسنين المتقين وتشريف لهم واشارة الى انهم من الله
بمكان ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت للجزاء على ما انكشف منكم بالابتلاء ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القول بالبعث اي انه باطل كالسحر الظاهر البطلان
في الحديث او الى القرآن لانه ناطق بالبعث فاذا جعلوه ظاهر البطلان كالسحر لزم بطلان
ما فيه من البعث وغيره من الوعد والوعيد وقرئ الا ساحر اشارة الى الرسول عم
اي كاهن مبطل كالساحر وقرئ انكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى ذكرت
او على ان بمعنى لعل اي لئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا

بانكاره بعده من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره واللام في لئن موطئة للقسم في الآيات
الاربع والجواب لسادٌ مسد جواب الشرط ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود بالآية
الى امة معدودة الى الجملة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم
يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفاً عنهم ليس العذاب مدفوعاً عنهم ويوم منصوب بخبر
ليس مقدم عليه قيل هو دليل على جواز تقدم خبرها عليها اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع
العامل والمخالف يمنع دلالة جواز تقدم المعمول على جواز تقدم العامل وايضا الظرف
والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما ويغتفران حيث لا يقع العامل فيه وكان ما ذكر
استعجالاً منهم للتعذيب على وجه التكذيب والاستهزاء ولذلك قال وحاق بهم اي
احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن واضعاً يستهزؤن موضع يستعجلون لانه محض الاستهزاء
ولكون عذابهم محقق الوقوع عبر بالماضي قريب او ورد حاق موضع يحيق على عادة كلام الله في كأنه قد
وقع مبالغة في التهديد واذا اذقنا الانسان منا رحمة نعمة من صحة وامن وخصب ووجد
بحيث يجد لذتها ثم نزعناها سلبناها منه وفي عبارة النزع اشارة الى ان السلب
المذكور من شدة الالم انه ليؤس شديد اليأس من عود مثلها اليه قاطع رجاءه
من فضل الله تعالى وسعة رحمته غير صابر ولا مسترجع ولا مسلم لقضائه كفور عظيم
الكفران لما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد
عدم وفي ذكر الاذاقة مع النعماء والمس مع الضراء اشارة الى ان النعمة ادوم حتى يجد
الانسان ذوقها ويتلذذ بها بخلاف الضر فان المس مبدأ الوصول فيه دلالة على قلة
صبرهم كانهم بمجرد اثره جزعوا او كفروا النعمة الطويلة الزمان ليقولن ذهب السيئات
عني اي البليات التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله تعالى
من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا على الضراء الا الذين صبروا
شكراً للآلاء سابقها ولاحقها فان في قوله صبروا دلالة على هذا لان الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر اي المؤمنين الذين عادتهم الصبر عند زوال النعمة ووقوع الضراء والشكر
عند النعماء استثناء من الانسان واللام للاستغراق الجنس كما في قوله ان الانسان
لفي خسر ومن خص الانسان بالكافر لسوق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً اولئك
لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب عظيم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النهي
اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم
وهو كما يقول الرجل لآخر لعلك تريد ان تفعل كذا وهو ينهاه عنه ولما كانت مبنى هذا النهي على

وعملوا الصالحات

بان [illegible] النبي [illegible] [illegible]

الصبر على اذى المشركين واستهزائهم صح ترتيبه على كلام نفسي والتحريض على الصبر ومن وهم ان
لعل للتوقع فقد وهم وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك وانما
ضائق على ضيق لانه ابلغ وهو يناسب لفظ تارك ان يقولوا بان يقولوا وقيل
الضمير في به مبهم وان يقولوا يفسره صدرك بسبب قولهم هذا لولا انزل عليه كنز
ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه انما انت نذير ما عليك الا الانذار
وما عليك ان يقبلوه ولا يردوه فلا يضيق صدرك ردهم وتهاونهم به والله على كل
شيء وكيل فتكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون فيفعلون وفاعل بهم ما يجب
ان يفعل من جزائهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى قل فأتوا
بعشر سور مثله في البلاغة تنزل اولا قوله فليأتوا بحديث مثله وهو كل القرآن في
ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور فلما عجزوا عنه ايضا سهل عليهم
وتحداهم بسورة واحدة كما هو عادة المعارضين وتوحيد المثل لان المراد المماثلة
من جهة البلاغة ولا اختلاف بين السور فيها فما هو مثل لاحدها مثل لسائرها
ففيه تنبيه على ان المراد المماثلة في حسن البيان لا في بدائع المعاني مفتريات من باب
المساهلة وارخاء العنان لما قالوا افتراه من عنده امر بان يعاودهم على
دعويهم ويقول هبوا اني افتريته فأتوا انتم بكلام مثله في حسن النظم والبيان مفتريات
من عندكم فانتم فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة
والمعارضة ان كنتم صادقين في انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم اي لك وللمؤمنين باتيانه
مثله فانهم كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول ع متناولا لهم من حيث انه
يجب عليهم اتباعه في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه الامر الآتي ذكره
ويجوز ان يكون الجمع في الخطاب لتعظيم الرسول ع ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين
والضمير في لم يستجيبوا لمن في لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم من يدعونه
من دون الله الى المظاهرة في معارضته لعلمهم انهم عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل
ملتبسا بعلم الله اي بما لا يعلم الا الله من نظم معجز للخلق وان لا اله الا هو واعلموا
عند عجز الكل ان لا اله الا الله وحده القادر على ما لا يقدر عليه احد وان الشرك به
ظلم وان ما تعبدونه ليس من الالوهية في شيء فهل انتم مسلمون بعد هذه الحجة
القاطعة ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين ومعناه واثبتوا على العلم بالتوحيد وزيدوا

يقينا

والطمأنينة

يقينا فهل انتم داخلون في الاسلام مخلصون لله تعالى بازدياد اليقين وثبات القدم
وفي مثله مقتضى الاستفهام بهل والعدول عن الفعل الى الجملة وسبك المسلمين بمسلمون
ايذان بطلب دوام الاسلام وقوة الثبات في الدين وانهم مطالبون بذلك لزوال
العذر ووضوح الدليل وقوته وعلى خطاب المسلمين فاشارة الى قوة الصارف
عن الشرك وقيام موجب التوحيد يقتضي استحالة الشرك والمواظبة على الاسلام
فما ابعد حالكم عن ذلك وفيه تهديد بليغ واقناط من ان يجيرهم من بأس الله تعالى آلهتهم
لان دليل التوحيد دال على نفي القدرة والالوهية عن الغير ووجوب الاذعان له
من كان يريد الحيوة الدنيا باحسانه وبره وزيادة كان للدلالة على استمرار تلك الحال
ولا بد منه في ترتب ما يأتي ذكره وزينتها الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسه وحليته
وغير ذلك نوف وقرئ يوف بالياء اي يوف الله تعالى ويوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض اليهم اعمالهم جزاء اعمالهم من الصحة والامن و
سعة الرزق وكثرة الاولاد والرياسة والتوفية تأدية الحق على تمام فيها في الحيوة
الدنيا وهم فيها اي في حق الاعمال ويجوز عود الضمير الى الحيوة الدنيا فيه من الاعادة
بدون الفاء فاتحة لا يبخسون البخس نقصان الحق ظلما يعني لا ظلم في ايفاء جزاء
اعمالكم في هذه الدار دون ايفائه الى دار القرار فما ذكر تأسيس لا تأكيد والآية في
عامة الكفرة وبوجههم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة انه لوحظ في لهم بانه يقابل لعلهم يكون
الكلام على طريقة بشر قاتل الزبير بالنار الا النار وما فيها من انواع العذاب
والاقتصار على ذكر النار من قبيل الاكتفاء عن الشيء بذكر متبعه وذلك لانهم استوفوا
ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
في مصلحة الآخرة من وجوه البر بنوع من التكلف لانه خلاف مقتضى الطبع وهوى
النفس ولهذا عبر عنه بالصنع وانما قال فيه حبط لانه ليس احباطه لانه صدر نفسه كقوله الآتي
ذكره الا انه لا يجدي في الآخرة لانه لا يقارنه شرط القبول وهو الايمان وباطل في
نفسه ما كانوا يعملون ما اعتادوا عمله من مصالح الحيوة الدنيا واسباب زينتها
وللدلالة على الاستمرار التجددي جمع بين كانوا وصيغة المضارع كما في قوله ومن كان
يريد الحيوة الدنيا ومجموع الجملتين علة لما قبلهما وقرئ بطل على الفعل وباطلا على انه
مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام افمن كان
على بينة من ربه برهان من الله تعالى على ان دين الاسلام حق وهو القرآن من مبتدا خبره

محذوف تقديره افمن كان على بينة من ربه كمن كان يريد الحيوة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني انّ
بين هؤلاء الكاملين المحسنين وبين اولئك الناقصين المقصرين بونًا بعيدًا وتفاوتًا عظيمًا
فالهمزة لانكار المماثلة بينهما والفاء لتفريع هذا الانكار وترتيبه على ما تقدم من بيان
مساءة حال تلك الناقصين فهي متقدمة معنى وان اخرت عن الهمزة لفظًا لاقتضائها
الصدارة في الكلام ومنهم من ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب مستدعية بالعطف عليه
فالتقدير امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة من ربه والخبر محذوف لولا له
الفاء عليه اي يعقبونهم ويتوهم والاستفهام لانكار هذا التعقيب فقد تكلف
واما من اختار التقدير الاول وزعم ان الهمزة لانكار التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث
خلط بين الوجهين فخبط **ويتلوه** اي يتبع ذلك البرهان الذي يقتضي الدليل العقلي لكونه
معجزًا **شاهد** هو عيسى عم حيث بشر ببعثة نبينا عم وهذه البشارة منه شهادة
بحقية دين الاسلام والتنكير للتعظيم وكذا قوله منه اي من الله تعالى **ومن قبله** اي من
قبل ذلك الشاهد **كتاب موسى** يعني التورية فانه ايضًا يتلوه في التصديق وقرئ
كتاب بالنصب على الضمير في يتلوه والضمير في قبله للقرآن الذي عبّر عنه بالبينة فالمعنى
ان الشاهد المذكور يتبع الكتابين القرآن والتورية **اماما** كتابا يؤتم به في الدين
تذفوند **ورحمة** نعمة عظيمة في المنزل اليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين **اولئك**
اشارة الى من كان على بينة **يؤمنون به** بالقرآن **ومن يكفر به من الاحزاب** من اصناف
الكفار مشركا كان او كتابيا **فالنار موعده** يردها لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد **فلا تك**
في مرية منه من القرآن وقيل من الوعد وقوله **انه الحق من ربك** ظاهر في الاول وقرئ مرية
بالضم وهما لغتان وقد مرّ في اول سورة البقرة الفرق بينها وبين الريب والشك **ولكن**
اكثر الناس لا يؤمنون بكونه من عند الله تعالى لقلة نظرهم وقصور تدبيرهم **ومن اظلم**
ممن افترى على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله وقد مرّ ما يتعلق به
في تفسير سورة الانعام **اولئك يعرضون على ربهم** يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم
ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف
وما وصفهم بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال
تعالى وعرضوا على ربك صفا ارادوا انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد عند
عرضهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بنسبة الولد والشريك اليه ونفي ما انزله
الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد او قول الله تعالى اي طردوا ولعنوا بسبب ظلمهم

بالكذب

بالكذب على الله تعالى وفيه تهويل مما يحيق بهم ح **الذين يصدون عن سبيل الله**
عن دينه **ويبغونها عوجا** يصفونها بالاعوجاج او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد والعوج
الانحراف والميل المؤدي الى الفساد وتقول بغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك **وهم بالاخرة هم**
كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به **اولئك لم يكونوا**
معجزين اي ما كانوا معجزين الله تعالى في الدنيا ان يعاقبهم ومعنى معجزين معلتين لا يقدر عليهم
وانما قال في الارض لان تصرف ابن ادم وتمنعه انما هو فيها وهي قصاراه لا يستطيع التجاوز
منها **وما كان لهم من دون الله** اثبت ذكر الله هنا واسقط فيما سبق وكان مقتضى الظاهر
اثباته ثمه والاكتفاء بالضمير هنا وانما عدل الى ما وقع احترازا عن اضافة العجز اليه تعالى صريحا
من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخرهم الى هذا اليوم ليضاعف عذابهم فقوله **يضاعف**
لهم العذاب استيناف في مقام التدارك بالجواب للسؤال عن وجه تاخير العقاب والله اعلم
ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم كراهة استماع الحق كانهم لا يقدرون على
استماعه وما كانوا يبصرون لفرط تعاميهم كراهة ابصارهم فكانه العلة المضاعفة العذاب
اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الاوثان بعبادة الله تعالى **وضل عنهم ما كانوا**
يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم
سوى الحسرة والندامة **لا جرم** مذهب الخليل وسيبويه انه ركب من لا وجرم وبني في المعنى
حق وما بعده رفع به على الفاعلية وقال الكسائي معناه لا صد ولا منع فيكون جرم اسم
لا وهو مبني على الفتح **انهم هم الاخسرون** لما كان خسران النفس اعظم الخسران حكم عليهم
بانهم الزايدون في الخسران على كل خاسر من سواهم **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات**
واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض المطمئنة **اولئك اصحاب**
الجنة هم فيها خالدون دائمون **مثل الفريقين** الكافر والمؤمن وقدم الكافر اعتبار السباق
كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين في عدم انتفاعهم بالمشاعر
بالاعمى والاصم والبصير والسميع والتشبيه بحسب جليل من قبيل المفرق وبحسب دقيقه
من قبيل المركب لانه ابلغ وللتعبير بالمثل انسب وذلك ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع
بين العمى والصمم والجامع بين السمع والبصر على الواو في والاصم الجمع بين الصفتين
كما في قوله فالصالح فالغانم والايب وتشبيه احدهما بكل واحد من الاعمى والاصم

والآخر بكل واحد منهما تشبيهان كما في قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي وهو من باب اللف والطباق والوجه هو الأول لأن تقسيم
الكفار الى شبيه بالأول وشبيه بالثاني وكذلك المؤمنون غير مقصود في الآية بخلاف
البيت المذكور بل المراد تشبيه حال هؤلاء الكفرة الصادين الموصوفين بالتصام
عن آيات الله تعالى بحال من خلق أعمى أصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة وحال هؤلاء
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا باسماعهم وابصارهم اهتدوا الى الجنة
وانكفاء عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة بحال من هو بصير سميع
يستضيء بالانوار في الظلام ويستفيء مغانم الانوار والابشار فوزا بالمرام **هل**
يستويان اي الفريقان والاستفهام انكاري **مثلا** صفة او تشبيها **افلا تذكرون**
بالتأمل فيما ضربناه من المثل فالفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتأخرها
لفظا لرعاية ما للاستفهام من حق الصدارة في الكلام **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم**
نذير قرئ اني بالكسر على ارادة القول اي فقال او قال اني وبالفتح فتقديره بأني اي ارسلناه
ملتبسا بهذا الكلام فلما اتصل به الباء فتح والمعنى على الكسر كما فتح ان في قولك ان زيدا كالاسد
اذا اتصل به الكاف فقيل كأن زيدا الاسد والمعنى بحاله مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص عنه **ان لا تعبدوا الا الله** بدل من اني لكم على قراءة الفتح وعلى قراءة الكسر ان
مفسرة متعلقة بنذير او بارسلنا ويجوز ان يكون المعنى بان لا تعبدوا على ان الباء صلة
ارسلنا كأنه قيل ارسلناه بنهيهم عن الاشراك قائلا اني نذير **اني اخاف عليكم عذاب**
يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه كقولهم نهاره صائم **فقال**
الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفي رسالته بطريق البرهان
بناء على زعمهم ان الرسول يجب ان يكون ملكا فقوله مثلنا لتحقيق البشرية فقوله
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا استدلال بانهم ضعفاء العقول لا تمييز
لهم فجوزوا ان يكون الرسول بشرا والاراذل جمع الارذل بمعنى الاخس فانه بالغلبة
صار مثل الاسم كالاكبر والارذل جمع رذل **بادي الرأي** فقرئ بالهمزة من بدأ يبدأ
بدءا اذا ابتدأ اي اول الرأي وبغير الهمز من بدا يبدو بدوا اي ظاهر الرأي نصب
على الظرف والعامل اتبعك اي اتبعوك وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث

حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما استرذلوهم لذلك
او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم
والمحروم فيها ارذل **وما نرى لكم** اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين **علينا**
من فضل التنكير للتعليل فهذا القول منهم تسجيل بان دعوى النبوة باطلة لان حال
عم والاراذل في سلك على اسلوب يدل على انهم انقص البشر فضلا عن الارتقاء الى
درجة التفضل **بل نظنكم كاذبين** اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
وكأنهم اظهروا الاحتراز عن الجزاف والاقتصار على قدر الحاجة ولهذا عدلوا عن دعوى
اليقين الى دعوى الظن الكافي في ايجاب العامل على العاقل بموجبه **قال يا قوم ارأيتم**
اخبروني **ان كنت على بينة من ربي** اي حجة شاهدة بصحة دعوى **وآتاني رحمة**
من عنده هي النبوة **فعميت عليكم** فخفيت عليكم البينة لان خفاءها يوجب خفاء
النبوة او النبوة بعد ظهور البينة او كل واحدة منهما او قدر فعميت بعد البينة فحذف
للاقتصار والاكتفاء بذكره مرة كقوله بين ذراعي وجبهة الاسد ويجوز ان يراد
بالبينة والرحمة معا النبوة وقرئ فعميت بالتشديد اي اخفيت وقرئ فعماها على
ان الفعل لله تعالى **انلزمكموها** انكرهكم على الاهتداء بها جواب ارأيتم سادة مسد جواب
الشرط واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف جاز في الثاني الاتصال
كما وقع ههنا والانفصال كما لو قيل انلزمكموها اياها **وانتم لها كارهون** لا تختارونها
ولا تتأملون فيها **ويا قوم لا اسألكم عليه** راجع الى المدلول لان الاجر في مقابلة
الشغل فالقول المشتمل على الانذار هو المقابل بالاجر **مالا** جعلا حتى يتفاوت
الحال بسبب كون المستجيب فقيرا او غنيا ففيه الجواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا
الذين هم اراذلنا **ان اجري الا على الله** بالتزامه تفضيلا لا بالايجاب شرعا وعقلا
وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوه طردهم ليؤمنوا به انفة من ان
يكونوا معهم ولما نوح اليهم ما يشككهم في امرهم وترددوا في علته **انهم ملاقوا ربهم**
اي فائزون بلقاء ربهم وقوله فكيف اطردهم ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم بادي
الرأي اي فعلي العمل بظاهر ما ارى فاكتفي بظاهر ايمانهم واكل باطنهم الى الله تعالى فانهم
ملاقوه فيجازيهم على سرائرهم **ولكني اراكم قوما تجهلون** استدراك عما تقدم من

قولهم ما نريك وما نريك اعلا حقيقة لما رايتم فكانكم ما رايتم فيسا ولكني اريكم قوما تجهلون
مالا ينبغي ان يخفى على الرجال من ان الناس لا يتفاضلون بالاحسابات والانساب والاموال
بل باسباب الكمال من الاعمال والاحوال وبما قررناه تبين وجه ادراج قوله في الكلام
وادماج دقيقة انيقة في انشاء تقرير المرام ويا قوم تلطف نوح عم في ندائه اياهم بقوله يا قوم
يا قوم استدراجا لهم في قبول كلامه كما تلطف مؤمن آل فرعون بقوله يا قوم من ينصرني من الله
بدفع انتقامه مني ان طردتهم وهم بتلك المثابة من القرب والكرامة عند الله تعالى
افلا تذكرون لتعرفوا ان توقيف الايمان على طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم
عندي خزائن الله خزائن رزقه ونعمائه كي اسالكم مالا فكذبتك لا ادعي اني
املك مالا ادفعه لاتباعي فلا غرض بي في المال لا اخذا ولا دفعا ولا اعلم الغيب حتى
اصل الى ما اريده لنفسي ولاتباعي عطف على لا اقول لا على عندي خزائن وانما
لم يأت فيه بنفي القول المفرق الدقيق بينه وبين ما اتى فيه بنفيه وقد مر بيانه في
تفسير سورة الانعام واما فائدة تكرار لا فانك اذا اكدت به لا زال الاحتمال المعين في
النفي فقد آذنت انك في الكلام محقق بان على اليقين بعيد عن السهو والتجوز
ولا اقول اني ملك بعبارته جواب عن قولهم ما انت الا بشر مثلنا وباشارته
جواب عن طعنهم فيه عم بمخالطته للفقراء اي لا اتعظم بذلك عليكم بل طريقي
الخضوع والتواضع ومن كان شانه وطريقه كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة
الفقراء فكيف جعلتم والمساكين ولا يطلب مجالسة الاغنياء والسلاطين فلما كانت
طريقتي توجب مخالطة الفقراء فكيف جعلتم ذلك عيبا علي ثم اكد هذا بقوله
ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي في شان من استرذلتموه لفقرهم الازدراء
افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به وازدرى به اي احتقره واسناد
الازدراء الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه على انهم استحسنوهم بادي الراي وبه
من غير روية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم غير تامل في معتقداتهم
وكمالاتهم لن يؤتيهم الله خيرا على ان يكون ما اعد الله تعالى لهم في الاخرة او في
الدنيا والاخرة خيرا مما اتيكم من الغنى الله اعلم بما في انفسهم من الايقان وعدمه
اني اذا ان فعلت او قلت شيئا من ذلك لمن الظالمين انفسهم بطردهم

من امرت بقبوله قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا يقال جادله اذا خاصمه
ليرجعه عما عليه واصل الجدل وهو الفتل فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيته بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين في الوعيد فان منا
ظرتك لا تؤثر فينا ولا تفيد قال انما يأتيكم به الله ان شاء ليس الاتيان به الي
انما هو الى الذي عصيتموه وكفرتم به فيفعله ان شاء كيف شاء عاجلا او آجلا وما انتم
بمعجزين بدفع العذاب او الهرب عنه ولا ينفعكم نصحي النصح المحاض ارادة الخير
والدلالة ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى
ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان
الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح
لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وانما
قال ان اردت ان انصح مع وقوع النصح استظهارا في الحجة لانهم ذهبوا الى انه
ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله وفيه دلالة على ارادة الله
تعالى يتضح تعلقها بالاغواء ان خلاف مراده تعالى غير واقع هو ربكم خالقكم ومتعهدكم
في الدنيا الى وقت اهلاككم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه
قال مقاتل هذا كلام في شان محمد عم اعترض في قصة نوح عم وهذا اظهر وانسب
بالسباق لانه كان كالتكرير لقوله ام يقولون افتراه دلالة على كمال العناد وان
مثله بعد الاتيان بالقصة على هذا الاسلوب المعجز لا ينبغي ان ينسب الى
افتراء فجاء زيادة الانكار كانه قيل بل امع هذا البيان ايضا يقولون افتراه وهو نظير
اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلك بين قصة ابراهيم عم على احد
الوجهين قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان ثبت افترائي فعلي عقوبة اجرامي
وكان حق حي ان تعرضوا عني وتعادون وانا بريء مما تجرمون اي ولم يثبت ذلك
بل هو فرض محال وانا بريء من اجرامكم اي نسبتكم اياي على الافتراء وانما عدل
الى المنزل على طريقة المشاكلة ادماجا لكونهم مجرمين وان المسئلة معكوسة
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن هذا الاستثناء على طريقة
الا ما قد سلف على ما قيل انه استثناء في اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس

بما كانوا يفعلون اقنطه الله تعالى من ايمانهم على وجه ابلغ ثم نهاهم ان يغتم بما استمروا عليه
من تجديد التكذيب والاستهزاء والابتياس حزن في استكانة **واصنع الفلك**
باعيننا ملتبسا باعيننا ولما كان العين هي الجارحة التي بها يحفظ الشيء عبر بكثرتها
عن المبالغة في الحفظ والرعاية عن الاختلال والزيغ في صنعته وعن مزاحمة
العدو له وكيده في المنع من عمله على طريق التمثيل **ووحينا** اليك كيف تصنعها
ولا تخاطبني في الذين ظلموا نهى عن التكلم فيهم مبالغة في النهي عن الدعاء في
استدفاع العذاب عنهم **انهم مغرقون** محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية **وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه**
من عمل السفينة وكان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزلته فكانوا يتضاحكون
منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا والسخر الاستجهال مع الاستهزاء
ومصدره سخري بضم السين والمصدر من السخرة سخري بكسرها **قال ان**
تسخروا منا فيه تنزيل المحقق منزلة المشكوك تمهيد لما قصدوه من تجهيلهم
فيما فعلوه **فانا نسخر منكم كما تسخرون** المراد من سخريته عليه السلام مجرد الاستجهال
واطلاق السخرية عليه بطريق المشاكلة اي انا نستجهلكم في استجهالكم ايانا
بناء على ظاهر الحال وجهلكم بحقيقة الامر كما هو عادة الجهال والسخرية بهذا المعنى
منه عليه السلام في الحال ومن قال اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة فقد حملها على
الحقيقة وكانه لم يدر ان الاستهزاء لا يناسبه عليه السلام **فسوف تعلمون** تهديد
بليغ **من يأتيه عذاب يخزيه** يعني بمن يأتيه اياهم وبعذاب يخزيه الغرق
في الدنيا **ويحل عليه** حلول الدين اللازم الذي لا انفكاك له عنه في الآخرة **عذاب**
مقيم دائم هو عذاب النار **حتى اذا جاء امرنا** غاية لقوله ويصنع الفلك
وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى التي يبتدأ بعدها الكلام **وفار التنور**
كما يفور القدر بالغليان اي نبع الماء وارتفع من الارض بشدة الاندفاع
والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة **قلنا احمل فيها** الضمير
للسفينة وكانت ذات بطون والمحمولون كان في بطونها على طبقات ولهذا
قال فيها دون عليها **من كل** من كل نوع لا بد منه **زوجين** الزوج واحد له

له شكل فالذكر زوج والانثى زوج وقد يطلق الزوج على مجموعهما ولدفع هذا
الاحتمال قال **اثنين** وانما لم يقل من كل نوع اثنين اخراجا للمثل النعل عن خير
الامر بالحمد لعدم الحاجة اليه وقرئ من كل زوجين بالاضافة على معنى احمل
اثنين من كل زوجين **واهلك** عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم **الا من سبق عليه القول** بانه من المغرقين ولما كان القول
السابق ضارا اليهم قال عليه دون فيه استثناء من معنى اللازم للامر وكانه
قيل انهم لا يغرقون الا من سبق عليه القول يعني ابنه كنعان وامرأته واعلة فانهما
كانا كافرين فاندفع السؤال بانه لا يخلو من ان يكون المستثنى معلوما لنوح عليه السلام
فلا وجه لقوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق اولا فيلزم استثناء
المجهول من الذين امر عليه السلام بحملهم على السفينة ولا وجه له **ومن آمن** اي
والذين آمنوا من غيرهم وافرادهم بالذكر مع انهم من الذين آمنوا المصلحة الاستثناء
المذكور المتضمن للاشارة الى ان الانتساب اليه عليه السلام لا يجدي نفعا في دفع العذاب
المذكور انما المنجي عنه هو الاتباع له عليه السلام **وما آمن معه الا قليل** اختلفوا في عدده
ولا فائدة في تعيينه وكلمة مع ههنا كالتي في قوله واسلمت مع سليمان **وقال**
اي قال نوح عليه السلام لمن آمن معه **اركبوا فيها** والركوب العلو على ظهر الشيء وهو يتعدى
بنفسه فيقال ركبنا السفينة وزيادة في لانه عليه السلام امرهم ان يكونوا في جوفها
لا على فوقها بسم الله متعلق باركبوا حال من ضمير الفاعل اي اركبوا مسمين الله
او قائلين **بسم الله مجريها ومرسيها** نصب على الظرف اي وقت اجرائها وارسائها
لانهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولهم خفوق
النجم ويجوز ان يكونا اسمي كان وانتصبا بما في اسم الله من معنى الفعل او ارادة
القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها جملة من مبتداء وخبر في موضع الحال
من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله
ادخلوها خالدين او جملة تقتضيه على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم
بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام يروى
انه اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست

ويجوز ان يكون الاسم متحماً بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله ان ربي
لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متعلق بمحذوف
دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى بهم والبنانى بهم كالتى فى قولك دخلت عليه
بثياب السفر واجرى ترسريع والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار تلك
الحالة العجيبة فى موج جمع موجة وهى قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير عند
اضطرابه كالجبال شبه كل موجة بجبك فى تراكمها وارتفاعها وفى قوله فى موج
رد لما قيل فى ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى
جوف لا مجال للموج والحمل على انه فى ابتداء الحال يأباه المقام المبالغة فى بيان
تلك الاهوال فلا وجه للاكتفاء بذكر اوايلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ
ابنها وابنه بفتح الهاء اكتفاء بالفتحة عن الالف والضمير لامرأته على انه كان ربيبه
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان فى معزل المعزل
موضع منقطع عن غيره وكان كنعان فى ناحية منفصلة عنه وضعه عليه السلام
يا بنى قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف
المبدلة من ياء الاضافة فى قولك يا بنيا وسقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة اركب اى اركب السفينة معنا فتنجو وقرئ بادغام
الباء فى الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فى تلك الحالة كانت ملتبسة عليه عم
لانه كان ينافقه ولهذا سعى فى خلاصه بعد العلم بانه من جملة المستثنى من اهله المأمور
بحملهم فقد من وجه اندفاعه قال ساوى الى جبل عظيم يعصمنى من الماء بارتفاعه
قال لا عاصم اليوم من امر الله انما قال اليوم لان فى ساير الايام يوجد عاصم من امر الله على
ما نطق به قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والمراد
من امر الله الآفات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم اى الا الله الذى قد رحمنا بما
امننا من الغرق وفى العدول من الضمير الى الموصول زيادة تفخيم وتحقيق لرحمته هو
المعتصم لا الجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ناعصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج
بين نوح عم وابنه لا بين ابنه والجبل لكان التفريع فى قوله فكان من المغرقين اذ لا
دخل للحيلولة بينه وبين الجبل فى صيرورته من المهلكين بالماء لما مر انه ليس بعاصم

بعاصم وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى البلع الازدراد والمراد به نشف
الماء على طريقة الاستعارة لاغور الماء فى الارض لان فعل الارض هو النشف
دون الغور فانه فعل الماء بطبعه والاقلاع اذهاب الشئ من اصله حتى لا يبقى
له اثر يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شئ منها شبهت السماء والارض
فى سرعة انقيادهما لامر ربهما وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يريد
منهما مع تعلق الارادة به من غير امتناع بالمأمور المطيع للآمر المطاع القادر على
ما يشاء اذا سارع الى الامتثال من غير ريث وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية
وهيبة من عظمته وجلاله فنوديتا بما نودى به العاقل المميز المطلوب اقباله
وامرتا بما امر يؤمر به المدرك المتفطن لما امر به تنبيها على كمال قدرته ونفاذ امره
ومشيته فى الكل وغيض الماء من غاض الماء اذا نقصه وقضى الامر وانجز ما وعد
من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على
الجودى جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا
اذا صار بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء و
وايراد الاخبار على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على عظمة الفاعل وجلالة قدره
وعلو شانه وانه لا يمكن ان يكون تلك الافعال والآثار الا لله الواحد القهار
القادر على ما يشاء ويختار وانه متعين عند العقل بدليل ابين من اللفظ اذ
يستحيل ان يشاركه فيها غيره ولا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض
ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر العظيم الهايل سواه ولا
ان يستقر السفينة بعد اضطرابها الا بامره وتقديره ولا ان يهلك الظلمة ذلك
الهلاك الفضيع الا بقهره وتدميره وقد جمعت الآية من فخامة المعنى وجزالة
اللفظ وحسن النظم ورصانة التركيب ووضوح الدلالة على كنه الحال
الحال مع الايجاز الخالى من الاخلال ما تاهت لاقهام فى مجاوريها واستقلت
الالباب من كثرة النكات ولطائف المعانى التى تحويه بديع الطباق
والجناس التى فيها لانها وان كانت تحمر ظاهر الكلام وتزين ديباجة
النظام لكنها بالنسبة الى اللطائف المعنوية كالقشر من اللباب وكالقردى

من صفو الشراب **ونادى نوح ربه** اريد النداء نفسه ولا دلالة فى عطف
قوله **فقال** على تقدير الارادة فانه من قبيل عطف المفصل على المجمل بل لا نقول لا وجه
لتقديرها لان الاخبار عنها خلو عن فائدة الحين ولازمها **رب ان ابنى من اهلى**
الذين وعدتنى انجاهم بالركوب فى السفينة فهذا الوعد غير مذكور فى القران
صريحا بل يفهم من الامر بحملهم فى السفينة **وان وعدك الحق** وان كل وعد تعده
لا يتطرق اليه الخلف **وانت احكم الحاكمين** لانك اعلمهم واعدلهم فلا يشوب
حكمك ذلك ولا خلف فتنجح وهذا ابنى قد فرقوا عن الركوب فى السفينة
فعرفنى السبب فيه حتى اكون على علم فيسكن قلبى وبنى هذا على زعمه ان ابنه
ليس بكافر لما انه كان ينافقه على ما تقدم بيانه وهذا النداء منه عليه السلام وان كان
بعد المكالمة مع ابنه لكن قوله ساوى الى جبل الخ لا يدل على كفره لجواز ان يكون
قد ظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجرى مجرى ركوب السفينة وانه
يصونه عن الغرق وبعد اخبار ابيه انه لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه
وبين ابيه فلم يبق له مجال الركوب وانما قلنا ان كان بعد المكالمة لانه لو كان
قبله لما ساغ له عم ان يقول يا بنى اركب معنا اذ يكون معلوما له عم انه من الذين
نهى عن حملهم فى السفينة **قال يا نوح انه ليس من اهلك** لانقطاع الولاية بين المؤمنين
والكافرين واشار اليه بقوله **انه عمل غير صالح** فانه تعليل لنفى كونه من اهله
وابدله فاسد بغير صالح تصريحا بالمنافات بين وصفيهما الموجبة لانتفاء
القرابة بينهما ونفيا لما اوجب النجاة لمن نجا من اهله وايماء الى ان من نجا من اهله
انما نجا بالصلاح لا بالقرابة وقرئ انه عمل اى عمل عملا غير صالح وجعل ذاته
نفس العمل للمبالغة فى ذمه واصله ذو عمل فاسد فحذف ذو وقرئ اذ عملا اى
عمل عملا غير صالح **فلا تسئلن** قرئ بكسر النون من غير ياء وبالنون وبالنون
الثقيلة بياء وبغير ياء **ما ليس لك به علم** اى لا تطلب منى ما لا تعلم اصوابا هو ام
ليس بصواب حتى تبين لك وجه كونه صوابا وانما نهاه عن ذلك لتضمن كلامه
بتذكير الوعد بنجاة اهله استنجازه فى حق ولده وهذا لانه عم لم يكن عالما
بهلاك ابنه ولا دلالة على هلاكه فى حيلولة الموج بينهما واما ظاهر كلامه عم وهو

هو سؤال استفسار عن المانع لكونه محمولا فى السفينة مع كونه من اهله الذين وردت
فى حقهم بذلك فلا يناسب النهى عنه خصوصا مع التقييد بقوله ما ليس لك به علم فانه
باعث للاستفسار دون الانتهاء **انى اعظك** الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى
الجهد على وجه الترغيب والترهيب **ان تكون من الجاهلين** اى تستاد جهلا
وينهاه عنه لانه مما استثنى عند الموعد بقوله الا من سبق عليه القول فقد نبهه ان من
اهلك من يهلك فكان الواجب عليه ان يوطن نفسه على ان من اهله من يستوجب
العذاب وقد دل ظاهر حال ابنه منهم فلا رخصة فى حقه لسؤال الاستنجاز قبل ان
يتبين حاله فعوتب على ذلك واما سؤال الاستفسار وان كان ينتظمه ايضا هذا
القول لكن القيد المقدم ذكره لا يحمل على ما نبهت عليه انفا واما ما قيل ان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دله على الحال واستغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه
حتى اشتبه عليه الامر فبناه على ان يكون الاستثناء المذكور من لفظ اهله وقد عرفت
ما فيه من الاشكال فانه بعد علمه عم ان ابنه مستثنى من الذين امر بحملهم فى السفينة
تكون قوله يا بنى اركب معنا عصيانا والاعتذار بما ذكر لا يجدى نفعا قال رب
انى اعوذ بك العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر **ان اسئلك** ان اطلب منك
ما ليس لى به علم بحاله لاحتماله الخطا وهذا توبة منه عم عن ان يعود الى مثله فى المستقبل
تادبا بتاديب الله تعالى **والا تغفر لى** ما فرط منى **وترحمنى** بالتفضل على بقبول
توبتى **اكن من الخاسرين** اعمالا طلب المغفرة والرحمة بهذه الطريقة الكنائية ابلغ
واكد من قوله اللهم اغفر لى وارحمنى لما فيه من قطع الرجاء من غيره تعالى واخبار انه
لا يهلك احد ذلك غيره بخلاف ما صح فيه بالطلب فقيل **يا نوح اهبط** اى انزل
من الجبل الى قرار الارض فالهبوط نزول من اعلى مكان الى ما دونه **بسلام منا**
اى تحية كما قال سلام على نوح فى العالمين وقيل اى بسلامة من الافات **وبركات**
عليك جمع بركة وهو ثبوت الخير بنمائه وهى فى حقه عم بتكثير ذريته واتباعه
وسائر المنافع لما كان الطوفان عاما فعند ما خرج نوح عم من السفينة
علم انه ليس فى الارض ما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخائف
فانه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فازال

الله ذلك الخوف عنه بالبشارة بحصول السلامة عن الآفات وسعة الرزق والمهمات
وعلى امم ممن معك من لابتداء الغاية اى امم ناشية ممن معك فى السفينة الى آخر
الدهر ويجوز ان يكون للبيان ويراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة لانهم كانوا
جماعات اولات الامم يتشعب منهم وامم مبتداء سنمتعهم صفته والخبر
محذوف دل عليه ممن معك اى وممن معك امم سنمتعهم ولما خص امما ناشية
ممن معه بالسلام والبركات وهم المؤمنون اشار الى ان منهم ممتنعين فى الدنيا
معذبين فى الآخرة وهم الكافرون وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب
عليهم السلام والعذاب المذكور فى قوله ثم يمسهم منا عذاب اليم ما نزل بهم تلك
اشارة الى قصة نوح عم ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اى بعضها
نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى مواخاة اليك او حال من الانباء او هو
الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اى مجهولة
عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها
او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها والفائدة فى قوله ولا قومك ان
قومك مع كثرتهم ليسوا عن علم القصص والاخبار وانت احدهم فلم يمكن تعلمك منهم
ولم تخالط غيرهم فما علمت الا بالوحى فاصبر على اداء الرسالة واذى قومك
كما صبر نوح عم وتوقع فى العاقبة لك ولمن تبعك ما قيض له ولقومه ان العاقبة
بالظفر فى الدنيا والفوز فى الآخرة للمتقين عن الكفر والمعاصى والى عاد اخاهم
واحدا منهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
اى لا تعبدوا غيره دل عليه تعقيبه بقوله ما لكم من اله غيره وذلك يدل على ان
المقصود من هذا منعهم عن عبادة الاصنام وغيره صفة له فهى بالرفع حملا على
محله وبالجر على لفظه ان انتم الا مفترون على الله تعالى فى قولكم انه امرنا بعبادة الاصنام
واما ما قيل باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء فمبناه عدم الفرق بين الكذب
والافتراء ويا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى ما من رسول
الا خاطب قومه بهذا القول ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة
بالمطامع لا تنجع افلا تعقلون فتميزون بين الحق والباطل تعلمون ان من لا غرض

غرض له فى النصيحة لا يريد نصيحته ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه انما
قدم الاستغفار على التوبة لانه طلب المغفرة الذى هو الغرض ثم بين ما به يتوصل
اليها من التوبة فعبارة ثم ههنا كالتى فى قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة
ثم جعل منها زوجها يرسل السماء عليكم مدرارا المدرار كثير الدرور والمراد
من السماء المطر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبتهم بذلك لانهم
اصحاب زروع وعمارات قيل حبس عنهم القطر وعقمت نساؤهم ثلث سنين
فالمراد بالقوة كثرة الاولاد ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين
على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواكم قالوا ذلك عنادا
وجحودا مع كثرة معجزاته كقول قريش لرسول الله لولا انزل عليه اية من ربه مع قوت
اياته الحصر وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك حال من الضمير فى تاركى اى
صادرين عن قولك الجملة الاسمية وسبك اسم الفاعل من تترك وزيادة الباء
فى الخبر فى قولهم وما نحن بمؤمنين اى وما يصح من امثالنا مع وفور العقل و
والكياسة ان يصدقوا امثالك اقناطا له عم من الاجابة والتصديق على وجه المبالغة
والتاكيد ان نقول الا اعتراك اعتراك معمول القول والا لغو لان الاستثناء
مفرغ اى ما نقول الا قولنا اعتراك هو من اعتراه اى قصد عراه وهو الفناء و
الساحة والمراد الاصابة بطريق الكناية بعض آلهتنا بسوء بجنون بسبك اياها
وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والقوم كانوا جفاة بلهاء
قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون ما مصدرية او موصولة
واشهاده تعالى كلام جار على اصله جئ به ليؤكد به ما ذكره من البراءة عن
شركهم وشركائهم واما الشهادة اياهم على البراءة فلا اذ لا يقول احد لمن يعاديه
اشهدك انى برئ الا وهو يريد عدم المبالاة والاستهانة بعداوته واذا كان
كذلك لزم التخالف بين الصفتين خبرا ثابة ايانه وطلبا جازما استهانة
من دونه اى انتم تجعلونها شركاء ولم يجعلها هو شركائه ولم ينزل بذلك سلطانا
لما واجهوه بكلماتهم الحمقاء وبهتوه بتجهيل الالهة وسموا التوحيد الذى دعاهم
اليه والارشاد الذى نصحوهم به جنة وخبطا ولم يعتدوا ببيناته وخوفوه من

من آلهتهم وآيسوه من الايمان بما جاء به اجابهم بالبراءة عن آلهتهم وقابلهم بعدم المبالاة بهم
وبآلهتهم ثقة بالله والبراءة وثقها بشهادة الله وشهادة العباد على مجرى العادة
وبالغ فى ذلك ان قال انى اشهد الله وخالف بين اشهاد الله واشهادهم بان ثبت
فى الاول واكدا جنادة تثبيتا للتوحيد واحكاما لمعاقده وعدل عن الخبر الى الامر فى الثانى
قلة مبالاة بهم وبدينهم وآلهتهم واستهانة بما زعموا واعتقدوا ومن عقوبتهم ثقة
بالله وقوة اعتماد عليه وصحة توكل وزاد على ذلك اذ امرهم بالاجتماع على الكيد فى اهلاكه
والاحتشاد فيه وعدم الانظار والتوقف بقوله **فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون**
كقول نوح عم ثم اقضوا الىّ ولا تنظرون وذلك من اعظم المعجزات فاذ كان رجلا
واحدا بين الجم الغفير والعدد الدهم من الاقوياء الشداد وخاطبهم بما خاطب
وحقرهم وآلهتهم بما حقروا هيجهم على نفسه فلم تقدروا على اضراره ولم يجدوا على بطشه
وما ذلك الا بعصمة الله تعالى اياه وحسن كلاءته وكذ عقبه بقوله **انى توكلت
على الله ربى وربكم** تقريرا له اى انكم ان اجتمعتم وتعاذنتم انتم وآلهتكم على وبذلتم
وسعكم فى قصدى بالسوء لم تضرونى ولم تقدروا على اهلاكى فانى توكلت على الله
مالكى ومالككم لم يمكنكم اصابتى بما لم يرده بى ثم برهن على ذلك بقوله **ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها** اى الا هو مالكها ومصرفها على مقتضى مشيئته وهى فى قبضته وملكته و
وتحت قهره وسلطنته والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك حتى صار الاخذ بالناصية عرفا
فى القدرة على التصرف وكانت العرب ناصية الاسير الممنوع عليه علامة انه قد قدر
عليه وقبض على ناصيته **ان ربى على صراط مستقيم** على طريق الحق والعدل فى ربو
بيته لا يسلط على من كل عليه ظالما ولا يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احد احدا
الا باذنه وفى قوله ان ربى من غير اعادة وربكم كما فى الاول نكتة سرية بعد الاختصاص
المغنى عن الحقو فيه ما يدل على زيادة اختصاصه وانه رب الكل استحقاقا وربه دونهم
تشريفا وان فانا **فان تولوا** وجواب الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفاء وقد **فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم** اى فان تعرضوا لم اعاتب والحجة عليكم فانى ما فرطت
فى الابلاغ واداء ما ارسلت به اليكم وانتم ما بدتم الا تكذيب الرسالة ومكافاة
الرسول بالعداوة **ويستخلف ربى قوما غيركم** كلام مستانف بالوعيد لهم ويهلككم

ويات

ويات بقوم آخرين يخلفكم فى دياركم واموالكم **ولا تضرونه شيئا** من الضرر بتوليكم لاستحالة
ذلك عليه وقرئ ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه بحذف النون عطفا على محل فقد
ابلغتكم اى ان تتولوا يعذرنى ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم **ان ربى على كل
شىء حفيظ** رقيب مهيمن يحفظ اعمالكم ويواخذكم بها او حافظ على الاشياء كلها والكل
يحتاج الى حفظه من الضرر ومن كان كذلك لا يمكن ان يضره شىء ولما جاء امرنا فى التعبير
بمجئ الامر عن نزول عذاب الاستيصال على عاد وما لا يخفى من الدلالة على العصمة والجلال
فى جانب الامر وسرعة الامتثال فى جانب المامور **نجينا هودا والذين آمنوا معه** قيل كانوا
اربعة آلاف **برحمة منا** من سموم معهم العاصين فانه لو لم يدركه الرحمة من الله تعالى لما نجوا من
العذاب النازل عليهم كما دل عليه قوله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **ونجيناهم
من عذاب غليظ** الغلظة كناية عن الشدة والتنكير فى عذاب ورحمة للتعظيم اخبر اولا
بان الايمان الذى وفقوا له صار سبب انجائهم ثم اخبر بان ذلك الانجاء كان من عذاب
اى عذاب دلالة على كمال الامتنان وتحريضا على الايمان او هما متغايران فالاول انجاء الدنيا
والثانى انجاء الآخرة والاول اوفق لمقتضى المقام وعلى الوجه الاول ايضا لا تكرير ومن غفل عن
هذا قال تكرير لما نجاهم عنه **وتلك عاد** الاشارة الى مصارعهم وآثارهم حثا على الاعتبار بهم
واحضارا لهم كانهم مشاهدون ما يعاين من الآثار وفى الاتيان باسم الاشارة وبما يدل على
البعد تهويل وتفخيم لما نزل بهم لا تعظيم لشانهم او تحقير **جحدوا بآيات ربهم** استيناف
لبيان الوصف والذى استوجبوا به العذاب وانما قال **وعصوا رسله** ولم يرسل اليهم غير هود
لان الانبياء عم كلهم دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين وصدق بعضهم بعضا فاذا
عصوا واحدا منهم فقد عصوا كلهم **واتبعوا امر كل جبار عنيد** اى رؤسائهم وكبرائهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى واتباع امرهم طاعتهم اى عصوا
من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم **واتبعوا
فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة** لما اتبعوا الجبابرة الطغاة وجعلت اللعنة تابعة لهم
فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله **الا ان عادا كفروا ربهم** جحدوه وكفروا نعمه او كفروا به
وانما عدوا بالذات حملا له على نقيضه **الا بعدا لعاد** دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة
على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وتكرير حرف التنبيه مع اسمهم

في الموضعين وايراد حرف التحقيق مع ضمهم الموجب للهلاك والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم
وحث على الحذر من مثل حالهم والاعتبار بهم وايماء الى انهم في التعين والاستحقاق لما نزل بهم
بسبب كفرهم كالعلم حتى صاروا مثلا مشهورا قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته التمييز
بينهم وبين عاد الثانية والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بالهلاك بسبب ما جرى
بينهم وبين هود عم والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قدم تفسيره هو انشأكم من الارض اي لم ينشئكم منها الا هو وذلك انشاء بخلق ادم عم
او بخلق مواد النطف التي خلقوا منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من
العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها وورثها منكم بعد
انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا
اليه قد تقدم تفسيره والفاء فصيحة عاطفة على مقدر معناه وقابلتم الاحسان بالعصيان ان ربي
قريب اي داني الرحمة مجيب لداعيها استئناف للترغيب في الامتثال بما امر به قالوا يا صالح قد كنت
فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا اي كنا نشاهد منك مخايل الرشد وامارات الصلاح فنرجو
ان تكون لنا سيدا ومشارا ومسترشدا في التدابير وموافقا في ديننا فلما تكلمت بهذا القول
انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية واننا لفي
شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري من الاوثان مريب اسم فاعل متعد يقال رابه
اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من لازم يقال اراب الرجل اذا كان ذا ريبة
والاسناد الى الشك مجازي على كلا الوجهين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اتى بحرف الشك باعتبار
المخاطبين الجاحدين اي فقدروا اني على برهان من ربي واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله فمن يمنعني من عذاب الله والعدول عن الاسم الظاهر للتفخيم ان عصيته في تبليغ الرسالة
والمنع من الاشراك به على هذا التقدير فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان
تخسروني بابطال اعمالي والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان اخسركم وانسبكم
الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتعظيم لكم آية حال والعامل فيها ما في اسم الاشارة
من معنى الفعل ولكم حال منها لتقدمها عليها ولو تأخرت عنها كانت صفة لها فذروها تأكل في
ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها وانما اضافها الى الارض اظهارا لوجه التوزيع يعني ان الارض
ارض الله والناقة ناقته فذروها تأكل في ارض صاحبها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب

عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها العقر قطع العضو الذي له
تأثير في النفس فقال تمتعوا اي تلذذوا بما تريدون من اسباب العيش في داركم في بلدكم
يقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار اي من عرب البلد وقيل في دنياكم ثلاثة ايام
قيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع
في الظرف بحذف حرف الجر واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم مشهود او وعد غير كذب على ان
المكذوب كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ويجوز ان يكون من باب الاسناد
المجازي كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا قد مر تفسيره ومن خزي يومئذ من متعلق بمحذوف اي
ونجيناهم من خزي على نحو ما تقدم في قصة هود عم والمراد من الخزي هلاكهم بالذل والفضيحة
وقرئ ومن خزي وينصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين في اذ
تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر اي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم ان
ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها اي كانهم لم يوجدوا
والمغنى المقام الذي يقيم الحي به الا ان ثمود كفروا ربهم قرئ ثمود بفتح الدال غير منون وقرئ
بالتنوين ويخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت اللام
لتاكيد الخبر وقد للتوقع لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة رسلنا ابراهيم
اي الملائكة بالبشرى اي بالبشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ويأباه ما في الذاريات من قوله وبشروه
بغلام عليم ثم بعده فما خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما سلمنا عليكم سلاما ويجوز نصبه بما في قالوا
من معنى ذكروا قال سلام اي عليكم سلام او وسلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم والتنكير للدلالة
على التعظيم ابلغ منه التنوين وقرئ سلم بمعنى السلام كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث [illegible] كان عنده
طعام معد للاضياف في كل يوم والفاء للتفريع على ما ظهر من المسالمة انهم جاؤوا للبشرى دون النزاع ان جاء بعجل
اما في محل الجر على تقدير فما لبث في المجيء او ما تأخر عن المجيء به او النصب على حذف حرف الجر او الرفع على
الفاعلية اي فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة سمي به لتعجيل امره بقرب ميلاده ولا يخفى لطف موقعه بعد ما
فهم من قوله فما لبث من معنى العجلة حنيذ والحنيذ هو الذي يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه
الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه قوله في موضع آخر بعجل سمين وقيل المشوي بالرضف في اخدود

وفيه انّ اعتبار قيد لانهم لاظهاره في المقام مما يعدّ هجنة في الكلام فلما رأى ايديهم لا تصل اليه روى
انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا يصل ايديهم اليه وعلى هذا يظهر وجه الاتيان
بالفاء الفصيحة والعدول عن لا يمدون اليه ايديهم ومن وهم ان المذكور كناية عن المتروك فقد وهم نكرهم
هذا صحيح في انّ انكاره عليه السلام اياهم كان بعد ما رأى انهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام والظاهر من قوله في
سورة الحجر قال سلام عليكم قوم منكرون انه كان قبل ذلك والتوفيق انه عليه السلام انكرهم بعينه حين رآهم
ونكره بقلبه بعد ما رأى منهم امارة الخوف قال ابو العالية يقال نكره بقلبه وانكره بعينه فاوجس منهم
خيفة الايجاس الاحساس وذلك لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انهم
لم يجيئوا بخير قيل اوجس بمعنى اضمر ويرده قوله في سورة الحجر قال انا منكم وجلون وكذا يرده قيل وانما قالوا لا تخف
لانهم رأوا اثر الخوف في التغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا الان علما بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم
كانوا ينزلون الاعداء فان مبنى هذا ايضا الغفول عنه انه عليه السلام افصح عن خوفه باوضح عبارة قالوا لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط يعني بالعذاب على ما افصح عنه في موضع آخر بقوله لنرسل عليهم حجارة قيل وانما
يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا مبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع في سورة الحجر فان هذا
القول منهم بعد البشارة له عليه السلام بالغلام واستفساره بقوله فما خطبكم ايها المرسلون وكذا مبنى ما قيل
ههنا انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد الينا ايدينا لانا لا نأكل مبناه الغفول عما ذكر
وامرأته قائمة يعني في الخدمة وكانت بمسمع منهم لا على رؤسهم كما قيل لانه مردود بقوله في موضع
آخر فاقبلت امرأته في صرة فضحكت سرورا بالامن وبهلاك اهل الفساد وقيل باصابة رأيها فانها كانت
تقول لابراهيم عليه السلام اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم ويرد عليه انه
ح اي على تقدير ان يكون المعنى فضحكت من اصابة رأيها يخرج الكلام مخرج الالغاز واما
ما قيل ان ضحكت بمعنى حاضت ويرد بان التعجب بعده يبعده اذ لا تعجب من الولادة
في زمن الحيض وادخاله في سياق التعجب يأباه اللفظ والمعنى فبشرناها باسحاق هذا البشارة
ايضا على لسان الملائكة والفاء للتعقيب اي بشرناها بالولد ويولد الولد عقيب
ما اوجب سرورها والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية
ومن وراء اسحاق يعقوب رفع بالابتداء خبره الظرف اي ومن بعد اسحاق يعقوب
مولود وقرئ بالنصب بفعل دل عليه بشرناها اي ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا
يا عجبا واصله في الشر ثم اطلق في كل امر فظيع والالف فيها مبدلة من ياء الاضافة وقرئ

وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين سنة قيل كانت في تسعة وتسعين ولم يلحقها التاء
لانها وضعت للانثى خاصة وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا حال والعامل فيه معنى
الاشارة في هذا وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او خبر لهذا او بدل
بدل منه او خبر بعد خبر ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة
وانما انكرت الملائكة تعجبها بقولهم اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات والمعجزات
وخوارق العادات فكان حقها ان لا تستغرب بل تستعظم وتشكر نعمة الله تعالى وتحمده وتمجده ولا
تتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولقد قالت الملائكة رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت كلام
مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل ليس هذا بمكان التعجب فان الله تعالى خصكم من بين العالمين
بامثال هذه الكرامات واكرمكم بها اهل بيت النبوة ونصبه على المدح او النداء لقصد
التخصيص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
كانوا من اولادها انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد والثناء
بكثرة الاحسان والانعام على عباده فلما ذهب عن ابراهيم الروع الافزاع مما اوجس
من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لترتيب ما يتعلق بابراهيم
من الكلام على بعض وقد تخلل بينهما بامرأته ولا ايضا معطوف وتاب روعه وجاءته
البشرى بدل الروع يجادلنا رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وجواب
لما محذوف ويجادلنا كلام مستأنف دال عليه تقديره اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا
ونحو ذلك وقيل الجواب يجادلنا على حكاية الحال الماضية وقيل لا بد للمضارع جوابا لما
معنى الماضي كجارة لما الماضي الى المستقبل معنى وقيل اخذ يجادلنا او اقبل او ما في معناهما ان ابراهيم
لحليم متحمل جهل السفهاء غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب
والتأسف على الناس منيب رجاع الى الله تعالى بما يحب ويرضى والمقصود من ذلك الحامل
له على المجادلة وهو الرأفة والرحمة والرقة على ابناء الجنس يا ابراهيم على ارادة القول اي
قالت الملائكة له يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة دعتك اليه فربهم
اعلم بهم وبما يستوجبونه انه قد جاء امر ربك اي قضاؤه وحكمه وانهم آتيهم عذاب غير مردود
مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك لابرامه عند الله تعالى فلا جدال في رده ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم واغتم بمجيئهم لانهم جاؤا على صورة غلمان حسان فحسبهم اناسا فخاف عليهم
خبث قومه وعجزه عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن مدافعة
المكروه لانه ضاق بمكانهم صورة وقال هذا يوم عصيب شديد من قولك عصبه اذا شده

وجاءه قومه يهرعون يسرعون إليه كأنما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها ولم
يستحيوا منها فلذلك جاؤوا يهرعون إليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن
فدى بهن أضيافه كرما وحمية وكان إذ ذاك تزويج المسلمة من الكافر جائزا ومن زاد
على هذا قوله كانوا يخطبونهن قبل ذلك ولا يجيبهم إليهن لخبثهم وعدم كفاءتهم فكأنه لم
يناف قولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق فإنه ظاهر في عدم رغبتهم فيهن وقيل
المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن
مسعود رض وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وأما ما قيل قاله مبالغة في تناهي خبث ما
قيل قاله مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى أن ذلك أهون منه أو إظهارا للشدة من ذلك
كي يرقوا له فلا يناسبه ولا يلائم قوله هن أطهر لكم أراد المبالغة في الطهارة لا تفضيلهن
بها على ما يرومونه كقوله الله أعلى وأجل في مقابلة قول أبي سفيان أعل هبل أعل هبل
وقرئ أطهر بالنصب على تقدير خذوا هؤلاء أطهر لكم وقوله بناتي هن جملة معترضة مقللة
للأمر وكونهن أولى قدمت للاهتمام كأنه قيل خذوا هؤلاء العفائف أطهر لكم إنهن بناتي
هن وأنتم تعلمون طهارتي وطهارة بناتي ويجوز أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي خبره وهن
تأكيد للمستكن في بناتي لأنه وصف مشتق وأطهر حالا فاتقوا الله في ركوب الفواحش
ولا تخزون من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء في ضيفي بسببهم فإن
التعدي لضيف الرجل إخزاء له وترتبه على المحذوف لا على المذكور لعلها أفصح عنه في
موضع آخر حيث قال قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وقد علم منه
أن المراد من الخزي معنى آخر غير الفضاحة أليس منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق و
يرعوي عن القبيح يرشد أصحابه إليه ويمنعهم عنه والمراد هنا ولذا قال منكم دون فيكم لعوده
الأجنبي وكلامه لا يؤثر تأثير كلام الذي منهم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
من حاجة بالعوائق المنفي بينكم حق وزيادة من كما بالغوا في النفي بإثبات علمه له على أبلغ
وجه وآكده وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الذكران قال لو أن لي بكم قوة لما كان فيه معنى
الفعل عطف عليه قوله أو آوي إلى ركن شديد أي لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى
قوي أستند إليه وأمتنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز الذي يحترس من يأوي إليه ويحميه
بالركن من الجبل في شدته ومنعته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وقرئ أو آوي
بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة أو أويا فلما رأوا الملائكة على لوط عليه السلام

عن الكرب قالوا يا لوط إنا رسل ربك فلن تصلوا إلينا ولما احتمل أن يضروه أم لعدم حصول
منيتهم دفعه بقوله لن يصلوا إليك فهو استئناف في غاية الجزالة ومن لم يتنبه له قال لن
يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا ثم إنه لم يدر أن حق الكلام مع الوصل بالفاء دون الفصل
فأسر بأهلك بالقطع من الإسراء وقرئ بالوصل من السرى ترتبه على المحذوف المذكور
في موضع آخر بقوله وأتيناك بالحق وإنا لصادقون بقطع من الليل بطائفة منه
ولا يلتفت منكم أحد ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه والنهي عام له ولأهله والمخصوص
به إنما هو تبليغه إليهم ومن وجه أنه في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط عم فقد وهم إلا
امرأتك بالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه قراءة فأسر بأهلك
بقطع من الليل إلا امرأتك قيل وذلك إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف
لا بالنظر إلى الخلف لئلا يناقض قراءة من قرأ بالرفع بدلا من أحد ولا لزم على
القراءتين أن يكون امرأته مسري بها وغير مسري بها ونحن نقول لأن الاستثناء
من الأهل يقتضي أن لا يكون لوط مأمورا بالإسراء ولا يمنع أنها سرت بنفسها
ويكفي لصحة الاستثناء من هذا المقدار كيف ولم ينه عن إخراجها ولكنه أمر بإخراج
غيرها وبهذا اندفع أيضا ما قيل إنه إما أن يسري بها فالاستثناء من قوله
أحد متعين أو لا فيتعين من قوله فأسر بأهلك والقضية واحدة وأحد التأويلين
باطل قطعا والقراءتان الثابتتان قطعا لا يجوز حملها على ما يوجب بطلان مقتضى
أحدهما وأما ما قيل وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن
لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها
حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف
اختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فاعترض عليه بأنه لا يجوز لأن القواطع لا
يصح حملها على المعاني المتناقضة وأجيب بأن معناه أن اختلاف القراءتين جالب
وسبب لاختلاف الروايتين فاعترض التلاح للمعترض أي أداه صالح له ولم يرد
أن اختلاف القراءتين لأجل اختلاف الروايتين فحصل ويرد عليه أنه يتغلب
الرواية دراية لا تخالفها بل ظاهر القراءة وأيضا فيه استلزام اختلاف القراءتين
أمرا محذورا وهو الجمع بين المتنافيين والأولى جعل الاستثناء في القراءتين من
قوله ولا يلتفت منكم أحد كما في قوله ما فعلوه إلا قليل إلا وقليلا ولا بعد أن يكون
أكثر القراء على غير الأفصح فإن النصب أخف وإن كان البدل أفصح إن موعدهم الصبح

استيناف علل به استثناؤها من اهله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه
استصلاحا ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه
العذاب وانما جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه اودع والراحة فيه اجمع فيكون
العذاب فيه افظع فلما جاء امرنا والا امر بنفسه فيقدره قبل هذا واما المامور
بنفسه فيقدره قبل هذا واما المامور به فيتعين ما ذكر في قوله جعلنا عاليها
سافلها جواب لما وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا اي الملائكة المامورون به واسنده
الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر وامطرنا عليها على المدن حجارة
روي ان جبرئيل ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء ثم قلبها عليهم واتبعوا
الحجارة من فوقهم والتنكير في حجارة للتعظيم من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين
وقيل من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين لقوله لنرسل عليهم حجارة
وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل فلان منضود في الارسال
يرسل بعضها اثر بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به او نضد
معدا لعذابهم مسومة معلمة بالعذاب او بسيماء تميز به عن حجارة الارض او
باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها الا هو وما هي من الظالمين
ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلعم انه سأل
جبرائيل عم عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة
من ظالمي امتك يمرون بها في مسايرهم فوله ببعيد بشيء بعيد او بمكان بعيد كونها
قيل ولا حاجة الى التأويل لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي
في الوصف بها الذكر والمؤنث والى مدين اخاهم شعيبا قد مر نظائره ومدين
مدينة بناها مدين ابن ابراهيم عم فسميت باسمه والمراد اهلها واولاده قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس
المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة وثروة يغنيكم عن
التطفيف او بنعمة حقها ان يقابل بالشكر لا بما تفعلون او بخير فلا تزيلوه عنكم
بما تفعلون وهو على كل الوجوه علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا
يشذ منه احد او مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب

الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة من قبيل الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب
بها لانه مشتمل على حوادث مع اشتماله على العذاب فاذا كان مهلكا كما اشتمل عليه من الحوادث
كان محيطا على المعذب في اهلاكه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن
ضده قصدا الى تقبيح المنهي وتعييبه لان التصريح بالنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له
وزجر فاذا ورد الامر بعده مصرحا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول والامتثال لانه
ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ بالقسط بالعدل والتسوية من
غير زيادة ونقصان وانما قيده به قصرا على ما هو الواجب وتنبيها على ان المطلوب من الايفاء
القسط وهذا قد يكون الفضل محرما كما في الربويات ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
لان نقص الحقوق مطلقا اعم من النقص في الكيل والوزن وكذا ولا تعثوا في الارض لان التمادي
في انواع الفساد ودرجهم في النهي مما غلب عليهم الى سائر القبائح ويجوز ان يراد بالبخس
مبالغة وتعريضا بانه معنى انواع الفساد وانما قال مفسدين احترازا لما يقصد به الاصلاح
صلاح كما فعله الخضر بقية الله ما ابقى عليكم من الحلال خير لكم مما تجمعون بالتطفيف و
نقص الحقوق ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما قيد به لظهور فائدتها معه وان كان مع
الخوف ايضا نجاة عن تبعها وذلك لان حصول الثواب بها مشروط بالايمان ولا يظهر على
الكافر الا النجاة من تبعة البخس لانغماسه في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على
جلال قدره وايماء الى ان لا فائدة للحسنات بدونه وان كنتم مصدقين لي في نصحي اياكم وقيل
البقية الطاعة اي ما يبقى لكم من الطاعة خير مما يجمعون كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا
واضافها الى الله تعالى تعظيما لها وتشريفا بنسبتها اليه وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه
التي تكف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ تقديم الظرف وايلاؤه حرف النفي
وعيد بليغ اي الله حفيظ عليكم ويجازيكم بها لا انا انما انا نذير مبلغ وقد انذرت وبلغت
ونصحت واعذرت قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من
الاصنام اجابوا به بعد امرهم بعبادة الله تعالى وترك عبادة الاصنام وبالغوا الهوى
على طريقة التسخرية والاستهزاء حيث اسندوا الامر الى الصلوة اشعارا بان المامور
به مما لا يامر به العقلاء لانه امر وسوسة وجنون لا امر فطنة وعقل وانما خصصوا الصلوة
بالاسناد اليها لانه عم كان يصلي ويقول ما سمعتم بهذا فيقول انها تأمر بالمحاسن
وينهى عن المساوي كما عرفه الله تعالى عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فقالوا على وجه التهكم به اصلواتك تامرك فعبه استهزاء من وجه اخر وانما جمعها فلانه

عليه السلام كان كثير الصلوة وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويضحكون استبعادا منهم ان يفعل مثل ذلك الافعال فمن اتيانها على صيغة الجمع اشارة الى نوع اخر من الاستهزاء ثم انهم جعلوه عليه السلام ماموراً بفعل الغير ولا لزعل افراطهم في ذلك كان نفسه ماموراً به وذلك ان النبي الامر بنهي الغير يكفي الابلاغ مرة او مرتين وهو دوام قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة المامور بانيان الترك الواجب على الغير وهذا ايضاً نوع من الاستهزاء منهم مبناه على اعتبار دقيق ولهذا اغفل عنه الناظرون في هذا المقام حتى ذهبوا الى تقدير المضاف اي تامرك بتكليف ان نترك فاذ هو احسن الكلام ولطف الاعتبار المناسب للمقام **او ان نفعل في اموالنا ما نشاء** عطف على ما اي او ان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا والعطف باو دون الواو للاشعار بان الامر بواحد منهما على سبيل البدل يكفي في التسفيه والنسبة الى الضلال فكيف اذا امر بهما معاً ولا يخفى ما فيه من الدلالة على انهم كانوا في الجهالة قد بلغوا غاية الضلالة وقرئ بالتاء في تفعل وتشاء على ان العطف على ان نترك **انك لانت الحليم الرشيد** نهيكم به وبفعله لانهم ارادوا وصفه بغاية السفه والغي على ما يقتضيه السباق والسياق نعكسوا تهكماً كقوله حرمه جهنم ذق انك انت العزيز الكريم واما ما قيل عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك فيأباه ما في سياق الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزاء من وجوه شتى **قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي** اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة **ورزقني منه رزقاً حسناً** اشارة الى ما اتاه من الحلال والتعبير بحسنا للاحتراز عن الرزق القبيح وفيه اشارة الى ان الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادة الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء ولا يخفى ما فيه من لطف المراجعة وحسن الاستنزال ورفق الاستدعاء ولذلك قال فيه صلى الله عليه وسلم ذاك خطيب الانبياء والضمير في منه لله تعالى اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وقد ادرج فيه الجواب عن قولهم او ان نفعل في اموالنا ما نشاء على القراءة بالنون فيهما **وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه** وما اريد ان اقصد الى ما انهاكم عنه من المعاصي والملاذ لا استبد بها دونكم فلو كان صواباً لاثرته ولم اعرض عنه فضلاً عن النهي عنه يقال خالفني الى كذا اذا قصده وانت مولٍ عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده **ان اريد الا الاصلاح ما استطعت** ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي

ما امكنني فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذه النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يراعي فيما يباشره احد ثلثة حقوق اولها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم به وانهاكم عنه وما مصدرية واقع موقع الظرف اي مدة استطاعتي او خبرية بدل من الاصلاح الا القدر الذي استطعت منه او على تقدير حذف المضاف اي الا الاصلاح ما استطعت او مفعول اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من مفاسدكم وفيه ان اعمال المصدر المعرف قليل **وما توفيقي الا بالله** اي وما توفيقي لاصابة الحق والصواب فيما اتي واذر الا بتاييد الله ومعونته **عليه توكلت** لا على غيره فانه القادر على ما يشاء دون غيره فان من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلاً عن القدرة **واليه انيب** لا الى غيره في الاية طلب التوفيق من الله تعالى لاصابة الحق فيما هو بصدده على ابلغ وجه لا طماعهم وعدم مبالاته بهم ومعاداتهم بتوكله على الله تعالى وتهديد للكفار بما ينبههم الله تعالى للجزاء **ويا قوم لا يجرمنكم** لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي **ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح** من الغرق **او قوم هود** من الريح **او قوم صالح** من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه مثل كسب في معناه وتعديته الى مفعول واحد والى مفعولين وقرئ لا يجرمنكم بضم الياء من اجرمته اذا جعلته جارما وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما يقال اكسبه المال من كسب والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ بالفتح لاضافته الى المبني **وما قوم لوط منكم ببعيد** زمانا ومكانا فانهم اقرب الهالكين منهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق العقاب فحالكم حالهم وافراد البعيد قد مر وجهه فتذكر **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه** قد سبق ما يتعلق به ايضا **ان ربي رحيم** عظيم الرحمة للتائبين **ودود** بعباده يفعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار لشمول الدعوة واحد الحبل بطرفيه **قالوا يا شعيب ما نفقه** فهم الكلام على ما تضمن من المعنى وفي نفيه دون نفي الفهم دلالة على انهم لم يريدوا قصوره في اداء الكلام كما سبق الى بعض الاوهام حيث قال

وجه ما ذكر انه عليه السلام كان الشنع وانما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث
كنوا بعدم فقههم ما قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوه منزلة
الهذيان والتخليط وفي التقييد بقوله كثيرا مما تقول اظهار التنزه عن المكابرة
وهذا ابلغ في المبالغة عن الكلام الخالي من ذلك القيد ومن هذا القبيل قولهم
في وصف سيف الشجاع يقطر وما دونه يسيل قيل كانوا يفهمونه ولكنهم
لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه فلا يذهب عليك ان هذا التنزيل انما يناسب اعتباره
لو كان في الحكاية دون المحكي وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما
بيننا وفي قوله فينا نوع تقوية لما ارادوه من اثبات العجز له عن المدافعة كانهم
يقولون انك لست بخارج عنا حتى لا تصل اليك ايدينا ولا قوة في نفسك
فلا مانع ولا دافع لا من جهة شانك ولا من جهة مكانك ولذلك قللوا
قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة
وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم لكونهم على ملتهم لا خوفا منهم
ولدفع هذا الوهم عبروا عنهم بالرهط دون العشيرة والقبيلة ونحو ذلك
والرجم الرمي بالحجارة والمراد به بمعنى قتلناك شر قتلة باصعب وجه
وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وما انت
علينا بعزيز اي لست علينا بممتنع فلا نقدر على رجمك وهذا هو المناسب
لسياق الكلام وعلى هذا لا المفهوم فيه ومن فهم منه المفهوم قائلا
كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا فقد حمل العز
على الاكرام على ما صرح به حيث قال اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك
عن الرجم فقد غفل عن ان المناسب حينئذ ان يقولوا عندنا بدل علينا ومنطوق
قولهم ولولا رهطك لرجمناك اغنى عن اعتبار المفهوم المذكور لما عرفت
ان معناها ولولا حرمة رهطك وعزتهم علينا لرجمناك فاعتباره بعد
هذا كالاستصباح بالمصباح بعد طلوع الصباح وايلاء الضمير حرف
النفي لتقوية الحكم وتاكيده كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وتقديم علينا
لمحافظة الفاصلة وزيادة الباء في بعزيز لتاكيد النفي وتنكيره للتقليل
اي ليس لك علينا شيء من جنس العزة واما ما قيل وقد دل ايلاء الضمير
حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت

لو استهانة بهم لم كلا بقول الرجل لصاحبه اذا لم يبال بحديثه لا ادري ما تقول كله لا يعجبني منه

علينا

علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز
عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فيرد عليه
انه لا دلالة في مفهوم قوله وما انت علينا بعزيز على ان رهطهم الاعزة
انما الدلالة على انهم هم العزيزون لان المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق
المنطوق انما هو اصل العزة لا زيادتها ثم ان قوله ولو قيل وما عززت الخ
فقد مر ما به يظهر انه ليس بصواب قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
لما كان نبيا مبعوثا من عند الله تعالى كانت الاستهانة به استهانة بالله لقوله
من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل كون رهطه اعز عليهم منه كونهم
اعز من الله لان امره امر الله ويحتمل الانكار التوبيخي على ان معنى ارهطي
اعز عليكم من الله في نظركم واعتقادكم والانكار للابطال على ان معنى انهم
اعز عليكم منه تعالى في الواقع وعلى الاول يدخل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا
ايضا في حيز الاستفهام والاتخاذ اخذ الشيء لامر يستمر في المستانف كاتخاذ
البيت واتخاذ المركوب فدلالته على معنى المقصود او من دلالة الحمل عليه
والظهري منسوب الى الظهر كالامسي بالكسر منسوب الى الامس والكسرة
في مثل هذا من تغييرات النسب والكناية عن الترك وعدم الاعتداد به
قد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم الانذار فيه بنسبته الى الظهر اتماما
لحق المبالغة وافادة لمعنى الاعراض عنه بالكلية ان ربي بما تعملون محيط
قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى منها شيء فهو يجازيكم عليها يا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل سوف تعلمون سبق مثله في سورة الانعام والفاء في سوف
ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذف ههنا
للاستيناف كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا فقال سوف تعلمون
وهو ابلغ من الوصل بالفاء من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب
قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب ليكون قسيمين ينصرف
الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجرى الكلام على
مقتضى زعمهم فقال ومن هو كاذب اي على زعمكم ودعواكم واراد سوف
تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه واوعدوه وارتقبوا

ومن وهم ان الجزء للتعظيم فقد وهم لانه لا يناسب المقام فانه يفيد الاستهانة تدبر منه

ومن فسر فقد ذهل عن الفرض تدبر منه

وعلت انت منه

وانتظروا ما اقول انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريع او المراقب
كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين معه
برحمة منا فما ذكر ساق قصة عاد وقصة مدين بالواو وساق قصة ثمود
ولوط بالفاء لانه لم يسبق فيهما وعد يقتضى التسبب تحققهما ان يعطفا
بحرف الجمع عطف قصة على قصة واما فى قصة ثمود ولوط فقد سبق
وعد يقتضى التسبب وهو قوله فى الاولى ذلك وعد غير مكذوب وفى الثانية
ان موعدهم الصبح كانه يجئ بهما كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت
واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام
صيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين فهلكوا بحيث لم يبرح كان لم يغنوا فيها
كان لم يقيموا فى ديارهم مترددين فى تصرفاتهم الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
انما شبههم بثمود فى هلاكهم لانهم ايضا هلكوا بالصيحة الا ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على
الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين له على صدق نبوته يجوز ان يكون المراد بالايات المعجزات
وسلطان مبين هو العصا وافردها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد
بها واحدا اى ولقد ارسلنا الجامع بين كونها ايات وكونها سلطانا له على
صحة دعواه والفرق بينهما ان الايات والدلائل القاطعة والسلطان يختص
القاطع والمبين ما فيه الجلاء ومن وهم ان المراد من الايات التورية
فقد وهم ومافهم ان قوله الى فرعون وملائه يأباه لان التورية نزولها
انما كان بعد هلاك فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون بالكفر بموسى
او فاتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات الباهرة واتبعوا
طريقة فرعون البين الضلال والطغيان لفرط جهلهم وغباوتهم
فانه ادعى ما لا يخفى عن من له ادنى تمييز وفطنة انا الله وهو الالهية
مع كونه بشرا حادثا مثلهم وما امر فرعون برشيد برشد او بذى
رشد انما هو على صريح ضلال لا رشد فيه يقدم قومه يوم القيمة
يتقدم الى النار كما كان يتقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدمه ومنه قادمة

الرجل

الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش تفسير
وبيان لعدم كون امر فرعون بصواب حميد العاقبة وعدل الى الماضى
فيما عطف عليه فقيل فاوردهم النار مبالغة فى تحقق وقوعه وشبه
فى جرهم الى النار بالفارط الذى يتقدم الواردة واتباعه بالواردة الحراص
على الماء ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال
وبئس الورد المورود اى بئس المورود الذى وردوا فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد واتبعوا فى هذه اى فى هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والاخرة بئس الرفد
المرفود المخصوص بالذم محذوف اى رفدهم والرفد هو العطية
واصله الذى يعين به على المطلوب قال قتادة وترادفت عليهم
لعنتان من الله تعالى لعنة فى الدنيا ولعنة فى الاخرة وكل شئ جعلته
عونا لشئ فقد رفدته ذلك مبتدا من انباء القرى خبره اى ذلك
النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر اى
مقصوص عليك منها قائم وحصيد جملة مستانفة لا محل لها
اى بعضها باق على امكنتها كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافى الاثر
كالزرع الحصيد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصى التى اهلكوا بها وما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت
ان تدفع عنهم باس الله تعالى آلهتهم التى يدعون حكاية حال
ماضية اى التى كانوا يعبدونها من دون الله اى اصنامهم
التى اعتقدوها آلهة معبودة من شئ غناء قليلا لما جاء امر
ربك حين جاء العذاب ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير
وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى
اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة حال من القرى
وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها
الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة
العاقبة ان اخذه اليم شديد من باب اسناد المجازى لان الاخذ مولم

كقوله ضرب وجيع ومعناه صعب على الماخوذ حتى الاخذ اليم من
صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك
اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى لاية لعبرة لمن خاف
عذاب الاخرة لانه ينظر الى ما نزل بهم بسبب ذنوبهم فيعتبر به
حال الاخرة ويعلم من شدته شدة العذاب الموعود وعظمته فينزجر
واما الذى ينكر الاخرة او لا يخطر بباله اهوالها فلا حظ له من ذلك
الاعتبار ذلك اشارة الى يوم القيمة لدلالة عذاب الاخرة عليه
يوم مجموع له الناس للحساب والجزاء والناس فاعل مجموع كانه قيل
يوم يجمع له الناس والعدول من لفظ الفعل الى لفظ اسم الفعل للدلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه موصوف به صفة لازمة لا محالة وانه
اثبت لاسناد الجمع الى الناس لانه يفيد انهم لا ينفكون عن الموصوف
الذى هو ظرف لهم فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك
يوم مشهود اى مشهود فيه واتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به
اى تشهد فيه الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود
الذى كثر شاهدوه كما يقال لفلان مجلس مشهود وطعام محضور
يريدون الكثرة ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لفات الغرض وهو
التعظيم وتميزه فان ساير الايام كذلك والتهويل الحاصل من عدم ذكر
المشهود وما نوخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معهودة قليلة على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود يوم يات وقرئ بكسر التاء والاكتفاء
بالكسرة عن الياء والفاعل هو الله تعالى كقولك او ياتى ربك ويؤيده
قراءة وما يوخره بالياء وقوله باذنه او اليوم كقوله الا ان تاتيهم
الساعة والمراد من اتيان اليوم اتيان هوله وشدائده فلا يلزم ان يكون
الزمان ظرفا لنفسه والعامل فى الظرف لا تكلم او الانتهاء المحذوف
اى ينتهى الاجل يوم ياتى فلا حاجة الى التقدير اذكر لا تكلم نفس اى لا تتكلم
بما ينفع وينجى من جواب او شافعة الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله
الا من اذن له وهذا فى موقف وقوله يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون

فىموقف

فى موقف اخر وقوله يجادلون عن انفسهم فى موقف اخر وقوله نختم على افواههم
وتكلمنا ايديهم فى موقف اخر ولما كان القول بتعدد المواقف مما لا بد
منه توفيقا بين الايات المذكورة فلا حاجة الى تخصيص الممنوع عنه بالاعذار
الباطل والماذون فيه بالجوابات الحقة بل لا وجه له لان الشافعة ايضا
ماذون فيها وليست من جنس الجواب فمنهم الضمير للناس المذكور
او لاهل الموقف المدلول بقوله لا تكلم نفس شقى وجبت له النار
بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس الا باذنه انقسامهم
الى قسمين اجمالا وتقديم الشقى على السعيد لانه المفهوم اولا فى مرتبة
الاجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والاصل ومنهم
سعيد فحذف منهم اختصارا او التنكير فيها للنوعية فاما الذين
شقوا ففى النار شرع فى تفصيل احوال الصنفين المذكورين بعد تفصيلهما
لهم فيها تقديم الظرف للتخصيص زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما فى اول الشهيق واخره وهما من اصوات
المكروبين ففيه تشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيه روحه للدلالة على شدة كربهم وغمهم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض خالدين على انها حال مقدرة وما مصدرية ظرفية اى مدة
دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت التابيد على طريقة العرب
فى قولهم ما قام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مما يذكرونه فى مقام
المبالغة فى نفى الانقطاع ولا يسبق الى الفهم منها الا التابيد لا تعليق
مدتها بمدة بقائها ويجوز ان يراد التعليق على ان المراد من السموات
والارض سموات الاخرة وارضها فانه لا بد لاهلها من مقلة ومظلة
ولا يلزم فى التعليق بهما علمنا بكيفياتهما بل نعقل ابديتهم بين مقله
ومظلة وهو معلوم من النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء وليس فيه تشبيه ما يعرف بما لا يعرف كما توهم الا ما شاء ربك
استثناء من الخلود فى عذاب النار لان الكفار ينقلون من حر النار الى برد
الزمهرير والرد بان النار عين دار العقاب غير وارد لانا لا نتناكر

استعمال النار فيها تغليبا اما الدعوى الغلبة حتى يهجر الاصل وكلا
الا يرى الى قوله نارا تلظى وقودها الناس والحجارة وكم كم واما
ما قيل لان بعضهم وهو فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف
لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم
المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان
التأبيد من مبدأ معين ينقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء
ففيه ان موجب ذلك اندراج الفساق فى القسمين فيفوت ما قصد
بالتنكير من التنويع والتميز بينهما حتى لا يندرج احدهما فى حكم الاخر
والتقابل المتعارف منهما من قوله صلى الله عليه وسلم السعيد سعيد فى
بطن امه والشقى شقى فى بطن امه يابى عن الجمع بينهما بالاعتبارين ثم
ان الزفير والشهيق من خواص الكفار وعلى ما ذكر يلزم تشريك الفساق
معهم واما ما ذكره ثانيا ففيه انه لا دلالة فى اللفظ على المبدأ المعين
ولو سلم فالاستثناء يقتضى اخراجا عن حكم الخلود وهو لا محالة بعد
الدخول ولا يجوز ان يكون الاستثناء من قوله لهم فيها زفير وشهيق
لانحق النظم ان يقدم قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض
على قوله لهم فيها زفير وشهيق ان ربك فعال لما يريد فلا يتجه الاعتراض
عليه فى تخصيصه بعض اوقات الشقا باحد نوعى العذاب او بعضها
بنوعه الاخر واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وقرى سعدوا على بناء المفعول من سعده الله بمعنى اسعده الا ما شاء
ربك قال الزجاج هذا من باب حتى يلج الجمل فى سم الخياط ولا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة
كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه ورد
بان ما ذكر يحصل لهم فى الجنة ويابى الاستثناء عطاء نصب على
المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء او حال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع
وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء
ههنا ليس الانقطاع وقوله فى الاشقياء ان ربك فعال لما يريد فى
مقابلة هذا القول فى السعداء يرجح نقل الاشقياء الى ما هو اغلظ من

دل الخصوص منها قوله تعالى
لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
منه

عذاب النار

عذاب النار من عقوبات نقيضها سخط الله تعالى وما يماثلها فلا تك
فى مرية المرية التردد الحاصل مع الشك لما قص عليه عليه السلام قصص
عبدة الاوثان وما حل بهم من انواع العذاب والنقم اقبل عليه متسليا
بقوله هذا اى لا يكون تردد بعد ما انزل اليك فى سوء عاقبة ووبال
عبادتهم الاوثان مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين
فانها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم او من حال ما يعبدون فى انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا
كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف لتعليل النهى من المرية اى ان حالهم
فى الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت وقد بينا لك ما نزل باباءهم
بسببه فنزل عليهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى
المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا
لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباهم ابضاءهم او من
الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب مع قيام موجبه غير منقوص حالا
من النصيب تقييدا له لدفع احتمال ان يكون منقوصا فى حد نفسه عما
يستحقونه وتوفيه لا يدفع هذا الاحتمال ومن لم يتنبه بهذا قال انه
لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا
واما من قال يجوز ان يوفى وهو ناقص وموفى وهو كامل الا تراك تقول
وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب فى التنوير
لان اوله بمعزل عما فيه الكلام واخره ليس بتمام كما لا يخفى على ذوى الافهام
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم
كما اختلف هؤلاء فى القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك اى قضاء
سبق بتاخيرهم الى يوم القيمة لقضى بينهم بين قوم موسى عليه السلام
او بين قومك وبين المحق والباطل وانهم وان كفار قومك لفى شك
منه من القرآن مريب موقع فى الريبة والقلق وهذه الاية
من جملة التسلية له عليه السلام وان كلا التنوين عوض من
المضاف اليه اى جميع المختلفين فيه المؤمنين والكافرين وقرئ بالتخفيف
على اعمال المخففة اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى

موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل
وقرى لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمع ثلث ميمات فحذف اولهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء
اعمالهم وقرى لما بالتنوين اى جمعا وقرى وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرى به **انه بما يعملون خبير** فلا يفوت شى منه وان خفى **فاستقم**
كما امرت لما بين امر المختلفين فى التوحيد والنبوة وبالغ فى الوعد والوعيد
امر نبيه عليه السلام بالاستقامة كما امر به فى العقايد والاعمال
من وظايف العبادات والتبليغ كما انزل اليه وبيان الشرايع جامعا
بين التنزيه والتشبيه محترزا عن الافراط والتفريط فى الاعمال محتاطا
فى التبليغ والتشريع والفاء للسببية اى اذا كان جزاء الكل عليه لا عليك
فاستقم كما انت فيما امرت به والكاف فى محل النصب صفة للمصدر اى استقامة
مثل استقامة التى امرت **ومن تاب معك** عطف على المستتر فى فاستقم
وحسن من غير تاكيد للفصل اى فليستقم من تاب معك من الكفر وامن فى اتباعه
فى العقاب والاعمال سالك سبيل الامرين دون ما هو مخصوص به عليه السلام
ولما فى هذه الضميمة من التبليغ ذلك الامر العسير قال النبى عليه السلام
شيبتنى سورة هود اى خص هذه السورة بالذكر والا فالامر بالاستقامة
وارد فى سورة الشعراء **ولا تطغوا** ولا تخرجوا عما حد لكم فتعتدوا
انه بما تعملون بصير وهو مجازيكم به وهو فى معنى التعليل
للامر والنهى وفى الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف
وانحراف بمجرد الراى واما التصرف بمقتضى الاجتهاد فيما
يحتاج اليه فليس بمنهى عنه بل ماموربه على ما ورد به النصوص
والتصرف بالقياس والاستحسان من المجتهدين من هذا القبيل **ولا تركنوا**
الى الذين ظلموا الركون الميل اليسير اى ولا تميلوا ميلا ما الى من وجد منه
ظلم فضلا عن الميل الكثير الى الذين عادتهم الظلم فكيف بالظلم وبتناول مصاحبتهم
ومداهنتهم فى اعمالهم والانحطاط الى هواهم والتزيى بزيهم ومد العين الى زمرتهم
وتعظيمهم وانما قال الى الذين ظلموا دون الذى ظلم لان كونهم جماعة مظنة الرخصة
فى مداهنتهم فالنهى عن ركونهم ابلغ والاية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه **فتمسكم النا**

الاية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه **فتمسكم النار** بالركون اليهم وخطاب الرسول
للتثبيت على الاستقامة التى هى العدول وابعادهم بالنار مع سلب الولاية والنصرة عنهم
عند ادنى انحراف منهم عن جادة العدل الى من وجد منه ظلم مع كونهم احب الخلايق اليه
زيادة تاكيد فى المبالغة فان الميل الى احد طرفى الافراط والتفريط ظلم فى نفسه سواء كان على
نفس الظالم او غيره **وما لكم من دون الله من اولياء** من انصار يمنعونكم من عذابه حال من
قوله فتمسكم النار وانما اتى بصيغة الجمع لمكان لكم والانفى المفرد ابلغ **ثم لا تنصرون** اذا سبق
حكم بتعذيبكم فلا يبقى عليكم ومعنى ثم استبعاد نصرته لهم بعد الحكم باستيجابهم العذاب **واقم**
الصلوة طرفى النهار غدوة وعشيا وانتصابه على الظرفية لاضافته الى الوقت **وزلفا**
من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة عطف
على طرفى النهار وان فسر بقربا فالوجه ان يعطف على الصلوة اى واقم صلوة يتقرب
بها الى الله فى بعض الليل وصلوة الغداة والفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما
بعد الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرى زلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة
لما بينهما ما اجتنبت الكباير او يمنعن السيئات بمعنى يزلن استعداد ارتكابها كقوله فى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم وما بعده **ذكرى للذاكرين**
عظة للمتعظين **واصبر** كر الى التذكير بالصبر بعدما جاء بما هو خاتمة للتذكير للدلالة على فضيلة
الصبر ومزيته والتنبيه على علو شانه ومكانته كانه قال وعليك بما هو اتم بما
ذكرت به واحض بالتوصية فى بابه وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما
نهيت عنه فلا يتم شى الا به **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** تعميم كالتعليل بالبرهان
للاوامر والنواهى المذكورة من قوله فاستقم الى قوله واصبر وانما عدل عن الضمير
ايماء الى ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا يعتد بها دون الاخلاص **فلولا كان**
لولا هنا للتخصيص بمعنى التفجع والتاسف الذى ينبغى ان يقع من البشر على هذه الامم
الذى لم يهتد **من القرون من قبلكم اولو بقية** اولو فضل وخير وانما سمى بقية لان
الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ومنه قولهم
فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ومنه قوله عم فى عباس رض هو بقية آبائى ويجوز ان
يكون مصدرا كالتقية اى ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها ويؤيده انه قرى بقية وهى المرة من
مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه **ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم**

ولكن قليلاً ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد واكثرهم تاركون للنهي على ان من للبيان
لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم لقوله وانجينا الذين ينهون عن السوء
ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلاً على الظاهر لفساد المعنى لانه يكون تخصيصاً لاولي بقية
على النهي عن الفساد او للقليل من الناجين منهم ولكن ان استثني من النفي اللازم
للتخصيص جاز كونه متصلاً كانه قيل ما كان من القرون اولو بقية ينهون عن الفساد
الا قليلاً وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا تركوا النهي
عن المنكرات ما اترفوا ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا
عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال
الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى مع الكفر واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على
اترفوا اي اتبعوا الاتراف وعادتهم التمادي والاجرام او على اتبع واعتراض وقرئ
واتبع واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتاكيد النفي بظلم حال من الفاعل
والتنكير للتعظيم والاشارة الى ان اهلاك المصلحين ظلم عظيم ولذلك اكد النفي
باللام وكذا ان فسر الظلم بالشرك والباء للسببية اي لا يهلكهم بسبب ظلم لا ظلم اعظم
منه واهلها مصلحون حال كونهم مصلحين ما بينهم بالعدالة لكمال رحمته ورافته بالعباد
ومساهلته في حقه ومن ثم قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد اي وما
يصح ان يهلك ربك القرى ظالما لها تنزيها لذاته عن الظلم او بسبب شرك اهلها
مالم يضموا الى الشرك افساداً فيما بينهم ولذلك قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى
مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة على ملة الاسلام كلهم وهو دليل على
ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تعالى قادر على ايقاع ما اراده في الخصوص المذكور
واما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا يزالون مختلفين بعضهم على
الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد ترى الا من رحم ربك الا قوما هداهم الله تعالى من فضله
فاتفقوا على دين الحق وملة التوحيد ولذلك خلقهم الضمير للقوم والاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة اي ولما هم عليه من الاختلاف خلقهم ليتميز المحق من المبطل
ويترتب الثواب والعقاب على العقائد والاعمال وتمت كلمة ربك وعيده او قوله
للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من عصاتها اجمعين لا من احدهما فيه

فيه احتمال ان يكون الاملاء من احدهما ويضاف اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان والمراد استيعاب الصنفين لا استيعاب افرادهما وكلا مفعول نقص نقص
عليك والتنوين بدل من المضاف اليه انباء وقوله من انباء الرسل بيان كلا اي
نخبرك به ما نثبت به فؤادك بدل منه او كلا مصدر اي وكل اقتصاص نقص
على معنى وكل نوع واسلوب من انواع القصص واساليبه نقص عليك وما نثبت به
مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده عليه السلام طمانينة قلبه وزيادة يقينه والتا — سى
لهم في الثبات والصبر على تبليغ الرسالة وتحمل الاذى كقوله تعالى فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وذلك لان المشاركة في الامور الصعبة تهون ما يلقى الانسان
من الاذى والاعلام بما جرى على المكذبين من العقوبات المستاصلة بانواع من العذاب
من غرق وريح ورجفة وخسف فلطمانينة النفس والتانس وجاءك في هذه
السورة والانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى اشارة الى سائر
فوائده العامة وانما قال للمؤمنين اذ لا ينتفع بها الا المؤمن وقل للذين لا يؤمنون
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا قد سبق تفسيره في سورة الانعام وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة دون غيره
لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه خاصة لا الى غيره يرجع الامر كله
فلا بد ان يرجع اليه امرك وامرهم فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل
للتنبيه على ان التوكل انما يصح الا بعد تخصيصه بالعبادة والانسلاخ عن افعال النفس الى المامور
وما ربك بغافل عما يعملون انت وهم فيجازيك بما تستحق من الثواب ويجازيهم بما يستحقون
والله اعلم بالصواب سورة يوسف عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك اشارة الى السورة ايات الكتاب المبين القرآن الظاهر من ابان بمعنى بان والمراد ظهور
اعجازه وهو ههنا بمنزلة قوله لا ريب فيه في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ويجوز ان يكون من ابان بمعنى
بين اي المبين لما سأل اليهود عن سبب انتقال آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعلى هذا
يكون تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب انا انزلناه اراد تعظيم الكتاب المذكور
باسناد انزاله الى نفسه قرآنا اي حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق اسم الكل على الجزء
لان مبناه على كون القرآن علما بالغلبة وذلك بعد النزول فلا وجه لاعتباره عنده عربيا

على مكانتكم انا عاملون صح

اى كسوناه للقراءة كسوة العربية وهو كالتعليل لكونه مبنياً على المعنى الاول لعلكم تعقلون ارادة
ان تفهموا حقايق معانيه ودقايق مبانيه ومافى عبارته من الاسرار والاشارات اذ هى لغتكم كما انزل التورية
على اهلها بلغة العبرى والانجيل بلغة السريانى لذلك وفيه اشارة الى ان حقيقة كلام الله تعالى منزهة
فى كل حيثية عن كسوة الحروف واللغات ولكن الخلق يحتاجون فى تعقل معانيها اليها نحن زيادة
تاكيد لان نقص دال على معنى الجمع عليك احسن القصص اى قصصنا احسن القصص وهو مصدر
بمعنى الاقتصاص ويجوز ان يراد به المفعول او المفعول كالنفض وهو فى الاصل تتبع الشئ ومنه قالت
لاخته قصيه اى تتبعى اثره والقاص يتبع الاثار فيخبر بها والحسن عايد الى القصص يقال فلان حسن الاقتصاص
للحديث اى جيد السياقة له او الى القصة فانها اتم القصص المذكورة فى القرآن واشملها لانواع
العبر واصناف الحكم ويجوز ان يكون المعنى لعلكم تعقلون انه منزل من عند الله تعالى وذلك ان الدليل
على اعجازه بغاية بلاغته ونهاية فصاحته وبلوغه اليهما بكونه على لسان العرب لانه افصح الالسنة
وابلغها وعلى هذا يكون تمهيدا لما ذكره بقوله بما اوحينا بايحائنا اليك بواسطة جبرائيل عليه السلام
وانما اسقط الواسطة تشريفا للموحى والموحى اليه هذا يجوز ان يكون مفعول نقص على ان احسن نصب
على المصدر والاشارة المتضمنة للتقريب يؤيد المقصود المذكور القرآن نعت لهذا او بدل منه
او عطف بيان واجاز الزجاج الرفع على اضمار مبتدا كان سائلا سئل عما اوحى فقيل هو هذا القرآن
واجاز الفراء الخفض على التكرير وهو عند البصريين على البدل من ما وعلى هذين التقديرين يجوز
ان يكون ما موصولا والعائد محذوف والباء بمعنى فى وعلى هذا يجوز ان يكون نصب هذا القرآن على
الاختصاص او بيانا للمحذوف والمراد بالقرآن السورة وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام
هى الفارقة من قبله الضمير راجع الى ما اوحينا والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك
لمن الغافلين على هذه القصة لم يخطر ببالك وهو تعليل لكونه موحا كنى بالغفلة عنه عن عدم
العلم بالكلية اجلالا لشانه عليه السلام فان فى التصريح بكونه من الجاهلين اذ قال بدل من احسن
القصص بدل الاشتمال على انه مفعول او نصب باضمار اذكر يوسف اسم عبرانى اذ لو كان
عربيا لصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به
لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من آسف لان القراءة المشهورة شهدت
بعجمته لابيه يعقوب عليه السلام يا ابت اصله يا ابى عوضت تاء التانيث عن الياء لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبت فى الوقف هاء وقرئ بالفتح لانها حركة اصلها ولم تسكن

ما لا يخبر من الغافلين عن هذا الكلام من الاخبار من تعالى فى تفسيره اى من الجاهلين صح

كاصلها

كاصلها لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم فوجب تحريكها ككاف الخطاب اولانه كان يا ابتا فحذف
الالف واكتفى بالفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ
بالضم اجراء لها مجرى الاسم المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض كقولك يا ثبة انى رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لانه لو كانت فى اليقظة لكانت اية عظيمة له مقرونة ولما خفيت
عليه وعلى الناس لانه يجوز ان يكون ارهاصا ليوسف عليه السلام والكرامة لا يلزمها ان يطلع عليها
صاحبها واما اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان سجودهم مجتمعين فى الارض ولا دلالة عليه
فيما ذكر بل لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياى صريحان فيه احد عشر
وقرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات وروى بسكون العين لطول الاسم وكثرة
الحركات كوكبا نصب على التميز والشمس والقمر انما اخرهما عن الكواكب ليعطفهما عليه ابيانا
لفضلهما واستبدادهما بالمزية على ساير الطوالع رايتهم لى ساجدين استيناف
بيان لحالهم التى راها عليها وانما جريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ويجوز ان يكون
الاول لبيان مشاهدتهم فى المنام على وجه التفصيل والثانى لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين
فى السجود له فلا اعادة للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية لما هو الاهم وفى ضمنه
رعاية الفاصل قال يا بنى تصغير الابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص رؤياك
الرؤيا فى المنام والرؤية فى العين والراى فى القلب والرؤيا كالرؤية غير انه احدهما
مختصة بما يكون فى النوم والاخرى بما يكون فى اليقظة وفرق بينهما بحرف التانيث كالقربى
والقربة على اخوتك فيكيدوا لك منصوب باضمار ان جوابا للنهى والمعنى ان قصصتها عليهم
كادوك لانهم يعلمون تاويلها فيحتالون فى هلاكك وانما اتى باللام ولم يقل فيكيدوك كما قيل
فكيدونى ليضمن معنى فعل يتعدى باللام مخاصا ليفيد معنى الفعلين مبالغة
وتاكيدا فى التحذير ولذلك اكده بالمصدر والكيد الاخذ على خفاء كيدا منكرا بعيدا
عن فهمك وهو معنى تنكيرها وابهامها والمقصود زيادة مبالغة فى التخويف وكذلك
استانف قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين على تقدير سؤال كان يوسف
استبعد وقوع الكيد فى حقه من اخوته فازال استبعاده ببيان منشائه يعنى
ان الشيطان ظاهر العداوة للانسان بما فعل بادم وحوا فهو يحمل على الكيد والمكر وكل
شر ليورط من يحمله فلا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك محله النصب على المصدر اى مثل ذلك الاجتباء

قيل

الذي اجتباك للرؤيا يجتبيك ربك يصطفيك من ساير المخلوقات فضلا عن اقربائك لما هو اعظم منها
واصل الاجتبا الجمع على طريق الاصطفاء ثم استانف بقوله ويعلمك لئلا يكون داخلا في حكم
التشبيه اي وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اي تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت
صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة وانما سمي التعبير تاويلا لانه يؤول اليه
الى ما ذكره وكان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل
الاحاديث تبيين معاني كتب الله تعالى وسنن الانبياء عليه السلام وما غمض واشتبه على الناس
من اغراضها ومقاصدها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله تعالى ورسوله عم مبني على واحد
المستعمل وهو الحديث كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة
واقاطيع والقول بانه اسم جمع للحديث مردود بانه لم يات اسم جمع على هذا الوزن واما اباطيل
فجمع لا واحد له كعباديد وشماطيط ويتم نعمته عليك بالنبوة او يوصل نعمة الدنيا بنعمة
الاخرة وعلى آل يعقوب سائر بنيه قيل استدل على شرفهم وبنوتهم بضوء الكواكب اونسله
كما اتمها على ابويك من قبل تذكر لكونه من صفوة الانبياء الكرام عم وتلويح الى معنى الولد
سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبره ومن هنا ظهر وجه رجحان اضافة الابوين اليه دون يعقوب عم
وايضا في اضافتهما الى يعقوب تغليب اسحق على ابرهيم عليهما السلام ما اذا اضيفا الى يوسف عم
والمراد بالابوين الجد وابو الجد لانهما في الاصالة في حكم الاب ومن ثمه يقولون ابن فلان لمن بينه
وبين فلان عدة اباء واتمام النعمة في حقهما بالنبوة ورفع الدرجات في الاخرة وقيل على ابرهيم عم
بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق عم بالانجاء من الذبح والفداء بذبح عظيم ان ربك
عليم يعلم من يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي فلا يتم نعمته الا على من يستحقه
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته للسائلين
للطالبين لها او دلايل على نبوته عم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع
من احد ولا قراءة كتاب وانما جمع لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى والمراد باخوته عم بنو علاته
العشرة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة
من الطرفين واشاروا بهذه الاضافة الى ان سبب فضله عند ابيهم اختصاصه بيوسف عم
لا لكماله ايضا فذكرهم زيادة محبة ابيهم له ليس حسدا منهم عليه بل حسدا على يوسف عليه السلام
لانها ايضا يرجع الى زيادة محبته ولهذا خصوا الله
وفائدة لام الابتداء

ابرهيم واسحاق صح

بخلافه صح

يوسف

في يوسف عليه السلام تحقيق مضمون الجملة وتاكيده اي زيادة محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه احب
الى ابينا منا انما وحد احب مع كونهما اثنين لان افعل من كذا لا يفرق فيه الواحد المذكور لان تمامه
بمن ولا يثنى الاسم ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه ولا بد في المعرف باللام من المطابقة وفي المضاف
جاز الامران ونحن عصبة اي يفضلهما في المحبة علينا والحال انا جماعة كفاة اقوياء بمصالحه
ومنافعه وهما صغيران لا كفاية لهما ولا منفعة فنحن احق بزيادة المحبة منهما والعصبة و
العصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوائب
ان ابانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن وجه الصواب في رايه بايثار اثنين ضعيفين
على عشرة من الاقوياء مع استوائهم في الانتساب بالغوا في اسناد بزيادة حرفي التاكيد وفي المسند
بوصف الضلال بالظهور وجعله ظرفا له عم وذلك لزيادة تاثرهم عن التفضيل المذكور روي انه كان عم
احب الى ابيه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا يضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه
فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا
كانهم اتفقوا على ذلك الامر قال لا تقتلوا او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى
تنكيرها ولا بهامها نصب نصب الظروف المبهمة والمعتبر فيها ان لا يكون محدودا بالحدود ومحصورا بالاقطار
ولا ينافيه التقييد بنوع من العيوب يخل جزم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم
وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الى غيركم وذكر الوجه لتصوير اقباله عليهم لان من
اقبل على الشيء يكون وجهه في جانبه ويجوز ان يكون المراد بالوجه لتصوير اقباله عليهم الذات كما في قوله
ويبقى وجه ربك لانه اذا اصفت محبته لهم يكون لهم وحده غير مشترك فيه وتكونوا جزم عطفا على يخل
او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع من بعده من بعد يوسف او من بعد قتله او طرحه او الفراغ من امره
تائبين الى الله تعالى عما جنيتم عليه او ذوي صلاح في امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه ابيكم لكم او بصلاح
ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه قال قائل منهم ابهمه سترا على القائلين بقتله عم
حذرا عن سوء الظن من السامعين بخصوصهم وهم ابناء عم ومن لم يتنبه لهذا قال يعني يهودا كان هذا
القائل احسنهم رايا حيث انكر كلا من الامرين الذين عزموا على ان يفعلوا واحدا منهما لما راى في احدهما
افراطا وفي الاخر تفريطا نظرا الى ان غرضهم لعدم قدرتهم في يوم واحد على تبعيد يوسف عم عن ابيهم
لا تقتلوا يوسف عم يوسف فان القتل اعظم والغرض يحصل بدونه ولم يصرح بالنهي عن المنكر
الاخر اجلالة له على ولا ما اختاره عليه كانه قال مقصودكم الذي يتم به غرضكم هو هذا والقوه

قوماً صالحين صح

في غيابت الجب الغيابة ما غاب عن عين الناظر واظلم والجب البئر الذي لم يطو انما سمي جبا لانه ليس فيه غير جب الارض اي قطعها وغيابته اسفله الذي لم يطو يغيب لو فيه وقعره وقرئ غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات يلتقطه الالتقاط اخذ الشي من حيث لا يحتسب لا الاخذ مطلقا ولهذا احسن موقعه ههنا وفي قوله تعالى فالتقطه آل فرعون بعض السيارة اي بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية بعيدة فتستريحوا منه والسيارة جمع سيار وهو كثير في الارض وانما اختار صيغة المبالغة لانها المناسب لما قصدوا من الذهاب الى ديار بعيدة وفيما ذكر قرينة على انه اشار بقوله في غيابة الجب الى بئر قد عرفوها في ديارهم ولذلك عرفها وقرئ تلتقطه بالتاء الفوقانية على المعنى لان بعض السيارة سيارة ان كنتم فاعلين ما يفرق بينه وبين ابيه فهذا هو الرأي او هذا القدر يكفي فيه ولما كان اول الكلام هذا القائل على نظر الشفقة اتى في اخر ما بيناه حيث قال ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير وما وجد منا في حقه الا النصح والمحبة ارادوا استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما احس بالجد ارسله معنا غدا في الصحراء وفي لفظ ارسله دليل على ان يعقوب عم كان يمسك يوسف عم ويصحبه دايما نرتع الرتع الاتساع في الملاذ بالذهاب في جهاته من اليمين والشمال وقيل اصل الرتع التصرف في الشهوات يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته ونلعب المراد من اللعب ههنا الاستباق والانتصال ويتدربون بذلك لقتال العدو وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يريدوا به اللهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان مرادهم اللهو لما اقرهم يعقوب عم وقرئ نرتع بالنون وكسر العين من ارتعى يرتعي وقرئ بالكسر والياء فيه وفي نلعب وقرئ يلعب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف عم لصغره وما يعبر عنه باللعب يناسب اسناده الى الصغير خاف يعقوب عم على يوسف عم الضيعة من جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع اي نتسع في اكل الفواكه ونحوها وخاف عليه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشد فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم ونلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة وخاف عليه الضيعة بتركهم حفظه فامنوه عن ذلك ايضا بقولهم وانا له لحافظون اي نبالي المكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به ذهابكم به لقلة صبري عنه وشدة مفارقته علي واخاف ان يأكله الذئب واخاف عليه عدوة الذئب وكانت الارض مذأبة الحزن الم القلب بفوت المحبوب

والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه وكانه يقول لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت الحالة حالة السلامة فكيف ومع هذا المخاف ان يأكله الذئب وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام فكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة وقرئ الذيب بالهمزة على الاصل وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة لانه يختلط في مشيته ويضطرب وقال الاصمعي ان اشتقاق تذاءبت من الذئب بفعله في عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب اعتذر لهم يعقوب عم بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من الذئب ان يغفلوا عنه برتعهم ولعبهم وعدل اخوة يوسف عم عن الاول لقصر مدة الحزن وايهامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب واجابوا عن الثاني لان السبب القوي في منعه عن الذهاب لهم اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو في ونحن عصبة اي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن جزاء الشرط مغبونون ضعفاء لا غناء بهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والزمار ويقال اخرهم الله حين اكل بعضهم الذئب وهم حاضرون وقيل اذ لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فلما ذهبوا به متصل بمحذوف تقديره فاذن له وارسله معهم فالفا فصيحة واجمعوا ان يجعلوه اي عزموا عليه ولا يقال اجمع الا اذا قويت الدواعي الى الفعل من غير صارف ومنه الاجماع وكانه مأخوذ من اجتماع الدواعي ولما لم يكن مرادهم من القائهم في البئر اهلاكه كان التعبير عنه بالجعل فيها افصح في غيابت الجب قيل هو بئر على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عم ولا يخالفه القول بانها بارض الاردن لان كنعان ناحية من نواحي الاردن ومنزله عم كان فيها وكذا القول بانها كانت بين مصر ومدين لان مدين كان ايضا من ارض الاردن في جوار كنعان واما القول بانها بئر بيت المقدس فلا صحة له لانهم جاؤا الى منزلهم عشاء ذلك اليوم وبينه وبين بيت المقدس مراحل وقرئ في غيابات وهي لا توجد في النظم ومنه ظهر وجه ايثار الجب على البئر وجواب لما محذوف للمبالغة مع الايجاز اي فعلوا به من الاذى والاهانة ما لا يمكن وصفه او لا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير واوحينا اليه يعني في البئر فهو معطوف على المحذوف تقديره والقوه غيابة فالواو فصيحة

غيابات

قبل اوحى اليه فى الصغر كما اوحى الى عيسى عم ويحيى عم وقيل كان اذ ذاك مدركا **لتنبئنهم بامرهم هذا**
بالتوبيخ وذلك قوله عم لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وفيه تبشير بحسن حاله فى المآل وبما يؤل اليه
امره من علو شان ورفعة مكان ايناس له وتطييب لقلبه **وهم لا يشعرون** انك يوسف عم
لطول العهد المغير للهيئات والاشكال وبعد الحال عن اوهامهم على ما دل عليه قوله وهم له منكرون ومرقوم
انه اشارة الى هذا القول فقدوهم وما فيهم ما فيه من التوبيخ فالقول بما قاله خدام وهو المناسب
كما لا يخفى على ذكى ذوى الافهام ويؤيده الاشارة الى الامر المذكور بهذا لتضمنها الدلالة على ما فيه
من القباحة الفاحشة وقرئ لتنبئنهم بالنون على انه وعيد لهم بقول العرب لمن يتوعده بمجازاة
سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك يعنى لاجازينك وهذا شايع فى ساير الالسنة ايضا وهم لا يشعرون
على هذه القراءة متعلق باوحينا اى اتيناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء
وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء وفيه ضعف
لان قدر ما بلوا فى ذلك اليوم لا يعشو منه الانسان والعشا آخر النهار الى نصف الليل ومنه
اشتق الاعشا لانه يستضئ ببصر ضعيف اى جاؤ البلاء وذلك ليكونوا اقدر على الاعتذار
فى الظلمة ولهذا قيل لا تطلب الحاجة فى الليل فان الحياء فى العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب
فتتلجلج فى الاعتذار **يبكون** حال معناه متباكين دون باكين لان البكاء جريان الدمع
من العين عند حال الحزن بهم ولا حزن بهم الا انهم اظهروا صورة البكاء ليوهموا انهم صادقين وروى
انه لما سمع صوت بكائهم فزع فقال ما لكم يا بنى واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق**
اى نتسابق فى العدو والرمى والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء
والترامى **وتركنا يوسف عند متاعنا** اى تركناه عند الرحل ليحفظه **فاكله الذئب** الفاء
للتعقيب بلا تراخ ولا بد من اعتباره فى الاعتذار عن عدم التدارك **وما انت بمؤمن لنا** قد مر
ان الايمان اذا كان بمعنى التسليم يتعدى باللام واذا كان بمعنى التصديق يتعدى بالذات او بالباء
وتقديم انت وايلاؤه حرف النفى لادعائهم ان غيرك متصدق لنا لانا مشهودون بالصدق موثوق
بقولنا عند الكل وما انت فلسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف فلا يسلم لنا ولذلك اكده
بزيادة الباء والتقييد بقوله **ولو كنا صادقين** اى ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة
فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وانما حذف الظرف لان ذكره مقدما يفسد المعنى
لافادته الاختصاص الذى لا يناسب المقام وذكره مؤخرا يفسد اللفظ لانه ح يفوت محافظة

دؤس الاى ويضيع رعاية الفواصل ومن شرائط حسن نظام الكلام وفضل الفصل **وجاؤا**
على قميصه بدم كذب فى محل النصب من الدم ومنع تقدمها على صاحبها المجرور وفى غير
الظرف وجوز نصبه على الظرف بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه ح جاء على ان يكون الباء للمصاحبة
كما فى ذهب الله بنورهم واما اذا كانت للتعدية كما فى ولو جئنا بمثله مددا فلا يلزم المحذور
المذكور ولا وجه للحمل على الاول لسبق الاخبار عن مجيئهم **كذب** وصف بالمصدر مبالغة
او مصدر اريد به المفعول اى مكذوب فيه كالثقة يراد بها الموثوق به وفقد يؤدى فى
مثل هذا المقام ينزل الكلام عن منزل البلاغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين
وكدب بالدال الغير المعجمة اى كدر او طرى روى انه عم لما راى قميصه غير مخرق قال ما رايت
ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يخرق عليه قميصه ولذلك **قال بل سولت لكم انفسكم**
كذا قالوا والذى عندى ان امارة الكذب قلة الدم المفهومة من التنكير ومن التعبير بكونه
على القميص ولو كانت الامارة عدم تمزق القميص لكان هو بالتعرض احق بل الاضراب عن مقدر
يقتضيه المقام ويدل عليه سياق الكلام وبه تمام الانتظام فهو كالفاء الفصيحة والتسويل
تحسين الشئ وتزيينه وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقول **امرا** اى امرا منكرا لا يحتمل التنوين
والتوصيف **فصبر** اى فحق صبر لقوله فعدة من ايام اخر اى فعليه **جميل** فى الحديث المرفوع الصبر
الجميل الذى لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص الشكوى بالتى تكون الى غير الله تعالى اذ ليس فى كلامه
وعد بالصبر الجميل **والله المستعان على ما تصفون** اى المطلوب منه العون على كشف
ما التبس من امركم هذا هو المناسب لقوله فصبر جميل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا لا ما قيل
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف عم كما لا يخفى وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح
وجاءت سيارة ~~رفقة تسيرون وفى صيغة المبالغة دلالة على انهم جاؤا من بعيد والمراد~~
~~بمجيئهم الى قرب البئر بدلالة السباق واللحاق والظاهر من قولهم يلتقطه بعض السيارة انها~~
~~كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة تسيرون~~ وفى صيغة المبالغة دلالة على انهم
جاؤا من بعيد والمراد بمجيئهم الى قرب البئر بدلالة السباق واللحاق والظاهر من قولهم يلتقطه
بعض السيارة انها كانت قريبة من الطريق العام قيل كان ذلك بعد ثلث من القائه فيها **فارسلوا**
اى الى البئر **واردهم** هو الذى يصير الى الماء ليستقى منه **فادلى دلوه** تقول ادليت الدلو
اذا ارسلتها لتملأ فتدلى بها يوسف عم فلما خرج فاذا هو غلام احسن ما يكون **قال يا بشرى**

هذا غلام بشّر اصحابه بانه وجد عبدا او معنى النداء التنبيه اى انتبهوا الغرض تعيين سروري قيل نادى رجلا اسمه بشرى ورد بقراءة بشراي فانه لو كان اسما علما لم يكن الضمير واسروه اى الوارد واصحابه على عن ساير الرفقه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال اى قطع منه للتجارة وعن ابن عباس رض ان الضمير لاخوة يوسف ع م وانهم قالوا للرفقة هذا غلام ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف ع م مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من الاخلال لحسن نظم المقال والاشكال من جهة التعبير المذكور لا يناسب الحال والله عليم بما يعملون وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن التنكير للتقليل بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها وفيه صريح بما قصد بالتنكير وتنبيه على انه لم يقصد به المبالغة فى القلة وكانوا فيه فى يوسف ع م من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة يقال زهد فى الشيء وعن الشيء وذلك انهم كانوا الملتقطين والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه من يد مستعجل فى بيعه وفيه متعلق بمحذوف تبيينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وان ما بعد الجار لا يعمل فيما قبله كانه قيل وكانوا زهدوا فيه فحذف لدلالة من الزاهدين عليه وقال الذى اشتراه منهم وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف ع م ومات فى حيوته وروى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلث عشرة سنة وآتاه الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة ومبناه الغفلة عن لبثه فى السجن بضع سنين وكون السجن فى منزل العزيز لو دخل معه السجن فتيان وانما قال من مصر تنبيها على انه غير المشترى الاول لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمى مثواه اى اجعلى محل اقامته حسنا مرضيا والاكرام الاحسان على جهة الاعظام ويلزمه الارضاء وانما اضافه الى مثواه دون نفسه مبالغة فى احسان تعهده لان من اكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة ممن يكرم نفسه عسى ان ينفعنا نفع مملوك مقبل لمالكه او نتخذه ولدا فينتفع بنا قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولا دلالة فيه على انه كان عقيما لا يولد له وكذلك اى مثل ذلك التمكين من قبل العزيز حتى عطف عليه وامر امرأته باكرام مثواه مكنا ليوسف فى الارض مكنا له فى ارض مصر اى جعلنا له منزلة فيها كناية عن حكومته فيها ولنعلمه ولنعلمه من تأويل الاحاديث وهو

تاويل

تأويل الرؤيا بتعبيرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيبنى تدبير الامور عليها كما دبر الامر لسنى مصر او علة معللها محذوف اى ولنعلمه فعلنا ذلك والله غالب على امره لا يمنعه مانع ولا ينازعه منازع فيما يشاء ويريد هذا على عمومه ويدخل فيه امر يوسف ع م دخولا اوليا فان اخوته ارادوا به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او حسن كلائه وعصمته وخفايا لطفه وعنايته ولما بلغ اشده منتهى اشتداد الجسم والقوة وكمال البنية وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين يؤيده قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فى سورة الاحقاف آتيناه حكما حكمة وهو العمل المؤيد بالعلم وعلما بتأويل الاحاديث او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على ان الله تعالى آتاه الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه فى العمل واتقائه فى عنفوان العمر وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه المراودة المطالبة من راد يرود اذا ذهب وجاء لطلب الشيء ومنه الرائد ويجوز ان يكون من الرويد وهو التمهل والرفق فالمراودة هى المطالبة على الرفق والتمهل وهى مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وتعديته بعن لتضمنه معنى المخادعة اى فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه من الاحتيال فى اخراج ما فى يده وهو يحفظه ويكره اخراجه فعن للمجاوزة اى راودته اى جاذبته وخادعته عن نفسه لان يفعل غرضها بان لا يطاوعها وانما قال التى هو فى بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فيقول ربة البيت قال يا ربة البيت قومى غير صاغرة وفى ذكرها بالموصول توصل اى زيادة تقرير معنى الخبر ليفيد براءة يوسف ع م فان كونه فى بيتها يقرر معنى المراودة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتغليق الاطباق بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان غلقت الباب غلقا لغة ردية متروكة ذكره الجوهرى فمن وهم انه للتكثير والمبالغة فى الاستيثاق فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل واللام للبيان اى لك اقول هذا وقرئ هئت على لفظ الفعل بمعنا تهيأت وعلى هذا فاللام صلته قال معاذ الله اى اعوذ بالله معاذا انه ربى اى الشأن سيدى ومالكى احسن مثواى حين امرك بالاحسان الى فكيف اخونه فى اهله نوع من المجاز البليغ حيث اكتفى بذكر المقتضى والتقدير فى مثل هذا او الذهاب الى نوع من المجاز من ضيق الفطن كما لا يخفى على ارباب الفطن انه لا يفلح الظالمون ويدخل فيهم الذى يجازى الحسن بالسيء دخولا اوليا وايثار صيغة الجمع لبيان ان جمعهم لا يعنى ولقد همت به اى بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهم بها

اى بمخالطتها ولو قيل ولقد هما بالمخالطة لكان اخصر وكان ايثاره عن الجواب المقدر اظهر الا انه
فصل بين الهمين بذكر كل على حياله دلالة على تفرقهما حكما ثم مدحا وذما فالجمع بينهما ابطال
لما هو المقصود من الكلام وهو التنبيه على انهما وان كانا مشتركين فى الميل المخصوص الا ان احدهما
ميل عن شهوة قاصر عن ردعها العقل فاضمحلت فى الاخرة واذا كانا كذلك فالتفرقة بينهما عن طباق
المقام بمراحل ولا خلاف فى ان همها كان معصية لانها كانت مصرة واما همه فمن قبيل ما يخطر فى النفس
ولا يثبت فى الصدر وهو الذى رفع الله تعالى فيه المؤاخذة عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه
فلا زلة فيه مع ان لزلة الانبياء عليهم السلام حكما زيادة الوصل وشدة الحياء بالخجل والتخلى
عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد الامل وكونهم ائمة فى الرجاء لاهل الزلل لولا ان راى
برهان ربه اى فى موضع رفع والجواب محذوف لعلم السامع به اى لولا رؤية برهان ربه لامضى
ما هم به ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها
وظاهره يدل على انه شاهد امرا صرفه عما قصده حتى قيل انه رأى جبرائيل وقيل تمثل له يعقوب ع م
عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا الذى ذكروه غير صحيح لان ذلك يقتضى الالجاء وزوال
التكليف لو كان كذلك لما استحق يوسف ع م مدحا وثوابا على امتناعه عما هم به وقد مدحه انه من عبادنا
المخلصين فالوجه ان يكون الرؤية بمعنى العلم والبرهان ما دل الله تعالى ليوسف ع م على تحريم ما هم به كذلك
اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وقرئ بالكسر اى الذين اخلصوا
دينهم لله واستبقا الباب تسابقا اليه هو للخروج والهرب عنها وهى للمنع منه واصل
استبق ان يتعدى بالى فحذف الجار واوصل الفعل ولقد حسن موقعه حيث كان فى التعبير عن المراد
ايضا ما يفى الى المقصد وانما وحد الباب هنا لان بيان تعدده فضلة فى هذا المقام بخلاف
ما سبق والاستباق الى الباب ينتظم الاستباق الى الكل وقيل تعديته بالذات باعتبار تضمين
التسابق معنى الابتدار اى تبادرا الباب طالبين السبق فسبقها يوسف ع م على ما دل عليه
قوله وقدت قميصه من دبر عطف على محذوف تقديره فادركته وقدت والقد الشق
طولا قبل ادركته قبل ان يخرج فقبضت على قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل
التخرق الى اسفل القميص فى قوله قدت دون خرقت بيان انها جذبته من اعلى القميص
دون اسفله ولولا ذلك لكان المتبادر الى الفهم خلاف ما هو الواقع وهو الجذب من الذيل

فالقيد المعتبر فى القد اصاب المحز والفيا سيدها اى صادفا بعلها تقول المرأة لبعلها
سيدى لدى الباب لدى مخصوص بالحضور ولا يتضمن معنى الاستحفاظ بخلاف
عند فانه قد يتضمنه ويستعمل فى الغيبة ايضا ولهذا ذكر عند فى قوله عند متاعنا دون
لدى لكل منهما صادفه فجأة قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم ما نافية اى ليس جزاؤه الا ان يسجن او التعذيب او استفهامية اى اى شئ جزاؤه الا ان
يسجن او التعذيب كقولك من فى الدار الا زيد ما عنت يوسف ع م بل عممت حيث قالت
من اراد باهلك سوءا انما جزاؤه الا ان يسجن او التعذيب ليكون ابلغ فيما هو مرادها
من تخويف يوسف ع م وانما كان ابلغ لانه كالدليل على سببها به المغفا قالت لبعلها المار لها
على تلك الهيئة المريبة ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها واغراء بيوسف ع م وهى
مغتاظة عليه اذ لم يؤتها فارادت تخويفه عسى ان يقتضى وطرها خوفا من مكرها حين لم يقض حاجتها
حبا لها كقولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن فجمعت بين كيدين وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط
والترديد بينه وبين السجن يدل على عظم موقع السجن من ذوى الاقدار حيث قرنته بالعذاب
الاليم ولما اغرت بيوسف ع م واظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه ولذلك قال هى
راودتنى عن نفسى طالبتنى بالمواتاة اتى بصيغة الغيبة اذ كان غلب عليه الحياء ان يشير اليها
وبعينها بالاشارة لان فى المواجهة بالقبيح ما ليس فى الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز
وكان رجلا فيه اناة ونصفة طالب الشاهد فالواو فى قوله وشهد شاهد من اهلها عاطفة
على مقدر قيل كان ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا فى المهد وما قيل انه كان رجلا حكيما يرده ما روى عن
النبى ع م انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وشاهد يوسف
جريج وعيسى رواه الحاكم من حديث ابى هريرة رض وقال صحيح على شرط الشيخين وانما القى الله تعالى
الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم للحجة عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين من قبيل المسامحة فى احد شقى الكلام لتعين الاخر عند القائل بتنزيل المحل منزلة الكل
لان الشق بالجذب فى هذا الشق ايضا محتمل ومن غفل عن هذا قال لانه يدل على انه قصدها فدفعته
عن نفسها فقدت قميصه او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه وان كان قميصه قد
من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه فقدته
حكيت الشرطية بعد فعل الشهادة لانها نوع من القول فلا حاجة الى ارادة القول من الخارج

يسجن

قيل استعارة الشهادة للشرطية المذكورة لادائها مؤدى الشهادة فى اثبات قول يوسف عم وابطال قولها ومبناه الغفول عن ان القول المذكور معطوف على مقدر به ينتظم امر الشهادة على الحقيقة وجواب الشرط فصدقت وفكذبت وهو على اضمار قد والجمع بين ان الاستقبال والماضى المحقق فى الشرط والجزاء على تاويل ان يعلم انه كان قميصه قد كقولك لمن يمن عليك باحسانه ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل اى ان تمنن على باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتحة كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر وعلم صدقه وكذبها قال انه اى ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن ايها النسوان فالخطاب لها ولجواريها ولساير النساء فانهن قد اشتهرن بشدة الحيل ان كيدكن عظيم لان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا فى النفس وعن بعض العلماء انى اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان وهذا لانهن يواجهن الرجال والشيطان يوسوس بمسارقة يوسف حذف حرف النداء القرب وكمال فطنته وسرعة فهمه للحديث لذكائه وقيل هو تقريب له وتلطيف لمحله وفيه نظر لان اسم الظاهر على ما بين فى كتب المعانى طريق الغيبة اعرض عن هذا اى عن هذا الامر اراد بالاعراض كتمه وعدم التحدث له ثم اقبل عليها فقال استغفرى انت ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله لذنبك ثم اكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير تغليبا لتاكيد التعمد فان النسيان فى النسوان غالب وقال نسوة النسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقى لتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وضم النون لغة فيه فى المدينة ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر ويفهم منه كونهن فيها بخلاف ما اذا كان صفة للنسوة فانه لا يفهم منه معنى الاشاعة فيها فالوجه كونه ظرفا دون صفة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك والفتى الغلام وعرفه فى المملوك وفى الحديث لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى واصله فتى كقولهم فتيان والفتوة شاذة يعنين انهن اشعن هذا الامر من حب راعيل ليوسف عم وصرحن باضافتها الى العزيز مبالغة فى التشنيع لان النفوس اميل الى سماع اخبار ذوى الاخطار وما يجرى لهم واختير صيغة المضارع لدلالتها على انه صار ذلك سجية لها تخادعه دايما عن نفسه

ثم نبهن على علة دوام المراودة وهى كونها والهة فى حبه بقولهن قد شغفها حبا اى خرق حبه الشغاف وهو حجاب القلب حتى وصل الفؤاد انتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل وفيه مبالغة بليغة فى التعشق بذكر الشغاف والابهام والتبيين كانه من استيلاء حبه على قلبها قد شق شغاف قلبها وتمكن فى حبة قلبها وسويدائه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران ثم نقمن ذلك عليها فقلن انا لنراها فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب مبين واضح للناس فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره لما عرفت ان سياق الكلام يفصح عن الاشاعة بل لانه قلن ذلك ليوسف عم ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت لهن متكأ اى نسوت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكؤن للطعام والشراب كعادة المترفين ولذلك نهى ان ياكل الرجل متكئا والاول يناسب المقام لما فيه من مقابلة المكر بالمكر كانها قصدت بقعودهن متكئات والسكاكين فى ايديهن ان يغفلن ايديهن على ايديهن فيقطعنها اذا بهتن وشغلن عن انفسهن من الدهش والحيرة عند رؤيته لان المتكئ اذا دهش مال عن متكائه فوقعت يده وقرئ متكا مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ بمعنى بتكه اذا قطعه واتت كل واحدة منهن سكينا اى واعطت سكينا يعالج به ما يحتاج الى قطعه مما قدم من اللحوم والفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن وذلك فى حال كونهن يعالجن بالسكين فلما راينه عطف على محذوف تقديره فخرج فلما راينه وحذفه ههنا كحذف فضرب فى قوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ففيه دلالة على سرعة امتثاله لامرها اذا كان بالموقوف اكبرنه اعظمنه وعجبن من ذلك الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب وعن النبى عليه السلام رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل معنى اكبرن حضن يقال اكبرت المراة اذا حاضت واصله دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر والهاء للسكت او ضمير المصدر او ضمير يوسف على حذف اللام وايصال الفعل اى حضن له من شدة الشبق ومنه قول ابى الطيب خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق وقطعن ايديهن اى جرحنها بالسكاكين لفرط الدهش والتضعيف للتكثير كان الجرح

وقع مرادا في اليد الواحدة وصاحبتها لا يشعر به لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف عم فكانها غابت عن حسها اثرت او تنبه عم فيهن ولم يؤثر في امراة العزيز لطول الصحبة والاعتياد والبصر صفة اهل الهداية **وقلن حاش لله** وتنزيها له تعالى من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وحاش اصله حاشى فخفف بحذف الالف وهي كلمة تفيد معنى التبرئة والتنزيه ومن زاد على هذا قوله في باب الاستثناء فقد خبط لما عرفت انه يفيد المعنى المذكور في غير مقام الاستثناء وانه في ذلك الباب لا يفيد الا معنى الاستثناء اذ لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقولك قام القوم حاشى زيد ثم انه مثل بقوله اساء القوم حاشا زيد ولم يدر ان معنى التنزيه انما استفيد لدلالة الكلام على براءة زيد من الاساءة لان حاشى في مقام الاستثناء يقتضي ذلك قطعا الا ترى انه لو ذكر بدل اساء فعلا آخر لا يفيد المعنى المذكور واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشى الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف عم اي صار في ناحية لله مما يتوهم **ما هذا بشرا** لان مثل هذا الجمال غير معهود للبشر واعمال ما بمعنى ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم واما قراءة بشرى اي بعبد مشترى بمعنى مشترى حاصل بشرى فلا يطابق قوله **ان هذا الا ملك كريم** لان هذه الرائعة والمهيبة في الجمال لا يكون الا للملك وقد ركز في الطباع ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان وشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما اولان الجمع بين الجمال الرائع والعصمة البالغة لا يكون الا للملائكة **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه** اي به واللوم الوصف بالقبيح على وجه التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه وكن خطاب لتلك النسوة والمعنى ان هذا الذي صدر منكن الاكبار وتقطيع الايدي فيه ونفي البشرية عنه واثبات الملكية له ذلك العبد الكنعاني لمتنني بسبب الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا الذي لمتنني به وانما قيل ذلك وهو حاضر تعظيما له ورفعا لمنزلته في الحسن واستبعادا لمحله والغرض ان يثبت له استحقاق ان يحب ويفتتن به **ولقد راودته عن نفسه** الاخبار عن المراودة المذكورة مؤكدا بقد واللام يدل على انه لم تخبر عنها قبل هذا كما قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ليس بذلك **فاستعصم**

فامتنع

فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن عذرنها كي تعاونها على الانة عريكته والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه منه استجمع الراي واستجمع للخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عم لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على غاية عصمته ونهاية طهارته وفي الفاء التعقيبية دلالة على ان ما صدر عن يوسف عم بين المراودة والاستعصام فعل يفصل عنهما فمن هنا يتبين ان الواقع من جانبه عم مجرد هم غير اختياري فما زيد على ذلك وذكر في كتب التفاسير والقصص مردود بنص الكتاب فافهم والله الهادي الى الصواب **ولئن لم يفعل ما آمره** اي امري به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او امري اياه ومعناه موجب امري ومقتضاه فيكون الضمير له عم واللام في لئن موذنة بقسم محذوف وجوابه **ليسجنن** وجاءت النون المشددة لانها اكد من المخففة ثم عطف عليه **ليكونن** بالنون المخففة لان الصغار اخف من السجن وقرئ بالنون المشددة والاول اولى معنى لما تقدم ولفظا لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة **من الصاغرين** من الاذلاء من صغر بكسر العين يصغر صغارا او صغرا واما الصغير من صغر بالضم يصغر صغرا **قال رب السجن** يقرئ بالفتح على المصدر **احب الي مما يدعونني اليه** من ركوب المعصية وهي محنة الاختيار والايثار لا محنة النفس فانها تهوى ما تدعونه اليه دليله قوله اصب اليهن ودلت الاية على ان النسوة راودنه عن نفسه ولذلك قال اذ راودتن يوسف عن نفسه ويجوز ان يكون اسناد الدعوة والمراودة اليهن لانهن ينصحن له ويزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار وقيل انما ابتلي يوسف عم بالسجن لانه تجلد على الله تعالى وتصبر بقوله رب السجن احب الي وكان حقه ان يسأل العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر **والا تصرف عني** وان لم تصرف عني **كيدهن** في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبت على العصمة **اصب اليهن** امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة **واكن من الجاهلين** من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء

لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فاجاب الله تعالى دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني فان فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف فصرف عنه كيدهن بتثبيته على العصمة تفسير للاستجابة انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات هي الشواهد على براءته كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن فليس منها كما لا يخفى وفاعل بدا مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي هو ليسجننه وهو جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره قائلين وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطاوعة لها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وقرئ لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كأنها اقترحت ان يسجن زمانا حتى يبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي عبدان للملك قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا والواو للعطف على محذوف تقديره امضوا ارائهم في سجنه فسجنوه ودخل معه اي في صحبته السجن فان مع حقيقة فيها فلا يصرف عنها الى المجاز او الصادف كما في قوله للاتهام بانهما قصدا ان يسماه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية استحضارا للصورة عند السامع اظهارا للاهتمام بنبائها اعصر خمرا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عنبا واطلاق الخمر على العنب مجاز من باب تسمية الشيء بما يؤول اليه ونكتة المجاز بيان ان عصره كان للتخمير لا لامر آخر على وجه الايجاز وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله شبه الاخبار بما سيقع من الامور الغيبية بتفسير المشكل والافصاح عن معناه لابهامه فسماه التاويل والضمير لما قصا عليه جاريا مجرى اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين الذين يحسنون تعبير الرؤيا قالا ذلك لانهما راياه يعبر رؤيا بعض اهل السجن او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه لما استعبراه اراد ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد فقدم لذلك مقدمة باعثة اياهما على القبول وهي الاخبار عن المغيبات كما هو طريقة الانبياء

في انتهاز الفرصة في الدعوة الى الحق فقال لا ياتيكما من عند اهلكما او اصدقائكما او من غيرهم ما تحتاجان اليه من الطعام في السجن الا نبأتكما بتاويله اي ببيان ماهيته وكيفيته قبل ان ياتيكما فجعل ينبئهما كل يوم بما يحمل اليهما من الطعام قبل ان ياتيهما ويقول اليوم ياتيكما كذا وكذا من صفته كيت وكيت فيكون كما اخبر ويجوز ان يكون الضمير في نبأتكما بتاويله راجعا الى ما استعبراه عنه اي سانبئكما بتاويل قصتكما قبل ان ياتيكما وظيفة الطعام الذي ترزقانه فكأنهما قالا له عليه السلام كيف تعلم ذلك وهو غيب فقال ذلكما اشارة الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي بالالهام والوحي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تعليل لما قبله وتوطئة لدعائهما الى الايمان اي لاني تركت ملة قوم اشتما على دينهم وهم اهل مصر وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم بالآخرة هم كافرون لما اراد ان يحبب اليهما الايمان والتوحيد ويكره اليهما الكفر والفسوق قال هذه الكرامة لاني عن ملة قوم ليسوا من الايمان بالله في شيء ولا من الايمان بالآخرة وعدل من الجملة الفعلية الى الاسمية وكررهم وقدم الآخرة وان غيرهم مؤمنون وهم الذين على ملة ابراهيم عليه السلام ولتخصيص كفرهم بالآخرة والجزاء فان عمدتي التوحيد والمعاد هما اساس الدين وللتعرض بان ما هم عليه من الظلم والنكال لا يرتكبه الا من هو كافر بدار الجزاء واتبعت ملة آبائي فيه اطلاق الاب على الجد وقدم وجهه ابراهيم واسحق ويعقوب اي اتبعت ملة آبائي الانبياء عليهم السلام ويجوز ان يكون اعني قوله اني تركت الخ ابتداء كلام لتمهيد الدعوة بعد اظهار المعجزة واثبات انه من بيت النبوة والشرف والكرامة ليقوى رغبتهما في قبول كلامه واتباعه ووثوقهما به ولهذا يجوز للعامل الخامل ان يصف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويهتدى بهديه ما كان لنا معاشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان وتعميم مفعول نشرك وتاكيد النفي بزيادة من ليكون كالبرهان على امتناع اشراك الاصنام به تعالى على ابلغ الوجوه وانه اذا لم يجز الاشراك بشيء ما به ولو كان اشرف الاشياء فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك التوحيد من فضل الله علينا بالوحي والاختصاص بالنبوة وعلى الناس بارسالنا اليهم لنهديهم اليه ونعلمهم ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله تعالى عليهم ولا يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تعالى علينا وعليهم بنصب الادلة وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون في الادلة اتباعا للهوى ولا يستدلون بها ولا ينتبهون لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة السنية يا صاحبي السجن ناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة

يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار ثم اورد
الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله ءَ أَرْبَابٌ متكاثرة في العدد متفرقة بتفريق الغير المقهور وهي
تحت قدرته خير ام الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره مثل
ضربه لعبادة الله تعالى وحده وعبادة الاصنام وبما قدمناه تبين وجه اصابة التوصيف
بالقهار بحرمه وكان الظاهر مقابلة الله بالالهة وانما عدل عنه للتنبيه على ان التعدد
ينافي الالوهية ثم استطرد بعد هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما تعبدون
فقال ما تعبدون من دونه اي ما تعبدون شيئا من دون الله تعالى والخطاب لهما
ولمن على دينهما الا اسماء سميتموها الا اسماء بلا مسميات احدثتموها انتم واباؤكم
اي سميتم اشياء ليس فيها معنى الالوهية الهة فعبدتموها باعتبار تلك الاسماء فكانكم
تعبدون تلك الاسماء الخالية من المسميات ما انزل الله بها بتسميات من سلطان
من حجة تدل على تحقق مسمياتها ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله لانه المستحق
للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجب للكل والمالك للامر ثم بين ما حكم به
فقال امر اي على لسان انبيائه عليهم السلام الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه
الحجج ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة هو الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين
عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم درج في الدعوة فبدا
بتقبيح ملتهم عن اعينهم وابطالها اولا ثم بتحسين ملة التوحيد وتزيينها عليهم وبيان انه
من فضل الله تعالى تنفيرا وترغيبا ثم بين رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة بالتمثيل على طريق
الخطابة ثم ابطل الشرك بانه لا حجة عليه اصلا لا عقلا ولا نقلا وانه عبادة العدم
البحت ثم صرح بان الحق هو التوحيد وذلك هو الدين الثابت بالبرهان العقلي والسلطان
النقلي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقا
يا صاحبي السجن لما القى اليهما ما كان اهم وهو امر الدين جاء في ايمانهما ناداهما ثانيا لتجتمع
انفسهما لشيء على الجواب اما احدكما يريد الشرابي انما لم يعينه صريحا ايهاما للامر الاخر بهما
امكن واحترازا عن المخاطبة بالقبيح والتقدير باما للشروع في تفصيل ما قصده بالجواب
عما استفتياه فيسقي ربه سيده وفي ربه اي يسقي ما يروى به خمرا كما كان يسقي
قبل اي يعود الى ما كان عليه قيل سقى واسقى لغتان بمعنى واحد والذي عليه اكثر اهل اللغة ان معناه

سقاه

سقاه ناوله فشرب او صب الماء حلقه ومعنى اسقاه جعل له سقيا قال تعالى واسقيناكم ماء
فراتا واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي تم ما تستفتيان فيه مما يؤول اليه امركما وهو ما انتهيا فيه وحسبا لاجله وفزع عنده وهما ظنا
ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فاستفتياه فيه ما عاقبته وقيل جحدا وقالا كذبنا ما راينا
شيئا وتحالمنا لتجربتك فقال ان ذلك كائن سواء كان منكما حلما او تحالما والاستفتاء طلب
الفتيا جواب بحكم المعنى وهو غير الجواب بعلته وزمان الاستفتاء لا ينقضي لم ينقض
المعنى الحقي الوطر في الفتيا ولهذا قال تستفتيان دون استفتيتما وقال يوسف ع م
للذي ظن انه ناج منهما الظان ايضا هو ع م ان كان تاويله على اجتهاد والرائي ان كان
عن وحي الا ان يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه والنجاة الخلوص
عن الورطة بسلامة اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك عسى ان يخلصني فانساه
الضمير للشرابي الشيطان الانساء حقيقة من الله تعالى وانما نسب الى الشيطان لانه كان بوسوسته
اليه من الاشغال المانعة عن التذكر والفاء للسببية فان توصيته ع م له المتضمنة للاستغاثة
من غير الله تعالى كان سببا للانساء الذي ترتب عليه مكثه في السجن مدة مديدة ذكر ربه اي ذكر
يوسف ع م للملك والاضافة لادنى ملابسة ومن جوز ان يكون المعنى انسى يوسف ع م
ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره لم يدر اذ حق الفاء ح ان يدخل قال ويذكر جملة بعد اختها
ولا تاييد لما ذكره قوله ع م رحم الله اخي يوسف ع م لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في
السجن سبعا بعد الخمس انما تاييده لما ذكرناه فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل على انه ع م لبث فيه
سبع سنين وقال الملك اني ارى حكاية حال فلذلك جاء بلفظ المضارع سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه ع م رأى ملك مصر في المنام سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف فخرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عن حال البقرات
وسمان جمع سمين وسمينة كلوام اجريت على المميز دون المميز للقصد الى التمييز بنوع من الجنس
والعجف غاية الهزال والعجاف جمع عجفاء وقياسه عجف لان فعلاء افعل جمع فعل لكنه حمل على سمان

ومن عادة العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وانما اجريت عجاف على سبع
للاستغناء عن التمييز بالمميز الاول الذي هو الجنس والتمييز انما يكون بالجنس فلو جعل
عجاف مميزا بدون ذكر الجنس لم يجز كما لا يجوز ثلاثة غلاظ واربعة ضخام لعدم دلالتها
على الجنس فاذا اجريت على السبع بالوصف بالنوع بعد تمييزه بالجنس تقديرا فوضع الى الاول
وآخر عطف على سبع يابسات منصوب المحل صفة على قياس عجاف في الاول يا ايها الملأ
خطاب للاعيان والاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم
للرؤيا اراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير واللام للبيان والتقوية العامل لان الفعل
اذا تأخر عن معموله ضعف تأثيره فقوي باللام كاسم الفاعل ويجوز ان يكون للرؤيا خبر
كان كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه وتعبرون حال او خبر
بعد خبر ولان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرؤيا والعبور المجاوزة وعبرت الرؤيا جاوزتها اي جاوزت صورتها المتخيلة
المرئية الى الصورة الكائنة في نفس الامر التي انتقلت المتخيلة منها الى المرئية وكذا
اولتها اي ذكرت مآلها وما يرجع هي اليه من الصورة الواقعة في نفس الامر وعبرت
اثبت عند اهل اللغة وعبرت بالتشديد للمبالغة كقطعت وقطعت قالوا اضغاث
احلام هذه اضغاث احلام وامثال هذه اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو
ما جمع من اخلاط النبات وحزم شبه بها ما تجمع المتخيلة من احاديث النفس ووساوس
الشيطان فاستعير للرؤيا الكاذبة والاحلام جمع حلم بالضم وهو رؤيا كاذبة لا حقيقة
لها وفي الخبر الرؤيا من الله والحلم من الشيطان اخرجه عن جنس الرؤيا لعدم ترتب اثره عليه
والاضافة بمعنى من اضغاث من احلام وانما جمع ولم يكن الا حلما واحدا لتضمنه اشياء
مختلفة وقيل المبالغة في الوصف بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمايم الخز لمن لا يركب الا فرسا
واحدا وما له الا عمامة واحدة تزيدا في الوصف وعلى تقرير تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره وما
نحن بتأويل الاحلام بتأويل المنامات الباطلة بعالمين لما اجابوا بقولهم اضغاث
احلام عن سؤال التعبير واسقطوا احتماله بقي احتمال السؤال بطلب التأويل لانه اوسع دائرة
من التعبير فتداركوه باظهار العجز عن تأويل الباطل وفيه دليل على انهم نزلوا ما راه لتضمنه
الاشياء منزلة الاحلام والا لكان حقهم ان يقولوا وما نحن بتأويل الحلم بعالمين قال الذي

نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر جملة حالية وادكر بالدال وهو الفصيح وعن
الحسن واذكر بالذال المعجمة اي تذكر بعد امة بعد جماعة من الزمان طويلة حين استفتى الملك
في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها وقرئ امه بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة
من القتل وقرئ بعد امه اي بعد نسيان انا انبئكم بتأويله عمن عنده علمه فارسلون
اليه لاسأله عنه والمعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف فحذف ايجازا ايها الصديق
ناداه بالصدق وهو المبالغ في الصدق لانه عرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه
واختبر حاله في السجن افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اي في رؤيا لعلي ارجع الى الناس الى الملك ومن عنده وانما
بنى الكلام على الظن لانه تأدت بصحبة يوسف عم فلم يجزم بالرجوع اليهم فربما اخترم دونه
ولا في علمهم فربما لم يعلموا وقيل لم يكن السجن في المدينة لعلهم يعلمون فضلك ومنزلتك فيخلصوك من محبسك قال تزرعون خبر في معنى الامر كقولك يؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون
وفائدة اخراجه في صورة الخبر المبالغة في ايجاب المأمور به والاعتناء بشأنه فجعل كانه قد
يوجد فيخبر عنه والدليل على انه في معنى الامر قوله فذروه سبع سنين دأبا بسكون الهمزة
وتحريكها مصدر دأب في العمل اذا واظب عليه على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين
او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا فما حصدتم فذروه في سنبله
لئلا يسوس الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين نصيحة جارية عن التعبير واشارة
براي نافع بحسب طعام مصر وحنطته التي لا تبقى عامين الا بحيلة ابقائها في السنبل ثم
يأتي من بعد ذلك سبع شداد اي سبع سنين شداد فحذف المميز لدلالة قوله سبع
سنين عليه يأكلن ما قدمتم لهن اسند الاكل اليهن على سبيل المجاز من حيث انه يؤكل
فيها كما قال والنهار مبصرا تطبيقا بين المعتبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون
لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام لم يقل سنة لغلبتها في عام القحط فيه يغاث
الناس يمطرون فيه من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث ففي الاول مبني من ثلاثي وفي الثاني من
من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث والغيث المطر الذي يحيي في وقت الحاجة
وباعتبار هذا القيد فيه حسن موقع قولهم الغيث لا يخلو عن الغيث والغوث النفع الذي
يأتي على شدة حاجة بنفي المضرة وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والقصب والزيتون والسمسم لكثرة

ما يعصر من الفواكه وغيرها وقيل يحلبون الضروع وقرئ تعصرون بالتاء على تغليب المستفتي
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل ايضا منه اي يغيثهم الله
او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى
المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين
المخصبة في السنين المجدبة نصحهم وهداهم الى التدبير فيها ثم بشرهم بان العام الثاني
يجيء خصبا وذلك اما بالوحي واما بالعلم بان انتهاء الجدب الى الخصب وان السنة الالهية جارية
بالتوسيع على العباد بعد التضييق عليهم وقال الملك بعد ما جاء بالتعبير ائتوني به
اي بالمعبر ففي الكلام حذف فلما جاءه الرسول يوسف عم ليخرجه من السجن قال يوسف عم
ارجع الى ربك انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته
عما قذف به وفيه دليل على ان السعي في دفع التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وعن النبي عليه السلام
لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة ومن زاد على ما ذكر قوله ويعلم انه يجيء
طما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل الى تقبيح امره لم يصب لان التعجيل اعون على دفع الوهم المذكور
فان في التأخير مخافة الآفة وحال السؤال لا يختلف بكونه في داخل السجن وخارجه ولذلك
قال عم لاسرعت الاجابة وفي بعض الروايات ما اخبرتهم يعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترط ان
يخرجوني وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له
على البحث وتحقيق الحال لان الانسان اذا سئل عن شيء جد فيه واجتهد في تحقيقه بخلاف ما اذا التمس منه
شيء وانما لم يتعرض لامرأة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وانما قلنا
صريحا وقصدا لان التعرض للمقطعات ايديهن يستلزم التعرض لها والسؤال عن بالهن يؤدي الى
السؤال عن بالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك تعظيم لكيدهن بانه كيد بعيد الغور
لا يعلم كنهه الا الله تعالى واستشهاد بعلم الله تعالى عليه وعلى انه بريء مما اتهم به وايعاد لهن بان الله تعالى
عليم بكيدهن فيجازيهن عليه قال اي الملك مخاطبا لهن بعد احضارهن ففي الكلام حذف ما خطبكن
ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه لعظمه اذ راودتن يوسف عن نفسه هل
وجدتن منه ميلا الى ما دعوتن اليه قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من ريبته
ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس المكروه عنه عم بالتنكير وزيادة

من وانما قلن عليه لان مرادهن نفي ما يسوءه لا ما يسوء الغير قالت امرأة العزيز عما قبله ولم يقل
وقالت لانه مبني الوصل على دخولها في الخطاب بقوله ما خطبكن وليست بداخلة فيه الآن حصحص
الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ او ظهر من حص شعره اذا استأصله
بحيث ظهر بشرة رأسه لما سمعت مقالتهن في براءة يوسف عم اقرت باعظم مما اقررن به اذا
كانت هي اقوى سبب فيما جرى من المراودة وكن بمعزل ولا بينة اجلى من اعترافهن على انفسهن
وشهادتهن له بالبراءة والنزاهة وهي خصومة والفضل ما شهدت به الاعداء انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم من كلام يوسف عم
لما جاءه الرسول واخبره بكلامهن فحذف ما حذف لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ثم قال فماذا تامرون وهو
من كلام فرعون يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم ذلك التثبت ليعلم العزيز اني
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا
غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة
وان الله اي وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم
كقوله ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله يضاهئون
قول الذين كفروا اي في قولهم وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا من له سليقة وفيه تعريض
بامرأة العزيز في خيانتها امانة زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ
نفسي نفيا لتزكية نفسه وهضما لها واحترازا عن اعجابها بامانتها وعصمتها
واقرارا بان ذلك بتوفيق الله تعالى ورحمته وتسديده وعصمته لا منه اي وما ابرئ
نفسي من الزلل ولا ازكي ولا اشهد لها بالبراءة وهو عن نفي التبرئة والتنزيه اما
مختصة بهذه الواقعة واراده الهم المذكور الذي هو ميل النفس لا القصد الاختياري
واما عامة في جميع الاحوال ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتأكيد بعد التلويح
والمراد بالنفس الجنس اي هذا الجنس كله دائم الامر بالسوء حامل عليه لما فيه من الشهوات
باعث للقوى والجوارح عليه الا ما رحم ربي الا ما عصمه الله تعالى برحمته نصب على
الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي وعصمته او على الاستثناء المتصل

اى الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة واللام فى النفس للاستغراق حتى يصح الاستثناء منقطعا
اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف السوء كقوله ولاهم ينقذون الا رحمة وقيل هو من كلام
امراة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه اى لم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت
بالصدق فيما سالت عنه وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قرفته
وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا فهو اعتذار منها عما سلف ان ربى غفور رحيم
يغفر همّ النفوس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه
ويرحمه وقال الملك ائتونى به لما اخبر النساء بما اخبر قال ملك مصر جيئونى به
استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى لما ظهر عنده من علمه وصلاحه فلما كلمه
معطوف على محذوف تقديره فاتوا به واستنطقه اى الملك فالفاعل لكلم ضمير يوسف عم
اى فلما كلم يوسف الملك ورأى حسن منطقه بما صدق به الخبر الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين
لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه قال انك اليوم لدينا مكين اى ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شئ فقيل توفى العزيز فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه زوجته
فوجدها عذراء وولد منها افرايم وميشا قال اجعلنى على خزائن الارض اى ولنى خزائن
ارض مصر لما وصف الملك بالتمكين عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين
الوصفين انى حفيظ لها احفظ ما تستحفظنيه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة
والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل به الى امضاء احكام الله تعالى
واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء عم ولعلمه ان احدا غيره لا يصلح
لذلك ولا يقوم مقامه فيه فطلب التولية ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا وفيه دليل
على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق الا بالاستظهار به وعن مجاهد انه قد اسلم على يده عليه السلام وكذلك
ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف فى الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء
ينزل من بلادها حيث يهوى لدخول جملتها تحت ملكه وسلطانه نصيب برحمتنا من نشاء
فى الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجور احسانهم عاجلا واجلا
ولا ننقص من اجورهم فى الاخرة بسبب ما اعطيناهم من الملك والغنى شيئا ولهذا

قال

ولاجر الاخرة خير لانه الدائم الذى لا يفنى للذين آمنوا وكانوا يتقون اى وداموا على التقوى
من باب وضع الظاهر موضع المضمر تنويها بذكر الايمان والتقوى وتبيينا لمهية الاحسان واصله
بانه هو الايمان والتقوى اى العلم والعمل وايماء الى ان اجر الاخرة انما يستحق بهما وان غير المؤمن
المتقى اعنى عن الشرك لا نصيب له فى الاخرة قال سفيان بن عيينة رحمه الله المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا
والاخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق وتلى هذه الاية وفيها شهادة من الله تعالى
ليوسف عم بالاحسان هو الذى لا يضيع الله اجره وجاء اخوة يوسف اى من كنعان من ارض فلسطين
من نواحى الشام الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف عم للميرة روى انه اصاب بلاد شام وارض
كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عم بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين عنده فدخلوا
عليه فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ملتحون ورأى زيهم قريبا مما كان من قبل وهم له منكرون لانهم
فارقوه فى سن الحداثة غير ملتح ولحسبانهم انه هلك ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حاله
فارقوه عليها وتبدل لحيته وابهته ولما نابهم من التهيب والاستعظام مما يكون له الموقف ولما جهزهم
بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح
والكسر عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذى يحمل من بلد
الى اخر ومنه جهاز العروس قال ائتونى باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة يقتضى هذا الامر روى
انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قال معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبى من انبياء الله اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هنا
قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا
ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت شمعون وقال كان يوسف عم يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زايدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم
وشرط عليهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحرضهم على الاتيان باخيهم بقوله الا ترون انى
اوف الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف اى المضيفين يعنى فى قطره وفى زمانه
وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم يونسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم يأتوا به بحرمانهم
من الميرة فى المستقبل بقوله فان لم تأتونى به فلا كيل فلا طعام لكم عندى ولا تقربون يحتمل ان
يكون نهيا وان يكون نفيا مستقبلا معناه النهى وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت فى قولهم
فبم تبشرون وان يكون نفيا داخلا فى الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندى فيكون مجزوما

تلطف في استحضار بنيامين بالترغيب والترهيب **قالوا سنراود عنه اباه** سنخادعه عنه
ونحتال في انتزاعه من يده ثم اكدوا ذلك الوعد بقولهم **وانا لفاعلون** ذلك لا محالة لا نتوانى
فيه ولا نفرط او لقادرون على ذلك **وقال لفتيانه** لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيانه
على جمع الكثرة ليوافق قوله **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي
فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم
وترفعا ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به والرحل للسفر
من وعاء ومركب **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها **اذا انقلبوا**
الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع **فلما رجعوا**
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل ما نحتاج اليه من الطعام لوجود الشرط ورفع المانع وقرئ يكتل
بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يجوز ان يكون المعنى يكن سببا للاكتيال
على الاسناد المجازي لان امتناعه بسبب عدم ذهابه به فاذا ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم
فكأنه هو المكتال **وانا له لحافظون** من ان يناله مكروه **قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم**
على اخيه من قبل استفهام بمعنى النفي وهذا تقرير وتوقف وتألم من فراق بنيامين ولم يصرح
بمنعه من ارساله لما رأى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان في ابنه هذا بائتمانه اياهم
في حق يوسف عليه السلام كأنه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان يكيدوا
له كما كدتم لذلك لكنه لم يخف عليه كما خاف على يوسف عليه الصلاة والسلام واستسلم لله تعالى فقال
والله خير حافظا توكل عليه واعتمد على حفظه وكلاءته دونهم ورضي بدفعه اليهم وقرئ
حفظا وانتصابه وكذا انتصاب حافظا على التمييز وكون حافظا حالا ليس بجيد لان فيه
تقييد خيريته بهذه الحالة **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي
المصيبتين **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** اي وضعت في رحالهم
وقرئ ردت بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع **قالوا يا ابانا**
ما نبغي ما استفهامية منصوبة المحل اي شيء نطلب وراء هذا من مزيد على ذلك
اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا متاعنا او نافية اي ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك
من احسان الملك وروي ما تبغي بالتاء على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان

او الشاهد على صدقنا **هذه بضاعتنا ردت الينا** جملة استئنافية وقعت بيانا لقوله
ما نبغي **ونمير اهلنا** عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا
اذا فسر البغي بالطلب واذا فسر بالكذب والتزيد في القول جاز ان يعطف تمييز على ما نبغي ويجوز
ان يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير اهلنا كقولك سعيت في حاجة فلان ويجب علي ان اسعى له
ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب والاياب **ونزداد كيل بعير** اي وسق بعير باستصحاب
اخينا بالزيادة وسعة على اوساق اباعرنا فما نبغي وراء هذه المباغي **ذلك** اي الذي حملنا به
كيل يسير لا يكفينا فلا بد ان نرجع اليه ونضاعفه او ذلك الزائد لاخينا لا يضايقنا فيه
الملك ولا يتعاظمه او ذلك الذي بعير ويكال لنا شيء يسير نزيد عليه ما يكال لاخينا وقيل
هو من كلام يعقوب عليه السلام اي ذلك المزداد وهو حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد
كقوله ذلك ليعلم ويأباه تأخير قال عنه فانه حقه ان يتقدم عليه **قال لن ارسله معكم** البتة
بعد ما رأيت منكم ما رأيت **حتى تؤتون موثقا من الله** ما اتوثق به من عند الله يعني الحلف
بالله تعالى وانما جعله موثقا من الله لان الحلف بالله مما يؤكد به العهود وقيل اذن الله تعالى فيه فهو اذن
منه تعالى **لتأتنني به** جواب القسم لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا لي **الا ان يحاط بكم**
الا ان تهلكوا او الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به مفعول له وقوله لتأتنني به في تأويل
النفي اي لا تتركنه لعلة ما الا لعلة الاحاطة بكم لانه استثناء مفرغ من اعم العلل ولا يكون
الا في النفي كقولك اقسمت الا فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك او ظرف مستثنى من اعم الظروف
اي لا تمتنعون من الاتيان به وقتا ما الا وقت الاحاطة بكم **فلما آتوه موثقهم** عهدهم **قال الله**
على ما نقول من طلب الموثق واتيانه **وكيل** مطلع رقيب **قال** حين انفذ اخاهم معهم **يا بني لا تدخلوا**
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وصاهم بالحذر عن اصابة العين لانهم كانوا
جماعة ذوي بهجة وشارة حسنة مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف
عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في الصدور وقد عرف كونهم اخوة والعين
تتسارع تاثيرها الى مثلهم ولذلك لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين
بين الناس او كان الداعي له الى التوصية خوفه على بنيامين وتأثير العين مما لم ينكر وقد ورد
في الخبر عن خير البشر العين حق وفي خبر آخر ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وانه
عليه السلام نعوذ للحسين رضي الله تعالى عنه اعيذ بكلمات الله التامات من كل هامة ومن كل عين

لامة

وشهدت به التجربة ولاينافي ذلك ان لامؤثر الا الله تعالى لان حقيقة التأثير واصله ليس الا منه تعالى
وان ظهر على مظاهر الاشياء بحسب جرى العادة وليس هذا بمحل الامتحان والابتلاء
لانه ليس من خوارق العادة **وما اغنى عنكم من الله من شيء** مما قضى عليكم بما
اشرت به اليكم اى لا انفع ولا ادفع ان اراد الله بكم شيئا سيئا ولم يرد به الغاء الحذر
عن القاء النفس الى محل الخطر بل بيان عدم التأثير للتدبير في تغيير ما في التقدير
لانه لا يناسب شان النبي عم ان يوصى بشيء على وجه الاهتمام ببنيه الكرام ثم يبطله
ويظهر انه من خطرات الاوهام بل اراد دفع ما يخطر بالبال عند سماع مثل هذا المقال
من معارضة التقدير بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام بما مرجعه الى ان الحذر لا يغني
من القدر ومع هذا لابد للعاقل من الحذر عن مضان الضرر وكذلك امرنا به في قوله تعالى خذوا
حذركم ونهينا عن خلافه في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ان الحكم **ان الحكم الا لله**
اى ليس الفصل بين الامور على ما يقتضيه الحكمة الا لله تعالى ولما كان في توصيتهم مظنة التوكل
بالاسباب العادية تداركه بقوله **عليه توكلت** اى فوضت امرى الى الله تعالى يدبره
كيف يشاء وتقديم الصلة لتخصيص التوكل به تعالى وعليه **فليتوكل المتوكلون**
جمع بين ضرب من العطف مع تقديم الصلة واراد بالواو العطف على فعله وتخصيص التوكل بالله تعالى
في حفظهم وبالفاء التسبب لان فعل الانبياء عم سبب لان يقتدى به اى وعليه ما منهم
اذ خصصته بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم او وعليه ان توكل متوكل فليتوكل
كما عليه توكلت **ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** اى من ابواب متفرقة في البلد **ما كان يغني
عنهم من الله من شيء** اى ما كان دخولهم في البلد متفرقين على راى يعقوب عم مغنيا عنهم
من قضاء الله تعالى في حقهم شيئا **الا حاجة في نفس يعقوب قضاها** اى لكن كان اضطرابا
في قلبه ودغدغة في خاطره ازال ذلك عن نفسه بوصيته واما ما قيل من تفرقوا واخذ بنيامين
بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب عليه السلام فلا يناسب المقام
لانساق الكلام في عدم تاثير تدبيره فيما وصاه بهم وهو الاحتراز عن مظنة الضرر
من جهة اصابة العين بهم لا من جهة اخرى **وانه** اى وان يعقوب عم **لذو علم** عظيم وفي
التنكير للتعظيم توطئة لما في قوله **لما علمناه** من كمال التفخيم الحاصل من اضافة التعليم الى نفسه
تعالى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** سر ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر **ولما دخلوا**

ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل الايواء
الضم والتصيير الى موضع الراحة ومنه المأوى وهو المنزل الذي يصير اليه صاحبه للراحة فيه روى انه
اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلس
معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا منكم وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف عليه السلام وقال اليه فعانقه **وقال انى انا اخوك** يوسف **فلا تبتئس** فلا تحزن
افتعال من البؤس **بما كانوا يعملون** بما استمر به عادتهم من الجفاء في حقنا وذكرى بغير
جميل عندك معاينة لك وكانه قصد الاشارة الى انهم بصدد ان يعملوا في حقهم من اسناد
السرقة بقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولذلك اتى بصيغة المضارع وكان ذلك معلوما له
بطريق الوحى **فلما جهزهم بجهازهم** الفاء فصيحة عاطفة على محذوف تقديره ظاهر وقد مر
تفسير الجهاز **جعل السقاية** المشربة **في رحل اخيه** قد مر تفسير الرحل قيل كانت
مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم اذن
مؤذن** نادى مناد الايذان الاعلام يقول يسمع بالاذن يقال اذنه اعلمه واذن
اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه **ايتها العير** العير القافلة ومنه المثل لا في
العير ولا في النفير وهو في الاصل اسم ما امتير عليه من الابل والحمير والبغال لانها تعير
اى تتردد والقول بتخصيصه بالابل نص عليه الازهرى ثم قيل لاصحابها كالخيل في قوله
يا خيل الله اركبى **انكم لسارقون** من قبيل نسبة الفعل الى جماعة كلهم واصله لصدوره
عن واحد منهم والسرقة اخذ الشيء من حرز في خفية بغير حق قيل لم يامرهم يوسف عم بذلك
ولا علمه وانما كان ذلك من بعض خواصه بحمل السقاية في رحل اخيه على امام الله تعالى به فلما افتقدها
الموكلون بها اتهموهم بسرقتها **قالوا** اى اخوة يوسف عم **واقبلوا** جملة حالية اى وقد
اقبلوا **عليهم** اى على طالبى السقاية وفيه تنبيه على ما في قوله ثم اذن مؤذن من ايجاز الحذف
والاقبال مجيء الشيء الى جهة المقابلة بوجهه وضده الادبار **ماذا تفقدون** يحتمل ان
يكون ماذا استفهاما في موضع نصب بتفقدون ويحتمل ان يكون وحدها استفهاما
مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبر عنها وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف اى تفقدونه

وفقد الشئ طلبه عند غيبته بحيث لا يدرى اين هو قال الجوهرى فقدت الشئ افقده فقدا وتفقدته
اى طلبته عند غيبته ولما فيه من معنى الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة
لكان حقهم ان يقولوا ماذا فقدتم وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا
نفقد صواع الملك هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى جهتيه واخرا
بالثانية وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء
حمل بعير اى وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله وتمام الكلام فى هذا المقام بوعيد للمسئ
ووعد للمحسن منذ اين تلك الجماعة الا انه اختصر واكتفى بجزئه الثانى مصدرا بالواو الفصيحة
الدالة على محذوف وهو جزؤه الاول وح ينتظم الافراد فى وانا به زعيم انى كفيل اديه
الى من رده مع الجمع فى قوله قالوا نفقد قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل
تمام العمل ويرد عليه انه لا دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام بدون اللزوم فلا
حاجة الى الدليل عليه قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم والتاء بدل من الواو فى قول
اكثر النحويين وقال السهيلى انها اصل بنفسها وقد حكى عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحياتك
قالوا ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض اى فى ارضكم
وانما استشهدوا بعلمهم لانه شاهدهم بينهم بالامانة والديانة واختبارهم حالهم فى كرتى
المجئ ومداخلتهم ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم معكومة لئلا يتناول زرعا او طعاما
لاحد ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم وما كنا سارقين مرادهم نفى السرقة
على انفسهم فكان حقهم ان يقولوا وما سرقنا الا انهم ارادوا ان يضمنوا عبادتهم الدالة على ان الاقدام
على مثل هذه السرقة انما يتيسر ممن هو معتاد بها قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اى فما
جزاء سرقته على حذف المضاف ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا جزاؤه اى سرقته
من وجد فى رحله اى اخذه واسترقاقه هكذا كان الشرع يعقوب عليه السلام فهو جزاؤه
جملة اخرى لتقرير الحكم والزامه او خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية
والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر مقام الضمير تفخيما لشان الجزاء كانه قيل جزاؤه
من وجد فى رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزى الظالمين بالسرقة
وهذا كلام من لم يشك انه بريء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع
لا على سرقته فبدأ باوعيتهم اى فبدأ من قال وانا به زعيم وقد تقدم انه مقدم المتفقدين

بتفتيش اوعيتهم وقيل يوسف عم لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة فاستخرجها اى السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لان الخدمة عبروا عنها بالصواع فما دام
الكلام منقولا عن لسانهم ذكر الضمير عائدا اليه من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة
كذلك اى مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اى علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ما صح ليأخذ
اخاه بالسرقة فى دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو
تفسير للتأكيد وبيان له الا ان يشاء الله نصب على الضرب او على المفعول له اى ما كان ليأخذه
وقتا من الاوقات الا وقت مشية الله تعالى واذنه فيه او لعلة ما الا لمشية الله تعالى او الا بسبب
مشية الله تعالى نرفع درجات من نشاء فى العلم كما رفعنا درجته عم فيه وقرئ يرفع بالياء
درجات بالتنوين وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه فى العلم اراد المبالغة فى عدم انتهاء مراتب
العلم فى المخلوق ودرجاته لعدم انتهاء المعلومات وعلم الله تعالى ليس بوصف زائد على ذاته فلا
يقال له تعالى ذو علم وبما قررناه ظهر وجه العدول عن العالم الى ذو علم قالوا ان يسرق يعنون
بنيامين فقد سرق اخ له يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عم
وكانت تحضن يوسف عليه السلام وتحبه فلما شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها فشدت
المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به
فى حكمهم وبقى عندها حتى ماتت فاسرها يوسف فى نفسه الضمير لما يفهم من سياق الكلام
اى اكن كراهة ذلك القول فى نفسه والفاء للعطف على محذوف تقديره وسمع يوسف
كلامهم فأسرها وقوله ولم يبدها لهم تأكيد للسابق وبيان للمراد من اللاحق فانه
علم منه انه عم قال فى نفسه انتم شر مكانا اى شر منزلة فى سرقتكم اخاكم من ابيكم والله
اعلم بما تصفون اى يعلم ان الامر ليس كما تصفون من نسبة السرقة الينا وصيغة افعل
للمبالغة لا للتفضيل على معنى والله اعلم منكم بما تصفون اذ لا علم لهم به فان ما قالوه ناش
عن الجهل غير مطابق للواقع قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ذكروا له حال ابيهم
فى كونه شيخا كبير القدر استعطافا له عليه وكانوا قد اخبروه بانه كان له ولد قد هلك وهذا
شقيقه يستأنس به وهو احب اليه منهم فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاستعباد والاسترقاق
انا نراك من المحسنين الينا وما الانعام الا بالتمام فاتمم احسانك او من المتعودين
بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام الفعل اى نعوذ بالله معاذا

ان نأخذ من ان تأخذ فاذا اضيف الى المفعول به حذف من الا من وجدنا متاعنا عنده
اى ان نظلم فان اخذ السارق على فتواكم واجب فلئن اخذنا غيره انا اذا لظالمون فى مذهبكم
ودينكم فلم تطلبون منا ما هو ظلم عندكم كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه ان الله امرنى
يأخذ بنيامين فان خالفته فانى كنت ظالما مرتكبا خلاف الوحى عاصيا وانما قال الا من
وجدنا متاعنا عنده اجراء للكلام على مجرى ما قالوه عند بيان الجزاء واحترازا عن التصريح باسناد
السرقة الى اخيه فاذا فاختصر لفظا واظهر معنى ان نقول الا من سرق فلما استيأسوا منه
يئسوا من يوسف ع م اى من اجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة كما ذكر فى استعصم
خلصوا انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا نجوى او قوما نجيا حال او مفعول له
اى متناجيا او للتناجى بعضهم بعضا وكان تناجيهم فى تدبير امرهم والنجى قد يجيء بمعنى المناجى كالعشير
بمعنى معاشر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وقد يكون بمعنى المصدر بمعنى التناجى كالنجوى ومنه
قيل قوم نجى كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويقال لهم نجى كما يقال لهم صديق
لانه على زنة المصادر قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او رئيسهم وهو شمعون او كبيرهم
فى العقل والرأى وهو يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا
وانما جعل حلفهم بالله تعالى موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته وانما قال عليكم لما فى اخذه
من التكليف والايجاب ومن قبل اى ومن قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شأنه ولم
تحفظوا عهد ابيكم فيه وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب بالعطف على تعلموا كأنه
قيل الم تعلموا اخذ ابيكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف ولا بأس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف واما الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل اى وقع من قبل تفريطكم
فى يوسف فمردود بان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى ينقص او موصولة
اى ومن قبل هذا ما فرطتموه فى حق يوسف اى ما قدمتموه من الجناية العظيمة ومحله النصب او الرفع على
الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى الرجوع اليه او يحكم الله لى
بالتوفى او بالخروج منها او بتخليص اخى من يده من اخذه بسبب من الاسباب ولو بالمقاتلة
معهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين اعتذار عن مواعدتهم

عن مواعدتهم

عن مواعدتهم اياهم بحفظه اى ليس من شأننا حفظ الامر الغائب عنا فانا كنا ضمنا لك حفظه
مما يمكننا الحفظ عنه من الآفات فى الطريق فاما السرقة فمما لم يمكن لنا الى حفظه منا سبيل هذا
هو الظاهر من الكلام المتبادر الى الافهام المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة الى صرف
الحفظ عن معناه الى معنى العلم كما سبق الى بعض الاوهام واسئل القرية التى كنا فيها
هى مصر اى ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التى اقبلنا فيها قد مر ان العير
يطلق على القافلة وهم كانوا من كنعان جيران يعقوب ع م وقيل من صنعاء وانا لصادقون
تأكيد فى محل القسم وفى الكلام اضمار معناه فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قالوا له ما قال لهم
قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يؤخذ بسرقته لولا فتواكم فصبر جميل قد مر تفسيره عسى الله ان يأتينى بهم جميعا بيوسف واخيه والكبير
المتوقف هناك انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيره ولا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما اخبروه به وقال يا اسفا على يوسف اى يا اسفا تعال فهذا
اوانك والاسف اشد الحزن على الغائب وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يكون اجتمع له المعنيان
الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته او على نفسه ببعثه معهم وبينا سببه فى لحاق الكلام لمن تعرض لهما
وانما تأسف على يوسف ع م والحادث مصيبة اخويه لان الرزء به اشد المصائب وانكاها وهو الاخذ بمجامع
قلبه لا ينسى ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
منادى مضاف الى ياء المتكلم وابدلت الياء الفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن
فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر وعلل الابيضاض بالحزن
وانما هو من البكاء المتوالى لانه ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذى نشأ منه البكاء والحزن الهم
الغليظ على النفس من الارض الحزن بفتح الحاء اى الغليظة والظاهر انه ع م كان عمى لقوله تعالى فارتد
بصيرا وقيل هو من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل
تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد لقد بكى رسول الله ع م على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوا
من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله من كظم

البعير جرته اذا ردها في جوفه والكظم بفتح الظاء مجرى النفس قالوا تالله جواب القسم
تفتؤا حذفت منه لا وحذفها جائز لانها لا يلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا بجواب القسم لقيل
لتفتأن لانه لابد في الاثبات من اللام والنون فقرينة النفي خلوه عن علامة الاثبات
والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر خبر تفتؤا اي لا تزال تذكر تفجعا عليه حتى تكون
حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر
ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ
وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين الهلاك ذهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب له
اين هو فالميت هالك بهذا المعنى ويطلق على الولد الشيء وهو المراد ههنا ولهذا اخر فانه
لو اريد المعنى الاول لكان حقه التقديم قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يقدر
صاحبه ان يكتمه فيبثه اي ينشره وحزني الى الله اي لا اشكو الى احد منكم او لا من غيركم
انما اشكو الى الله تعالى ملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهو معنى توليه عنهم الى الله تعالى واعلم من الله
اي اعلم من لطفه ورحمته انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب او اعلم من جهة الله تعالى بالوحي
ما لا تعلمون من حيوة يوسف ع م قيل انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله وهو حي فاطلبه وقيل علم من منام يوسف انه لا يموت حتى يسجد له ابوه
واخوته يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس
الاستقصاء والطلب بالحواس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب ومنه الجاسوس امرهم بطلب
يوسف عليه السلام بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره ولا تيأسوا من روح الله
ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي به العباد انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمة الله تعالى
في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف عليه السلام بعدما رجعوا الى مصر رجعة
ثانية قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته
والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك
فاوف لنا الكيل الذي نتسومه ايفاء الكيل بعدما قدموا باعث الشفقة وموجب الرحمة
وكذلك صدروه باداة التضرع وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة

اوزدنا

او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة تمسكا وتواضعا له فلا دلالة
فيه على عدم اختصاص حرمة الصدقة لنبينا ع م نزلوا انفسهم منزلة كأنهم قالوا ان لم تستوجب
معاملة البيع والشراء فقد استوجبنا بذل العطا وعلى الله تعالى المكافات والجزاء ان الله يجزي
المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله ع م في القصر هذه صدقة تصدق
الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه سؤال عن الملزوم وارادة اللازم اي هل تبتم عن ذلك ورجعتم الى الله تعالى فهو شفقة
عليهم وتنصح لهم في الدين كما هو عادة الانبياء عليهم السلام لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله
تعالى على حق نفسه ولذلك قال لا تثريب عليكم اليوم فلا يناسب تقدير القبح على ان يكون المعنى هل علمتم
قبح ما فعلتم لانه لا يخلو عن نوع توبيخ وتثريب والمراد من فعلهم باخيه افرادهم اياه عنه واذلاله
حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته فلذلك اقدمتم عليه وانما قال
ذلك اعتذارا من جانبهم واظهارا الشفقة في حقهم حتى يؤثر تنصيحه لهم وتحريضه اياهم على التوبة وقيل
اعطوه كتاب يعقوب ع م في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لا لانهم كانوا صبيانا لانه لا يطابق الواقع وينافي ما تقدم من قولهم
ونحن عصبة بل فعلهم فعل الجهال قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان
واللام يدل عليه قراءة انك على الايجاب وهذا كلام متعجب مستغرب لما سمع فهو تكرير الاستثبات
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج من رأسه
فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب ع م مثلها قال انا يوسف
انما قال وهذا اخي حين سألوه عن نفسه بيانا لما سألوه عنه اي هذا اخي من ابي وامي تفخيما له
وادخالا في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة والاجتماع بعد الفرقة والانس بعد
الوحشة ثم ذكر ان سببه من الله تعالى هو التقوى والصبر فقال على طريقة الاستيناف التعليلي
انه من يتق الله في اموره ويصبر على بلواه او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وضع المحسنين موضع هم للتنبيه على ان المتقي الصابر هو المحسن والتسجيل
عليهم بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل
الاحسان وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا متعمدين للاثم فلذلك اعزك بالملك واذلنا
بالتمكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش

ومعناه ازالة التثريب كما ان التجليد ازالة الجلد فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب بماء الوجه وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر اي لا تثريب
مستقر عليكم اليوم ولا يجوز تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله ولا يجوز
ذلك لان معمول المصدر من تمامه والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام ثم
دعا لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق الظرف بيغفر اي ابشركم بغفران الله تعالى
عاجلا لما تجدد اليوم من توبتكم وندمكم على خطيئتكم ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله تعالى بالصفة
التي هو سبب الغفران بقوله وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغاير والكباير ويتفضل على التائب
ويرجى منه قبول دعائه لهم بالمغفرة ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا
بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون
الي بالعين الاولى يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت
في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه
قيل هو القميص المتوارث امره جبرائيل عم ان ارسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى
ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما
اي صار محكما ودليله فارتد بصيرا او ياتي الي وهو بصير وينصره واتوني باهلكم اجمعين
اي بالحرم والاهل اجمعين ولا حاجة الى التغليب على ان يكون واتوني اي وانتم لان اباهم لما كان شيخا
كبيرا عاجزا عن الكسب كانوا داخلين في اهلهم ولما فصلت العير يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا
انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشيء فصلا فرقه وهو متعد والمعنى انفصلت العير
من عريش مصر ومن يخل عن التفصيل المذكور قال فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله صار
كاللازم قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ما عبق بقميصه من ريح
يوسف عم حين اقبل به يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو
نقصان عقل كامل يحدث من الهرم يقال شيخ مفند اي قد فسد رايه ولا يقال عجوز مفندة لان
المرأة لم يكن لها قط راي اصيل فيدخله التفنيد وجواب لولا محذوف اي لولا نسبتكم اياي الى الخرف
لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم الذي ذهب بك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف
واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير وهو يهودا روي انه قال كما احزنته بحمل
قميصه الملطخ بالدم اليه افرحه بحمل هذا اليه القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه يعقوب عم

او طرح يعقوب عم نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني
اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف عم وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا
من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي اخره الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفا عنهم لان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام
يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرائيل عم وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعد ذلك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم وانما
قيل اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة فيأباه سوف لانها ابلغ في التنفيس من السين
وعلى ما ذكره حق العبارة ان يكون بالسين ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور
يغفر المعاصي الرحيم يرحم العصاة اذا ما استغفروا فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف عليه الصلاة الى ابيه
اموالا ليتجهزوا اليه بمن معه واستقبله يوسف عم والملك واهل مصر باجمعهم وكان اولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها
منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب عليه السلام
تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحيوة وعلى هذا لا حاجة الى
التأويل وقال ادخلوا مصر والدخول الاول كان في موضع خارج البلد كان ضرب لهم مضرب او بيت
حين استقبلهم في الطريق فدخلوا فيه ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة
بالدخول المكيف بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم ورفع ابويه على العرش اي رفعهما على
على السرير وخصهما بالذكر تكرمة لهما دون اخوته وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود
كان عندهم يجري مجراها والواو لابويه ولاخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان تقدم لفظا للاهتمام
بتعظيمه لهما والواو لا يفيد الترتيب وقيل الضمير لله وابواهما قوله وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل انها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا اذ لا مطابقة ح بين الرؤيا والواقع وقد
احسن بي جمله على لطف حمل النظير على النظير فعداه بالباء والا فاصل احسن ان يتعدى بالى او باللام
وانما التضمين فلا يناسب المقام لان احدهما يغني عن الاخر فلا فائدة في الجمع بينهما اذ اخرجني من السجن
لم يذكر الجب اكتفاء بدلالة النزع الاتي ذكره عليه لا صفحا عن ذكر ما تعلق بفعل اخوته لئلا يكون
تثريبا عليهم لانه على تقدير ان يكون خطابه عم لابيه بمسمع منهم ولا دلالة في الكلام عليه وجاء

وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل عمد نقلهم من البدو ونعمة اخرى
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اى اصلح
حالكم من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اى افسد بيننا واغرى نزغ بمعنى نخس من نخس
الرايض الدابة وحمله على الجرى وانما ذكر هذا القدر من امر اخوته لان النعمة اذا جاءت اثر بلاء وشدة
كانت احسن موقعا وليت شعرى من قال لعدم ذكر الجب للاحتراز عن التثريب عليهم ما يقول في ذكر الفساد
الواقع بينه وبينهم والجناية قال في تفسير قوله ما فعلتم بيوسف قبح ما فعلتم به والتثريب فيه اظهر منه
في ذكر الجب ان ربي لطيف لما يشاء من الامور ما من صعب الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل
بلطف تدبيره انه هو العليم بوجوه المصالح والتدبير الحكيم الذى يفعل كل شىء يقتضيه الحكمة
رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر ومن قال او بعض ملك مصر فكانه غفل عن ذكر
قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء وعلمتني من تاويل الاحاديث
بعض تاويلها لانه عليه السلام لم يؤت تاويل جميع الكتب والرؤيا فاطر السموات والارض
مبدعهما وانتصابه على الصفة او على النداء انت ولي ناصرى او مولى امرى في الدنيا والآخرة
او الذى تتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما لما عدد نعم الله تعالى تشوق الى المفارقة ولحاقه بصالحي
سلفه وراى ان الدنيا كلها فانية فتمنى الموت وقيل لما راى امره على الكمال علم انه على الزوال
فسال سعادة الانتقال وليس فيه سؤال التوفي في الحال بل سؤال الختم على الاسلام متى كان
فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا ولقد توارثت الفراعنة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت
ايديهم على بقايا دين يوسف عليه السلام الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام والحقني بالصالحين
من آبائي او على العموم وفيه اشكال وهو ان الصلاح اول درجات المؤمنين ويوسف عم من اكابر
الانبياء عليهم السلام فكيف يليق به ان يطلب البداية وحله ان النفوس المفارقة اذا اشرقت
بالانوار الالهية وكانت متناسبة انعكس النور من كل واحدة الى الاخرى كالمرايا الصيقلة
اذا اجتمعت انعكست الصورة من كل واحدة الى الاخرى وح يقوى الضوء ويكمل السعادة ومن
لم يتنبه لهذا قال في الرتبة والكرامة قيل المراد منها عند ذكرها على الاطلاق الانبياء عليهم السلام
لكمال حالهم واستجماع خلال الخير فيهم ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول
عليه السلام وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وان جعلنا اسم الاشارة
بمعنى الموصول فمن انباء الغيب صلته والخبر نوحيه اى الذى من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت

لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك
لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب وهم يمكرون به ويبغون
له الغوائل وبابيه ليرسله معهم جملة حالية وتفصيل ذلك انا ضيا دهم عن هذه القصة لا يكون
الا عن مشاهدة او نقل او وحى ولم يخف على احد من المكذبين انه عم لم يكن من حملة هذا الخبر
ولا امثاله من قومه فاستغنى عن ذكره لظهوره فكان الشك في انتفاء المشاهدة اوقع من الشك
في انه لم يسمعها من احد ولذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا فاذا انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحى ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما اكثر الناس قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اهل مكة ولو حرصت وتهالكت
على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم
عليه اى على ما تحدثهم به من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ونقلة الآثار ان هو الا ذكر
عظة من الله تعالى للعالمين عامة وكاين وكاى عدد شئت من آية دالة على وجود الصانع
وتوحيده وكمال قدرته وحكمته في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها
والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والدلائل وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها فلا غرو ان يعرضوا عن الآيات التي تاتيهم بها وقرئ الارض بالرفع على انه
مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ما يطئون الارض وقرئ والارض
يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون مشاهدها لكثرة وآثارها من المهالك في اقطارها
وما يؤمن اكثرهم بالله من اقرارهم بوجوده وخالقيته للكل الا وهم مشركون بعبادة
غيره من الاوثان او باتخاذ الاحبار اربابا او القول باتخاذه للولد او القول بالنور
والظلمة وامثال ذلك جملة حالية اى ايمانهم ملتبس بالشرك وعن ابن عباس رضي هم الذين
شبهوا الله تعالى بخلقه افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله تعالى عقوبة تغشاهم وتشملهم
او تاتيهم الساعة اى يوم القيمة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها
غير مستعدين لها تاكيد لقوله بغتة قل هذه سبيلي اى هذه السبيل التي هي الدعوة
الى دار الايمان والتوحيد سبيلي ادعو الى الله على بصيرة اى ادعو الى دينه في حال كوني على
حجة واضحة غير عمياء حال من الياء في سبيلي والعامل معنى الاشارة في هذه او بيان وتفسير
لسبيله وعلى بصيرة حال عن المستكن في ادعو وانا تاكيد له ومن اتبعني عطف عليه اى ادعوا

استفهام انكار وتوبيخ ومعنى الفاء للتعقيب
والتنبيه والفاء للترتيب على ما تقدم
وهو متقدم في الاعتبار اكح

اتبعني

الى الله انا ويدعوا اليه من اتبعني او مرفوع بما في الظرف من معنى الفعل على الفاعلية اي كاينا
او ثابتا على بصيرة انا ومن اتبعني او مبتدأ خبره على بصيرة والجملة ابتداء اخبار بانه ومن
تبعه على حجة وبرهان لا على هوى كغيرهم وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء وما
انا من المشركين فيه تعريض بانهم المشركون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لقولهم لو شاء
ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رض معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم
مما اوحي اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرئ نوحي بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم
من اهل البدو فان فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولا دلالة في قوله وجاء بكم من البدو على
ان يعقوب ع م من اهل البدو وانما دلالته على انه عم كان في البدو وساكنا لمصلحة
مواشيه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فينقلوا
عن حبها ولدار الآخرة اي دار الساعة والحيوة او الحالة الآخرة خير للذين اتقوا
الشرك والمعاصي حض على العمل للدار الآخرة والاستعداد لها افلا يعقلون يستعملون
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرئ بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي او قل لهم افلا تعقلون
حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
لا ملك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر
او عن ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم
او كذبهم قومهم بوعد الايمان اي لا يغرنك قريشا تمادي ايامهم فان الرسل قبلك قد تطاول
عليهم مدة التكذيب وعداوة الكفار وانتظار النصر حتى استشعروا القنوط
وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا وعن ابن عباس رض وظنوا حين ضعفوا وغلبوا
انهم قد اخلفوا ما وعدهم من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله وقد رواه البخاري في صحيحه فقيل في تصحيحه
ما يجيء في القلب على سبيل الوسوسة وحديث النفس بحكم البشرية لا الظن بمعنى الاعتقاد
الراجح فانه غير جائز على آحاد المسلمين فكيف بالرسل ويجوز ان يراد به المبالغة في التراخي
والامهال على سبيل التمثيل وقيل فظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا وقيل
الضمائر للمرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبهم الرسل في انهم ينصرون عليهم

وقرئ بالتشديد اي وظن الرسل اي كذبهم الرسل في انهم ينصرون عليهم وقرئ كذبوا بالتخفيف
على البناء للفاعل اي وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما اوعدوا به قومهم من النصرة عليهم اما على
تأويل ابن عباس رض واما على انهم كذبوا عند قومهم لانهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا
ان الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا بغتة فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فننجي
بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وقرئ فنجا من نشاء الرسل والمؤمنين وانما ابهم
تعظيما لهم وتنبيها على انهم الذين علم كل احد انهم هم الذين يستاهلون ان يشاء الله تعالى
نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
اذ انا بان العذاب مخصوص بالمجرمين لازم لهم فيلزم نجاة اضدادهم من الرسل
واتباعهم ومفعول نشاء محذوف فتقديره يشاء تنجيته لقد كان في قصصهم
قصص الانبياء عليهم السلام واممهم او في قصص يوسف عليه السلام
واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف
والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى الضمير للقرآن لقوله ولكن
تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وانتصب تصديق على انه
خبر كان المحذوفة وانما جعله نفس التصديق مبالغة في كونه مصدقا
لما بين يديه وتفصيل كل شيء عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة
والتعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقوله وفتحنا عليهم ابواب
كل شيء ومن لم يتنبه لهذا احتاج الى تخصيص الشيء بالذي يتعلق بالدين
ثم تكلف في بيانه فقال اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط
او بغير وسط ولم يدر ان عبارة التفصيل لا تحتمل هذا التأويل وهدى
من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين وقرئ تصديق وتفصيل وهدى
ورحمة كلها بالرفع اي ولكن هو تصديق ولكن على هذه القراءة لعطف الجملة
لقوم يؤمنون يصدقونه خصهم بذلك لانهم هم الذين ينتفعون به
كما قال هدى للمتقين

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الرعد مختلف فيها

المر قد مر في تفسير ما اقاويل وقيل معناه انا الله اعلم واري تلك اشارة الي آيات السورة وفيها
تعظيم لها آيات الكتاب اللام للعهد والمراد به السورة اي تلك الآيات العظام آيات
السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك يعني القرآن كله ومحله الرفع
علي الابتداء وخبره الحق اي هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي ايقاع
الموصول مسندا اليه تفخيم المنزل وفي تعريف الحق انه هو الذي اذا تحققت الحق وماهيته
فهو لا غير والمراد الاخبار عنه بكمال حقيته حيث ثبت علي مر الدهور ولم يتطرق له التحريف
والتغيير او ثبت تلاوته وحكمه بخلاف سائر الكتب الالهية والجملة الثانية كالحجة علي الجملة
الاولي وطريقها طريقة الاعاربة في الحلة من بني عبس هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين
طرفاها اي كما انها نعتت التفاضل آخرا باثبات الكمال لكل واحد دلالة علي ان كمال كل
لا يحيط به الوصف وهو اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك لما اثبت لهذه السورة خصوصا
الكمال استدرك بان كل المنزل كذلك لا يختص به سورة دون اخري للدلالة المذكورة فلا دلالة
فيه علي ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة الي تعميم للمنزل ضمنا بل لا وجه له بعد التقرير
بان المراد منه القرآن كله علي انه لا يجري نفعا في دفع النقض بحقية ما نزل الي سائر الانبياء
ودرجه في الذي انزل اليه عليه السلام ضمنا باعتبار انه نطق بحسن اتباعه مالا
يخفي من التعسف وهو بعد التسليم والتي يؤدي الي ان يكون ترك قوله اليك خيرا من ذكره
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بانه منزل من الله تعالى لاعراضهم عن النظر فيه او اخلالهم
بحق التأمل في وجوه اعجازه الله الذي مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر
الامر رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا كما يكون موضوعة فرفعها بغير عمد جمع عماد كاهاب
واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل والعمود السارية واصله منع الميل ومنه الا
عتماد والاسطوانة غير مرادف له ترونها استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات
كذلك وقيل هي صفة لعمد وفيه ايهام ان يكون لها عمد غير مرئية ومقتضي المقام نفي
العماد اصلا وذكره بصيغة الجمع للتعدد في السماء وقرئ ترونه اي ترون رفعها بغير
عمد والاول اولي لان قوله وهو الذي مد الارض عطف عليه علي سبيل التقابل بين العلويات
والسفليات وفي المقابل تعين الخبرية فكذلك فيه ليتوافقا ولدلالته علي ان كونه
كذلك هو المقصود بالحكم لانه ذريعة الي تحقيق الخبر وتعظيمه كما هو مقتضي الوجه الآخر
قيل وهو دليل علي وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها علي سائر الاجسام المساوية لها

في حقيقة الجسمية الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني
يرجح بعض الممكنات علي بعض بارادته وعلي هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ولا يخفى ان مبني تلك
الدلالة علي ثبوت المساواة المذكورة ولا دليل عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم
استوي علي العرش بالحفظ والتدبير ولفظة ثم مستعارة للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر
اي ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما علي سنن واحد لمنافع عباده و
مصالح بلاده لما يوجد بهما من الآثار في الحبوب والثمار كل يجري لاجل مسمي اي كل منهما
يجري لمدة معينة يتم فيها دوره فالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة لا يختلف جري واحد
منهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال والشمس والقمر بحسبان
اي بحساب معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصالح البلاد
بخلاف ما قيل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير ثم ان غايتهما المذكورة متحدة
والتعبير بكل يجري صريح في التعدد والغاية الي دون اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته و
ربوبيته في الايجاد والتصريف نحو المراد يفصل الآيات اي يأتي بالآيات الدالة علي القدرة و
التدبير مفصلة للتمكن من تدبر كل آية علي حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون فان من تدبر
الآيات وتفكر فيها ايقن ان من قدر علي خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر علي الاعادة و
الجزاء فلا بد من الرجوع اليه بمقتضي وعده والجملتان اما حالان من الضمير في قوله ثم استوي
علي العرش وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمي من تتمته لانه تقرير لمعني الاستواء
وتبيين له واما مفسرتان له وفي تعقيب الاوائل بهما للايقان والثواني بقوله ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون من فضل السوابق لافادتها اليقين واللواحق ذرايع الي حصوله لان الفكر آلته
والاشارة الي تقدم الثواني بالنسبة الي الناسج المتأخر رتبة وكل ذلك فايت علي تقدير جعل
الموصوف وصفا لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي
مد الارض اي بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولما كان
مظنة ان يقال لولا فيها من الجبال لكان النبات فيها ايسر ومواضع التقلب اكثر دفعه
ببيان الفائدة في خلقها بقوله وجعل فيها رواسي من الرسو وهو ثبات الجسم الثقيل وقرار
ومنه ارسي السفينة والمرسي كانت الارض مضطربة فثقلها الله تعالى بالجبال احجارا
فزال اضطرابها ولما غلب علي الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف
فجمع جمع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل كذا قيل والتحقيق ان فاعلا يجمع علي فواعل

الثاني ابو حيان

اذا كان لغير الآدميين على ما نص عليه الجوهري حيث قال ان فواعل جمع فاعلة نحو ضاربة وضوارب
او جمع فاعل اذا كان صفة للمؤنث مثل حايض وحوايض او كان لغير الآدميين مثل جمل بازل
وجمال بوازل وحايط وحوايط فاما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك ونواكس
وبهذا التفصيل تبين فساد ما قيل رواسي جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل
او للمبالغة **وانهارا** الانهار المجاري الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي ضمها الى
الجبال وتعليق الفعل الواحد بهما ايماء الى ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا اكثر قران ذكرها
لذكرها في القران **ومن كل الثمرات** متعلق بجعل في قوله **جعل فيها زوجين اثنين** ان الزوجين
قد يكون اسما للشفع وقد يكون اسما للفرد المقارن لشبهه فاتبعه اثنين ليعلم انه لم يرد به الشفع
اي جعل من انواع الثمرات فيها صنفين متقابلين كالابيض والاسود والحلو والحامض
والكبير والصغير واما ما قيل خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم
تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ففيه انه دعوي بلا دليل مع ان الظاهر خلافه فان النوع
الناطق المحتاج الى الزوجين خلق ذكره اولا فكيف في الثمرات ونكون واحد من كل اولا
كاف في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة حتى يلزم ان يوجد في الارض صنفين من انواع
الثمرات التي في حيز الامكان **يغشي الليل النهار** استعارة تبعية فانه شبه اخفاء
نور الجو وستره بالظلمة بالتغشية اي يغطي الليل النهار فيذهب ضوءه ويغشي النهار الليل
فيذهب ظلمته فهو مختصر في الذكر مراد في المعنى بدلالة نظايره **ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون** فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود قادر مختار **وفي
الارض** عدل عن الضمير الى الظاهر لان المبادر منه الظرفية كما في قوله جعل فيها والمراد ان يكون
في نفسها كون الجزء في الكل **قطع** وفي بعض المصاحف قطعا على وجعل وح يكون الاحتياج
الى وجه العدول اظهر **متجاورات** بقاع مختلفة مع كونها متجاورة مثلا صفة طيبة
الى سبخة وكريمة الى رخوة ورخوة الى صلبة بعضها يصلح للزرع والضرع دون الشجر و
الثمر وبعضها بالعكس وذلك من الدلايل الناطقة بانه القادر على ما يشاء من تخصيص
كل واحدة بخاصية تضاد ما للاخرى مع اتحادها في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض
لها بتوسط ما يحدث من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وكذا الكروم والزروع والنخيل النابتة في قطعة واحدة من
تلك القطاع مختلفة الاجناس والانواع متفاوتة الثمرات في الوانها واشكالها و
طعومها وروايحها متفاضلة فيها وهي يسقى بماء واحد في ارض واحدة **وجنات**

من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في
اصله والفصل به بين نوعي جنس واحد وهو من جنس آخر لما فيه من الفضل حيث كان
به قوام المعاش وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات وقرئ جنات بالنصب عطفا
على زوجين وبالجر عطفا على كل الثمرات **صنوان** جمع صنو وهي نخلة ذات ساقين تفرعا
من اصل واحد **وغير صنوان** ومتفرقات مختلفة الاصول وقرئ بالضم كقنوان في
جمع قنو **تسقى بماء واحد** وقرئ يسقى بالياء على تاويل ما ذكر اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة
ونفضل بعضها على بعض في الاكل قرئ بضم الكاف وسكونها وقرئ نفضل بالنون والياء
على البنائين جميعا والبناء للفاعل ليطابق ليدبر وانما خص التفضيل في الاكل بالذكر مع
وجود وجوه التفاضل في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات **ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم للتفكر وفيه اشعار بان العاقل اذا لم يستعمل
عقله لما خلق له فكانه لا يعقل **وان تعجب** يا محمد او يا ايها السامع الموحد من قولهم في
قولهم في انكارهم للبعث **فعجب** حقيق بان يتعجب منه **قولهم** وتقديم الخبر للتخصيص اي
ما قولهم الا عجب لا اعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد من الفطر العجيبة كان على
الاعادة اهون من الابداء وايسر فانكارهم اعجوبة من اعجب الاعاجيب **ائذا متنا و
كنا ترابا** في محل الرفع بدلا من قولهم او في محل النصب بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله
ائنا لفي خلق جديد اي لفي صدد ذلك بعد ما كنا ترابا وهذا المعنى في الانكار **اولئك المنكرون
الذين كفروا بربهم** هم المتمادون في الكفر بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث **واولئك
الاغلال في اعناقهم** اي المصرون الذين لا يكفهم النظر والاستبصار ورفع الرؤس الى
ما دعوا اليه وعلى الاعناق تمثيل كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ويجوز ان يكون وعيدا
كما بعده **واولئك اصحاب النار** في تكرير اولئك تعظيم لانكارهم وتاكيد في تعنيفهم وبيان
لاستيجابهم العذاب الابدي لذلك اي انهم اذا انكروا ما ثبت بهذه الدلايل الدالة على قدرة
المبدي على الاعادة دلالتها على الابداء بل اقوى فانهم انكارهم واشد اصرارهم وما احقهم
بالخلود في النار **هم فيها خالدون** لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار فان
عبارته وان كانت مخصوصة بصنف منهم وهم المنكرون للبعث لكن دلالته تعم ساير الاو صاف
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا
به في عذاب الدنيا استهزاء وانكارا **وقد خلت من قبلهم المثلات** عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها بهم والمثلة بوزن السمرة العقوبة

لانها مثل المعاقب عليه وقرئ المثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وهي العقوبة المستأصلة
لقطع الانف والاذن ونحوهما **وان ربك لذو مغفرة للناس** اللام للعهد والمعهود هم المستعجلون
المذكورون والمراد من المغفرة الستر والامهال **على ظلمهم** في محل النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة اي ظالمين انفسهم اي ظالمين فانه على ابلغ من مع **وان ربك لشديد العقاب**
للظالمين فلا يهمل فلا دلالة في الآية على جواز العفو قبل التوبة لان مبناها على حمل المغفرة على
التوبة وهو غير مسلم عند المخالف **ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه**
لعنادهم وعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة على رسول الله صلعم ومكابرتهم مقترحين
مثل آيات موسى وعيسى عم **انما انت منذر** مرسل للانذار والتخويف من سوء
العاقبة كغيرك من الرسل لا للاتيان بما اقترحوا عليك وما عليك الا اتيان ما يصح
به نبوتك من الآيات والآيات كلها سواء في ذلك **ولكل قوم هاد** نبي مخصوص بمعجزات
من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق بوجه من الهداية التي تخصهم او قادر على
هدايتهم وهو الله تع اي ما عليك الا الانذار فلا يهمك عنادهم وانكارهم للآيات
المنزلة عليك فليس اليك هدايتهم ولست بقادر عليها انما القادر على ذلك هو الله تع لكنه
لا يهدي الا من يشاء من عباده بما يشاء من آياته ثم عقبه بما دل على كمال علمه وقدرته
وتقديره للاشياء على مقتضى حكمته تنبيها على انه عالم باحوال الانبياء عليهم السلام والامم
قادر على انزال مقترحاتهم ولكن الامر مقدر عنده على ما يجب ان يكون عليه من حكمته من
تخصيص كل نبي بما خص به من الآيات واما ما قيل او عالم بهم قادر على هدايتهم لكنه لم يهدهم
لسبق قضائه عليهم بالكفر فمرجعه الى تصحيح مبني مذهب الجبرية **الله يعلم ما تحمل كل انثى**
اما استيناف لبيان سبب الامتناع من انزال ما اقترحوا واما جملتان الاولى تفسير لهاد
اي هو الله والثانية ابتداء كلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره ويجوز ان يكون جملة قوله
الله يعلم معترضة ويكون من باب اقامة الظاهر مقام المضمر كانه قيل هو يعلم اي ذلك
الهادي ما تحمله كل انثى او حملها انه على اي حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة **وما تغيض
الارحام وما تزداد** وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلا لازمين يتعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز
فانهما لله تع او لما فيها **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر وحد من جهة الكم والكيف والزمان
لا يجاوزه ولا ينقص عنه والمراد من العندية الحضور العلمي اي هو عالم بكمية كل شيء وكيفيته

ووقت

ووقت حدوثه فهي لا اسبابا مسوقة اليه يقتضي ذلك وهذه الجملة مقررة لما تقدم وليس في الاتصال
كالتي بعدها ولذلك وصل هذه له وفصل هي عما قبلها **عالم الغيب** الغائب عن الحس **والشهادة**
الحاضر له **الكبير** العظيم الشان والسلطان **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته فلا يخرج شيء عن
حكمه كما لا يعزب عن علمه **سواء منكم من اسر القول** اي اخفاه في نفسه **ومن جهر به**
اظهره لغيره **ومن هو** اي وسواء من هو **مستخف بالليل** طالب للخفاء في مختبأ من الليل
وسارب بالنهار بارز به كل راء من سرب سربا اذا برز عطف على من او على مستخف ومن
في معنى الاثنين كما في قول الفرزدق تكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار والنكتة في زيادة هو في الاول انه الدال على كمال العلم
فناسب زيادة تحقيق وهو النكتة ايضا في تقديم اسر واعماله في صريح القول على جهر واعماله
في ضميره وفي حذف الموصوف من سارب على الوجه الاول **له** لمن اسر او جهر واستخفى او
سرب **معقبات** ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء
على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا على الدوام او لانهم يعقبون ما يفعل ويتكلم به فيكتبونه
والتاء للمبالغة او لانها جماعات ومن وهم ان اصله معتقبات ادغمت التاء في القاف
كقوله وجاء المعذرون اي المعتذرون فقد وهم لما نص عليه التصريفيون من ان التاء
لا تدغم في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمتين ولا من كلمة ثم ان المعذرون لا يتعين
ان يكون اصله المعتذرون وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من
حذف احدى القافين في التكسير **من بين يديه ومن خلفه** من جوانبه **يحفظونه من
امر الله** اي من الآفات التي لا يمكن دفعها باسباب عادية والانسان ليس في وسعه
التحرز عنها فالله تع بلطفه عين له حفظة يحفظونه من هذا النوع من الآفات قال النبي عم
وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو
وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وانما خص هذا النوع من الآفات
بالاضافة الى امر الله تع وان كان كلها بامره تع لعدم ظهور اسبابها العادية منه هذا ما
عندي والذي ذكره القوم انه صفة لمعقبات يحفظونه اي له معقبات ثابتة من امر الله
يحفظونه او متعلق بيحفظونه اي يحفظونه من اجل امر الله يعني من اجل ان الله تع امرهم
بحفظه ولا يدل عليه قراءة بامر الله لجواز تعلقه بالتابع اي معقبات بامر الله او
يحفظونه من بأس الله اذا اذنب بالاستغفار له او الاستمهال عسى ان يتوب وقيل المراد
من المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله او على التهكم به

إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة الى البلاء والنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الصلاح والطاعة
الى الفساد والمعصية وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء او يدفعه بالعنف او باللطف أي
لا رافع ولا دافع ولا شافع فلا نافع اصلا واما الدلالة على ان خلاف مراد الله تعالى محال فالآية
ساكتة عنها هو الذي يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا في نفعه اذ لمع البرق يخاف الصواعق
ويطمع في الغيث كما قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق
او يخاف عنده المطر من له فيه ضرر فان الغيث لا يخلو عن العبث ويطمع فيه من له نفع فيه وانتصابهما
على الحالية من المخاطبين اي يريكم خائفين طامعين او من البرق كأنه في نفسه من شدة ما
يخاف ويطمع فيه عين الخوف والطمع او ذا خوف وذا طمع او مفعول لهما على ان المخاطبين رائين
لان اراءتهم متضمن لرؤيتهم والخوف والطمع من افعالهم من حيث انهم فاعلوا الفعل المعلل
الذي هو الرؤية فيرجع المعنى الى معنى قعدت عن الحرب جبنا فيكونان مفعولا لهما او على
تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع بمعنى اخافة واطماعا وينشئ السحاب الغيم
المنسحب في الهواء الثقال جمع ثقيلة وانما وصف به لانه اسم للجنس في معنى الجمع ويسبح الرعد
عن ابن عباس رض سئل النبي عم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب بحمده ملتبسا به ويجوز ان يكون اسناد التسبيح والحمد الى الرعد مجازا
من باب الاسناد الى سبب فاعلية الفاعل اي يسبحوا سامعوا الرعد باعثا لتسبيحهم وتحميدهم
فكأنه سبح وحمد وهذا الوجه اولى لان الرعد في المتعارف يقع على الصوت المخصوص وهو
الذي يقترن بالذكر مع البرق والسحاب والكلام في اراءة الآيات الدالة على القدرة الباهرة
في ايجادها وتسبيح ملك الرعد لا يلائم ذلك اما حمل الصوت المخصوص لسامعين على التسبيح
والحمد فتدبر بالملائمة واذا حمل على الاسناد حقيقة فالوجه ان يكون اعتراضا دالا على
اعتراف الملك الموكل بالسحاب وسائر الملائكة بكمال قدرته تعالى وجحود الانسان ذلك والملائكة
اي ويسبح الملائكة من خيفته اي من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء اصابته فيهلكه وهم يجادلون في الله اي والذين كفروا وكذبوا رسول
الله صلعم يجادلون فيما وصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية والاعادة
والجزاء بعد شهادتهم الآيات المذكورة بقولهم من يحيي العظام وهي رميم واتخاذهم الانداد
ونسبتهم الولد اليه فالواو لعطف الجملة على الجملة والمعطوف عليه قوله ويقول الذين كفروا
المعطوف على ويستعجلونك والعدول من التعلية الى الاسمية وطرح رعاية التناسب للدلالة

على انهم ما ازدادوا بعد الآيات الا عنادا فزادتهم رجسا الى رجسهم ويجوز ان يعطف على قوله هو
الذي يريكم على معنى هو الذي يريكم هذه الآيات الكوامل الدالة على القدرة والرحمة وانتم تجادلون
فيه وهذا اقرب مأخذا والاول املأ بالفائدة وقيل للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم
وهو التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل ووجه هذا ان اربد اخا لبيد العامري وفد على رسول
الله صلعم مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه رسول الله عم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد
بالصاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال قوي المكر باعدائه يأتيهم بالهلاك من حيث
لا يحتسبون المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف له استعمال
الحيلة واجتهد فيه وقرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول
من ذئب اي اشد حيلة منه وجاز ان يكون شديد المحال على هذه القراءة مثلا في القوة والقدرة
كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان المحال جمع المحالة وهي الفقارة فيكون معناه شديد
الفقار والحيوان اذا اشتد فقاره كان منعوتا بشدة القوة له دعوة الحق الدعاء الحق فانه
الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب
ويؤيده ما بعده والحق على وجهين ما يقابل الباطل واضافة الدعوة اليه للملابسة بينهما او على
تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء الله دعوة الحق والجملة على الوجه الاول وعيد
للكفرة على مجادلتهم الرسول عم بحلول محالهم وتهديدهم باجابة دعوته عم عليهم او بيان ان
دعوته عم الى التوحيد حق وعلى قصة اربد ونزول الآية فيهما فمعناهما ان اصابته بالصاعقة
واصابة صاحبه بالغدة محال من الله تعالى ومكر بهما من حيث لا يشعر اوان دعوة رسول الله صلى
بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت دعوة الحق اوان دعوتهم لآلهتهم ضلال باطل لتخصيص دعوة
الحق به والذين يدعون من دونه اي والآلهة الذين يدعوهم من دون الله تعالى لا يستجيبون لهم
بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه
اي كاستجابة من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه وما هو ببالغه لانه جماد لا
يشعر بدعائه ولا بعطشه ولا يقدر على اجابته فكذلك آلهتهم لانها جمادات كالماء وقيل
شبهوا في عدم جدوى دعائهم لآلهتهم بمن بسط كفيه ناشرا اصابعه الى الماء ليغرف
له فيه فلم يمسك كفاه شيئا منه ولم يبلغ حاجته من شربه لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط
اليه فهو على الاول من تشبيه المركب بالمركب التمثيلي في الاصل ابرز في معرض التهكم حيث اثبت

انما استجابت زيادة في التحسر والتحير وعلى الثاني من تشبيه المفرد المقيد بمثله كقولك
لمن لا يحصل من سعيه شي هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون
سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكونه على الماء وكذلك فيما نحن فيه **وما دعاء الكافرين**
الا في ضلال الا في ضياع لا فائدة له اما ضياع دعائهم لآلهتهم فظاهر واما ضياع دعائهم
لله تعالى فلانه لا يجيبهم لكفرهم وبعدهم عن حيز الاجابة **ولله يسجد من في السموات**
والارض الظاهر ان السجود على حقيقته ولهذا خص بالذكر من المخصوصة بالعقلاء
ويشهد له قوله **طوعا وكرها** الساجدون له طوعا هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين
والساجدون كرها من ضمه السيف الى الاسلام وانتصابهما على الحال **وظلالهم**
اي ويسجد ظلالهم والسجود ههنا بمعنى الانقياد لامره تعالى ولهذا اخره عن قوله
طوعا وكرها وانقياده للتصريف تعالى اياها من جانب الى آخر على ما افصح عنه في قوله
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قال
الفراء الظل مصدر يعني في الاصل ثم اطلق على الخيال الذي يظهر للجرم عند مسامتته للشمس
بالغدو والآصال ظرف ليسجد المقدر او حال من الظلال وقد مر تفسيرهما في سورة
الاعراف والمراد بهما تمام النهار **قل من رب السموات والارض** اي خالقهما و
متولي امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد عليهم اي لم يكن لهم بد من ان يقولوا
الله منهم والخصم في الجواب سواء لكونه من البين الذي لا امراء فيه لقوله قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهو قول المناظر لصاحبه اهكذا
قولك فاذا اعترف به حكاه تقريرا له واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك كذا وكذا
فيبكته بالحجة او تلقين اي ان تلعثموا في الجواب لعلمهم بما لزمهم من الحجة بناء على
اقرارهم فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه **قل افاتخذتم من دونه**
اولياء الزام وتعيير وتوبيخ اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من
دونه اولياء فجعلتم ما هو سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الشرك فالفاء عاطفة
للتسبب والتقريع ودخلت الهمزة عليه لان المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم **لا يملكون**
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
انفاع الغير ودفاع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء
رجاء ان يشفعوا لهم **قل هل يستوي الاعمى والبصير** المشرك الجاهل الذي لا يهتدي
والموحد العالم المهدي الهادي **ام هل تستوي الظلمات والنور** الشرك والضلالة

والتوحيد

والتوحيد والهداية **ام جعلوا لله شركاء** بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله **خلقوا كخلقه** صفة لشركاء
داخلة في حكم الانكار ومعنى الاضراب ان تعكيسهم ذلك لما لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة
كان حكاية ذلك ادخل في ذمهم وفيه طرف من التهكم **فتشابه الخلق عليهم** خلق الله و
خلقهم اي انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه به عليهم الخلق فيقولوا
هؤلاء خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق تنبيه على مكان
الشبهة نافيا ما عليهم ومتهكما بهم وليس من ارخاء العنان والتدرج في شيء
قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله **وهو الواحد** المتوحد بالالوهية
والربوبية **القهار** لكل شيء فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان يكون له شريك
انزل من السماء من جهتها **ماء** التنكير للتكثير وباعتباره صح التفريع في قوله **فسالت اودية**
جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه و
تنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع فيسيل في بعض الاودية دون بعض وكذا
في المثل لانه ليس كل قلب قابلا بل بعض منها دون بعض **بقدرها** بمقدارها الذي علم الله انه
نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر **فاحتمل السيل زبدا** احتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل
بمعنى المجرد كاقتدر وقدر وعرف السيل لانه عني به ما فهم من الفعل والزبد كدر الجوهر
السيال وخبثه المتميز منه بالحركة والخضخضة والغليان **رابيا** منتفخا مرتفعا على
وجه الماء **ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع** عبارة جامعة لانواع الفلز
على وجه التهاون به حيث لم يذكر الانواع باسمائها بل اجمل ذكرها وصفها في اخس الاحوال
واهانتها بالايقاد كما هو عادة الملوك اظهارا للكبرياء زبد مرفوع بالابتداء وخبره
مما يوقدون وقرئ يوقدون بالياء اي الناس واضماره للعلم به ومن لابتداء الغاية
او للتبعيض اي منه زبد او بعضه زبد وانتصب ابتغاء على انه مفعول له والحلية
ما يعمل للنساء مما يتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس
وما اشبههما من الآلات التي هي قوام العيش كالاواني والمساحي وآلات الحرث والحرب
وغير ذلك والمقصود منه بيان منافعها **زبد مثله** مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يتولدان
من الاوساخ والاكدار **كذلك** مثل ذلك الضرب **يضرب الله الحق والباطل** مثل الحق
والباطل فذلكة وتبيين وكذلك يضرب الله الامثال تاكيد له وتتميم **فاما الزبد** من السيل

والفلز المذاب **فيذهب جفاء** مجفوا اي مرميا به يقال جفات القدر بزبدها وجفاه السيل رمى به
واجفاء السيل واجفل وقرئ جفالا والمعنى واحد وانتصابه على الحال **واما ما ينفع الناس**
من الماء وخلاصة الفلز **فيمكث في الارض** مدة طويلة ينتفع به اهلها **كذلك يضرب**
الله الامثال لايضاح المشتبهات قد مر ما في تكثير الامثال في الكتب الالهية وكلمات
الحكماء من الفوائد ولما ضرب الظلمات والاعمى مثلا للباطل واهله والنور والبصير مثلا
للحق واهله اكد التمثيل الاخير وهو قوله ام هل تستوي الظلمات والنور بهذا المثال لان
الغرض اثبات الحق وابطال الباطل فمثل الحق من العلم النازل الى الرسول صلعم بالماء
الذي ينزل من السماء والقلوب الصافية والفهوم الصائبة بالاودية وقبولها له بقدر
استعدادها بسيلانها بقدر سعتها والباطل من الجهالات والشكوك والشبه التي
يتبعها العلم بالزبد الذي يرمى به السيل وكذا شبه الحق من العمل الصالح الصحيح بالفلز
الذي ينتفع به الناس باتخاذ الحلي والاواني والامتعة منه والعمل الفاسد الباطل في اضمحلاله
وسرعة زواله بزبده وانتفاء الشكوك والشبه والاعمال الفاسدة وكونها هباء في
الآخرة وبقاء الحق من العلم والعمل وحصول سعادة الدارين بهما والثواب الابدي
النعيم السرمدي بانتفاء الزبدين واضمحلالهما سريعا وبقاء ما ينفع الناس من الماء
بالسقي والحرث والزرع وسريانه في عروق الارض الى منابعه ونبوع العيون والقنى
منه ومن الفلز بصوغ الحلي واتخاذ الامتعة وآلات الحرث والحرب منه **للذين استجابوا**
لربهم الحسنى كلام مستانف بعد ضرب الامثال وتمام الكلام فيه والحسنى مبتدا خبره
للذين استجابوا اي للذين استجابوا المثوبة الحسنى **والذين لم يستجيبوا له** مبتدا خبره
لو مع ما في حيزه اي الجملة الشرطية والواو عاطفة الجملة على الجملة وقيل اللام في للذين
متعلقة بيضرب والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
عطف على الذين استجابوا وقوله **لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به** كلام مبتدا
في ذكر ما اعد لغير المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين اي
هما مثلا الفريقين يعني مثل سبيلهما ودينهما **اولئك لهم سوء الحساب** المناقشة فيه
وعن النخعي ان يحاسب المذنب بذنبه كله لا يغفر له منه شيء **وماويهم** مرجعهم بعد الحساب
جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف وفي المهاد تهكم بهم على ما تقدم
بيانه في تفسير سورة الاعراف **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق** فيستجيبه **كمن**
هو اعمى القلب لا يستبصر فيستجيب لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن

والكافر من الثواب والعقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وانكر ذلك مترتبا على ما تقدم
فالفاء للعطف على وجه التفريع وانما قدمت همزة الاستفهام وهي مؤخرة معنى لان لها
صدر الكلام **انما يتذكر اولوا الالباب** ذووا العقول المبراة عن شائبة الالف و
معارضة الوهم **الذين يوفون بعهد الله** مبتدا خبره اولئك لهم عقبى الدار او صفة
لاولي الالباب وح يكون اولئك لهم الخ استئنافا بصفات من استوقف عنهم اي اولئك
الموصوفون بتلك الصفات ولا دلالة على ان استحقاقهم لعقبى الدار انما كان بسبب تلك
الصفات والاول اوجه لان عطف الجملة الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله
اولئك لهم اللعنة يشهد بذلك وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف لربوبيته
حين قالوا بلى او ما عهد الله تع عليهم في كتبه **ولا ينقضون الميثاق** ما وثقوه من
المواثيق بينهم وبين الله تع وما بينهم وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص **والذين يصلون**
ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات وموالاة قرابة رسول الله صلعم ومواصلة
المؤمنين كلهم بالاخوة الايمانية ومراعاة حقوقهم بالاحسان والشفقة والنصيحة
ويخشون ربهم فلا يعصونه هيبة وحياء ورهبة ولا يخالفونه في شيء ما **ويخافون**
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا **والذين صبروا** عما يحبه
النفس بالهوى وعلى ما تكرهه **ابتغاء وجه ربهم** طلبا لرضاه خاصة لا نظرا الى الخلق رياء
وسمعة او الى النفس زينة وعجبا جاء الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبله وما
عطف عليها بلفظ المضارع لانه قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائما وهذه
الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لان حصولهما مترتب على
حصول الصبر وتقدمه عليهما ولكونه مما لا بد منه في حصول التكاليف لم يات صلة في القرآن
الا بصيغة الماضي **واقاموا الصلوة** المفروضة **وانفقوا مما رزقناهم** بعضه الذي
وجب عليهم انفاقه **سرا** لمن يتهمه المرء وان يأخذه **وعلانية** لمن لا يتهمه قيل ومما
رزقناهم سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لانها بالجهر افضل
نفيا للتهمة ويأباه التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور في الخبر **ويدرءون بالحسنة**
السيئة يدفعونها بها اي يجاوزون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة بالحسنة
فتمحوها **اولئك لهم عقبى الدار** عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وما يصح ان يكون
عاقبة وهي الجنة **جنات عدن** بدل من عقبى الدار والعدن في الاصل الاقامة ثم صار
علما للجنة من الجنات السبع على ما مر تفصيله في تفسير سورة البقرة **يدخلونها ومن صلح**

عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها من غير تأكيد للفصل بالضمير المنصوب او مفعول معه من آبائهم
جمع ابو واحد منهم فيتناول آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم انما جمعوا بينهم
مع قرابتهم ليتم لهم النعمة بزيادة الانس والجمعية بهم وقيدوا بالصلاح دلالة على ان
مجرد النسب والقرابة لا يكفي في الجمع بينهم بل لا بد من شرط الصلاح ولا دلالة فيه على انه يلحق
بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم حتى يستدل به
على ان الدرجة تعلو بالشفاعة خصوصا اذا كان ومن صلح مفعولا معه والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف سلام عليكم
في محل الحال اي قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بمحذوف و
الباء للسببية او البدلية اي هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من الصبر و
متاعبه عن الملاذ والنعم ويجوز ان يتعلق بالظرف اي سلام عليكم بسبب صبركم
ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان الخبر فاصل فنعم عقبى الدار المخصوص بالمدح محذوف
اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم بفتح النون وكسر العين فنقل كسرة
العين اليها ومن فتحها فلتسكين العين تخفيفا والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي
الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة الابعاد
من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار عذاب النار او سوء عاقبة الدنيا لانها في مقابلة عقبى
الدار وانما لم يقل سوء عاقبة الدار تفاديا ان يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة
هي الجنة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم
ابواب نعم الدنيا ولذاتها اخبر تعالى انه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه والكفر
والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم اجره ويبسط للكافر املاء لازدياد
آثامه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور
بفضل الله تعالى عليهم واغتروا به ولم يشكروا ما انعم الله تعالى به عليهم ولم يصرفوه فيما
يستوجبون به نعيم الآخرة وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب ما اعد لاهلها فيها الا متاع
الا شيء نزر حقير يتمتع به لا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا مقتضى الظاهر
اظهار فاعل فرحوا ادل على تحركهم وذكر واضمار فاعل يقول لجري ذكرهم فاخرج على
خلاف الظاهر لارادة التمكن في ذهن السامع بالابهام والتوضيح او للظهور والتعين في
الاول والذم والتسجيل بالكفر في الثاني لولا انزل عليه آية من ربه عنادا وجحودا للآيات

المنزلة

المنزلة عليه لعدم اعتدادهم بها واعتبارهم لها ولهذا امر في الجواب بقوله قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل الحق ورجع عن العناد وحقيقته دخل في
نوبة الخير وهو كلام جار مجرى التعجب من قولهم كانه قيل قل لهم ما اعظم عنادكم حيث
لم يعتدوا بهذه الآيات الباهرة التي لم يؤت نبي مثلها وكفى بالقرآن وحده آية ان الله يضل
من يشاء ممن كان على صفتكم من اللجوج والتصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدائه وان انزلت كل
آية ويهدي من يشاء ممن كان على خلاف صفتكم من التصميم وفي تنزيل اليه من اناب منزلة
من يشاء تنبيه على ان مشية الهداية مخصوصة بغير المعاند الذين آمنوا بدل من من و
تطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به او بالقرآن او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه جملة اعتراضية مفيدة كيف لا تطمئن قلوبهم به ولا اطمئنان للقلب
بغيره الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على تقدير المضاف اي قلوب الذين
آمنوا او مبتداء خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب كبشرى وزلفى قلبت ياؤه
واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ طيبى بكسر الطاء وهي من المصادر المنصوبة او المعدولة
الى الرفع اي طيبا لهم وطيب لهم كقولك سقيا لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب
بالرفع والنصب تدل على محليتها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك ويجوز الجملة الدعائية
خبرا على التاويل كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشان الذي له فضل ومزية على سائر
الارسالات او مثل ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها قد تقدمتها
امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب
العظيم وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء فكفروا نعمه وخصوصا ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز
المصدق لسائر الكتب الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية وقيل نزلت في مشركي مكة
حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري
لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي
ومرجعكم فيحكم بيننا قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال دال على ان اسم الله شانه والموصوف
فيما تقدم لتعظيم القرآن وتفخيم شانه او قطعت به الارض او كلم به الموتى جواب لو
محذوف اي ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت او قطعت به الارض حتى
تتصدع قطعا قطعا من خشية الله تعالى او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه
غاية في التذكير والاعجاز ونهاية في التخويف والانذار كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل

دابة خاشعا متصدعا من خشية الله وقيل اراد به المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان قرآنا
وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ
فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث من كنا فيه قصي بن كلاب
وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم
وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي
بل لله الامر جميعا اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل لله القدرة على كل شيء فله القدرة
على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم يتعلق بذلك لعلمه انهم لا يؤمنون
ويزدادون العناد والجحود ويؤيده قوله **افلم ييأس الذين آمنوا** اي عن ايمانهم مع ما راوا
من مكابرتهم وانكارهم والاكثر على ان معنى افلم ييأس افلم يعلم لما روي ان عليا وابن
عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس فيكون
بمعنى افلم يعلم وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس لا يكون
وقيل هي لغة قوم من النخع ولذلك علقه بقوله **ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا**
لان معناه نفي هداية بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وتعلقه على الاول
بآمنوا اي اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا او بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** من الكفر وسوء الاعمال **قارعة**
داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل اي القارعة **قريبا من دارهم** فيفزعون منها ويضطربون
ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها **حتى يأتي وعد الله** اي الموت او القيامة وقيل
ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب
قارعة لان رسول الله صلعم كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون حول مكة وتختطف من مواشيهم
او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو
فتح مكة وكان الله قد وعد ذلك **ان الله لا يخلف الميعاد** لانه تعلق به الوعد كان ممكنا
وتعلقه لم ينقلب ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته بل لان
الخلف لا يليق بشأنه تعالى **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله صلى
ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه **فامليت للذين كفروا** الاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** اي عقابي اياهم استفهام معناه

التعجب

التعجب ماحل بهم والتقرير وفي ضمنه وعيد لمعاصريه من الكفار **افمن هو قائم على كل نفس** اي فالله
الذي هو قائم رقيب على كل نفس بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت
عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن هو ليس كذلك ودخلت الهمزة على الفاء
للانكار ان يسووا بين من هو مطلع على سرهم وعلنهم قادر على مجازاتهم بين من هو على خلافه
بعد علمهم بما حل بالمنكرين من الاخذ المفاجأة والبطش الشديد **وجعلوا لله شركاء**
استيناف او عطف على مقدر اي لم يوحدوه وجعلوا او فيه اظهار في موضع الاضمار للتهويل
والتوبيخ والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت ويؤيده ما بعده اسلوب بديع ضمن فيه
الترقي في الانكار اولا يعني لا عجب من انكارهم للآيات الباهرة مع ظهورها انما العجب كل
العجب جعلهم القادر على انزال المجازي لهم على اعراضهم عن تدبر معانيها وامتثالها بنوع
نترك واخذ غب اخرى فيشاهدونها رأي عين يتراءى لهم في دار البوار واهوالها
كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن اتخذه ربا يرجو منه جلبا او دفعا مدمجا
فيه التسلي ثانيا وفي العدول عن صريح الاسم الى قوله افمن هو قائم تفخيما بواسطة الا بهام
المضمن في ايراده موصولا مع تحقيق ان القيام كاين وهم محققون لم يدخل في الالباب
ويقتضي من بديع ايراده العجب العجاب وفي قوله وجعلوا لله بوضعه مقام المضمر الراجع
الى من لا دلالة على ان المتوحد ذاتا واسما جعلوا له شركاء لا شريكا كذلك ولا يملك على الله
الا مالك وفي حذف الخبر تعظيما للتهاله وتحقيرا لمن رتب بتلك الحالة ما لا يخفى من الجزالة
قل سموهم كان قوله افمن هو قائم كافيا في هدم قاعدة الاشراك للتفريع السابق منه
والتحقيق بالوصف اللاحق وهو ابطال من طرف الحق فذيله بابطاله من طرف النقيض
على النمط وصاي الزمهم بذلك فانهم ان سموهم قالوا حجرا وخشبا او نحاسا او نحو ذلك
فتفضحوا باشراكهم بمن لا يستحق العبادة الا هو وحده **ام تنبئونه** بل تنبئونه **بما لا
يعلم في الارض** بشركاء لا يعلمهم في الارض معنى بما ليس بشيء لانه لا يعلمه عالم الغيب
والشهادة لا وجود له كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض ودل على
انه لا اسماء للشركاء فضلا عن المسمى على الكناية الايمائية ثم بولغ فيه بانها لا تستاهل
السؤال عن حالها لظهور فساده وسلك فيه مسلك الكناية التلويحية من نفي المعلوم
ثم منه على عدم الاستيهال والهمزة المضمنة فيها تدل على التوبيخ وتقريرا انهم يريدون
ان ينبئوا عالم السر والخفيات بما لم يعلمه وهذا محال على محال ثم اضرب عن ذلك
قال قد بين الشمس لذي عينين وما تلك التسمية الا بظاهر من القول من غير ان يكون

تحته طائل وما هو الا صوت فارغ ام بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركاء بمجرد ظاهر القول
والطلاق لفظة الشركاء او الآلهة من غير ان يكون لذلك معنى وحقيقة من الالوهية والمشاركة
كقوله ما يعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي
ورد عليها منادٍ على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من
نفسه ومن زاد على هذا قوله فتبارك الله احسن الخالقين فقد اتى بكلمة حق اريد بها باطل
يريدون بها من هو عن حلية الانصاف عاطل بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
بالباطل ثم قالوها او اختداعهم للضعفة وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح
اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ وصدٌّ بالتنوين عطفا على مكرهم ومن يضلل الله
بالخذلان فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته بوجه من الوجوه لهم عذاب في الحيوة
الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الآخرة اشق لدوامه
وشدة ايلامه وما لهم من الله من عذاب الله تع في الدارين قيل او من رحمته ولا يساعده
السياق ولا يوافقه عبارة واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم فمن
الاولى صلة واق قدمت عليه والثانية مزيدة للتاكيد ولما ذكر ما اعد للكفار في
دار القرار ذكر ما اعد للمؤمنين فيها فقال مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي
في غرابة المثل تقول مثلت الشيء اذا وصفته وقربته للفهم وارتفع مثل على الابتداء
في مذهب سيبويه والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة و تجري من تحتها
الانهار تفسير لذلك المثل اي في غاية النزهة وذلك ان العرب كانوا في عوز من الماء
فكانوا يعدون هذا اعظم نزهة او حال من العائد المحذوف من الصلة وقيل هي خبره
على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري وقيل هذا
لفظ المثل على حقيقته قصد به تمثيل الغائب بما في الشاهد لم يسمع من القول السائر
للصفة الغريبة اكلها دائم لا ينقطع والاكل ما يؤكل فيها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا عن الكفر مآلهم ومنتهى
امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكفار
والذين آتيناهم الكتاب اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه ومن النصارى
وهم ثمانون رجلا بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل موافقا لما في كتبهم ومن الاحزاب اي كفارهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلعم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب

السقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم وما حرفوه منها دون الاقاصيص وما يوافقها
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا جواب للمنكرين اي قل لهم انما امرت فيما انزل
الي بان اعبد الله ولا اشرك به وهو العمدة في الاسلام ولا سبيل لكم الى انكاره لانكم قائلون بوجوب
عبادته وتوحيده واما ما يخالف بعض شرايعكم من جزئيات الاحكام فليس اختلاف ذلك ببدع
في الكتب الالهية وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب
مرجعي للجزاء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم لان هذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء كلهم
فاما ما عدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك
اي مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه اصل الكلام انزلناه
هذا الانزال الذي يشاهدونه مشتملا على التوحيد والدعوة اليه فاوثر ذلك تفخيما وجيء
بالمثل زيادة له ولامر ما التزم في كتابه الكريم من ايراد هذا الاسلوب حكما يحكم في القضايا و
الوقايع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من الامور الموافقة لدينهم وخصوصا
الصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله
من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على
الثبات في الدين واللام في لئن موطئة للقسم وما لك جواب يسد مسد جواب الشرط
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك والتنكير للتكثير وجعلنا لهم فيه تغليب
للاكثر على الاقل والا فمنهم من لا زوج له ولا ذرية كعيسى عم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي
لك كانوا يعيبونه عم بالازواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا
يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله كذلك ذوي ازواج وذريات
وما كان لرسول ما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه قومه ولا مما اقتضاه
رايه الا باذن الله فانه القادر على ذلك الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل كتاب
اي ولكل وقت ومدة حكم يكتب على العباد بحسب ما يقتضيه استصلاحهم فان الشرايع
مصالح الاحوال وصلاح الاحوال والعباد والاستعدادات تختلف في الاوقات والازمان
فتختلف الشرايع بحسب ذلك يمحو الله ما يشاء بنسخ ما يكون الصلاح في نسخه ويثبت
بدله ما هو صالح او اصلح منه في وقته لعباده او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت بدلها الحسنات وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به الجزاء ويترك ما يتعلق
به مثبتا وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وعنده ام الكتاب

اى اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ اذ لا كائن الا وهو مكتوب فيه **وإما نرينك بعض الذي**
نعدهم او نتوفينك اي وكيف ما دارت الاحوال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب
النازل بهم او توفيناك قبله **فانما عليك البلاغ** فما عليك الا تبليغ الوعيد بالعقوبة
لا تعجيلها **وعلينا** لا عليك **الحساب** حسابهم اي مراعاه اجلها المعلوم والايقاع بهم
عند الوقت المحتوم ولما نهاه عن الاستمام بغير التبليغ والتفجع لتأخر النصر عقبه
بالتسلية وطيب نفسه ونفس عنها بذكر طلايع ما وعد بقوله **او لم يروا انا نأتي الارض**
ارض الكفرة **ننقصها من اطرافها** بما نفتحه على المسلمين منها فننقص من دار الحرب ونزيد
في دار الاسلام **والله يحكم لا معقب لحكمه** اعتراض لا محل لها او حال كأنه قيل نافذا حكمه
كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اى حاسرا والمعقب الذي يكر على الشيء ويبطله و
حقيقته الذي يعقبه اي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه
يقفي غريمه بالتقاضي والطلب والمعنى لا راد لحكمه ولا مبطل له وقد حكم للاسلام بالظهور
والاقبال وعلى الكفر بالتراجع والادبار وذلك كائن لا يمكن لاحد تغييره وهذا من تباشير
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة ويجازيهم باشد العذاب بعد عذاب الدنيا
بالقتل والاجلاء **وقد مكر الذين من قبلهم** بانبيائهم والمؤمنين منهم **فلله المكر جميعا**
جملة تعليلية اقيم مقام المحذوف وهو المعطوف على ما ذكر قبلها تقديره ولا عبرة بمكرهم فلله
المكر جميعا وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم بالنسبة الي مكره كلا مكر لانه القادر على ايقاع المراد
من المكر بهم دونهم فلا مكر الا مكره **يعلم ما تكسب كل نفس** فيعد جزاءه تعليل لاحمال
كل مكر عند مكره لانه اذا علم كل ما كسبوا واعد لهم جزاءه فيأتيهم به بغتة من حيث
لا يعلمون كان المكر كل المكر له **وسيعلم الكفار** وقد يعلمهم **لمن عقبى الدار** لمن العاقبة
من الفريقين واللام لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه واللام في لمن دلت على
ان المراد بالعقبى المضاف الي الدار العاقبة المحمودة وقرئ سيعلم الكافر اهله وسيعلم
من اعلم اذا اخبره **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** المراد بهم رؤساء اليهود **قل كفى بالله**
شهيدا بيني وبينكم حيث اظهر من الادلة الواضحة والحجج البينة على رسالتي ما يغني عن
شاهد يشهد عليها **ومن عنده علم الكتاب** والذي عنده علم القرآن وما الّف عليه من
النظم المعجز الثابت لقوي البشر والتورية والانجيل من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
كعبد الله بن سلام واضرابه لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم وقيل هو الله عز
وجل والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في

اللوح

اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب
على الاول مرتفع بالظرف لانه معتمد على الموصول او مبتدأ خبره
الظرف وهو متعين على الثاني وقرئ
ومن عنده علم على الحرف وبناء
الفعل للمفعول ورفع الكتاب
والله اعلم بالصواب

سورة ابراهيم عليه السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب **انزلناه اليك** حجة على رسالتك باعجازه **لتخرج الناس** كافة بدعائك
من الظلمات من انواع الضلال **الى النور** الي الهدى **باذن ربهم** بتوفيقه وتسهيله مستعار
من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج او حال من فاعله او مفعوله **الى صراط العزيز**
الحميد بدل من قوله الي النور بتكرير العامل او استيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط
العزيز الحميد واضافة الصراط الي الله لانه مقصده او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر للتنبيه
على انه يعز سالكه ويحمد ميدا بكاله **الله الذي له ما في السموات وما في الارض** عطف بيان للعزيز
الحميد لانه يجري مجرى اسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ بالرفع على
هو الله **وويل للكافرين** وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة واصله النصب لانه مصدر معدول
الي الرفع لافادة معنى الثبات كما في سلام عليكم واتصال قوله **من عذاب شديد** له بالمعنى
المذكور ظاهر فلا حاجة الي صرفه للتلفظ بكلمة التلهف من شدة العذاب **الذين يستحبون**
الحيوة الدنيا على الآخرة اي على حيوة الآخرة والاستحباب استفعال من المحبة لان المختار
للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من الآخر وتعديته بعلى لتضمنه معنى
الايثار والاختيار **ويصدون عن سبيل الله** بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من
اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس بفصيح لان في صده وفقه مندوحة وص
عن تكلف التعدية بالهمزة **ويبغونها عوجا** اصله يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل
اي يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان يقولوا لمن يصدونه عنها انها سبيل ناكبة عن الحق
غير مستقيمة والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم والرفع عليه ولا يحتمل الجر صفة للكافر صه
لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد لما عرفت ان
اتصاله بالويل وعلى الرفع يجوز ان يكون مبتدأ خبره **اولئك في ضلال بعيد** عن طريق الحق اي

ضلال فيه بعد لأن الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً وقد يضل مكاناً بعيداً والآية أفصح أن وصف الضلال
بالبعد من باب الإسناد المجازي لأن البعد في الحقيقة للضال المتباعد عن الطريق فوصف به
فعله كقولهم جد جده للمبالغة وتنكيره للتكثير وفي جعله ظرفاً دلالة على تمكنهم فيه تمكن المظروف
في الظرف وتصوير لاشتمال الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط فيكون كناية بالغة في
إثبات الوصف المذكور لهم على الوجه الأبلغ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** بلغة
قومه الذين بعث فيهم كأنبياء بني إسرائيل أو أرسل إليهم كلوط ويونس عليهما السلام لمن قال الذي هو
منهم وبعث فيهم فلم يصب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة
وسكون على الجمع كعمد وعمد **ليبين لهم** ما يدعوهم إليه فيفقهوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه
لغيرهم فإنهم أحق برعايته لهم سواء كان مبعوثاً فيهم أو مرسلاً إليهم ومن قال أي
ليستفهموا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فكأنه
غفل عن أن المحذور المذكور يندفع بترجمة لهم وأيضاً الغالب من الأمم أن يحتج بما ذكره
على نبيهم ولا جواب عنه إلا بما قلنا ولا دلالة في قوله تعالى ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا
لولا فصلت آياته على أن يكون لهم مجال الاحتجاج بالوجه المذكور على تقدير نزوله بلغة أخرى
وأما ما قيل ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من
الإعجاز ولكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها و
العلوم المتشعبة منها وما في إتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب
فبناه الغفول عن أن ما ذكر من الفوائد فوائت على تقدير الترجمة من الرسول عليه السلام وقد عرفت
أن مدار الكلام وتمام المرام عليها على تقدير عموم الرسالة وخصوص النزول **فيضل الله**
من يشاء بالخذلان **ويهدي من يشاء** بالتوفيق وفيه دفع ما سبق إلى الوهم من البيان
البالغ في تسهيل الفهم أن يكون ذلك كافياً في تمام أمر الهداية فينسد باب الضلالة
والغواية وفي الترتيب بأداة التعقيب إيذان بأن ما ذكر من الإرسال مع كونه على وجه الكمال كان
في حق قوم سبباً للضلال **وهو العزيز** فلا يغالب في مشيئته **الحكيم** فلا يهدي ولا يضل إلا لحكمة
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته **أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور**
أن مفسرة معناه أي لأن في الإرسال معنى القول أي أرسلناه وقلنا له أخرج أو مصدرية أي أرسلناه
بأن أخرج لأن صيغ الأفعال في الدلالة على المصدر سواء فيصح وصلها بالأمر كوصلها بالخبر وأن
يوصل بها أن الناصبة **وذكرهم بأيام الله** بنعمائه وبلائه كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو الموافق لقوله تعالى
ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور والقرآن

بعضه

بعضه بعضاً **إن في ذلك لآيات لكل صبار** على بلاء الله تعالى **شكور** على نعمائه فإنه إذا سمع بما أنزل الله تعالى
على الأمم من البلاء وأفاض عليهم من النعم اعتبر ونبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل
لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وإنما قدم الصبر على الشكر لأنه أشق
منه فهو بالاهتمام أحق والعدول عن الصبور مع مناسبته للشكور لأنه في مقام الحث والتحضيض
أبلغ صيغة المبالغة أليق **وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون**
أي اذكروا نعمته وقت إنجائه إياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة
وذلك إذا أريدت بها العطية دون الإنعام ويجوز أن يكون بدلاً من نعمة بدل الاشتمال **يسومونكم**
سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين
وعطف قوله ويذبحون على يسومونكم بغير فائدة زائدة على جعله تفسيراً له كما في سورة البقرة و
هي أن العذاب جنس يتناول التذبيح والاستعمال بالأعمال الشاقة فجعل التذبيح كأنه جنس
آخر برأسه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة **وفي ذلكم بلاء** ابتلاء **من ربكم عظيم**
وإنما كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم لأن الله تعالى ابتلاهم بتمكينهم وإقرارهم عليه وإمهالهم
فيه ويجوز أن يكون الإشارة إلى الإنجاء لأن البلاء كما يكون بالنقمة يكون بالنعمة قال الله تعالى وبلوناهم ناكم
بالحسنات والسيئات وهذا أنسب لقوله من ربكم وعلى الأول يكون عبارة الرب للإشارة
إلى أن بلاء المؤمن تربية له **وإذ تأذن ربكم** من جملة ما قال موسى عليه السلام لقومه منصوب المحل
بالعطف على نعمة الله كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن
ربكم لئن شكرتم لا على إرادة القول على معنى تأذن ربكم فقال لعدم الحاجة إلى التقدير بل على
إجراء تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وإذ قال ربكم لئن
شكرتم وتأذن بمعنى آذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة
لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها بالإيمان والعمل الصالح **لأزيدنكم**
نعمة إلى نعمة **ولئن كفرتم** عظم ما أنعمت به عليكم فقد صرح الوعد على الشكر بقوله لأزيدنكم و
عرض بالوعيد على الكفران حيث قال **إن عذابي لشديد** أي عسى عذابي أن يبتليكم بالكفران
ومن عادة من هو أكرم الأكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد **وقال موسى إن تكفروا**
أنتم يا بني إسرائيل **ومن في الأرض** من الثقلين **جميعاً فإن الله لغني** عن شكركم وشكر كل شاكر الله
وما ضررتم بكفرانكم إلا أنفسكم حيث حرمتموها من مزيد الإنعام وعرضتموها للعذاب الشديد
حميد مستوجب للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملائكة بل كل ذرة من ذرات
المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده **ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود** من جملة كلام

موسى عم او ابتداء كلام من الله تعالى والجملة في البين للتقرير والتوبيخ والذين من بعدهم عطف على قوم نوح
وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او مبتداء خبره لا يعلمهم والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث
لا يعلم عددهم الا الله كانه يقول دع التفصيل فانه لا مطمع في الحصر ولهذا كان ابن مسعود
اذا قرأها قال كذب النسابون اي في دعوى علم الانساب لان الله تعالى قد نفى علمها عن العباد
وينظر لعموم الدلالة فيه على نفي علم الانساب مطلقا اما دلالته على نفي علم جميع الانساب
ولم يدع احد من النسابين جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم
على زعمكم اي هذا جوابنا لا غير اقناطا لهم من التصديق او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها على افواههم ضحكا واستهزاء كمن غلب
عليه الضحك فوضع يده على فيه او اسكاتا للانبياء عم واشارة عليهم بالسكوت او ردوها في
افواه الانبياء عم او وضعوها على افواههم ولا يذرونهم يتكلمون او الايدي جمع يد بمعنى النعمة
اي ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف والشرايع والنصايح التي هي اجل النعم في افواههم
لانهم اذا لم يقبلوها وكذبوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق التمثيل ولا
يذهب عليك ان الاولان لا يطابقان المقام فانه يحكي اول ما جاءتهم بالبينات الى اخر ما
ينتهي اليه حالهم وذلك بعد التكرر وايضا الرد ينبئ عن التكرار وليس وحاصل الرابع هو
الخامس ما ذكرنا لكن الرد لا يلايم الثالث والخامس والمعتاد في الاسكات ما في الثالث
لا ما في الخامس والسادس عن ظاهر الدلالة لما فيه من نوع تعقيد والايدي بهذا المعنى قليلة
الاستعمال وذكر الرد والافواه يلايم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا اليه التاكيد في
انا وانا للاقناط والمبالغة في الرد والتكذيب والمراد بما ارسلتم به الكتب والشرايع ومما
تدعوننا اليه التوحيد فتردد في ان لا ينافي قطعهم بالاول مريب موقع في الريبة او
ذي ريبة من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة وهو قلق النفس وان لا يطمئن الى شيء وعلى
الثاني يكون وصف الشك من باب الاسناد المجازي قالت رسلهم أفي الله شك اي في وحدانيته
وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيه على ان الله لا يكون الا واحدا
فالشك في وحدانيته شك في ذاته وشك مرتفع بالظرف وادخلت الهمزة الانكارية عليه مع
تقديمه لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الايمان بالله ووحدانيته وهو
لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادة وجود السموات والارض عليه ثم نبههم على الوصف الذي
يقتضي ان لا يقع فيه شك اليه بقوله فاطر السموات والارض هو صفته ولا يبعد الفصل بين

الموصوف والصفة بمثل هذا المبتدا، او بدل يدعوكم الي الايمان ببعثة ايانا ليغفر لكم لمصلحتكم لا لمصلحته
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو الكفر لانه [illegible] انهم لا يؤاخذون بغيره قبل البعثة فمن قوله يدعوكم
ليغفر لكم توطئة لهذا التبعيض على تقدير تقريرنا معناه وعلى تقدير ان يكون المعنى يدعوكم الى المغفرة
على اقامة المفعول له مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني تفوت هذه التوطئة وتلك الدلالة
وقيل في وجه التبعيض ان المغفور قطعا ما فعلوه حالة الكفر واما ما يفعلوه بعد الاسلام فموكول
وباحد هذين الوجهين يظهر السر في زيادة من في خطاب الكفرة دون المؤمنين في مواضع
من القرآن وفي الاخير فايدة اخرى وهي ابقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان وحده
ومواضع [illegible] واما قيل اريد به انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى لان الاسلام يجب دون
المظالم فلا يصلح وجها للتخصيص لاشتراك الفريقين فيه والتوجيه بان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم منظور فيه لان تمام التقريب به
على تقدير ان يكون معنى قوله مرتبة على الايمان مرتبة عليه وحده وح يتجه النقض بقوله تعالى
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ثم ان
[illegible] ما قدمه من دعوى الاطراد في زيادة من في خطاب الكفرة المنقول عن
قوله تعالى يا ايها الذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ومن قال في تفسير سورة الانفال
ان الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط ثم جوز هيهنا ان يكون التبعيض لاخراج المظالم عن حيز
الارادة فقد غفل عما قدمه ويؤخركم الى اجل مسمى قد سماه الله تعالى وبين مقداره وقضى ان يبلغكم
اليه ان امنتم والا عاجلكم بالاهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا
فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر لبعث من جنس
افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين
يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية او على صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم بالبينات
والحجج فلم يعتدوا بها مكابرة وعنادا واقترحوا عليهم غيرها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اثبات للمزية
بمحض الامتنان والعناية لا لفضل لهم يقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما لانفسهم فلا دلالة
فيه على عدم التفاوت بين افراد البشرية في الاستعداد والاستحقاق للرسالة وقد دل قوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالته على التفاوت فيه ولا الجاب بحجة [illegible] بنا في الاختيار وما كان
لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي بتيسيره اي ليس الينا الاتيان بما اقترحوه

انما هو امر متعلق بمشية الله تعالى يخص كل من يشاء من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون
نعمم قصدوا به تخصيص انفسهم على وجه الاولية والاولوية واشعار بان قضية الايمان وجوب التوكل
على الله تعالى فامروا المؤمنين كلهم به والمراد هم انفسهم وفيه تنزل عن حقهم وتواضع و
هضم لانفسهم حيث تنزلوا الى مراتب آحاد المؤمنين ومبالغة في وجوبه عليهم كانهم قالوا
ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم فان ذلك حق كل مؤمن
فكيف بالانبياء ثم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي واي عذر لنا في ان لا نتوكل
عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله
الذي يجب عليه سلوكه في الدين حتى عرفه وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن على ما آذيتمونا
جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم على الله تعالى فيما يجري عليهم من ايذاء الكفار وعدم مبالاتهم
به على سبيل الاعتراض وعلى الله فليتوكل المتوكلون تكرير الامر بالتوكل للتاكيد ووجوب الثبات
عليه بعد استحداثه والفاء السببية في الموضعين لانه مسبب عن الايمان وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
من بلادكم واما عودكم في ملتهم وقد مر في تفسير سورة الاعراف ما تعلق بعاد فاوحى
اليهم ربهم اي الى الرسل عليهم السلام ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم بالياء اعتبارا
لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن من بعدهم من بعد اهلاكهم كقوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله
داره ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر
حق لمن خاف مقامي اي موقفي الذي يوقف فيه العباد للحساب يوم القيمة لانه موقف الله تعالى او
قيامي عليه وحفظي لاعماله او على اقحام المقام وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او
عذابي الموعود للكفار واستفتحوا وطلبوا الفتح واستنصروا الله على اعدائهم او سألوا
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا والضمير للانبياء عليهم السلام
وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل
جبار عنيد منهم اي من المستفتحين معطوف على محذوف تقديره ففتح لهم فافلح المؤمنون
وخاب كل جبار عات متكبر على الله تعالى معاند للحق فلم يفلح والخيبة اخلاف ما قدرته
من المنفعة ومقابله النجاح وهو ادراك الطلبة والعنيد هو المعاند الا ان فيه مبالغة
والعناد الامتناع من الحق مع العلم به ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من

لنهلكن الظالمين

القبيلين

القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه وهو واقف عليها قال الزجاج والوراء ما
توارى عنك ولهذا قد يطلق على الخلف كما في قوله قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل
من يدقني فان ما ورائي من لا يتركني ورائي وقد يطلق على القدام كما في قوله ايرجو بنو مروان
ان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا وليس من الاضداد ويسقى معطوف على
محذوف تقديره يدخلها ويسقى من ماء التنكير للتنويع اي نوع من الماء غير معهود سقيه
قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار صديد هو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل
من الجرح عطف بيان لماء فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد وخصه من بين انواع العذاب بالذكر
ايذانا بانه اشد عذابها ولذته قال يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة اي يتكلف جرعه ولا
يقارب اي يسيغه فكيف بالاساغة بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب
على الحلق بسهولة وقبول نفس التجرع تناوله جرعة جرعة على الاستمرار ويلزمه التكلف
فيه وما جاء في الحديث بانه يشربه محمول على ذلك وقوله يتجرعه صفة الماء او حال من الضمير في يسقى
ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان فيحيط به جميع الجهات ففيه اطلاق المكان
على الجهة تنصيصا على ان المراد اسباب العذاب الجسماني لا اسباب العذاب الروحاني وذلك
لان الجهة قد توسع فيها توسعا شائعا بخلاف المكان وقيل من كل مكان من جسده حتى
من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي ليس ممن فاته الحس والشعور حتى لا يتألم و
والتجوز عنه بالميت شائع شايع في كلام الفصحاء وقد حسن ههنا موقعه لما في ظاهره من
الايهام الى ان موجب ما ذكر من مجيء اسباب الموت من جميع الجهات هو ان يكون ميتا ومن
حمل الميت على حقيقته فقد نزل الكلام عن منزلته والمناسب لارادة الحقيقة ايراده بصيغة الفعل
كما ورد في قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ في كل وقت يستقبله
اي يتلقى عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه دفع ما يسبق الى الوهم من ان يخف عذابهم بالاعتياد
كما هو المعهود في عذاب اهل الدنيا مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة اعمالهم كرماد جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم
بدل من المثل على تقدير مثل اعمالهم والخبر كرماد ويجوز ان يكون الخبر هذه الجملة كما ذكر في قوله مثل
الجنة اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول اي هذا الكلام
اشتدت به الريح اي حملته واسرعت في الذهاب به الاشتداد الاسراع بالحركة على عظم الحمقة
ومنه اشتد به الوجع لانه اسرع اليه على قوة الم في يوم عاصف العصف شدة الريح وصف به زمانه
للمبالغة كقولك نهاره صائم وليله قائم شبه مكارمهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء

في سورة القتال

الاساري

والكرام الضيفان وإغاثة الملهوفين والإجارة وأمثالها في حبوطها وكونها هباءً منثورًا لعدم ابتنائها
على اعتقاد صحيح من المعرفة والتوحيد والإيمان بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر برماد يسفيها
الريح العاصف **لا يقدرون** يوم القيمة **مما كسبوا** بأعمالهم **على شيء** التنكير للتقليل والتعبير بالشيء
للتحقير أي لا يترتب عليه أثر من الثواب وتخفيف العذاب لحبوطه وهو فذلكة التمثيل **ذلك** إشارة
إلى ضلالهم وعدم ابتناء أعمالهم على الشرك والتفاخر والرياء **هو الضلال البعيد** عن طريق
الحق والصواب أو عن الثواب والخلاص عن العقاب **ألم تر** خطاب لكل واحد من الكفرة على
التلوين لقوله تعالى إن يشأ يذهبكم أو للكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب **أن الله خلق**
السموات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق أن يكون الأمر عليه **إن يشأ يذهبكم ويأت**
بخلق جديد أي من هو قادر على خلق السموات والأرض فهو قادر على أن يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا
آخر ولم يتوقف الأعلى مشيئته فإن القدرة على خلق الأصول وما يتوقف عليه خلقهم ثم تغيير
الطبائع وتكوينهم منها وتصويرهم دليل قاطع على أن إعدامهم وإنشاء خلق آخر غير ممتنع عليه
ولذلك عقبه بقوله **وما ذلك على الله بعزيز** بمتعذر أو متعسر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر
لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يتقى ويخاف ويرجى
ولا يعبد إلا هو وحده **وبرزوا لله جميعا** أي يبرزون له تعالى يوم القيمة من قبورهم لحساب الله تعالى
وحكمه أو يظهرون لله تعالى بأعمالهم وما كسبوا على خلاف ما حسبوا لأنهم كانوا يستترون من العيون
عند ارتكاب الفواحش ظنا منهم أن ذلك خاف على الله تعالى فإذا كان يوم القيمة انكشف غطاؤهم
وعلموا أن لا يخفى على الله تعالى منهم شيء في الأرض ولا في السماء ولا يتوارى عنه متوار حتى ذرات
الهباء فذلك بروزهم عند أنفسهم بعدما اعتقدوا إخلافه كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد لأنهم كانوا أخفياء عليه فبرزوا في ذلك اليوم إذ لا يخفى عليه خافية وفيما
وإنما أورد يبرزون في صيغة برزوا لتحقيق وقوعه كأنه قد وقع وأخبر عنه **فقال الضعفاء**
الأتباع والعوام جمع ضعيف قيل يريد به ضعفاء الرأي ولا دلالة عليه في الكلام ولا هو
ما يقتضيه المقام وإنما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو **للذين**
استكبروا الرؤساء الذين استتبعوهم واستغووهم **إنا كنا لكم تبعا** في تكذيب
الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كخدم وخادم أو مصدر نعت به للمبالغة وإضمار
المضاف في مثل هذا الإتيان البلاغة والظاهر أن هذه المحاورة كمحاورة آل فرعون المذكورة في
قوله تعالى وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا الآية في النار
لا في المحشر فترتب قوله فقال على المحذوف لا على المذكور **فهل أنتم مغنون عنا** استفهام معناه

التوبيخ إياهم وتقريعهم ولقد علموا أنهم لن يغنوا شيئا **من عذاب الله من شيء** من الأولى للبيان واقعة [واقعة]
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول به أي بعض شيء هو عذاب الله أي كائنا عذاب
الله أو كلاهما للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب وتقديره بعض شيء كائنا بعض عذاب الله
فيكون الإعراب بحاله أو الأولى مفعول والثانية مصدر أي بعض الغناء بعض الإغناء **قالوا** أي المستكبرون
لما يكمنهم أتباعهم بما ذكر وعلموا أنهم لا يقدرون على شيء من الإغناء عنهم أجابوهم متعذرين
إليهم عما كان منهم **لو هدانا الله** للإيمان ووفقنا له **لهديناكم** ولكن ضللنا فأضللنا أي اخترنا
لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم
كما عرضناكم له ولكن سد دوننا سبيل الخلاص **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا** مستويان علينا
الجزع والصبر والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ولما
كان عتاب الأتباع جزعا مما هم فيه قالوا لهم ما هذا الجزع إنا مثلكم في العذاب كما كنا مثلكم [كنتم]
في الضلالة ولا ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا الصبر والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم و
نقيضه الصبر قال الشاعر ۝ فإن تصبرا فالصبر خير مغبة ۝ وإن تجزعا فالأمر ما تريان ۝
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار إما اسم مكان
كالمبيت والمصيف والمشيب **وقال الشيطان** خطيبا في الأشقياء من الثقلين **لما قضي الأمر**
قطع وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار **إن الله وعدكم وعد**
الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفى لكم وأنجز وهو البعث والجزاء **ووعدتكم** وعد الباطل وهو
أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم **فأخلفتكم** جعل تبين خلف ما وعد
إخلافا حذف من الجملة الأولى ما أثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما أثبت مقابله
في الأولى وهذا من لطائف الإيجاز التي بها ترتقي الكلام إلى ذروة الإعجاز **وما كان لي عليكم**
من سلطان من تسلط فأقسركم على الكفر والمعاصي **إلا أن دعوتكم** إلا دعائي إياكم إلى الضلالة [له]
بوسوستي وتسويلي وهذا الاستثناء على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع لأن الدعاء
ليس من جنس السلطان بل المراد نفي السلطان على آكد الوجوه كأنه قال إن كان مجرد الدعاء
سلطانا كان لي عليكم سلطان **فاستجبتم لي** أسرعتم إجابتي **فلا تلوموني** بوسوستي
وإضلالي وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم **ولوموا أنفسكم** حيث اغتررتم بمجرد دعائي بلا حجة ودليل فأطعتموني ولم تطيعوا
ربكم إذ دعاكم على حجج وبينات لم يرد أنه لا يستحق الملامة بل يقول لوم أنفسكم أولى بكم
إذ أنتم أهلكتم أنفسكم بإجابتكم لي طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد في أفعاله

اذ يكون فيه استحقاقه الملامة ان يكون لقدرته الكاسبة مدخل فيه ومن قال وهذا دليل على ان الانسان هو الذي
يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله تعالى الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين
ولو كان الامر كما زعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فقد خلط
في كلامه وخبط في تقرير مرامه فان ما ذكره اولا يساعده فيه اهل الحق وما ذكره ثانيا هو مذهبه
الباطل لا يساعده الشيطان ايضا وقد نبهت فيما سبق على انه لا دلالة في كلامه عليه وما ذكره
اخيرا انما يحتج على الجبرية لا على اهل الحق القائلين لا جبر ولا تفويض بل امر بين ذلك **ما انا بمصرخكم**
بمغيثكم من العذاب **وما انتم بمصرخي** بمغيثي منه وقرئ بكسر الياء وقد طعن فيه ولا ينبغي
ان يلتفت اليه لانها قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم الخلف وقد نص قطرب
على انها لغة بني يربوع **اني كفرت بما اشركتمون من قبل** ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي بالله من قبل هذا اليوم في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته
كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما بمعنى الذي في قوله سبحان
ما سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام
وغيرها من قبل اشراككم حين ابيت السجود لآدم عليه السلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية
الى مفعول ثان **ان الظالمين لهم عذاب اليم** تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكايته
قول الشيطان في ذلك الوقت ايقاظ للسامعين وتنبيه لهم على ما سيؤول اليه امرهم ليتحرزوا
اليوم عن مكايده ويفزعوا الى الله تعالى من تسويلاته ويخلصوا فيتخلصوا عن تسليطه **وادخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم** متعلق بادخل
اي ادخلهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى وامره او بخالدين وهذا متعين على قراءة وادخل على التكلم
وقد مر ما يتعلق بخالدين **تحيتهم فيها سلام** اي تحية بعضهم بعضا قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه
بعي في الجنة سلام واما تحية الملائكة فلا يناسبها التقييد بقوله فيها لوقوعها من خزنة الجنة
ومن الملائكة قبل الدخول فيها قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
الم تر كيف ضرب الله مثلا قد تقدم الكلام فيه في اوائل سورة البقرة **كلمة طيبة** بدل من مثلا
كشجرة طيبة صفتها او خبر محذوف اي هي كشجرة او منصوبة بفعل مقدر اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله ضرب الله مثلا او اول مفعولي ضرب ومثلا ثانيهما اجراء
لضرب مجرى جعل وقرئ كلمة بالرفع على الابتداء **اصلها ثابت** في الارض ضاربة بعروقه
فيها **وفرعها في السماء** اي اعلاها ورأسها او فروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة **في السماء** اي صاعدة في جهة العلو وصف من الجملة الاولى بالثبت

مقابلة

مقابلة في الاولى وعبارة في ابلغ من الى اذا اريد المبالغة في الارتفاع وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله
ولذلك قيل انه اقوى لان المخبر عنه بالاصالة هو الاصل لا الشجرة واذا اجريت الصفة على الشجرة كان
القصد الى ثبوت الشجرة باصلها فلم يقو قوتها حين كانت جملة واقعة صفتها ولكن على الثاني هو جار
عليها بحوله فهو اقوى في اثباته لما هو له وهو ظاهر اذا كان المقصود اثبات الوصف على سبيل القوة
كما نحن فيه **تؤتي اكلها** تعطي ثمرها **كل حين** كل وقت فقد ورد في الخبر عن النبي عليه السلام ان المراد من الشجرة
هي النخلة اكلها الطلع والبسر والرطب والتمر فهو دائم لا ينقطع وكذا حال المؤمن لا يخلو
وقت من الاوقات من خير ومن لم يثبته لهذا قال كل وقت وقتها الله لاثمارها **باذن ربها**
بتيسير خالقها ومدبرها **ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير وتصوير للمعاني في صورة تستانس وادناء للمعقول من المحسوس **ومثل كلمة خبيثة
كشجرة** كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها **اجتثت** استوصلت والاجتثاث اخذ
الجثة بالكلية **من فوق الارض** لان عروقها قريبة منه **ما لها من قرار** استقرار وثبات
اختلفت في الكلمة فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق والاولى ان يفسر كل منهما بما يعم
الكل فيقال الكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف
ذلك وقد مر تفسير الشجرة الطيبة وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظلة **يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت** اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم واعتقدوه اعتقادا
يمتنع زواله **في الحيوة الدنيا** وتثبيتهم في الدنيا انهم اذا فتنوا في الدين لم يزالوا كزكريا ويحيى
وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود **وفي الآخرة** وتثبيتهم فيها انهم اذا سئلوا
عن معتقدهم في الموقف لم يتلعثموا ولم يدهشهم اهوال القيمة وقيل معناه الثبات
عند سؤال القبر وروي فيه الخبر المرفوع **ويضل الله الظالمين** الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار
على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يستثبتون في مواقف الفتن **ويفعل الله ما يشاء** من
تثبيت بعض بالهداية وازلال آخرين بالاضلال من غير اعتراض عليه **الم تر** الم تنظر **الى الذين
بدلوا نعمة الله** اي شكر نعمة الله **كفرا** بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس نعمة الله تعالى كفرا فانهم
لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى
واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر **واحلوا قومهم** الذين تابعوهم في الكفر **دار البوار** دار الهلاك بحملهم على الكفر

جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي اي جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضلوا بفتح اليا على ان الضلال والاضلال ضلالا
عرضهم من اتخاذ الانداد على سبيل التشبيه والتقريب لانه لازمه ونتيجته كما ان الاكرام الذي هو نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني فادخل عليه اللام وان لم يكن غرضا في الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفيه تهديد لمن جعل انهماكهم في الشهوات وتهالكهم على الشرك واللذات كامتثال مامور مطيع لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا دونه لانغماسهم في التمتع بها والجائهم اليها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون سواه ولا يرفعون راسا الى ما عداه فقيل تمتعوا على لفظ الامر وفي قوله فان مصيركم الى النار ايذان بان المهدد به كالمطلوب لهم حتى جعل المهدد عليه المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا ولا تقصروا فيه ما تم انه ذا ومتم عليه فان مطلوبكم حاصل ولا يجدي ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة الى نفسه تنويها لهم وتنبيها على انهم القائمون بحقوق العبودية ولهذا رتب ان ما منهم الصلوة وانفاقهم على الامر بالمقال يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم ايذانا بان فعلهم لا ينفك عن امر الرسول لفرط مطاوعتهم له وتحقق عقود يتهم لله تعالى وانه كالسبب الموجب لفعلهم ومفعول قل محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي اقيموا الصلوة وانفقوا او قيل المقول يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا وانما جاز حذف لام الامر لدلالة الامر عليه سرا وعلانية نصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به والاعلان بالواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرئ بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض
مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به اي بالماء والفاء لتسبب الاخراج بالانزال من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه او بالعكس ويجوز ان يكون رزقا نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق او على المفعول له وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها

وفر

وقوله بامره متعلق بالمطوفين لكن قيل في قوله لم تكن آمنت من قبل او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ذكر انواع النعم وافرد كل منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على عظم مكانها وآتاكم من كل ما سالتموه من كل شيء سالتموه بلسان الحال والاحتياج لمصالح معاشكم ومعادكم على ان من لابتداء الغاية ويجوز ان يكون السؤال على ظاهره على ان عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى وفتحنا عليهم ابواب كل شيء وحمل من على التبعيض يفضي الى اخلاء لفظ كل عن فائدة زائدة لان ما نص في العموم بل يوهم ان البعض من كل فرد يتعلق به السؤال ولا وجه له ومن قال في تفسيره بعض من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما قدره الله تعالى فقد اتى في تعليله ما لا يناسب المعلل لان الكلام في ان المحمول بعض المسؤول فكونه بعض المقدور لا يجدي نفعا في بيانه وقرئ من كل بالتنوين وما في محل النصب بالمفعولية او نافية في محل النصب على الحال اي آتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها كما قال من احصاها دخل الجنة يعني انها غير قابلة للاحصاء لعدم تناهيها فان نعمة النفع وان كانت افرادها متناهية لدخولها تحت الوجود وكذا نعمة الرفع اي رفع الظلم ما لا كان او دينا ولكن نعمة الرفع غير متناهية ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان باستعمالها لا فيما ينبغي ولا فيما يبتغي به وجه الله تعالى كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره ذا امن وفي الثاني جعله من جملة البلاد الآمن اهلها وبينها ان يزيل الخوف ويصيره ذا امن وذلك لان محط الفائدة
يدة
هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة الخبر واجنبني وبني بعدني واياهم من ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالتك ان تعصمني وبني واسناد الاضلال الى الاصنام مجازي لانهن السبب في ضلالهم كقوله غرتهم الحياة الدنيا ولا توجه ان يقال تحقق طلب العصمة عن الضلال بانك تتدارك دفع هذا السؤال بقوله فمن تبعني بالسلوك في الصراط المستقيم والتمسك بالدين القويم فانه مني اي بمنزلة بعضي فيشمله طلبي للعصمة فكانه قال ولا اخص طلب العصمة بهم فان من تبعني فهو في حكمهم يحكي ان النبي
الكلام
ابو امته فالفاء التعليلية للعطف على محذوف يقتضيه المقام ويستدعي تقديره انتظام

فانظر الى حسن نظم هذا المقام ولطف طلب الامهال لسائر الاشياع وعامة الآل بقوله ومن عصاني
فيه طباق معنوي لان التبعية طاعة فانك غفور تستر عليه ذنبه رحيم تمهله فلا تعاجله بالعقاب
وهذا على وفق ما اخبر به تعالى بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فلا دلالة فيه على ان الله تعالى
ان يغفر الشرك كما زعم من قال في تفسيره تغفر له ان يغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة
وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ثم انه
لم يدر انه بالترديد المذكور وقد هدم مبنى تلك الدلالة ربنا كرر النداء رغبة في الاجابة واظهارا
التذلل واتى بضمير الجماعة لانه تقدم ذكره وذكر بنيه اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي
وهو اسمعيل واولاده فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها
لا تنبت والوادي سفح الجبل ومن ذلك قيل للانهار العظام اودية لان حافاتها كالجبال
لها والزرع كل نبات ينبت من غير ساق عند بيتك المحرم هو الكعبة شرفها الله تعالى والاضافة
الى الله تعالى للتشريف وتوصيفه بالمحرم لانه تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما
لمكانه قوله بواد غير ذي زرع اخبار عن صرف توكله وصدق تفويضه وقوله عند بيتك
بيان انه رأى الرفق في الجوار لا في المبار ربنا ليقيموا الصلوة اللام بمعنى كي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم وقيل هي لام
الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة وسأل الله تعالى ان يوفقهم لها وتكرير النداء وتوسيط
للاشعار بانها المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها فاجعل
افئدة ذوي افئدة من الناس من للتبعيض قيل لو لم يقل من لازدحموا عليها فارس والروم
والترك والهند او للابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي قلبي وقرئ آفدة ومن افعلة
افئدة كادرع ادور واما اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم
وقرئ افدة اما انه اسم فاعل بوزن خشن واما تخفيف آفدة بطرح الهمزة وان كان الوجه
اخراجها بين بين تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا واصل الهوي ان يكون من
علو ويلزمه السرعة وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوي
اليهم من هوى يهوي اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديتها وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم في واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء ويجلب اليه من كل ناحية حتى يجتمع فيه البواكير والفواكه الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجاء الى الله تعالى واظهارا للافتقار اليه
واستلذاذا او ذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم ما نخفي على ما نعلن تعاديا عن

اسلوب

بينهما
اسلوب الترقي لان مبناه على التفاوت في علمها وهو منتف في حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت
في علمك فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا فلا حاجة بنا الى السؤال ولكنا ندعوك اظهارا
للعبودية والتذلل والتخشع لك وامتثالا لامرك وافتقارا اليك والى رحمتك واستعجالا لنيل ما
عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وما يخفى على الله من شيء الظاهر
انه من كلام ابرهيم عليه السلام على طريقة الالتفات تأكيدا لقوله وتبيينا له بالبرهان وتعظيما
لله تعالى باظهار اسمه وتقريرا للحكم كانه قال وكيف لا تعلم وانت الله والله هو العالم بالغيب
كله لا يخفى عليه خافية ومن للاستغراق وان جعل من كلام الله تعالى كان تصديقا منه لابرهيم
على طريقة الاعتراض بين حكاية قوله كقوله تعالى وكذلك يفعلون في الارض ولا في السماء عبر عن
العالم بقطريه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير يعني كانت
الهبة في حال الشيخوخة وبعد استمراري عليها فللدلالة على ان هبة الولد لم تكن في ابتداء
دخوله في سن الشيخوخة بل كانت بعد ما استمراره برهة من الزمان عليها اتى بلفظة على
روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وتقييد الهبة
بحال الكبر استعظام للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة فان الظفر بالحاجة عند
وقوع اليأس اعظم واحلى ولانها في ذلك كانت آية بينة له عليه السلام اسمعيل واسحق
كان اسمعيل اكبر من اسحق فلهذا قدمه عليه ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك
سمع الملك كلامه فلانا اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده كان قد دعا ربه وسأله
الولد فقال رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر حمد الله تعالى على موهبة الولد ورأى
المنة عليه في قبول دعائه السابق فوقع قوله الحمد لله وتذييله موقع الاعتراض تأكيدا لما قدمه
من الطلب بتذكير ما عهد من الاجابة يتوسل اليه تعالى بسابق نعمته في شأنه والسميع من ابنية
المبالغة مضاف الى مفعوله معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه ويجوز ان يكون من اضافة
الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعاء الله سميعا مجازا عقليا والمراد سماع الله تعالى رب
اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني
اي بعض ذريتي وانما بعضها لانه علم باعلام الله تعالى اياه ان في ذريته كفارا وذلك قوله
لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير للنادي فلا يمنع عطف قوله وتقبل دعائي واستجب
دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقرئ
ولولدي يعني اسمعيل واسحق وللمؤمنين دعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين فيدخل فيه
هذه الامة فهو قد دعا لنا ونحن ندعو له في الصلوة بامر الله تعالى اجابة له دعاؤه واجعل لي لسان

صدق في الاخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يسند الى الحساب اسنادا مجازيا وهو لاهله لا على حذف المضاف فانه يجعل الاسناد حقيقيا والكلام ثالثا عن منزلته فمن قال او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه فيما هو مجاز فقد خلط بين الاسنادين ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد النهي عن لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية اي لا تحسبن بما عملوا فانه تعالى مطلع على احوالهم واعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك وان تاخير العذاب عنهم لتشديده عليهم في العقبى فهو امهال لا اهمال او لكل احد ممن يستعجل عذاب الظالمين او يتوهم اهمالهم بانه يجانب بعلمه تعالى رقيبا عليهم فتسلى الاول ولا يظلم الثاني ولا تحذن ان ظلم فانه المجازي والمنتقم المنتصر من الظالم للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم اضاف التاخير اليهم والمؤخر عذابهم على سبيل المجاز ابانا اي انهم من شدة العذاب في ذلك اليوم يكونون بحيث يظن من راهم انهم عذاب مجسم تشخص فيه الابصار اي تبقى مفتوحة لا تنطبق لعظم هول ذلك اليوم ولا اختصاص لتلك الحالة بهم ولهذا اطلق الابصار ولم يضفها اليهم كما اضاف اليهم في قرانها وهذا ابلغ في التهويل فمن توهم ان المعنى تشخص ابصارهم فقد وهم ثم انه لم يصب في تفسير الشخوص بعدم القرار قال الجوهري يقال شخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف مهطعين يقال اهطع الرجل اذا اقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه وبه فسره ابن عباس رض حيث قال المهطع الدائم النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق الكلام ولحاقه بخلاف تفسيره بالمسرع كما لا يخفى مقنعي رؤسهم اقناع الرأس رفعه اي رافعيها حتى لا يبصر وامواضع اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم اي تبقى اعينهم ممدودة نحو الهول مفتوحة لا تطرف اي لا تتحرك اجفانهم ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم ولا يخفى ان هذا يغني عن اضافة الابصار اليهم في وصفها بالشخوص وانما وحد الطرف لانه في الاصل مصدر وافئدتهم هواء خلاء وصف القلوب بالهواء مبالغة في الخلو عن الفهم والعقل لفرط الحيرة والدهشة كانها الخلاء ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة فالتجوز فيه عقلي كما في رجل عدل لا لغوي كما زعمه من فسره بالخالية فاخلاه عن تلك المبالغة ونزل الكلام عن المنزلة العالية وقيل معناه مجوفة لا تعي شيئا للخوف والفزع الذي دخلها فهي كهواء الجو في الانخراق وبطلان الامساك وانذر الناس خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او وقت الموت فانه اول اوقات عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول

80

الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب او اخر اجالنا مقدار ما نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة القول وجواب القسم ما لكم من زوال دال اقسامهم على انتفاء الزوال عن الدنيا اما لغاية الغفلة والانهماك في الجهل وغلبة البطر والاشر واما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا كانهم اقسموا على انهم خالدون فيها وانما قيل ما لكم على المطابقة لاقسمتم ولو حكى قول المقسمين لقيل ما لنا من زوال اي اقسمتم انكم لا تزالون عن الدنيا وقيل معناه لا ينتقلون الى دار اخرى لقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اي اقسمتم على انكار البعث وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود سائرين بسيرتهم واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء والتوطن فيجري مجراه كقوله اسكن انت وزوجك الجنة والسكنى سكون خاص فترك على الاصل ويجوز ان يكون بمعنى السكون اي لبثتم فيها واطمأننتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة اثار ما نزل بهم في مساكنهم وتواتر اخبارهم فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولا تحذروا انفسكم ما لقوا من عذاب الله وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوه وفعل بهم التي صارت امثالا سائرة بين الناس في غاية الغرابة مضروبة لكل ظالم وبينا انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب وقد مكروا مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو المكر المخصوص بهم ليس لاحد مكر في قوته وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو العذاب الذي ياتيهم بغتة من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم ذلك بمكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم وشدته اي وان كان مكرهم لشدته وعظمه مسوى معدا لزوال الجبال مثل لتعاظم منه كانوا اذا اعظموا الشيء وصفوه بمثله قال الشاعر لما اتى خبر الزبير تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع اي وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله والمكر الاول مضاف الى الفاعل والثاني مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون الثاني ايضا مضافا الى الفاعل اي وعند الله مكرهم الذي يمكرون الرسل به يعني مكتوب عنده فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وان كان مكرهم مما يضرب به المثل في العظم وقيل ان في وان كان مكرهم نافية واللام لتاكيد النفي كقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله تعالى وشرايعه وقرئ بالفتح والرفع على انها الفارقة

ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم والجمهور على انها ان الشرطية وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند الله مكرهم **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده قدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب لا يماكر قادر لا يدافع **ذو انتقام** لاوليائه من اعدائه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالنهي عن الحسبان المذكور الامر بضده على ابلغ وجه وهو الجزم بنصر المؤمنين وقهر اعداء الدين اي فكن على ثقة ويقين بالانجاز لما وعدناك من الاعزاز للاسلام واهله والاذلال للكفر والانتقام من اهله **يوم تبدل الارض غير الارض** بدل من يوم يأتيهم العذاب او ظرف للانتقام ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده **والسموات** عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات اي تبدل الارض المعهودة ارضا اخرى والسموات سموات اخرى والتبديل هو التغيير اما في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وجعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تعالى اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين **وبرزوا** من اجداثهم **لله الواحد القهار** لمحاسبته وتوصيف ذاته بالوصفين المذكورين لتهويل الامر وبيان شدة الامر في ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الامر والملك اذا كان لواحد لا يشاركه فيه قهار لا يغالب ولا يعارض لا مستغاث لاحد ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة **مقرنين** بعضهم مع بعض لاشتراكهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او مع الشياطين الذين اضلوهم على الاجرام او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال ويجوز ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم بما اقترفته ايديهم وارجلهم فكأن ايديهم غلت الى ارجلهم **في الاصفاد** متعلق بمقرنين او حال من ضميره قال الراغب

الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح الصفاد ما يصفد به من قيد وقد يوثق غل ابي وقول الشاعر فلا في صفادا بمعنى بساعد وبعظم ساق ظاهر في ان صفادا واحدا بجمعها فكأنه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشد ان على العنق **سرابيلهم** اي قمصهم جمع سربال **من قطران** فيه ثلث لغات فتح القاف مع كسر الطاء وسكونها وكسر القاف مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر الابهل يطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب والجلد بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص فيجمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال النار بهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بانفسهم من الهيآت الردية والملكات الفاسدة الموحشة فيجلب اليها انواعا من الاذى والالم والعذاب وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآن المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وانما جيء بها جملة اسمية لان سرابيل القطران احد من الانواع الاربعة المذكورة افظع من الصفد واما بمعنى فلتجدد الاحضار المقصود في قوله وترى لان الثاني اهول والاول في بيان حالهم في الموقف الى ان يكب بهم في النار والآخر لبيان حالهم بعد دخولها وكأن الاول حرك من السامع ان يقول واذا كان هذا شأنهم وهم في الموقف فكيف بهم وهم في جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله **وتغشى وجوههم النار** لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فحالا وانما نغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي خلقت فيها في تدبر الحق كما تطلع على الافئدة لانها خالية عن المعرفة مملوة بالجهالات **ليجزي الله كل نفس** اما ان يتعلق بمحذوف تقديره يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة **ما كسبت** او بقوله وبرزوا اي ليجزي الله كل نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر عقاب المجرمين ليستدل به على ثواب المطيعين **ان الله سريع الحساب** لانه لا يشغله فيه تأمل وتتبع ولا يمنعه حساب عن حساب حتى يستريح بعضهم عند الاشتغال بمحاسبة الآخرين فيتأخر عنهم العذاب وبهذا التفصيل تبين وجه اصابة التذييل المذكور محزه **هذا** اشارة الى السورة او الى ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب اي هذا الكلام او الكتاب **بلاغ** كفاية **للناس** في الموعظة والتذكير والاشارة الى جميع ما في السورة من العظة والتذكير اولى ليكون كالتذكرة وخاتمة على منوال الفاتحة **ولينذروا به** عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به فاللام متعلق بالبلاغ او

او متعلق بمحذوف اي ولينذروا به انزل وقرئ ولينذروا به بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له
وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة على التوحيد او المنبهة
على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم
قيل ان الفوائد الثلث التي ذكرها لهذا البلاغ هي الغاية والحكمة في انزال الكتب وهي
تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية
التي غايتها في الكمال التوحيد واستصلاح القوة
العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى
جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما
والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الحجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب والقرآن
السورة وهذا ابلغ على ما قدمنا بيانه في تفسير سورة   واللام في الكتاب
للعهد والتنكير في القرآن للتفخيم اي تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وقرآن اي قرآن
مبين يبين الرشد من الغي بيانا عربيا بمعنى الجامع للكمال والغرابة في البيان والبلاغة
ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع عرف الكتاب
ونكر القرآن ههنا وعكس في سورة النمل وقدم المعرف في الموضعين لزيادة التنويه ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين منقادين لحكم هذا الكتاب وهذا التمني حين يخرج الله تعالى عصاة
المؤمنين من النار وروي فيه حديث مرفوع وقيل اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين
عند البعث للحساب او عند الموت اذا رأوا العذاب وقيل في كل الاحوال التي يخطر بالبال ظهور
بطلان ما كانوا عليه من الضلال وهذا انسب لما قصد بربما من معنى التكثير على وجه ابلغ و
قوله لو كانوا مسلمين حكاية وداديتهم على لفظ الغيبة كقولك حلف بالله ليفعلن وحق
ربما ان يدخل الماضي لانشائه بحقيق التقليل لكن لما كان الغرض من الماضي تحقق وقوعه
والمترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي في تحقق وقوعه اجري مجراه ومعنى التقليل فيه وارد
على طريق العرب وقولهم في موضع النصح وارتكاب المخاطب ما لا يشك في استتباعه
للتندم لعلك ستندم وربما ندم الانسان على ما فعل وليس مرادهم الشك والتقليل بل المراد
ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع عما تفعل لكان حقا عليك ان لا تفعل لان قضية

العقل

العقل التحرز من الغم المظنون والقليل فكيف واستتباع فعلك للغم والندم الكثير محقق اي لو كانوا
يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقرئ ربما
بالفتح والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخوله على الفعل وقيل نكرة
موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر ذرهم ياكلوا تخصيصه بالذكر مع اندراجه
في قوله ويتمتعوا وتقديمه عليه للتنبيه على ان حظهم من الحيوة الدنيا حظ البهائم بالاكل والشرب
والاقتصار على الاكل لان الاكل يستتبع الشرب عادة فذكره يغني عن ذكره ويتمتعوا بدنياهم
ويتهمكوا في شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار ورجاء ان امورهم واحوالهم
على وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون وخامة عاقبتهم وسوء صنيعهم اذا عاينوا
جزاءه فيه وعيد وتحذير عن ايثار التنعم وطول الامل والزام للحجة لان الامر بالضد
لا يكون الا عند تكرر الانذار وثبوت الجحود وكذلك ما رتب عليه واقناط للرسول من ارعوائهم
وايذان بانهم من اهل الخذلان لا يقبلون النصح ولا يجدي فيهم الانذار وما اهلكنا
من قرية اهلاكها كناية عن اخلائها عن اهلها بافنائهم وهي ابلغ من المجاز في القرية
واما تقدير المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة الا ولها كتاب معلوم
اجل مكتوب في اللوح معلوم عند الله تعالى موقت ولهذا قال ما تسبق من امة اجلها
اي كتابها اي لا يتقدم امة ومن مؤكدة وما يستأخرون اي عنه وحذف للعلم به ووحد
تسبق بالتاء للظاهر كلمة امة وجمع في قوله يستأخرون بالواو والنون للمعنى والكلام متصل
بقوله فسوف يعلمون اي العذاب نازل بهم في وقته الذي جعلنا له اجلا لا اخرناه لما كان في
علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله وجبت كلمة العذاب على
الكافرين ولم يتأخر عنهم وجملة المستثنى واقعة حالا من قرية لانها في معنى العموم
قريبة من المعرفة اذ المراد قرية من القرى وهذه الواو التي تعطي ان الحالة التي بعدها في
اللفظ هي قبلها في المعنى ومنه قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومن حملها على
الصفة يكون القرية نكرة ثم قال والقياس ان لا يتوسط الواو بين الصفة والموصوف
وانما جيء بها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال تقول جاءني زيد عليه ثوب
وعليه ثوب فقد تعسف لان الواو انما جيء بها لئلا يشتبه الحال بالصفة لتقدم الحال
على النكرة الا ترى الى قولهم جاءني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان بالواو دفعا
للاشتباه المذكور فكذا ههنا ثم ان فيما اختاره فصل بين الصفة والموصوف بالا وهو
جائز نص عليه الاخفش وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي مكة على وجه الاستهزاء يا ايها

لهم

ان الامر كذلك ولم يثبت العثور
على حقيقة الحال فعليك بالمراجعة
الى الارشاد بالنسبة الى الاسرار
الفاضل ابي السعود
[illegible]

الذي نزل عليه الذكر نداء للرسول على سبيل التهكم الا ترى الى ما نودي له وهو قولهم انك لمجنون
والتعكيس في الكلام للاستهزاء والتهكم طريق واسع ونظيره قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون يعنون ان دعاءه لنزول الذكر عليه قول المجانين والمراد بالذكر القرآن لوما تأتينا
اي هلا تأتينا وركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض و
الفرق بينهما ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسماء
لفظا او تقديرا عند البصريين بالملائكة ليصدقوك ويشهدوا لك ويعضدوك على الانذار
كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او ليعاقبونا على تكذيبنا اياك كما اتى الامم
المكذبة من قبل ان كنت من الصادقين ان كنت صادقا في دعواك او ان كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين في دعواهم ما ننزل الملائكة بالنون وهو يناسب لما تقدم وما
تأخر من الفاظ التعظيم وقرئ بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق متعلق بفعل قبله او بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول اي ملتبسين
بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالحكمة والصواب ولا حكمة
في ان تأتيكم بصور تشاهدونها ويشهدون بصدقه فانه لا يزيدكم الا لبسا كقوله ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا في معاجلتكم بالعقاب فان
منكم ومن ذراريكم من سبق له حكمنا بالايمان وقيل الحق الوحي وقيل العذاب وما كانوا
اذا منظرين جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن
نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولهذا اكده بان والضمير وبناء الفعل عليه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من الطعن والتحريف والزيادة والنقصان بان جعلناه مباينا
لكلام البشر لا يخفى على اهل البلاغة اعجازه وتغير نظمه لو غير بخلاف الكتب المتقدمة فانه
تعالى لم يتول حفظها واستحفظها الربانيين والاحبار ولم يجعل لفظها ونظمها معجزا الا يمكن
تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا وغيروا وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك
من الناس ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي ارسلنا رسلا من قبلك يجوز
ان يتعلق بارسلنا وان يتعلق بالمحذوف على انه نعت له والشيع جمع شيعة وهي الفرقة
المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد
بها الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما يأتيهم حكاية حال
ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال

ورد عليه بان ما يكثر دخولها على المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به الاستقبال كقوله تعالى
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وانشد شاهدا له قول ابي ذؤيب اودى بني واودعوني
حسرة عند الرقاد وعبرة ما تقلع وقول الاعشى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم له نافلات ما يغب
نوالها وليس عطاء اليوم مانعه غدا وقوله الا كانوا يجوز ان يكون حالا من مفعول يأتيهم
ويجوز ان يكون صفة لرسول فمحله وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا
كانت حالا فهي حال مقدرة كذلك مثل ذلك السلك نسلكه في قلوب المجرمين والسلك
ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للذكر اي ندخله في قلوبهم
مكذبا مستهزأ به غير مقبول كالضمير الاخير في قوله لا يؤمنون به وهو حال من هذا
الضمير او بيان للجملة المتضمنة له او حال من المجرمين او منهما ولا ينافي كونه مفسرا للمعنى
الاول بل يقويه وتعاقب الضماير وان لم يستلزم توافقها في المرجوع اليه لكنه مستحسن
لا يعدل عنه عند سداد المعنى به وقد خلت سنة الاولين استيناف اي قد مضت
طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا الذكر المنزل اليهم وهو وعيد لاهل مكة على
تكذيبهم فوقع هذا الكلام موقع الغاية في سورة الشعراء اعني قوله حتى يروا العذاب الاليم
ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون اي يسرنا لهم معراجا
يصعدون فيه اليها طول النهار ويعاينون ما هنالك وذكر الظلول ليكون عروجهم بالنهار
مستوضحين لما يعاينون طوله لقالوا من غلوهم في العناد تشككا في الحق انما سكرت
ابصارنا حيرت من السكر ويدل عليه قراءة سكرت اي حارت كما يحار السكران او
حبست من السكر ويدل عليه قراءة بالتخفيف اي حبست ومنعت من الابصار
كما يحبس النهر من الجري بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور
غيره من الايات اي هذا امر تخييلي لا حقيقة له قد سكر ابصارنا بل سحرنا به ومعنى
انما انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكير الابصار وكذا معنى الاضراب في
بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا سحرا اثر بنا لا افاقة معه ولقد جعلنا في
السماء بروجا هي الاثنا عشر المعروفة مختلفة الهيآت والخواص على ما دل عليه الرصد
والتجربة ومن زاد على هذا قوله مع بساطتها فقد ادعى ما دون اثباته خرط
القتاد وزيناها بالاشكال والهيآت البهية للناظرين المعتبرين المستدلين
بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها الضمير للسماء وكذا في زيناها اذ لا وجه لتخصيص الزينة
بالبروج من كل شيطان فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها

ويطلع على احوالها **رجيم** مرجوم بالنجوم اي يرمي بها الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء
المتصل واستراق السمع اختلاسه سرا شبهت الخطفة اليسيرة التي للشياطين من سكان
السموات لبعض الغيب بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاعها
وحركاتها بالسرقة في المسموعات وعن ابن عباس كان الشياطين غير محجوبين عن السموات
فلما بعث عيسى عم منعوا من ثلث سماوات فلما بعث محمد عم منعوا منها جميعا بالشهب
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر ويجوز ان يكون من في محل
رفع بالابتداء وخبره **فاتبعه** اي طلب لحوقه وانما دخلت الفاء لان من اما شرطية واما موصولة صولة
متضمنة بالشرطية والاستثناء منقطع وقيل انه بدل من كل شيطان فيكون محله الجر
وفيه ان الكلام موجب فيحتاج الى تاويله بالنفي ولا ضرورة ههنا بخلاف قوله فشربوا منه
الا قليل فانه فيه ضرورة على قراءة الرفع ومن قال اي فتبعه ولحقه فكانه لم يفرق بين
تبعه واتبعه والفرق قايم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني اللحوق بالاول وتبعه تبعا
اذا مر به فمضى معه وكذلك اتبعه اتباعا بالتشديد ثم ان ما روي عن ابن عباس رض
بعد قوله منعوا منها جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب فيهم
فان اصابه احرقه وان اخطاه خبله فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في عدم
اعتبار اللحوق في الاتباع **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار
ساطعة واطلاقه على الكوكب والسنان بطريق الاستعارة لما فيهما من البريق
والارض مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها وقيل المد هو البسط الى
ما لا يدرك منتهاه ولما كانت هذه الجملة تعقبها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال
ارجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب والارض **والقينا** طرحنا وانما قال **فيها** دون
عليها الرفع ما يتبادر الى الفهم من القاء الجبال القاؤها على الارض من الخارج وبيان
ان المراد تكونها فيها على وجه يتطاير كانها ملقاة عليها **رواسي** جبالا ثوابت وقد
من ما يتعلق به في تفسير سورة الرعد **وانبتنا فيها** اي في الارض والانبات في الجبال
يندرج في الانبات في الارض بدون العكس فلا حاجة الى الجمع ولا وجه لعود الضمير الى
الجبال خاصة **من كل شيء** لفظة كل للتكثير والتعميم وقد مر نظايره **موزون** بميزان الحكمة
مقدر بقدر يقتضيه او مستحسن مناسب كقولهم كلام موزون فقدره ووقع في باب
النعمة والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش** قدم تفسيره في سورة الاعراف **ومن لستم له
برازقين** نصب عطفا على لكم لا على الضمير المجرور والا لوجب اعادة الجار اي جعلنا لكم فيها معايش

ومن لستم له برازقين من العيال والخدم والمماليك والانعام والدواب ممن تظنون انكم رازقوهم
ظنا كاذبا والله يرزقكم واياهم او على معايش اي وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما
ذكر فانها من معايشكم فذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل
معين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة و
طبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية
والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه من شيء في محل الرفع مبتدا خبره عندنا خزائنه ومن زائدة
لتاكيد العموم الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن اي يحفظ فيه نفايس
الاموال شبهت معلوماته الممكنة التي اذا تعلقت الارادة بها وجدت بقدرته بالا شتباء
المخزونة في الخزائن فهي استعارة وقيل ضرب مثل لاقتداره على كل مقدور وايجاده
وتكوينه بحسب ذلك الارادة اي ما من شيء من الاشياء الممكنة الا ونحن قادرون
على ايجاد اضعاف ما وجد منه **وما ننزله** اي نكونه ونوجده في العالم السفلي **الا بقدر معلوم**
اي بمقدار معين وحد عينته الحكمة واقتضته المشية فان تخصيص كل منها بصفة دون
اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون ما يخالفها لا بد له من مخصص حكيم **وارسلنا
الرياح** فيه اشارة الى ان مقتضى طبع الريح الهبوب وانما تؤكد بالقسر الالهي لما في
هبوبه الزايد عن قدر الحاجة مفسدة عظيمة **لواقح** حوامل او ملقحات للشجر والسحاب
ونظيره الطوايح بمعنى المطاوح جمع مطيح كقوله ويختبط مما تطيح الطوايح اي المطيحات
شبهت الريح التي جاءت بخير كانشاء سحاب ماطر وانبات زرع وعشب بالحامل كما شبهت
ما لا يكون كذلك بالعقيم وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس **فانزلنا من السماء ماء**
قدم تفصيله في تفسير سورة البقرة **فاسقيناكموه** فجعلناه لكم سقيا **وما انتم له بخازنين**
نفي لما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه ههنا كانه قال نحن الخازنون
له لا انتم اي نحن القادرون على خزنه في السحاب وانزاله وما انتم عليه بقادرين دلالة
باهرة على عظيم قدرته واظهار العجز هم وقيل معنى وما انتم له بخازنين في الغدران والعيون
والابار **وانا لنحن نحيي ونميت** تقديم الضمير للاختصاص وتكريره وتاكيده بان للحصر
والتقوية اي لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لنا ويجوز ان يراد بالحيوة ما يعم الحيوان و
النبات وبالموت ما يقابله **ونحن الوارثون** الباقون بعد فناء الخلق كله استعير
الوارث للباقي من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين**

من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين منهما او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر لا يخفى علينا من احوالكم شيء فهو بيان لكمال علمه تع بعد الاحتجاج على كمال قدرته وقد دل على علمه ايضا ما دل على قدرته وقيل رغب رسول الله صلعم في الصف الاول في الصلوة فازدحموا عليه فنزلت وروي ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلعم فاستقدم بعض القوم لئلا يقع بصره عليها واستأخر بعضهم ليبصرها فنزلت وما تقدم من الوجوه والذي يتلوه هو المطابق للسابق واللاحق وان ربك هو يحشرهم للحشر جمع الحيوان من جهات شتى الى مكان اي هو وحده يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف عددهم وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدليل على كمال قدرته تع وعلمه يدل على صحة هذا الحكم كما صرح به في قوله انه حكيم اي باهر الحكمة متقن في افعاله عليم اي واسع العلم يحيط بكل شيء علما ولقد خلقنا الانسان من صلصال الآية نبه تع على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيمة الى ما يستحقون فيه نبههم على مبدأ اصلهم آدم عليه السلام والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل لشدة يبسه وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا سمع في صوته مد عند النقر فهو صليل واذا سمع ترجيع فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمأ صفة صلصال اي كائن من حمأ ويجوز ان يكون بدلا من صلصال باعادة الجار والحمأ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء مسنون مصبوب مفرغ من سن الماء اذا اصبه اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور والتماثيل من الجواهر المذابة كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه والجان ابو الجن كما ان آدم عليه السلام ابو الانس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان فان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام وهذا باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من الغالب فيها الجزء الارضي ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تع وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون انما قال

بما

ههنا بشرا لان المراد الجسد الخالي عن الروح والمراد فيما سبق جنس الانس ولم يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر عنه بالانسان فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي اي احييته وهو تمثيل لتحصيل ما يحيى به جثته فيه وما ثمه نفخ ولا منفوخ لكن لما كان ظهور الروح الانساني المخصوص بالله تع فيه انما هو بفيضان القوة الحيوانية على البخار اللطيف المتولد في القلب الساري منه في الشرايين الى سائر اعضاء البدن عبر عن احيائه بنفخ الروح فان النفخ انما هو اجراء الريح في تجويف جسم آخر واضافة الروح الى نفسه لانه صدر منه بلا واسطة فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم تعلقه لامر مجمل مذكور في مواضع اخر وقد قررناه في تفسير سورة الاعراف لا لامر معلق مذكور ههنا فالفاء الفصيحة للعطف على محذوف تقديره فخلقه فسواه ونفخ فيه فامرهم التنجيزي اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص هذا على قول سيبويه وعن المبرد اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا دفعة واحدة ورده الزجاج بان اجمعين معرفة فلا يكون حالا الا ابليس استثناء متصل وقد سبق وجهه في سورة البقرة والاعراف ابى استيناف كأن سائلا قال هلا سجد فقيل ابى ان يكون مع الساجدين في عبارة مع اشارة الى ان ابليس كان في حيز التابعين في امر السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفى لطف موقع هذه الاشارة حيث كان الكلام في تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك الا تكون اي عرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم عم قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا روحاني لطيف خلقته من صلصال من حمأ مسنون اي خلقته من اخس الاجرام وانا مخلوق من اشرفها استنقص آدم عم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه قال فاخرج منها من السماء او من الجنة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تع اي ملعون لان الطرد من الرحمة هو اللعن والرجم في الاصل هو الرمي بالحجارة وجعل الرجم طردا لان من يطرد يرجم بالحجارة وقيل من الشياطين المرجومين بالشهب وهذا ليس جوابا عن الشبهة على سبيل التصريح بل جواب على سبيل التنبيه وذلك ان الذي قاله تع نص والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا وان عليك اللعنة هذا الابعاد والطرد الى يوم الدين جعله منتهى امد اللعن لا بمعنى انه ينقطع عنده بل بمعنى ان الاغواء الموجب للعن على لسان المكلفين ينقضي بانقضاء التكليف ووقت الجزاء فينقطع ذلك اللعن ثم يجازى بما يعني معه اللعن ويستحق من انواع العذاب والا فاللعن في القيمة منصوص عليه في مواضع من كلام الله تع لقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا كلما دخلت

انه لعنت أضيها فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقيل حد اللعن به لانه ابعد غاية
يضربها الناس في التأبيد كقوله ما دامت السموات والارض قال رب فانظرني فاخرج بي والفاء
متعلقة بمحذوف دل عليه سياق الكلام تقديره فاذ اجعلتني رجيما الى يوم القيمة فانظرني الى يوم
يبعثون انما سال الانظار طلبا للامهال في العقوبة قيل اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاتا
عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني وما ذكرنا اتم وهو مستلزم لما
ذكره اولا واما ما ذكرنا ثانيا فمبناه ضعيف على ما ستقف عليه قال فانك من المنظرين الفاء للعطف
على محذوف تقديره لا حاجة الى السوال فانك من الذين اقتضى حكمة التكليف انظارهم فكان
فيها تنبيها على انه لا اجابة له ولا كرامة من جهة الاسعاف لبعض سؤله الى يوم الوقت المعلوم
هذا ويوم الدين ويوم يبعثون واحد الا انه خولف بين العبارات قضاء لحق البلاغة
في الكلام فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث لانه المناسب لغرض اللعين
وثالثا بيوم الوقت المعلوم لوقوعه في الكلامين وزيادة الوقت للتنبيه على ان التأخير
الى ذلك اليوم لا يقتضي نجاته عن الموت لانه زمان ممتد والبعث في بعض اوقاته فيجوز
ان يموت في اوله ثم يبعث مع سائر الخلائق في وقت البعث وهذه المخاطبة وان لم تكن بوا سطة
لم تدل على كرامته عند الله تعالى لانه على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء
للسببية وما مصدرية اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب
اغوائك اياي بواسطتهم وقيل الباء للقسم ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر فبعزتك
لاغوينهم اجمعين والقصة واحدة وهو صريح في ان القسم بصفة الذات ثم قال
والمعنى اقسم باغوائك اياي ثم قال وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف فقد اخطأ
في الاول ولم يصب في الثاني لان الخلاف للفقهاء ونزاعهم في انه يمين يترتب عليها احكامها من
الكفارة وغير ذلك لا في اليمين المتعارف فانه لا خلاف في ان اسم الحلف في عرف العرب
يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا ورد النهي عن الحلف بالآباء وعده الاصحاب مكروها
فالكلام المذكور لا اساس له لهذا المقام لازينن لهم في الارض اي لازينن لهم المعاصي
في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وقيل معنى تقييد التزيين بقوله في الارض
اني قدرت على تزيين الاكل من الشجرة لآدم في السماء فلان اقدر على تزيين المعاصي لذريته
في الارض اولى ولاغوينهم لاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى
لطاعته وطهرهم عن الشوائب وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم ودينهم لله تعالى وكان
يكفيه ان يقول الا المخلصين منهم فزاد قوله عبادك اشارة الى وجه خلاصهم عن اغوائه وهو اختصاصهم

بالله

بالله تعالى من جهة العبودية وتوطئة لتوصيفهم بالوصف المذكور قال هذا اشارة الى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الى الاخلاص صراط علي اي تخلصهم من اغوائك و
انتفاء سلطانك عليهم حق علي ان اراعيه او الاخلاص طريق علي يعني يؤدي الى الوصول
الي والوصول على مستقيم من غير اعوجاج او هذا الصراط حق علي ان اراعيه وهو ان لا
يكون لك سلطان على عبادي فقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان تفسير للصراط المشار اليه
بهذا على طريق الاستئناف وقرئ علي من علو الشرف والمكانة وفي القول المذكور تقرير لما
اوهم اللعين من انه انما استثنى المخلصين رعاية لشرف تقربهم من الله تعالى والاضافة في
عبادي للتشريف يعني ان المخلصين بعبادي المشرفين بالانتساب الي لا قدرة لك على
اغوائهم فالاستثناء في قوله الا من اتبعك من الغاوين منقطع اي لكن من اتبعك من الغا وين
لك عليهم سلطان والواو في قوله وان جهنم لموعدهم اي لموعد المتبعين للعطف على
المحذوف المذكور واما ما قيل انه تكذيب لهم فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص
من عباده فانه منتهى امره التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا يخفى بعده لانه ان اريد بالسلطان القدرة على الاغواء
والاضلال فلا وجه للتكذيب له وان اريد به ما اراده في القول المنقول عنه من القدرة
القاهرة فكلامه خلو عن ايهامه ثم انه مبناه على انقطاع الاستثناء مع صحة التناول
في المستثنى منه للمستثنى ولا يخفى ما فيه فان حق الاستثناء على تقدير العموم في المستثنى
الاتصال كما ذهب اليه من قال انه تصديق لابليس فيما استثناه ولا يذهب عليك ان
خطابه بالتصديق فيما قاله لا يخلو عن نوع اجلال له فلا يناسب مقام الاهانة والاذلا ل
اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف و
معنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب بحسب طبقاتها اثنتا
او خبر ثان ومن قال يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم لم يصب
في واحد منهما اما في الثاني فظاهر لان الابواب مداخل تلك الطبقات لا نفسها واما في الاول
فلان مبناه على ان يكون التعدد في المدخل فقط وليس كذلك قال علي رض ان الله تعالى وضع
الجنان على العرض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها
اللظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية ومن رتب
عكس الترتيب فقط ومنهم لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحد ين
والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس و

وروي ان الثانية للنصارى م

قال ابن جريج ونقله القاضي رحمه الله تعالى

والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا
صريح في انها دركات بعضها فوق بعض وبما قررناه ظهر ان تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوانية والغضبية
وقرئ جزّ بالتثقيل وقرئ جزٍ على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان
الصفة لا تعمل فيما تقدم على موصوفها ان المتقين من اتباعه من قال في الكفر والفواحش
فان غيرها مكفرة فكأنه غفل عن اشتراط كفارة الصغائر بالاجتناب عن الكبائر في جنات
قد سبق في تفسير سورة البقرة ان الجنات ايضا سبع وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات
متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال وعيون يحتمل ان يكون المراد بها الانهار المذكورة
في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وان يكون منابع مغايرة لتلك الانهار ادخلوها على ارادة القول
وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض الادخال بسلام سالمين او مسلما عليكم اي
يسلم عليكم الملائكة آمنين من الآفات والعاهات واما الزوال فالامن عنه انما يعلم من قوله
وما هم منها بمخرجين فلا وجه لدرجه من الامن المراد ههنا ونزعنا ما في صدورهم من غل
كان لبعضهم في الدنيا على آخر نزع الله تعالى ذلك من قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطيب نفوسهم
روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة يدخلون الجنة بما في
صدورهم من الشحناء والغل فاذا تراقفوا وتقابلوا نزع الله ذلك عن صدورهم فذلك
قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل الآية فمن وهم ان ذلك النزع في الدنيا فقد وهم وعن
علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم والغل الحقد الكامن في القلب من
الغل في جوفه وتغلغل فلا وجه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب
اخوانا حال من الضمير في صدورهم [illegible] ونزعنا ما في صدورهم من غل وجاز ذلك
لان المضاف جزء المضاف اليه او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او من الضمير
في جنات وكذا قوله على سرر متقابلين يجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من
ضميرهم لانه بمعنى متصافين او يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم
فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين والنصب الوهن
الذي يلحق من التعب في العمل وما هم منها بمخرجين نص في الخلود وبه يتم النعمة ولما اتم ذكر
الوعد والوعيد ذنبه بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما

ذكر وتمكينا له في النفوس وهو مذلك لذلك وقد ذكر المعتزلة اياه الى انه لم يرد بالمتقين الذين
اجتنبوا الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما غفور لمن تاب وعذابه
لمن لم يتب وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب والتاكيد بالضمير
وتعريف الاسمين ترجيح لجانب الوعد وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم تحقيق لهما ليعتبروا
بما نزل بقوم لوط من العذاب ونجاة لوط وآله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم
عليك او سلمنا سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون الوجل اضطراب النفس لتوقع
مكروه وكان ذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقيل لامتناعهم عن الاكل قالوا
لا توجل وقرئ لا توجل بضم التاء من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من
واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك في محل
الامن والبشارة فان المبشر لا يخاف منه وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف من
البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناه باسحق عليم بالوحي فادرج فيه الاشارة
الى نبوته كما ضمن قوله بغلام البشارة بكون الولد ذكرا قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
الكبر كناية عن تعجبه اياه عن الحال التي يطمع في الولد الى حال الياس عنه ومعنى الهمزة
التعجب والاستنكار اي البشارة بالولد مع مس الكبر عجيب مستنكر في العادة
ولذلك اكده بقوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
في العادة كلا بشارة او بشارة بغير شيء وقرئ تبشرون بكسر النون والتشديد على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية وبكسرها والتخفيف على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني
قالوا بشرناك بالحق اما هو محقق الوقوع او باليقين الذي لا لبس فيه ويجوز ان يكون
قوله فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقته اي باي طريقة تبشروني بالولد
والطريق الى هذه البشارة في العادة وعلى هذا يكون معنى قوله بالحق بطريقة هي حق وهو
قول الله تعالى ووعده فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه القادر على ايجاد
بشر من غير ابوين فكيف من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون
طريق المعرفة فلا يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته لقوله تعالى انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون اي لم استبعد ذلك قنوطا من رحمته تعالى واستبعادا من
قدرته بل استبعدته استعجابا باعتبار العادة وقرئ يقنط بالحركات وقرئ من
القنطين من قنط يقنط قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما الامر الجليل الذي بعثتم له

على ما علم مما تقدم من ان كل المقصد من ارسالهم ليس البشارة لانهم كانوا اذ وهم عدد ولو لم يكن
المقصود الا البشارة لاكتفى بالواحد كما اكتفى به في بشارة زكريا ومريم ولانهم بشروه في اثناء
ازالة الوجل ولو كان المقصود من وصولهم لاجتذوا بها ولان نزول الملائكة يكون غالبا للعذاب
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اريد بهم معينون دل عليه قوله في سورة هود انا ارسلنا
الى قوم لوط وانما نكر لمهنا على سبيل الاستهانة بهم كانهم ابهموا ولانهم بينوا فنقل كل
منها في موضع النكاية بقدر الحاجة وفي الاشارة في توصيفهم بالمجرمين الى ان ارسالهم
بالعذاب غني عن العبادة عنه بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين الواقع في موضع
آخر فكانهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب الى قوم مجرمين والمجرم المنقطع عن الحق الى
الباطل الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي قوم اجرموا كلهم الا آل
لوط او من قوم على ان توصيفهم بالاجرام باعتبار الغالب وعلى كلا التقديرين القوم والارسال
شاملان للمجرمين وآل لوط المؤمنين به والمعنى انا ارسلنا الى قوم وآله ليهلكوا قومه و
ينجوا اهله الا امرأته انا لمنجوهم اي مما يعذب به القوم اجمعين استيناف للجواب عن سؤال
ابراهيم وهو مذكور في موضع آخر بقوله قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امرأته وهذا القدر من الاختلاف في اسلوب الكلام لا يضر اذا كان
المراد نقل خلاصة المعنى وحاصل المرام الا امرأته استثناء من الضمير المجرور في منجوهم
او من آل لوط على ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن الغابرين انها كسرت من اجل
اللام في خبرها ولولاها لفتحت وهي معلقة لما قبلها لان فعل التقدير يعلق اجراء له مجرى
القول لان التقدير بمعنى القضاء قولا او مجرى العلم اما لكونه بمعناه واما لكونه مترتبا عليه
واما تضمينه معنى العلم فلا يجري نفعا لبقاء معنى التعليق واصل التقدير جعل الشيء على مقدار
غيره والغابر الباقي والمراد البقاء في العقوبة وهذه الجملة من كلام الله تعالى ذكرت تقريرا
للاستثناء الواقع في كلام الملائكة لان قوله تعالى فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من
الغابرين صريح فيه والقصة واحدة فلا مساغ لان يكون من كلام الملائكة فالذين سعوا
في توجيه اسنادهم التقدير الى انفسهم بالاخراج عن نوع تعسف لم يكن سعيهم مشكورا
فلما جاء آل لوط المرسلون الفاء الفصيحة للعطف على محذوف تقديره فاتوا بقرينة المقام وباقي
الكلام قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي واخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله وتخافه بل جئناك بما يسرك ويشفيك من اعدائك وهو العذاب
الذي تتوعدهم بنزوله فيجادلونك فيه تكذيبا لك وقوله في سورة هود قال لو ان لي بكم

قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لا يكمل توقيفه لهذه المقاولة الاجمل قوله عليه السلام
ههنا على تصوير الحال والتعبير عنها وحمل نقل عينه على نقل مآل المعنى وحاصل الكلام وآتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل
وقرئ باسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
بطائفة منه وقيل من آخره قال افتح الباب وانظر في النجوم كم علينا من قطع الليل بهم
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم لئلا يتخلف منهم احد فيصيبه العذاب ولتكون
مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يشغل قلبك بمن خلفك ولا يصدر من احدهم هفوة
في تلك الحالة المهولة احتشاما منك ولا يلتفت منكم احد فيرى ما بهم من العذاب ويرق لهم
او يرى ما لا يطيقه من الهول فيبقى على مكانه دهشا فيهلك او ينصرف فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عن الالتفات كناية عن الامر بتواتر السير واتصاله وترك التواني والتوقف
فان الملتفت لابد له من ادنى وقفة وتوان وامضوا حيث تؤمرون اي حيث امركم الله
بالمضي وهو الشام او مصر عدي امضوا الى حيث بنفسه لانه ظرف مبهم في الامكنة وكذا
تؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه ضمن قضينا معنى اوحينا فعدي
بالى كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب
على البدل منه اي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وفي ابهامه والاشارة اليه
بذلك ثم تفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال
ما ذلك الامر فقال ان دابر مصبحين داخلين في الصبح حال من هؤلاء او من الضمير في
مقطوع وانما جمع حملا على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة
سدوم يستبشرون باضياف لوط عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف في الاصل مصدر
اضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى وهو اسم يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
واطلاق الضيف على الملائكة لكونهم في صورته فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء
الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا
الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلوني
فيهم من الخزاية وهي الحياء وهذا القول منه عليه السلام صريح في ان مجيء اهل المدينة والمقاولة معهم
في شأن الاضياف قبل العلم بانهم ملائكة ارسلوا للنصرة كما في قوله وجاء اهل المدينة يستبشرون ون
اخبار عن مجيئهم عقيب نزول الملائكة في بيت لوط عليه السلام قبل محاورته معهم وعلمه بانهم ملائكة
وما في قوله فلما جاء آل لوط المرسلين قال انكم قوم منكرون اخبار عن محاورته عليه السلام مع الملائكة

اي الالتفات واللفوت نظرا اليها لتعذر انقطاعها
منه حصل على الهول من
ديار اليقين
من الالتفات
ءهم
حح

بعد تمام مقاولته مع اهل المدينة ولا دلالة في الواو على الترتيب قالوا اولم ننهك الهمزة للاستفهام الانكاري
والواو للعطف على محذوف تقديره الم نقل لك لا تجر احدا بالانزال في بيتك ولم ننهك عن
العالمين اي عن المنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم
عنه بقدر وسعه قال هؤلاء بناتي فيه وجوه قدمت بيانها في تفسير سورة هود عليه السلام ان كنتم فاعلين
شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون
قضاء الشهوة فيما احل الله لكم دون ما حرم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو نبينا صلى الله عليه
وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك واللام لام الابتداء وعمرك مبتداء خبره محذوف
تقديره لعمرك قسمي والعمر بالفتح لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للاخف فيه لانه كثير
الدور على السنتهم وهو متى اقترن بلام الابتداء يلزمه حذف الخبر لسد جواب القسم
مسده انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم او شدة غلمتهم التي اذهبت تمييزهم بين الخطاء
الذي هم عليه وبين الصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون النصح
فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به الفرد الكامل في معناه وهو صيحة جبريل عليه السلام فان اسم
الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المقصودة منه ولذلك يسلب
عن غيره فيقال زيد ليس بانسان والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة واخذتهم
الصيحة قهرها اياهم وتمكنها منهم ومنه الاخيذ بمعنى الاسير مشرقين داخلين في الشروق
وهو بزوغ الشمس يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت واشرق الرجل اذا دخل في شروق
الشمس كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فلا منافاة بينه وبين قوله
ان موعدهم الصبح فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة عليهم وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل من طين متحجر عليه كتاب من السجل لقوله حجارة من طين مسومة اي معلمة
بكتاب قيل قد مروا بالحجارة اولا ثم قلبوا وقيل المنقلب كان للحاضرين والامطار لمن
شذ منهم ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين اي الناظرين المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته يقال توسمت في فلان كذا اذا عرفت وسمه فيه وانها وان المدينة او
القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ولم يندرس بعد وهو تنبيه
لقريش المارين به وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله
ورسوله ولام الاختصاص لان الانتفاع بها مخصوص بهم وان كان ان هي المخففة واللام
فارقة اصحاب الايكة هم قوم بعث اليهم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة والايكة الشجرة
الملتفة واحدة الايك لظالمين لانهم كذبوه عليه السلام فاهلكوا بالظلة فانتقمنا منهم في عبارة

الانتقام دلالة على انهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما يعني مدينة لوط عليه السلام او قراها والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فدل ذكر الايكة على مدين فاتى بضميرهما لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا عليه السلام ومن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع
لان سايرهم يصدقونه فلا حاجة الى التاويل بحمل المرسلين على صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين مدينة والشام كانوا يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات
الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعداء لوثاقتها او من عذاب الله تعالى لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم
منه فاخذتهم الصيحة مصبحين اي صيحة من السماء فاخذتهم زلزلتها وهو المذكور في سورة
الاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت المحكمة والاموال والعدد وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق اي بالعدل والحكمة لا ملتبسا بالباطل
والعبث فيمهلون على فسادهم وظلمهم ولا يواخذون بالعذاب فانه ينافي الحكمة والعدل وان
الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح عنهم ولا تعجل
بالانتقام منهم وعاملهم بالخلق الجميل معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية
السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم
فلا يخفى عليه ما يجري بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازيكم على اعمالكم او هو الذي خلقكم وعلم
ما هو الاصلح لكم فامرك اليوم بالصفح لعلمه بانه اصلح الى ان يكون السيف اصلح ولقد
آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة على ما نص عليه النبي عليه السلام وقد بيناه في تفسيرها وقيل
سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك
لم يفصل بينهما بالتسمية وبقربات هذه السورة قد نزلت وما نزل من السبع الطوال شيء
والصرف عن الظاهر يأباه مقام الامتنان من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير
او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة اي موضع التثنية او الثناء
تنكير سبعا للتعظيم والابهام الذي فيه والتوضيح بقوله من المثاني للتمكين في نفوس السامعين
وقوله والقرآن العظيم من باب عطف الكل على البعض للتعظيم ونكتة الامتنان وتفخيم شان
البعض المعطوف عليه لانه المقصود بالذكر والاصل لساير الابعاض والمراد من الكل مجموع ما
نزل وقت نزول هذه الآية لا مجموع القرآن حتى يلزم المحذور المذكور آنفا ولا تمدن عينيك
لا تطمح ببصرك طموح راغب الناظر انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر اليه وادامة

النظر الي الشيء يدل على استحسانه والرغبة فيه الي ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان ما
اوتيته من القرآن العظيم اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات موصل الي دوام جوامع اللذات
وما اوتوا فهو مستحقر بالنسبة اليه اقل من الشيء ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوي بهم الاسلام
او انهم المتمتعون به دون المؤمنين واخفض جناحك للمؤمنين لين منعك من فقراء المؤمنين
وضعفائهم خفض الجناح مجاز مرسل عن التلطف والرفق مترتب على الكناية واصله ان
الطاير اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا وانما وصفه بالمبين لان انذاره عليه السلام
ابين من انذار ساير الانبياء عليهم السلام لانه من امارات الساعة فهو منذر بلسان الحال
كما انه منذر بلسان المقال وقد نبه عليه السلام على هذا المعنى حيث قال انا النذير العريان كما انزلنا على
المقتسمين في محل النصب صفة مصدر لآتيناك لانه في معنى انزلنا عليك كانه قال ولقد انزلنا
عليك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب المقتسمين الذين اقتسموا
القرآن الي حق و باطل حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما او اقتسموه الي شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين فيكون ذلك
تسلية لرسول الله عليه السلام وقوله ولا تمدن الي آخره اعتراضا ممدا لهما او صفة مفعول
للنذير انهم معناه اي انذر قريشا عذابا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين
الذين اقتسموا مداخل مكة للتنفير عن الرسول والصد عن الدين الذين جعلوا القرآن
عضين اجزاء جمع عضة بمعنى جزء واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضهة بلسان قريش السحر يقولون
للساحرة العاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة ونقصانها على
الاول واو وعلى الثاني هاء وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه كقولهم قلون و
بنون والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا
يعملون من التقسيم او النسبة الي السحر فنجازيهم عليه وقيل عام اي عن كل ما عملوا من
المعاصي فيثبنا ولهما وهو وعيد لهم وقيل بانهم سوال تقريع فاصدع بما تؤمر فاجهر
واظهر وقيل فرق بين الحق والباطل به والصدع في الاصل الاصل شق في الاجسام
الصلبة كالزجاج والحديد ويلزمه الابانة والتمييز وما موصولة اي بالذي تؤمر به
من الشرايع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او مصدرية اي بامرك
كقول الي طالب فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وهو مصدر من الفعل المبني للمفعول

90

قيل فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز وبقاء ان الخلاف انما هو في المصدر المصرح به واما الحرف
المصدري فليس محل النزاع واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الي ما يقولون فالاعراض كناية
عن عدم الالتفات انا كفيناك المستهزئين اي نكفيك وذكره على صيغة الماضي للدلالة على قرب
اهلاكهم وتدميرهم وهم كانوا خمسة نفر من اشراف قريش وقصتهم مذكورة
في كتب التفاسير والسير الذين يجعلون مع الله الها آخر صفة المستهزئين فسوف يعلمون
ما ينزل بهم عاجلا وآجلا ولقد نعلم انك يضيق صدرك ضيق الصدر كناية عن انقباض
النفس كما ان انشراحه كناية عن انبساطه بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك و
فيما انزل عليك والمستهزئين فيك فسبح بحمد ربك فنزه ربك عن عجز الانتقام
منهم وقهرهم وتفويضه عليها تقدم باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو السبب
لضيق صدره عليه السلام ومن لم يقف على هذا فسره بقوله فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق واما ما قيل فافزع الي الله فيما نابك يكفيك ويكشف
الغم عنك والفزع الي الله هو الذكر الدايم وكثرة السجود فلم يصب محزه لان الفزع
بالذكر انما هو معنى قوله وكن من الساجدين اي من المصلين وعنه عليه السلام انه اذا
كان حزنه امر فزع الي الصلوة واعبد ربك ودم على عبادة من خلقك وربّاك
حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق لكل حي مخلوق والمعنى ولا تخل
بالعبادة ما دمت حيا وفيه اشارة وبشارة اما الاشارة فالي انه عليه السلام
يموت كما مات ساير الانبياء والمرسلين عليهم السلام
كما في قوله تعالي وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل واما البشارة فبامنه عليه السلام
عن العاهات المانعة للتكليف بالعبادة
بالعبادة الي ان قضى نحبه
تم الكلام في هذا المقام
والحمد لله على
التمام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل مكية

اتى امر الله اي دنا وقرب يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث والمراد
من امر الله ما اوعدهم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم وعلى هذا وجه اصابة
الفاء في قوله فلا تستعجلوه صحيح ظاهر بخلاف ما اذا كان المعنى ان الامر الموعود بمنزلة الآتي في
المحقق من حيث انه واجب الوقوع والاستعجال طلب الشيء قبل حينه كانوا يستعجلون
ما اوعدهم الله تعالى استهزاء وتكذيبا فنزلت ولما كان المستعجل المستهزئ يعجز الله
تعالى عن القدرة على ما اوعده وفيه تشبيه بالمخلوق قال سبحانه وتعالى عما يشركون اي تبرأ
ان يحوم العجز حول سرادق كبريائه وجل عن ان يكون له شريك في المعبودية فيندفع
ما ارادهم كانوا يقولون ان صح ما قلت بالحق فالاصنام يخلصنا منه فنزلت وقرئ
تشركون بالتاء على وفق فلا تستعجلوه وبالياء على تلوين الخطاب واما قبل الخطاب
للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله وثب النبي عم ورفع الناس رؤسهم
فنزلت فلا تستعجلوه فيأباه التصدير بالفاء ينزل الملائكة بالروح استعار الروح للوحي او
للقرآن لانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل حيوة الجسد بالروح وذكره عقيب ما وعدهم
اشارة الى طريق العلم به وازاحة لاستبعادهم اختصاصه عم بالعلم به وقرئ ينزل من
انزل وتنزل بمعنى تتنزل وتنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره
او من اجل امره على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا والانذار نذار
الاعلام ويختص بما فيه تخويف ولتلك الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان الشرك
دائر بين الاسلام والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام يتضمن التخويف بالقتل
ويجوز ان يكون ان مفسرة لان في الوحي معنى القول او مصدرية في موضع الجر بدل من الروح او
مخففة من الثقيلة اي ان الشان لا اله الا انا او خوفوا اهل الشرك بانه لا اله الا انا فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملك وان
حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي
هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والتي بعدها دليل وحدانيته تعالى من حيث
انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك
لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل و
اوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون لانه موجد للعالم
كله وكل ما سواه مفتقر اليه فهو المتعالي عن رتبة الكل والتحقيق ان قوله تعالى اتى امر الله تنبيه

وايقاظ

لا اله الا انا

وايقاظ ليكون ما يرد بعده ممكنا في نفس حاضرة ملتفتة اليه وهو تمهيد لما يرد من دلائل التوحيد
وقوله ينزل الملائكة بالروح تفصيل لما اجمل في قوله سبحانه وتعالى ايقاظا ولاثم نعى عليهم
ما هم فيه من الشرك ثم اردفه بدلائل السمع والعقل وقدم السمعي لان صاحبه هو القائم بتحرير
العقلي وتهذيبه ايضا فليس النظر الى دليل السمع بل الى من قام به من الملائكة والرسل عليهم السلام
خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو عطف على
ما تقدم باعتبار ان المراد من خلق الانسان ايجاده وتربيته الى ان يبلغ مبلغ حد
النطق والادراك فاذا للتعقيب والمفاجاة اصابتا المحز خصيم منطيق مجادل عن نفسه
في الخصام مبين للحجة على خصمه مميز للحق عن الباطل فهو وصفه مدح ان نقله من تلك الحالة
الخسيسة الى هذه الحالة الشريفة وهي حالة النطق والابانة ويؤيده التعقيب بذكر ما
امتن به عليه في قوام معيشته وقيل معناه مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم
فهو وصفه ذم ويأباه التوصيف بالابانة ولا يساعده سياق الكلام ولحاقه وسياقه
فانه للدلالة على كمال القدرة والارادة والانعام ذكرا ولا ما هو الكثر منفعة واللزوم لمن انزل
القرآن بلغتهم وقد تقدم شرح الانعام في سورة الانعام وانتصابها بمضمر يفسره
قوله خلقها ولكم في قوله لكم فيها دفء خبر مقدم لدفء وفيها حال منه والجملة بيان لما خلق
له او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله ودفء مبتدأ خبره فيها
والجملة مع ما بعدها تفصيل لما خلق له والدفء ما يدفأ به اي يسخن فيقي البرد ومنافع
نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عرضها ومنها تاكلون اي تاكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للاختصاص اشارة الى ان
الاصل المعتد به في الاكل اللحم انما هو منها واما الاكل من غيرها فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه فجعله لمجرد مما فطر الفاضلة تنزيل للمنزل عن منزلة الفاضلة ولكم فيها
جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها
بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها وبتجاوب الرغاء والثغاء فيأنس اهلها ويفرح
اربابها وتجلهم في اعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة وتقدم الاراحة على السرح لان
الجمال فيها اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها
يانسون بها مبتهجين وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون كلاهما وصف لحين اي تريحون
فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي ليس من شانكم بلوغه
بانفسكم على اقدامكم الا بشق الانفس الا بجهد ومشقة لو لم يكن الا بل فضلا ان تحملوا على ظهوركم

اثقالكم فكيف اذا انفصلت اثقالكم من ان تحملوها اولم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان في المعنى المذكور وقيل بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته
راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق بالكسر فهو للنصف كانه يذهب نصف قوته
لما يناله من الجهد ان ربكم لرؤف رحيم يرؤف بكم بتيسير مصالحكم ومعايشكم ويرحمكم بخلق هذه
الانعام المنافع والحوامل والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام وواحد الخيل خايل كصاين واحد
ضان وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر ههنا منفعة الركوب عبارة واحال بيان منفعة الحمل على
الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبارا لان لكل منها للاصالة له وزينة انتصب بالعطف على محل لتركبوها
على انها مفعول له وخولف بينهما لان الركوب فعل المخاطبين فتعد شرط نصبه واما الزينة
فعل الخالق لانه لا يابي عن نظم الثاني في سلك الاول بل لان الاول مقصود بالذات والثاني
بالعرض وقرئ زينة بغير واو وفيه ان يكون حالا عن احدى الضميرين وان يكون علة لتركبوها
واستدل به على حرمة لحومهن ووجه الاستدلال ان المقام مقام الامتنان بتعداد المنافع
والكلام مشتمل لنوعي المقصود استيفاء لها فلو كان اكلها حلالا لكان احق بالتعرض من
الزينة واما اكل لحم الحمار وان كان حلالا وقتئذ لان الاية في معرض التحريم فالامتنان به لا يليق بالحكيم
ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات المحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل
غيرها مما لا يعلم كنهه وتفاصيله اي يخلق لكم على سبيل الامتنان او ما لم تخصوه ولم يكن لكم به
علم لكثرتها دلالة على مزيد قدرته وحكمته ويدخل فيه ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم
احد ولا خطر على قلبه وعبر النظم الى المضارع استحضارا للايجاد ما لم يحط به علما من الاشياء
النافعة له والدلالة على قدرته تذكيرا للنعمة وتعجيبا وتقريبا الدلايل القدرة وتعجيزا
لما يشركون به من الالهة وعلى الله قصد السبيل اي عليه تعالى رحمة وفضلا هداية الطريق
المستقيم الموصل الى الحق او عليه الطريق المستقيم اي يصل اليه من يسلكه لا محالة كما تقول
هذا الطريق على موضع كذا اذا انجرت اليه والقصد مصدر بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل
قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك والمراد بالسبيل الجنس ولاضافة
القصد اليها ولقوله ومنها جائر لا يوصل الى الحق لسوء استعداد صاحبه وقرئ ومنكم جائر اي عن
القصد والاستقامة اولا وتغيير الاسلوب للدلالة على انه ليس على الله تعالى الهداية الى الطريق
الجائر عن القصد والاستقامة او لا يوصل الى الله سالكها او لان المقصود بيان سبيله وذكر
قسيمه انما جاء بالعرض ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين الى قصد السبيل
لهداكم اليه هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب

السماء

السماء لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان اتبعه بذكر الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات
ماء تنكيره لانه على خلاف الماء المعهود حيث يسيل بل بنزول قطرات غير متداركة لكم متعلق بانزل او
خبر لشراب في قوله منه شراب اي مشروب ومنه على الاول خبر لشراب وعلى الثاني تبعيضية متعلقة به وفي
المشروب المستغنا ومن تقديم منه دلالة على ان مياه الارض منه ومنه شجر ومنه تكون والمراد بالشجر
ما يرعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض يطلق عليه الشجر قال الشاعر يعلفها اللحم اذا عز الشحم
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها واصلها من
السومة التي هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع وقرئ بالنون
على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب تقديم الزرع لانه الاصل في الغذاء وتخصيص الاجناس الثلثة من
الثمرات وتقديمها لاظهار فضلها وانا فيها على سائر ما تقدم ما يسام فيه على الكل لصيرورته غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذية اسرع ما يكون الى اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض كلها
لان كل ما يكن من الثمرات لا يكون في الارض ان في ذلك لاية لدلالة واضحة لقوم يتفكرون ينظرون
فيستدلون بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته ولما كان الاستدلال بانبات الماء وهو
واحد وان كثرت انواع النبات قال هنا لاية على صيغة الافراد وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره نصب على الحال اي نفعكم بها حال كونها مسخرات
بامره التكويني او على المصدر وجمع للتنويع جمع مسخر بمعنى تسخير اي سخرها انواعا من التسخير
كانه قيل سخرها تسخيرات وقرئ برفع الشمس والقمر والنجوم على الابتداء والخبر مسخرات
بالرفع وبرفع والنجوم وحده ونصب ما قبله ومسخرات خبره يعني انها مسخرات حقيقة لله
وانما قيل انها سخرت لكم باعتبار ان فائدة تسخيرها عائدة اليكم ومن وهم ان المعنى مسخرات
لما خلقن له فقد وهم اذ يكون اعادة بلا افادة ان في ذلك لايات اتى هنا بصيغة الجمع
لان وجه الدلالة في السماويات متعدد لقوم يعقلون ذكر العقل لان الاحتياج الى تجريد العقل
الصرف في الاستدلال بها اشد فان القوة الفكرية كافية في الاستدلال بما شاهد من احوال
النبات وتغيراته واختلاف اشكاله والوانه واما احوال العلويات فلا بد فيها من مزيد عقل ومعرفة بالعلم
الطبيعي والهيئة والهندسة ومن زعم ان وجه الدلالة هنا مع تعدده اظهر من وجهها ثمة مع
وجوده فقد كاد يقتضي العقل الصحيح وما ذرأ لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن
في موضع نصب بفعل محذوف اي وخلق وانبت كذا قال ابو البقاء استبعد تسلط سخر على
ذلك اذ لا يلغو قوله لكم فقد رفعه لا يقال ومن لم يتنبه لهذا قال اي سخر لكم ما خلق لكم فيها مختلفا
الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اي يعتبرون ان اختلافها

في الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع قادر حكيم واخر الآية لانه عبر عنه بمزيد وصفه بمزيد وهو
الذي سخر البحر بان مكنكم من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص وغير ذلك لتأكلوا منه لحماً
طرياً هو الحوت وانما عبر عنه باللحم وهو ما يؤكل من الحيوان تنبيهاً على جهة فضله وامتيازه عن
ساير الحيوانات المأكولة فانها لا يكون لحماً الا بعد الذبح والسلخ ولا يخفى لطف موقع هذا التنبيه
والتمهيد السابق بقوله منه حيث تضمن الاشعار بانهم يبتدؤون اكله من البحر مبالغة في
تهيئته للاكل في مقام الامتنان وفي تخصيص اكله طرياً بالذكر اشارة الى انه في موضان يسرع
اليه الفساد ولكمال لطافته يتسارع الى اكله فكانه قيل لتأكلوا منه لحماً في غاية اللطافة وهذا
من الطف الكنايات التي قلما يتنبه لها ولا بد من الحمل عليها اذ على تقدير ابقائه على ظاهره يكون
بياناً للواقع خالياً عن افادة الخبر ولازمها لما اخرج من البحر الملح انه على الحيوان الذي لحمه في
غاية العذوبة ونهاية اللطافة علم انه انما حدث لا بحسب الطبع بل بقدرة الله تعالى وحكمته حيث
اظهر الضد من الضد روي ان اباحنيفة لما قال لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث لان
لحم السمك ليس بلحم سمع سفيان الثوري قوله فانكر عليه محتجاً بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة
رجلاً سأله عمن حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث فقال الرجل اليس ان
الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطاً فعرف سفيان ان ذلك تلقين ابي حنيفة وقيل
في وجه قوله ان مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه
السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالانكار
هذا معارض بانه اذا قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بلحم العصفور استحق الانكار
ايضاً مع انه يحنث باكل لحم العصفور من حلف لا يأكل اللحم وتستخرجون منه حلية كاللؤلؤ
والمرجان فان الحلية اسم لما يتحلى به وزيادة حرف التنفيس هنا للدلالة على ان اخراجها
بمشقة يقتضي المهلة تلبسونها يلبسها النساء فهو من قبيل اسناد فعل البعض الى الجملة
كما في الآية السابقة وترى الفلك مواخر فيه جواري فيه تشق بجيزومها مع صوت من المخر وهو
شق الماء بصوت ولتبتغوا عطف على محذوف تقديره لتركبوا فيها ولتبتغوا من فضله
من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا الله تعالى على هذه النعمة الجليلة
حيث يقطع بها المسافة البعيدة في المدة القليلة مع ما فيها من الاحمال الاثقال بلا مؤنة الرفع
والوضع في اثناء السير كما هو المعتاد في مسافة البر هذا هو الوجه بتخصيص هذه النعمة بتعقيب
الشكر ولأن جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش فلا يناسب مقام الامتنان
بالاحسان انما يناسب مقام اظهار القدرة والقى في الارض رواسي عطف على محذوف تقديره

والارض مددناها والقينا فيها رواسي ولما حذف المعطوف عليه عدل من المضي الى الطامي وقد مر تفسيره في سورة
الحجر ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم اي تتحرك وتميل والميد الاضطراب وذلك ان الارض لو بقيت على
بساطتها لكانت كرية مجيبة للتحرك بادنى سبب او متحركة كالفلك فلما خلقت الجبال راسخة
فيها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن
الحركة والميل من جانب الى جانب وانهاراً اي وجعل فيها انهاراً لان القى فيه معناه وسبلاً
لعلكم تهتدون لتهتدوا بها في اسفاركم اي مقاصدكم وانما قال لعلكم لانه لا بد من الاستدلال في
بعض المواضع للاهتداء الى المقاصد وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة في النهار من الجبال
والانهار ونحو ذلك وبالنجم المراد به الجنس او الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ويساعدها
قراءة بضمتين وضمة وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل في البراري والبحار وتقديم النجم
وتوسيط الضمير اخلاما واخراج الكلام عن سنن الخطاب الى الغيبة للدلالة على ان هؤلاء
المنكرين من قريش بالنجم خاصة مخصوصاً يهتدون لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة
مشتهرين بانهم اعلم الناس بالاهتداء بالنجوم في مسايرهم فكان الاعتبار بذلك الزم لهم والشكر
لله تعالى اوجب عليهم فلذلك خصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق الهمزة للانكار دخلت على فاء
التعقيب اي ابعد هذه الدلائل المتكاثرة الواضحة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وانفراده
بخلق ما عدد من مبدعاته يقولون بمساواة الخالق المطلق لما لا يخلق شيئاً واورد من للجمادات
التي هي الاصنام اما للمشاكلة واما بناء على اعتقادهم وتسميتهم آلهة وعبادتهم لها وفيه
ضرب من التهكم واما لان المراد كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان حق
الكلام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق لانه الزام لعبدة الاصنام لكنه عكس تنظيعاً لشانهم
بانهم لما سموها باسمه وعبدوها كعبادته وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالى من جنس
المخلوقات وشبهها بها فانكر ذلك عليهم وحذف مفعول يخلق لان المراد نفي صدور الفعل
منه اي ايكون الخالق شبيهاً بغير الخالق او للتعميم اي افمن يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئاً
او لان ما عدد من المخلوقات دل عليه اي افمن يخلق ما عدد من الاشياء العظيمة العجيبة
كمن لا يخلق شيئاً منها افلا تذكرون بعد هذه التنبيهات فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلاءه
ووضوحه كالبديهي المغفول عنه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا يبلغ طاقتكم ضبط عددها
فضلاً ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على انفراده باستحقاق العبادة
تنبيهاً على ان وراءها من النعم ما لا ينحصر وان القيام بحق عبادته وشكره غير مقدور لاحد ان الله
لغفور حيث يغفر تقصيركم في اداء شكرها ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم

المسوى
بالعقوبة على كفرانها وفيه اشعار بانه ما كلفكم حق الشكر لعدم الامكان وتجاوز عن المكن الى التساهل
وفي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون بانشعر بانهم قصروا في هذا الميسور ايضا فاستحقوا العقاب
اي يعلم ما تسرون من عقايدكم وعزايمكم وما تعلنون من اعمالكم واقوالكم وهو وعيد على شركهم
باعتبار العلم والعمل وتقصيرهم في الشكر والعبادة وتنديد بما تسرون لان الوعيد من جهة
العقايد والعزايم اهم والذين تدعون من دون الله اي والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دونه
تعالى او يعبدونهم لا يخلقون شيئا لما نفى المساواة والمشابهة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يساوونه ولا يماثلونه ثم اثبت لهم صفات تنافي
الالوهية تاكيدا لذلك فقال وهم يخلقون اي وهم ممكنات مفتقرة الى التخليق فكيف تكون
آلهة والاله يجب ان يكون واجب الوجود غنيا عن الكل اموات هم اموات ولما احتمل
ان يكون المعنى اموات فيما بعد على طريقة انك ميت وانهم ميتون دفعه بقوله غير احياء
ويجوز ان يكون المعنى جمادات لا يعرض لها حيوة كما يعرض لبعض الاموات كالنطف التي
يحييها الله ويجعلها حيوانات وكاجساد الموتى التي يبعثها الله تع ويجوز ان يكون المعنى اموات
حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فان
المعبود يجب ان يعلم عبادة العابد ووقت بعثه وجزائه حتى يقدر على مجازاته بعد موته فان
البعث والجزاء من لوازم التكليف مما لا يشعر به حي غير الله تع الهكم اله واحد تخلص للنتيجة
وتكرير للمطلوب بعد اقامة الحجة عليه على ابلغ الوجوه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة تعكيس
للمقصود من النتيجة وبيان لموجب انكارهم اي انه قد ثبت وتحقق بالبراهين المذكورة ان
الالوهية تمتنع ان تكون الا لله وحده وانه لا شريك له فيها فانتج لهم ذلك اصرارهم واستمرارهم رهم
على شركهم وانكار قلوبهم للوحدانية وذلك لعدم ايمانهم بالآخرة فان الذي لا يؤمن بها لا ينظر
في الدلايل ولا يتاملها بخلاف المؤمن بها وهم مستكبرون وهم قوم عادتهم الاستكبار عن
التوحيد وعن الاقرار به لما رسخ في قلوبهم من تقليد آبائهم لا جرم قد سبق تفسيره في
سورة هود ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ذلك وعيد على ما ذكر على ابلغ
وجه وهو في موضع الرفع على الفاعلية لان جرم فعل او مصدر انه لا يحب المستكبرين
تعليل للوعيد اي لا يحب كل مستكبر فكيف بالذي استكبر عن توحيده او اتباع
رسوله وفي الملان المستكبرين يعم برنا بي واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم
على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي

والمجنون
اي شي انزله ربكم وتقدير الجواب هو اساطير الاولين او المنزل اساطير الاولين على السخرية والتهكم
المقتسمون من اهل مكة ينفرون عن رسول الله صلعم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة متعلق بقالوا
على التعليل في نفس الامر لا الغرض واللام لام العاقبة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار
اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
ضلال من ضل وهو وزر الاضلال فان ضلاله انما حصل بامرين اضلاله هذا ومطاوعة هذا فيحمل
الوزر بغير علم حال من المفعول اي يضلونهم على جهلهم وفايدة التقييد به الدلالة على ان جهلهم ليس
بعذر اذ كان عليهم ان يبحثوا وينظروا ويتعرفوا من يقلدونهم ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما
يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله
فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف
قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حايط اذا كان يملكه وان لم يكن
عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج به هذا عن الذي من كلام العرب اي عليهم وقع وكانوا تحته
فهلكوا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون تمثيل اي قد دبروا حيلة
ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المكر والحيل واستيصالهم بها كحال
قوم بنوا بنيانا واحكموا قواعده فاتى الله بنيانهم من جهة الاساس فسقط عليهم
السقف واهلكهم ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم قبل يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته ويا باه قوله ويقول اين شركاءي لانه قبل دخولهم في النار اضاف الى نفسه
الشركاء حكاية لاضافتهم توبيخا لهم بها وتهكما بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين
في شانهم وقرئ بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تع قال الذين
اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم و
يتكبرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بطرفيه والسوء الذلة والعذاب على الكافرين تقريرا لما
كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما اوعدوهم او اظهارا للشماتة بهم وحكى الله تع قولهم ليكون
لطفا لمن سمعه وقيل المراد من القايل الملائكة ويا باه قوله الذين تتوفيهم الملائكة يحتمل
الجر صفة للكافرين فيكون داخلا تحت القول والنصب والرفع على الذم ظالمي انفسهم بان
عرضوها على العذاب المخلد نصب على الحال فالقوا السلم فسالموا واخبتوا ونزلوا عما كانوا
ع عليه في الدنيا من الشقاق والتكبر والتعظم قبل حين عاينوا الموت ويا باه السباق واللحاق
ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان اي قايلين ذلك ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم
على ان المراد به القول الدال على الاستسلام لما جحدوا ما كانوا عليه من الكفر والعدوان

رد عليهم اولوا العلم بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من باب الشماتة وكذلك
فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعدّ له وقيل ابوابها اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين اي جهنم والوصف بالتكبر للايذان باستحقاق صاحبه النار ومن لم يجوّز
الكذب يومئذ اوّل قولهم ذلك بانا لم نكن في زعمنا عاملين سوءا ولا بنا بسبب الوقت المذكور
كالا يخفى وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين عطف على قيل لهم في قوله واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وانما رفع الاول ونصب هذا فرقا
بين جواب الجاحد وجواب المقرّ اي ان المتقين لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال
بينا مكشوفا والمشركين عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس
من الانزال في شيء للذين احسنوا في هذه الدنيا كلام مدح الله تعالى به القائلين خيرا وجعل قولهم
ذلك من جملة احسانهم وحمدهم عليه ووعدهم به فهو كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب
ويجوز ان يكون بما بعده بدلا من خيرا على انه من كلام المتقين اي قالوا خيرا ثم فسروا الخير
بهذه الجملة بمعنى انزل هذا الكلام بعد ما امروا وسموه خيرا حسنة مكافاة باحسانهم
في الدنيا وهي العصمة والتوفيق والنجاة من العذاب المعجّل ولدار الآخرة ولثوابهم
في الآخرة خير مما لهم ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعم كلمة مدح اذ لا خوف فيها
ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها وصاحبها فيها خالد وحذف المخصوص بالمدح وهو دار الآخرة
لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم تقديم لهم للتخصيص اي لهم خاصة دون غيرهم وعمومه
مع تقديم فيها يفيد ان الانسان لا يجد جميع ما يشاء من المشتهيات الا في الجنة كذلك
يجزي الله المتقين فذلكه للتاكيد مع تعظيم الجزاء وفيه تقوية للوصف الاول الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين
ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لقوة ايمانهم وتوجه نفوسهم بالكلية
الى عالم القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على
الاعمال الصالحة وانما قالوا ادخلوا الجنة لان القبر روضة من رياض الجنة في حقهم ومن
غفل عن هذا ذهب الى ما ذهب وارتكب ما يخل حسن الانتظام في الكلام هل ينظرون
اي الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك العذاب
الواقع بجنة وقد سبق وجه التعبير عن مثله بامر الله تعالى وتفسير الامر بالقيمة يأباه كلمة
او لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع القبيح

من الشرك والتكذيب من قاله بعينه فاصابهم فكانه غافل عن ان الاخبار عنه بعد هذا اصحى
في نظم القرآن بابي عن اعتباره هنا تقديرا فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم او تعذيبهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بما استوجبوا به ذلك فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم لا على
حذف المضاف بل على تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه و
الحيوة لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء من البحائر والسوائب وغيرهما مما احل الله
وانما قالوا ذلك عنادا وتعنتا والزاما للموحدين بناء على زعمهم وقولهم ما شاء الله يجب وما
لم يشأ يمتنع ومنعا للبعثة وانكارا للتكليف لعدم الفائدة فيهما او انكار القبح ما انكر
عليهم من الشرك والتحريم ونحوهما متمسكين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم
ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم اي مثل
ذلك الفعل الشنيع من الاستهزاء بالرسل وانكار البعثة والتكليف والجدال بالباطل فعل
اسلافهم ولما فهم منه ان اخبار الرسل وارشادهم لا يجدي نفعا في حق الضالين المعاندين
اتجه السؤال بان يقال فما بال المرسلين حيث لم يتركوا مصلحة الارشاد اجاب عنه
بما صدق وانتم تعليله مقامه لاستلزامه العلة للمعلول فقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين
اي لا باس فيه فهل عليهم الا الابلاغ الموضح للحق اي ليس عليهم الهداية ولكن الله سبب
الاسباب بحكمته بتبليغ الرسل من اسباب الهداية لمن شاء هدايته فليس عليهم
الا ما كلفهم من التبليغ والابانة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ثم بين ان بعثة الرسل والدعوة الى الحق والتكليف امر جرت به السنة الالهية في
الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة ضلال من اراد ضلاله كالغذاء
الصالح الذي ينفع من اعتدل مزاجه ويضر من انحرف مزاجه بقوله ولقد بعثنا في كل
امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله ان يجوز ان تكون تفسيرية لان البعث يتضمن
معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثناه بان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت كذا سبق
تفسيره في سورة البقرة فمنهم من هدى الله ووفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من
حقت عليه الضلالة تغيير الاسلوب بالعدول عن قوله ومنهم من اضله للتنبيه
على ان الضلال سوء استعداد منهم على ما افصح عنه قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك ومن لم يتنبه لذلك قال اذ لم يوفقهم ولم يرد
هداهم فسيروا في الارض على موجب ما تقدم من نزول العذاب عليهم فكانه

اخبر عنه واحالهم في معرفة ذلك على السير في الارض ولا اختصاص للامر المذكور بعين فانظروا العطف بالفاء
للدلالة على ان الغرض من الامر بالسير هو النظر المذكور اي سيروا في الارض لهذا الامر واجعلوه
غاية لسيركم فالفاء لبيان ترتب احد الامرين على الآخر بكون الاول وسيلة للثاني لا لتعقيب
السير بالنظر فتدبر كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
الخطاب للرسول عم على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من حقه ان يضل تعليل للجزاء المقيم مقامه لاستلزام
العلة للمعلول اي فهون على نفسك ولا تتعبها وتسل عنهم فان هداهم ممتنع وقرئ
لا يهدي على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم اذ خذلهم الله تع او يدفعون
العذاب عنهم اذا عذبهم وانما نفي الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة والقدرة
على النصر واقسموا بالله جهد ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا بلغ طاقتها واقصى وسعها
وكاد نهاوهو في حكم الحال لان اصله واقسموا بالله يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع
المصدر مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث الله من يموت ارادوا به نفي قدرته تع على بعث
الموتى والجملة عطف على وقال الذين اشركوا تصريحا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا
البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده للايذان بانهما كفرتان عظيمتان حقيقتان
بان تحكيا وتدونا للتعجب منهما وتقريرهما وقد رد الله تع عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم
الله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تع عليه صفة لوعدا
حقا صفة اخرى له اي وعدا ثابتا عليه الوفاء به حقا لامتناع الخلف في وعده ولكون البعث مقتضى
حكمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعده حق عليه انجازه بمقتضى حكمته وعدم العلم به
لا يستلزم العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع فما قيل في التعليل لقصور نظرهم بالمألوف
يتوهمون امتناعه من قصور النظر ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم
والضمير لمن يموت عام للكل لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب و
العقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدأ ان نقول خبره
واذا لمجرد الظرفية اي وقت ارادتنا او شرطية محذوفة الجواب لدلالة الجملة الاسمية
عليه اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيب ذلك بلا توقف فيقبل
لبيان امكان البعث وسهولته على الله تع وهو ان كل ما تعلق به ارادته من الاشياء لا يمتنع عليه
ولا يتوقف بل يكون كمأمور مطيع امر آمر مطاع فلم يلبث ان يمتثل والمبعوث احد الاشياء الممكنة

فكيف يمتنع عليه ولا قول ثم وقرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه المهاجرون ودل قوله في الله على ان الهجرة اذا لم تكن لله تع لم يكن لها موقع وكانت
بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله تع من بعد ما ظلموا على انهم كانوا مظلومين في ايدي
الكفار او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله عم لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة
حسنة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا لو كانوا يعلمون الضمير للمهاجرين
اي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم او للكفار اي لو كانوا يعلمون ان الله تع
يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لرغبوا في دينهم الذين صبروا على اذى الكفار ومفارقة
الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تع مفوضين اليه
الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي
جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه والوحي لا يلزم ان يكون
بواسطة الملك فضلا ان يكون على لسانه والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون جوابه محذوف دل عليه
ما قبله وفي الآية دليل على انه تع لم يرسل ملكا ولا امرأة ولا صبيا للدعوة العامة ولا
ينافيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لانها اخص من الرسالة وعلى وجوب المراجعة الى
العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت
والالزام من حيث الاعتراف بعدم العلم وسبيل الجاهل سؤال من يعلم لا الانكار ويجوز
ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات
وان يكون صفة لرجالا اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحي على المفعولية او الحال عن
الفاعل من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا
مضمرا كأنه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر فهو على هذا كلام آخر مستأنف وانزلنا
اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم
في الذكر بتوسط نزوله عليك من الاحكام والمواعيد والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود
او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه
فيتنبهوا للحقائق والواو للعطف على محذوف تقديره ارادة ان يصغوا اليه أفأمن
الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام
او الذين مكروا رسول الله عم وراموا صد اصحابه عن الايمان ودخول الهمزة على فاء
التعقيب انكار لامنهم بعد اطلاعهم على عاقبة المكذبين والبينات التي انزلت على الرسول عليه السلام

أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أي في حال غفلتهم نائمين ولا يلزم
أن يكون من جانب السماء ولا أن يكون بغتة ولهذا جمع بينهما في قوله من قبل أن يأتيكم العذاب
بغتة وأنتم لا تشعرون أو يأخذهم الأخذ هنا كناية عن الإهلاك كما في قوله وكلا أخذنا بذنبه في
تقلبهم في تصرفهم في أمورهم وهذا أيضا زمان غفلتهم عن تطرق الآفات لتوغلهم في تحصيل
المهمات إلا أن لهم فيه شعورا وهذا تفصيل لما أجمله الضحاك بقوله بالليل والنهار فما هم بمعجزين
بفائتين والفاء للدلالة على شدة الأخذ بحيث لا ينقلب المأخوذ ولو آنا وبه يتم الكناية المذكورة
آنفا أو يأخذهم على تخوف على مخافة بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم
متخوفون وهو خلاف الإتيان والأخذ المذكورين سابقا لأنه أخذ عن توقع فيكون
الغرض التعميم وقيل هو من تخوفته إذا تنقصته أي يأخذهم على تنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم
وأموالهم حتى يهلكوا فإن ربكم لرؤوف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم بها وهذا كالتعليل
للأخذ على التخوف لأن فيه مهلة وامتداد وقت يتمكن فيه التلافي أولم يروا إلى ما خلق الله
استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال
قدرته وقهره فيخافوا نقمته وإنما قال من شيء لأن المخلوقات على نوعين ما خلق من شيء كعالم
الخلق وهو عالم الأجسام وما خلق من غير شيء كعالم الأمر وهو عالم الأرواح كما قال الله تعالى
ألا له الخلق والأمر وإنما سمي عالم الأرواح الأمر لأنه خلق بأمر كن من غير شيء والظلال من خواص
ما في عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل إن بيان ما خلق بشيء بيان المبهم لما هو أبهم فافهم
يتفيأ ظلاله التفيؤ تفعل من فاء يفيء أي رجع واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظل
سواء كان قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية وقيل الفيء هو الذي بعد الزوال
عن اليمين والشمائل أي عن الجانب كليهما استعير اليمين والشمال من جنبي الإنسان لجانبي الشيء
ثم أراد بالشمائل الشمال والخلف والقدام على طريقة التغليب لأن الظل يفيء من الجهات
كلها سجدا لله وهم داخرون حالان من الضمير في ظلاله باعتبار المعنى لأنه يرجع إلى ما وحد
باعتبار اللفظ وجمع داخرون بالواو لتغليب العقلاء على سائر ما خلق الله تعالى أو لأن
السجود والدخور من أوصاف العقلاء ويجوز أن يكونا حالين من الظلال والأول
منهما والثاني من الضمير وهذا أولى لما فيه من وصف الظلال بالسجود ووصف أصحابها
بالدخور الذي هو الصغار لأنه انقياد فيه مع ضعة المنقاد فيكمل حسن المعنى بتصوير سجود
الظل وذي الظل وتقاربهما في الوجود ويظهر وجه تغيير الأسلوب في الحال الثاني واستعير السجود
والدخور للانقياد والاستسلام والتسخير لما يريد من المخلوقات أو من ظلالها سواء كان بالاضطرار

او با

أو بالاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب والمعنى والله أعلم
يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على
هيئة الساجد والأجرام في نفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى فيها
ولله خاصة يسجد ينقاد لإرادته وقدرته انقيادا يعم الاختياري والاضطراري ومن ذكر
بدل الأول ما يكون طوعا وبدل الثاني ما يكون طبعا لم يصب واحد منهما ما في السموات وما في الأرض من دابة
بيان لما في الأرض لأن الدابة ما يدب في الأرض ولا يلزم أن يكون على وجهها والسكوت عن
بيان ما في السموات للإشعار بكثرة ما فيها أجناسا وأنواعا ومن رام تعميم البيان زاعما
أن الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في جرم سماوي أو أرضي فقد غفل عما في قوله
والله خلق كل دابة من ماء من الدلالة على اختصاص الدابة بما في الأرض لأن ما في السماء لا
يخلق بطريق التوالد والملائكة خصت بالذكر معطوفة عليها في السموات للتعظيم عطف جبريل على
الملائكة أي والملائكة خصوصا من الساجدين لأنهم أطوع خلق الله وأعبدهم وهم لا يستكبرون
عن عبادته جملة استئنافية وتقديم هم للتخصيص يخافون ربهم خوف إجلال وهيبة
وتعظيم حال من ضمير لا يستكبرون أو بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له لأن من خاف
الله تعالى لم يستكبر عن عبادته من فوقهم حال من ربهم مجاز بمعنى القهر والعلو أي عاليا
لهم قاهرا ويفعلون ما يؤمرون خوفا وعلما بعظمته ونفاذ سلطانه وقدرته ولا دلالة فيه
على أن الملائكة مكلفون بالتكليف الشرعي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب وقال
الله لا تتخذوا إلهين اثنين أكد إلهين بالوصف باثنين وإن دلت التثنية عليه
للدلالة على أن مساق النهي هو العدد لا الإلهية وأن الاثنينية تنافي الإلهية كما وصف
إله بواحد في قوله إنما هو إله واحد دلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون
الإلهية وأنها لازمة للإلهية فإياي فارهبون التفات من الغيبة إلى التكلم إيقاعا
للرهبة في القلوب وتمكينا لها في النفوس ومبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود ولذلك
قدم المفعول مع فاء السببية وكرر الفعل أي إن كنتم رهبتم شيئا فإياي ارهبوا فارهبون
دون غيري فأنا الإله الواحد القاهر لكل شيء وله ما في السموات والأرض التفات آخر للتعظيم
تقرير وجوب تخصيص الرهبة به ووجوب الانقياد له في قوله ولله يسجد أي له ما فيهما
خلقا وملكا فكيف لا ينقادون له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم الظرف تأكيد وتقوية بمعنى الاختصاص
الذي في اللام وكذا في قوله وله الدين أي الطاعة والانقياد واصبا واجبا ثابتا أو وله الجزاء

دائما سرمدا لا يزول وهو تأكيد وتقرير آخر وتعليل لوجوب الانقياد والرهبة أعني على الوجه الثاني
وكذا أفغير الله تتقون تأكيد آخر بتقديم المعمول مع الهمزة الانكارية داخلة على الفاء التعقيبية
أي أبعد العلم بالتوحيد وتخصيص الكل به خلقا وملكا تخشون غيره بالاتقاء، وفيه توبيخ بليغ
وما بكم وأي شيء اتصل واستقر بكم من نعمة فمن الله أو والذي اتصل بكم فهو من الله وما
شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الإخبار أو العلم لأن استقرار النعمة بهم
سبب للإخبار أو العلم بأنه من الله لا لحصوله منه ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون الجؤار رفع
الصوت بالدعاء والاستغاثة أي فما تتضرعون في كشفه إلا إليه وفرق بين حصول النعم
ووقوع الضر بعموم ما وإيراد الباء الإلصاقية في الجملة الاسمية أي وكلما استقر بكم
من النعم المستمرة فهو من الله يجب عليكم شكره لأن الإنسان لا يخلو في حال ما من نعم
كثيرة وبإيراد ثم المفيدة معنى التراخي والمس الذي هو أدنى إصابة وجنس الضر الذي
يكفي في إطلاقه أقل ما يطلق عليه الاسم في الجملة الفعلية أي ثم إذا تجدد إصابة أدنى شيء
من جنس الضر بعد زمان طويل لا تجأرون إلا إليه وإنما جاء بإذا دون إن لأن وقوع هذا
القدر من الضر في بعض الأحايين محقق ثم إذا كشف الضر عنكم ثم مستعار لاستبعاد
الشرك بعد كشف الضر عند تخصيصه تعالى بالتضرع إليه في طلب كشفه والعلم بحصول جميع
النعم منه إذا فريق منكم بربهم يشركون إذا للمفاجأة والخطاب عام والفريق هم الكفرة أو خاص
بالمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض أي إذا فريق وهم أنتم بربهم يشركون أو للتبعيض
على أن منهم من اعتبر وازدجر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
آتيناهم من نعمة الكشف عنهم بيان لرسوخ الكفر فيهم وغلبته على طباعهم حتى
كأنهم جعلوا غرضهم من الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية لهم ووعيد
بليغ ويكون ليكفروا أيضا واردا على سبيل الخذلان والتخلية وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا
للمفعول عطفا على ليكفروا على أن اللام للتعليل ويجوز أن يكون لام الأمر الوارد للتهديد
والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون أي لآلهتهم التي لا يعلمون حقيقتها فيعتقدون أنها
تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تعالى وهي جمادات لا تضر ولا تنفع على أن العائد إلى ما
محذوف أو لجهلهم على أن ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به أو لآلهتهم التي لا علم لها لأنها
جمادات فيكون الضمير لما نصيبا مما رزقناهم من أنعامهم وزروعهم تقربا إليها تالله
لتسألن عما كنتم تفترون من أنها آلهة حقيقة بالتقرب إليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه له عن

قولهم

قولهم وتعجيب منه ولهم ما يشتهون نصب عطفا على البنات أو يجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين أي
يختارون أو رفع على الابتداء ولهم خبره وسبحانه اعتراض وإذا بشر أحدهم بالأنثى أخبر
بولادتها ظل وجهه صار أو دام النهار كله مسودا من الكآبة واسوداد الوجه كناية
عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا أي على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من سوء ما بشر به من أجل سوء المبشر به أيمسكه محدثا نفسه متفكرا في أن يتركه على هون
ذل أم يدسه أم يخفيه في التراب أي يئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما
ألا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن يتنزه عن الولد ما هذا محله عندهم ولأنفسهم من
هو على ضده هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء من الحاجة إلى الولد
ليقوم مقامهم وإرادة الذكور استظهارا بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق
الشاهد على أنفسهم بالشح البالغ ولله المثل الأعلى من الغنى المطلق بالوجوب الذاتي
والجود الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز المنفرد بكمال القوة والقدرة
على بطشهم وأخذهم بذنوبهم الحكيم الذي يؤخرهم إلى أجل مسمى بمقتضى الحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الأرض وجاز إضمارها من غير
ذكر لدلالة الدابة عليها لما عرف أنها ما يدب عليها من دابة قط لأن غير الإنسان
من الدواب إنما خلق لأجله لقوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا ولو أخذ الظالم بظلمه
لانقطع نسل الإنسان إذ ما من شخص إلا وفي آبائه ظالم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى سماه
لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قد سبق
تفسيره في سورة الأعراف فلا دلالة في الآية على أن يكون الناس كلهم ظالمين لما عرف
أن المراد من الظلم المضاف إليهم ما صدر عن بعضهم ويجعلون لله ما يكرهون أي ما يكرهونه
لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأرذال الأموال
وتصف ألسنتهم مع ذلك الكذب وهو أن لهم الحسنى أي عند الله تعالى كقوله ولئن
رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب بضمتين جمع كذوب
صفة للألسنة أو على إسقاط الحرف أي بأن لهم لا جرم قد سبق تفسيره في سورة
هود أن لهم النار رد لكلامهم وإثبات لضده وأنهم مفرطون بالفتح مخففا ومشددا
بمعنى مقدمون إلى النار أي معجلون من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمته
وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته وقرئ بالكسر
مخففا من الإفراط في المعاصي ومشددا من التفريط في الطاعات وما يجب عليهم

تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان
يناله من الغم بسبب جهالات القوم ووعيد لأهل مكة فهو وليهم اليوم حكاية الحال
الماضية التي كانت يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت
أراد استحضار صورة التزيين في وقته للسامعين عسى أن يعتبروا بها فيحترزوا
عن مثلها ويجوز أن تكون ولاية اللعين والولي بمعنى القرين والذي يتولونه أو حكاية
الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والفائدة الاستحضار المذكور رأى ذا
المخاطبين والولي بالمعنى المذكور أو بمعنى الناصر أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر
لهم غيره فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ولهم عذاب أليم في النار وما أنزلنا عليك
الكتاب إلا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر وأحوال المعاد من
البعث والجزاء وأحكام الأفعال من التحليل والتحريم ونحوهما وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون عطف على محل لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعلي فاعل الإنزال المعلل
بها بخلاف التبيين فجيء فيه باللام لفقدان شرط نصبه والله أنزل من السماء ماء قد سبق
وجه تنكير الماء فأحيا به الأرض أنبت فيها أنواع النبات بعد موتها بعد يبسها
والتعقيب الذي دل عليه الفاء لا ينافي الواقع بين المعطوفين لأن ذلك إنما يكون
على حسب ما يعده الكل متعقبا والإحياء بعد الإنزال يعد متعقبا لا متراخيا الايري
إلى صحة قولك تزوج زيد فولد له إذا لم يكن إلا مهلة الحمل إن في ذلك لآية لقوم يسمعون أراد
بالسمع القبول كما في سمع الله لمن حمده أي لقوم يتأملون فيها ويعقلون وجه دلالتها
ويقبلون مدلولها وإنما خص كونها آية لهم لأن غيرهم لا ينتفعون بها وهذا التخصيص كالتخصيص
في قوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وبما قررناه تبين وجه العدول عن يبصرون إلى
يسمعون وإن لكم في الأنعام لعبرة دلالة على قدرة الله وحكمته والتنكير للتفخيم نسقيكم
استئناف لبيان العبرة مما في بطونه ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وأنثه في سورة المؤمنين
للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال ومن
قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له على
المعنى فإن المراد به الجنس من بين فرث ودم لبنا الفرث ثفل ما يبقى من العلف
في الكرش وكثيف ما يبقى من الأكل في المعاء ومن الأولى تبعيضية لأن اللبن بعض ما
في بطونها والثانية ابتدائية لأن الإسقاء يبتدئ من مادة متعددة منها الدم ومنها ما
الفضل التي لا حاجة إليها بل يجب أن يدفع كالفرث دفعا للضرر عن البدن أو زيادة

بين الفرث الذي من الفضول المحضة والدم الذي من الأصول المحضة فهو بالنسبة إلى الفرث أصل
لأنه لا بد له في بقاء النسل وبالنسبة إلى الدم فضل لأنه لا حاجة إليه في بقاء الشخص وعلى هذا
يجوز أن يكون من الثانية أيضا تبعيضية لأن تلك المادة غير منحصرة في اللبن فإن الدم الذي يصير
غذاء الجنين منها وكذا مادة المني فيكون المفعول المذكور حالا أي كائنا من بين فرث ودم وإنما
قدم على لبنا وهو صفة له في المعنى لأنه موضع العبرة فهو معني به جدير بالتقديم لكونه حاصلا
من الجنس وهو في معرض أن ينقلب إليه لأنه إن لم يسق يخرج من مخرج فضلات الهضم الرا بع
وذلك أن العلف ينهضم فيجذب صفاوته إلى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث في الكر ش
ويتسفل ويتوزع الدم على الأعضاء ليغذوها وينفصل من غذائه قسط صالح يرتقي إلى الضرع
الذي هو لحم غدوي رخو أبيض فينقلب الدم عند انصبابه إليه إلى اللبن هذا هو القول
الصحيح في تولد اللبن ومن توهم أن محله بين الفرث والدم فقد وهم خالصا مصفى عما يصحبه
من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه ولهذا صار سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم
إنما قيل صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث فبناه الوهم الفاسد المذكور
آنفا وإلا فأين موضع تولد اللبن من محل الفرث ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق
بما في الإسقاء من معنى الإطعام أي نطعمكم منها فينتظم المأكول منها والمشروب المتخذ من
عصيرها ولا حاجة إلى تقدير يتخذون وتعلقه بنسقيكم يؤدي إلى إخراج التمر والزبيب
من الرزق الحسن ولا وجه له تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الإطعام وتذكير
الضمير باعتبار جنس الثمر ولما كان اللبن لا يحتاج إلى معالجة منا أخبر عن نفسه في قوله
نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج إلى معالجة منا قال تتخذون وإنما قال منه
لأن منه ما لا يؤكل لا محالة ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل ونحوها والسكر
مصدر سمي به الخمر وقيل السكر النبيذ وفي عطفه على سكرا تعريض بكراهة الخمر وأنه
ليس بحسن ومن الجائز أن السكر وإن كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه وهذا على أنا لوا
أن الآية نازلة قبل تحريم الخمر قيل لما ميز السكر من الرزق الحسن قال أكثر الصحابة رض
لو كان فيها ضرر لميزه عن الرزق الحسن فامتنعوا عن شربها ونزول الآية قبل
تحريمها لا ينافي كونها جامعة بين العتاب والمنة فإن المنافي لإباحتها هو العتاب
في الآخرة لا العتاب في الدنيا الذي مرجعه النهي الطارئ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات ولما قال في هذا الكلام لعبرة ناسب ختمه
بيعقلون لأنه لا يعتبر إلا ذوو العقول وأوحى ربك إلى النحل الإيحاء إلى النحل إلهامها

وابداعها علا دل عليه حذاقتها في صنعتها وتدبير امرها وترتيب مراتب عملها ان اتخذي من الجبال
بيوتا بان اتخذي ويجوز ان يكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير لان
النحل جمع نحلة وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها بالذي يبناه الانسان لما فيه من حسن
الصنعة وصحة القسمة التي لا تقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات رفيقة وانظار
دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك ومن الشجر ومما يعرشون مما يعرش من الكرم ويرفعونه
من سقوف البيوت وانما ذكر بحرف التبعيض لانها لا تتخذ من كل جبل وكل شجر وكل
ما يعرشون ولا في كل مكان منها وليس المراد من بيتها ما تبنيه لتتعسل فيه كما توهم من
قال لما تتخذه في الجبال وكواها وفي مجوف الاشجار ومما يعرش ابن آدم من السقوف
ثم كلي فيه ارشاد الى العمل فانها تسوي البيت اولا ثم تاخذ الجرس للعسل من كل الثمرات
كل للتكثير كما في قوله واوتيت لها من كل شيء ومن لابتداء الغاية فاسلكي سبل ربك
التي الهمك راجعة الى بيوتك لا تضلين فيها فانها ربما ابعدت في طلب نجعتها الى
مواضع بينها وبين بيوتها فراسخ ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها
الله تع وسهلها لك يخرج من بطونها التفات من خطاب النحل الى الغيبة تعريفا
للخطاب الى الناس لان الغرض الامتنان بالنعمة الجسيمة الجامعة بين الغذائية والدوا
ئية واللذة والشفاء عليهم والاعتبار بحالها العجيبة ولطف صنعها التي بهروا العقول
والاستدلال بها على قدرة الصانع وكمال علمه وحكمته شراب يعني العسل لانه مما يشرب
وفيه دلالة على ما هو المختار عند المحققين من ان النحل ياكل الازهار والاوراق العطرة
فيستحيل في باطنها ثم يلقي ادخارا للشتاء ومن زعم ان العسل نباتي محض وقال
انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار و
يضعها في بيوتها ادخارا الزمه ان يجعل البطون مستعارة لافواه النحل ويكون الاكل
ترشيحا لها مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر وازرق بحسب لون النور او سن النحل
فيه شفاء للناس لانه من الاغذية الدوائية وقيل معجون لم يقع فيه وانما نكر شفاء لان
فيه شفاء لبعض الامراض لا لكلها او لتعظيم الشفاء الذي فيه ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون
فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم
قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم بآجال مختلفة
ومنكم من يرد تعالى عطف على محذوف تقديره فمنكم من يعجل ومنكم من يرد فالواو فصيحة
الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة

لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم في
مصدرية ناصبة بنفسها الفعل بعدها وهي منصوبها في تاويل مصدر مجرور باللام التعليلية
المتعلقة بيرد ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب القوي ويبقي الشيخ الضعيف وفيه
دليل على ان تفاوت آجال الناس بتقدير قادر حكيم وانما انه لا دخل فيه للاستعداد واقتضاء
الطبع وسوء التدبير فلا دلالة عليه والله فضل بعضكم على بعض في الرزق تقديم اسم الله تعالى
للتخصيص اي الله تع فضل دون غيره بان جعلكم متفاوتين في الرزق فما الذين فضلوا اي جعل
رزقهم افضل من رزق غيرهم برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على ما ليكهم
فيسوونهم بانفسهم في المأكل والملبس فهم فيه سواء اي احوالهم وامثالهم فجعلتم ان يساووا
في ذلك فالجملة لازمة للجملة المنفية ومفرعة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه
قيل فالذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار
على المشركين فانهم يشركون بالله تع بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم
عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون اي تلك التسوية شكر
نعمة الله تع فاذا لم يسووهم بانفسهم في ذلك فذلك هو كفران نعمة الله او فما المفضلون في
الرزق برادي رزقهم على مماليكهم فان رزقهم ما ياكلونه بل نحن نرزق المماليك كما نرزق
الموالي فهم اي الموالي والمماليك سواء في رزق الله فلا يحسب الموالي انهم يرزقونهم فانه
رزق اجريته اليهم افبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون رزق مماليكهم الى انفسهم لا الى
الله ويجحدون انه من عند الله والباء في بنعمة الله لحمل الجحود على الكفر حمل النظير على النظير
وعلى الوجه الاول فما الذين فضلوا جملة توبيخية والهمزة الداخلة على الفاء التعقيبية
وتقديم بنعمة الله تقرير للتوبيخ وانكار لفعلهم اي ابعد علمهم بان الله هو الرزاق ووضوح
دلائل ذلك بنعمة الله خاصة يكونون جاحدين لها وعلى الوجه الثاني فالتوبيخ والانكار انما
يكون في الجملة الاخيرة بالاصالة لا فيما قبلها والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم
لتانسوا بها وليكون اولادكم مثلكم امثالكم وجعل لكم من ازواجكم لم يقل منها لاخمال العود
الى الانفس بنين وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة قيل
المراد من البنين انفسهم والعطف لتغاير الوصفين وقيل هم البنات وفيه اي في
التعبير عنهن بالحفدة دون البنات تنصيص على وجه الامتنان بالبنات وهو انهن
يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات ويكون اشارة الى ان البنات
من حيث انهن وصلة بالاجانب نعمة جليلة واما الحمل على اولاد الاولاد فيأباه تخصيص البنين

بالذكر فانه احق التقديم اولا ايضا وقيل هم الربا ب يح يظهر وجه الاحتياج الى قوله من ازواجكم ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما يكون في الجنة والمراد الاطعمة المشتهية افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام ينفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير والسوايب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوها الى غيره تعالى اوحرموا ما احل لهم وانقام هم بين قوله بنعمة الله ويكفرون للتقوية المعاضدة للتوبيخ والانكار بالهمزة الواردة على التعقيب اى ابعد وضوح دلايل بطلان ما يعتقدونه يؤمنون بذلك الباطل ويجوز ان يكون لايهام التخصيص مبالغة وكذا تقديم الباطل وبنعمة الله على ما تعلقتا به ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات وهو مفعول رزقا ان كان بمعنى المصدر وبدل منه ان كان بمعنى المرزوق ويجوز ان يكون مصدر اليملك للتأكيد اى ما لا يملك رزقا ما شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا وصفة له ان كان اسما والتنوين في رزقا وشيئا للتحقير والتقليل وفي ابدال شيئا من رزقا تقليل آخر وفي ايراد ما دون من تحقير آخر وفي التقييد بقوله في السموات والارض مبالغة في نفي تلك الرزق عنها اى ما لا يملك لهم رزقا ما في جهة من جهات العالم ولا في مكان وقطر منه ولا يستطيعون الضمير لما لانه في معنى الالهة وهو من الافعال التي لا يقدر لها مفعول وتجعل مطلقة كالفعل اللازم والمراد نفي الاستطاعة المطلقة اي لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم اصلا لانهم موات وان قدر المفعول لدلالة القرينة ومن مفعول الملك عليه فالمراد بالجمع بين نفي الاستطاعة والملك جميعا التوكيد او نفي الوقوع وامكانه اي لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ويجوز ان يكون الضمير للكفار اي ولا يستطيع هؤلاء الكفرة مع انهم احياء متصرفون عقلاء شيئا من الرزق فكيف بالجماد الذي لا احراك به ولا حس فلا تضربوا لله الامثال نهي عن الاشراك بالله في التشبيه على طريق التمثيل لان من يضرب المثل مشبه حالا بحال قصة بقصة فجعل ضرب المثل مثلا للاشراك والتشبيه ان الله يعلم تعليل للنهي عن الشرك ووعيد عليه اي ان الله يعلم قبح ما يفعلون وكنهه وعظمه فهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم وانتم لا تعلمون كنه ذلك وكنه عقابه فلذلك اجترأتم عليه ويجوز ان يراد بقوله فلا تضربوا الله ظاهره وهو للنهي عن ضرب الامثال لله ويكون معنى التعليل ان الله وحده يعلم كيف يضرب المثل له وانتم لا تعلمون ذلك وكانه اريد المبالغة في ان لا يلحدوا في اسمائه تعالى وصفاته فانه اذا انزجر عن ضرب المثل والاستعارة يكفي فيها شبهة ما والاطلاق بتلك العلامة كان فعدم جواز اطلاق الاسماء من غير سبق تعليم منه تعالى واثبات

الصفات اولى واولى ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء عبدا بدل من مثلا ومن رزقناه منا رزقا حسنا من موصوفة عطفت على عبدا او موصولة فهو ينفق منه سرا وجهرا مثل ما اشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف مطلقا ومثل ذاته تعالى بالحر الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء وقيد العبد بالمملوك ليميزه عن الحر فان العبد قد يطلق على الحر باعتبار انه عبد الله تعالى وبقوله لا يقدر على شيء ليخرج عنه المكاتب والمأذون فانهما يقدران على شيء فكأنه قيل ولا تشركوا بالله وعدل الى المثل دلالة على التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا وفي لفظ الامثال لمن لا مثال له اصلا نعي عظيم عليهم سوء فعلهم وفيه ايماء الى ان الاسماء توقيفية وهذا هو الظاهر لدلالة الفاء وعدم ذكر ضرب المثل منهم سابقا ولا دلالة فيه على ان المملوك لا يملك لانه لم يجعل قسيما للمالك الا بعد التقييد بقوله لا يقدر على شيء والاصل في القيود الاحتراز بل للمخالف كما لك على ما قيل ان يتمسك به بناء على هذا الاصل الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وكلمة بل رد لما زعموه من استحقاق الاصنام للعبادة والشكر هل يستوون اي هل يستوي الاحرار والعبيد فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم وقد سبق بيان معنى البكم والفرق بينه وبين الاخرس لا يقدر على شيء فلا يقع فيه من جهة العقل ايضا وهو كل على مولاه مع ذلك هو ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيث ما يرسله مولاه في امر لا يأت بخير بنجح ونفع والتنكير للتقليل هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد يأمر الناس بالعدل لكونه جامع الفضايل كلها وهو على صراط هو في نفسه على طريق مستقيم ودين قويم اى كامل مكمل كرر التمثيل لزيادة الكشف والايضاح ونفوذ امتناع الاشراك والتشبيه في صور محسوستين ليتمكن في نفس السامعين واحتج في كل واحد من المثلين بامتناع الاشتراك والتسوية بين ممكنين متماثلين مع اشتراكهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع الا والتسوية بين الاصنام التي هي اخس المخلوقات واعجزها وبين الله تعالى الواجب بذاته الخالق القادر على الاطلاق ولله غيب السموات والارض اي يختص به تعالى علم ما غاب فيهما عن العباد وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وعلى هذا يكون

ربين

شتراك

العدول عن الضمير في قوله وما امر الساعة اي امر قيامها في سرعة وقوعه الى الاسم الظاهر لما فيه
من التقوية للخبر الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها فتمثيل لامر الوقوع
غير زماني بأقل ما يمكن ان يدرك من الزمان ولهذا قال او هو اقرب اي اسرع واقصر
زمانا بان يكون في مقدار نصف تلك الحركة او في آن ابتداء تلك الحركة لان الله تعالى
يحيي الخلائق دفعة واحدة وما يوجد دفعي الوجود يكون حدوثه في آن واو بمعنى بل ان الله
على كل شيء قدير يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق في اسرع وقت كما قدر على
احيائهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم بيان لعجزنا
في الابتداء بمعنى لم تكونوا قادرين بانفسكم على الخروج فانا اخرجتكم كما ان قوله لا تعلمون
شيئا بيان لجهلنا فيه في موضع الحال اي غير عالمين وفيه دلالة على ان حركة الجنين
غير ارادية وجعل لكم السمع والابصار خصهما بالذكر والمراد جميع الحواس لانهما اشرف
والاعتبار والاستدلال بدركهما اكثر كما خص الصلوة والزكوة في مواضع من
القرآن بالذكر والمراد جميع العبادات لانهما اصلها والافئدة اي انعم عليكم بهذه
الآلات والقوى لتدركوا بالحواس والمشاعر الجزئيات وتتنبهوا بالافئدة
بكلياتها فيحصل لكم العلوم البديهية وتقدروا على اكتساب النظريات بها و
تقديم السمع لانه اعم نفعا وانه حيث يحصل به العلوم النقلية التي لا يتطرق فيها الغلط
والافئدة من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة اذ لم يرد في السماع غيرها لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا نعمه الظاهرة والباطنة بالعمل بتلك العلوم فتورثوا العلوم الكشفية
كما قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فتعلموا وتسعدوا وانما ذكر آلة العلم في مقام الامتنان
والحث على الشكر دون آلة القوة تعظيما للعلم وتنبيها على ان المقصود من خلق بني آدم
بل من ايجاد العالم هو العلم كما علم من قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفون ومن قوله عم كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف الحديث الم يروا الى الطير
جمع طائر مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وهيئ لها من الاسباب
الموافقة لذلك في جو السماء في الهواء المرتفع من الارض وفي اضافته الى السماء اظهار
لجهة لطافته تقوية لمعنى التسخير ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل اجسادها يقتضي
السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها يمسكها فلا ممسك الا الله تعالى بقدرته ان في ذلك
لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن
الطيران فيها وامساكها بما فيها من الثقل في الهواء مع غاية لطافته على خلاف طبعها لقوم يؤمنون

صح

خصهم بتلك الآيات لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم التي تبنونها من الحجر والمدر
سكنا فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن فيه او اليه من مسكن او مألف وجعل لكم انما اعاده
لان الامتنان هنا بنوع آخر من النعمة من جلود الانعام بيوتا التنكير للتنويع اي نوعا
غريبا منها وهي القباب المتخذة من الادم ولا حاجة الى ان يتكلف في تعميمها المتخذة
من الوبر والصوف والشعر لاندراجها فيما يأتي بعيد هذا تستخفونها تجدونها
خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال
ويوم اقامتكم وقت نزولكم واقامتكم في سايركم لم يثقل عليكم ضربها ونقضها او يوم
قراركم في منازلكم والاول اولى اذ ظهور المنة في خفتها في السفر اتم واظهر ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز والكنايات راجعة للانعام
والفصل بما للابل بين ما للضأن وما للمعز لانه اكثر استعمالا في الحضر والسفر اثاثا اي
امتعة وثيابا تصلح للحضر والسفر منها ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب كاخبية
الشعر واللبود ومتاعا المتاع ما ينتفع به ويتجر الى حين الى ان تبلى وتفنى او الى ان تقضوا
منه اوطاركم والتنوين للتعظيم والاشارة الى انها تبقى مدة مديدة او للابهام لانه
غير معين اي مدة ما من الزمان غير معلومة والله جعل لكم شرع في الامتنان بنعمة
خالصة عن شوب الكسب ولهذا اعاد الاسناد الى ظاهر اسم الله تعالى مما خلق في السماء
كالسحاب المظلل على ما ذكر في قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام او في الارض كالجبل والشجر
ظلالا ما يستظل به لما كانت بلاد العرب غالبا عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون
به من حر الشمس وفيه نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما سيأتي وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تكنون بها من الكهوف والغيران الانسان اما مقيم او مسافر والمسافر غني
يستصحب معه ما يستظل به ويكتن به او فقير لا يقدر عليه فامتن على الاول بقوله جعل لكم
من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وعلى الثالث
بقوله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل من القطن
والكتان والصوف جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر
عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا محتملا او اكتفى باحد الضدين عن الآخر وتخصيص الحر
بالذكر بما اشير اليه من كون وقاية الحر اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع و
الجواشن كذلك كما تم هذه النعمة التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون
في نعمه الفائضة عليكم فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون بفتح التاء من السلامة اي

تشكرون نعمه فتسلمون من نعمة او تسلم قلوبكم من الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا على الالتفات اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا او حذفت التاء ويكون جاريا على الخطاب السابق فانما عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت فهو من باب اقامة السبب مقام المسبب فان البلاغ سبب العذر وكونه معذورا كناية عن عدم التقصير من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله يعرف المشركون نعمة الله من النعم عددناها وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله تع ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها وبقولهم هي من الله لكن بشفاعة الهتنا او بنسبتها الى من اجراها الله على يده وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وانما قال اكثرهم لان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا لم يعرف الحق لنقصان عقله او تفريطه في النظر ولان فيهم من لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا يكون الكافر على اطلاقه وعلى كلا التقدير لا مساغ لحمل الاكثر على معنى الكل ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم ويعلم حالهم بالايمان والكفر وهو نبيهم ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اي لا عذر لهم فدل بانتفاء الاذن على انتفاء العذر وثم لاستبعاد لغاية البعد بليتهم بشهادة الرسل عليهم السلام عليهم وبين بانتفاء الاذن في الكلام لما فيها من الاقناط الكلي عن العفو والغفران بالمنع من الاعتذار والادلاء بحجة او شبهة ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب الرضا وازالة الغضب من العتبى وهو الرضا اي لا يطلب منهم ارضاء الرب لان الاخرة دار الجزاء لا دار العمل ويوم منصوب بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه او كان ما لا يدخل تحت الوصف او واذكر يوم نبعث او كذا واذا راى الذين ظلموا العذاب اي حاق بهم ما حاق او شق عليهم ونحو ذلك فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بكونهم مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول اي اجابوهم بقولهم انكم لكاذبون في انهم شركاء الله او في دعوى عبادتنا ولا يمتنع انطاق الله تع الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم ضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من انهم شركاء الله تع وانهم يشفعون لهم وينصرونهم

جال

حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا عن الاسلام وحملوا على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم يعني نبيهم من انفسهم من جنسهم ومن قومهم ان نبي كل امة كان منهم فقوله وهذا القيد لم يذكر فيما سبق لدلالة من عليه وجئنا بك يا محمد شهيدا يشهد على هؤلاء الشهداء واما كونه ع م شهيدا على امته فقد علم مما تقدم ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تدمر كل شيء وما قيل من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة والقياس فيأباه ما في التبيان من المبالغة في البيان ثم ان قوله من امور الدين تخصيص لا يساعده الكلام ولا يقتضيه المقام وهدى ورحمة وبشرى بشارة للمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة ايضا لقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ان الله يامر بالعدل بمراعاة الوسط بين الاطراف وسلوك طريق الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط فهو جماع الفضائل كلها الشامل للحكمة المتوسطة بين البلاهة والدهاء والشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والعفة المتوسطة بين الشره وخمود الشهوة ومن الحكمة اعتقاد كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب ~~بين البطالة والترهب~~ وخلقا كالمتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالتواضع المتوسط بين الضعة والتكبر والجود المتوسط بين البخل والتبذير والقناعة المتوسطة بين الحرص والقعود عن طلب الضروري من المعاش والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المتوسط بين المداهنة والعنف في الامور الدينية ولما كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه بالاحسان بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات من العدالة احتياطا فان العدل هو القيام بالواجب في كل شيء والاحسان هو الندب والانحراف عن سمت العدالة الذي هو الطريق المستقيم الى احد الجانبين قد يكون الى جانب التفريط احسن وقد يكون الى جانب الافراط فالاحسان هو الاتيان بالحسن والمحافظة على جانبه كالميل الى التزيد في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة في الخلاص بالاخفاء باعتبار الكيفية والميل الى الصلابة التي هي الحمية الدينية في الشجاعة والى الصفح والعفو دون الانتقام فيما يتعلق بحق نفسه فيها والى الافراط في الجود والى التفريط في كل ما سواه من خصال العفة ولهذا نهى عن

لتواضع

الافراط في متابعة الشهوة وهي الفحشآء وايتاء ذي القربى واعطآء الاقارب ما يحتاجون اليه
تخصيص بعد التعميم للاهتمام به تنبيها على فضل هذه الخصلة من بين خصال العدل والاحسان
وكذا الرذائل الثلث المذكورة بعدها فان النهي منها داخل في الامر بالعدل وخصت بالذكر
والنهي عنها بالانفراد للتنبيه على قبحها وكونها في غاية الرذالة الا يرى ان البغي هو الظلم
المنافي لصريح العدل فلا يبعد ذكره الا التاكيد والمبالغة في التحذير وينهى عن الفحشاء
عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزناء والحرص والمنكر اي ما ينكر شرعا او
عقلا من افراط القوة الغضبية والبغي اي الاستعلاء والتجبر على الناس والاستيلاء
وهو من تسلط القوة الوهمية على العاقلة الذي يتولد منه الشيطنة فتارة تغلب
الغضب ويحدث الاستكبار وتارة تميل الى الافراط في باب الحكمة فتحدث الجربزة
والمكر والتفرعن وتارة تغلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب حقوق
الناس كلها ينافي العدالة ولا يوجد من الانسان شر الا وهو داخل في هذه الاقسام
الثلثة بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رض اجمع اية
في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رض ولو لم يكن
في القرآن الا هذه الاية لكفى به تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
ولامر ما عقب قوله ونزلنا عليك الكتاب بها يعظكم بالامر والنهي والميز بين
الخير والشر حال من فاعل يامركم او من مفعوله او منهما جميعا او خبر ثان لان لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله ص على الاسلام في قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي ثبتوا على ما عاهدتم
الله عليه وبايعتم به رسوله بالايمان التي تحلفون بها ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
اي لا تنكثوها بالحنث بعد احكام عقدها على انفسكم بذكر الله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
شاهدا او رقيبا لان الكفيل شاهد لحال المكفول به رقيب عليه والله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود وعيد ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى
المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت غزلها بعد ما ابرمته واحكمته انكاثا طاقات نكثت
فتلها جمع نكث وهو ما ينقض فتله وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت
لتضمنه معنى صيرت ولا يجوز انتصابه على المصدرية لان النكث اسم لا مصدر والمراد
تشبيه الناقض بمن هذا شانه وهي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت
حمقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا دخلا ثاني مفعول

تتخذ اي تتخذونها دخلا اي مفسدة ودغلا واصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون بسبب ان تكون
امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به
الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتوفون بعهد الله
وما عقدتم على انفسكم من ايمان البيعة لرسول الله وتتمسكون به ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم
وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم فتنقضون وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم
على اعمالكم بالثواب والعقاب انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام كانت قريش اذا
راوا شوكة وقوة في اعادي خلفائهم غدروا وحالفوا اعداءهم فنهى المؤمنون عن عبادتهم
في الغدر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسالن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
تصريح بالنهي وتكرير له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه ولهذا وحد قدم
ونكر في قوله فتزل قدم والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها تنبيها على
ان زلل قدم واحد عظيمة من عظائم الذنوب فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب
في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان
من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله
ثمنا قليلا قد سبق تفسيره في سورة البقرة والمراد ههنا من الثمن القليل ما يعده قريش
لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيمكم في
الدنيا والثواب الجزيل في الاخرة خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم
من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وينقضي وما عند الله من الثواب
الموعود المدخر في خزائنه لكم باق لا يزول وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة
باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على اذى الكفار ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله على تركه مما فعلوا كالواجبات والمندوبات وما ترجح
تركه على فعله مما تركوا كالمحرمات والمكروهات والتعبير بالعمل عن الكل للتنبيه والقصد
على ان الترك انما يثاب عليه اذا قارنه عمل القلب وهو النية والقصد الى الامتثال
بالانتهاء عما نهى عنه وفي عبارة الصبر نوع اشارة اليه وفي الاية دلالة على ان المباح لا يستحق
الاجر وان وجد الاستمرار عليه فكيف اذا وجد نادرا من عمل صالحا من ذكر او انثى بين من
لابهامه وكونه ظاهرا في الذكور لو لم يبين فعمهما بالوعد واشار بقوله وهو مؤمن الى ان لا
اعتداد باعمال الكفرة لا في استحقاق الثواب ولا في تخفيف العذاب لانها تجعل هباء منثورا

[illegible]

صح [illegible]

[illegible]

بدلالة نص الكتاب هذا ما عندي والله اعلم بالصواب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا
طيبا لان المؤمن الصالح ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضاء
بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة والفاجر بالعكس فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان
موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه ثم العمل الصالح لا يكون الا للمؤمن
فزيادة القيد المذكور لبيان ان المعتبر من عمل صالحا في الحال وهو مؤمن في المآل لان اعتبار
صفاء الحال بوفاء المآل والامور بخواتيمها وانما قلنا انه في الدنيا لدلالة قوله ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون يعني في الآخرة عليه وليس بتكرار لان الاول في حق الذين عاهدوا رسول الله
فحفظوا عهودهم وهذا في كل من آمن وعمل صالحا فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته والاطلاق
الفعل على ارادته من قبيل اطلاق المسبب على السبب مجاز الملابسة له ولزومه اياه غالبا
ودليل المجاز السنة المستفيضة واما الفاء فلا دلالة فيها عليه انما دلالتها على تاخير الاستعاذة
عن المعنى المراد بقراءته واجماعهم على صحة هذا المجاز قد دل على ان وجود القرينة المانعة
عن ارادة الحقيقة ليس شرطا فيها فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله تعالى ان يعيذك
من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب ولا دلالة فيه على ان
المصلي يستعيذ في كل ركعة بناء على ان الحكم المترتب على الشرط يتكرر بتكرره لان ما يقع
في خلال الصلوة من القراءات في حكم قراءة واحدة ولهذا لا يستحب الحمدلة والبسملة
عند الشروع لكل فعل من افعال الصلوة قيل تعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل ولا يذهب عليك ان الامر الاستحبابي
اغنى عن هذا الايذان والاولى ان يقول استعيذ بالله ليوافق القرآن ويقرب منه
اعوذ بالله كذا قالوا ويرده ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالله العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرأنيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة ولما ذكرنا عقبها بسلب سلطانه لئلا يتوهم
ان له سلطنة عليهم انما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه دون غيره والذين هم به
بالله او بسبب الشيطان مشركون لانه هو الذي يحملهم على الاشراك بالله واذا بدلنا آية
مكان آية نسخنا آية باية فجعلنا الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل في
باب المصالح فان الشرع صلاح حال العباد بحسب المعاش والمعاد وما يكون مصلحة في وقت قد يصير

مفسدة

مفسدة في وقت آخر وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمهور ومنهم فينزل في كل وقت ما هو صلاح ذلك الوقت
وينسخ به ما كان صلاح الوقت الماضي وقد تغير في الوقت الآتي الى مفسدة فهو جواب ادخله
للطعن لجهلهم بحكمة النسخ قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو
لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه
على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا نسبوا اليه من الافتراء بانواع من المبالغة والتغليظ
وهي الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على الثبوت والاستمرار بل اكثرهم لا يعلمون
عن الافتراء الذي ينسبونه اليه وما بعده تأكيد للاعتراض والتوبيخ بانهم جاهلون بحكمة
الاحكام لا يميزون بين الصواب والخطأ وانما قال اكثرهم لان منهم من يعلمها لكن ينكرها
عنادا قل نزله روح القدس جبرئيل اي الروح المطهر من الالواث البشرية واضافة
الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود في قولهم حاتم الجود للمبالغة في
ذلك الوصف كانه طبع منه وفي ينزل ونزل من معنى التدريج في الانزال على حسب المصالح
ما يشعر بان التبديل انما هو لرعاية المصالح التي فاتت لو انزل دفعة من ربك بالحق ملتبسا
بالحكمة ليثبت الذين آمنوا باعتقاد انه الحق من ربهم فانهم اذا لم يتشوشوا اعتقادهم بالنسخ
وتيقنوا انه مقتضى حكمة وعلموا ان الناسخ هو الذي فيه صلاح الحال دون المنسوخ ثبتت
اقدامهم ورسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما
معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر اراد واجبر الرومي
وقيل وقيل لسان الذي يلحدون اليه لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه يقال لحد و
الحد اذا مال عن القصد ومنه اللحد اعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو
بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال قولهم واطلال طعنهم وتقريره ان القرآن
معجز بلفظه كما هو معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا الكلام
الذي تحدى كل كلام عربي في البيان والفصاحة وهو اعجمي وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات
الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي الذين يعلم الله منهم
انهم لا يؤمنون بها اي لا يصدقون انها من عند الله تعالى لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل
النجاة في الدين ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبههم
ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم
لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون بالحقيقة

الكاملون في الكذب لان التكذيب بآيات الله هو اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب
لا يبالون به في كل شيء اذ لا يردعهم عنه مروة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك
او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب او منصوب بالذم
او مرتفع على خبر مبتدا مضمر على الذم او من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله
الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته جملة حالية ولا دلالة فيه على انحصار الايمان
في التصديق القلبي ولكن من شرح بالكفر صدرا اي وسعه لقبول الكفر مجاز عن الرضاء وطيب الخاطر
فعليهم غضب التنكير للتعظيم وقوله من الله لتبيينه لان الغضب من العظيم عظيم ولهم عذاب
عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا رضي الله عنه فاعطاهم بلسانه
ما ارادوا مكرها ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي وقال مالك ان عادوا لك
فعد لهم وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل التجنب
عنه اعزازا للدين ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم بسبب انهم استحبوا
الدنيا على الآخرة آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين وبان الله لا يهدي الى الايمان من
حقت عليه الضلالة وهذا هو السبب الحقيقي والاول هو السبب العادي اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم قد سبق تفسيره في سورة البقرة واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان غاية الغفلة ومنتهاها هي الغفلة
عن تدبر العواقب لا جرم قد سبق تفسيره انهم في الآخرة هم الخاسرون البالغون في الخسران
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا
بالولاية والنصر من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار رضه وثم مستعار لتباعد حال هؤلاء عن
حال اولئك ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم على المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي
كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها عن ذاتها اي كل شخص يسعى
في خلاص نفسه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي والمراد بالمجادلة الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم
لا يظلمون لا يعاقبون بغير ذنب واما نقص الاجر فلا احتمال له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية
جعل الله قرية صفتها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وانابهم

الله بالنقمة نقمة او لمكة خاصة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا
واسعا من كل مكان من نواحيها ولفظة كل للتكثير فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس واختار جمع القلة للتنبيه بالادنى
على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران النعم
الكثيرة اولى به فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق قابلهما بالجوع
الناشي عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتأخر وهو اتيان الرزق
كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
والاذاقة استعيرت للاصابة وانما اوثرت عليها للدلالة على شدة التاثير التي تفوت لو استعملت
الاصابة لعلاقة المشابهة بين المدرك من اثر الضرر والمدرك من طعم المر والبشع والكريه
استعير لما غشي الانسان من اثر الجوع والخوف وهو ضررهما فان الغاشي هو الضرر لا الجوع و
الخوف والا لكان لباس الجوع تشبيها على حد لجين الماء وح يستبين وجه ايقاع الاذاقة على
اللباس اذ المعنى فاذاقهم ما غشيهم من ضرر الجوع والخوف وهذا النوع ظاهره وجه بناء التجريد
على الترشيح لان الاذاقة تفيد ما لا يفيد الكسوة من زيادة التاثير الموجبة لقوة الادراك
واما بناء اللباس على الطعم فللدلالة على الشمول وهذا اولى مما حمل اللباس على انتقاع اللون و
رثاثة الهيئة اللازمتين للجوع والخوف اذ في كون الاصابة ابلغ موقعا بما كانوا يصنعون
بصنيعهم الذي استمروا عليه جرى مجرى ما عليها هو المراد من القرية وفيما تقدم على طريق المجاز
وقرئ والخوف بالنصب عطفا على لباس او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
اي ولباس الخوف ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا عم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم
بعدما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او ضرب الحديد في
حرب بدر وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا امرهم بالاكل الحلال
لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء في
فكلوا التسبيب اي اذا نهيتم على سوء صنيع اهل القرية ووخامة عاقبتهم وذكرتم بالتمثيل
فاعتبروا بحالهم وخذوا بضد ما انتم عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم
وجعل هذا الوصل ذريعة الى ما رتب عليه من تعداد نوع آخر من قبائحهم وقد سبق
في تفسير سورة البقرة وما يتعلق بهذا الكلام من وجوه الاعراب واما في قوله طيبا من
الفائدة الزائدة واشكروا نعمت الله اضافة النعمة اليه للتشريف ان كنتم اياه تعبدون

وتقديم المفعول للمحافظة على الفاصلة او لادخل بمعنى التخصيص في التعليق فان عبادته لا تتم الا بالشكر على نعمه فلا وجه لما قيل ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته لان مبناه على اعتبار التخصيص في الشرط المذكور انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم قد سبق تفسيره في المائدة والانعام لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلموا ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة وقت نزول تلك الآية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي فلا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول ينطق به السنتكم من غير دليل وفي تصف الكذب بوصف الالسنة نوع من المبالغة بديع ووجه من الفصاحة جميل ومبالغة في وصف كلامهم بالكذب عظيم وبيان جهل قولهم كانه نفس الكذب وحقيقته وكانت مجهولة فعرفته السنتهم بوصفها وحلتها وبينته بكلامهم هذا القول لهم وجها يصف الجمال وعينها تصف السحر ورد هذا الوجه الاخير بان النحاة نصوا على ان المصدر المنسبك من ان والفعل لا ينعت لا يقال يعجبني ان يخرج السريع ولا فرق بين هذا وباقي الحروف المصدرية وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفوز به بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يحوي عليهم افتراؤهم شيئا ثم بينه بقوله متاع قليل اي منفعتهم فيما هم فيه من الافعال الجاهلية والتحريم والتحليل منفعة قليلة ينقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم ببغيهم وهو قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بغير الافتراء على الله تعالى وغيره بجهالة بسببها او ملتبسين بها وتنكيرها للابهام فتشمل عدم العلم

بالله تعالى وصفاته وعقابه وثوابه وعدم التدبر للعواقب بسبب الغفلة اللازمة للانهماك في الشهوات ومتابعة الهوى في طلب اللذات ثم تابوا قد دل ثم بالتراخي الا انها قد تستعار للتراخي في الرتبة ولهذا زاد قوله من بعد ذلك السوء واصلحوا اي تاب عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليه واصلح العمل في المستانف ان ربك من بعدها من بعد التوبة واما الاصلاح فهو تكميل للتوبة لا انها شيء آخر ولهذا لم يذكر في قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وانما اعيد ان ربك على سبيل التاكيد لطول الكلام ووقوع الفصل لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة المستتبعة للعمل الصالح ان ابراهيم كان امة اي كان وحده امة لحصول الكمالات والفضائل التي لا تكون الا متفرقة في امة كثيرة مجموعة فيه ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى او لانه عم كان وحده مؤمنا وسائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يامونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الا ما يلا الى دين الاسلام لقوله تعالى ولكن كان حنيفا مسلما اي لم يكن من عداد هم وهذا في سياق النفي ابلغ من لم يشرك والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمفهوم كان متقدم على مفهوم لم في الاعتبار وانما نفي عنه السلام الشرك على ابلغ وجه تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم عليه السلام وترغيبا لهم الى التوحيد ودين الاسلام شاكرا يجوز ان يكون خبرا ثانيا او حالا من احد الضميرين في قانتا وحنيفا لانعمه انما جاء بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة هذا ما يحسب جليل النظر والذي يوجب دقيق النظر انه للتنبيه على صعوبة مقام الشكر بالاشارة الى عجز البشر عن الشكر للكثير من نعمه تعالى فضلا عن الشكر لكلها وذلك انه عليه السلام مع جلالة قدره لما كان قاصرا عن شكر النعم الكثيرة فغيره اولى بالقصور عنه وانما قلنا انه لما كان قاصرا لان المقام مقام مدحه بما كان فيه من الاوصاف الكاملة فلولا القصور عنه لكان المذكور على صيغة جمع الكثرة اجتباه اختاره واختصه لنفسه والاجتباء هو ان ياخذ الشيء بالكلية واصله جمع الماء في الحوض وهو الجابية حال او خبر آخر لكان وهداه الى صراط مستقيم ارشده سبيلا

طريق الحق {وآتيناه في الدنيا حسنة} بما هو اسم جامع لكل حالة جميلة فيتناول كل ما يصح من الخصوص المذكورة في
من الرسالة والخلة واللسان الصدق وغير ذلك والعدول من الغيبة الى التكلم للالتفات
تعظيما لشأنه وتنبيها لما اعطاه {وانه في الآخرة لمن الصالحين} المستحقين لكل منزلة رفيعة
ودرجة عالية في الجنة لم يقل وجعلناه في الآخرة من الصالحين تنبيها على انه آثر ذلك
الابتداء لا امر آخر فقدر {ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم} الخطاب لنبينا عم وفي ثم اشارة
الى ان من اجل ما اوتي خليل الله عم واشرف ما اولي من النعمة والكرامة اتباع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ملته من جهة ان ثم دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة عن سائر النعوت
التي اثنى الله تعالى بها عليه وفيها من تعظيم منزلة رسول الله عم واجلال محله ما لا يخفى
على الفطن وفي لفظ اوحينا ثم الامر باتباع الملة لا اتباع ابرهيم عم ما يدل على انه عم ليس
بتابع بل هو مستقل بالاخذ عمن اخذ ابراهيم عم عنه وبهذا البيان اندفع ما عسى ان
يتبادر الى الوهم من انه عم كان دون ابراهيم عم ولذلك امر باتباعه واتضح وجه ايراد
فبهداهم على فيهم في قوله فبهداهم اقتده والمراد من الاتباع الاتباع في اصول الدين
لا في فروعه لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان
انبيائه عم من امللت الكتاب اذا امليته {حنيفا} ولما كان التوصيف بالحنيف في
مقام التعليل للامر بالاتباع كان في معنى فانه مال عن الاديان الباطلة فعطف عليه
قوله {وما كان من المشركين} بل كان قدوة الموحدين {انما جعل السبت} فرض عليهم تعظيمه
والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها {على
الذين اختلفوا فيه} على نبيهم وذلك ان موسى عم امرهم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا
وقالوا نريد يوم السبت الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض الا شرذمة منهم
قد رضوا بالجمعة فذاك اختلافهم في السبت فالزمهم الله تعالى السبت وشدد الامر عليهم
وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله تعالى {وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون} اي يحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب تمييزا بينهم وفصلا
لخصومتهم في محل الاختلاف وهذا ظاهر في ان الاختلاف انما كان بين العاصين والمطيعين
ويشهد لذلك ما في سورة الاعراف من قوله تعالى واذ قالت امة منهم الآية فلا وجه لما قيل
معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد تارة فيه
وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل {ادع} حذف المفعول للتعميم وفي الاشارة الى بعثته الى العامة
والتنبيه على فضله عم على من تقدمه من الرسل وفيه تأييد للتدارك السالف ذكره

{الى سبيل ربك} الى الاسلام {بالحكمة} بالمقالة المحكمة وهو الدليل القاطع الموضح للحق المزيل للشبهة
{والموعظة الحسنة} بالخطابيات الاقناعية والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم
وتقصد بها ما ينفعهم والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
{وجادلهم} وجادل معانديهم {بالتي} بالطريقة التي {هي احسن} طرق المجادلة من الرفق واللين
واختيار الوجه الايسر والطريق الاسهل فان ذلك اشد تسكينا لشغبهم وتليينا لعريكتهم
{ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين} اي ما عليك الا الدعوة بهذه الطرق
واما الهداية والمجازاة فليست اليك فان الله اعلم بهم فمن علم بهداية كفاه القدر اليسير
من الحكمة ان كان مستعدا لها والموعظة ان كان قابلا غير منكر والجدال الحسن الرفيق
ان كان منكرا منصفا ولا حيلة في هدايته ان كان معاندا فكل امره الى من هو اعلم به فانه
مجازيه وانما قدم الضال لان الكلام واقع فيهم والخطاب دائر معهم وذكر مقابله بصيغة
الفاعل لان الدوام والثبات يناسب حاله {وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به} لما امره عم
بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من تابعه بمراعاة الخلق مع الخلق وملازمة
طريق العدالة مع من يعاصيهم لان الدعوة لا تخلو عن المناواة والمعاصبة من حيث انها ترفع
العادات وتبعث على رفع المألوفات وتفتح في الاديان والمعتقدات وتحكم على اهلها
بالكفر والضلالة روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول الله عم على حمزة رض
وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه ابر رخصة في المثلة بواحد ثم نسخت المثلة وفيه حث على العفو
تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله {ولئن صبرتم لهو} اي الصبر {خير
للصابرين} من الانتقام للمنتقمين ويجوز ان يرجع الضمير الى صبرهم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء
من الله تعالى عليهم بانهم صابرون في الشدائد وفي ارشاد الى انه ان صبرتم فهو شيمتكم المعروفة
وفي ترغيب بالصبر بالغ ثم صرح الامر به لرسوله عم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى
ووثوقه عليه فقال {واصبر} ولما كان الصبر في هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد
سهولته فقال {وما صبرك الا بالله} الا بتوفيقه ومعونته ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصل
في حصول جميع الطاعات ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال {ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق
مما يمكرون} وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وهو لما
لفوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم على قتلى احد

اي ولا تحزن بفوات اولئك الاصدقاء او على اعراض الكافرين عنك واما لتوقع ضرر في المستقبل
واليه الاشارة بقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم ان الله مع الذين اتقوا المعاصي
ويدخل فيها دخولا اوليا اسيتفاء الزيادة والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل
ويدخل فيها دخولا اوليا ترك الانتقام فكانه قال انا اردت ان
اكون معك بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين
المحسنين وقيل الاول اشارة الي التعظيم
لامر الله تعالى والثاني الي الشفقة
على خلق الله تعالى
والله اعلم بالصواب
واليه المرجع
والمآب
م

سورة بني اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح وهو الابعاد
في الارض والنقل الي التفعيل والعدول عن المصدر الي الاسم الموضوع له خاصة والعامل فيه الفعل الذي
من معناه لا من لفظه اذ لم يجئ من لفظه فعل فالتقدير انزه الله تنزيها فوقع سبحان مكان تنزيها
ولما كان حديث الاسراء مظنة ان يذهب الوهم الي انه زماني او مكاني صدره بما هو علم في تبعيده تعالى
عما لا يليق بشانه ويجوز ان يكون كلمة سبحان للتعجب بها ينبه الي اعجب امر جرى بينه وبين
افضل خلقه الذي اسرى بعبده الاسراء سير الليل خاصة فقوله ليلا لقطع مجاز السير خفية
كما ان قوله يطير بجناحيه مجاز السير السريع والتنكير لتقليل مدة الاسراء فانه كما يدل على
البعضية في الافراد كذلك يدل على البعضية في الاجزاء دل على ذلك قول الشيخ عبد القاهر في
دلائل الاعجاز ان التنكير في حيوة في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة للدلالة على ان تلك الحيوة
بعض حيوة المهموم بقتله وانما هو المراد شهد لذلك قراءة من الليل اي بعضه وهذا
الاسراء كان جسمانيا ولذلك كذبت قريش به وفي عبارة العبد اشارة الي ذلك من المسجد
الحرام بعينه او من الحرم فانه مسجد كله الي المسجد الاقصى بيت المقدس سمي اقصى لانه لم يكن
وقتئذ مسجد وراءه الذي باركنا حوله البركة درور الخير ونموه ومي دينية ودنياوية وكلاهما

مراد هنا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عم ومحفوف بالانهار والاشجار والالتفات من الغيبة
الي التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات لنريه من آياتنا كقطع مسيرة شهر ومشاهدة بيت
المقدس في برهة من الزمان وتمثل الانبياء عم والوقوف على مقاماتهم واما البراق وسرعة سيره
فليسا منها لانه عم راي الاول قبل السير والثاني قبل الوصول الي المسجد الاقصى فلا يترتب
رؤيتهما على السير اليه انه هو السميع بلا اذن والبصير بلا بصر دل على ذلك صورة الحصر فلا
يحتاج الي قرب المسموع وحضور المبصر فلا يختص بمكان دون مكان فلم يكن الاسراء
لاجله بل لاجل عبده بدا بعبارة التنزيه وختم باشارة فتجاوب طرفا الكلام وآتينا
موسى الكتاب التوراة وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا قرئ بالياء على ان لا يتخذوا وبالتاء
على بان لا تتخذوا كقولك كتبت انا افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ بالتاء او فانية على النهي او على انه احد
مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل
من واو يتخذوا وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق وايماء الي
ان ذلك لكونهم اتباع نوح عم ثم قال في تعليل تلك الفضيلة الجليلة الثابتة له عم انه كان
عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتداء به وقضينا اصل القضاء الاحكام والاتمام وانما قال
الي بني اسرائيل لتضمين معنى الانزال اي اعلمنا اعلاما محكما منزلا اليهم في التوراة وتفسير
القضاء بالوحي يأباه في الكتاب كما لا يخفى على ذوي الالباب لتفسدن في الارض جواب قسم
محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين
اولهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا عم وثانيهما قتل زكريا ويحيى عم ولا وجه لما
قيل ان المقتول في الاولى زكريا وفي الثانية يحيى لان الكرة الآتي ذكرها لم يتخلل بينهما ولتعلن
علوا كبيرا هو غلبة المتكبرين منهم على المصلحين افراطا متجاوزا عن القدر والعلو لغة هو
الغلبة حقا كان او باطلا فاذا جاء وعد اولاهما اي وقته والوعد بمعنى الموعود وهو العقاب
فلا حاجة الي تقدير بعثنا عليكم هذا البعث من قبيل تولية بعض الظالمين
على بعض وكان على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تعالى الي نفسه دون المجوس الآتي ذكره فلا
وجه لصرفه عن معناه الي معنى التخلية عبادا لنا سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر
وقيل جالوت قطع اضافتهم عن نفسه لعدم استحقاقهم للتشريف المستفاد منها
وايضا ما في التنكير من التهويل يناسب المقام اولي بأس ذي قوة وبطش في الحرب شديد
فجاسوا خلال الديار وقرئ خلل وهو واحد الخلال كجبل وجبال ويجوز ان يكون الخلال ايضا

واضرّا اي ترددوا وتخللوا بين الدور في طلبكم للقتل والسبي وقرئ بالحاء وهما اخوان وكان وعدا
مفعولا اي لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم اي على الذين بعثوا عليكم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل ولا يلزم ان يكون من قومه وقيل
جمع نفر وهم المجتمعون لامر ولا يلزم ان يكون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان جزاءه لها وان اسأتم فلها اي فالاساءة لها واللام للاستحقاق كما في قوله تع لهم عذاب
في الحيوة الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص لان نفع الاحسان وضرر الاساءة قد
يتعديان الى الغير على ما دل عليه الاخبار وشهد له الآثار واما الازدواج فانما يصار اليه
عند تعذر المعنى الحقيقي فاذا جاء وعد الآخرة وقت موعود المرة الآخرة وجواب اذا محذوف
دل عليه جواب الاول اي بعثناهم وانما عطف بالفاء مع انه من تفصيل المجمل والظاهر فيه
العطف بالواو للدلالة على ان مجيء وعد الآخرة لم يتراخ عن كفرانهم وتمردهم وذلك انهم كلما
ازدادوا عدة وعدة زادوا عدوانا وطغيانا الى ان تكاملت اسباب الغرة ففاجاهم
اضداد الله تع على الغرة ليسوءوا وجوهكم بناء المغايبة على الجمع اي ليسوء هؤلاء وجوهكم
وانما عدّ المساءة الى الوجوه وان كانت عليهم لان آثار الاعراض النفسانية انما تظهر في
الوجه وقرئ بناء المغايبة على الواحد والضمير للعقاب للفاء السابق ذكرها او لله تع
للقراءة بالنون وفتح الواو وليدخلوا المسجد بيت المقدس ونحوه كما دخلوه اول مرة
وخربوه وليتبروا اي وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا تفتيتا
ومنه التبر لفتات الذهب عسى ربكم ان يرحمكم وعد من الله تع ان يكشف عنهم بعد المرة
الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا فبعث الله تع عليهم
بين بهذا ما لهم في الدنيا ثم ذكر ما لهم في الآخرة بقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا
ضيقا قال الجوهري يقال للذي يفرش حصير لحصر بعضه على بعض بالنسج ان هذا القرآن
يهدي للتي للطريقة التي هي اقوم الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اي
بان لهم اجرا كبيرا الفسق لا ينافي الايمان ولا العمل الصالح فلا خروج للفسقة باحد
الفريقين المذكورين فلا حاجة الى المكابرة بان يقال كان الناس اما مؤمن تقي
واما مشرك وانما حدث الفاسق بعد ذلك وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على ان لهم
اجرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم اعتدنا لهم عذابا اليما
وزيادة اعتدنا ههنا انباء عن شدة الغضب في حقهم ويدع الانسان حذفت الواو من
يدع لفظا لاستقبال اللام الساكنة كما في قوله تع سندع الزبانية وحذفت في الخط ايضا

لكنها غير محذوفة في الخط بالشر هو دعاؤه على نفسه واهله وماله عند الضجر بما لا يحب ان يستجاب له دعاءه
بالخير مثل دعائه بالخير يعني ان القرآن يهديهم الى ما فيه السلامة وهم يأبون الا ان يأتوا
بما فيه ندامة ثم ذكر ان ذلك من عدم تثبته وقلة صبره فقال وكان الانسان عجولا العجلة طلب الشيء
قبل وقته الذي ينبغي ان يقع فيه والسرعة عمل الشيء في اول وقته وجعلنا الليل والنهار آيتين
تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق يترتب عليه آثار غريبة واحكام عجيبة فمحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الفاء فصيحة كأنه قيل وفاوتنا بين الآيتين فجعلنا الآية التي
هي الليل ممحوة اي عديمة النور والآية التي هي النهار مبصرة اي مضيئة او جعل مبصرة للناس من
ابصره فبصر فان الاضاءة لازم الابصار وعلى ان الاضافة في الآيتين للتبيين وقيل آية
الليل القمر ومحوه اطلاؤه عن النور فانه ما يرى فيه نور الشمس وآية النهار الشمس وابصارها
نورها الذي يقع به الابصار لتبتغوا تعليل لجعل آية النهار مبصرة فضلا من ربكم رزقا
والابتغاء الطلب والمعنى لتتوصلوا ببياض النهار على تحصيل اسباب المعاش وفي عبارة الفضل
اشارة الى انه لا يجب على الله تع ان يرزق عباده وانما ذلك تفضلا ففيه حجة على المعتزلة
ولتعلموا عدد السنين والحساب تعليل لمحو آية الليل اي لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين
وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه او الحساب المتعلق بالاوقات على ان التعريف
للعهد بقرينة عدد السنين او بنقص نور القمر شيئا فشيئا فان معرفة السنة القمرية المعتبرة
عند العرب بذلك وكل شيء كلمة كل للتكثير والتفخيم للاحاطة والتعميم كما سبق الى وهم من قال
مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا كافيا والمقام مقام الا
متنان باتمام الاحسان لا مقام الالزام والافحام كما سبق الى بعض الاوهام وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه اراد بالطائر حظه من الخير والشر كأنه طار اليه من عش الغيب ووكر
القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الفرح
والترح من قدر الله تع وعمل العبد في عنقه خص العنق بالاضافة اليه من بين سائر الاعضاء
لان فيه يكون الزاين من القلائد والاطواق والشاين من الاغلال والاوهاق فاستعير
لمحل الزام الخير والشر ونخرج له اللام للاختصاص يوم القيمة يعني وقت الموت فانه القيمة
الصغرى قال م من مات فقد قامت قيامته كتابا هيكلا مصورا بصورة اعماله يلقاه
منشورا لظهور تلك الهيآت فيه بالفعل منتشرة لا مطوية كما كانت قبل ذلك عند
ركونها فيه بالقوة وهما صفتان للكتاب او للاول صفة والثاني حال من مفعوله وقرئ
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول فيقرأه قارئا كان

او غير فارق لان الاعمال هناك متمثلة بصورها وهيآتها يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف
فلا يعرفها الا الامي وهذا وجه ما روي عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا
كفى بنفسك الباء مزيدة للاشارة الى لصوق ذلك الوصف ولزومه لها اليوم قدم الظرف
لتخصيص الحكم المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا حاسبا او كافيا نصب على التمييز وتعديته بعلى
لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال فكأنه قيل كفى
بنفسك رجلا حسيبا وتقديم الصلة للاشارة الى ان لكل امرء يومئذ شأن يغنيه عن
الغفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ثواب اهتدائه له ومن ضل فانما يضل عليها
وبال ضلاله عليها واما ان الغير لا ينتفع باهتدائه ولا يتضرر بضلاله فلا دلالة فيما ذكر عليه
ولا صحة له ايضا لما قدمناه في تفسير قوله تع ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
ولا تزر وازرة وزر اخرى مر تفسيره في سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا
في حكم الدنيا خاصة وقال فرقة انه في حكم الدنيا والآخرة ذكره القرطبي وعلى كلا التقديرين
لا دلالة فيه على انه لا وجوب قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم من تعليق
مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليها وانما نفى الكينونة دون البعث لان المراد الاخبار
عن عادته تع لا الوعد فعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة وكلمة حتى لبيان غاية
انا من عن العذاب لا لبيان غاية عدم العذاب حتى ينتفي العذاب عند البعثة ولما
ذكر انه لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد البعثة
وهي مخالفة امر المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اي اذا تعلق ارادتنا في
الازل لاهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص امرنا اي وجهنا الامر قبل مجيء ذلك الوقت
مترفيها متنعميها خصهم بالذكر مع عموم الامر للفريقين بدلالة ان الكلام في بيان سبب الاستحقاق
اهل القرية لعذاب الاستيصال لانهم الرؤساء المتبوعون ولانهم مأمورون بنوعي
العبادة البدني والمالي ففسقوا فيها فوجد الفسق وهو الخروج عن الطاعة منهم اي من
اهل القرية كلهم لما نبهت على ان غير المترفين ايضا مأمورون لكننا استغني بذكر المترفين
عن ذكرهم كما اكتفى بذكر الملائكة عن ذكر الجن في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
على ما مر تحقيقه في تفسير سورة البقرة وقرئ أمَرنا بمعنى كثّرنا تقول العرب امر
القوم بكسر الميم اي كثر وامرهم الله بالفتح اي كثرهم فصارت الحركة مما يصير به الفعل
متعديا كما في شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتحها ويؤيده قراءة آمرنا بالمد
وامّرنا بالتشديد فيها فيه دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضا داخلة تحت المراد

فلا مجازية لفظ الحق كما لا مجاز في الارادة والامر فحق عليها اي على القرية بما فيها القول هو وعيد الله
الذي قال رسول الله فدمرناها التدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء مع اهلاك اهلها
تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم وكم اهلكنا كم في موضع نصب باهلكنا من
القرون بيان لكم وتمييز له اي كثيرا من القرون اهلكنا من بعد نوح خصه بالذكر لانه اول من حلت
بقومه عقوبة الاستيصال وكفى بربك بذنوب عباده يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من المعتقدات والنيات فانها اقدم على الاعمال الظاهرة
التي هي متعلقات البصير والعقاب عليها اشد والعفو عنها اقل من كان يريد العاجلة
من استمر على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل على ذلك زيادة كان ههنا دون قسيمه
واما اعتبار قصر الارادة عليها بمعونة المقابلة فيرده عدم صحة اعتباره في المقابل ولا وجه
للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والا
رادة على اختلاف العبارة لانه لا يجد كل متمنٍ ما يتمناه ولا كل واحد جميع مراده ومدلول
الكلام ان حصول المرام موقوف على مشيته تع واما انه لا دخل فيه للهمة والارادة فلا دلالة
عليه فانه يجوز ان يكون ذلك من الاسباب العادية الا في خوارق العادات ولمن نريد
بدل من له بدل البعض من الكل وقرئ يشاء والضمير فيه لله تع ليطابق المشهور ثم جعلنا
له جهنم يصلها حال من الضمير له او من جهنم مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تع ومن
اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي بالاقبال
الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل بالجد في الامر خيرا كان او شرا وفي
فائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن هو الشرط الاعظم فلا ينفع السعي الا به فاولئك
اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف كان سعيهم مشكورا من الله تع اي مقبولا عنده
مثابا عليه كلا كل الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد الامداد المواصلة بالشيء
هؤلاء وهؤلاء بدلان من كلا بدل تفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد والعطاء بمعنى المعطى وما كان
عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده مؤمنا كان او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض في العطاء وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات من درجات
الدنيا ودرجات منصوب على التمييز واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها اكبر لانه بالجنة
ودرجاتها وبالنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للانسان او للنبي ع في
المراد امته والجعل بمعنى التصيير بالعقد فتقعد فتبقى عاجزا فان القعود مما يكنى به عن العجز
مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تع وقضى

ربك أي أمر أمرًا مقطوعًا به أن لا تعبدوا بأن لا تعبدوا إلا إياه ويجوز أن يكون أن مفسرة ولا ناهية
قال القرطبي وفي مصحف عبد الله ووصى ربك وذكر أبو حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه ووصى ربك
فالتصقت إحدى الواوين بالصاد فقرئت وقضى ربك إذ لو كان على القضاء ما عصى الله أحد
وقال الضحاك مثل ذلك ثم أبى أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا بهذا الطعن
الزنادقة في مصحفنا وأما التعليل الذي نسبوه إليه فهو مناف لما نقل عنه من أن ليس
قضاء حكم بل هو قضاء أمر وبالوالدين وبأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا ويجوز أن يتعلق
الباء بالإحسان وقد مر في تفسير سورة الأنعام تحقيق وجه جواز تقدم صلة المصدر إما يبلغن
عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدًا لها ولذلك صح دخول
النون المؤكدة في الفعل وأحدهما فاعل يبلغن وبدل من الألف الراجع إلى الوالدين على قراءة
يبلغان وكلاهما عطف على أحدهما على الاحتمالين ولا احتمال لأن يكون تأكيدًا للضمير في يبلغان
لكونه معطوفًا على البدل لأنه لا يقتضي أن يكون بدلًا فإن عطف التأكيد على البدل سائغ
بل لأن فيه دلالة على أن التأكيد غير مراد في المقام لأن فائدة تأكيد التثنية الشمول والإحاطة
ولو قصدت تلك الفائدة لما قبل أحدهما فالمانع ذكره لا عطفه على البدل وإنما قيد بقوله
عندك لأن مراعاة الأدب مع طول المصاحبة أشق فكانت مظنة التقصير فذكر به في
أشق حالة الكبر لأن من بلغها يسوء خلقه فكان فيه تقوية لما ذكر آنفًا من المظنة وأيضًا
هي حالة يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف فلا تقل لهما أراد تعميم النهي لكل
منهما لا تقييده بحالة اجتماعهما لعدم تحمل أحد المقدرين أف صوت يدل على التضجر
قيل اسم الفعل الذي هو أتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة
نافع وحفص للتنكير وقرئ بالفتح على التخفيف وقرئ منونًا وبالضم للإتباع والنهي عن
هذه اللفظة الدالة على التضجر والتبرم يفصح عن النهي عن سائر أنواع الإيذاء بطريق الدلالة
وقال الأصمعي الأف وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار فكثر استعماله حتى ذكر في
كل ما يتأذى به وعلى هذا يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا تنهرهما النهر الزجر
بالغلظة وقل لهما قولًا كريمًا وهو السالم عن كل عيب واخفض لهما جناح الذل أي قل لهما
قولًا كريمًا بدل القول الكئيب وهو أف وافعل لهما الفعل اللطيف بدل الفعل العنيف
وهو النهر نهي عن قول وفعل وأمر بقول وفعل بدلًا عنهما وفي تقرير الثاني وجهان أحدهما أن
الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك ذلك خفض جناحه فصار
خفض الجناح مجازًا مرسلًا مرتبًا على الكناية عن فعل التواضع والثاني أن الطير إذا ضم فرخه

إليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح في الأصل كناية عن حسن التدبير فكأنه قيل للولد اكفل والديك
بضمهما إلى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك ويرشدك إلى هذا قوله كما ربياني صغيرًا وبقوي
الأول إضافة الجناح إلى الذل بطريق الاستعارة التخييلية وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
من الرحمة من فرط رحمتك إليهما حيث افتقرا إلى من هو أفقر خلق الله إليهما وقل رب ارحمهما
وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية والكفر لا يمنع عن ذلك
ما داما حيين لأن الهداية إلى الإيمان من جملة الرحمة بل معظمها وصحة التشبيه في قوله كما ربياني
صغيرًا باعتبار أن التربية صغيرًا لا تكون إلا عن رحمة فذكر تلك التربية ذكر الرحمة اقتضاء فكأنه
قال كما رحماني وربياني صغيرًا وبالعبارة المذكورة تنبيه على العلة الموجبة للإحسان إليهما و
استرحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له صغيرًا وتلك الحالة مما يزيده إشفاقًا لهما ورحمة إذ
هي تذكره بحالة إحسانهما له وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه ربكم أعلم بما في نفوسكم
من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة
واستثقالًا إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فإنه كان للأوابين الأواب الراجع
عن ذنبه بالتوبة غفورًا لما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز أن يكون عامًا لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته
اندراجًا أوليًا لوروده على إثر وآت ذا القربى حقه لما أمر ببر الوالدين أمر بصلة القرابة
والحق هنا ما يتعلق به من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة والمسكين وابن السبيل
قد مر تفسيرهما ولا تبذر تبذيرًا أصل التبذير التفريق من إلقاء البذر في الأرض وهو تفريق
حباته والفرق بينه وبين الإسراف أن الإسراف تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق
والتبذير تجاوز عن موضع الحق وهو جهل بمواقعها وكلاهما مذمومان والإكثار داخل في الذم دون نقص
عن التفاوت بينهما قوله إن الله لا يحب المسرفين وقوله إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
أتباعهم الملازمين لهم فإن العرب تسمي الملازم للشيء أخاه فيقول أخو المكارم إذا كان مواظبًا
عليها وكان الشيطان لربه كفورًا كثير الكفران لنعم جوده الحقوق ومن قول كان فيه إخبار العادة
ومذهبه في التقويم وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي إن عرضت لك حالة
أحوجتك إلى الإعراض عن هؤلاء المحتاجين بيد انتظار الرزق ترجوه من الله تعالى فقل لهم
قولًا ميسورًا فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل والميسور من يسر الأمر مثل سعد ونحس كان النبي عليه السلام
إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطيه سكت انتظار الرزق يأتي من الله تعالى كراهية الرد فنزلت
هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال رزقنا الله وإياكم من فضله

وذلك قولا فقل لهم قولا ميسورا اي لا تسكت فيكون ذلك ايحاشا لهم ولا تؤيسهم فيكون ايلاما لهم
ولا يجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة بالجواب لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها في غير باب اما وما يجري
لها في المذهب المنصور الا اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن متضمنه ويجعل المذكور جاريا مجرى
التفسير ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف
المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد الذي هو بين التبذير والامساك البليغ واما الكرم فلا اختصاص
له ببذل السؤال بل يعم سائر الاحوال فتقعد فتصير عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح وهذا
اثر المنهي اولا محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف بسبب التبذير وهذا اثر المنهي ثانيا والاولى
ان يكون كلاهما مترتبا على الكل واما الاول فقد اكتفى فيه بما فهم من تمثيله على ابلغ وجه في المقصود
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه لمن يشاء لا لعجز ولا لبخل انه كان
بعباده خبيرا عالما بخفيات امورهم بصيرا بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لآخرين على مقتضى
علمه وحكمته ويجوز ان يكون المعنى ان البسط والقبض ليس الا للعالم بالسرائر والظواهر واما العباد
فحقهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا ولا تبسطوا
وعلى كلا التقديرين يكون جاريا مجرى الاستيناف للتعليل ويجوز ان يكون تمهيدا لقوله
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة فقر وكان هذا نهيا عن وأد البنات وكانوا يفعلونه نحن
نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم بسبب الرزق وزيادة قوله واياكم لبيان ان رزق الآباء ايضا
على الله تعالى فكيف يتولى رزق الغير من يعجز عن رزق نفسه ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع قراءة الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمز والقصر
وقراءة ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء والهمز والقصر وقراءة ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء
والهمز والمد وقال النحاس لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا وقال
ابو علي هي مصدر خاطأ يخاطئ وان كنا لا نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ
فدلنا عليه والخطء والخطأ مصدر خطئ يخطأ كالحذر والحذر ويقال خطئ اذا اثم واخطأ ضد تعمد
والخطء بالكسر لا يكون الا تعمدا والخطأ بالفتح قد يكون عمدا وقد يكون خطأ ولا تقربوا الزنا بمباشرة
مقدماته وهذا نهي عنه بابلغ وجه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متناهية فيه وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه لانه غصب على الابضاع لا انه غير لازم له بل لانه يؤدي الى النار ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا بحق
يوجب قتلها كالرجم او يبيح لها القصاص قتل الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ونظيره ذكرناه في تفسير سورة الانعام ومن قتل

مظلوما غير موجب للقتل ولا مبيح له سواء كان عمدا او خطأ فان الظلم غير مشروط بالعمد شهد بذلك
انهم شرطوا الاول في الشهيد دون الثاني فقد جعلنا لوليه لمن له حق الطلب بدمه شرعا سلطانا تسلطا
بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه فلا يسرف في القتل نهي عما كانت في الجاهلية تفعله من قتل
الجماعة بالواحد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتاء الخطاب جزما والخطاب للولي وقرأ الباقون
بياء المغايبة جزما والضمير يرجع الى الولي ورجوعه الى القاتل وتوجيه الخطاب اليه باره
عبارة الاسراف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي على الاستيناف
والضمير للولي لتناسق الضمائر ونصره بتسليط الله تعالى اياه على القاتل وامر الولاة بمعاونته
ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل وتجاوز عن حد المشروع ينقلب عليه الامر ويدخل
تحت القاتل ظلما ولا تقربوا مال اليتيم قدم الكلام في نظيره والنفس ميالة الى المال والمباشرة
دون القتل ولهذا اخص النهي عن القربان بالاولين الا بالتي الا بالطريقة التي هي احسن الطرائق
حتى يبلغ اشده قدم في سورة الانعام واوفوا بالعهد بما عقده الانسان بينه وبين ربه وما
عقده بينه وبين آدمي في غير معصية ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف الجار و
اوصل مسئولا الى الضمير كما في قوله ويفعلون ما يؤمرون اي به وقيل ان العهد يسأل تبكيتا
لناقضه فيقال لم نقضت كما تسأل الرحم عن وصلها وقطعها قيل ويجوز ان يراد صاحب
العهد كان مسئولا وعلى هذا لا يظهر وجه العدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وقيل اي مطلوبا
يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به وفيه تعسف لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ
يكون المسئول عدم تضييعه لا نفسه واما الثاني فظاهر لانه لا يزيد على معنى اوفوا بالعهد
وقد ذكر في مقام التعليل له على الاستيناف واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وفائدة قوله
اذا كلتم اي وقت كيلكم تضمين النهي عن الكيل بنقصان ما تم تكيله بعد زمان وزنوا بالقسطاس
المستقيم القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي عرب والاجراء
على قانون لغة العرب ليس بشرط في التعريب على ما حققناه في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم
السوي ذلك خير في الدنيا لانه امانة توجب المحمدة والرغبة في معاملته واحسن تأويلا عاقبة
اذ لا يبقى عليه تبعة في الآخرة تفعيل من آل اذا رجع ففيه نفع الدارين ولا تقف ما ليس لك به
علم لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهي ان يقول ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل التقليد
على العمياء يقال قفوته وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافة لتتبعهم الآثار وقافية كل شيء
آخره ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الثلاثة المذكورة ولا اختصاص له بالعقلاء
قال الزجاج ووافقه الطبري ان العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد قول

قد كان في عم الولي لمن له حق الطلب بدمه شرعا
وارادة التحكيم للسلطان ... ولي الولي له
وارادة التوقف للصادر حيث فسر
بالوارث فكيف يصح هذا الكلام
منه

الشاعر والعيش بعد اولئك الايام وان نظر الي غلبة استعماله في العقلاء فنقول لما كانت تلك الاعضاء
مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلاء كان عنه مسؤولا عنه في موضع
نصب والضمير عائد على معنى اولئك اي عن كل واحد مما تقدم ومسؤولا فيه ضمير يعود على كل من
حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله ويجوز ان يكون مسؤولا مسندا الي عنه كقوله
غير المغضوب عليهم والمجرور بالحرف لا يلتبس بالمبتدأ ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه
كان كذلك ولا دلالة في الآية على ان العبد مؤاخذ بالعزيمة اذ يجوز ان يكون ما سئل عنه الفؤاد الظنون
والعقائد ولا تمش في الارض اي المشي الذي يكون في الارض فالتقييد به لقطع المجازفة شايع فيه كما في
الوثاب مرحا نصب على الحال اي ذات مرح ولا بد من التقدير لان المبالغة فيه وقرئ مرحا بالكسر
والمرح هو الخيلاء والكبر وقد دل قوله تع ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور
على ان المرح هو مشي المختال الفخور انك لن تخرق الارض بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال
طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه قرئ بالرفع والاضافة اي السيئ منه
لانه سبق ذكر المأمور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه وقرئ منونا غير مضاف على انها خبر
كان والاسم ضمير كل والاشارة الي المنهيات من الخصال المذكورة عند ربك مكروها بدل من سيئة
او صفة لها ولا حاجة الي الحمل على المعنى لانها في حكم الصفات ولا اعتبار بتأنيثه ويجوز ان
يكون حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض
المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد ذلك اشارة الي الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة
اي من الاشياء الموضوعة في مواضعها متعلق باوحى او بدل من ما او حال من الضمير المنصوب
المحذوف العائد عليها ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر
ومنتهاه ورتب عليه اولا ما هو عائدته في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في
جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مطرودا مبعدا على سبيل الاهانة له والاستحقاق به افاصفاكم
ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله تع والهمزة للانكار اخصكم ربكم على
وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملائكة
اناثا بنات لنفسه هذا خلاف المعقول والمعروف والتعبير عن البنات بالاناث لاظهار وجهه حسنا
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل
انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق ادونهم
ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فيه كذا الضمير لانه معلوم في هذا القرآن
في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات الي الله تع لانه

٤

مما ضيه وكرر ذكره بتقرير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا (وكذلك بالتخفيف)
ليذكروا وقرئ ليذكروا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الي ما يحتج به عليهم وما يزيدهم
التصريف المؤكد الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها
المشركون والكاف في موضع نصب اي مثلا وقرئ بالياء على ان الكلام مع الرسول عليه السلام
اذا لابتغوا اي لطلبوا متوصلين الي ذي العرش الى صاحبه وافنا ملكه اخبر الي ذلك بالتعبير عنه
تع بذي العرش سبيلا لانهم شركاؤه على المفروض المذكور كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا
على وفق قوله ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون
عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزه عما هو
من عوارض الامكان ولواحق الحدوث بدلالته على الصانع القديم الواجب لذاته قطعا لسلسلة
الحاجة ولكن لا تفقهون ايها القاصرون عن النظر الصحيح تسبيحهم في قوله يفقهون
دلالة على ان تسبيحهم من جنس ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما يدرك بآلة السمع فتعين
حمله على معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك بينها وبين اللفظ انه كان حليما
حيث لم يعاجلكم بالعقوبة والشرك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يستركم عنهم عن اسماء بنت ابي بكر
قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب وفي يدها فهر
والنبي عم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رض فلما رآها ابو بكر رض قال يا رسول الله لقد
اقبلت واخاف ان تراك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا
فوقفت على ابي بكر رض ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وهم انه حجاب الفهم
كانه فهم انه بينهم وبين القرآن لا بينهم وبينه عليه وسلم مستورا عن اعين الناس
اي ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وانما لم يقل
وجعلنا في قلوبهم اكنة مع انه ابلغ في تصوير المعنى المقصود للاشعار بانه امر
عارضي كسبي لا ذاتي خلقي فان كل مولود يولد على الفطرة السليمة ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه والضمير لما يدعون اليه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلناه
على قلوبهم اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا لم يقل ان يسمعوه اكتفاء
بما فهم بقرينة وهذه حكاية لما كانوا يقولون على ما دل عليه قوله فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا

وبينك حجابا ستورا فهم لا يسمعون فصرح في ذات عدم سماعهم بسبب اعراضهم لا المانع في اذانهم

فقوله وفي اذاننا وقرا اظهار كراهة منهم لا اخبار عن عارضتهم ومن غفل عن هذا قال

ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك

اللفظ ولم يدران الاول موقوف على الثاني فالجعل الثاني على تقدير كونه حقيقة كاف في الامرين

وايضا يبنى ما ذكره على ان يكون الضمير في يفقهوه للقرآن ويأباه قوله **واذا ذكرت ربك**

في القرآن اذ لا وجه للعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وايضا ما في الاية الاخرى قوله

مما تدعونا اليه يدل ان يفقهوه ظاهر في خلافه **وحده** واحدا غير مشفوع به الهتهم قال

سيبويه وحده اسم موضوع موضع المصدر وهو ايجاد الموضوع موضع الحال وهو موحدا

ولوا على ادبارهم نفورا نافرين من استماع التوحيد على ان النفور جمع نافر كشهود

في جمع شاهد ويجوز ان يكون مصدرا على غير الصدر اذ كان قوله ولوا على ادبارهم بمعنى نفروا

وهذا دليل على انهم قادرون على الاستماع لا وقر في اذانهم حقيقة **نحن اعلم بما يستمعون**

به بسببه الداعي الى الاستماع من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو اذ يستمعون اليك ظرف

لاعلم وكذا **واذ هم نجوى** يتناجون بالطعن في القرآن اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع

في حالتي الاصغاء والاعراض بالتناجي ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي **اذ يقول الظالمون**

ان تتبعون الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير

للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور من سحر فاختل به عقله **انظر كيف ضربوا لك**

الامثال في امر الحشر والبعث جلالة قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي

العظام وهي رميم وانما قال بهذا الامثال لانهم ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة وقيل

مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ويرده انهم ما مثلوه بما ذكر بل قالوا انه

ساحر واخرى انه شاعر الى غير ذلك وايضا لو كان المعنى ما ذكر لقيل لا لك لانه يوهم يكون من

ضرب هذه الامثال فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا ءاذا كنا عظاما

بيان لما ضربوه ولولا الفصل بينه وبين المبين بالجمل التي بعده لكان حقه التصدير بالفاء

التفصيلية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون تقديره انبعث اذا كنا عظاما والاستفهام

للانكار **ورفاتا** صدر بالواو العاطفة اخر اجاله مخرج الاستقلال في كونه منشأ للاستبعاد

والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء مكسر ولما فيه من زيادة معنى التفتت اوثر على الحطام

ولم يلتفت الى ما فيه من صنعة الجناس **ائنا لمبعوثون خلقا جديدا** على الانكار والاستبعاد

لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة وخلقا مصدر او حال **قل**

جوابا لهم **كونوا حجارة او حديدا** رد قولهم كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما

فانه يقدر على احيائكم او ترجيح الحجارة صيغة الجمع رعاية للمناسبة بكونوا والعدول في الحديد الى

صيغة الافراد لما في سوره صيغة الجناس مع **او خلقا مما يكبر في صدوركم** اي مما يكبر عندكم عن قبول

الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا يعجز عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض

فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما

لم يعهد فيه وانما قال في صدوركم لان اثر الاستعظام البليغ يظهر فيها فان القلب يضطرب عند

ذلك لما يعتبر به من الخشية **فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة** وكنتم ترابا وما

هو ابعد منه من الحيوة **فسينغضون اليك رؤسهم** يقال انغض رأسه اي حركه كالمتعجب

من الشيء وكل حركة في ارتجاف نغض والعدول من التعدية الى الى لتضمنه التوجه والالتفات

ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا انتصابه على الخبر او الظرف وان يكون اسم عسى

او خبره والاسم مضمر اجابهم بقرب وقوعه لا لان كل ات قريب بل لانه مضى اكثر الزمان

وبقي اقله ولم يجبهم بتعيين وقته لان ذلك مما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يوردوا تلك

الاسولة استرشادا بل عنادا واستهزاء وقد اخرجت اجوبتهم بطريق الجد والتحقيق

وعدم المبالاة باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر بحسن المجادلة الاتي ذكره **يوم يدعوكم**

بدل من قريبا والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق فان من انكم تدعون يوم

القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم **فتستجيبون** الاستجابة موافقة الداعي

فيما دعا اليه بالفعل لا جل دعائه **بحمده** حال منهم اي حامدين لله تعالى على الاحياء او على كمال

قدرته عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم

وبحمدك **وتظنون ان لبثتم الا قليلا** تظنون معلقة عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب

وقلما ذكر النحويون في ادوات التعليق ان النافية وانتصاب قليلا على انه نعت لزمان

محذوف اي الا زمانا قليلا كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر

محذوف اي لبثا قليلا **وقل لعبادي** يعني المؤمنين **يقولوا التي هي احسن** الكلمة التي هي احسن

ولا يخاشنوا المشركين **ان الشيطان ينزغ بينهم** يلقي بينهم الفساد بالوسوسة ويغري

بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشاقة وقد مر في اخر الاعراف تحقيق معنى النزغ

ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة امروا بحسن المجادلة ونهوا عما

قد يكون من الشيطان اغراء واغواء وذكروا بعداوته العدية لهم **ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم**

بالتوفيق للاسلام **او ان يشأ يعذبكم** بالاماتة على الكفر وكلمة او للدلالة على الانفصال الحقيقي بين المشيئتين

والجملة تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر قيل مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وقيل ان الظاهر عموم النهي للتصريح بما ذكر ولو كان ما ذكر لا يمنع ان علمهم على اهل النار وهذه الضميمة لا تصلح علة له وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما قال عليهم دون اليهم افادة لمعنى القسر والالجاء وربك اعلم بمن في السموات والارض فيختار منهم لنبوته وولايته من يليق بها وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالرسالة وبكونه صاحب شريعة وبكونه اولي العزم وبكونه خاتم الانبياء عم وآتينا داود زبورا يعني ان داود عم وان لم يكن اولي العزم ولا صاحب شريعة لكنه من جملة المفضلين بالرسالة حيث اوتي كتابا وقدمنا ما يتعلق بالزبور من الكلام في اواخر سورة النساء قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة وعزير والمسيح عليهم السلام فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون اي يدعونهم آلهة يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسير هذه الآية اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها عذابا شديدا اي معذبوا اهلها على ان المجاز في الاسناد دون المسند والا فعل او معذبوهم بالقتل وانواع البلية وكان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات المقترحة استعير المنع للترك للمبالغة ولا يجوز استعارة للصرف لانه ايضا ممتنع في حقه تعالى والباء للتعدية فان ارسل يتعدى بنفسه وبالباء قال كثير لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول الا ان كذب بها الاولون الا لتكذيب امثالهم في الطبع من الامم السالفة كعاد وثمود يعني انها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا الاستئصال على مقتضى سنتنا وهو خلاف مقتضى الحكمة لا لان فيهم من يؤمن لانه غير مانع عن استئصال المعاندين خاصة كما وقع في قوم نوح عم بل لان فيهم من يلد من يؤمن ثم ذكر بعض من كذب بالآيات المقترحة فاستؤصل بقوله

ن القاضي
ن القاضي
ن القاضي
ن صاحب الكشاف والقاضي
ن آخر
البيت مذكور في الصحاح
ن للقاضي

وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة نصب على الحال وهي قراءة الجمهور وقرئ بالرفع على اضمار مبتدأ اي هي مبصرة اضيف الابصار اليها مجازا لما كانت يبصر بها الكال وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول فظلموا بها اي جحدوها وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش اي اهلكهم يعني في وقعة بدر والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين الا انها لما كانت بالليل سميت رؤيا كما يقال بات يفعل كذا اذا فعل ليلا فسمي ما يفعله بيتوتة وان لم يكن نوما فلا متمسك فيه لمن زعم انها كانت في المنام بل نقول ان تمسكه يكون حجة عليه لانه لان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت تلك الرؤيا فتنة على ما نطق به قوله الا فتنة للناس وهي ارتداد قوم من المسلمين حين اخبرهم النبي عم انه اسري به والشجرة الملعونة عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم واللعن لطاعميها وانما وصفت هي به مجازا للمبالغة او قيل ذلك لانها في ابعد مكان من الرحمة وهو اصل الجحيم او لانها مكروهة ويا بما قوله في القرآن قال ابو جهل ومن تبعه هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفاء ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تأكله النار واحشاء النعامة وذي الحمة قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا عتوا كبيرا متجاوزا عن الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قد مر تفسيره قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على نزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الموصول اي اسجد له واصله طين ورد عليه انه يضيع قوله خلقته او من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين انكار وتعليل على ما صرح به في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب على ما مر تحقيقه في سورة الانعام وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته لاقودنهم جنت من قولهم حنكت الدابة اذا جعلت في

نسخة

في الرسن وكذلك احتنكنه الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم وهو الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان قال الحسن ظن ذلك لانه وسوس آدم عليه السلام فلم يجد له عزما قال
اذهب لشانك الذي اخترته امر اهانة وعقبه بذكر ما جرى سوء فعله من جزائه وجزاء
اتباعه فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على
الغائب جزاء نصب على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة
لقوله موفورا مكملا لا نقصان فيه من فور الاستحقاق من وفرته وفرا واستفزز و
استخف اصل الفز القطع يقال فززت الثوب اذا قطعته بشدة تخريق والمعنى استزله
بقطعك اياه عن الحق من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد
واجلب عليهم الاجلاب السوق بجلبة من السائق وهو الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والرجل اسم جمع لراجل كركب وصحب جمع راكب وصاحب
وقرئ بكسر الجيم وهي لغة فيه كحدس وحدس وشاركهم في الاموال بحملهم على جمعها من غير
وجهها وانفاقها في غير حقها والاولاد بالحث على تحصيلها بالوجه المحرم والاشراك فيهم
بتسميتهم بعبد العزى ونحوه والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور ما اغتر به ان عبادي يعني المخلصين والاضافة
للتشريف ليس لك عليهم سلطان على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون
به في الاستعاذة منك ربكم الذي يزجي اي الذي يزجي والازجاء السوق لكم الفلك
في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه انه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما تعسر من اسبابه
واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم من تدعونه في
حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه وقيل ضل
كل من تعبدونه من اعانتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى لا اختصاص له بوقت الخوف
فلما نجاكم خلصكم من هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص في العبادة وكان
الانسان كفورا كالتعليل للاعراض ولم يخاطبهم بذلك بل اسنده الى الجنس لطفا بهم افامنتم
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
ان يخسف بكم جانب البر الخسف ان تنهار الارض بالشيء وتعديته بنفسه وبكم حال
اي مصحوبا بكم قال الجوهري خسف الله به الارض اي غاب به فيها وجانب البر ناحية الارض
وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء

ربما متنا بغا ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك وفي عبارة ثم اشارة الى انه تعالى يحفظهم مدة ولا يعوه والبه
بعد الكفران والعود الى الشرك ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر لم يقل اليه اذ لا يلزم من العود الى الشيء
التلبس به تارة اخرى بخلق الدواعي الى ذلك فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته
اي كسرته بشدة فيغرقكم وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم نعمة
الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به بسبب ما فعلنا بكم تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار قال الفراء
التبيع الطالب الثائر ولقد كرمنا بني آدم تكريما شاملا لما فيهم بحيث لا يخص بعضا دون
آخر ولهذا اتى بصيغة الجمع والمراد الكرامة البدنية ولهذا عبر عنهم بوصف البنوة وعبارة
وان لم يتناول آدم لكن دلالته متناولة له وذلك ان ترتيب التكريم على وصف البنوة
المضافة اليه لا يخلو عن دلالة على انه منشأ التكريم ومبدأوه فلا حاجة الى تاويل بني آدم
بنوع الانسان بل لا وجه له اذ فيه تفويت الدلالة على التكريم المشترك ولما ابهم في جهة التكريم
للتعظيم واتى بالتعميم في جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص في التكثير دون اسم الجنس
المحتمل للتقليل والكثير تضمن اول الكلام واخره المبالغة فكان احرى ان يصدر طرف الكلام
بحرف التاكيد مرة بعد اخرى وقيل ومن جملة كرامته ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وفيه نظر لان القردة مع انها من الحيوانات الخبيثة تشاركه فيما
ذكر فلا يصلح كرامة ولا ان يعد خاصية له وحملناهم في البر والبحر اي حفظناهم فيهما فان
الحمل يتضمن الحفظ عادة حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء او حملناهم على الدواب
والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه ورزقناهم من الطيبات من ضروب المستلذات وفنون
النعم ما لم نجعله لشيء من سائر الحيوانات لما فرغ عن تفصيل بعض وجوه تكريمهم البدني
شرع في الاخبار عن تكريمهم النفساني واجمل فيه اشعارا بقصور العبارة عن تفصيله
وفضلناهم تفضيلا منشؤه كذلك على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة في
بالتاكيد ههنا اهتماما لكونه معنويا بخلاف تلك الاحوال الثلاثة ولان الاحكام المذكورة من
شواهد هذا الحكم فكانت شهادة انها اكدت بعضها ببعض فظهر اثر تلك الشهادات في الرعو
ولما كان سياق الكلام في النعم المشتركة بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما
نبهت عليه الفاظه وجه تخصيص الحكم المذكور بالكثير فان كل فرد من افراد الانسان غير مفضل
على جميع ما عداها وذلك ظاهر ولا دلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس الملائكة لان في
تفضيل جنس على جنس آخر لا حاجة الى تفضيل جميع افراد الاول على جميع افراد الآخر بل يكفي
تفضيل فرد من الاول على جميع افراد الآخر يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون

وقيل بعد على الاعزآء اى احذروا يوم ندعو وقرئ يدعو ويُدعى ويُدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في اسروا النجوى الذين ظلموا اوضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يُدعى **كل اناس** كل جماعة من الانس الاناس اصل الناس وهو اسم جمع **بامامهم** بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم فانه يرجع اليه في توقف الاعمال ويرده ان المدعو الى كتاب الاعمال كل واحد من الانس لا كل جماعة منه لعدم الاشتراك بين الاثنين في كتاب واحد وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف جمع خف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسنين وان لا يفتضح اولاد الزنا ويرده ايضا ما اشرنا اليه آنفا من ان كل ام ليست مما يشترك فيها جماعة من الانس ثم ان ثالث ما ذكر من وجوه الحكمة مردود بما ذكر في الصحيحين من الحديث الدال على ان الناس يدعون في الاخرة باسمآء
نهم
واسمآء آبائهم **فمن أوتي** من المدعوين **كتابه بيمينه** اي كتاب عمله **فاولئك** اورده جمعا على معنى من وقد حمل على لفظه اولا فافرد في قوله كتابه بيمينه **يقرؤن كتابهم** لكمال صحوهم ووفور عقلهم والذين يؤتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وترددهم لا يقرؤن كتابهم واشير اليه في قوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه حيث لم يذكر القرآءة فيه وفي قوله يا ليتني دلالة ظاهرة على انه لا يحبس السنتهم عن التكلم وتعليق القرآءة على اتيان الكتاب باليمين لا يخلو عن الدلالة على ما اشير اليه بعدم القرآءة في مقابله **ولا يظلمون فتيلا** اي لا ينقصون مما يستحقون من الجزآء ادنى شيء وقد مر شرح الفتيل في سورة النسآء
تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في آيات الله وعبره فهو في الآخرة اعمى ولما نزل هذه الآية جاء عبد الله بن ام مكتوم الى رسول الله عليه السلام وقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فلا دلالة فيما ذكر على ان من اوتي كتابه بشماله لا يقدر على القرآءة لعدم بصره وقد مر في تفسير قوله تعالى اقرأ كتابك ما يقطع عرق الشبهة وقد جوز ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ويعضد ذلك ظاهرا عطف عليه من قوله واضل سبيلا ومن ثمة قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة لانه مقوض بالامالة في قوله تعالى بالذي هو ادنى بل لانه اراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما واجتمعا في آية واحدة وانما امال الاول دون الثاني لما ذكر فانه

يصلح للرجحان وان لم يصلح للعلية **واضل سبيلا** منه لبطلان الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة **وان كادوا ليفتنونك** ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم اي يخدعوك فاتنين بالاستنزال **عن الذي اوحينا اليك** من الاحكام **لتفتري علينا غيره** غير ما اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة وان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله تعالى امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك **واذا** اي لو اتبعت مرادهم **لاتخذوك خليلا** وخليلهم بريء من خلة الله تعالى **ولولا ان ثبتناك** ولولا تثبيتنا اياك **لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا** جواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الشيء القليل من الركون وهو الميل اليسير لم يقع منه عليه السلام فضلا عن وقوع ذلك الشيء القليل من الميل اليسير وهذا غاية المبالغة في تنزيهه عن الميل الى ما هو همهم والكون في صدده ففيه دلالة ظاهرة على ان قوله تعالى ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله **اذا** اي لو قاربت **لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات** الضعف بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لهم لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليل الميل مرة بعد اخرى مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان من كانت درجته ارفع وكانت نعم الله تعالى عليه اسبغ كان وعيد الله تعالى في حقه ابلغ **ثم لا تجد لك علينا نصيرا** يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا **وان كادوا** الضمير لاهل مكة **ليستفزونك** فيزعجونك بمعاداتهم **من الارض** اي من ارض مكة **ليخرجوك منها** متعلق بكادوا **واذا** اي لو اخرجوه منها **لا يلبثون خلافك** وقرئ خلافك وهو لغة فيه اي لم يمهلوا **الا قليلا** قدر ما ينزل بهم العذاب وما اخرجوه منها بل خرج بنفسه امتثالا لامر الله تعالى بعد ان اعجزوه لكن التعليق على الاخراج لا على الازعاج وقيل الضمير لليهود والمدينة والارض ارضها وذلك انهم ارادوا المكر برسول الله عليه السلام وقالوا لكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله تعالى سيحميك كما حمى ساير الانبياء عليهم السلام فوقع ذلك في

قلبه لما لحق من اسلامهم فرحل من المدينة مرحلة فانزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذا ايضا لم يوجد
كما هو الظاهر من قوله واذا لا يلبثوا خلفك الا قليلا وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف
على قوله ان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصبت على المصدر اي سن الله تعالى ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة للرسل والاضافة الى المرسل لادنى
ملابسة دل على ذلك قوله ولا تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس
لزوالها وقيل لغروبها واصله الميل وهو ينتظم المعنيين قال ابن عطية الدلوك هو الميل
في اللغة فاول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب وقال الماوردي من جعل الدلوك
اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه براحته لتبينها حالة المغيب ومن جعله اسما
لزوالها فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها عند ذلك واللام للسبب لانها
انما تجب بزوال الشمس الى غسق الليل هو اجتماع الليل وظلمته وهو وقت صلوة العشاء
الآخرة وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبداء
الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب واستدل به على امتداد الوقت الى غروب
الشفق وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا
لذلك ولكن لا دلالة فيه على ذلك كما لا دلالة في تسميتها قنوتا على ان القنوت ركنها وكذا لا
دلالة فيه على وجوب القراءة فيها لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة في الصلوة نعم لو
كان المجاز في الفجر بان يكون المراد منه الصلوة في ذلك الوقت لدل الامر باقامتها على الوجوب
فيها عبارة وفي غيرها دلالة وانتصب قرآن عطفا على الصلوة قاله الفراء او على الاغراء
اي فعليك بقراءة الفجر قاله الزجاج وعزاه الى البصريين ان قرآن الفجر كان مشهودا
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار رواه الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
هذا حديث حسن صحيح والآية جامعة للصلوة الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات
الليل فقط ان فسر بالغروب ومن الليل فتهجد من للتبعيض والفاء ناسقة على
مضمر اي قم فتهجد به اي بالقرآن والتهجد التيقظ من النوم لا ترك النوم مطلقا قال الحجاج
بن عمرو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ايحسب احدكم اذا قام كله انه قد تهجد ان التهجد الصلوة بعد رقدة
ثم الصلوة بعد رقدة كذلك كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الهجود يقال تهجد اذا القى الهجود
وهو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى يحوب ويحرج ويحنث ويحس اذا القى ذلك عن
نفسه نافلة لك زائدة على تلك الفرائض المذكورة في الآية السابقة والرابع حقه ان يكون

من جنس المزيد

من جنس المزيد عليه فالتهجد من الفرائض وانما قال لك لانه ليس بفرض في حق امته صلى الله عليه وسلم وقد روي عنه
ثلث علي فريضة ولامتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك ومن زعم انه تطوع في حقه ايضا فسر
النافلة بالزيادة اي زيادة لك في الدرجات وذلك لانه صلى الله عليه وسلم مغفور له فهو اذا تطوع بما ليس
بواجب عليه كان ذلك زيادة في درجاته وغيره من الامة تطوعهم كفارات لذنوبهم وتدارك
الخلل يقع في الفرائض عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما نصب على الظرف العامل
او تضمينه اذ لا يصلح للعمل في مثل هذا الظرف الا فعل فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا اي
ذا مقام محمود وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي وقال هذا حديث حسن فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان
للامور الجليلة ومعنى كونه محمودا انه تعالى يحمده صلى الله عليه وسلم فيه فيشفع فيحمده الخلق وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المدخل والمخرج بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج والصدق
بمعنى المرضي يقال رجل صدق اي مرضي الخلق وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول و
الخروج على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا وقيل المراد ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله
المدينة واخراجه من مكة وفيه ان المناسب تقديم الاخراج على الادخال وقيل ادخلني فيما
امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه والظاهر انه عام في جميع موارده صلى الله عليه وسلم ومصادره دنياويه
واخراويه وقيل المراد الادخال في القبر والاخراج منه ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا واجعل لي من لدنك من عندك سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على المخالف او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم
الغالبون والنصر التمكين من الانتصار من العدو وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل
اي ذهب الكفر يقال زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اي لم يزل مضمحلا
وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله تعالى من الاوثان قدم
على المبهم اهتماما اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يستصلحون به دينهم
ويحفظون به دنياهم فوقع منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم
يستشف بالقرآن فلا شفاه الله او للتبعيض وليس معناه انه منقسم الى ما هو شفاء
والى ما ليس بشفاء بل المعنى انه ينزل شيئا فشيئا فالنازل في كل وقت بعض ما هو شفاء
كله ورحمة للمؤمنين بتفريج الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل
به تعالى من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم

قال قتادة ما جالس احد القرآن الا قام بزيادة او نقصان وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة
أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ونأى بجانبه تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن
يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ويجوز أن يكون كناية عن
الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين وقرئ ناء على القلب أو على أنه بمعنى نهض وإذا مسه
الشر من مرض أو فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله تع قل كل يعمل على شاكلته على
طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة يقال طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه
ويشهد لذلك فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أسد مذهبا وأبين طريقة ويسألونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من أمر ربي من الابداعيات
الكائنة بأمر كن من غير مادة ومدة وتولد من أصل كأعضاء جسده وفيه اشارة الى
ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض يميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على
هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا القدر
من البيان لا ينافي الابهام المذكور فيما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح لان السؤال
كان عن حقيقته وهي باقية على ابهامها وقيل الروح جبريل عم وقيل خلق اعظم من الملك
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العلوم النظرية
من الضروريات المستفادة من المحسوسات غالبا ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما والاكثر
الاشياء لا يدركه الحس ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك لنذهبن جواب
قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا اي لا تجد بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
ولكن رحمة من ربك لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك وقيل الآن يرحمك ربك
فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد وهذا امتنان من الله تع ببقاء القرآن
محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله إن فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد
ولد آدم واعطاك المقام المحمود وانزل عليك هذا الكتاب وابقاه محفوظا قل لئن
اجتمعت الإنس والجن لم يذكر الملك معهما لانه قادر على الاتيان بمثله لانه من ورد
تنزيله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أيلا لان النقل المذكور

مما لا يليق بشأنه ولا يجوز ان ينسب اليه لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن في كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة تأليفه لا يأتون بمثله جواب قسم محذوف
دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا والعدول عن
الضمير الى الاسم الظاهر لتفخيم شأن ما عجز عنه الثقلان ولما كان الاجتماع على امر قد يكون بدون
التظاهر فيما بينهم كاجتماع المجتهدين على حكم شرعي قال ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على ما تمنعوا عليه من المعارضة باتيان مثله ولا يصلح هذا ان يكون تقريرا لقوله ثم لا تجد لك
علينا وكيلا لان القدرة على الاتيان بمثله اصعب من القدرة على استرداد عينه ونفي
الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا ما فوقه ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن مر تفسيره في مطلع
السورة من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسن موقعه فأبى أكثر الناس اي تأول
بالنوابي فلم يرضوا إلا كفورا الا جحودا وقالوا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان
اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتخفيف والتشديد لنا
من الأرض ارض مكة ينبوعا عينا ينبع ماؤه اي يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا
زخر أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار هذا بالتشديد بالاجماع لكان الانهار
خلالها وسطها تفجيرا اي يكون لك بستان يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا يعنون قول الله تع او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقرئ كسفا
بالسكون وهو فعل بمعنى المفعول كالطحن او مخفف من المفتوح كسدر وسدر أو تأتي بالله
والملائكة قبيلا والقبيل بهذا المعنى المناسب للمقام الخالي عن التعسف مذكور في الصحاح
أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة أو ترقى في السماء
في معارجها يقال رقي في السلم اذا صعد اليها ولن نؤمن لرقيك ولن نصدق لرقيك فاللام
للصلة يقال آمن له اذا ادعى له على ما مر في سورة يوسف حتى تنزل علينا كتابا من السماء
فيه تصديقك نقرؤه فلا نحتاج الى تعلمك اياه وهذا القيد لعدم اعتمادهم النبي عم في تبليغ القرآن
قل وقرئ قال اي قال رسول الله عم سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه او تنزيها
لله تع من ان يأتي او يتحكم عليه هل كنت إلا بشرا رسولا الا فوقهم هذا وكان المانع ايضا
بموجب ما قالوا من ان الله تع اهل من ان يكون رسوله من جنس البشر الآية عبر عنه بالقول
تنزيلا له واخراجا عن حيز الاعتقاد قل في جوابهم لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين يتصرفون فيها بالمشي قاطنين فيها وليس لهم قدرة الصعود الى السماء فيسمعوا
من اهلها ويعلمون ما يجب علم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ليكون من جنسهم

فيفهمون كلامه ويسكنون اليه فاما انتم فبشر فبعثني اليكم بشرًا مثلكم ليكون قلوبكم اليه اسكن وانتم
لكلامه افهم فان يقتضي الحكمة ان يكون الرسول من جنس المرسل اليه وملكا حال من رسولا ويحتمل
ان يكون موصوفا به وكذا الحال في بشرا قل جوابا لهم حين قالوا من يشهد لك بانك رسول الله
كفي بالله شهيدًا بيني وبينكم نصب شهيدا على التمييز اي حسبي الله تعالى من الشهداء او على الحال
اي كفي بالله تعالى في حال شهادته والعدول عن بيننا الي ما فيه التكرير للتاكيد انه كان بعباده خبيرًا
بحال اسرارهم بصيرًا مطلعا على ما بظهر من افعالهم واقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اي
بهمنا بضمير الجمع تنبيهًا على ان نسبة الضالين الي المهتدين نسبة الجماعة الي الواحد ولذلك
قال اولياء مع ان نفي الولي الواحد ابلغ من دونه يهدونهم ويحشرهم يوم القيمة على
وجوههم مسحوبين عليها او ماشين عليها روي في الصحيحين انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميًا وبكمًا وصمًا انهم يحشرون على هذه الصفة ثم يخلق لهم ذلك قبل دخولهم في النار فابصروا
لقوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا
وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرًا وقيل لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ويرده ان قوله تعالى اليوم نختم على افواههم صريح
في نفي القدرة على مطلق التكلم عنهم وان قوله وتكلمنا ايديهم دل على ان ذلك في الموقف
قبل الانصراف عنه الي النار وبهذا اندفع احتمال ان يكون ذلك بعد الدخول فيها او
عند المشارفة عليها ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها الجنو سكون النار عن الالتهاب
وما قيل بان تكلت جلودهم ولحومهم برده قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
لانه صريح في النار ولا يتجاوز في تعذيبهم عن حد الانضاج الي حد الاحراق والافناء زدناهم
سعيرًا توقدا وانما قال زدناهم دون زدناها بناء على انهم وقودها على ما نطق به قوله
تعالى وقودها الناس والحجارة ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما و
رفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدًا قد مر تفسيره في هذه السورة اولم يروا اي اولم
يعلموا اولئك فهلا يقوم مقام العيان في حق الايقان ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم واذا قدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم خلقا جديدا
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون الا كفورًا جحودًا قل
لو انتم تملكون انتم فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون تحذف تملك

وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ لقوله
وان هو لم يحمل على النفي منهما وفيه دلالة على اختصاص البخل بهم في الامساك مع الايجاز خزائن
رحمة ربي اي خزائن نعمه اذا لامسكتم اي لامسكتموها خشية الانفاق لاجل خوف الفقر وكان
الانسان قتورا مضيقا للنفقة وزيادة كان لبيان ان الانسان مجبول على الشح والضنة
ومن يوق شح نفسه انما يوق بعصمة الله تعالى اياه وما ذكر جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا حتى نتوسع في المعيشة اي لو توسعتم لبخلتم ايضا ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات قد مر تفسيره في سورة الاعراف وليس انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور
منها بدلالة ان الخطاب في قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات لفرعون وهذه
الايات بعضها بعد هلاكه وتفصيل عدده فاسئل بني اسرائيل اي فاسئل علماء بني اسرائيل
اذ جاءهم اي جاء اسلافهم والعامل في اذ محذوف تقديره فاسئل عن حديث او قصة بني
اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورًا اي ساحرًا قال الفراء
وابو عبيدة فوضع المفعول موضع الفاعل كما تقول هذا مشؤم وميمون اي شائم
ويامن ويشهد لذلك قوله قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر فانه لما نفي ان يكون تلك الايات سحرا فقرأ الكسائي علمت بالضم اي قال
موسى عليه السلام علمت انا وقرأ الباقون بالفتح اي علمت انت يا فرعون لانه عاند مع علمه لقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم يقول انك لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم ان ما جئت به
من الايات ليس بسحر بل هي حجة الله تعالى التي من تاملها استبصر فيها اي تيقن انها من عنده
وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصائر واني لاظنك يا فرعون
مثبورًا هالكا وخاسرًا وقيل مصروفا عن الخير وكان موسى عليه السلام عالما بذلك بيقين وانما قال
اظن اظهارا للتعريض في تقرير ما ادعاه وفائدته وهم الباطل عنه به وصونه عن مظنة الافرا
فاراد فرعون ان يستفزهم اي يخرج موسى عليه السلام وقومه بالنفي او القتل وقد مر في
هذه السورة ما يتعلق بمعنى الاستفزاز من الارض ارض مصر والارض مطلقا فاغرقناه
ومن معه جميعا فحاق به مكره وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها هذا على تقدير دخول موسى عليه السلام ومن معه من
بني اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ظاهر واما على تقدير عدم ذلك على ما ذهب اليه بعضهم
فلا بد من تعيين التعريف في الارض للجنس او القول بان الامر المذكور للاولاد من بعده عليه السلام
لا لهم فاذا جاء وعد الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفًا مختلطين اللفيف

ما اجتمع من الناس من قبائل شتى قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجمع
وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا القرآن الى سماء الدنيا الا محفوظا عن اعتراء
البطلان وما نزل على الرسول الا كذلك وتكرير الحق باسم الظاهر للتفخيم وما ارسلناك الا مبشرا
بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب للعاصين وليس لك شيء وراء ذلك وقرآنا فرقناه
نزلناه منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على تثبت وترسل
فانه ايسر للحفظ وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب ومقتضى
الحكمة قل آمنوا به او لا تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الالتفات بهم
فان ايمانهم بالقرآن لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يورث
نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم وهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واضرابه تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم من قبله من قبل نزول
القرآن اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا تعظيما لامر الله تع وشكرا لانجاز وعده
في الكتب السابقة ببعثة محمد عم والخرور السقوط بسرعة وانما ذكر الاذقان مبالغة في
التحامل على الجبهة والانف حتى كأنه يلصق الذقن بالارض واللام بمعنى على وقيل للاختصاص
وفيما فيه وانتصاب سجدا على الحال ويقولون اي في سجودهم سبحان ربنا عن خلف
الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعد ربنا لا محالة ويخرون للاذقان كرره
لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم
من مواعظ القرآن يبكون اي هنا بالفعل اشعارا بالتجدد فان منشاء البكاء وهو
التفكر والتذكر مما يتجدد بخلاف منشاء السجود ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما
يزيدهم علما ويقينا بالله وقدم تفسير الخشوع قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين
سمع المشركون رسول الله عم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو
وهو يدعو والمراد التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلفا
في اعتبار الاطلاق عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال يشير
والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير
وقيل نزلت حين قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تع في التورية والمعنى
انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود ويعضده قوله وايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى اصله وايا ما تدعوه فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام على

والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لانه
التسمية له لا للاسم ولا تجهر بصلوتك بقراءة صلوتك على حذف المضاف حتى لا تسمع المشركون
فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها كل المخافتة حتى لا تسمع من خلفك من
المؤمنين والمخافتة خفض الصوت وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان خير الامور اوساطها وقيل معناه لا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين
ذلك سبيلا بالاخفاء نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال عزير ابن الله
ولمن قال المسيح ابن الله ولمن قال الملائكة بنات الله ولم يكن له شريك في الملك في
الالوهية وفيه رد للثنوية القائلين بتعدد الاله ولم يكن له ولي من الذل من اليهود لانهم
اذل الناس فنفيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين بن الفضل يعني لم يزل
محتاج الى ولي وناصر يجيره من الذل لعزته وكبريائه وهذا قول حسن يعضده قوله وكبره
تكبيرا التكبير ابلغ لفظ للعرب في معنى التعظيم والاجلال وانما اكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا
في معناه ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل و
قد يكون بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن ينتصر به من اجل
المذلة اذ كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي لاجل النقص بخلاف
الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق لعدم احتمالهما الوجهين في شانه تع وانما رتب الحمد
على وصفه بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء
كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد ❀ ❀ وهذه السورة
الكريمة ابتدئت بتنزيه الله تعالى واختتمت
بالحمد لله على التمام ❀ وعلى رسوله افضل
السلام ❀ وعلى آله وصحبه
اولى الكرم و
الانعام ❀
م

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف مكية

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني ترتيب استحقاق الحمد على انزال القرآن تنبيه على عظم شانه من اعظم النعم
الجسام وذلك بهدايته الي ما فيه كمال العباد ودعوته الي ما به انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد
ولم يجعل له عوجا من تتمة الصلة على انه عطف بيان اذ المعني انزل على عبده الكتاب الكامل في بابه
قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود يقال فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر
ما كان في ارض او دين او معاش وما قيل انه بالكسر في المعاني مردود بقوله تعالى لا عوجا ولا امتا وتنكيره
لتعميم النفي انواع الانحراف عن سنن الاستقامة من جهة الاضلال في التركيب والاختلاف في النظم
والتنافي في المعني قيما على الكتب السابقة بالتغيير والنسخ او بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل
بعد وصفه بالكمال وقيل المراد اثبات الاستقامة والاعتدال فاتجه عليه السوال عن فائدة الجمع
بينه وبين نفي العوج فان المفهوم من احدهما عين ما فهم من الآخر واجيب بان فائدته
التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو عن ادني عوج عند السبر والتصفح ويرد عليه
بعد الاغماض عن ان ما ذكر فيما شهد له العباد ان ذلك انما يصح ذكر النفي عقيب الاثبات دون
العكس وبعدا للبنا والنبي ان التاسيس خير من التاكيد والافادة اولي من الاعادة و
انتصابه على الحال من الكتاب لا من الضمير في له لما فيه من الركاكة التي يجب تنزيه كلام الله تعالى
عنها ولا حاجة الي تقدير مضمر لان مبناه ان يتعين عطف ولم يجعل على انزل وقد عرفت فساد
ذلك المبني لينذر اطلقه لعموم الجنس وعدم اختصاصه باحد الفريقين على ما افصح عنه قوله تعالى
انا انذرنا الكافر وبشر الذين آمنوا وفي اطلاقه هنا دفع وهم الاختصاص السابق الي الفهم من قوله
وينذر الذين قالوا باسا عذابا شديدا من لدنه نقدم الكلام عليه في سورة هود ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم بان لهم وان ضمن يبشر معني يبين لم يحتج
الي الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا في الجنة واما نفس الجنة ففي التبشير بها يكفي الايمان
ولا حاجة الي العمل الصالح عند اهل الحق ماكثين فيه في الاجر اي في محله ابدا بلا نهاية وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالانذار بعد ما عم الجمع لغاية فحش صنيعهم ورتبه على
القول اشعارا بانهم استحقوا الانذار به مع قطع النظر عن الاعتقاد وابهم المنذر به ليذهب
الوهم كل مذهب وفيه ما لا يخفي من التهويل ما لهم به اي بما قالوا من علم شيء من العلم لاستحالة
المعلوم والجملة في موضع الحال اي قالوا جاهلين به ولا لآبائهم اي قلدوا فيه اباءهم وهم
مثلهم في الجهل كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الافتراء على الله تعالى قراءة الجمهور بالنصب
على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول اولي وابلغ لما فيه من الابهام والتبيين وفيه معني التعجب

و معني التعجب الي تعظيم الامر في قلوب السامعين وكانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة وصفها
بذلك مع ان العلم الضروري حاصل بان شان جنسها ذلك فلا بد له من فائدة وهي الاشعار بانه
لا ينبغي ان يتصف بهذه الكلمة بتصديق قلبي لو صح بطلانها فكانه قيل تخرج بنفسها بلا احراج
منهم فيه تابيد لقوله ما لهم به من علم ان يقولون الا كذبا الا قولا كذبا فلعلك باخع
نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور والبخع والبخوع الاهلاك من شدة
الوجد على آثارهم عبر عن ادبارهم وتباعدهم عن التصديق بالقرآن على وجه فصيح شبهه
واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم بمن فارقه
احبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم فالاستعارة تمثيلية
وقرئ على الاضافة وهو للاستقبال ان قرئ ان لم يؤمنوا بالكسر وللمضي ان قرئ بالفتح
بمعني لانه لا يؤمنوا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية لتصوير تلك الحالة
في ذهن السامع واستحضارها بهذا الحديث القرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز
ان يكون حالا انا جعلنا ما على الارض من الزخارف يرشدك الي هذا قوله تعالى حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعني صيرنا ويحتمل الحال على انه بمعني
اوجدنا لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم
زهد في الميل بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه والجرز الارض
التي قطع نباتها من الجرز بمعني القطع فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقوية المؤمنين عما احتوته
ايدي المترفين من زينتها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
الكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي والرقيم اسم الجبل او الوادي
او القرية او الكلب او لوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل الرقيم اصحاب
الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله وفي هذا خبر معروف اخرج في
الصحيحين وقال قوم اخبر الله تعالى عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء
كانوا في بقائهم احياء مدة مديدة بلا غذاء من آياتنا عجبا وقال العنبري ان الموضع الاعجوبة
من اوصافهم حيث اضافه الي نفسه بقوله من آياتنا وتقليب العادة من الله تعالى
ليس بمستبدع اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من بين آياتنا عجبا فليس
كذلك بل كل آياتنا عجب وفي آياتنا ما هو اعجب منهم اذ اوى الفتية الي الكهف حين
التجاوا اليه وروي انهم كانوا شبانا من ابناء الاشراف اراد دقيانوس الملك على الشرك
فابوا وهربوا الي الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة من خزائن رحمتك الموجبة للمغفرة

والرزق والامن **وهيئ لنا من امرنا** الذي نحن عليه من مفارقة الكفار **رشدا** اصابة الطريق
الى البغية وكذا الرشد والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشيء نصير بسببه مهتدين او اجعل
امرنا كله هدى **فضربنا على آذانهم** اي منعناهم ان يسمعوا قال فضرب هذا القول العرب
ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم ان يسمعوا قال فهد عن الفساد وضرب السيد على يد
عبده المأذون اذا منعه من التصرف وتخصيص الآذان بالذكر لان النوم قلما ينقطع الا من جهتها
ولا يستحكم الا مع تعطلها اشير الى ذلك في قوله عم ذاك رجل بال الشيطان في اذنه والزاهبون
الى ان المعنى ضربنا عليها حجابا من ان يسمع ذاهلون عن ان الحجاب لا يناسب الا التسمع
ولذلك ادخل السمع في قوله تع ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تحت الختم
دون التغشية على ما اعترفوا به وذكروه في تفسيره **في الكهف سنين** ظرفان لضربنا **عددا**
قال الزجاج اي تعد عددا الكثير لان القليل يعرف مقداره من غير عد فاذا الكثير عدوا اما
قولهم دراهم معدودة فهو على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير **ثم بعثناهم**
اي من نومهم يقال لمن احيى او انبه من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث و
التصرف **لنعلم** عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته وهذا على نحو كلام العرب
والا فقد كان الله تع علم ذكره القرطبي فلا حاجة الى اثبات التعليق لعلمه حالي واستقبالي
اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم **احصى لما لبثوا امدا** ضبط امدا
لزمان لبثهم والامد الغاية وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى
خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام
مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم
هو احصى للمال وافلس من ابن المزلق ورد عليه بان بناء اسم التفضيل من الثلاثي
المجرد شاذ فلا يقاس عليه ولان امدا لا ينتصب باسم لانه لا يعمل ولا بلبثوا العدم سداد
المعنى فان زعمت نصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما في قوله واضرب منا السيوف
القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون فعلا ثم رجعت
مضطرا الى تقديره ولكنه مردود اما اولا فلان دعواه الشذوذ مذهب ابي علي وعند سيبويه
هو قياسي وبه اخذ الزجاج وعلى اختيار ابن عصفور ان الهمزة اذا كان لغير النقل كما اشكل
الامر واظلم الليل يجوز ان يقال ما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل والهمزة في احصى
ليست للنقل واما ثانيا فلان قوله ان افعل لا يعمل ليس بصحيح لانه يعمل في التمييز ومن زعم
ان احصى اسم تفضيل لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا ومثله ما يقال زيد اقطع الناس سيفا

واما ثالثا فلانه يجوز ان يكون نصب امدا على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من امد على ان الامد بمعنى المدة
ولعل هذا مراد الطبري حيث ذهب الى ان نصب امدا بلبثوا واما رابعا فلان اسم التفضيل
ينصب المفعول به في مذهب الكوفيين فلا اضطرار الى تقدير فعل انما ذلك على تقدير ثبوت
نزول القرآن على مذهب البصريين واي ذلك **نحن نقص عليك نبأهم** النبأ خبر ذو شان
بالحق بالصدق **انهم فتية** جمع فتى كصبي وصبية **آمنوا بربهم** الرب السيد الناظر في مصالح عبده
وللاشعار بذلك عدل عن آمنوا **وزدناهم هدى** بالتثبيت **وربطنا على قلوبهم** من المجاز
ربط الله على قلبه صبره ومنه رابط الجاش لما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها
الا ترى الى قوله تع وبلغت القلوب الحناجر قيل في مقابلته ربط قلبه اذا امكن وثبت وهو
تمثيل والعدول من التعدية الى على من باب يجرح في عراقيبها للمبالغة **اذ قاموا** على قدم الصدق
مجاز يقال قام الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد **فقالوا ربنا رب السموات والارض لن
ندعو من دونه الها** لم يقل ربا لان تجهة توحده تعالى الوهيته لا ربوبيته **لقد قلنا اذا
شططا** والله لقد قلنا اذا قولا شططا والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه يقال شط منزل
فلان اذا جاوز العدو في البعد مصدر وصف به للمبالغة **هؤلاء** مبتدا **قومنا** عطف بيان
اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار **لولا يأتون عليهم** لولا حرف تحضيض
بمعنى هلا صحبه الانكار **عليهم** على الوهيتهم **بسلطان بين** بحجة بالغة ظاهرة فيه دليل على فساد
التقليد في اصول الدين **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بنسبة الشريك اليه تعالى
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل الجسماني والقلبي من مفارقة
قومهم ومعتقداتهم **وما يعبدون الا الله** عطف على الضمير المنصوب سواء كان ما مصدرية
فالاستثناء متصل ان كانوا يعبدون الله تع مع آلهتهم ومنقطع ان لم يعرفوه تع ويجوز
ان يكون ما نافية على انه اخبار من الله تع عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه
تحقيقا لمضمون الجملة **فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم** يبسط الرزق لكم ويوسع
عليكم **من رحمته** في الدارين **ويهيئ لكم من امركم مرفقا** ما ترتفقون به اي تنتفعون قالوا
ذلك ثقة بفضل الله تع وقوة في رجائهم وقرئ مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء قال الجوهري
من قرأ مرفقا جعله مثل مقطع ومن قرأ مرفقا جعله اسما مثل مسجد ويجوز مرفقا اي
رفقا مثل مطلع ويقرا به **وترى الشمس اذا طلعت** الخطاب للنبي عم او لكل احد و
المعنى انك لو رأيتهم لرأيتهم كذلك لا ان المخاطب رآهم على التحقيق **تزاور عن كهفهم**
تتنحى وتميل فلا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء

وقرئ بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين
جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين وإذا غربت تقرضهم قال الخليل في كتاب العين
اذا عدلت عن شيء في سيرك قلت قرضته يمنة او يسرة ذات الشمال يعني يمين الكهف
وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي هم في متسع داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه
وينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف وهذا ايضا من تتمة ما ذكر في تعدية الوضع
اياهم دون الكهف على خلاف تعدية التزاور ودلالة على ان الشمس كانت تدخل الكهف اذا
غربت الا انه لا يقع شعاعها عليهم كيلا يتنبهوا فان لشعاع الشمس وحرها تاثيرا في
الانتباه وهذا من تتمة ما قصد بالضرب على اذانهم قيل وذلك لان باب الكهف في مقابلة
بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان
ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي
يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته
ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم ومبناه العقول عما في تخصيصهم
من الدلالة على دخول الشمس في الكهف عنده وبها تم ان ما ذكره من حكم مقابلة بنات النعش
يختلف باختلاف الاقاليم طولا وعرضا ثم ان قوله ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم و
يبلي ثيابهم اخراج لما وقع في شانهم من خوارق العادات عن حدها ببيان اسبا بها
العادية على ان ما ذكره لا يصلح سببا لما فيا ذلك من آيات الله فالواو ذلك ليس
اشارة الى الايواء ولا الى التزاور والقرض بل الى حفظ الله تعالى اياهم في ذلك الكهف
تلك المدة الطويلة من تبراء عن اخبارهم في اختياره وصدق رجوعه الى الله تعالى في احواله
ولم يستغن بغير الله من اشكاله آواه الى الكهف افضاله وكفاه جميع اشغاله وهيأ له
محلا يستغني فيه من برد ظلاله بكمال افضاله من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد
الذي اصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله تعالى واسلموا له وجوههم فلطف
بهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة ومن يضلل بالاضلال من الله تعالى بخلق دواعي
الضلال عندنا وعند المعتزلة ما اول بالخذلان فلن تجد له وليا مرشدا من يليه
ويرشده والخطاب للنبي ص او لكل احد كما في السابق واللاحق وتحسبهم ايقاظا
لانفتاح عيونهم وتنفسهم وانما نقلبهم فانما يقع احيانا فلا يصلح سببا لحسبان كل من
يراهم وايقاظ جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو من اليقظان وهم رقود
نيام ونقلبهم اضاف التقلب الى نفسه لانه بتخليقه خاليا عن الاسباب العادية وشرائطها

مقابلة

مقابلة

وهم رقود

على الظرف
ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رض ولو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وذات منصوب
لان اصلها الجهة وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل
يدل عليه نحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم
او زرعه او غنمه ذكر القرطبي فلا تأبيد في قراءة وكالبهم اي صاحب كلبهم لما قيل انه
كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب بل التأبيد لخلافه اذ الظاهر منها ان يكون الكالب
من الفتية وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الكهف
طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزاء الكلب وقد حكى ابو عمرو المطرزي انه قرئ وكالئهم
وحمل على هذا الوجه اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هيئة
الربيئة المستحق بنفسه ويحتمل ان يراد بالكالي الكلب باسط ذراعيه اعمل اسم
الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب
وعند الكسائي وهشام وابو جعفر من البصريين كونه بمعنى المضي غير مانع عن العمل و
الذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى بالوصيد بالباب ولم يكن للكهف
باب فالمراد منه موضع الباب ولذلك قال ابو روق في الشعب لو اطلعت عليهم
اي لو شاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء ناظرا اليه ويكنى به عن المشاهدة الكاملة والخطاب
لمن في وزان النمس وقرأ ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرئ بضم الواو لوليت منهم
لاعرضت بوجهك عنهم وانقلبت فرارا على المصدر لما لفررت محذوفه واما لوليت لانه بمعنى
لفررت او على العلة او على الحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تعالى من
الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم واجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وبابه
قوله منهم والصحيح في امرهم على ما قال ابن عطية ان الله تعالى حفظ لهم الحالة التي ناموا
عليها ليكون لهم ولغيرهم فيهم آية ولم ينكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض والبناء و
لو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم وايضا لما قال بعضهم لبعض لبثنا يوما او
بعض يوم وقيل لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وبالجملة كان الفال محجوب عنهم
بالرعب لئلا يصلوا اليهم وقرئ لملّئت بالتشديد للمبالغة ورعبا مفعول ثان او تمييز وقرئ
لملئت بضم العين وكذلك بعثناهم البعث التحريك عن سكون اي ايقظناهم من نومهم
على ما كانوا عليه من هيآتهم لم يتغير شيء من ابدانهم وثيابهم ليتساءلوا بينهم
ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا
على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم ويستبصروا به

مقابلة

لب

امر البعث قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال الحسن دخلوا الكهف في اول النهار
تنظر واحسن استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا
او بعض يوم وكان عندهم كذلك فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم انكارا عليهم من بعضهم استدل ابن عباس رض بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال
في عددهم انهم سبعة بناء على ان اقل الجمع ثلثة قيل انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم
بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وفيه نظر
فوجه ولما اخذهم ما يأخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام قالوا فابعثوا احدكم
كانهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك الى الله بورقكم قرئ بكسر الراء وبسكونها والثقل و
ادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ودونه الادغام لالتقاء
الساكنين على غير حده والورق الفضة المضروبة نص عليه في الصحاح والقاموس كانوا قد
استصحبوا حين خرجوا دراهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا اشاروا اليها بقولهم
هذه الى المدينة هي طرسوس فلينظر ايها الضمير للمدينة والمراد اهلها بطريق الاستخدام
والمصير في امثال هذا الى الحذف من ضيق النطق ازكى طعاما الذي بركة قال ابن عباس رض
وعلى هذا انه الارز فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير قليل البضاعة وفي تفسير القرطبي قيل
انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا
قيل ذلك الطعام الارز فليأتكم برزق منه وليتلطف اي وليتكلف في استعمال دقائق
الدقة في دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به في ذهابه وايابه ولا يشعرن بكم احدا
ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بكم والضمير في انهم عائد على ما دل عليه المعنى من اهل تلك المدينة
ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او ان يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم برمي الحجارة او يعيدوكم
في ملتهم يصيروكم فيها وقيل العود على معناه الشائع لانهم كانوا اولا على دينهم ثم آمنوا وانما
لم يقل اليها لانه لا يلزم من العود الى الشيء التلبس به ولن تفلحوا اذا ابدا ولن تفوزوا بالخير
ابدا ان دخلتم وكذلك اعثرنا عليهم المفعول محذوف تقديره اعثرنا ناسا عليهم اي كما انمناهم
وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم واصله ان من عثر برجله على شيء وهو غافل
نظر اليه حتى يعرفه فاستعير العثور للظهور ليعلموا اي ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال من
يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى
انفسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانهم عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى

لقوله

نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا بينهم امرهم
امر الفتية حين اماتهم الله فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة فقالوا ابنوا عليهم
اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس والدواب ولا يتعرض لهم السباع ربهم اعلم بهم قولهم
انهم ماتوا او ناموا قال لم يقل وقالوا لانه لم يذكر في معرض المنازعة الذين غلبوا على امرهم
اي قال عظماؤهم بعد الاتفاق على البناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه ويتبرك بمكانهم سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ص من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم
هم ثلثة رجال ربعهم كلبهم اي جعلهم اربعة بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم قاله النصارى وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قاله المسلمون
باخبار الرسول عليه السلام عن وحي جبرائيل عليهما السلام وعنه اخراج هذا القول عن حيز الرجم بالغيب
واما اتباعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم فلا دخل له في الانباء المذكور ولا دلالة في قوله ما يعلمهم الا قليل
ان ذلك القليل من جنس الناس حتى يتمشى ان يقال اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما نفاه عن
الطوائف الثلثة المذكورة فان عدم ايراد الرابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل
بقيه ثم يقال الاولى بالاتباع المذكور ليتعين الثالث واما التمسك بالواو بان يقال انها دخلت
على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت فضعيف لانها من المحكي لا من الحكاية فدلالتها
على الثبوت عند القائل لا عند الله تعالى نعم لو قيل انها تدل على تصديق القائلين بانهم سبعة لانها
عاطفة على كلام مصدق تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما اذا قال قائل زيد شاعر وقيل وفقيه ايضا
وفي الخبر سئل النبي ص انتوضأ بما افضلت الحمر قال وبما افضلت السباع قال السهيلي يريد
نعم وبما افضلت السباع وقال جماعة ومنهم الامام ابو منصور الماتريدي لم يبين الله تعالى
ذلك لاهل الكتاب ولا للنبي عليه السلام ولو كان اعلم لم يقل ولا تستفت فيهم منهم احدا
لان علمه به يغنيه عن السؤال عنهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل اهل الكتاب في
شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب
غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تستفتهم من
جهتهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة روي انه ص سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال
ذكره القرطبي ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء انما قال فاعل
بالتنوين دون الاضافة لكان قوله غدا ومبنى ذلك على قاعدة ذكرناها في تفسير جاعل الارض

ظنه الا ان يشاء الله الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشية الله تعالى قائلا ان شاء الله وهذا نهي تأديب من الله تعالى لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وقيل معنى غدا بمعناه الحقيقي لا بمعنى ما يستقبل من الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا في تدارك التبرك بالاستثناء فالتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك من حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرا كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم ثلاث مائة سنين وقرأ حمزة والكسائي بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا ومن قال على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومنع ترافع طرفا كلامه لان مبني قوله على وضع الجمع موضع الواحد هو ان يكون الاصل الاضافة الى الواحد وقرأ الجمهور بتنوين مائة ونصب سنين على انه عطف بيان وحمله على البدلية ضعيف لانه يلزم ان لا يكون العدد مقصودا وازدادوا تسعا قيل انهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحساب الامم ولما كان الاخبار هنا للعرب ذكرت التسع اذ المفهوم عندهم من السنين القمرية فهي الزيادة ما بين الحسابين ونحو بان لما احله في قبل وقيل انه حكاية لكلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا لبثوا قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها وانه هو وحده العالم به ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب والهاء في به لله تعالى محله الرفع على الفاعلية عند سيبويه لان اصله عنده صار ذا بصر كاغد البعير صار

ذا غدة ثم نقل الى التعجب وعبر بصيغة الامر لانها انشاء وبرز الضمير لان ضمير الغائب لا يستتر في الامر وزيد الباء فيه لتأكيد التعجب ولخلوه عن الضمير لم يختلف صيغته بحسب اختلاف المخاطب افرادا وتثنية وجمعا وعند الاخفش منصوب على المفعولية والفاعل ضمير المخاطب وهو كل احد والهمزة للتعدية والباء مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة والباء للتعدية والاتيان بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي ما لهم لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرئ بالتاء والجزم على النهي واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته لا يقدر احد غيره على تبديلها ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه مر تفسيره في سورة الانعام ولا تعد عيناك عنهم اي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر صرفته عنه وما يصرف العين ليس الا النظر فحذف لظهوره وقيل ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقيل ان عدا بمعنى جاوز يتعدى بنفسه وبعن قال الجوهري عداه جاوزه وعدا عن فلان معدي اي لا تجاوز الى غيره ثم ان معنى الصرف انسب للمقام من معنى التجاوز وقرئ ولا تعد ولا تعد من اعداه وعداه تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف على المشهور ومن الضمير المستتر في الفعل على غيره والعامل على الاول ايضا الفعل السابق في قوله فاتبع ملة ابرهيم حنيفا ويجوز ان يكون حالا من الفاعل وتوحيد الضمير لانهما عضو واحد في الحقيقة او لاتحاد الاحساس او لاكتفاء باحدهما عن الآخر واستشناع اسناد الارادة الى العين مندفع بانها كناية عن ارادة صاحبها كما يقال يشتهي العين او السمع وانما المسند الشخص ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة واتبع هواه قيل نزلت في امية ابن خلف وذلك انه دعا النبي عليه السلام الى تبعيد الفقراء عنه وتقريب صناديد قريش وكان امره فرطا اي مجاوزا فيه للحد ذكره الجوهري وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر اي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لا مكن من اعتبارهما شيئا فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين قيل هو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كانت بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته ولهذا

ان الامر بالايمان والكفر يكون امرا بجعلهما وايجادهما حتى قال ما قال والحق ان العبد مامور بالكسب فقط وماذا بعد الحق الا الضلال
انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها هو ما يحدق فوق صحن الدار ذكر الجوهري فارسي معرب
اصله سراطاق لا سرابرده كما توهم وما في حديث ابي سعيد الخدري رض على ما خرجه الترمذي
وقال فيه حسن صحيح من قوله عم لسرادق النار اربع جدر يعضد ما ذكرنا وربما قيل ان الحجرة
التي تكون حول الفسطاط وما قيل انه الحائط وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل اي
يؤتوا بماء كالمهل وانما قال يغاثوا على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع تهكما والمهل هو ما
غليظ كدردي الزيت ذكره ابن عباس رض ويوافقه ما في حديث الترمذي عن النبي عم
انه قال هو كعكر الزيت يشوي الوجوه من فرط حرارته اذا قدم ليشرب وهو صفة ثانية لماء
او حال منه لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه او من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب
المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو اي الماء الذي يغاثون به وساءت
النار مرتفقا متكأ واصله الاتكاء على المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا
والا فلا ارتفاق لاهل النار والاتكاء الا ان يكون كناية عن عدم النوم كما في قوله نام الخلي وبت
الليل مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا التنكير
للتقليل اولئك لهم جنات عدن اقامة او هو وسط الجنان والتاجي بلفظ الجمع لشمولها
بحيث كان كل بقعة منها صالحة لان تكون جنة ويجوز ان يريد بالجنات سائر الجنان
واضافتها الى عدن لانه معظمها والجملة خبران وما بينهما اعتراض وهو ايضا خبر على قيام
من احسن مقام الضمير لان من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد
واما التقليل بان من احسن عمله على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيأباه التقليل المستفاد من التنكير في عملا وعلى ان الضمير مستغنى عنه في قولك
نعم الرجل زيد والماصدق عله ان المعنى من احسن عملا منهم فعنيه انه يوهم تنوع الذين آمنوا
وعملوا الصالحات الى من احسن عملا والى من لم يحسنوا وصحة له والخبر هو واولئك كلام
مستأنف لبيان الاجر المبهم ويجوز ان يكون انا بدلا عن الاول فلا يحتاج الاول الى
خبر كما في قول الشاعر ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم تجري
من تحتها الانهار قد مر تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم حليا بني التحلية للمفعول
اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بانفسهم من اساور من ذهب من الاولى للابتداء
والثانية للتبيين صفة لاساور وتنكيرها لابهام امرها في الحسن وهي جمع اسورة والاسورة
جمع سوار بالكسر وبالضم وهو زينة تلبس في الزند من اليد وقال ابو عمرو واحد اساور الاسوار

وهو بمعنى السوار لا جمع ويلبسون اسند فعل اللبس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا
اذا كان بادي الصورة ثيابا خضرا لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس ما رق من الديباج
واستبرق ما غلظ منه فارسية اصطرك جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهي السرير وفي الحجال وخص الاتكاء لانه هيئة
المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم
للكافرين والمؤمنين مثلا رجلين حال رجلين مفروضين او موجودين جعلنا لاحدهما وهو
الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة الرجلين
وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما وهذا مما يؤثره الدهاقين اي يجعلونها مؤزرة بالاشجار
المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها
متواصلة متشاكلة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا
الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والاختيار
هو الاول ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا في سائر البساتين وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وكان له ثمر انواع المال من ثمر ماله اذا
كثره فقال لصاحبه والظاهر منه انهما ليسا باخوين وهو يحاوره اي يراجعه في الكلام
ويجاوبه من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا اولادا ادل على ذلك قوله ان
ترن انا اقل منك مالا وولدا والمراد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث
ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من المال دونه
وافراد الجنة لما سبق له الكلام من العرض وصونا له عما يحتمل ما ادخره والغرض
ههنا بيان ما قاله عند دخول جنته والتعرض لتعددها فضلة في ذلك وهذا كما تقول اذا
رايت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللابس طويل او اللابس قصير ولو قلت واللابسة
قصيرة جئت بما هو لكنه فضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته
انما وقع في غرض وراءهما وهو ظالم لنفسه بعرضها لسخط الله تعالى بعجبه وكفره وهو
افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وهذا لاغتراره بانتظام احواله واطراح
النظر في عواقب امثاله وما اظن ان تبيد هذه ابدا الساعة قائمة كائنة ولئن
رددت الى ربي اقسام منه لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله له واستحقاقه
اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه على ان رد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن خيرا
منها من جنته وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية

اصله

وانتصابه على التمييز وقال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اراد خلق
وهو ادم او اصل مادته وذلك ان ماء الرجل يتولد من اغذية حاصلة من تراب فنبهه اولا على ما
تولد منه بالواسطة ثم على ما تولد منه بالذات فقال ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم
سويك رجلا جعلك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال سويا قبل عدلك وبروده قوله تع فسويك
فعدلك جعل كونه بالبعث كفرا بالله تع لان منشاءه الشك في قدرته تع ولذلك رتب الانكار
على خلقه اياه من تراب كانه يقول من اعترف بخلقه تع اياه من التراب لا ينكر اعادته منه
لانها اهون منه فالانكار للثاني لا يجامع الاعتراف بالاول لكنا هو الله ربي ولا اشرك
بربي احدا استدراك من قوله اكفرت لانه استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة اخبار
عن كونه واصل لكن لكن انا فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وقرئ بانه لف
في الاصل لتعويضها من الهمزة اولاجراء الوصل مجرى الاصل الوقف وقرئ لكن انا على
الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره الخبر انا وضمير الله والله بدله وربي خبره
والجملة خبر انا وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا الله ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله ما موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتدا محذوف تقديره
الامر ما شاء الله او مبتدا خبره محذوف تقديره ما شاء الله كاين او شرطية منصوبة
الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان اقرارا بانها وما فيها بمشية الله تع
ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على
نفسك والقدرة لله تع وان ما تيسر لك من تعميرها وتدبير امرها فبمعونته واقداره ان ترن
انا اقل منك مالا وولدا من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتدا والجملة مفعولا ثانيا لترن
ومن نصبه جعل انا فصلا او توكيدا للمفعول الاول فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك في الدنيا او
في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مراى
واحده حسبانة قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي الصواعق فتصبح دل على
اتيان الحسبان بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع ما عليها من النبات كالراس اذا حلق
لا يبقى عليه شعر مصدر بمعنى المفعول من زلق راسه زلقا اذا حلقه او يصبح عطف على يرسل على
توقع ما ترجى اليه آفة سماوية وآفة ارضية ماؤها غورا اي غائرا مصدر بمعنى الفاعل يقال
غار الماء غورا اذا سفل في الارض فلن تستطيع له للماء طلبا اي لن تقدر على طلبه لعدم بقاء
الاثر منه واحيط بثمره الواو نصبه عاطفة على مقدر نحو تحقق ظنه وثمره امواله واحاطته عبارة
عن اهلاكه بالكلية واصله من احاط به العدو فان قوما احاط بهم العدو قلما يتخلص ثم

بندم

استعمل في كلمة اهلاكه فاصبح يقلب كفيه كناية عن الندم والتحسر فان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن فكانه قيل
على ما انفق فيها في عمارتها فهو متعلق بيقلب ويجوز ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي
خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقط الكروم فوقها ويقول عطف على
يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه
فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله امواله ويحتمل ان يكون توبة عن الشرك وندما على ما سبق
منه ولم تكن بالتاء والياء له فئة قدم ما يتعلق باشتقاق فئة في ال عمران لما افتخر بعزة نفره اخبره
انك لم يكن له جماعة يحوطونه بقعا حل ينصرونه على المعنى دون اللفظ اي يقدرون على نصره بدفع
الاهلاك او رد المهلك والاتيان بمثله فليس من النصر لانه المعونة بالنهي والغلبة لا مطلق المعونة
من دون الله اي هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه هنالك
في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة
ينصرونه من دون الله وقرئ بالكسر ومعناه السلطان والملك اي هنالك السلطان والملك
لله تع لا يغلب ولا يمتنع عنه وفي مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله تع ويؤمن به كل مضطر
فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان عن اضطرار وجزع مما دهاه من شؤم
كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على
الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر من صاحبه المؤمنين
وصدق قوله فعسى ربي الاية وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله تع كقوله
لمن الملك اليوم ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية
ولله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرئ عقبا بالسكون وبالضم وقرئ عقبى على فعلى وكلها
بمعنى العاقبة واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد
مثل الحيوة الدنيا صفتها الغريبة في سرعة نقضها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء هو كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي بالماء والباء للسببية اي فالتف
بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ويجوز ان يكون للتعدية اي نجع في النبات حتى
روي ورف وحق من الباء ان توضع في اقل المخلوطين وسلك ههنا مسلك القلب للمبالغة
في كثرة الماء فاصبح اي اثر امر الله تع فاصبح مثل ما افصح عنه في سورة يونس ع م فالفاء فصيحة
للتنبيه الاشعار بسرعة الزوال هشيما متكسرا من اليبس متفتتا تذروه الرياح تفرقه
وقرئ تذريه والتشبيه تمثيل تشبيه الهيئة المنتزعة من احوال الدنيا بالهيئة المنتزعة من
احوال النبات الا ان ايلاء اداة التشبيه بالماء لا يخلو عن نوع اشعار بتشبيه الدنيا بالماء في ان قليله

جرد وكثيره يروي كما وروي الخبر قال ع ذر الدنيا وخذ منها كالماء فان القليل منها يكفي والكثير منها
وكان الله على كل شيء مقتدرا من الانشاء والافناء المال والبنون زينة الحياة الدنيا لان
في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا والباقيات الصالحات الاعمال الخيرات التي تبقى
ثمرتها للانسان ابد الاباد من اي نوع كان من انواع القول والعمل وقيل هي النيات والهمات
لان بها تقبل العمل وترفع خير عند ربك من المال والبنون ثوابا عائدة وخير املا اذ
تنال بها صاحبها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا ويوم اي اذكر يوم نسير الجبال من سيرت
وقرئ ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو كما تسير السحاب كما قال في آية
اخرى وهي تمر مر السحاب وهذا بعد كونها كالعهن المنفوش ومن ذهب عليه انها تسير سير السحاب
ذهب الى ان يكون المعنى يذهب بها بان يجعل هباء منبثا فذهب عن صوب الصواب وترى الارض
بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم
الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر
وقيل للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ورؤيتها بارزة ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم كأنه
قيل وحشرناهم قبل ذلك ولا حاجة فيه الى جعل الواو للحال باضمار قد بل لا وجه له ويرده ما دل
على ان ذلك قبل الحشر من الآيات كقوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا بالنون والياء يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك
الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان ولا حاجة الى ما قيل لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم انما الحاجة اليه اذا شبهت حاله بحال
السلطان المعروض عليه جنده صفا مصدر نزل منزلة الجمع اي مصفوفين لما ورد في الحديث
الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا ومن غفل عن هذا قال مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا معمول لقول محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون
عاملا في يوم نسير لما عرفت انه قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف
اي مجيئا مثل مجيء خلقكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا كما ورد في الحديث وقيل عراة لا شيء
معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة بل للاضراب بمعنى الانتقال
من كلام الى كلام ليس بمعنى الابطال زعمتم الن ان مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف
النفي كما فصل في قوله ان لن نجمع عظامه نجعل لكم موعدا مكانا وعدا او زمانا لانجاز ما وعد
على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الميزان
او في ايدي العباد واحاد به الجمع لانه جنس فترى المجرمين مشفقين الاشفاق الخوف

من وقوع المكروه مع تجويز انه لا يقع مما فيه من السيئات ويقولون الواو للحال يا ويلتنا ينادون لفظة
في شق والويل الهلك والنداء لمن بحضرتهم كأنهم قالوا يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا مال هذا الكتاب
ما استفهامية مبتداء ولهذا في موضع الخبر تقديره اي شيء لهذا الكتاب تعجبا لا يغادر
جملة حالية صغيرة سيئة صغيرة قدمها لانها ادخل في التعجب ولا كبيرة يعني لا يترك شيئا من المعاصي
الا احصاها الا احصاها هنا كناية عن الضبط واسناده الى الكتاب مجازا ووجدوا ما عملوا من
خير وشر حاضرا بوجوده في الخارج على ما دل عليه قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا
اعمالهم لا بوجوده في الكتابة لانه اعادة للمعنى السابق ولا يظلم ربك احدا باحضار ما لم يعملوا
ولا بعدم احضار بعض ما عملوا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس هذا بيان حال
المغرور بالدنيا وكان السبب تسويل الشيطان زهدهم اولا في دخائرها ثم نفرتهم عن
الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة كان من الجن استيناف للتعليل كأنه قيل ماله
لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امر ربه بترك السجود والفاء للتسبيب
ومن قال هذا الكلام المعترض تعهد من الله في صيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فقد
سهى حيث اساء في عبارة التعهد افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب والفاء للعطف على مقدر نحو
انعلمون انه عدو الله فيه وعدو ابيكم فتتخذونه وذريته اولياء من دوني تستبدلونهم بي قال الشعبي
سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه
وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وهم لكم عدو لم يقل اعداء في مقابلة اولياء
انباء عن اتحادهم في امر العداوة وشدة اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله في
ابليس وذريته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ولا
اشهد بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض توطئة لنفي الاعتضاد الذي ذكره بقوله وما كنت متخذ المضلين
يعني ما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا
للاعتضاد بهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم ولم اشاورهم وما اوقفتهم على اسراري فلا فضيلة لهم
دون غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي
لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت على خطاب الرسول ع ويجوز ان يقال فيه رد
لارباب التنجيم واصحاب الهيئة والمتبحرين في علم الطبائع وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا
بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه والاصل فيه عضد اليد

المثنى البلغ

ثم وضع موضع العون والتقوية لان اليد قواها العضد وانما اوقع الواحد موقع الجمع لانه في سياق
ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون **نادوا شركائي الذين زعمتم** انهم شفعاء كم ليمنعوكم
من عذابي **فدعوهم** فنادوهم للاعانة **فلم يستجيبوا لهم** فلم يغيثوهم **وجعلنا بينهم** بين الداعين و
المدعوين **موبقا** حاجزا التقوله فرقنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق
او جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا في الآخرة قال الفراء يقال وبق يبق وبوقا ووبق يوبق
وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان او مصدر **ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها** راوها
من مكان بعيد فظنوا انها تاخذهم في الحال وفي الجبران الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته
من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب **ولم يجدوا عنها**
مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل** من كل نوع من
انواع المعاني العجيبة وتصريفه تنقيله في وجوه البيان على نكتب الاقهام **وكان الانسان اكثر شيء**
جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدال والجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج والابلغ
ان يكون بالباطل ولذلك احتيج الى التقييد به في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وانتصابه
على التمييز **وما منع الناس ان يؤمنوا** من الايمان **اذ جاءهم الهدى** الرسول والقرآن **ويستغفروا ربهم** ومن
الاستغفار عن الذنوب **الا** تقديرا وطلب **ان تاتيهم سنة الاولين** وهو الاستيصال فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه **او ياتيهم العذاب** عذاب الآخرة **قبلا** بكسر القاف وفتح
الباء عيانا وقرئ بضمها وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى ضروب وقرئ بفتحتين وهي
ايضا لغة وانتصابه على الحال من احد المفعولين **وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين**
بالثواب والعقاب للمطيعين والعاصين **ويجادل الذين كفروا بالباطل** باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات وانكار كون البشر رسولا من الله تعالى **ليدحضوا به** ليزيلوا بالجدل
الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها **واتخذوا آياتي** يعني القرآن **وما انذروا**
والذي انذروه من العقاب او انذارهم **هزوا** استهزاء وقرئ بالسكون وهو ما يستهزأ به
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن **فاعرض عنها** فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر **ونسي**
عاقبة **ما قدمت يداه** اي لم يتذكر ما يترتب على فعله من العذاب والتعبير عن عدم التذكر
بالنسيان للمبالغة وانما حسن التجوز عن الجملة باليدين لان المسند مما يكسب وسما قوي آلته
انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين كفروا على انه تعليل لاصرارهم على ما كانوا عليه وما
بينهما من قوله ومن اظلم جملة معترضة في تقبيح حالهم **على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي**
آذانهم وقرا قد مر تفسيره في سورة بني اسرائيل **وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا** فلا يكون

تعذر قوله
منهم اهتداء البتة لشدة تصميمهم **اذا ابدا** مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب للرسول على
تقدير ما لك لا تدعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه **وربك الغفور** البليغ المغفرة **ذو الرحمة**
الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك باهمال اهل مكة مع افراطهم في عداوة رسول الله فقال **لو**
يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب في الدنيا **بل لهم موعد** وهو يوم بدر او يوم القيمة **لن**
يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجا اليه **وتلك**
القرى يريد قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشار لهم اليها ليعتبروا
وتلك مبتدا والقرى صفة او عطف بيان والخبر **اهلكناهم** ويجوز ان يكون القرى الخبر
واهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون تلك القرى نصبا باضمار
اهلكناهم على شريطة التفسير وقرى مجاز عن اهلها واذلك خبر من تقدير المضاف وارجع
من احدهما يكون مرجع الضمائر **لما ظلموا** مثل ظلم اهل مكة وفي اشعار بعلة الاهلاك تحذيرا
منها وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة
فيه على العلة وانما ترك مفعول ظلموا تنزيلا له منزلة اللازم ليذهب الوهم كل مذهب **و**
جعلنا وضربنا **لمهلكهم** المهلك بضم الميم وفتح اللام الاهلاك **موعدا** وقتا معلوما لا يتاخرون
عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر وقرئ بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة لهلاكهم **واذ قال**
موسى مقدر باذكر **لفتاه** هو يوشع بن نون ابن اخت موسى وانما قيل فتاه لانه كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم والعرب تسمي التلميذ فتى وان كان شيخا **لا ابرح** لا
ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله **حتى ابلغ مجمع البحرين** من حيث
انها غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر حتى ابلغ على ان يكون اصل الكلام
لا يبرح مسيري فيتعلق الضمير والفعل بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وان
يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما
تقول لا ابرح المكان فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق
قال السدي وقيل بحر فارس والروم ويرد عليه انهما لا يلتقيان ولا يقرب احدهما
من الآخر وقرئ مجمع بكسر الميم قال الجوهري الموضع مجمع ومجمع كمطلع ومطلع **او امضي**
حقبا والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون اي اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع
بلوغ المجمع او مضي الحقب روي في الصحيح ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني
اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله تعالى اليه
ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك

حوتاً فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ فأخذ حوتاً فجعل في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه
يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج
فسقط في البحر قيل اضطراب الحوت في المكتل كان بعدما استيقظ يوشع عم وتوضأ من عين
الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وفي التيسير كان البحر الذي يعلوه فيه أصحاب
السفينة ما بين بحر فارس إلى بحر الروم وإذ لا اتصال بينهما فلا صحة لهذا الكلام أيضاً ولعل
فارس محرفة من فاس وهي بالمغرب حاضرة البحرين أجل المدن القديمة وبعضهم ما قاله محمد
بن كعب أن مجمع البحرين عند طنجة وما قاله أبي بن كعب أنه بأفريقية وقول خضر لموسى عليهما السلام
حين سلم عليه وأنى بأرضك السلام يدل على أن ملاقاتهما لم يكن بين بحر فارس والروم لأن
تلك الأرض أرض بني إسرائيل ولا يقرب منها وهي منشأ السلام ومعدن الإسلام
فلما بلغا مجمع بينهما أي مجمع البحرين وبين ظرف أضيف إليه على الاتساع نسيا حوتهما
نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب ولا وجه لما قيل نسي موسى عم أن يطلبه
ويتعرف حاله ويوشع عم أن يذكر له ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر لأن هذا النسيان منه
قبل ذلك على ما دل عليه قوله فاتخذ سبيله في البحر الفاء فصيحة تنفصح عن مقدر يدل على
حيوة الحوت وسقوطه في البحر على ما نقل فيما سبق سرباً أي جعل سبيله في البحر كالسرب
وهو النفق الذي يدخل فيه فيسلك منه إلى موضع وفي الحديث الماضي ذكره وأمسك الله عن
الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق وأما السارب في قوله تع وسارب بالنهار
فنقل عن هذا الآية بمعنى الظاهر صرح به الجوهري ودل عليه مقابلته بقوله مستخف بالليل
ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا
مجمع البحرين وفي الحديث المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال
موسى لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا قيل لم ينصب موسى عم في سفر غيره
ويؤيد التقييد بقوله هذا وفي الحديث المذكور أنه عم لم ينصب حتى جاوز الموعد نصبا
تعباً وعناء قيل عنى به هنا الجوع ولا يخفى أن النقل وتغديته إنما يناسبان الأول ووجه
الارتباط بين الكلامين أن التعب والتعدي يتضمن الاستراحة فكأنه قال آتنا غداءنا
حتى نتغدى ونستريح زماناً قال له فتاه أرأيت أعلمت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة
أي أقمنا عندها فإني نسيت الحوت يعني أمره ذكره في معرض الاعتذار لما جرى في
الحوت من المعاهدة وذلك على ما ذكره في صحيح البخاري أن موسى عم قال له لا أكلفك إلا أن
أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيراً وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره

ملاقاتهما

بدل من الضمير أي ما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان
أي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت والحال وإن كانت لغرابتها أجل من ذلك الآية لما اعتاد
بمشاهدة أمثالها عند موسى عم وألفها قل اهتمامه بها فنوا عذاراً عن نسيانه واتخذ سبيله
في البحر عجباً اتخاذاً والمفعول الثاني الظرف وإنما كان عجباً لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه
مشوياً أو مأكولاً بعض منه وإمساك جرية الماء عليه وقيل سبيلاً عجباً وفيه أن أكثر العجب
ليس بحال السبيل وأيضاً لو كان المعنى ذلك لقيل واتخذ في البحر سبيله عجباً وهو من كلام يوشع
وقيل قال موسى عم في جوابه عجباً أي تعجباً وقيل الفعل لموسى عم أي اتخذ موسى عم سبيل
الحوت في البحر وهو دخوله تاجيره قال عنه قال ذلك الإشارة إلى فقد الحوت لما مر في الحديث
أنه قيل له حيثما فقدت الحوت فهو ثمّ ما كنا نبغ نقدره نبغيه أي نطلبه لأنه أمارة المطلوب
فارتدا على آثارهما أي على طريقهما الذي جاءا فيه قصصاً اتباعاً لذلك الأمر فانتصب على المصدرية بإضمار
يقصان على أفصح عنه النبي عم في الحديث الماضي ذكره حيث قال في تفسيره فرجعا يقصان آثارهما
حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوباً فسلم عليه موسى عم فقال الخضر وأنى بأرضك السلام
فقال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً فوجدا عبداً
من عبادنا هذه إضافة تشريف واختصاص وهو الخضر وإني علما يشهد بذلك الحديث
المذكور واتفق عليه الجمهور روى الترمذي عن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى
إنما سمي الخضر خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء والفروة ههنا وجه
الأرض قاله الخطابي آتيناه رحمة من عندنا الرحمة هنا الوحي والنبوة كما في قوله أهم
يقسمون رحمة ربك وعلمناه من لدنا مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وقد مر ما يتعلق
بلدنه في آل عمران علماً هو علم الغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن على هذه المصاحبة
بدأ بالاستفهام والاستئذان ووصف نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم وأظهر الرغبة
فيما عنده من العلم وهذا غاية التواضع من موسى عم وتعليم لمن طلب العلم من غيره ولأنه
تقدير الشرط على أن يكون المعنى على شرط أن تعلمني مما علمت رشداً علم ذا رشد وهو إصابة الخير
وقرئ بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن أو مصدر في موضع الحال وذو الحال
الضمير في أتبعك ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد
ويجوز أن يكون علة لأتبعك وكون موسى عم صاحب شريعة لا ينافي أن يتعلم من غيره
ما لا حاجة إليه في شريعته قال إنك لن تستطيع معي صبراً أراد نفي الصبر معه الآية
بالغ فيه حيث نفى استطاعته على أبلغ وجه وأكده كأنه لا يصح ولا يستقيم دل على ذلك قوله

عليه الصلاة والسلام

وكيف تصبر والصبر تجرع مرارة حبس النفس ومنعها عما تنازع اليه على ما لم تحط به خبرا اي
على ما لا خبرة لك به مستبعد وهذا كالتعليل للنفي السابق وتجنيسه بالواو شايع وفيه تدارك
لما عسى ان يتوهم انه نسب اليه عم عدم التثبت قبل تمام الاداء لحيث لا يمكنه الصبر لما
يرى من المناكير لان الانبياء عم لا يجوز لهم السكوت عند ذلك وفيه انها ليس بمنكر
شرعا ولا عقلا وايضا قد عرفت ان المنفي نفس الصبر معه لا استطاعته وخبرا تمييز او مصدر
على غير المصدر لان لم تحط بمعنى لم تخبره والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وبما يخبر منها قال
ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا تعليق الوعد بالمشية للاستثناء
ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف فانه لا يجوز خصوصا في حق الانبياء عم ولا اعصي لك
امرا عطف على صابرا اي صابرا وغير عاص كقوله تع صافات ويقبضن اي وقابضات
او على ستجدني فلا محل له من الاعراب وفيه انه لا يكون معتبرا بالمشية ولا بد منه كيلا
يلزم الخلف المرسوم حيث وعد ان لا يعصي له في امر وقد امره بترك السؤال ولم يطعه
فيه وانما قلنا فلا محل له من الاعراب مع انه مفعول القول على هذا الوجه لانه لا تاثير
للعامل في المعنى واما اثره في مجرد اللفظ والجملة بمالك ليست واقعة موقع المفرد لكن
حكمه محلا وهذا تواضع آخر من موسى عم بعد تبين كان من الخضر عم ثم تكلم عليه بوجه آخر على ما
افصح عنه قوله قال فان اتبعتني فلا تسألني وقرئ بالنون الثقيلة عن شيء انكره
مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وهذا من الخضر عم تاديب
وارشاد ولو صبر ودأب لرأى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق والاعراض
فانطلقا اي انطلق موسى والخضر عم واما يوشع عم فقد صرفه موسى عم ورده الى بني اسرائيل
وفي الحديث السابق ذكره فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفي الحديث المذكور فمرت
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة
ركب متعد وانما يقال في السفينة اظهارا لما في ركوبها خاصة من بين المراكب من معنى الدخول
خرقها قال عم في الحديث المذكور فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من
الواح السفينة بالقدوم قال ابو العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى عم وكان عبدا
لا يراه الا من اراد الله تع ان يريه ولو رآه القوم حينئذ لمنعوه من خرق قال اخرقتها لتغرق
اهلها اي فعلت ذلك وغرضك اغراق اهلها وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ بالياء ورفع
اهلها اي فعلته كي يغرق اهلها وقيل انها لام العاقبة والاول اولى في مقام الانكار لقد
جئت شيئا امرا منكرا ماخوذ من الامر لانه الفاسد الذي يحتاج ان يؤمر بتركه ومنه امر القوم

اذا كثروا اي احتاجوا الى من يأمرهم وينهاهم ومنه الامر من الامور اي الشيء الذي من شأنه ان يؤمر فيه
ولهذا لم يكن كل شيء امرا ومن ههنا ظهر وجه ايثاره شيئا على امرا مع ما فيه من صنعة الجناس ولعل
كان الامر هنا بمعنى العظيم كما قيل لو وعى حسن التناسب لفظا وقيل امرا العدوم المانع
من جهة المعنى حينئذ قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ظاهره تذكير للقول السابق
وباطنه تعزير لصعوبة الصبر معه واشارة الى منكر ارتكبه موسى عم وهو عدم محافظة الوعد
فكأنه قصد المعارضة بالمثل ولهذا ضمن كلامه الاعتذار عن ذلك على ما افصح عنه قوله تعالى
قال لا تؤاخذني بما نسيت اي بسبب نسياني والمؤاخذة على ترك التحفظ لا على النسيان
لانه غير مقدور ولذلك لم يقل على ما نسيت فكأنه قال ما صدر عني ما صدر الا بسبب امر غير
مقدور وصيغة النهي كثيرا ما قد تجيء للالتماس وهو المناسب للمقام ولا ترهقني الارهاق
ادراك الشيء بما يغشاه ومنه غلام مراهق اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ من امري
هو اتباعه اياه عسرا اي ولا تغشني عسرا من امري يعني ولا تعسر علي متابعتك بالمؤاخذة
على ما صدر بسبب النسيان وبترها على بالاعضاء وعسرا مفعول ثان لترهق وقرئ بضمتين
فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما وفي الحديث السابق ذكره ثم خرجا من السفينة فبينما هما
يمشيان على الساحل اذا ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه بيده فاقتلعه
بيده فقتله قيل كان قتله بفتل عنقه او ما قيل وبضرب رأسه بالحائط مردود ان
بنص الحديث الصحيح وكذا ما قيل اضجعه فذبحه والفاء هنا للدلالة على عدم تراخي القتل
عن لقاء الغلام بخلاف خرق السفينة فانه لم يتعقب الركوب ولذلك لم يذكر الفاء ثمة
ولما كان القتل قتل معصوم حقيقة او ظاهرا على اختلاف في صفوه لم يتمالك ان يعترض ولا
دخل في ذلك لدلالة الفاء على عدم التروي والاستكشاف قال اقتلت نفسا زكية وقرئ
زاكية قال الكسائي هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب
قط والزكية التي اذنبت وتابت ولذلك اختار الاول وهذا على ما قاله الجمهور انه كان صغيرا
غير بالغ وقال الحسن والكلبي كان بالغا يقطع الطريق ويعضده بغير نفس اي من غير
ان قتلت نفسا يفهم منه انه لو كان من قتل نفس لم يكن به بأس والظاهر منه كبر الغلام لان
الصغير لا يقاد ولا تنبيه فيه على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صحة للحصر على
ما نبهت عليه في تفسير سورة الانعام لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ بضمتين اختلفوا
في ايهما ابلغ امرا او نكرا فقيل القتل هنا اوقع وهناك من قبيل فنكرا ابلغ وقيل هذا اهلاك
واحد وذاك اهلاك جماعة فامرا ابلغ وقال ابن عطية وعندي ان امرا افظع واهول من حيث

هو متوقع عظيم ونكرا ابين في الفساد لان مكروهه قد وقع ومن غفل عن هذا قال ولعل تغيير النظم
بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستانفا وفي الثانية جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه
جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فالوجه في
التغيير ما ذكره فيه من ان تعقيب القتل للقاء دون الخرق للركوب اقتضى ذلك قال
الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا في زيادة لك مكافحة بالعتاب زجرا واغلاظا ليس
في الاول لان مواقعة السؤال ثانية بعد التقدم اليه في ترك السؤال والاعتذار بالنسيان
اشنع واقطع في مخالفة ما كان اخذ على نفسه من الصبر وعدم العصيان قال ان
سألتك عن شيء بعدها بعد هذه المرة او هذه المسئلة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك وقرئ
فلا تصحبني قال الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا نتركني
اي بلغت من قبلي مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف
النون وضم الدال وبالتخفيف والسكون وفتح اللام وبضم اللام وسكون الدال
وقرئ عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية بجزيرة الاندلس روي ذلك
عن ابي هريرة رض وقيل بالجزيرة الخضراء وقيل انها برقة واما ما قيل انها انطاكية وما قيل انها
الابلة بصرة فيبنيان معا على ان يكون مجمع البحرين بحر فارس والروم وفيه ما فيه وقيل انها باجروان
وان ارمينيه وذلك على ما قيل ان البحرين بحر الكر والرس استطعما اهلها الاستطعام سؤال
الطعام والمراد ههنا بقرينة آخر الكلام سؤال الضيافة والقرى اهلها كرر لفظ الاهل
تعظيما لهم ولان المراد من الاهل في الاول البعض كما هو المتبادر المعتاد والمراد منه في
الثاني الكل فكان المناسب اعادته باسمه الظاهر لان الظاهر من الضمير عوده على ما
ذكر اولا بعينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لئاما فطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
وقرئ ان يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه
هذا حقيقة الكلام ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والاطعام وبهذا المعنى انطبق مقتضى
المقام فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض الانقضاض السقوط بسرعة وانقض انفعل مطاوع ٤٩
قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة
من انقاصت السن اذا انشقت طولا والارادة مستعارة للمشارفة كالهم والعزم فاقامه
ذكر في الحديث المار ذكره انه قال بيده اي اشار اليه بها فاقامه وهو الاشبه بسائر افعاله قال
لو شئت لاتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ

لتخذت

لتخذت اي لاخذت واختلفوا في اظهار الدال وادغامها عليه اجرا كانت الحال حال اضطرار
وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما
اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال ذلك وبما قررناه
تبين وجه تقديم بيان استطعامهما عن اهل القرية وابائهم عن التضييف قال هذا فراق
بيني وبينك اي هذا الاعتراض الاخير سبب فراقنا لكم كما شرطت على نفسك واضافة الفراق
الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل وتكريره بالاضافة الى احدهما
مرة والى الآخر اخرى مع كفاية بيننا لمعنى التاكيد قاله سيبويه وقال ابن عباس رض كان
قول موسى عليه السلام في السفينة والغلام لله تعالى فلم يكن سببا للفراق وكان قوله في الجدار لنفسه في
طلب شيء من الدنيا فكان سببا له سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
ساخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا او غير مناسب للحال بحسب الظاهر
والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لقوم ضعفاء لعدم طاقتهم البدنية كالزمانة
والعمى والخرس او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او خطب
مسكين مرحمة لحاله وشفقة عليه فلا دلالة فيه على ان المسكين يطلق على من يملك مالا اذا لم
يكفه يعملون في البحر قدمه مما يتعلق بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات
عيب متفرع على كون السفينة للمساكين وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع ومجيئه
بالواو كثير في القرآن منها قوله تعالى وكان الانسان كفورا فجعل هذا نظم الكلام في غاية
الحسن ومن لم يتنبه له تكلف في توجيهه وكان وراءهم امامهم وقد قرئ به او خلفهم
وكان رجوعهم اليه ملك ياخذ كل سفينة صحيحة صالحة وقد قرئ بكل منهما غصبا
من صاحبها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما
طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه ويلحق بهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره
فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ وكافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا
بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان او يمالئانه اي يعاوناه على طغيانه وكفره حبا وانما خشي
ذلك لان الله تعالى اعلمه وقرئ فخاف ربك اي كره كراهة من خاف سوء عاقبة وقيل
ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قوله تعالى ولا يلائمه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما
بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما الرحم
والرحمة مصدران كالكثر والكثرة اي رحمة وعطفا على والديه وقرئ رحما بالتخفيف و
انتصابه على التمييز وافعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام الكافر لا زكاة فيه

والمناسب للمقام ان لا يكون فيه رجحا ايضا على ان التفضيل بين الشيئين بحمل احدهما على التفضيل دون الآخر
لا يخلو عن نوع خلل في حسن النظم واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة
قبلها وكان تحته كنز لهما من كل مال مذخور من ذهب وفضة وروي مرفوعا انه كان من
ذهبا وفضة وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على
انه كان للاب الصالح حتى يحتاج الى الاعتذار بان الكنز المذموم ما لا يؤدى زكوته
وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما قيل كان بينهما وبين
الاب الصالح سبعة آباء فاراد ربك ان يبلغا اشدهما قوتهما قال
الجوهري هو ما بين ثماني عشرة الى ثلثين والمراد الادراك الى قوة الرأي لا الى الحلم
ويستخرجا كنزهما بعد اراد الله تع بقاء ذلك المال مدفونا محفوظا عن ايدي المتغلب
الى زمان بلوغهما مبلغ الرجال الكاملين في الرأي القادرين على استخراج الكنز صالحا
عن تعدي الغير فان الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير لا يقدرون على ذلك
اسند الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى نفسه والى الله
لان التبديل بمباشرته اهلاك الغلام وخلق الله تع البدل وثالثا الى الله
وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين اشدهما ولان الاول شر والثالث خير
والثاني ممتزج وكذا ان نقول في اضافة الفعل الى نفسه على صيغة الانفراد نوع قصور
في مراعاة ادب الكلام فلا يلتزم الا لعلة وهي موجودة في الاول ومفقودة في الثاني
ولا مجال للاضافة الى نفسه في الثالث وتلك العلة صون جناب الحق ان يجري
اليه ما هو شر ظاهرا **رحمة من ربك** نعمة منه وهي المال الحاصل بالسهولة الواصل
الى صاحبه بلا كلفة الكسب وانتصابه على الحال وقيل مفعول له على ان الرحمة
بمعنى المال التابع او مصدر منصوب باراد ربك لانه بمعنى رحمهما واما تعلقه بمحذوف
تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا يلائمه قوله **وما فعلته** ما فعلت ما رأيته
عن امري عن رأيي انما فعلته بامر الله تع **ذلك تأويل ما لم تسطع عليه** اصله
تستطع فحذف التاء تخفيفا **ويسألونك** اليهود امتحانا او مشركو مكة **عن ذي**
القرنين هو اسكندر الملك اليوناني المقدوني وتلقيبه بذي القرنين لما روي
مرفوعا انه ملك قرني الدنيا شرقها وغربها قال الشاعر وهو التبع اليماني قد كان
ذو القرنين جدي مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغارب يبتغي
اسباب امر من حكيم مرشد وما قيل ان اسكندر الرومي ملك فارس والروم مردود

بانه تلميذ ارسطو ومذهبه مذهب الفلاسفة وذو القرنين هذا لا شبهة في اسلامه وولايته انما الخلاف
في نبوته قال القرطبي والظاهر من علم الاخبار ان اسكندرا اثنان احدهما كان على عهد
ابرهيم عم وهو الذي قضى لحبرى تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والآخر كان قريبا من
عهد عيسى عم **قل** في جوابهم **سأتلوا عليكم منه** من ذي القرنين **ذكرا** خبرا **انا مكنا له في الارض**
اي اعطيناه التمكين فيها وزيادة اللام للاختصاص **وآتيناه من كل شيء** من مهمات الملك
سببا اصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض **فأتبع سببا**
الفاء فصيحة تقديره الكلام اراد بلوغ المغرب فاتبع طريقا يوصله اليه حتى بلغ وقرئ
بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة اي
كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء من حمئت البئر حمأ بالتحريك اذا كثرت حمأتها وقرئ
حامية اي حارة وقيل لا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او يكون حامية
من الحمأة خففت الهمزة وقلبت ياء لانكسار ما قبلها ويأبى عن ذلك ما جرى بين ابن عباس
ومعاوية رض وتفصيله على ما ذكره القرطبي ان ابن عباس رض قال اقرأنيها ابي كما اقرأه
رسول الله عم في عين حمئة وقال معاوية رض هي حامية فقال عبدالله بن عمرو بن العاص رض
وانا مع امير المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التورية فقال
اجدها تغرب في عين سوداء فوافق ابن عباس رض فانه على تقدير التوفيق بين القراءتين على
احد الوجهين المذكورين لا يتمشى الخلاف المذكور وفيه تجهيل لهؤلاء الاعلام وما ذكره الفاضل [illegible]
انه انتهى الى الشمس غربا وشرقا حتى وصل جرمها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق
بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيونها بل هي اكبر منها اضعافا مضاعفة مبناه
على اصول فلسفية لا تعويل عليها ومنهم من تعوج وقال لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك
اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب ويرد عليه ان
الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى على ما ذكره لقيل رآها تغرب ثم ان في اطلاق العين
على البحر المحيط ما لا يخفى على ذي بصيرة **ووجد عندها** عند تلك العين **قوما** كانوا كفارا فخيره
فيهم بين الامرين **قلنا يا ذا القرنين** من قال انه كان نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن انكره
قال كان الخطاب على لسان نبي في عهده واحتمال الالهام لا يجدي لان الدعوة الى الحق
لا يكون الا من نبي او نائبه **اما ان تعذب** بالقتل على الكفر **واما ان تتخذ فيهم** لم يقل لهم
ولا دلالة على النبوة والاستقرار **حسنا** اتخاذ الحسنى فيهم دعوتهم الى الله تع وتوحيده
وما قيل خيره الله تع بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل يأباه قوله

اما من ظلم الى آخره لانه دل على انه آثر الدعوة وقد كان في التخيير بلفظ اما ان تتخذ فيهم حسنى واضمار
متعلق التعذيب مع اظهار متعلق الحسنى ايماء الى ترجيح الثاني الآخر فتعيينه لا وآخر ما يجوز
بالايثار **قال اما من ظلم** اما من دعوته فظلم نفسه بعدم قبول الدعوة والاستمرار على
الكفر **فسوف نعذبه** اي بحرف التسويف اشعارا بما يتخلل بين اختيارهم عدم قبول الدعوة
وتعذيبهم بالقتل من الامهال بتكرار الدعوة اظهارا للاصرار منهم على الكفر وبنون العظمة
في نعذبه على عادة الملوك في قولهم نحن فعلنا **ثم يرد الى ربه** كان خطابه لاتباعه فانه في
تأخيره بين الامرين المذكورين اعلم بذلك اتباعه ثم فصل مخاطبا لهم للربوبية والا لقال
ثم يرد اليك **فيعذبه** في الآخرة **عذابا نكرا** عذابا منكرا لم يعهد مثله **واما من آمن وعمل**
صالحا ما يقتضيه الايمان **فله** في الدارين **جزاء الحسنى** جزاء الفعلة الحسنى وقرئ
منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر
منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ
والخبر **وسنقول له من امرنا** مما نأمر به **يسرا** قولا ذا يسر وقرئ بضمتين قيل ويجوز
ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب ونداؤه بتصدير الجواب باما التفصيلية لانه
يستدعي سبق الاجمال وعلمها ذكر لا اجالة في الكلام التابع **ثم اتبع سببا** ثم اتبع
طريقا آخر وهو الذي يوصله الى المشرق وقرئ بقطع الالف مخففة التاء **حتى**
اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي يطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض
وقرئ بفتح اللام قال الجوهري والمطلع والمطلع ايضا موضع طلوعها فلا حاجة
الى اضمار مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون بها
عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر ولا ماوى ولا لهم ثوب يسترهم فاذا اطلعت عليهم
الشمس دخلوا في الاسراب وقيل في النهر فاذا ارتفعت عنهم خرجوا الى معايشهم **كذلك**
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او لم نجعل لهم من
دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من
كل جنس والثياب من كل صنف **وقد احطنا بما لديه** من العدد والعدد **خبرا** تكثير
كذلك يعني ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير **ثم اتبع سببا** ثم
اتبع طريقا آخر وهو المعترض بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال **حتى اذا**
بلغ بين السدين مما على ما ذكره وهما جبلان منيفان في السماء املسان يلزق عليهما كل شيء

وانما سميا سدين لسدهما فجاج الارض وكانت بينهما فجوة يلج فيها يأجوج ومأجوج وهذا المكان
في منقطع ارض الترك وما قيل هما جبلا ارمينية واذربيجان وهم وقرئ بين السدين بالضم
قال الكسائي هما لغتان كالمكث والمكث وقال ابو عمرو السد بالفتح الحاجز بينك وبين الشيء
وبالضم الغشاوة في العين ولهذا قال من قال ما كان من صنعة بني آدم فهو بالفتح وما كان
من صنع الله تعالى فهو بالضم وانتصب بين على انه مفعول به لانه من الظروف المتصرفة **وجد**
من دونهما قوما اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شيء **لا يكادون يفقهون قولا**
لا يفقهونه الا بجهد ومشقة فان زيادة يكاد قد تكون لافادة هذا المعنى كما في لا يكاد يبين
وذلك لقلة فطنتهم واما غرابة اللغة فلا تصلح علة لهذا وقرئ يفقهون اي لا يفهمون
السامع كلامهم او لا يبينونه الا بمشقة لغرابة لغتهم او لثقلتهم **قالوا يا ذا القرنين** دل
هذا الخطاب على انه لقب تعظيم وهو في المعنى الذي ذكرناه فيما سبق دون غيره من المعاني
المذكورة في التفاسير وقدرة ذي القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من جملة الاسباب التي
اتاه الله تعالى **ان يأجوج ومأجوج** قبيلتين من ولد يافث ممنوعا الصرف ولا دلالة
فيه على عجمتهما لوجود علتي احديهما التأنيث والعلمية وقرئا مهموزين قال الاخفش
من همز جعل الالف من الاصل كانه من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زايدة وقال
يأجوج من يجج ومأجوج من مجج وقال ابو علي ان همز يأجوج فهو من اجة النار
وان لم يهمز فيمكن ان يكون خففت الهمزة فقلبت الفا مثل راس واما مأجوج فهو
مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون على التخفيف وان يكون فاعولا من مج **مفسدون**
في الارض بالقتل والتخريب والاتلاف قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا
اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس **فهل نجعل لك** استفهام على جهة
حسن الادب **خرجا** جعلا نخرجه من اموالنا وقرئ خراجا قال اهل اللغة الخرج ما
يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل هما واحد كالنول والنوال **على ان**
تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم عن الخروج علينا وقرئ سدا بالفتح والضم قال
القرطبي قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال عكرمة وابو عمرو
وابو عبيدة ما كان بخلق الله تعالى ولم يشاركه فيه احد فهو بالضم وما كان من صنع البشر
فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقرأوا ههنا بالفتح وفيما سبق بالضم وهي قراءة
حمزة والكسائي انتهى والعجب ان الكسائي ينكر الفرق بينهما مع تحقق ان لا تخصيص
احدهما بموضع والآخر بموضع آخر وابو عمرو يعترف بالفرق وموجب التخصيص المذكور فكل

سنها اذا هو حق صاحبه قال ما مكني فيه ربي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والملك خير مما
تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه وقرئ مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اراد
معاونتهم بعمل اليد وقوة البدن والتخصيص بقوة العمل من ضعف الفطنة فكأنه قال
اذ رفعت عنكم مؤنة المعونة بالمال فاعينوني بخدمة بلا اجرة وهذا من تأييد الله تعالى له حيث
اثر ما هو ايسر في حقهم وانفع في حقه واسرع في قضاء الحاجة اجعل بينكم وبينهم ردما الردم
السد المتراكب من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد الزبر
بفتح الباء وضمها جمع زبرة وهي القطعة العظيمة ولا يلزم ان يكون من الحديد دل عليه قوله
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ولذلك قيده بالاضافة الى الحديد واعطاؤها من قبيل تحصيل الآلة
بالخدمة لانها مما يحصل بمجرد العمل فلا ينافي رده الخرج فلا حاجة الى صرف الاتياء عن معناه
الى معنى المناولة ولا دلالة على ذلك في قراءة ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني
والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير لانه ينافي معنى الاعطاء غايته لا يعينه حتى اذا ساوى
بين الصدفين والصدف منقطع الجبل المرتفع ذكره الجوهري وقرئ بضمتين وبالضم و
السكون وبفتح الاول وضم الثاني وبالفتح والسكون والكل بمعنى واحد قال انفخوا اي قال
زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله نارا اي جعل المنفوخ فيه كالنار بالاحماء قال
آتوني فيه القراءتان اللتان في ائتوني المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من
القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه اذ لو اعمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر في الثاني
على التصحيح فما اسطاعوا حذفت التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرئ بالادغام وهو على
غير حده اذ لا يصح الا ان يكون قبل الادغام متحرك او حرف مد ولين ولذلك قال ابو علي
هي غير جائزة وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه و
املاسه وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة
من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي اي فاذا جاء بحي يوم القيمة وشارف ان يأتي
تفريع على ذكر بمعنى لا كان وجوده رحمة يقدم عند انتهاء زمان الرحمة بانقضاء المستحق
لها جعله دكاء مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك
ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكا بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي
حقا كائنا لا محالة وهو آخر القصة وتركنا جعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يضطرب
في بعض يختلطون انسهم وجنهم حيارى ولعله ونفخ في الصور هذه النفخة نفخة الانشاء

لا نفخة الافناء دل على ذلك الفاء التعقيبية في قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وما هو لقيام الساعة
انما هو نفخة الافناء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها لهم عرضا اشارة بتنكيره الى
خروجه عن حد التعريف والبيان الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي
ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لفرط
صممهم عن الحق وهذا ابلغ من اثبات الصمم لهم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح
افحسب الذين كفروا افظن الذين كفروا وقد قرئ كذلك ابن مسعود وهو معطوف على
قوله كانت وكانوا دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليه همزة
الانكار ذما على ذلك وقطعا له عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال الموجب
للذم وقوله الذين كفروا من وضع الظاهر مقام المضمر زيادة للذم ان يتخذوا عبادي
هم من عبد من الملائكة والمسيح وعزير من دوني اولياء بمعنى انهم لا يكونون اولياء
كما حكي عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم
ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان النعت اذا اعتمد الهمزة
ساوى الفعل في العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استيناف لبيان خطاء حسبانهم
وفي جعل جهنم نزلا لهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف تهكم بهم وتنبيه على ان لهم وراءها
من العذاب ما تستحقر ويستلذ جهنم بالنسبة اليه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع
وبطل لكفرهم وانكارهم الحشر قيل هم الخوارج اهل حروراء وقيل هم الرهبان اصحاب
الصوامع ويردهما قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا اذ ليس منهما من يكفر بلقاء
الله تعالى والبعث والنشر ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على
الوصف او على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم و
اعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله المنصوبة على التوحيد
والنبوة او بالقرآن ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم
فلا ينتفعون بها لا بنيل الثواب ولا بتخفيف العذاب فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فلا نضع لهم ميزانا يوزن اعمالهم لانحباطها وقيل فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
ويرد عليه ان حقه حينئذ ان يعطف بالواو عطف احد التعبيرين على الآخر لان مبناه الازدراء
بهم كفرهم بآيات الله تعالى ولقائه لا حبوط اعمالهم ذلك اي الامر ذلك وقوله جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم

ﻫ اوجزاؤهم بدله وجهنم خبره اوجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي
ورسلي هزوا اي بسبب ذلك وقد تقدم تفسير الهزؤ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا قدم معنى النزل
وما فيه من التنبيه والفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قاله الزجاج وروي
مرفوعا انه اوسط الجنة واعلاها خالدين فيها نصبه على الحال ولما كان ما ذكر في سابق
تقديره نعم لم يحتج ههنا الى تقدير لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون عنها التحول اذ لا مزيد
عليها حتى تنازعهم اليه انفسهم بل فيها جميع ما تشتهي انفسهم وهذه غاية الوصف والحول
التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهري وفيه تأكيد الخلود لانهم
اذا لم يريدوا الانتقال عنها لا ينقلون لعدم الاكراه فيها قل لو كان البحر مدادا هو
في الاصل الجائي شيئا بعد شيء على اتصال وصار اسما للكل ما يمد به الشيء على العموم والمراد
ههنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لكلمات ربي لكتابة علمه وحكمته لنفد البحر
لنفد جنس البحر اي لم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد قرئ بالتاء والياء كلمات
ربي لعدم تناهيها وفي نفاده قبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده ولذلك
يقع الطلاق الواحد اذا قال لغير المدخول بها انت طالق واحدة قبل واحدة ولو
جئنا بمثله مددا اي بمثل البحر الموجود مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ضرورة
ان كل ما يدخل تحت الوجود متناه المقدار فلا بد من نفاده بخلاف ما لا نهاية له فانه
يستحيل نفاده ومددا تمييز وهو مثل المداد وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة
وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ بمثله مدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا
في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
في العجز عن الاحاطة على كلماته الا اني افارقكم بنزول الوحي علي وبعض الاحاطة بسببه
يوحى الي انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بقولهم عزير ابن
الله ثم حض على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع الخير في
المستقبل وهو الطمع ايضا لكنه يستعمل في الامور المحمودة وفرقوا بين الرجاء و
الاغترار بان الرجاء يكون لمن مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اهملها والمراد
من لقاء الله كرامته وتقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغني
عن هذا التجوز وهذا يغني عنه فليعمل عملا صالحا لائقا لذلك الرجاء ولا يشرك

بعباده

بعبادة ربه احدا قال ابن جبير لا يرائي في عمله ولا يبتغي الا وجه ربه خالصا لا يخلط بغيره
روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا
اطلع عليه سرني فقال ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام
وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصة العلم والعمل وهما
التوحيد والاخلاص في الطاعة وقرئ ولا تشرك بالتاء
التفاتا من الغيبة الى الخطاب ثم عاد الى
الالتفات من الخطاب الى الغيبة
والله تعالى اعلم بالحقيقة
والصواب واليه
المرجع والمآب
م

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

كهيعص ذكر رحمة ربك خبر محذوف اي هذا ذكر او خبره محذوف اي فيما يتلى عليك ذكر وقرئ ذكّر مشدداً على الماضي من التذكير ونصب رحمة اي هذا المتلو ذكّر رحمة ربك وذكر على الامر وهذا اصح في عدم اتصاله بما قبله فالوجه ان يعرب البا[قي] فتوقفوا فيها لهذا لانه الاصل في القرآات النوافق عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ ظرف للرحمة للدلالة على ان وقت نداءه هو وقت رحمة ربه لم يتخلف عنه نادى ربه النداء قد يستعمل في مطلق الخطاب كما في قوله نوديناها من تحتها فلا ينافي قوله نداء خفيا بين الصفة والموصوف اي دعاه دعاءً سراً لان الاسرار والجهر عند الله سيان وعند الاكرام ابعد عن الريا واقرب الى الصفا او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر فانه كان تجاوز الى حد الهرم على ما دل عليه قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال رب اني استيناف لتفسير النداء وهن العظم الوهن الضعف وقرئ وهن بالحركات الثلث وخصص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه فتطرق الضعف اليه موجب لتطرقه الى كل البدن ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس ولو جمع لكان قصداً الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها وذلك ليس بمقصود اجيب المسافة ومازاد على المقصود يعد لكنة وفضولا ولما اقتضى المقام تعريف الحقيقة في العظم دون الرأس احتيج الى زيادة قوله مني دون قوله هنا واشتعل الرأس شيبا اي استولى الضعف على الباطن والظاهر وذكرهما بزيد الدعاء توكيداً لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته والتبري عن الاسباب الظاهرة شبه الشيب بشواظ النار لا في بياضه وانارته فقط بل فيهما وفي ان النار كما تشتعل في الجسم وتسري فيه حتى تحيله الى غير حاله المتقدم كذلك الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى تحيله الى غير لونه الاول وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه ولا بد في التشبيه الثاني من اعتبار معنى السرعة في وجه الشبه اذ به يعلم كون الشيب في وقته فيتم الكناية عن المعنى المراد وهو الدخول في سن الشيخوخة فان الشيب قد يأخذ من الرأس كل مأخذ قبل ذلك الا انه يكون على تدريج ومهل ثم اخرج الاول مخرج الاستعارة المكنية والثاني مخرج الاستعارة التصريحية واصل الكلام اشتعل الشيب في الرأس

لا اشتعل شيب الشعر في الرأس لان الغيب مخالطة الشعر الابيض بالاسود فهذه تلك المرتبة التي ابلغ منها من جهات احدها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال وثانيها الاجمال والتفصيل في طريق التمييز وثالثها تنكير شيبا لافادة التعظيم والاكتفاء باللام عن الاضافة لا اعتمادا على علم المخاطب والالما ذكر مني فيما سبق بل اعتمادا على ان المتبادر من العطف على المبتدا اعتبار التقييد فيه ولم اكن بدعائك رب شقيا اي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها يعني انه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه فيما ذكر تذكر لعادات تفضله في اجابة ادعيته وتوسل به وذلك نعم الوسيلة وتحسين الظن بالاجابة فان له تاثيرا فيها قال تعالى انا عند ظن عبدي بي واني خفت الموالي الموالي ابن العم والعصبة وجمعه الموالي من ورائي قال ابو عبيدة اي من جهة الموت الذي هو قدامي قال الشاعر

اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

كانه لم تر فيهم من الخلال ما يصلحون به للقيام مقامه في الدين وقرئ خفت وتعلق الظرف به ظاهر يعني انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد وكانت امرأتي عاقرا العاقر التي لا تلد لكبر سنها وفي عبارة كانت دلالة على انها استمرت مدة على تلك الحالة والظاهر من تقديم هذا القول انه اراد منها الولد وقدمت وجه ذلك في سورة آل عمران ويناسب هذا ان يكون المراد من يعقوب ابا امرأته فهب لي من لدنك اختراعا منك بلا سبب لاني وامرأتي لا تصلح للولادة وليا ابنا يلي امرك بعدي يرثني ويرث قرئ برفعها صفة لوليا اي هب لي ولدا وارثا مني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمها على انه جواب للدعاء ورد ابو عبيدة قراءة الجزم وقال لان معناه ان وهبت ورث وكيف يخبر الله بهذا وهو اعلم من آل يعقوب يعقوب بن ماثان اخو عمران ابو مريم وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لا لصغره لانه لا يناسب المقام بل للمدح كقول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا مرضيا اخلاقه وافعاله او راضيا عنك وعملك يا زكريا اي فاستجبنا دعاءه وقلنا يا زكريا دل على ذلك قوله في سورة الانبياء فاستجبنا له ووهبنا له يحيى انا نبشرك كانت البشارة بواسطة الملك

على ما نص عليه في سورة آل عمران **بغلام** فيه بشارة بثلثة امور الولد وكونه ذكرا وبلوغه الحلم واخلف
في بقايه بعد ابيه والظاهر من قوله تعالى فاستجبنا له انه بقي بعده **اسمه يحيى** تولى الله تعالى تسميته
تشريفا له **لم نجعل له من قبل سميا** لم نسم بيحيى احدا قبله وفيه دلالة على ان في التخصيص
باسم مستحق وقد سبق معنى يحيى وبيان اشتقاقه قال زكريا **رب انى يكون لي غلام** استفهام
تعجبي يدل على التصديق بوقوع المخبر به والاعتراف بكمال قدرته عليه لان التعجب انما
ينشأ من استغراب مقارن للتصديق يقتضي الاستخبار انه بولدهما على هذه الحالة
او بعد الاحالة فاندفع ما قيل لم استبعدوا واستعجب واجيب بانه ليجاب بما اجيب
فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المطلوب وليت شعري من المراد من الموقنين و
المبطلين وقد كان دعاؤه مخفيا عن الغير ثم انه فهم من البشارة المذكورة انه يرى
بلوغ يحيى او ان الحلم فازداد به التعجب ولهذا قال انى يكون لي غلام دون انى يكون
لي ولد وانه يولد من امرأته التي تطلب الولد منها ولهذا قال **وكانت امرأتي عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا** هو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاسي
من اجل الكبر والطعن في السن العالية قال الملك المبلغ للبشارة تصديقا له
كذلك الامر كذلك قال ربك هو علي هين اي بان ارد عليك قوة الجماع وافتق
رحم امرأتك للعلوق وقرئ وهو علي هين على العطف على محذوف اي افعله وهو علي
هين وقد خلقتك ارادة خلق مادة لا خلق صورة لانه عن شيء فلا يناسب المساق
والمحال ولهذا قال من قبل خلقك بشرا ولم تك حينئذ شيئا بل كنت لا شيئا صرفا وفيه
تعريض للخلافية المشهورة قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها انه علق او زيد في الشكر
ودعاء السلامة قال آيتك الا تكلم الناس علامتك ان تمنع من كلام الناس دون ذكر الله ثلث
ليال ولا ذكر الليالي هنا والايام في سورة آل عمران على ان المنع من كلام الناس استمر
ثلثة ايام ولياليهن للتجرد للذكر والشكر سويا حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك
خرس ولا بكم فخرج مشرفا على قومه من المحراب اي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا
فيه بامره على العادة فاوحى فاشار اليهم لقوله الا رمزا ان سبحوا اصلوا وانزهوا في الفترة
بكرة وعشيا طرفي النهار يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد اخذه وقوله
وكونه اخذه بقوة العمل به كما هو حقه وآتيناه الحكم يعني التورية صبيا قبل دعاه
الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا شفقة ورحمة للناس وانما قال من لدنا
مع الكل من عند الله للدلالة على ان شفقته كانت زايدة على ما في جبلة الناس خارجة
انتم

عن المعتاد **وزكوة** وطهارة من الذنوب فلم يعد بذنب **وكان تقيا** مستمرا على الاطاعة والتجنب عن المعاصي
وبرا بوالديه اي محسنا اليهما الغاية **ولم يكن جبارا عصيا** الجبار الذي يعاقب على غضب
نفسه لا على استحقاق الجاني قال تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين والعصي المبالغ في العصيان
وهو مخالفة الامر كان الظاهر المبالغة في النفي دون المنفي والعدول عنه للاشعار بان شأن
النفوس القوية البلوغ الى الغاية في كل صفة تتصف بها ممدوحة كانت او مذمومة **وسلام
عليه** تحية من الله تعالى **يوم ولد** اي هنا بصيغة الماضي وفي قوله **ويوم يموت** بصيغة المضارع
لان مساق الكلام بعد ولادته وقبل موته **ويوم يبعث** مطلق البعث به يعم ما في القبر
ح لا يطلق عليه الحي فقوله **حيا** لتعيين بعث الآخرة وحشرها يكون الخلق في ثلثة مواطن يوم ولد و
يوم يموت ويوم يبعث حيا فآت ثلثة لا نجاة اعظم منها وحيي ابن يحيى بالسلام في هذا
المواطن العظام **واذكر في الكتاب** اي القرآن **مريم** يعني قصتها **اذ** ظرف لمضاف مقدر
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية وتقديره واذكر مريم انتباذها على ان انتباذها بدل مريم واما
ما قيل انه بدل من قصة مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل
الكل لان المراد من الظرف الامر الواقع فيه فلا يرد عليه ان الزمان اذا لم يكن خبرا عن
الجثة ولا حالا منها ولا وصفا لها لا يكون بدلا منها **انتبذت** اي انفردت وقعدت
نبذا اي ناحية وهذا اذا جلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيئا وصل اليه ولذلك اضاف
الى ضرب السير بينها وبينهم ويرشد الى هذا قوله من دونهم **من اهلها مكانا** انتصابه
على تضمين الانتباذ معنى الاتيان او على الاتساع **شرقيا** شرقي بيت المقدس او شرقي
دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة **فاتخذت من دونهم حجابا** اي سترا
تسترها عن اهلها بدلالة قوله من دونهم فقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض
فاحتجبت بشيء يسترها **فارسلنا اليها روحنا** اي جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف
فتمثل لها اي تصور لمريم **بشرا سويا** معتدل الخلق حسن الصورة وانما مثل كذلك لا
لا لتستأنس بكلامه ويهيج شهوتها فتحدر نطفتها الى رحمها اذ لا يكون مثله كمثل
آدم عليه السلام في الخلق بلا واسطة نطفة بل لئلا تنفر عنه فتسمع كلامه وتبتلى به فلما عفتها
ولما رأت رجلا قد دخل عليها بغاية في الخلق ظنت انه يريدها بسوء وعلمت انها لا تقدر
على دفع ذلك بنفسها فاستعاذت بالله **قالت اني اعوذ بالرحمن منك** استيناف
على تقدير سؤال وفي ذكر الرحمن تذكير لنعم الجزاء فانه تعالى رحيم الدنيا ورحمن الآخرة **ان
كنت تقيا** تتقي الله وتخشاه فلا تتعرض بي حذف الجزاء لدلالة الحال عليه وهذا كقول القائل

ان كنت مؤمنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم قال انما انا رسول
ربك في عبارة الرسول اشارة الى ان تتوسطه في الخير دون الاثر واتى بالرب مضافا اليها
لنوع من الدلالة في اول الكلام على ان الرسالة لايصال النعمة والاحسان الخاص بها
من بين العباد ولما كان مفهوم الخبر باعتبار هذا المعنى مظنة الاستبعاد اكده بانما لاهب لك
حكاية لقول الله تعالى ويدل على ذلك قراءة ليهب بالياء ويناسبه وصف الرسالة وفي عبارة
الهبة اشارة الى ان ما اعطي لها يصل اليها بسهولة غلاما قدمه لانه من وجوه البشارة
زكيا طاهرا من الادناس او ناميا على الخير والبركة قالت انى كيف يكون لي غلام ولد ولم
يمسسني بشر يعني ان المس المقابل به البغي عبارة عن النكاح الحلال ولم اك بغيا فاجرة تبغي
الرجال اي تطلب الشهوة من اي رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين والبغي فعول
فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت الغين اتباعا فلذلك لم يلحقه تاء التانيث او فعيل ولم يلحقها
الهاء لانها بمعنى مفعول وان كان بمعنى فاعل فهو قد يشبه به نحو ملحفة جديد قال كذلك
الامر كذلك من خلق غلام منك بغير اب قال ربك هو علي هين اي اعطاء الولد
بلا اب علي سهل ولنجعله تعليل لمعلله محذوف اي وفعلنا ذلك لنجعله آية للناس
علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان خلقه
امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها
فوصلت النفخة الى بطنها فحملته اي الموهوب فانتبذت به اي فاعتزلت به وهو في
بطنها والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها فاجاءها
فجاء بها ذكره الجوهري وقيل الجأها وهو منقول عن جاء الا ان استعماله قد تغير بعد
النقل الى معنى الالجاء ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في معنى الاعطاء وفي نظيره قال
الجوهري واتاه اي اتى به ومنه قوله تعالى آتنا غداءنا اي ائتنا به المخاض وقرئ بالكسر
وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك في بطنها للخروج الى جذع النخلة كانها طلبت شيئا
تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة
التي لا سعف عليها ولا غصن ولعل الله الهمها ذلك ليريها من آياتها ما تسكن روعتها و
يطعمها الرطب الذي هو طعام النفساء والتعريف للجنس ولا مساغ للعهد لان شرطه
ان يكون معروفا عند المخاطب وهو مفقود هنا قالت يا ليتني مت قبل هذا ليس تمني
الموت لما عرضها من شدة وجع الطلق اذ لا ما صح الى قوله وكنت نسيا منسيا
بل لانها خافت ان يقع قومها بسببها في البهتان والنسبة الى الزنا وتمني الموت من جهة الدين جائز

وقرئ نسيا بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر وهو الشيء المتروك لا يذكر كالمنسي وقيل ما شانه ان ينسى
ولا يطلب كالذبح لما يذبح وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم للنسي المتروك كالقتر والقتر
فناداها كانت المناداة مخاطبة لها بعصمة قراءة فخاطبها من تحتها وهو جبريل لانه كان
منخفضا عنها او كان منها بمنزلة القابلة وعيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها وقرئ بالكسر والفاعل
مضمر وهو عيسى او جبريل على ان الهاء في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا جدولا هكذا روي مرفوعا قال ابن عباس كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فاجرى الله
لها والنهر يسمى سريا لان الماء يسري فيه فان قلت ما تقول في قول الحسن سيدا من السرو
يعني عيسى عليه السلام قلت ليس بقول حسن لانه يخالف للتفسير المرفوع وفي المثل اذا جاء نهر
الله بطل نهر معقل وهزي اليك الهز تحريك مخصوص تتبعه الحركتان المتدافعتان الى
الجهتين المتقابلتين وتعديته بالى لتضمنه معنى المد وفائدة التوطئة لما قصد بقوله عليك
فان الهز اذا لم يكن بالمد لا يكون سقوط الثمر على الهاز والباء في قوله بجذع النخلة متعلق
بالظرف الثابت اقتضاء تساقط عليك في تساقط تسع قراءات تساقط بادغام التاء
وتتساقط بالفك وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط
وتسقط ويسقط بالتاء والياء من اسقط وتسقط ويسقط من سقط بالتاء للنخلة
والياء للجذع او للهز رطبا تمييز او مفعول جنيا اي مجتنى وهو الطري بعبارة البالغ
نهاية النضج فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا بالولد الرضي وعينا تمييز
اي طيبي نفسا بعيسى عليه السلام وارفضي عنك ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد
واشتقاقه من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال
قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه او من القرار فان العين اذا رات ما يسر
النفس سكنت اليه من النظر الى غيره فاما اصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما و
ادغمت فيها ترين من البشر احدا اي فان رايت آدميا يسالك عن حالك فقولي اني
نذرت للرحمن صوما معنى امساكا عن الكلام اي صمتا وقد قرئ به وكانوا يصومون
عن الكلام كما يصومون عن الطعام وقيل صياما حقيقة وكان صومهم فيه الصمت وانما
امرت به لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وانما
اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ويجوز ان يكون اخباره
به قوله فلن اكلم اليوم انسيا قيل دخول اليوم اي لا اكلم آدميا وانما اكلم الملائكة وذلك
ان العدول من آدميا الى انسيا ليفيد بدلالة المفهوم هذه الفائدة ويخرج فيه معنى كرامة اخرى

وهي نفخة منزلتها فأتت به بعيسى والباء للتعدية كما ذهب به لا بمعنى مع ولو تمّ قومها بعدما طهرت
من نفاسها تحمله حال منها فلما رأوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا والفري القطع
كأنه يقطع العادة يا أخت هارون كان أخاها من أبيها ومن أفضل بني اسرائيل ما كان أبوك امرأ
سوء زانيا وما كانت أمك حنة بغيا زانية تقريع لها بما جاءت به وتنبيه على أن الفواحش
من أولاد الصالحين أفحش فأشارت إليه إلى عيسى أي كلّموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد
المعهود صبيا حال معناه أنه كان من أهل المهد وإن لم يكن في تلك الحالة في المهد كما يقال
صبي يرتضع وإن كان لا يرتضع حالة الإخبار عنه ولهذا زيدت لفظ كان للتأكيد قال إني عبد
الله لما سكتت بأمر الله يعني لسانها النا لمح أنطق الله لها لسانها آتاني الكتاب
الإنجيل وجعلني نبيا عن الحسن أنه كان في المهد نبيا وكلامه معجزة وقيل معناه أن ذلك سبق
في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد وجعلني مباركا أينما كنت نفاعا حيث كنت أو
معلما للخير المبارك الذي ينمي الخير به وأوصاني بالصلاة والزكاة لما كان الأمر بهما موصلا عبر عنه
بالتوصية فإن الوصية التقدم في الأمر الذي يكون بعدما وقت له ما دمت حيا أي مدة
حياتي وبرا بوالدتي أي بارا بها وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به منصوب بفعل دل
عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيد قراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ولم يجعلني جبارا
قد سبق تفسيره شقيا عاصيا والسلام علي التعريف للجنس وفيه تعريض بضده على أعدائه
كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى يوم
ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قد سبق بيانه ذلك عيسى أي الذي تقدم نعته هو عيسى
لا ما يصفه النصارى أو اليهود وهو تكذيب للفريقين فيما يصفانه على الوجه الأبلغ والطريق
البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفانه ثم عكس الحكم ابن مريم نعت أو خبر ثان أي
لا نسبة له من جهة الأب ففيه رد لليهود في زعمهم أنه ابن يوسف النجار قول الحق صفة
عيسى أو خبر أو خبر آخر ومعناه كلمة الله لا نفسه ولا ابنه ولا إلٰه ففيه رد لزعم النصارى
وقد سبق وجه كونه كلمة في سورة آل عمران وقيل أو خبر محذوف المبتدأ أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق وقرئ بالنصب على المدح أو على المصدر أي أقول قول
الحق وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون أي في أمره يختلفون من المراء فقالت
اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله تفصيله وقرئ بالتاء على الخطاب والله أعلم
ما كان لله أي ليس من شأنه أن يتخذ من ولد من لتأكيد النفي سبحانه نزه ذاته عن
اتخاذ الولد إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت للنصارى بعد تكذيبهم بأن من أراد

شيئا أوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث وقرئ فيكون
بالنصب على الجواب وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قد مر تفسيره
في سورة آل عمران وقرئ بالفتح على ولأن أو على العطف على الصلاة فاختلف الأحزاب
الحزب الفرقة المنفردة برأيها وهم أربع فرق نسطورية ويعقوبية وإسرائيلية وملكانية من
بينهم من بين أصحاب عيسى عليه السلام حيث رفع ثم اتفقوا إلى أن يرجعوا إلى قول أربعة
كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وإسرائيل وملكاء فقال يعقوب هو الله
هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه
وقال إسرائيل الله إلٰه وهو إلٰه وأمه إلٰه وهم الإسرائيل ملوك النصارى وقال الرابع كذبوا
كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد قوم فويل للذين كفروا من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق
من مشهد يوم عظيم أي من شهودهم هول القيامة على أن المراد من اليوم الواقعة أسمع بهم
وأبصر الجمهور على أن لفظ أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف به ولكن المراد أن أسماعهم
وأبصارهم جدير بأن يتعجب منها بعدما كانوا صما عميا في الدنيا وبهم مرفوع المحل على الفاعلية
كأكرم بزيد جدا يوم يأتوننا أي يوم القيامة لكن الظالمون أقيم الظاهر مقام المضمر إشعارا
بأنهم ظلموا أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم اليوم في الدنيا
في ضلال مبين تسجيل على تركهم ذلك بأنهم ضلال بين وأنذرهم يوم الحسرة يوم القيامة
لأنه يتحسر الناس فيه المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ بدل من يوم الحسرة
أو ظرف للحسرة وهو مصدره قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة
والنار وهم في غفلة هنا عن الاهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به متعلق
بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بأنذر أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين
فيكون حالا متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها أي ننفرد بالملك
والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء وهذا يدل على فناء
الأرض أيضا قوله نحن نرث مبتدأ وخبر والجملة في محل الرفع خبر إن فلا يجوز أن يكون
نحن فصلا لأن نرث نكرة والفصل لا يقع إلا بين معرفتين أو قريبتين من المعرفة وإلينا
يرجعون أي يردون فيجازون جزاء وفاقا في محل الرفع بالعطف على نرث أو على
الجملة الاسمية واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا ملازما للصدق
كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته ويجوز أن يكون المبالغة
من جهة الكيف نبيا استنبأه الله تعالى إذ قال بدل من إبراهيم وما بينهما

لا ثلاثة كما توهموا

فالمراد من التبدل في قوله تبدل الأرض غير الأرض تبدل الذات

قد مر في اول السورة ما يتعلق بمثل هذا البدل

اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب
ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فالله
عز وجل هو ذاكره وهو دده في تنزيله لابيه يا ابت التاء عوض من ياء الاضافة
ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر المفعول فيهما منسي غير منوي ولا يغني عنك شيئا يحتمل ان يكون
شيئا في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء وان يكون مفعولا به من قولك اغن عني وجهك
تعد دعاه الى الهدى او بين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن
ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي يدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل
الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء
التام والانعام العام ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعله لغرض صحيح والشيء لو كان
حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل
القويم عن عبادته فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه
ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محفوظا من العلم الالهي مستقلا
بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا
سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه
كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه
عن النفع مستلزم للضر لانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه
الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه
بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان
للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق ان
يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا
قرينا في جهنم لان ولي لا يكاد ان يفترقا في محبوب او مكروه فجعله وليا في هذه
الحالة لما قلنا وان كانا متباغضين يومئذ كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين وانما قال يمسك دون يصيبك ليعلم ان
العذاب جسماني والتنكير فيه للتعظيم وقصد التقليل من عبارة المس
لا يناسب المقام ولا يساعد الكلام اما الاول فلان المقام مقام التخويف

فلاينا

فلا يناسبه التخفيف واما الثاني فلان المس مما يقصد به المبالغة في الاصابة
كما في قوله تعالى وقد مسني الكبر وذلك لان المس اتصال الشيء بالبشرة بتأثر
الحاسة وانما قال من الرحمن لان العذاب من مظنة الرحمن افظع واشنع وانما قال
اخاف رعاية لمقتضى شفقة البنوة قال اراغب الرغبة اجتلاب الشيء لما فيه
من العفة وتعديته بفي واذا تعدى بعن يفيد ضده انت عن آلهتي يا ابرهيم
قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه
ولم يقابل يا ابت بيا بني ولا تأثير فيه لتأخيره بل لو قدم لكان اشنع واوقع لان
المقام مقام العنف دون اللطف وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان اهم عنده
وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانه مما لا يرغب عنها
عاقل ثم هدده بقوله لئن لم تنته عن مقالتك فيها لارجمنك لاقتلنك بالرجام
او لاضربنك بها حتى تتباعد او لاشتمنك واهجرني عطف على محذوف يدل عليه
لارجمنك تقديره فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب
عني قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اجيبك
بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي وعده بطلب المغفرة
له من الله تعالى قبل لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر
استدعاء التوفيق لما يوجب الغفران وهو الايمان ويرد عليه انه لو كان كذلك لما كان
وعده هذا مستثنى عن القدوة الحسنة بقوله تعالى الا قول ابرهيم لاستغفرن
لك انه كان بي حفيا بليغا في البر واللطف واعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة
وما تدعون من دون الله وما تعبدون من اصنامكم وادعوا ربي واعبده وحده
ثم قال تواضعا وهضما للنفس وتنبيها على ان الاجابة والانابة تفضل غير واجب
وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب وتعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم عسى
ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله بالهجرة بالشام وهبنا له اسحق ولدا ويعقوب
نافلة اول ما وهب له اسمعيل عليه السلام على ما مر في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وانما خص اسحق بالذكر لانه شجرة الانبياء
عليهم السلام او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا اي كل واحد
منهما جعلنا نبيا اي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا ابرارا ووهبنا لهم

رد على القاضي في قوله اونا نبيا في صورة الانبياء

كانه نسي ما قدمه في تفسير قوله لن تمسنا النار في سورة البقرة

فالواو فصيحة في قوله واهجرني

رد لما يفهم خلاف هذا

من رحمتنا النبوة والاولاد والاموال وجعلنا لهم لسان صدق ثناءً حسنًا
وهو الصلوات على ابرهيم وعلى آل ابرهيم في الصلوات الى قيام الساعة استجابة لدعوته
واجعل لي لسان صدق في الآخرين عبّر باللسان عما يوجد به كما عبّر باليد عما يطلق
بها وهو العطية ووصفه بالصدق لانه ثناء حسن لا كذب فيه عليًّا
رفيعًا مشهورًا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصًا وقرئ بالفتح
اي اخلصه الله تعالى واصطفاه وبالكسر اي اخلص العبادة لله تعالى فهو مخلص
بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة
وكان رسولًا نبيًا ارسله الله تعالى الى الخلق فانباءهم عنه ولذلك
قدّم رسولًا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور هو جبل بين
مصر ومدين الايمن من ناحية اليمنى من اليمين والمعنى انه حين اقبل من مدين
يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام
بان تمثل له الكلام من تلك الجهة او جانبه الميمون من اليمن وقربناه تقريب منزلة
ومكانة دون منزل ومكان نجيا مناجيًا كنديم بمعنى منادم حال من احد الضميرين وقيل
مرتفعًا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم
ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا اخاه مفعول هرون عطف بيان او بدل نبيًا
حال من هرون اذ هي المقصود بالهبة اي وهبنا له نبوة اخيه والا فهرون كان اكبر منه
سنًّا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لشهرته به
واتصافه باشياء من هذا الباب لم تعهد من غيره وكان رسولًا نبيًا بعث بشرع ابيه
الى قوم دون قوم ابيه وهم جرهم فكان صاحب شريعة بالنظر اليهم لاختصاص شرع
ابيه بحسب دعوته لقومه وكان يأمر اهله امته فان الاهل يطلق على القوم كما في قوله
تعالى فانتبذت من اهلها بالصلوة والزكوة انما خصتا لانهما اما العبادات البدنية
والمالية وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب
ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد آدم عليهما السلام واول من خط بالقلم وخاط
اللباس ونظر في النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة
وقاتل بني قابيل واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه
في تلك اللغة قريبًا من ذلك فلقب لكثرة درسه اذ روى انه انزل عليه ثلثين صحيفة
انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه

فلا حاجة الى التكلف بان الانبياء آباء الامم تم

دفعه

رفعته الملائكة الى السماء الرابعة او السادسة وعن الحسن الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة
من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين
من للتبعيض لان المذكورين ليسوا مطلق المنعم عليهم بل الذين وقعوا اجزاء من اولئك وهم
بعض الانبياء من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية
من حملنا مع نوح خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية من حمل مع
نوح لا من ذريته والا لقيل ومما نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل اي ومن
ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى على ان اولاد البنات من الذرية
وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا من الانام للنبوة والكرامة
اذا تتلى عليهم آيات الرحمن اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف
ان جعلت الذين خبرا لاولئك لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة
في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وان جعلت صفة له كان خبرا وقرئ يتلى
بالياء لوجود الفاصل مع ان التأنيث غير حقيقي خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين
رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود جمع ساجد وقاعد فخلف من بعدهم خلف
فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها
اضاعوا الصلوة بتركها وقيل بتأخيرها عن وقتها ولا يناسبه الا من تاب وآمن لانه
صريح في حق الكفار واتبعوا الشهوات ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد
وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كل شر عند العرب غي وكل خير
رشاد الا من تاب رجع عن الكفر وآمن وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة
وقرئ على البناء للمفعول من ادخل دخول الجنة غير مشروط بالعمل الصالح وانما ذكر ذلك لقوله
ولا يظلمون اي ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم ويجوز ان
ينتصب شيئا على المصدر وفيه بيان ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات
بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف عدن معرفة لانه علم لمعنى العدن وهو الاقامة او هو علم الارض الجنة
لكونها مكان اقامة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده
اي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات لما سبق ذكرهم ولانه اضافهم
اليه وهو للاختصاص وهؤلاء اهل الاختصاص بالغيب بالوحي الى نبيه او وعدها وهي
غائبة عنهم او وهم غائبون عنها انه ضمير الشان او ضمير الرحمن كان وعده اي موعوده وهو

[illegible]

الجنة مأتيا اي يأتونها لا يسمعون فيها لغوا اللغو الشيء الساقط الذي لا يعتد به من الكلام
وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو وللساقط الذي لا يعتد به من
الايمان اليمين اللغو الا سلاما اي لكن يسمعون سلاما من الملائكة او من بعضهم على بعض
اولا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع
عند الجمهور وقيل متصل على تنزيل غير المحتمل منزلة المحتمل مبالغة في نفي اللغو يعني ان
مظنة سماع اللغو في حقهم على تقدير ان يكون السلام لغوا وذلك محال والمعلق على المحال
محال كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا لما كان اعدل احوال المطاعم وابعدها من الضرر هو الغداء
والعشاء عرفهم جل جلاله اعتدال احوال اهل الجنة في ماكلهم وضرب لهم البكرة والعشي
مثلا لذلك والا فلا بكرة ولا عشي ثمه ويجوز ان يراد بعض اكلها دايم اي لهم ذلك غير منقطع
وهذا كما يقول الرجل انا اصبح وامسي في ذكرك وبر فلان يغدو الي ويروح اي لا ينقطع
تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نجعله ميراث اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها او
نبقي الجنة كما يبقى المال الموروث على الوارث على استعارة الايراث في البقاء فان الوراثة
سبب للتمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد
واسقاط وقيل يورثون زيادة في كرامتهم المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا
لان الكفر موت حكما من كان تقيا عن الكفر وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل
حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تأخر الوحي اياما فقال المشركون لعل ربك نسيك يا جبرائيل
ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزل والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل و
معنى النزول على الاطلاق والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت
ليس الا بامر الله تعالى وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا نتنقل من مكان الى مكان او لا ننزل
في زمان دون زمان الا باذنه وما كان ربك نسيا اي ناسيا لك وانما كان ذلك لحكمة رآها فيه
وقد مر وجه ايثار صيغة المبالغة في تفسير قوله تعالى عصيا رب السموات والارض
وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه او خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر
لعبادته خطاب للرسول عليه السلام مرتب على ما تقدم اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان
ينساك فاثبت لاجل عبادته واصطبر على مشاقها ولا تضطرب بابطاء الوحي وهزء الكفرة
وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق

كقولك

كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فان العبادة مما اصطبر لها لا مما اصطبر عليها هل
تعلم له سميا احدا يسمى الله والاستفهام على سبيل الانكار وذلك كناية عن نفي استحقاق
الغير بالعبادة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد غيره يستحق العبادة لم يكن
بد من التسليم لامره والاشتغال لعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان
يعني أبي بن خلف فانه فت عظما وقال أنبعث بعد ان صرنا كذا فنزل ولا وجه لارادة
الجنس باسره اذ لا يحسن اسناد قول او فعل صدر عن بعض الى الكل الا اذا صدر
بمظاهرتهم او برضى منهم كما في قول الفرزدق * فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي
ورقاء عن رأس خالد * ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض وتقديم الظرف
وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء
انكارهم وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها
وهذه اللام اذا دخلت على المضارع تعطي معنى الحال وتوكيد مضمون الجملة فلما جامعت
حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانه
قال أحقا انا سنخرج من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه
الاستنكار والاستبعاد اولا يذكر الانسان عطف على محذوف تقديره أينكر قدرتنا
على الاعادة ولا يذكر وانما اظهر الفاعل اشعارا بان المنشاء لعدم تذكره فان النسيان
كاللازم للانسان قيل اول الناس اول الناسي او على يقول وتوسيط الهمزة مع ان
الاصل ان يتقدمها للانكار اي الجمع بين هذين الامرين الغريبين وللاشعار بان
المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل
انا خلقناه اراد خلق مادته ولذلك قال من قبل اي خلقنا مادته قبل خلق صورته
ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جميع المواد بعد التفريق
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرئ يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ
يتذكر على الاصل فوربك اقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه عليه السلام تحقيقا
للامر وتفخيما لشان الرسول عليه السلام لنحشرنهم اي المنكرين للبعث لا بد من هذا
التخصيص لان لحاق الكلام لا يحتمل التعميم والشياطين مفعول معه لما روي على وفق
قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين انهم يحشرون مع
قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل كافر مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه يعني انهم يساقون جثاة من الموقف

يعني ان الهمزة اذا توسطت بين المعطوفين يكون لانكار الجمع بينهما الا انه قد يكون لانكار التنافي بينهما وقد يكون لغوية القرابة عند اجتماعهما وما نحن فيه من قبيل الثاني منه

بل سباقه وسياقه لا يحتمله كما لا يخفى على من تأمل

الى شاطئ جهنم فقوله جثيا حال مما ضمنته نحضرنّ من معنى السوق **ثم لننزعنّ** النزع اخراج الشئ مما كان متصلا به او ملابسا له **من كل شيعة** الشيعة الجماعة المتعاونة على امر من الامور **ايهم اشد على الرحمن عتيا** تمييز واصله المصدر جرأة او تمردا اى نبداء بالاكبر جرما فالاكبر وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا واشد خبر مبتداء محذوف ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية تقديره لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى الشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله **ثم لنحن اعلم بالذى** كنى بالعلم عن ايقاع المعلوم اى نحن نبداء بتعذيب الاحق فالاحق وضمن هذه الكناية الدلالة على انه تعالى لا يضع شيئا فى غير موضعه **هم اولى بها** احق بالنار **صليا** تمييز اى دخولا والباء يتعلق باولى اى الذين هم اولى بالصلى او صليهم اولى بالنار ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم **وان منكم** تلوين للكلام من الغيبة الى الخطاب للانتقال من احوال الخاصة الى احوال العامة **الا واردها** اى وان منكم احد الا داخلها والورود فى اللغة الوصول الا ان المراد هنا الدخول بطريق الكناية كما فى قوله تعالى فاوردهم النار وقوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفاء لهبى وهو الظاهر من قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها حيث قال ونذر ولم يقل وندخل ولا ينافيه قوله تعالى ان الذين سبقت لهم الاية لان معناه انهم مبعدون عن النار لا عن موضعها وهم كذلك فانهم يمرون والنار خامدة على ما ورد فى الخبر ولذلك لا يسمعون حسيسها وفائدة ادخالهم النار تشديد الحسرة على الكفار **كان** ورودهم **على ربك حتما مقضيا** الحتم القطع بالامر وذلك حكم من الله تعالى قاطع والمقضى الذى قضى بانه يكون ولما كان المتبادر الى الوهم من قوله كان على ربك حتما الوجوب على الله زيد قوله مقضيا دفعا لذلك الوهم بما فيه من الدلالة على ان ما ذكر ارادته تعالى فيكون الكلام المذكور مستعارا بمعنى اللزوم الناشى عن القضاء المبرم فلا وجوب ولا ايجاب لا من ذاته تعالى ولا من غيره **ثم ننجى**

الذين اتقوا الكفر فيساقون الى الجنة **ونذر الظالمين** وندع الكافرين **فيها جثيا** جاثين على الركب للتخاصم كما قال ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال واذ يتحاجون فى النار فلا دلالة فيه ان الورود للجثو حواليها **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات** مرتلات الالفاظ مبينات المعانى فى نفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز **قال الذين كفروا للذين آمنوا** لاجلهم او معهم **اى الفريقين** نحن وانتم **خير مقاما** بالفتح موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم وهو موضع الاقامة والمنزل **واحسن نديا** مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا آية فيها دلائل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال غافلين عن وخامة المآل فقال تعالى منبها على ذلك **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اى كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم **هم احسن** فى موضع الصفة لقرن وجمع اعتبارا للمعنى وقيل فى محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية ويرد عليه انهم نصوا على ان كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها **اثاثا** تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثى ما رث ورئيا منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت كالطحن وقرئ ريا بغير همزة مشددا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا من الزى قال المطرزى والزى الهيئة فعل من زوى اذا جمع لانه لا يقال لفلان ذى حسن الا ان يجمع ما يستحسن من لبسة حسنة وهيئة مستحسنة ولما كان كلامهم اى الفريقين خير مقاما كلام المفحم المغلوب المنقطع لا يجد ما يصلح للجواب فينتقل الى امر آخر يدعى به الفضل والغلبة ردهم ونقض كلامهم مهددا بقوله وكم اهلكنا الخ ثم بين ان تمتعهم فى الدنيا استدراج ليس بدليل على الفضل والرفعة وانما الفضل هو السعادة فى الآخرة بقوله **قل من كان فى الضلالة** وتجهيل على القائلين ذلك القول بالضلالة وتتميم وبيان ان ما ادعاهم الى ذلك هو غاية التعمق فى الضلالة والحيرة والاستقرار فيها فليمدد له الرحمن مدا جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اى من كفر يمد الرحمن يعنى يمهله ويملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى ان يفعل كالمامور استدراجا وقطعا للمعاذير **حتى اذا راوا ما يوعدون** هى متصلة بقوله خير مقاما وما بينهما اعتراض اى لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين **اما العذاب**

في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر واما الساعة اي القيمة والمراد بما نالهم
من الخزي والنكال فيها فهما بدلان مما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
واضعف جندا اعوانا وانصارا اي فحينئذ يعلمون قطعا ان الامر على عكس ما قدروه وانهم
شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم
وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى وجاز ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في
الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين
او يشاهدوا اهوال الساعة ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد
لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المهتدين اي
المؤمنين ثباتا على الاهتداء او على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال
الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن فيها
ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير وعوضه منه والباقيات الصالحات
اي الطاعة التي تبقى عائدتها ابدا وكل ما صعد في جوف الفرا خير عند ربك ثوابا عائدة من
النعم الفانية التي يفتخرون بها كيف وما لها النعيم المقيم وآل هذه الحسرة والعذاب
الدائم كما اشار بقوله وخير مردا مرجعا وعاقبة وفي التفصيل تهكم بالكفار لانهم
قالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت الذي كفر بآياتنا
لما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر
والفاء للتعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقال
لاوتين جواب قسم مضمر مالا وولدا وقرئ ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد
او بمعنى الولد كالعرب والعرب اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى
اعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة اي انظر في اللوح المحفوظ فرآى فيه
مبينه ام اتخذ عند الرحمن عهدا موثقا ان يؤتيه ذلك روي ان خباب بن الارت
صاغ للعاصي بن وايل حليا فتقاضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا
وفضة فانا اقضيك ثمة فاني اوتى مالا وولدا ح وفيه ان قوله وولدا لا يناسب المقام
وسياق الكلام ح كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه
فليرتدع عنه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله شعر
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني لم تلدني لئيمة لان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول
لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل هذا على طريقة قول المتوعد

لا على موضع كما توهم

اي يدخل فيها كل ما قيل من اعمال الحسنة

عبارة القاضي اقوى سبيل الاخبار وفيه نظر

الجاني

الجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان الا ان حرف التنفيس
جرد ههنا للوعيد ونمد له من العذاب مدا نزيد في العذاب كما نزيد في الافتراء والاجتراء من المد يقال
مده وامده بمعنى مدا اكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى ونرثه بموته ما يقول يعني
المال والولد بدل اشتمال من الهاء في نرثه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال
ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى له زائدا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم شفعاء عند الله ووحد عزا لانه بمعنى المصدر
كلا اي ليس الامر كما ظنوا سيكفرون بعبادتهم الضمير للآلهة اي سيجحدون
عبادتهم ويقولون والله ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او للمشركين
اي ينكرون ان يكونوا قد عبدوها لقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون
عليهم ضدا خصماء لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا
من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو
الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه من العز على معنى انها تكون معونة كل من
عاداهم بان يوقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين لهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام
وهم يد واحدة على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف او على معنى
كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين الارسال التخلية وتعديته بعلى
لتضمين معنى التسليط اي خلينا مسلطين عليهم بالاغراء وذلك حين قال لابليس
واستفزز من استطعت منهم بصوتك تؤزهم ازا اغراء بازعاج واصل الاز الحركة مع
صوت متصل من ازيز القدر وغليانها والمعنى تزعجهم الشياطين وتسوقهم الى المعاصي
بسرعة وسياق الكلام ظاهر في الامهال استدراجا ولذلك اتى باداة التفريع في قوله
فلا تعجل اي لا تطلب العذاب قبل حينه ولذلك قال عليهم ولما كان قوله انما نعد لهم اي انفاسهم
ليستوفوا آجالهم في مقام التعليل لما ذكر كان المناسب ان يكون المراد انما نمهلهم وما قيل اي
لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق الا ايام محصورة وانفاس معدودة بعيد عن سياق الكلام وسياق
المقام عدا فلا يزدادون عليها ولا ينقصون منها يوم نحشر المتقين الحشر الجمع من
جهات متعددة ونصب يوم بلا يملكون او بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين
ما لا يوصف الى الرحمن لاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان سياق الكلام

فيها لتعداد نعم الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها **وفدا** الوفد جمع الوافد كركب
وراكب حال من المتقين **ونسوق المجرمين** الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل منها
الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا العطش وحقيقة الورد السير الى
الماء تسمى به الواردون ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد
الوفد على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون
الى الماء استخفافا بهم **لا يملكون الشفاعة** الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المجرمين
والمتقين لانحصارهم فيهما **الا من اتخذ عند الرحمن عهدا** اذ نافيها لقوله تعالى لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله
الرفع على البدل من ضمير يملكون او النصب على تقدير المضاف اى الا شفاعة من اتخذ
عند الله عهدا بالاسلام ليستعد به ان يشفع له **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** اى النصارى
واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله ولا وجه لاسناد هذا القول الى الكل مع الانكار
عن بعضهم ووقوع المشاجرة فيه فيما بينهم لكونه مقولا فيما بينهم على ان فى هذا الاسناد
نوع شين للمسلمين وهم برآء عنه **لقد جئتم شيئا ادا** على الالتفات للمبالغة فى الذم
والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والتعرض بسخطه والتنبيه على عظم ما قالوا والاد
بالفتح والكسر العجب وقيل العظيم المنكر من الادة وهى الشدة **تكاد** تقرب **السموات
يتفطرن** وبالنون الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه مرة بعد اخرى
فهذا ابلغ **منه** من عظم هذا القول **وتنشق الارض وتخر الجبال** وتسقط **هدا**
اى مهدودة او تهد هدا او مفعول له اى لانها تهد والهد الهدم بشدة صوت
وهو تقرير لكونه ادا اى بلغت هذه الكلمة من فظاعتها وعظمها وهدمها لاركان الدين
وقواعده مبلغا لو تصور تاثيرها بصورة محسوسة لم يحتمل مثله هذه الاجرام العظيمة
التى هى قوام العالم وتفتت من شدتها او كادت هذه الاجرام تضمحل وتخرب العالم بشدة
غضب الله تعالى على من تفوه بها قهرا له وهدما لاركان العالم عليه استعظاما لها وتهويلا
من فظاعتها **ان دعوا للرحمن ولدا** اما منصوب بتقدير حذف اللام وافضاء الفعل اليه
لتعليل لكيدودة او الهد على الحرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او مجرور بدليل
من الضمير فى منه اى من ان دعوا او على اضمار لام التعليل او مرفوع على انه فاعل هدا اى
هدها دعاء الولد او خبر مبتداء محذوف اى سبب ذلك ان دعوا وهو من دعى بمعنى
سمى المتعدى الى مفعولين او من دعى بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى بمعنى انتسب

وما ينبغى

وما ينبغى ان يأتى للرحمن ان يتخذ ولدا قيل لا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له
لو طلب مثلا لانه مستحيل ويرد عليه ان المحال قد يستلزم المحال فيجوز ان ينطلب
على تقدير تحقق الطلب المحال فبالتعليل المذكور لا يتم التقريب وفائدة تخصيص الرحمن
بالذكر وتكريره مرة بعد اخرى انه اسم مختص بالواجب بالذات باعتبار افاضة الوجود
واصول النعم على الكل كما قيل فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك
عطاؤه فكل ما عداه نعمة او منعم عليه فلا يجانس من هو مبدى النعم والولد يجب
ان يجانس الوالد فلا يمكن له ولد فمن نسب اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه عن
استحقاق اسم الرحمن ولهذا لو اقتصر على المفعول الثانى على تفسير دعوا بمعنى
سموا للدلالة على العموم والاحاطة بكل ما جعل ولدا لاستحالة مناسبة شئ ما من خلقه
ان كل من من نكرة موصوفة صفتها **فى السموات والارض** وخبر كل **الا آتى الرحمن**
ووحد آتى وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اى يأتيه ويلتجى
اليه **عبدا** اى خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من فى العالم من الثقلين والملك
الا وهو يأتى الله تعالى يوم القيمة مقرا بالعبودية وهى والبنوة متنافيان حتى لو ملك
الاب ابنه يعتق عليه وهذا تصريح ما علم مما تقدم التزاما **لقد احصاهم** الاحصاء
الحصر والضبط اى احاط بهم **وعدهم عدا** اى علم تفصيلهم واعدادهم فكانه عدهم
باشخاصهم فرادى والله تعالى منزه عن الحاجة الى العد **وكلهم آتيه يوم القيمة
فردا** منفردا سواء العابد والمعبود ليس مع المعبود ممن يعبد احد يخدمه وينفعه
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث فى قلوب
الناس مودة من غير ان يتعرضوا للاسباب التى يكتسب بها مودة بل اصطناعا من الله
تعالى لعباده الخاصة قال قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب
العباد اليه وللفظ الرحمن ههنا خصوصية تظهر بالتأمل فى قوله عليه السلام ان
قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن وللفظ الرحمن يقلبها كيف يشاء والسين
اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين ح بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دخل
الاسلام او لان الموعود فى القيمة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع
ما فى صدورهم من الغل **وانما يسرناه** سهلناه منزلا **بلسانك** اى بلغتك وهو
اللسان العربى المبين والفاء السببية لان ما قبلها دلت على ان مقت الكفرة اياهم
لا يضرهم وسيحدث بدله الحب فقال له لا تخف وبلغ ما انزل اليك مبشرا ونذيرا

لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدًّا اللدّ جمع الدّ
وهو الشديد الخصومة فى الباطل الاخذ فى كل لدد اى شق وجانب لفرط اللجاج
والمراء وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار وتجسير للرسول عليه السلام
على انذارهم هل تحس من احد منهم هل تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحس والمحسوس
اى هل ترى منهم احدًا او تسمع لهم ركزًا الركز الصوت الخفى واصل التركيب
الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون اى قد ذهبوا
وبادوا فلا عين لهم ولا اثر فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل
اليك فعاقبتهم الهلاك عليك امرهم والله تعالى اعلم
بالحقيقة والصواب واليه المرجع
والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم طه روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة
ان معناه يا رجل فان صح فلعله وإلا فالحق ما هو المذكور فى سورة البقرة وقرئ
طه على انه امر للرسول عليه السلام بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده
على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل
طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض ويمنع هذا الوجه
والتفسير بيا هذا كتبتها على صورة الحروف الا ان يقال انه اكتفى بشطرى الكلمتين
وعبر عنهما باسميهما ما انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه تعديدًا لاسماء الحروف
فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة او القرآن احتمل ان يكون خبرا عنها
وهى فى موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمر وان يكون جوابا لها وهى قسم
وان جعلتها نداء فهو منادى له وان جعلتها جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة
من الحروف محكية فهو استئناف لتشقى لتتعب بفرط تأسفك على كفر قومك وتحسرك
على ان يؤمنوا اذا لم تفرط فى اداء الرسالة او بكثرة تهجدك وطول قيامك اى ما بعثت لتنهك
نفسك وتذيقها المشقة الفادحة فان لها حقا عليك وانما بعثت بالحنيفية

الحنيفية السمحة السهلة والشقاء شايع فى معنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم
اشقاهم وفيه اشعار بان القرآن انما انزل عليك لتسعد وهو الوسيلة الى نيل كل فوز و
سعادة فلا تجعلها موجب الشقاوة وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته
قالوا انك لتشقى لترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة نصب على الاستثناء
المنقطع اى لكن ليكون تذكرة او على الحال اى الا مذكرين او على المفعول له اى الا للتذكر وانما
جى باللام فى لتشقى لانه ليس بفاعل الفعل المعلل فاتفى شرط انتصابه وانتصب لوجود الشرط
لا على البدل من محل لتشقى لاختلاف الجنسين الا ان يجعل التذكير نوعا من الشقاء اى
ما انزلناه لتتمرّن فى الرياضة والتهجد او تتعب بالتاسف والتحسر على ابائهم انما
انزلناه لتحمل متاعب التبليغ ومتاعب التذكير ومقاولة العتاة الجاحدين ومقابلة
اعداء الدين وساير تكاليف النبوة لمن يخشى لمن يحصل الخشية وليّن قلبه ورق
ويعلم الله انه ينتفع به تنزيلًا بدل من تذكرة اذا جعلت حالا لا مفعولا له لفظا او معنى اذ
الشى لا يعلل بنفسه ولا بنوعه او نصب على المصدر باضمار نزل او بانزلنا لان معنى ما
انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص او على انه مفعول يخشى
اى تذكرة لمن يخشى تنزيلًا من الله وقرئ بالرفع اى هو تنزيل ممن خلق الارض
والسموات العلى صلة لتنزيلا او صفة اى تنزيلا كائنا من الله والعلى جمع العليا
تانيث الاعلى وفخم شان المنزل اولا باسناده الى ذاته الواحد المتعالى ثم بتنكير تنزيلا
للتعظيم والابهام والتوضيح حيث لم يصف ثم بالالتفات من التكلم الى الغيبة
لا يقاظ السامع والتنبيه على عظم شانه بتفنن الكلام ثم باجراء الصفات العظام
العجيبة على منزله وايراد الموصول دريعة الى ذلك ثم بوصف السموات بالعلى للدلالة على
علو قدر خالقهما ثم باجراء الصفات العظيمة والتمجيد فاكد الفخامة بوجوه كثيرة وطرق
مختلفة ورتب صفاته ترتيبا انيقا فبدا اولا بايجاده لاصول العالم وقدم الارض
لانها اقرب الى الحس واظهر نفعا واحسن جا البها ثم اشار الى وجه احداث الكاينات وتدبير
امرها بذكر استوائه على العرش واجراء الاحكام وانزال الاسباب منه على الترتيب
الذى اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن او بدل
من فاعل خلق على العرش خبر مبتدا محذوف وعلى الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر استوى
كناية عن الملك لان العرش سرير الملك ومكان التمكن من ملكه فاجريت هذه العبارة
مجرى ملك واستعمل فى موضعه واشتهر كالمترادفين المتساويين فى افادة المعنى المراد

لم تتصور العظمة وتخييل الابهة والسلطنة والتمكن في ملكه وان لم يقعد قط على السرير له ما في
السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين فان
الثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها وهذه الجملة تجري مجرى البيان من
الاولى لان مؤدى الاولى كونه ملكا مطاعا قادرا وقوله له ملك السموات الخ تفصيل
لذلك وتقرير له ولما ذكر ما دل على ملكه وكمال قدرته وارادته عقبه بما دل على كمال علمه واما
تحنا بالامور وجلايا ما على السواء لتلازم تلك الصفات فيه واثباتا للجميع على العلم
فقال وان تجهر بالقول ترفع صوتك به سواء كان ذكرا او دعاء او غيرهما وحذف جواب
الشرط اي فاعلم انه غني عن جهرك واقيم تعليله مقامه وهو فانه يعلم السر واخفى
اي ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اي ما اخطرته ببالك واضمرته في نفسك او السر
ما اضمرته في نفسك وما هو اخفى منه ما لم يخطر ببالك من الغيب المستانف هذا ما قالوا
وعندي ان علم السر واخفى كناية عن استغنائه عن الجهر بالقول فلا اصوف ولا اقا
فهو تعليم تعليمه للعباد ان الجهر لهضم النفس بالتضرع والجوار واستبعادها عن مظان
القرب باستحقارها لا لاعلام الله بذلك واسماعه او هي تنزيه عما يوذن بالرياء
ثم لما عدد الصفات الكمالية ووصفه بما لا يمكن ان يوصف به غيره من صفات الالوهية
والربوبية افصح عن التوحيد وصرح بانه المتفرد بها الموصوف بمقتضاها فقال الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا
لقولهم انك تدعو آلهة حين سمعوا اسماءه والحسنى تانيث الاحسن وفضلها
على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك
استفهام تقرير تحث على الاصغاء بما يلقى اليه حديث موسى في خطابه بقصة
موسى ليقتدي به في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الشدائد في تبليغ
الرسالة فان هذه السورة من اوائل ما نزل وهذه القصة منبهة لكون التذكرة نصبا
على الاستثناء المتصل اذ راى نارا اذ ظرف للحديث او لاذكر او لمضمر دل عليه فقال
اي حين راى نارا كان كيت وكيت لاهله امكثوا البثوا مكانكم اني آنست نارا
ابصرت ابصارا بينا لا شبهة فيه ومنه الانس لظهوره وقيل هو وجدان ما يونس به
ولما كان الايناس محققا لهم اتى بكلمة ان وحققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه بخلاف الاتيان
بقبس ووجدان الهدى على النار فان كلا منهما مترقب متوقع بنى الامر فيهما على الرجاء و
الطمع وجاء بلعل ولم يقطع لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به لعلي آتيكم منها بقبس

القبس

القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة ونحوهما وقيل جمرة ويرده قوله تعالى في موضع آخر
بشهاب قبس او اجد على النار معنى الاستعلاء على النار ان اهلها مشرفون عليه عند الاصطلاء
بها قياما وقعودا او مستعلون المكان القريب منها هدى اي هدى ما لانه اذا وجد الهادي
فقد وجد هدى ما الى الطريق وانما جاء باو لانه بنى الرجاء على انه لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم
واحدة منهما فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى
هو تكليم الله تعالى اياه ونودي مبني للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم اني انا ربك قرئ
بالفتح اي نودي باني ومن كسر اجرى النداء مجرى القول لانه ضرب منه وتكرير الضمير
لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة قيل لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال
الله سبحانه وتعالى انا ربك فوسوس اليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله تعالى باني من جميع الجهات واسمعه بجميع اعضائي فقوله اسمعه من جميع الجهات
يرده قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن فانه صريح في سماعه النداء من جهة واحدة
لا من جميع الجهات فاخلع الخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه عن بدنه ونعله من رجله وقد
ينزع المسمار عن موضعه ولا يكون خلعا لانه غير ملبوس نعليك امر بخلعهما تعظيما لحضرة
القدس فان في الحفوة تواضعا لله تعالى وتأدبا ولهذا كان السلف يطوفون بالبيت حافين
والتعليل بقوله انك بالواد المقدس دال على ان ذلك احترام البقعة وتعظيم لقدسها وتفريع
الامر بخلع النعلين على النداء المذكور وان كان باعتبار ان ما في الخلع من التواضع لله تعالى
والتأدب يقتضي النداء لكنه لا يخرج عن الاشعار بان في بركة تلك البقعة مدخلا لورود
ذلك النداء العظيم الشان فيها وقيل لنجاستهما فانهما كانا من جلد حمار ميت مدبوغ وقيل
ليناله بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم
من مجاري الماء واد والمقدس المطهر طوى علم للوادي فيكون بدلا او عطف بيان وقرئ
منونا لوحظ فيه معنى المكان وغير منون لوحظ فيه معنى البقعة وقيل هو من الطي نحو
ثنى مثنى بمعنى مرتين اي قدس مرة بعد مرة اخرى او نودي نداءين وانا اخترتك
اصطفيتك للنبوة وقرئ انا اخترناك انا واخترناك جملة في موضع الخبر فاستمع لما يوحى
اللام متعلق باستمع او باخترتك وما موصولة اي للذي يوحى اليك او مصدرية اي للوحي
وقوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل لما يوحى عظم امر التوحيد وفخم شانه
بالابهام في قوله لما يوحى والتوضيح بقوله انا الله وبالابدال الدال على ان الوحي
مقصود على تقرير التوحيد الذي هو نهاية العلم المستلزم لتخصيص العبادة بالله الذي

هو كال العلم وبالتاكيد بان وتوسيط الضمير وتكرير معناه بالتهليل والاتيان بفاء السببية
واقم الصلوة عطف الامر باقامة الصلوة على الامر بالعبادة وتخصيصها بالذكر من
بين ساير العبادات تنبيه على فضلها وشرفها وانافتها على الجميع كعطف جبرايل وميكائيل
على الملائكة ولذلك علل افرادها بالذكر بقوله لذكرى فانها توجب شغل القلب واللسان
بذكر الله تعالى فمعنى لذكري لتذكرني وقيل لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لاذكرك بالمدح
والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة غير مشوب بذكر غيري او رياء او غرض
او غرض آخر وهو الاخلاص او لتكون لي ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة
او لذكر صلوتي لما روى انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها
اذا ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكرى على حذف المضاف او على ذكر الصلوة
ذكر الله تعالى او لان الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة ان الساعة آتية
يعني ان القيمة كاينة لا محالة اكاد اخفيها قربه تعالى من اخفائها مجازا عما اقتضته
الحكمة من الاخبار بوقوعها للانذار وقطع الاعذار مع كتمان وقتها ليكونوا على وجل
في كل وقت فانه اظهار فيه نوع من الخفاء ويجوز ان يكون من اخفاه اذا ازال
خفاءه اي اكاد اظهرها وقربه تعالى من اظهارها مجاز عن اظهار بعض شراطها
كبعثة خاتم الانبياء عليه السلام وانشقاق القمر ويؤيده قراءة ابي الدرداء رضي الله
عنه اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره قيل انه من الاضداد والحق ما روى عن ابن
علي انه من باب السلب لتجزى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها
على المعنى الاخير كل نفس يعني من النفوس الساعية بقرينة قوله بما تسعى
السعي كناية عن الكسب فلا يصدنك الصد الصرف عن الخير خاصة عنها عن التصديق
بالساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها والمراد من نهي الكافر عن صد موسى عليه السلام نهيه
عن الانصداد عنها بصده وهذا كقولك لا اربنك هنا في النهي عن السبب للنهي عن المسبب مبالغة
وفيه تنبيه على انه عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة لكان مصدقا بها غير معرض عنها او بعثه
عليه السلام على الصلابة في الدين وشدة الشكيمة فيه وتهييجه عليها فان صد الكافر اياه بسبب
عن ضعف عقيدته ولين شكيمته للنهي عن السبب اي ينبغي لك ان تكون صلبا في الدين راسخا في الاعتقاد
ونبه بقوله فاتبع هواه على ان سلوك طريق العقل واتباع الحجة يوجب التصديق بالبعث والساعة
فانكارها والتكذيب بها انما يكون لغلبة الهوى واتباعه والهوى ميل النفس الى الشيء باريحته يلحق
فيه وهواء الحق ممدود وهوى النفس مقصور فتردى جواب النهي وان مقدرة بعد فاء الجواب

فيه رد على صاحب الكشاف حيث غفل عن تمام الحديث فلم يدر اوجه اخذ التفسير الذكير فتأمل فيه

غلط القاضي بن الوهيب

وتردى

وتردى علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف معناه فتهلك وما تلك استفهام
ضمن معنى الاستيقاظ لما يريه فيها من الآيات العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل
الحكمة في هذا السؤال بسطه فقد كانت الهيبة قبضته ولو تركه على ما كان عليه لعله كان
لا يبقى بل يتلاشى ولما بسط الحق بسماعه كلامه اخذته اريحية سماع الخطاب فاجاب
عما سئل وعما لم يسال وسلك مسلك الاطناب بيمينك حال من تلك والعامل فيها معنى
الاشارة كما في قوله تعالى هذا بعلي شيخا وجاز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك
قيل وانما لم يقل بيدك لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل يعني في الجواب للاشتباه يا موسى تكرير
لزيادة التنبيه والاستيناس قال هي عصاي قرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ
عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع والتوكي على الشيء التحامل عليه
في المشي والعكوف ومنه الاتكاء توكأت واتكأت بمعنى واحد واهش بها لخبط
الورق وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان بنكسر لهشاشة على غنمي
لياكله وعن عكرمة اهس بالسين وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها قدم في الجواب
مصلحة نفسه ثم ثنى بمصلحة ماشيته ولي فيها مآرب المآرب الحاجات عاملها وان كان
جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله اخرى ولم يقل اخر رعيا للفواصل
وهو جائز في غيرها فكان فيها اجوز واحسن قيل فهم موسى عليه السلام من سؤال
رب العزة انه سيحدث في العصا امرا عظيما فذكر ماهيتها وفصل بعض منافعها وخواصها
فلما استطال الكلام استشعر الادب فاجمل وقيل انما اجمله ليساله عن تلك المآرب فيكون
زيادة في اكرامه والغرض من ذكر ماهيتها ومنافعها انها ليست الا عصا تنفع منافعها
كسائر العيدان ليكون جوابه مطابقا لما فهمه من فحوى كلام ربه حتى اذا وجدها على خلاف
حقيقتها وخواصها مما ذكر من الامور الخارقة للعادة ظهر انها معجزات باهرة وآيات
ظاهرة خصه الله تعالى بها واكرمه قال القها يا موسى انما امره بالقائها
لانه اضافها الى نفسه بقوله هي عصاي فاراد ان يقطعها عنه ويريه الخارق بعد
اخراجه من سلطانه وتدبيره ليعلم انه بمحض صنع الله تعالى لا دخل له فيه لفعل العبد
فالقاها طرحها على الارض وقدم في سورة الاعراف بيان اصل الالقاء فاذا هي اي صارت
في الحال حية تسعى الحية اسم الجنس يقع على الصغير والكبير والذكر والانثى والسعي
المشي بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت
وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبداء وثعبانا مرة باعتبار المنتهى

وجه اخرى بالاسم الذى يعم الحالين وكان هذا القائل غافل عن عبارة كان فى قوله تعالى كانها جان لانها صريحة فى التشبيه وعدم كونها جانا حقيقة قال خذها تناولها بيدك ولا تخف الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر لما رأى موسى عليه السلام ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملكه البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب منها كما اخبر عنه بقوله ولى مدبرا ولم يعقب فامره الله تعالى بالاقدام على اخذها ونهاه عن ان يخاف منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من الامن وطمانينة النفس اذ ادخل يده فى فمها واخذ بلحيها كانه ضمنه صنعة التكوين وقد حققنا فى تفسير سورة البقرة ان النهى كالامر يتنوع الى التكوينى والتكليفى وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها فى ذلك الوقت سنعيدها الاعادة رد الشئ ثانية الى ما كان اول مرة سيرتها الاولى هيأتها وحالتها المتقدمة السيرة فعلة من السير كالركبة من الركوب يقال فلان سار سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى فى طريقتها الاولى حال ما كانت عصا او على نزع الخافض او على المفعول به ان جعل اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او بتضمين فعلها اى سنعيدها سائرة سيرتها الاولى عصا تنتفع بها كما كانت اولا او على انه بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى سنعيدها اى سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك يعنى بعد ادخالها فى الجيب على ما افصح عنه فى موضع آخر حيث قال اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لجنبيه وجناحا الانسان جنباه استعيرا من جناحى الطائر وسميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران اى يميلهما والجنب فيه جنوح الاضلاع والمراد الى جنبك تحت عضدك دل على ذلك قوله تخرج ويرده قوله تعالى وادخل يدك فى جيبك تخرج لانه صريح فى ان المراد الدخول فى الجيب والخروج منه بيضاء مشرقة مشعة قيل كان موسى عليه السلام آدم فاخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر من غير سوء متعلق ببيضاء كانه قال ابيضت من غير سوء والسوء الرداءة والقبح فى كل شئ اى من غير ان يستقبح لما كان خروج الشئ عن خلقته وشأن جوهره مما يستقبح ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك واما الكناية به عن البرص فيأباه المقام لانه غير محتمل فى

فيه رد على من توهم ان هنا تقديرا

مقام الاعجاز والكرامة ولا وصل للاحتراز عنه آية اخرى معجزة ثانية وقوله بيضاء وآية حالان معا من ضمير تخرج ويجوز ان يكون آية حالا من ضمير الاول فيكونان من الاحوال المتداخلة او مفعول نصب بمضمر نحو خذ حذف لدلالة الكلام عليه لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بالمحذوف المذكور او بما دل عليه الآية والقصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة لآياتنا او مفعول ثان لنريك ومن آياتنا حالا اى لنريك الكبرى من آياتنا اذهب الى فرعون امر بالذهاب بهاتين الآيتين الى فرعون ودعوته انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية تعليل لوجوب الذهاب اليه وتحذير له من سطوته وتنبيه على صعوبة ما ابتلى به ليتلقاه بحمل الصبر وحسن الثبات ولهذا التجا الى طلب التيسير والتأييد وتفسيح الصدر والتشجيع قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى على الابهام بايراد لى بعد الفعلين والتوضيح بذكر الصدر والامر للتأكيد والمبالغة فى طلب الشرح والتيسير واحلل عقدة من لسانى كان فى لسانه رتة لما روى ان فرعون حمله يوما واخذ بلحيته كانت مرصعة بالجواهر فمدها جاذبا لبعض ما فيها من اليواقيت فغضب وامر بقتله فقالت آسية رضى الله عنها انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه فاحترق لسانه فصار لكنة منها ولعل لذلك امتاز موسى عليه السلام باللحية من بين اهل الجنة على ما ورد فى حديث جابر رضى الله عنه قال اهل الجنة مرد الا موسى بن عمران فان له لحية الى سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لآفة حادثة كان المناسب لحالها التنكير حيث لم يكن من جنس ما هو المعهود وكان قطع اضافتها عن اللسان المنبئة عن الاتصال الخلقى ايضا لذلك وقيل انما نكرت لانه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا الا انه امر التبليغ لا يتيسر الا بذلك ولهذا علل بقوله يفقهوا قولى فان التبليغ انما يحسن من البليغ ومن لسانى صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لسانى او صلة لاحلل واختلف فى زوال العقدة بكمالها فقيل بقى بعضها لقوله واخى هارون هو افصح منى لسانا وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وكل من الاحتجاجين نظر اما فى الاول فلان شهادة قوله هو افصح منى لسانا عليه لا له لان فيه دلالة على ان موسى عليه السلام كان فصيحا غايته ان فصاحة اخيه كانت اكثر وبقية اللكنة تنافى الفصاحة اللغوية المرادة ههنا بدلالة قوله لسانا واما فى الثانى فلانه لم يطلب حل عقدة لسانه مطلقا بل طلب حل عقدة تمنع الافهام

فلا دلالة في وصول مسؤول على زوال العقدة بكمالها فإن قوله ولا يكاد يبين دل على الأول فتأمل
واجعل لي وزيرا ظهيرا أعتمد عليه من الوزر الثقل لأنه يحمل عن الملك أوزاره ومؤنته
أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره أو معينا من الموازرة
وهي المعاونة فوزيرا مفعول أول لاجعل والثاني من أهلي أو لي ووزيرا مفعولاه وقوله **هارون**
بدل من وزيرا أو عطف بيان لأنه لا يخالف متبوعه في التعريف والتنكير وقوله **أخي**
عطف بيان لا بدل لأن إبدال الشيء من أقل منه فاسد لا يقصد نص عليه الشيخ في دلائل
الإعجاز أو وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة
اشدد به أزري قو به ظهري والشد تجميع يتمسك به المجموع ومثله الربط والعقد
والأزر القوة يقال آزرني فلان على أمري أي كان لي ظهيرا ومنه المئزر لأنه يشد على الظهر
وكذا الإزار **وأشركه في أمري** الإشراك الجمع بين الشيئين أو الأكثر في معنى على أنه
يجعل جاعل وقد أشرك الله تع بين موسى وهرون عليهما السلام في النبوة وقوى
به أزره كما دعى وقرئا على لفظ الخبر جوابا للأمر ولحن قراءتهما على لفظ الأمر للدعاء لأن
يبتنى على هارون ويجعل أخي مرفوعا على الابتداء والجملة خبرا **كي نسبحك كثيرا**
ونذكرك كثيرا فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده
قدم التسبيح وهو تنزيه الله تع عما لا يجوز وصفه به على الذكر وهو ثناؤه تع بما يليق
به لأن التخلية قبل التحلية **إنك كنت بنا بصيرا** عالما بأحوالنا وأن التعاون مما
يصلحنا وأن هارون نعم العون لي فيما أمرتني به والتماس لعضدي بأنه أكبر مني سنا
وأفصح لسانا **قال قد أوتيت سؤلك يا موسى** السؤال المطلوب فعل بمعنى المفعول
كالخبز والأكل أي أعطيت ما سألته وذلك من المنة عليه في ذكره تقدم منة عليه لتعظيم
اجتهاده وتقوي بصيرته بقوله **ولقد مننا عليك مرة أخرى** المن نعمة تقطع لصاحبها
عن عوضه باختصاصها يقال به من عليه إذا أنعم نعمة يقطعه إياها وأصله القطع ومنه
قوله أجر غير ممنون والمرة الكرة الواحدة من المر وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير أي منة
غير هذه المنة **إذ أوحينا إلى أمك** قال الجمهور هو وحي إلهام وقيل وحي إعلام إما
بعث ملك إليها لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم أو بإراءة ذلك في المنام أو على لسان
نبي في وقتها كقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين **ما يوحى** ما لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي
أو ما ينبغي أن يوحى لا محالة ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاعتناء به **أن اقذفيه في**
التابوت فاقذفيه بأن اقذفيه أو أي اقذفيه لأن الوحي بمعنى القول والقذف هو الرمي

البعيد

البعيد المستلزم لصلابة المرمى واستعير هنا بمعنى الإلقاء **في اليم** اليم اسم للبحر العذب والمراد هنا
النيل **فليلقه اليم بالساحل** بساحل البحر شاطئه سمي بذلك لأن الماء يسحله أي
يقشره فهو فاعل بمعنى مفعوله وكذا ولما وجب وقوع ما تعلقت إرادته تع به وهو إلقاء
البحر إياه بالساحل ذكره بلفظ الأمر تشبيها للبحر بالمأمور المطيع الممتثل لما ورد
عليه من أمر آمر مطاع على طريق الاستعارة بالكناية وأخرج الجواب بقوله **يأخذه**
عدو لي وعدو له مخرج جواب الأمر مجزوما وكرر عدو للمبالغة أو لأن الأول باعتبار
الواقع والثاني باعتبار المتوقع والأحسن نظما أن يرجع الضمائر كلها إلى موسى عليه السلام
لا لما قيل إنه يرجع البعض إلى التابوت تنافر النظم الذي هو مناط الإعجاز لأنه كيف
ولو كان فيما يخل بحسن النظم لما وقع في قوله تع فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين
يبدلونه ثم إن موجب ذلك عدم الحسن بل عدم الصحة لا عدم الأحسنية بل لأن المحدث
عنه موسى عم لا التابوت وإنما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة فالملقى والمأخوذ
هو موسى عم في التابوت فلا حاجة إلى تشتيت الضمائر والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل
فالتقطه منه آل فرعون روي أنه فتح التابوت فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه
عدو الله حبا شديدا كما قال **وألقيت عليك محبة مني** متعلق بمحبة أي محبة كائنة
مني قد زرعتها في القلوب فلذلك أحبك فرعون أو متعلق بألقيت أي أحببتك ومن
أحبه الله أحبته القلوب وعلى هذا يراد المعنى المذكور أولا بطريق الكناية أو بطريق
الإشارة وتنكير محبة للتعظيم أو الإبهام والتعيين **ولتصنع** عطف على علة مقدرة مثل
ليتعطف عليك ونحوه أو على المحذوف معطوف على الجملة السابقة أي وفعلت ذلك
لتصنع قال الخليل يقال صنعت الفرس وهو فرس صنيع وهو الذي أحسن أهله القيام
عليه وسيف صنيع الذي قد أحسن صيقله **على عيني** بمرأى مني أي لتربى كما أريد
ومجازه أن من صنع للإنسان شيئا وهو ينظر إليه صنعه كما يحبه ولا يتهيأ
له خلافه وقيل على عيني أي على حفظي **إذ تمشي أختك** ظرف لألقيت أو تصنع
أو بدل من إذ أوحينا على أن إذ عبارة عن الوقت المتسع **فتقول** للذين يطلبون
مرضعه يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة على ما ذكر في سورة القصص فالفاء
فصيحة لترتيب المذكور على المقدر **هل أدلكم على من يكفله** على من يضمه إلى نفسه
فيربيه وأرادت بذلك المرضعة وإنما ذكر بلفظ من **فرجعناك** فرددناك **إلى أمك**
وفاء بقولنا إنا رادوه إليك ويأتي التفصيل في سورة القصص وهذه الآية أيضا

نصحه كي تقر عينها بردك وقد مر تفسيره في سورة مريم ولا تحزن على فراقك قيل
او انت على فراقها ولا يخالف سياق الكلام في سورة القصص وتأباه قوله ولتعلم ان وعد
الله حق وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه السبطي فنجيناك من الغم
الذي نالك بسبب قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة
والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي كالثبور
والشكور والكفور او جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجور
وبدور في جمع حجرة وبدرة والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده من نعمة او نقمة
فهو فتنة لقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واكثر استعمالها في العرف فيما يشق
على الانسان اي اختبرناك بضروب من الاختبار سأل سعيد بن جبير رضي الله عنه
فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة
يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر
سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء
بالرسالة فكل هذه من اكبر نعم فلبثت سنين في اهل مدين وهي مدينة شعيب
عليه السلام وعن وهب انه لبث عنده ثمانية وعشرين سنة عشر منها مهر ابنته
واقام عنده ثماني عشر سنة بعدها حتى ولد له اولاد والفاء لتفصيلها اجمل من
انواع الفتنة ثم جئت على قدر قدرته وعينته وهو ما سبق في قضائي ان اكلمك
واستنبئك في وقت قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا
مستأخر وقيل هو الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين
سنة قال الشاعر نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر
يا موسى تكرير عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على انه المقصود واصطنعتك لنفسي
اصطفيتك لمحبتي وخصصتك بمثل حاله فيما خولته من الكرامة بمن قربه الملك
واستخلصه لنفسه لمجالسته اذهب انت واخوك امر اولا موسى به وحده
بالذهاب فلما سأل ان يشرك هارون به امرهما معا اجابة لدعوته على حسب
وعده وضمن كلامه التنبيه على اصالته حيث غلبه على هارون في الخطاب ولم يقل اذهبا
واخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بانت قيل اوحي الى هارون وهو
بمصر ان يتلقاه وقيل سمع بمقبله فاستقبله بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا اي ولا تفترا

فان الذكر

او لا تقصرا والوني الفتور في ذكري اي لا تنسياني حيث ما تقلبتما او في تبليغ الرسالة
يطلق على كل عبادة والتبليغ من اجل العبادات او في تبليغ ذكري والدعوة الي اذهبا الى
فرعون تأكيد لقوله اذهب انت واخوك بالتكرير لاظهار الاعتناء بدعوة اللعين اليه وفيه
ابهام وتوضيح وتنبيه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله انه طغى اي تجاوز
الحد في الفساد ودعواه الربوبية فقولا له قولا لينا مثل قوله هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى لانه دعوة في صورة العرض والمشورة والاستفهام حذرا ان
يحمله الحمق على ان يسطو عليكما او احتراما له لحق الربوبية وقيل كنياه او لقباه لابد
من هذه الزيادة ليلا يرده قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول رب العالمين فانه
لو كان مأمورا بالتكنية خاصة لما خالفه بالتلقيب لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا
او قولا اي على رجاء الوجوه للاتعاظ والخشية وقوله ليس للجزاء حاله عليه فهو لكن امر
لهما بالدعاء فانه اذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعاء وذلك ابلغ في
الزام الحجة وقيل يتذكر المحقق ويخشى المتوهم اي يتذكر اي يحقق صدقكما فيذعن للحق
وان لم يحقق توهم ان يكون الامر كما تصفانه والاحسن ان يقال يتذكر المبدأ او
يخشى المعاد اي يتذكر حال نشأته صغيرا عاجزا عن تدبير نفسه وانه حدث بعد ان لم
يكن موجودا فيرجع عن دعوى القدرة والربوبية او يخشى عقاب الله تعالى في دعواه
ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي
يتقدم الوارد وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة ويفرط
من الافراط اي نخاف ان يعجل علينا بما يحول بيننا وبين اتمام الدعوة واظهار المعجزة او
يحمله حامل من استكباره وجبروته او خوفه على الملك او شيطان جني او انسي من
قومه القبط المتمردين على المعاجلة بما ذكرا او ان يفرط عليه وانما قلنا ما يحول ولم
نقل بالعقوبة كما قيل لانه مردود بقوله سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا
فلا يصلون اليكما فانه مذكور قبل قولهما هذا بدلالة قوله سنشد وقد دل على انهما
محفوظان من عقوبتي او ان يطغى اي يجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لعتوه
وجرأته عليك وقساوة قلبه وفي اطلاق الطغيان مع تقييده فيه بقوله علينا بطريق
الرمز من حسن الادب والتحاشي عن التفوه بالعظيمة ما لا يخفى وانما اخره لان من ابتنى
بني يحاول دفعه لا عوارضه به وان يختم كلامه بما هو الاقوى قال لا تخافا انني
معكما المعية ههنا بالنصرة والعون اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول او فعل

فاجازيه واكفيكما شره والافصح ان لا يقدر مفعولا قوله اسمع وارى فيكون مبالغة في الحفظ
اي انني حافظ ناصر سميع بصير واذا كان الحافظ قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ وحقت
النصرة وثبت الدفع عن المحفوظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك خاطبا بقولهما
ربك اعلاما له انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية والمالكية فارسل معنا بني
اسرائيل اطلقهم عن الاستعباد كما يقال ارسلت الصيد ولا تمنعهم عن اتباعنا ولا
تعذبهم بتكليف الشاق كانت بنو اسرائيل تحت ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف
الاعمال الصعبة وتعقيب الاعمال دعوى الرسالة باطلاق بني اسرائيل لما فيه من ازالة المانع
عن دعوتهم واتباعهم وهي اهم من دعوى القبط فلا دلالة فيه على ان تخليص المؤمنين من
الكفرة اهم عن دعوتهم الى الايمان على ان الظاهر مما تقدم في سورة يونس عم انه ما امن لموسى
في ابتداء امره الا اولاد من قومه قد جئناك بآية من ربك جملة مبينة لقوله انا رسولا
ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمعجزة وانما وحد الآية وهو اثنان لان المراد اثبات الدعوى
بالبينة لا بيان تعدد الحجة ووحدتها فكانه قال قد جئناك بحجة وبرهان على ما ادعيناه من الرسالة
كقوله قد جئتكم ببينة من ربكم والسلام اي سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة والافصح
ان لا يكون السلام بمعنى الجنس اي جنس السلام وما يستاهل بسببه سلاما او سلامة من
العذاب على من اتبع الهدى على المهتدين والذي يقابله وهو توبيخ خزنة النار
او الخزي والعذاب على الضالين المكذبين انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى اوحي مبني للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله مصدر ينسبك من ان وما بعدها
تقديره اوحي الينا كينونة العذاب على من كذب وتولى وتغيير النظم باستيناف الكلام والتوكيد
والتصريح بالوعيد لان التهديد في مبدا الدعوة اهم وانجع قال فمن ربكما في الكلام حذف
وايجاز يشعر بانهما من فرط طاعتهما ومسارعتهما الى الامتثال لا ينفك فعلهما عن الامر كالامر
البين فلا حاجة الى ذكره وهو فاتياه وقالا ما امرا به ثم ان الفاء فصيحة تفصح عن محذوف
بعد قال تقديره سمعت قولكما فمن ربكما يا موسى انما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء
لان الاصل في الرسالة والدعوة وهارون وزيره وتابعه او لما عرف من رتة موسى عم وفصاحة
هارون عم فاراد ان يفحمه فاستدعى كلامه دون كلام هرون لمكنته ودهائه ويشعر بذلك
قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فاجاب باشفى جواب وابلغه و
اخصر لفظا واجمعه معنى حيث قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي اعطى كل شيء من
الانواع والاعضاء صورته وشكله الذي يوافق ما وجد اليه من المنفعة كشكل الانسان

والرجل والعين والاذن او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم ثاني المفعولين لانه المقصود
بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق وفي الصورة زوجا وقرئ خلقه لان من الحيوان ما
يكون بالتولد فلا يكون له زوج نظيره في الخلق والصورة وقرئ خلقه على الفعل الماضي صفة للمضاف
اليه او المضاف على شذوذ والمفعول الثاني محذوف اي اعطى كل شيء ما يصلحه لم يخله من عطائه
ما يليق به ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى كماله الصوري والمعنوي
طبعا واختيارا الغة بامعناه انه الموجد لكل شيء على وفق الحكمة المفيض على الكل كلا ما ينبغي
له ويليق به من الاسباب والآلات الهادي له الى مصالحه واستعمال الالة في تحصيل كمالاته
فهو الخالق القادر الحكيم المنعم على الاطلاق الغني بالذات وجميع ما عداه مخلوق مربوب
منعم عليه مفتقر فلذلك بهت الذي كفر وانقطع عن الاعتراض عليه فصرف الكلام عنه
وشرع في سؤال آخر على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى عم وما اجاب به
والحيرة والمغالطة قال فما بال القرون الاولى ما تقدم وخلا والفاء تدل على ان السؤال
مبني على قول موسى عم والسلام على من اتبع وان العذاب على من كذب قال علمها عند
ربي لما سال عن حال الامم الخالية والرمم البالية من الفريقين بعد الموت اجاب
موسى عم بانه غيب لا يعلمه الا الله دل على المهم معنى الحفظ المستفاد من عبارة عند ربي
في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ولما كان الاثبات في اللوح المحفوظ مظنة الحاجة
في الحفظ الى الكتبة دفعه بقوله لا يضل ربي ولا ينسى ولقد نبه على هذا من قال لا ينسى
ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه ومن لم يتنبه
لهذا قال ويجوز ان يكون تمثيلا لاستحكام علمه وتمكنه في علمه بما استحفظ العالم وقيده بالكتابة
ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى لا يضل من ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له وقولهم
يضل من اضله اذا ضيعه والعرب يقول لكل ما ذهب على الانسان مما ليس بحيوان ضله بغير
الف فاما اذا كان منه فيقول اضله بالالف والاصل في الاول ضل عنه ولا ينسى من نسيه
اذا ذهب عنه بحيث لا يخطر بباله وهما محالان على العالم بالذات وقيل يجوز ان يكون سؤاله
دخلا على احاطة قدرة الله تع بالاشياء كلها وتخصيصه كلها بالصور والخواص المختلفة
بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرة عددهم وتمادي
مددهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تع محيط بذلك كله وانه مثبت عنده ولا يضل ولا ينسى ويرد عليه انه يأباه تخصيص
القرون الاولى من بين الكائنات فانه لو اخذ ما يحملها لكان اظهر واقوى في تشبيه ما اراده

مهدا

الذي جعل لكم الأرض مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح وهو افصح
اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي مصدر سمي به اي مهدها لكم او مهدا تتمهدونها وقرئ مهادا وهو
اسم ما يمهد كالفراش لما يفرش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا سلكه من السلك بمعنى الادخال
اي حصل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها لحوائجكم ويقلبكم في البلاد لتبلغوا
منافعها وانما اعيد لكم لان معناه فيما تقدم لانتفاعكم وههنا لاجلكم فان غير الانسان لا يشاركه
في الانتفاع بالطرق بخلاف الانتفاع بتمهيد الارض الا ان المقصود والاصل انتفاع الانسان
فلذلك خصه بالذكر وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به انزاله واخراجه عبارتان عن ارادة
النزول والخروج لاستحالة مزاولة العمل في شانه فالفاء للتعقيب فان تاتي الارادتين
لا يتراخى عن الاولى وان تراخى تاتي المرادين عن الاول فتامل والعدول عن لفظ الغيبة
الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى للتنبيه على انه مطاع تنقاد الاشياء لامره وتذعن
لمشيته وحكمه لا يمتنع عليه شيء وبنى التكلم على الحكاية على ظهور اختصاص القدرة على ذلك بالله تعالى
ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان
وصفة لازواجا وكذلك شتى صفة للازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات لانه في الاصل
مصدر فاستوى فيه الواحد والجمع يقال شت الامر شتا وشتاتا وهو شتيت
وشت وهم اشتات وشتى فاشتات جمع شت وشتى جمع شتيت ذكره المرزوقي اي
متفرقات في الصور والاغراض بالاختلاف في الطعم والشكل واللون والنفع يصلح بعضها
للبهائم ولذلك قال كلوا وارعوا انعامكم ومن حكمته ونعمته على العباد ان ما يفضل
من ازوادهم ولا يصلح لهم يكون علفا لانعامهم وصيغة الامر للاباحة وهو حال من
ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى
آذنين في الانتفاع بها بان تاكلوا بعضها وتعلفوا انعامكم بعضها ان في ذلك في الذي ذكر
لآيات دلالات لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية وهو العقل لانه ينهى عن المحظور
او ينتهي اليه في الامور منها من الارض خلقناكم فانها اصل خلقه اول آبائكم او من الاغذية
المتولدة من الارض خلقناكم وفيها نعيدكم بالموت وتفتيت الاجزاء ومنها نخرجكم بالبعث
وجمع الاجزاء في الصورة السابقة تارة مرة اخرى ولقد اريناه بصرناه آياتنا او عرفناه
صحتها والتعريف بالاضافة يجري مجرى التعريف بلام العهد كلها تاكيد لشمول الانواع المعهودة
المعلومة من بعض الآيات النازلة سابقا قبل من تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام
العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ويرد عليه ان الحجر و

ونتق الجبل من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام لبني اسرائيل بعد هلاك فرعون ثم ان فلق البحر ليس مما كذب فرعون
بعده فكذب وابى كذبها جميعا لفرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه او ابى ان يقبل شيئا منها
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى تعلل من فرط الدهش والحيرة بالسحر والا فكيف
يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر على اخراج ذي سلطان مثله من ارضه وذكر علة المجيء وهي اخراجهم
والقاء هاء في ما مع قومه ليصيروا متعصبين له اذ الاخراج من الوطن مما يشق فلناتينك
جواب لقسم محذوف بسحر مثله مثل سحرك او ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة فان
المعجزة انما تتميز عن السحر بكونه مما يتعذر معارضته دون السحر فادعى القدرة على الاتيان
بمثله ووعد به فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان ولا المكان
ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم الزينة اي انجاز وعدكم يوم الزينة لا نخلفه بالرفع على الوصف
للموعد وبالجزم على جواب الامر نحن ولا انت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن و
يجوز ان يكون الموعد اسم مكان ويرجع الضمير في نخلفه الى ما تضمنه من معنى الوعد وعلى
التقديرين انما يطابق الجواب السؤال معنى لا لفظا لانه اخبر عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق
المكان والمصدر لكن يوم الزينة لا بد فيه من مكان معين مشهور بين الناس يجتمعون فيه
للتعييد وهو زمان مستلزم للمكان المعلوم بذكره او المعنى وعدكم وعد يوم الزينة مكانا منصوب
بفعل دل عليه موعدا لا به لانه مصدر موصوف لانه في الظرف الاتساع فيكفي في العمل
العمل فيه رائحة الفعل وان كانت ضعيفة بل لانه يلزم حينئذ الفصل بينه وبين معموله
بالوصف وهو غير سائغ لان المنصوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف الشيء الا بعد تمامه
هذا على قراءة الرفع واما على قراءة الجزم فلا مانع عن النصب بموعدا ويجوز ان يكون بدلا
من موعدا على تقدير مضاف اليه اي مكان موعد مكانا وعلى هذا التقدير ايضا يكون المطابقة
سوى منصفا يستوي فيه المسافة الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ
وقرئ بالضم قال موعدكم يوم الزينة كان لهم في كل عام كانوا يتزينون فيه ويتخذون فيه
سوقا وانما وعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع
ذلك في الاقطار وينوه الرغبات في دين الحق ويكل حد الباطل قال موعدكم يوم الزينة اي يجمع
وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء والضمير لليوم او لفرعون والغيبة
للعادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم في قوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحله
الرفع عطفا على يوم او الجر عطفا على الزينة ضحى آخر الى ذلك الوقت ليكون ابعد عن الريبة
وابين لكشف الحق فتولى فرعون فاعرض عن موسى عليه السلام على هذا الوعد فجمع كيده ما يكاد به

وان يحشر الناس صح

بعين السحرة والاتيهم ثم أتى الموعد اخبر عن اتيانه مصدرا باداة التراخي وترك الاخبار عن اتيان موسى اشعارا بانه لا حاجة في اتيانه الى الاخبار لانه على قوة وغلبة انما مظنة التساهل والتراخي في جانب فرعون لانه على ضعف قلب وفتور عزم قال لهم موسى ويلكم ويل كلمة يقال لمن يستحق الهلكة لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب منصوب باضمار ان وهو جواب للنهي قرئ بكسر الحاء وضم اليا وبفتحهما والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم يقال سحت الله واسحته اذا استاصله واهلكه وفيه دلالة على عظم الافترآء وانه يترتب عليه عذاب الاستيصال وقد خاب من افترى الخيبة انقطاع الرجآء بالاستيلاء على الطالب مما امل والافترآء اقتطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق واصل القطع من قرآه يقريه قريا فتنازعوا امرهم بينهم التنازع تجاذب كل واحد من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه وامرهم مفعول تنازعوا فيتعدى بمفعول واحد ولو صرفت التاء لتعدى الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث اي اختلفوا بينهم اي السحرة وقيل فرعون وقومه في امر موسى حين سمعوا الملامة فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى اي تناجوا بالسر خيفة من فرعون ان تبين به فيهم ضعفا وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السمآء فله امر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا القول اعني قالوا ان هذان لساحران يعني موسى وهارون عليهما السلام كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر ويرد بما ان اللام لا يدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير ويرد عليه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وقرئ ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما فيعود الى هارون ايضا لشركته في امر الدعوة ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم فهو اشارة الى ما قال موسى من ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم الذين هم قدوة لغيرهم فاجمعوا صله

المجمع عليها

بقطع الهمزة من اجمع كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها وقرئ فاجمعوا بهمزة الوصل من جمع ويعضده قوله فجمع كيده ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصى واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى اي ظفر وفاز بغيته من طلب العلو في امره وسعى سعيه اعتراض للتحريض والترغيب قالوا بعدما اتوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قد سبق في سورة الاعراف تفسيره قال بل القوا مقابلة ادب بادب مع زيادة وعدم الاكتراث الى ما قالوا اليه بالتعريض وتغيير النظم الى صيغة الامر الموجب غالبا مع كلمة الاضراب ليستنفدوا وسعهم وطوقهم في ابراز مكايد السحر ودقائقه فيظهر الله تعالى قدرته وسلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فيمحقه فكانت آية بينة للناظرين وعبرة مقنعة للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه اذا للمفاجاة وهي لمجرد الظرفية ناصبها فعل المفاجاة ولا يقع بعدها الا الجملة الاسمية والمفاجاة تقبل لسرعة التخييل اي مفاجاة تقبل لسرعة التخييل اي مفاجاة موسى وقت تخييل حبالهم وعصيهم السعي او تخييلهم سعي حبالهم وعصيهم او تخييل الله اياه او تخييل السعي اليه على اختلاف القراآت وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تخيل سعيها وبالياء على ان الفاعل هو الله تعالى للابتلاء والمحنة وتخيل بفتح التاء بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل من سحرهم من اجل سحرهم انها تسعى انما قال تخيل لانها لم يكن سعي حقيقة وانما تحركت لما قيل انهم لطخوا الحبال بالزيبق وجعلوه في داخل العصي فلما حميت بالشمس طلب الزيبق الصعود فتحركت العصي والحبال فظن انها تسعى فاوجس الايجاس من الهاجس الذي يخطر بالبال في نفسه خيفة موسى فعرض له خوف عظيم من مفاجاة ما فاجاه على مقتضى الجبلة البشرية الا انه اضمره اي لم يظهر انه لا امن ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه لان الخوف ليس مما يحتاط في كتمانه ولا يظهر وجه الاطناب بزيادة الاضمار قلنا لا تخف ما توهمت صيغة النهي للتشجيع وتقوية القلب لا للنهي عن الخوف المذكور لانه ليس امرا داخلا اختيارا انك انت الاعلى تعليل لما قصده بصيغة النهي وتقرير لغلبته الظاهرة مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ولام التعريف والاعلى لمجرد الزيادة لانه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو اعلى منهم لا بمعنى العالي كقول الشاعر تمنى اناس ان اموت وان امت فتلك طريق لست فيها باوحد اي بوحيد والق عطف على محذوف دل عليه سياق الكلام

قال
نشر بره فثبت في مقام الاقدام قالوا وفيه ما ابهم هنا وعين في سورة الاعراف حيث
والق عصاك ومن غفل عنه زعم ان الابهام للتحقير او للتعظيم وانما قال في يمينك ولم يقل
في يدك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة تلقف ما صنعوا اي تأخذ ما زوروه بفيها
ابتلاعا واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب
على اسناد الفعل الى المسبب وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف وبالجزم والتخفيف
على انه من لقفته بمعنى تلقفته وبتشديد القاف انما صنعوا اي الذي زوروه و
افتعلوا كيد ساحر بالرفع على ان ما موصولة والنصب على انها كافة وهو مفعول
صنعوا وقرئ سحر بمعنى ذي سحر او باطلاق السحر على الساحر مبالغة او باضافة
الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس والتنكير
للتحقير لا للتنكير المضاف لان المقصود من تنكيره حاصل بالاضافة ولا يفلح الساحر
اي لا فلاح لهذا الجنس وقال في موضع آخر ولا يفلح الساحرون اي لا يغني جمعهم ولا
عدد كثرتهم وله ايضا وجه حيث اتى بسحره فالقي السحرة اقتصر هنا على حاشيتي
القصة اكتفاء بما هو المقصود وقد ادى بنوع تفصيل في سورة الاعراف قالوا فيه
سجدا لله توبة عما صنعوا وتعظيما لما راوا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم
القوا فما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم
بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم راوا الجنة ومنازلهم
فيها في السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا آمنا برب هارون وموسى قدم موسى ع م
في الاعراف لاصالته في الرسالة والدعوة هنا لاكبر سن هارون ع م لانه لا يعارض
وجه تقديم موسى ع م المناسب للمقام رعاية ولان فرعون ربى موسى ع م في صغره فلو قدم
لتوهم ان المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع لان المقام لا يحتمله كيف وقد
سجدوا تعظيما لما راوا من موسى ع م وايضا تقديمه في موضع آخر صريح في انه ليس في
الترتيب نكتة معنوية بل المحافظة الفاصلة قالوا ولا يوجب الترتيب قال آمنتم له اي
بالله لاجله ودعوته وقرئ على الاستفهام للانكار قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم
لعظيمكم في فنكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن
المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فاستعير في لتصوير الاستقرار و
خص النخل لطول جذوعها والمراد تشهير العقوبة ولتعلمن اينا اشد عذابا

انا على ايمانكم برب موسى ع م او هو على ترك الايمان به وقيل يريد به نفسه وموسى ع م لقوله آمنتم له
تبجحا باقتداره وقهره وتوضيعا واستضعافا لموسى ع م واستهزاء به لانه
لم يكن من التعذيب في شيء قط قيل اللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله والحق
انها للتعليل ليست بصلة للايمان ولا دلالة في قوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين على
ذلك اذ معناه ويصدر عنه الايمان لاجل المؤمنين ومرافقتهم ودعوتهم والا لقيل
يؤمن بالله وللمؤمنين وابقى ادوم عذابا وعقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا موسى به من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما
جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكمه انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا نصب على الظرف وقرئ تقضى على البناء للمفعول ورفع الحيوة كقولهم صيم يوم الجمعة
بالاسناد الى الظرف كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده من الاستيناف اي تصنع
ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه الحيوة الدنيا السريعة الزوال ونحن نطلب بالايمان الفوز
والثواب السرمدي فهو علينا هين انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما اكرهتنا عليه من السحر من تعلمه روي ان رؤس السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان
من القبط والباقون فرعون اكرههم على تعلم السحر قيل حتى العمل به في معارضة المعجزة
لما روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويرده قوله تعالى ائن
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فانه ظاهر في الرضا وقوله تعالى وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون فان الظاهر منه عدم علمهم بشان موسى ع م والله خير وابقى جزاء
او خير ثوابا وابقى عذابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على الكفر والعصيان
فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى حيوة ينتفع بها وهو كالمثل فيما هو في شدة الحال التي
يتمنى فيها الموت ومن يأته مؤمنا بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا بعد
الايمان فاولئك لهم الدرجات العلى جمع العليا اي المنازل الرفيعة وايثار
الجمع هنا والافراد في مقابله فللاشارة الى ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة
يعذب منفردا عن الآخر زيادة في عذابهم بالم الوحشة وان المؤمنين يتنعمون
على سرر متقابلين زيادة في لذاتهم بسرور الانس جنات عدن بدل من الدرجات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى تطهر من الكفر وادناس الذنوب والآيات الثلاث الاخيرة يحتمل

ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام الله تع **ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي**
لما اراد الله تع اهلاك فرعون وقومه امر موسى عم ان يخرج بهم ليلا وياخذ بهم طريق البحر
فعني **فاضرب لهم** فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن
اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف **طريقا في البحر يبسا** مصدر وصف به يقال
يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس
وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ يابسا ويبسا بالسكون وهو اما تخفيف يبس
او وصف على فعل كصعب وجلد او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد
مبالغة او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا **لا تخاف دركا** حال من
الضمير في فاضرب اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية للطريق والعائد محذوف
اي لا تخاف فيه والدرك والدرك اسمان من الادراك وقرئ لا تخف على جواب الامر **ولا تخشى**
استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق
كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق **فاتبعهم فرعون بجنوده**
فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به اي مع جنوده اي كاد ان يلحقهم قال
ابن السكيت يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم فهو من المتعدي
لمفعول واحد لا الى مفعولين كما توهم من قال فاتبعهم فرعون نفسه ومع جنوده
واما قبل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده فبناه المفعول عن قوله تع
فاتبعهم فرعون وجنوده ثم ان فيه ابهام عدم اتباع فرعون بنفسه **فغشيهم** الضمير
له ولجنوده معا **من اليم ما غشيهم** الابهام للتعظيم والمبالغة في التهويل مع الايجاز اي ما لا
يمكن وصفه ولا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من التغشية وهي التغطية
والفاعل ما غشاهم **واضل فرعون قومه** عدل بهم عن سبيل الرشاد **وما هدى** اي ما
هدى بهم الى الحق وكان ردا لقوله واهديكم الا سبيل الرشاد وليس هذا من
باب التهكم **يا بني اسرائيل** خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون وقومه
على اضمار قلنا او للذين كانوا في عهد رسول الله عم امتنانا عليهم بما فعل باباءهم
قد انجيناكم من عدوكم فرعون **وواعدناكم** بايتاء الكتاب **جانب الطور** وذلك
انه تع وعد موسى عم ان ياتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول
التورية وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت
منافعها التي قامت بها شرعهم ودينهم **الايمن** نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر

لا

لا على الجوار لانه شاذ بل على نعت للطور لما فيه من اليمن **ونزلنا عليكم المن والسلوى** فيه وقلنا لكم **كلوا**
اذن لمطلق التصرف وتخصيص الاكل بالذكر لشدة الحاجة اليه **من طيبات** حلالات او لذائذ
ما رزقناكم ولا تطغوا فيه اي في اكله بالتعدي الى ما لا يحل اكله والاخلال بشكره او
بالتلهي والاسراف والبطر والمنع عن المستحق **فيحل** بالكسر بمعنى الوجوب من حل
الدين اذا وجب اداؤه وبالضم بمعنى النزول **عليكم غضبي** عذابي وعقوبتي و
لذلك وصف بالنزول صريحا او كناية **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** سقط سقوطا لا نهوض
بعده اي هلك واصله ان يسقط من جبل او نحوه فيهلك وقيل وقع في الهاوية **واني**
لغفار لمن تاب عن الشرك **وآمن** بما يجب تصديقه **وعمل صالحا ثم اهتدى** ثم استقام
للتراخي الرتبي لان المراد بالاهتداء الاستقامة والثبات على الهدى المذكورة من
التوبة والايمان والعمل الصالح **وما اعجلك** العجلة طلب الشيء وتحريه قبل اوانه وهي من
مقتضى الشهوات فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل العجلة من الشيطان
عن قومك يا موسى اي اي شيء عجلك عنهم وذلك ان موسى عم قد مضى مع النقباء
الى الطور على الموعد المضروب فلما دنا منه تقدمهم شوقا الى مكالمة ربه وتنجز موعده
بناء على انه احتياطه وظنه انه اقرب الى رضا الله تع فالقوم الذين عجل عنهم هم النقباء
والمعنى انهم الذين ظنهم مع هرون عم وهو سؤال عن سبب العجلة عن قومه
على سبيل الانكار لانها ذيله في نفسها مقتضية لاهمال القوم وايهام التعظيم عليهم
فلذلك اجاب عن الامرين وقدم جواب الانكار الذي هو اعظم القوم بما فيه بسط
العذر وتمهيد العلة لانه اهم بهذا ما قالوا وعندي ان تعديته بعن لتضمين معنى
الانقطاع والانفصال كانه قيل ما الحامل على انفصالك عن قومك مستعجلا فكانه
اصل السؤال في المعنى عن الانفصال عن قومه وان كان في اللفظ عن العجلة فقدم
جوابه اعتبارا للمعنى كما هو الاصل **قال هم اولاء على اثري** اي على طلق ما تقدمتهم بخطى
يسيرة لا يعتد بها عادة وقرئ بالكسر وبالضم والاثر بالضم بمعنى الاثر غريب وبمعنى
فرند السيف مروي وجاز ان يكون مجازا عنه فان المسارعة الى امتثال الامر يستوجب
الرضا يعني اذا كانت مذمومة فالذي دعاني اليها هو طلب الرضا منك **قال فانا**
قد فتنا ابتلينا **قومك** يعني بعبادة العجل **من بعدك** من بعد خروجك من بينهم فبزيادة
تعين ان المراد من هذا القوم غير المراد من الاول والفاء للترتيب مدخولها على مدلولها
تقدم من بيان زيادة حرصه عم على المناجات وكمال شوقه الى المكالمة مع ربه وما يلزمها

ض

وعجلت اليك رب لترضى

حتى الغضب عن قومه فكأنه قال لا تشتغل فيما كنت فيه ولا تغفل عما وراءك فانا قد فتنا قومك
واضلهم السامري بدعائه اياهم الى عبادة العجل بعد ذهاب موسى عليه السلام الى الميقات و
قد مر التفصيل في سورة الاعراف وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل عبد ذلك وقرئ اضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا فرجع موسى
بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية الى قومه غضبان عليهم اسفا حزينا
بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية التي فيها
هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك افطال عليكم العهد اي اتاجر الموعود فطال
عليكم الزمان بعد زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
اي اردتم ان تفعلوا فعلا يوجب الغضب فاخلفتم موعدي وعدوه ان يثبتوا
على امره وما تركهم عليه من الثبات على الايمان فاخلفوا موعده باتخاذ العجل قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراءنا لما
اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده وقرئ ملكنا بالفتح وبالضم والكل
في الاصل لغات من ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي
القبط او اراد بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد استعاروه ليلة الخروج من
مصر بعلة ان غدا لنا عيد فقال السامري انما حبس موسى لشؤم حرمتها لانهم كانوا
معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب على ان الغنائم لم تكن تحل فاحرقوها فخباه السامري
في حفرة النار فقالب عجل فانصاعت فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة
وامرهم ان يطرحوا فيها الحلي فكذلك القى السامري ما معه من حلي في النار او ما معه
من التراب الذي اخذه من اثر حافر فرس جبرائيل عليه السلام ويعضد هذا العدول عن القذف
المعتبر في مفهومه صلابة المرمي والبعد والكاف يتعلق بالقى اي مثل قذفنا القى السامري
او صفة مصدر محذوف تقديره القاء مثل القائنا فاخرج لهم السامري من
الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء لا انه لم يخلق الله تعالى
العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا لان الله تعبدنا بالبحث عن
علل احكامه لا عن علل افعاله وضم ذلك بقوله لا يسئل عما يفعل جسدا بدل من
عجلا للتنبيه على انه لم يكن ذا روح ولذلك وصفه بقوله له خوار صوت العجل فانه لو كان ذا
روح لكان الخوار من شانه فلا يجري توصيفه كما يجري توصيف الانسان بالضاحك
فقالوا اي السامري ومن تابعه وافتتن به اول مرة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه

موسى هنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر
افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اي انه لا يرجع اليهم قولا فان مخففة من الثقيلة وقرئ
بالنصب على انها الناصبة للفعل وفعل الرؤية من رؤية البصر على المبالغة في ظهور ما
ذكر بتنزيله منزلة المبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على اضرارهم ولا على انفاعهم
ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى عليه السلام وقيل من قبل قول السامري كأنهم
اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به فبادرهم هارون عليه السلام بالنصح
قبل ان ينطق السامري فقال يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني
واطيعوا امري في الثبات على الدين الحق واباه قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته
عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى فان الظاهر من هذا الجواب ان يكون من قبل
رجوعه عليه السلام قال يا هارون اي قال له موسى عليه السلام لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة
العجل الا تتبعني ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي والمقاتلة
مع من كفر بمن آمن او ان تلحق بي مع من اطاعك ولا مزيدة كما في قوله تعالى ما منعك
ان لا تسجد ويجوز ان يكون المعنى ما صرفك الى ان لا تتبعني اي دعاك اليه افعصيت
امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ثم اخذ بشعر راسه بيمينه ولحيته بشماله
غضبا وانكارا عليه لان الغيرة في الله ملكته قال يا ابن ام كان اخاه لابيه وامه عند
الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي
ثم ذكر عذره ولما كان النهي المذكور متضمنا لدعوى عدم العصيان والاستحقاق بموجبه
اورد العذر في صورة التعليل فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي ولم تحفظ اخلفني في قومي واصلح لان الاصلاح
كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك ثم اقبل على
السامري وقال له منكرا عليه فما خطبك سؤال القصة فلذلك اجاب بما نها ولو كان
السؤال عن مطلوبه لما انتظم الجواب والفاء لترتيب مدخوله على مدلول ما تقدم من ظهور
ان غرض هارون عليه السلام مما فعله كان اصلاحا فكأنه قال علم خطب هذا فما خطبك قال
بصرت بما لم يبصروا به وقرئ بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم يعلموه وهو ان
الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم يروه و
هو ان جبرئيل عليه السلام جاءك على فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا
من فرعون وكان جبرئيل يغذوه حتى يستقل وكان يرى منه ذلك فقبضت قبضة

من اثر الرسول من تربة موطئه وقرا ابن مسعود رض من اثر فرس الرسول ولعله سماه الرسول
لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى
الطور والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض وقرئ قبضة بالضم وهي اسم المقبوض
وقرئ قبصة بالصاد المهملة والاول الاخذ بجميع الكف والثاني الاخذ باطراف الاصابع فنبذتها
في الحلي المذاب او في جوف العجل فظهر فيه اثر الحيوة والنبذ طرح الشيء عن اليد خاصة وكذلك
سولت زينت لي نفسي اذا فعلته فعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف منه بالخطاء قال
لموسى فاذهب من بيننا طريدا فان لك في الحيوة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك
جاهلا بحالك لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه وذلك انه منع من مخالطة الناس
منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل ما يعاود به الناس بعضهم بعضا واذا ماس
احدا حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في
الناس اوحش من الوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك
موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله موعده ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك
في الدنيا وقرئ لن تخلفه بكسر اللام من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت اصله ظللت فحذف اللام الاولى
تخفيفا عليه اي على عبادته عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ويدل عليه قراءة لنحرقنه من الاحراق
وقرئ بالتخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهو طريق تحريقه بالنار فانها لا تعمل في الذهب
بالتحريق الا بهذا الطريق ثم لننسفنه لنذرينه رمادا من نسف الطعام اذا ذراه لتطير منه
قشوره في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود اظهار غباوة المفتونين به انما الهكم
المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في خواص الالوهية
وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم وقرئ بالتشديد فصار علما احد مفعوليه
وذلك انه وسع يتعدى الى مفعول واحد وهو كل شيء وعلما نصب على التمييز فهو في المعنى
فاعل فلما نقل نقل الى التعدية اليه فصار ما كان فاعلا مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص
العجيب اي اقتصاص قصة موسى وفرعون والسامري والكاف في محل النصب على
المصدر نقص عليك من انباء ما قد سبق من الامم السالفة واحوالهم تكثيرا لمعجزاتك
وتذكيرا للمستبصرين والنبأ الخبر العجيب الشان وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا
على هذه القصص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وتعويضه من لدنا
للتخصيص اي ذكرا لا يمكن ان يؤتيه الا من عندنا وهو مفهوم للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا

٤٦

جليلا بين الناس ولا يساعده قوله من اعرض عنه عن هذا الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة
فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة شبه عقوبة الثقيلة على المعاقب بالحمل
الفادح بصعوبة احتمالها وكونها تنقض ظهره او سيئ جزاء الوزر وهو الاثم وزرا خالدين
حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحده فانه حملا على لفظ من فيه في الوزر او
في حمله وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز
واللام في قولهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق
عليه تقديره وساء حملا وزرهم يوم ينفخ وقرئ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما
له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او جبرائيل عم وان لم
يجر ذكره لانه المشهور بذلك في الصور وقرئ في الصور وقد سبق بيان ذلك ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا
لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق وقيل ازرقت عيونهم من شدة العطش و
قيل ان تشوه خلقهم فتسود وجوههم وتزرق عيونهم يتخافتون بينهم يخفضون
اصواتهم لامتلاء صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه
ان لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليالي يستقصرون مدة لبثهم فيها اما لانقضائها
لان المنقضي وان طال قصير بالانتهاء واما لاستطالتهم مدة الآخرة فان الانسان
يستقصر مدة الدنيا ويستحقر لبث اهلها فيها بالنسبة اليه ولهذا استرجح قول من
هو اشد تقالا او استقصارا منهم وقيل في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم افضلهم طريقة سيرة
او اسدهم رايا ان لبثتم الا يوما ووجه رجحانه انه ابلغ في الطريقة المذكورة آنفا و
يسئلونك عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سال عنها رجل من ثقيف بعد النزول
فقل ذكر ههنا الفاء في الجواب ولم يذكر في سائر السؤالات ويسئلونك عن المحيض
قل هو اذى وعن اليتامى قل اصلاح لهم خير وعن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير وعن
الساعة ايان مرساها قل انما علمها وعن الروح قل الروح وعن ذي القرنين قل
سأتلو عليكم لان الجواب فيها عن سؤالات واقعة قبل النزول وههنا عن سؤال
علم الله تعالى وقوعه واخبر عنه ولم يقع بعد ولذلك اجاب بالفاء الفصيحة فكان
المعنى اذا سالوك فقل ينسفها ربي نسفا قال الخليل يقلعها فيذرها فيتركها
والضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها ولو كان المعنى كما قالوا لجعلها كالرمل ثم

يرسل الرياح عليها فيفرقها ويذريها كما يذرى الحب لكان حق يذرها ان يصدر بالواو والفصيح
قاعا صفصفا القاع الارض المستوية والصفصف الارض الملساء فقوله ولا امتا
مؤكد لكلتا حالتي الامت النتو اليسير ولا اختصاص للعوج بالكسر بالمعاني قال ابن
السكيت وكل ما ينتصب كالحائط والعود قيل عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في
ارض او دين او معاش يومئذ ظرف ليتبعوا مضاف الى وقت النسف اي يوم اذ
نسفت او بدل ثان من يوم القيامة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر وقيل
هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب
الى صوته لا عوج له في مدعوه اي لا يعوج له مدعو لا يعدل عنه بل يستوون اليه من غير
انحراف عن سمت صوته وخشعت الاصوات للرحمن بهيبة واجلالا او
الخشوع كالخضوع من صفات النفس الا ان مظهر الاول منها الصوت ومظهر الثاني العنق
فيسند كل منهما الى مظهره فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا وقيل هو من همس الابل
وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن من مرفوع المحل بدل من الشفاعة على تقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وتنفع على هذا
من جملة الافعال التي جعل فاعلها نسيا منسيا واجريت مجرى الفعل اللازم للمبالغة
في التعميم كقولهم فلان يعطي ويمنع ومنصوب المحل على المفعولية والاستثناء مفرغ
ومعنى اذن له على هذا اذن لاجله اي اذن للشافع واذن يحتمل ان يكون من الاذن
وهو الاذن بفتح الهمزة ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله في الشفاعة او رضي
لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم
من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه او على العكس ولا يحيطون به علما الضمير لاحد
الموصولين او لمجموعهما وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت خضوع الوجوه
لان آثار الذل انما تظهر اولا وفيها وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يكون التعريف باللام
بدلا عن التعريف بالاضافة على ان المراد وجوه المجرمين فيؤيده وقد خاب من
حمل ظلما يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم والاعتراض ولا يأباه
كونه في مقابلة قوله وهو مؤمن لان تقابل المعنوي كاف فان الاعتراض كالاستئناف
لا ينفك عن الحال ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان
شرط قبولها فلا يخاف وقرئ فلا يخف على النهي ظلما منع ثواب مستحق بالوعد والظلم

اذ يأخذ

اذ يأخذ من صاحبه فوق حقه ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره
ولا يهضم حقه وكذلك انزلناه قرآنا عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال من انباء
الاولين او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله
عربيا بلسان العرب وصرفنا فيه من الوعيد كررنا القول فيه من انواع الوعيد وفيه
لمن يومئ الى آخره لعلهم يتقون كي يتقوا المعاصي فيصير التقوى بهم ملكة او يحدث لهم ذكرا
عظة واعتبارا سد التقوى عليهم واحداث الذكر والاتعاظ الى القرآن مع كلمة الترجي
بعد ذكر تصريف الوعيد في القرآن لان التكرار يفيد ملكة التقوى لهم غالبا فيكونون في صورة
المرجو المتيح فيه عادة التقوى والا فلا اقل من احداث العظة فيهم حين سماعه فتسقطها
عنها فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهات الاناس
ومشابهة الاجسام فلا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذواتهم استعظام له
ولما نزل وصرف على عباده من الوعيد الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرتجى وعده
ويخشى وعيده الحق العادل في حكمه وملكوته او المستحق للملك بذاته او الثابت في ذاته
وصفاته لما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي اي تأنّ فيه ريثما يسمعك جبرائيل
ويفهمك ثم اداء بالتحفظ كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل لا تبلغ ما كان
مجملا حتى يأتيك بيانه وقل رب زدني علما واسأل الله تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال
فان ما اوحي اليك تناوله لا محالة ولقد عهدنا يقال عهد عليه وعهد اليه اذا امره
واوصى اليه عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس
امر بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان فلهم من يحتاجه الى تكرار الوعيد
وصرفه واللام جواب قسم محذوف من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به
حتى غفل عنه واغتر بقول الشيطان او ترك ما وصي به اليه من الاحتراز عن الشجرة وقرئ
فنسي مشددا مبنيا للمفعول اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي و
ثباتا على العهد اليه اذ لو كان ذا عزيمة وجد لم يقبل وسوسة الشيطان ولم يغتر بقوله
والوجود ان كان بمعنى العلم فمفعولاه له عزما وان كان بمعنى المصادفة فعزما مفعوله و
له متعلق به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملائكة اسجدوا لآدم و
اباء ابليس وتحذيرنا اياه من كيده حتى يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا عزيمة وثبات و
من ههنا يتبين انه ما نيل ان المعنى ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطأ ولا يتعمد لا يناسب

سائل

سياق الكلام فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة على تقدير سؤال
كانه قيل لم لم يسجد فقيل ابى اظهر الاباء وتثبط ويرشدك الى هذا ما في سورة ص من قوله
استكبر بدل ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك اعاد الجار للدلالة على ان
عداوته لها ايضا اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما بحيث يؤثر فيهما
وسوسة الشيطان ويتسبب لاخراجهما فهو مبالغة في النهي عن قبولهما مع الاشعار بعلة
النهي فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء لاستلزام شقائه
شقاءها لانه القيم عليها والمحافظة لها مع الايجاز والمراعاة على الفاصلة ويجوز ان يكون
المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجل ويعضده قوله ان لك
ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وذكر لما في الجنة
من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها
ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها وانما عدل عن الاصل المالوف في الذكر الى
المنزل تنبيها على ان الاولين اصلان وان الاخيرين متممان على الترتيب فالامتنان على
هذا الوجه اظهر ولهذا فرق بين القرينتين فقيل اولا ان لك وثانيا انك وقرئ
بالفتح عطفا على ان لا تجوع وانما جاز دخول ان على ان لان الواو ليس حكمها حكم ان لانها
نائبة عن كل عامل لا عن خصوص ان لتعلل بامتناع توارد حرفين بمعنى واحد وايضا و
كذلك لم توضع للتحقيق خاصة لتعلل بامتناع اجتماع حرفين لمعنى واحد على انها وان
كانت نائبة الا انها ليست في قوة المنوب عنه فلذلك عومل معها ما يعامل معه كقولك
ليس زيد قائما ولا قاعدا ولا يجوز ان تقول ليس لا قاعدا فوسوس اليه الشيطان
اي فوسوس منهيا اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى
الخلد وهو الخلود موهما ان كل من اكل منها خلد فهو سبب الخلود بزعمه وملك لا يبلى
لا يخلق ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة قد سبق القول فيه وعصى العصيان وقوع الفعل او الترك على خلاف
الامر والنهي فقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد يكون خطأ فيكون زلة آدم ربه بعدم الانتهاء
بالنهي فغوى عن الرشد حيث اغتر بقول العدو او عن المطلوب وهو الخلد والملك البالغ
وفي النعي عليه بالعصيان مع صغر زلته تعظيم لها وتشديد عليه في العقاب وتغليظ لعلو رتبته
وعدم مناسبة الزلة لمقامه وزجر بليغ وموعظة كافة لاولاده ثم اجتباه ربه اصطفاه بالتوفيق

للتوبة

بالتوفيق للتوبة والقبول بعدها والتقريب من جبى الي كذا فاجتبيته ونحوه جليت على العروس
فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على
التوبة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس لانه قد خرج منها قبل
هذه القولة فاخرج منها فانك رجيم بعضكم لبعض عدو وقد سبق القول فيه فاما يأتينكم
مني هدى من الكتاب والرسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي فان له معيشة ضنكا مصدر وصف به
ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان المعرض عن ذكري
حريص على الدنيا متهالك عليها لا يزال همه مصروفا الى الازدياد منها يجمع ويمنع ويطمح
على ما في ايدي الناس فيطمع ويغلب عليه الشح فيضيق عيشه بخلاف الذاكر المتوجه
اليه التابع للهدى المتوكل عليه في امره فانه يعلم ان رزقه على الله تعالى فيسمح بما في يده
فينفق فيعيش عيشا رافغا كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة على انه تعالى قد يضيق بشوم
الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ونحشره وقرئ بالجزم عطفا على محل
فان له معيشة لانه جواب للشرط يوم القيامة اعمى عن ابن عباس رض اعمى البصر وهو كقوله
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه المناسب للسؤال قال رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك اي ذلك فعلت انت والكاف
مقحمة لما للامر لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم ثم فسره فقال أتتك
آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظورة وكذلك مثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في
الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب
الآخرة اشد وابقى اي وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش
المنقضي او لتركنا اياه في العمى ابدا اشد وابقى من تركه لآياتنا افلم يهد لهم مسند
الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل
على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم كناية
عن مشاهدتهم آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة بتأخير عذاب

بهذه الامة الى الآخرة **لكان لزاما** لكان مثل ما نزل بعاد وثمود من عذابنا لازما لهؤلاء الكفرة واللزام
اما مصدر وصف به واما فعال بمعنى مفعل اسم آلة اللزوم يسمى به اللازم لفرط لزومه **واجل مسمى**
عطف على كلمة او على المستكن في كان وهو ضمير ذلك المشار به الى الهلاك اي ولولا قضاء
سابق ووعد بتاخير عذاب هذه الامة الى يوم القيمة او يوم بدر واجل مسمى لاعمارهم
لكان اللزام والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب او ولولا هذه العدة لكان
الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى عن
الاخذ العاجل **فاصبر على ما يقولون** الفاء للسببية جزاء شرط مقدر اي اذا لم نعذبهم
ولم نهلكهم لما ذكر فاصبر **وسبح** تقييد التسبيح بالاوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا
بمعنى الصلوة والاولى وجه للتخصيص بها وقوله **بحمد ربك** حال اي وصل وانت حامد لربك
على هدايته وتوفيقه **قبل طلوع الشمس** اي الفجر **وقبل غروبها** اي الظهر والعصر لانهما في
النصف الاخير من النهار **ومن آناء الليل** ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وآناء
بالفتح والمد **فسبح** اي المغرب والعشاء وصلوة التهجد وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه
بمزيد الفضل لان الميل فيه الى الاستراحة اقوى فكانت العبادة فيه على النفس اشد
واشق فكان الثواب اكثر ولان القلب فيه اجمع والفراغ الى الله تعالى والخلوة به ايسر
واكثر ولهذا قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا **واطراف النهار**
تكرير لصلوتي الصبح والمغرب لمزيتهما لكونهما مختلف الملائكة ومجتمعهم معناه تعلق
آناء الليل واطراف النهار مختصا لها لصونك وجمع الاطراف بمجاورة الآناء مع الامن
من الالباس **لعلك ترضى** اي سبح في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما
ترضى به نفسك وقرئ بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك **ولا تمدن عينيك** اي نظر
عينيك **الى ما متعنا به** مد النظر تطويله مستمرا بحيث لا يكاد يرده استحسانا للمنظور
وتمنيا ان يكون للناظر **ازواجا** اصنافا منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في
به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم **زهرة الحيوة
الدنيا** الزهرة الزينة والبهجة وقرئ بفتح الهاء وهي لغة فيها كالجهرة في الجهرة او جمع
زاهر كالجهرة في جمع جاهر نصب على الذم او على الاختصاص اي اعني او اخص او على المفعول الثاني
لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى اعطينا واما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور اي به او
من ازواجا على تقدير مضاف اي ذوي زهرة فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد اخاك و
لان الابدال من الضمير العائد الى الموصول ونحوه مما اختلف في جوازه وعلى قراءة الفتح نعت

على انه جمع زاهر وجاز ان يكون حالا والاضافة لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة الدنيا وصف
زاهري الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد **لنفتنهم** لنبلوهم و
نختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه **ورزق ربك خير** ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك
من الهدى **خير** مما متعناهم به في الدنيا **وابقى** لانه لا ينقطع ابدا **وامر اهلك بالصلوة**
امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها وبالصبر ليتوافقوا
في الاستعانة على خصاصتهم بها القولة استعينوا بالصبر والصلوة ولا يهتموا بامر الرزق
والمعايش ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة والرياش **واصطبر عليها** وداوم عليها **لا نسألك
رزقا** اي لا نكلفك ان ترزق نفسك **نحن نرزقك** ففرغ بالك لامر الآخرة لان من كان
في عمل الله كان الله في عمله والحكم في الموضعين عام في صورة الخطاب خاص **والعاقبة**
المحمودة **للتقوى** مخصوصة بها ويلزم هذا ان يكون حسن العاقبة لاهلها خاصة ولا
حاجة الى التقدير **وقالوا لولا ياتينا باية من ربه** هلا ياتينا محمد باية دالة على صحة
نبوته بناء على عادتهم في اقتراح الآيات وانكار ما جاء به منها وعدم الاعتداد بها تعنتا
وعنادا او تنكير آية بانه يحملها على آية مشهودة اقترحوها فالزمهم بالقرآن الذي هو
آخر المعجزات واعظمها حيث قال **اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى** وذلك انه
برهان ما في جميع الكتب المنزلة من حيث انه معجز بلفظه دونها فهو بالنسبة اليها
حجة على صحتها لاشتماله على ما فيها وتصديقه اياها مع اعجازه ولما كان برهانا على صحة
نبوته للدلالة على انه مختص بنوع من العلم اعلى قدرا واشرف من جميع العلوم وهو
خلاصة ما في الكتب الالهية من العقائد والاحكام مع كونه اميا لم يتعلم شيئا وبنوع
من تركيب الكلام لم يمكن احدا معارضته في الفصاحة والبلاغة عند التحدي به
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام او من
قبل البينة وتذكير الضمير لانها في معنى البرهان والدليل او من قبل اتيانها او
اتيانه بها **لقالوا ربنا لولا** هلا **ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من
قبل ان نذل** بالقتل والسبي والجزية في الدنيا **ونخزى** بالعذاب ودخول النار
في الآخرة **قل كل** كل واحد منا ومنكم **متربص** منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم
في العاقبة **فتربصوا** فانتظروا وقرئ فتمتعوا **فستعلمون من اصحاب الصراط
السوي** المستقيم وقرئ السواء اي الوسط والسوي والسوأى اي الشر و
السوي وهو تصغيره **ومن اهتدى** اي النعيم المنعم ومن في الموضعين للاستفهام

فلانا فاذا ادخل الاوليك الانبال ... ولاسيك ... داياهم لا ... دنيا ... [illegible]

... علي من قال ان في ... النقوى ولقوله النقوى ... ان العاقبة ... لاهل النقوى ... للصالحين ... [illegible]

ومحل الاولى الرفع بالابتداء، والثانية عطف عليها عطف الجملة على الجملة ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام

والحمد لله على التمام
وعلى سيد رسله
افضل السلام وعلى
آله وصحبه اولى
الكرم والفضل
والانعام

سورة الانبياء عليهم السلام مائة واحدى عشر آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم اي دنا وقت اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى بها والحساب اخراج الكمية من مبلغ العدة والاقتراب بالنسبة الى ما مضى لا عند الله اذ لا نسبة للحادثات بالقرب والبعد اليه او لان مبدأه الموت او هو كناية عن ظهور بعض اماراته وبناسبه **وهم في غفلة** تنكيرها للتعظيم اي وهم مستغرقون في غفلة عظيمة لا يعرف كنهها وهذا من قبيل نسبة فعل الاكثر الى الكل فلا ينافي كون تعريف الناس للجنس كما في قوله ويقول الانسان اذا ما مت الآية واللام صلة لاقترب او تاكيد لاضافة الحساب اليهم كما في قولهم لا ابا لك والاصل اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم ونحوه في التاكيد تكرير الظرف كقولهم فيك زيد راغب فيك **معرضون** عن اسباب التنبه كلما كرر عليهم التنبه وجدد لهم التذكير وقرعت لهم العصا واحدث لهم ذكر من الآيات التي تتلى وقتا بعد وقت ما تنبهوا بواحد من تلك الاذكار وما استيقظوا مرة من تلك المرار الا استمعوه مستهزئين لاهين يلعبون فقوله **ما ياتيهم من ذكر** الخ تقرير لتماديهم في الاعراض والغفلة بان الله تعالى يجدد لهم الذكر ويكرر على سماعهم الوعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع

ذلك الا لعبا واستسخارا وتلهيا راسخا في قلوب وجدا وعزبة في اللهو يعني انهم وان فطنوا فهم فلا جدوى فطنتهم وتمادي ذهولهم وغفلتهم عن التامل والتبصر كان الذهول مركوز في قلوبهم لا فطنة لهم اصلا قوله في غفلة معرضون خبران او الظرف حال من المستكن في معرضون **من ربهم** صفة لذكر او صلة ليأتيهم **محدث** لم يرد به حدوث نفسه بمعنى مسبوقيته بالعدم وان كان صحيحا لان الكلام اللفظي حادث عند الجمهور ولا حدوث تنزيله كما زعمه الحنابلة المنكرين حدوثه لان كلا منهما لا يناسب المقام ولا يلائم مساق الكلام بل المراد تجدد الذكر وقتا بعد وقت لما فيه من ازدياد الزجر في التذكير وقرئ بالرفع حملا على المحل **الا استمعوه وهم يلعبون** حال من الواو وكذلك **لاهية قلوبهم** اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي فيهما حالان مترادفان ومن لهيت عن الشيء لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه ويعدى بعن وبمن عند الاصمعي وهو في الحديث من باب علم اي من لهي عنه يلهى اذا ذهل وغفل ويجوز ان يكون حالا من واو يلعبون فالحالان متداخلان وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير فالحال واحدة وفي قوله **واسروا النجوى** مبالغة لان النجوى لا يكون الا خفية اي بالغوا في اخفائها **الذين ظلموا** بدل من واو اسروا وفائدة الابدال الاشعار بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او منصوب على الذم او مرفوع بالابتداء خبره اسروا النجوى فقدم عليه وفائدة التقديم الاهتمام ببيان اسرارهم النجوى بالتسجيل عليهم بانه ظلم لان الاصل وهم اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر قدم الاسرار ليفهم منه ان الاسرار هو الظلم ثم بين ان النجوى ما هو بقوله **هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون** ليتمكن في انفس السامعين بالابهام والتبيين ويتحقق عندهم ان ذلك هو الظلم الفاحش بالدليل الواضح لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم ان كونه سحرا امر بديهي واعتقادهم ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان من ادعى الرسالة من البشر فهو ساحر وانكارهم ان يحضروا السحر الذي لا شك فيه وانما اسروا تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر للناس فساده تنبيطا عنه وعادة المتشاورين الكتمان وما ذكر كله في محل النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقالوا مضمرا **قل** وقرئ قال اخبارا عن الرسول وحكاية لقوله **ربي يعلم القول في السماء والارض** هو آكد من قوله يعلم السر لانه عام يشمل السر والجهر كانه قال يعلم السر كله وغيره كما ان قوله يعلم السر آكد من قوله يعلم سرهم لعمومه فلهم ولم يقل في مقابلة اسروا النجوى يعلم السر

ليؤكد بالطريق البرهاني ثم قرر ذلك وبين بقوله وهو السميع العليم اي مطلقا دون غيره فكيف يخفى عليه
ما يسرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر بل الاولى اضراب عن تجاوزهم
في شان الرسول عليه السلام وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية
للاضراب عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء
نفسه والثالثة للاضراب منه الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها
ويرغب فيها ثم انهم تفننوا في مدارج الاضراب واعتبروا في كل نحو منه نوعا من الاعتبار
اللطيف قيل اضربوا عن قولهم هو سحر الى قولهم اضغاث احلام اي تخاليط رؤيا
ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول الشاعر على عادة كل مبطل في التلجلج والتزلزل في التحير والتلعثم
وذلك يدل على فساد قولهم وبطلانه ولا يذهب عليك ان حق النظم حينئذ قالوا بل قا
لوا وانما قيل يجوز ان يكون الكل من الله تعالى تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه
شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشاعر
وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك
بخلاف الاحلام وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فمبناه
على ان يكون بين الشعر والحكمة بونا بعيدا وعلى ان يكون السحر كالمعجزة من خوارق
العادات ولا صحة لواحد منهما اما الاول فظاهر وكأن هذا القائل غافل عن قوله عم
ان من الشعر لحكمة واما الثاني فلان الحق ان السحر اما اعجوبة لا حقيقة لها او ترتيب لاسباب
خفية وعلى الملا المقتدرين ليس فيه شي من خرق العادة فليأتنا بآية معجزة عظيمة
وصحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه كما اتى الاولون بالآيات العظيمة
كاليد والعصا واحياء الموتى وابراء الاكمه لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بها هذا
اذا كان ما مصدرية واما اذا كانت موصولة فالمعنى كالتي ارسل بها الاولون فالتشبيه
على ظاهره ما آمنت قبلهم من قرية اراد بالقرية اهلها فالمجاز من جهة المجاز لا من
جهة الحذف ولذلك قال في التوصيف اهلكناها دون اهلكناهم يريد باهلاكهم عذا الحازم
بما اقترحوا من الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون عند اتيانها وفي ايلاء الهمزة فاء التعقيب
انكار ايمانهم بعدما لم يؤمن اولئك لان هؤلاء اعتى منهم واشد عنادا وتعنتا فلو اتي
بما يقترحون لكانوا اعصى منهم واشد كفرا وتنبيه على ان عدم الاتيان بما اقترحوا ابقاء
عليهم اذ لو اتي به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا
قبلك الا رجالا يوحى اليهم جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فان شككتم فيه

فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انما امرهم بذلك ليتحقق ومن ان الرسل كانوا بشرا
ولم يكونوا ملائكة والمراد من اهل الذكر اهل الكتاب وانما احالهم اليه للالزام فانهم
كانوا يشاورونهم في امر الرسول والرد عليه ويثقون بقولهم او علماء الاخبار والاحالة
اليهم لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وتمام الكلام في هذا المقام
قد سبق في سورة النحل وما جعلناهم اي ما جعلنا كل واحد منهم كقوله ثم يخرجكم طفلا جسدا
الجسد جسم الحيوان مخصوص به كالبدن بخلاف الجسم والجسم وهو عبارة عن روح وجسد و
الروح ما لطف والجسد ما غلظ واصله تجمع الشيء واستداده اي ما جعلناهم جسدا مجوفا
ليس فيه روح متصرف حتى يتخلل فيحتاج الى البدل فقوله وما كانوا خالدين تقرير وتأكيد
لذلك المعنى وجواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ولما كان التغذي من لوازم التحليل
المؤدي الى الفناء كان قوله ثم صدقناهم الوعد تقريرا وتأكيدا له ونفي عن الرسل لما اعتقدوا
اختصاصه بالملك تخفيفا لكونهم من جنس البشر ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فنصب بانتزاع
الخافض فانجيناهم مما حل بقومهم ومن نشاء يعني المؤمنين ومن في ابقائه حكمة كمن
سيؤمن هو او بعض ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا
المسرفين المجاوزين الحد بالكفر ويفهم منه وجود بعض الكافرين تحت من نشاء ولقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم وشرفكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق والكتاب القرآن والخطاب لقريش او
لعامة العرب افلا تعقلون فتؤمنوا به والفاء كالتي في افهم يؤمنون وكذا الاستفهام
وكم قصمنا واردة عن غضب شديد لان القصم افظع الكسر لانه كسر يبين تلاؤم الا
بخلاف الفصم بالفاء ولا يراد ما في صورة التكثير من قرية لما انيبت القرية مقام
اهلها وتجوزها عنهم وصفت بصفتهم فقيل ظالمة وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها
قوما آخرين مكانهم وللدلالة على تعدي الغضب في شانهم الى اهلاك قريتهم نفيا باخراجها
عن صلاحية الانتفاع بها قال بعدها ولم يقل بعدهم اظهارا للتوسع السابق واعتبارا
لما تقتضيه اللاحق فان الضمير في قوله فلما احسوا لاهل القرية باسنا اي ادركوه
بالحس عيانا ومشاهدة شدة عذابنا على الاستعارة في الاحساس ويجوز
ان يكون من قبيل الاستعارة في الكل اذا هم منها من القرية واذا للمفاجأة يركضون
والركض ضرب الدابة بالرجل اي يهربون مسرعين على الكناية ويحتمل التمثيل على
تشبيههم في الاسراع وشدة العدو لمن يركض الدابة لا تركضوا قولا بلسان الحال

بنبيء الى انهم خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل والمقال استهزاء والقائل ملك او من ثمه
من المؤمنين او هو بما تحدث به انفسهم تحسرا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه
والتنعم والاتراف ابطار النعمة والاسم الترفه او ارجعوا الى وبال ما اترفتم فيه ومساكنكم
في النار او التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او كناية عن العذاب فان السؤال
مقدمته او تهكم وتوبيخ اي ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم من يتعهده
امركم ونهيكم او يسألكم الناس في افنيتكم المعاونة في نوازل الخطوب او يسألكم الوافد
عليكم ويستمطرون سحاب ما في ايديكم ولما اخذهم العذاب ولم يروا وجه النجاة قالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا بالاقتراف حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك دعواهم
الاشارة الى يا ويلنا لانها دعوى اي فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى
الدعوة لان المولول يدعو الويل ويقول يا ويل تعالى فهذا اوانك والويل الوقوع
في الهلكة وتلك اسم ما زالت ودعواهم خبره او بالعكس وتعيين الاول انما هو في نحو
ضرب عيسى موسى مما يختلف اصل المعنى باختلاف الاعراب حتى جعلناهم الضمير المنصوب
هو الذي كان مبتدأ وحصيدا خامدين كالخبرين فنصبهما جميعا على المفعولية
لا على انها تقتضي ثلثة مفاعيل بل على ان الاخيرين في حكم الواحد اي جعلناهم جامعين
لمماثلة الحصيد والخمود كقولهم هذا حلو حامض اي جامع للطعمين شبههم في استئصالهم
وسقوطهم بالزرع المحصود وفي خمادهم وسكونهم بالنار الخامدة وافراد حصيدا
دل على ان المثل مراد يخرج الكلام عن حد الاستعارة الى حد التشبيه وما خلقنا
السماء والارض ما في جهة العلو والسفل وما بينهما من العجائب والبدائع واللطائف
الصنائع لاعبين كما يصنع ابناء الدنيا انما خلقناها تسبيبا لما ينتظم به امور العباد
في المعاش والمعاد وتبصرة لاولي الالباب والابصار وتذكرة لذوي الاعتبار من النظار
فليعتبر بها طلاب الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا
ان نتخذ لهوا لاتخذناه ان السبب في ترك اتخاذ اللهو هو الحكمة البالغة والا فالقدرة الباهرة
لا تعجز عن ذلك ان اراد فعله فانه على كل شيء قدير والحكمة وان لم تكن منافية لاتخاذ
اللهو وهو ما يتلهى به ويندرج فيه اللعب لكنها منافية لان يفعل فعلا يكون به لاهيا من لدنا
اي من عالم الغيب لا من عالم الشهادة لانه اشنع وابعد عن شان الحكيم ان كنا فاعلين
ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية وزيادة كنا لاستمرار النفي الماضي
في الاعتبار لا لنفي الاستمرار لانه لا يناسب المقام والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف

على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب اي بل شاننا ان نغلب الحق
الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه ويفنيه من دمغ
الرجل اذا شج شجة تبلغ ام الدماغ فلا يحيى صاحبها بعدها استعارة والقذف الذي
هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي لايراد الحق على الباطل تصويرا لابطاله ومحقه
في صورة جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه قصفا الحق البلاغ
وقرئ فيدمغه بالنصب ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق
هالك زهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما
ينافي حكمته ويستحيل عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله
من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا
يعني الملائكة شبهوا في كرامتهم عند الله تعالى وقربهم بالمقربين عند الملوك من زمرة
خواصهم بيانا لشرفهم وهو وقف على الارض لان من مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته
لا يتعظمون عنها ويجوز ان يكون معطوفا على من في السموات والمعنى له من في عالم الشهادة
ومن في عالم الغيب ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما نفي الاستحسار وهو مبالغة في
الحسور للايماء الى ان ما هم فيه من دوام العبادة والدؤوب بلا فترة يوجب غاية الحسور والا
كان نفي ادنى حسور ابلغ يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة ام هي
المنقطعة بمعنى بل والهمزة للاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها وهو اتخاذ آلهة ارضية
وفي قوله من الارض سواء كان صفة الآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء تجهيل لهم
واستركاك لعقولهم وقوله هم ينشرون تهكم بهم وتوبيخ لهم فانهم وان كانوا لا يقولون
ذلك لكنه يلزمهم بادعاء الالهية لها فان الاله هو الذي يقدر على كل ممكن والانشاء من
جملتها وهم ينكرون نسبة البعث وانشار الموتى الى الله القادر على كل شيء ويثبتون الالهية
لاصنام نحتوها فلزمهم حصر الانشاء فيهم فلذلك اورد بهم المفيد للحصر مبالغة في التجهيل
والتوبيخ والتهكم بالتهم وهو توبيخ في توبيخ لو كان فيهما آلهة الا الله صفة لآلهة بمعنى
غير الله لتعذر الاستثناء فان آلهة جمع منكور غير محصور ولا يشمل الله حتى يستثنى منه
ولدلالته على ان الفساد انما يلزم من وجود آلهة فيهما دونه والمراد لزوم الفساد من وجوده
مطلقا كانت معه او لا اما ان الفساد اللازم ذكره لزومه على ما ستقف عليه على تقدير مطلق
التعدد الالهة وانما فرض الالهة غير الله على وفق معتقدهم لزيادة تجهيلهم في هذا الامر

الجليل الشأن فكان تضمن ابتداؤه مطلب التوحيد ابطال معتقد من على الحق وصدق الشفعة **لفسدتا**
لبطلتا لما يكون بينهما من التمانع اذ لا مجال للتوافق في المراد والا لزم ان يطارده عليه القدرة
فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجرام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير
عما يصفون عما يصفونه به مما لا يليق بشأنه **لا يسأل عما يفعل** لعلو سلطنته وكمال علمه
وعظمته وتفرده بالالوهية ولما كان الملوك والجبابرة عادتهم ان لا يسألوا عن افعالهم
وتدابيرهم في ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ عليهم فلان لا يسأل رب الارباب و
مليك الملوك خالق الكل اولى مع استحالة ذلك عليه **وهم يسألون** لانهم مملوكون مستعبدون
والضمير للآلهة وللعباد **ام اتخذوا من دونه** من دون الله **آلهة** كرره استعظاما للكفر
واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم وضما للانكار ان يكون لهم دليل
من العقل الى انكار ان يكون لهم دليل من النقل ولهذا رتب على الاول دليل العقل وعلى الثاني دليل
النقل يعني اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية
ام وجدوا في الكتب الالهية المنزلة الامر باشراكهم فامتثلوا الامر **قل هاتوا برهانكم** من العقل
والنقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا **هذا
ذكر** اي هذا الوحي الوارد على الانبياء عظة **من معي** يعني امته **وذكر من قبلي** يعني
امم الانبياء الماضين فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وقرئ
ذكرٌ من معي وذكرٌ من قبلي بالتنوين على ان من منصوب المحل مفعول للذكر وهو الاصل و
الاضافة عارضة وقرئ من معي ومن قبلي على من الجارة وادخالها على مع غريب والوجه
انه ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخلت عليه من كما دخلت على اخواته
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد واس
الغي والضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فلذلك كانت عادتهم الاعراض
عن الحق من التوحيد واتباع الباطل وقرئ الحقُّ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ومن جملة
مؤكدة وسطت بين السبب والمسبب اي كون الجهل المحض سببا للاعراض هو الحق وقدم
على المسبب لشدة الاهتمام والاعتناء بان سبب الاعراض ليس الا الجهل ويجوز حمل المنصوب
على هذا المعنى كقولك هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل ولا يعلمون فعل منسي المفعول جار مجرى اللازم
لسلب مطلق العلم عنهم رأسا وهذا الوجه افصح واعرب **وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون** تعميم بعد تخصيص لان ذكر من قبلي خبر للمشار
اليه بهذا فلا يتناول الا ذكر الموجودين بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة والآية مقررة لما سبقها

من آي التوحيد **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى
سبحانه تنزيه له عن ذلك **بل عباد مكرمون** اضراب عنه ثم اثبت انهم عباد والعبودية
تنافي الولادة لكنهم مكرمون مقربون فمن ذلك اخطأوا او زلت اقدامهم **لا يسبقونه
بالقول** لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو دأب العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم
قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول اداته ومحله تنبيها على استهجان السبق
المعرض به للقائلين على الله ما لم يقل وانيب اللام مناب الاضافة اختصارا وتجافيا
عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه **وهم
بامره يعملون** اي كما لا يسبقونه بالقول فلا يعملون الا ما امرهم به **يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم** كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده اي انهم يعلمون ان الله يعلم ما قدموا وما اخروا
من اعمالهم اي لا يخفى عليه خافية فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويحفظون عما لم
يؤمروا به قولا وفعلا **ولا يشفعون** مهابة منه **الا لمن ارتضى** لمن ارتضاه و
اهله للشفاعة **وهم من خشيته مشفقون** اي انهم مع ذلك كله قاصرون
حق الهيبة والعظمة على صدور رقبة والخشية الخوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والا
خوف مع الاعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس **ومن يقل
منهم** من الملائكة او من الخلائق **اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم** بعد ان وصفهم
بالكرامة والقرب والاوصاف الجميلة والافعال المرضية هدد من اشرك منهم على سبيل
الفرض والتقدير وانذره بالوعيد الشديد مع احاطة علمه بانه لا يكون تفظيعا لشأن
المشركين وتهديدا لهم بتهديد مدعي الربوبية ومبالغة في نفي الولد اذ لو امكن لكان ربا
من جنسه **كذلك نجزي الظالمين** من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية **اولم ير الذين
كفروا** اولم يعلموا تقرير والواو للعطف على مقدر اي لا ينكر وقدرتنا على البعث ولم يعلموا
والكفرة وان لم يعلموا لكنهم يتمكنون من العلم به بالاستفساد من الاحبار ومطالعة
الكتب فكانهم علموا به وقيل بالنظر فان الفتق به عارض مفتقر الى مؤثر موجب بالذات
ابتداء او بوسط وفيه ان اصالة الرتق وعروض الفتق مما لا يستقل في معرفته العقل **ان
السموات والارض كانتا رتقا** انما قال كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارضين رتقا ذات رتق وهو الالتحام والانضمام او مرتوقتين اي كانتا شيئا واحدا او
حقيقة متحدة وقرئ رتقا بفتح التاء على تقدير شيئا رتقا فعل بمعنى مفعول كالنقض و
الرفض **ففتقناهما** بالتنويع والتمييز بالصور المختلفة **وجعلنا من الماء كل شيء حي**

وخلقنا من الماء كل حيوان لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وامتناع وجوده وبقائه بدونه
او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو
افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسي اذا
ثبت ان تميد بهم مفعول له اي كراهة ان تميد بهم وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا لامن
الالتباس وجعلنا فيها في الارض او في الرواسي فجاجا جمع فج وهو الطريق الواسع وانما قدم
على سبلا وهو صفة له ليصير حالا مقدرة فيدل على انه حين خلقها خلقها مستعدة
لذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه
من التوكيد واخر في قوله سبلا فجاجا للبيان والتوضيح بعد الابهام لعلهم يهتدون
اي ليهتدوا بها الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا بقدرتنا من ان تقع على
الارض بغير عمد وهم عن آياتها عن احوالها الدالة على وجود الصانع وكمال حكمته و
قدرته وهو ما يحس منها من الكواكب وحركاتها واوضاعها وما يعلم من علمي الهيئة
والطبيعة معرضون اي من تفكر عادتهم الاعراض وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات والمراد بالشمس والقمر جنس الطوالع الكفناء
بابيهما كل في فلك التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم يسبحون حال من
الشمس والقمر كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او استيناف او خبر كل والمراد
بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة قالوا ان تحت السماء فلكا هو موج مكفوف
فيه الكواكب كلها ولذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الماء وقيل شبهت حركتها في
الاسراع بسباحة السابح ورده ان حق التشبيه ان يكون المشبه به اقوى من
المشبه في وجه الشبه وعكسه اللازم على ما ذكره مردود في الكلام البليغ فكيف في
المعجز وانما جمع جمع العقلاء لانهم وصفوا بوصفهم وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد كانوا يقولون نتربص به ريب المنون فنزلت والفاء في قوله افان مت فهم
الخالدون لتعليق الشرطية بما قبلها من التمهيد والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس
ذائقة الموت اي كل نفس حيوان تذوق مرارة مفارقتها جسدها وهو مقرر لما
مهده وبرهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بما يجب فيه
الصبر من البلايا وما يجب فيه الشكر من النعم وانما قدم الشر لانه انسب بالابتلاء
فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر والجزع والكفر وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض

للثواب

للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك
الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الانكار والتعجب
المفهومين من قولهم اهذا وهم خاصة بذكر الرحمن اي بذكر الرحمن بالخير وما يجب ان يذكر به
كالتوحيد والثناء عليه بما هو اهله من التسبيح والتحميد هم كافرون فهم احق ان يتخذوا
هزوا لانك محق وهم مبطلون فتقديم ذكر الرحمن على الكفر دلالة على تخصيصهم الكفر بذكر الرحمن
دون آلهتهم فانهم عاكفون على ثنائهم وتعظيمهم والجملة في محل النصب على الحال اي يتخذونك
هزوا والحال انهم على شيء هو اصل الهزو والسخرية خلق الانسان من عجل جعل ما طبع
عليه بمنزلة ما طبع هو منه مبالغة في فرط استعجاله وقلة ثباته وهو تمهيد لنهيهم عن
الاستعجال ومن عجلته استعجاله الوعد سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر
وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والمفهوم مما تقدم ان الانسان
اذا خلق وطبعه يكون على العجلة وهذا لا ينافي النهي عنها بل يستوجبه ويقولون متى
هذا الوعد وقت العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رض لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ذكر الوجوه لانها
اشرف ما في ظاهر الانسان ومحل حواسه وهو احرص على الدفاع عنه من غيره من
اعضائه ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول يعلم اي
لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب
يحيط بهم فيه من قدام وخلف فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون
ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن
جهلهم به هو الذي هونه عليهم او لما استعجلوا استهزاء او منصوب بمضمر ويعلم
مطلق بلا مفعول مجرى اجراء اللازم اي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم
هذا الجهل العظيم وانما وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل
تأتيهم بغتة فجأة مصدر او اضراب عن كف النار عن وجوههم وظهورهم اي لا
يكفونها بل تفجأهم فتبهتهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت وقرئ الفعلان
على التذكير والضمير للوعد او للحين وعلى التأنيث يجوز ان يرجع الى العدة والموعدة
او الحين على تأويل الساعة او النار او البغتة فلا يستطيعون ردها فلا يقدرون
على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير لهم بما امهلهم في الدنيا ولقد استهزئ

برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق فحل ونزل بالذين سخروا
منهم جزاء ما كانوا به يستهزءون وعد لهم بانه يحيق بهم ما يفعلون به كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوا قل من يكلاكم بالليل والنهار امر رسول الله بسؤال المستهزئين
عمن يحفظهم دايما وانما قدم الليل لان الحاجة الى الحفظ فيه اكثر واظهر من الرحمن من
بأسه ان اراد بكم فيل في ذكر اسم الرحمن تنبيه على انه لا كالي غير رحمة العامة وان الدفاع
البأس عن الناس لا يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه على رحمة العامة لا تمنعه
عن الغضب فلا تغتروا بها ولا يخفى ان هذا هو الانسب للمقام بل هم عن ذكر ربهم
معرضون اضراب عن مقدر اي انهم غير مرضيين عن ربهم ليسوا بحافظين
عنه حتى لا يجدي السؤال كيف وهم يتخذون الالهة ويعبدونها في كل وقت للشفاعة
عنده تعالى بل معرضون عن ذكره فالتذكير يناسب حالهم وهذا المعنى مع ظهوره
من سياق الكلام ووضوح انطباقه لمقتضى المقام قد خفي على الناظرين فيه حتى قالوا
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا من الكالي وصلحوا
للسؤال عنه ولم يتنبهوا ان لا يبقى وجه للامر بالسؤال وايضاح يضيع عبارة الذكر
بل تخل بالمقصود لابهامها الشعور في الجملة ام لهم آلهة تمنعهم تحفظهم من نفي العذاب
من دوننا اضراب عما تقدم منكرا للكلاءة الهتهم ومنعهم من العذاب متجاوزا منه في
او من عذاب يكون من عندنا فام من معنى بل والهمزة وهذا الاضراب ليس للابطال
والا للترقي بل للانتقال من كلام الى آخر قيل والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب
فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد وفيه وقف
فانه مبناه ثم انه لم ينتظم مع ذلك الاعتبار ملة الاضراب اكثر من زيادة الانكار و
بعد البناء والتي تورد المعتقد لنقيضه قريبة ما فيها مرة لما نبهت عليه انفا لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون يجارون يقال صحبك الله اي حفظك واجارك
استيناف بابطال ما ذكر فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يحفظه من الله كيف ينصر غيره
ويحفظه بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عن المتوهم المتبادر
من ظاهر حالهم بعد ما انكره ببيان ان ما هم عليه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من
مانع يمنعهم من اهلاكها وانما حفظناهم للاستدراج وهو تمتيعهم في اياهم وآبائهم
بما قدر لهم من الاعمار حتى حسبوا بسبب طول مدة الامهال انهم لا يزالون كذلك وانه
بسبب ما هم عليه ثم عقبه بما يدل على انه امل كاذب وغرور باطل وهو قوله افلا يرون

170

انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما كان الله
يجريه على ايدي المسلمين وفي اضافة الاتيان الى نفسه تعظيم شانهم افهم الغالبون
انكار لغلبتهم على الرسول والمؤمنين بعد هذه المغلوبية المتجددة دايما وفي التعريف
تعريض بان اعداءهم هم المعروفون المتصفون بالغلبة دونهم قل انما انذركم بالوحي
بما اوحي الي من الله تعالى لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعاء وقرئ ولا تسمع
من الاسماع على خطاب الرسول صلعم ونصب الصم بالياء على اضماره ولا يسمع مبنيا
للمفعول من اسمع وفي قراءة يسمع المبني للفاعل على التفات وتنويه ذكر الرسول
وتعظيم له وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على فرط تصامهم وعدم
انتفاعهم بالاسماع وان جعلنا اللام للجنس كان ابلغ لما فيه من معنى البرهان بالنفي
ونوع من الكناية وهو ابلغ من التصريح اذا ما ينذرون منصوب بيسمع لا بالدعاء
لانه مصدر فلا يعمل الا منونا والتقييد به لكون الكلام في الانذار وللمبالغة في انهم
لا يتأثرون به وقت الانذار فضلا عن ان يسمعوها ثم يغفلوا عنه ولكون كالقرينة
في الكناية كانه امره بقوله قل انما انذركم بالوحي ثم قال ولا يؤثر فيكم فانتم صم ولا يسمع
هذا الجنس الدعاء ولئن مستهم نفحة اصل النفح هبوب رائحة الشيء ويستعمل في كل
قلة يقال نفحة الدابة اذا رمحته رمحا يسيرا او نفح بعطية اذا رضخ ففيه مبالغة من
جهة مادته الدالة على معنى النزارة ومن جهة صيغته اي بناء المرة فانها لاقل ما ينطلق
عليه الاسم ومن جهة تنكيره الدال على التقليل واما المس فهو اقوى من الاصابة لما في
مفهومه من قيد زايد عليها وهو ان يتأثر منه حاسة الملموس فاختياره هنا على
الاصابة للدلالة على ان عذاب الله تعالى وان كانت في غاية يتأثر منه من يصيبه من
عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مستهم ادنى شيء من
العذاب الذي ينذرون به لاذعنوا واعترفوا بظلمهم في تصامهم واعراضهم ودعوا
على انفسهم بالويل ونضع الموازين القسط صفة للموازين ولم يجمع لانه مصدر وصفت
به للمبالغة كانها في انفسها عدل وجاز ان يكون على حذف المضاف اي ذوات القسط
وقد سبق ما يتعلق بوضع الموازين في سورة الاعراف وما يدل على انه حقيقة لا تمثيل واللام
في ليوم القيمة للوقت اي في يوم القيمة وقيل معناه لجزاء يوم القيمة او لاهله اي لاجلهم
على الحذف فلا تظلم نفس شيئا بنقص من ثواب الموعود او زيادة في عذاب المعهود و
يجوز ان يكون معناه شيئا من الظلم وان كان اي ما يعمل به من النقص والزيادة او الظلم

مثقال مقدار حبة من خردل وقرئ مثقال بالرفع على كان التامة وتأنيث الفعل في
أتينا بها لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى
جازينا بها من الإيتاء فإنه بمعنى الإعطاء أو المواتاة فإنهم أتوه بالأعمال وآتاهم
بالجزاء وكفى بنا حاسبين إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون
الفرقان وضياء وذكرا يعني التورية فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا أي شرف
أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج إليه الناس في مصالح دارينهم ودخول الواو على الصفات
كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان
ولما انتفع بذلك المتقون خصهم الله بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية أو نصب
على المدح أو رفع عليه يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل والمفعول وهم من الساعة الغيبة واهوالها
مشفقون الإشفاق خوف مع اعتناء وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض
وهذا أي القرآن ذكر مبارك كثير خيره أنزلناه على محمد أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ
بعد وضوح إعجازه ووفور بركته ولقد آتينا إبراهيم رشده أي الاهتداء لوجوه
الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد مثله وأن له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من
قبل موسى وهارون أو من قبل محمد وكنا به عالمين علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع
لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق إذ قال لأبيه وقومه متعلق بآتينا أو برشده
أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون
تجاهل منه وتغافل لتحقيرها وتوبيخهم على إجلالها فإن التمثال جماد لا يضر ولا
ينفع أصله الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى من مثلت
الشيء بالشيء إذا شبهته به واللام للتعليل أي للتعليل أي لتعظيمها وعاكفون مجرى
أجرى اللازم غير متعدي المفعول أي فاعلون العكوف لأجلها وهو اللزوم لأمر من الأمور
أو التضمين العكوف معنى العبادة لزيادة التوبيخ وبعضهم ما في جوابهم من قولهم
لها عابدين قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين جواب عن التوبيخ بأنه طريقة أسلافنا
أجدادنا ولما ضمنوا جوابهم دعوى سداد طريقتهم بالإسناد إلى الآباء و
الأجداد رد عليهم حيث قال لقد كنتم أنتم تأكيد المتصل في كنتم ليصح العطف عليه وآباؤكم
في ضلال مبين مستغرقون في ضلال ظاهر والتأكيد بالقسم ووصف الضلال بالمبين
لإفادة وضوح استقرار المقلدين في ضلال لا يخفى على من له أدنى عقل لعدم تمسك الفريقين

بدليل والتقليد في الأصول غير جائز أصلا وفي الفروع إنما يجوز لمن علم في الفروع الجملة كون المقلد
على الحق قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين لاستبعادهم تضليله إياهم
وآباؤهم حسبوا أنه إنما قال ما قال على وجه المزاح والمداعبة فقالوا أجاد تقوله أم
أنت لاعب وإنما غير النظم بإدخال الهمزة على الجملة الفعلية وقرينتها الجملة الاسمية
لتوطينهم أنفسهم على أنه من اللاعبين ورسوخ ذلك الاعتقاد عندهم وأما القسم الأول
فلم يثبت عندهم قاطعا وإنما أثبت فيه شيء اختلج في ظنه قال بل ربكم رب السماوات
والأرض الذي فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه والضمير في
فطرهن للسماوات والأرض أي أنشأهن من غير شيء أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم
والزام الحجة عليهم فكأنه قيل إنه تعالى خالق وهن مخلوقة فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق
وأنا على ذلك المذكور من التوحيد من الشاهدين أي من المحققين له لأن الشاهد
هو الذي يحقق الشيء ويحققه كأنه قال وأنا أحقق ذلك وأثبته بالبرهان لست مثلكم
فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة وأتمسك بالتقليد كما تتمسكون به وتالله وقرئ بالباء
على الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفي التاء في القسم تقييد معنى التعجب من المقسم
عليه كأنه تعجب من تسهل ذلك الأمر المتصعب على يده ولهذا عبر عنه بالكيد المشتمل على
نوع من الحيل لأكيدن أصنامكم الكيد الاحتيال في وصول الضرر إلى المكيد بعد أن تولوا
مدبرين بعد ذهابكم عنها وعن قتادة أنه قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل واحد فلما
ذهبوا بقي إبراهيم فكسر الأصنام فالفاء في قوله فجعلهم جذاذا فصيحة والجذاذ
فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج وقرئ
بالكسر وهو لغة فيه أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذاذا جمع جذيذ و
جذذا جمع جذة إلا كبيرا لهم للأصنام أو للكفار روي أنه كسرها كلها بفأس إلا الكبير ها
فعلق الفأس في عنقه لعلهم إليه أي إلى الكبير يرجعون فيسألونه عن كاسرها
فيتبين لهم عجزه وقيل إلى إبراهيم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو إلى الله
أي يرجعون إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ويرد عليه أنه يكون قوله إلا كبيرا
لهم أجنبيا في البين قالوا حين رأوا ذلك بعدما رجعوا من فعل هذا بآلهتنا
إنه لمن الظالمين لشديد الظلم لجرأته على الآلهة الحقيقة بالإعظام قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يسوء صفة مصححة لتعلق السمع به وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه
وقيل مفعول ثان لسمع وليس بثبت يقال له إبراهيم صفة أخرى له وإبراهيم فاعل يقال

اي لا يقول سمعت زيدا

لان المراد به الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس في محل النصب على الحال اي مرئيا منهم ومنظورا بحيث يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون عليه بما فعله او بما سمع منه او يحضرون عقوبتنا له قالوا بعدما احضروه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال ابرهيم عم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل الى السبب مجازا اذ الحامل على كسرها هو لانه لما غاظه زيادة تعظيمهم لها تسبب لكسره اياه والاحسن الافصح انه من معاريض الكلام وذلك انه لم يرد ان ينسب الفعل الى الصنم بل اراد تقريره لنفسه على اسلوب تعريضي مع الاستهزاء بهم بالغاية عرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم لا نفيه عن نفسه واثباته للصنم لان اثباته للعاجز والامر دائر بينهما استهزاء به واثبات للقادر وما روي ان النبي عم قال كذب ابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها صورته ويجوز ان يكون حكاية لما يؤدي اليه مذهبهم من جوازه كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله واشد منه من يدعى الها او قرئ فعله كبيرهم بمعنى فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم وراجعوا الى عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يملك دفع الضر عن نفسه لا من ظلمتموه بقولكم انه من الظالمين ثم نكسوا النكس جعل الشيء اسفله اعلاه ومنه نكس المريض اذا رجع اول حاله وهو عبارة عن اطراقهم رؤسهم خجلا وللمبالغة في هذا المعنى ضمنه معنى السقوط اي نكسوا ساقطين على رؤسهم وقولهم لقد علمت لادري عن حيرة ولهذا اتوا بما هو حجة عليهم وقيل انقلبوا الى الجدال بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه ويرد عليه انه يضيع قوله على رؤسهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا وهو على ارادة القول كان امره عليه السلام بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وحملوه على الحقيقة تجاهلا ثم نزلوا المخاطب منزلة الجاهل بمضمون الخبر فلذلك اكدوه بقد ولام القسم فكانهم قابلوا توبيخه بنوع من التشنيع قال افتعبدون انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر من دون الله ما لا ينفعكم ان عبدتموه شيئا في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم واصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام في لكم ولما تعبدون من دون الله لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف وقيل معناه قبحا ونتنا ثم وبخهم

على تمادي جهلهم بقوله افلا تعقلون اي ابعد وضوح الحق وزهوق الباطل لا تدركون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة عند العجز عن المحاجة حرقوه بالنار فانها اهول ما يعاقب به وافظع وانصروا آلهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين نصرا وفيه تنزيل الساير بانواع العذاب منزلة العدم في هذا الباب ولا يخفى لطف هذا التعبير البليغ على ذوي الالباب قلنا يا نار كوني بردا اشبهت النار المطاوعة لارادة الله تعالى وامره بمامور مطيع لا يتوقف في الامتثال عند امر الآمر المطاع وبولغ في ذلك باقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسلاما اي ابردي بردا غير ضار وقيل نصبه بفعله اي سلمنا سلاما عليه روي انهم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموه في نار عظيمة ولم تحرق منه الا وثاقه وعلى هذا يكون النار على حالها ولا ينافيه المبالغات المذكورة في امر تدبيره فانها ظاهرة في تحولها من الحرارة الى البرودة والاشعار في قوله على ابرهيم بعد التحول لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا فالمفهوم منه اختصاص عدم اضرار النار به عم وارادوا به كيدا احتيالا في اضراره فجعلناهم الاخسرين بتصيير سعيهم برهانا قاطعا على انه على الحق وانهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته الدينية العامة بعث اكثر الانبياء عم وانتشار شرايعهم التي هي مبادي الخيرات في جميع اهل العالم وبركاته الدنيوية كثرة النعم والخصب بكثرة الروض والماء والشجر والرخص فيه فهي الارض التي بورك فيه مطلقا وباركنا بالدلالة على الظرفية والاستقرار وكان تلك الارض محيطة لانواع البركات احاطة الظرف للمظروف وهي مستقرة فيها لا تزول عنها وروي ان ابرهيم عم نزل بفلسطين ولوط عم بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة النافلة ولد الولد وهي في الاصل الزيادة والفضل وقيل نافلة زيادة على ما سأل لانه عم سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب زيادة على ما سأل وفضلا حال تخصصه ولا بأس به للقرينة وكلا اي الاربعة الذين جعلنا صالحين لان الانبياء هم المصلحون وشرط الاصلاح هو الصلاح وجعلناهم ائمة يقتدون بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات لا اهتداء اولا ثم القيام بالهداية حتى يتم تكميلهم وانهم فعلها ويتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات بالاضافة وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو عطف الخاص على العام للتفصيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين مخلصين

بنا العبادة ولوطا آتيناه حكما حكمة او هو فعل ما ينبغي فعله وجوبا او ندبا وقيل نبوة وفصلا
بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية هي سدوم التي كانت تعمل
الخبائث من اللواطة وسائر المنكرات التي يأتونها في ناديهم وصفها بصفة اهلها واسندها
اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه على ما دل عليه التعليل بقوله انهم كانوا قوما فاسقين
ونكتة ذلك الاشعار بعلاقة السببية فان للتربة تأثيرا في تغيير طبيعة اهلها من السداد
الى الفساد ولذلك قال ونجيناه من القرية اي خلصناه من تلك التربة الخبيثة وادخلناه
في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى
وهو كالتعليل لما تقدم ونوحا اذ نادى اي دعا به على قومه بالهلاك من قبل اي من قبل
المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم هو الطوفان واذى
قومه والكرب الغم المفرط ونصرناه فانتصر من القوم الذين كذبوا بآياتنا فتعديته
بقوله اشارة لانه مفهوم من معنى المنع ولا يخفى وقيل جعلناه منتصرا انهم كانوا قوم
سوء تعليل لما تقدم وتمهيد لما تأخر فاغرقناهم اجمعين لذلك عذاب الاستئصال الشدة
الغضب وهي لكمال استحقاقهم له وداود وسليمان نصب باذكر واذ بدل منهما يحكمان في
الحرث هو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم قال ابن السكيت والنفش مصدر نفشت
القطن وغيره والنفش ان تنتشر الابل بالليل فترعى وكنا لحكمهم جمع الضمير لانه اراده
هما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما شاهدين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة
والفتوى روي ان داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى
عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكم فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل
الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه
حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان
ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم وعدم انتقاض حكم الاجتهاد باجتهاد آخر في
شريعتنا فلا دلالة فيه على انها بالوحي ولو كان حكم سليمان عليه السلام وحده بالوحي ولما طاب
المتبادر الى الوهم من تخصيص سليمان عليه السلام بتفهيم الحكومة ان لا يكون باقضاء داود حكما
شرعيا دفعه بقوله وكلا آتيناه حكما وعلما فالقول السابق دل على ان الاصوب
كان حكم سليمان عليه السلام وهذا القول على انهما جميعا على الصواب ففيه دلالة على ان كل مجتهد
مصيب وسخرنا مع داود الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف على تقدير
سؤال سائل قال كيف سخرهن فقال يسبحن اي يقدسن الله تعالى ومع متعلقه به او بسخرنا

وتقدم الكلام فيه في سورة سبأ باذن الله تعالى وانما قدم الجبال على الطير وجعلت اصلا في التسبيح لان تسخيرها
وتسبيحها ادل على القدرة وادخل في الاعجاز واخرق للعادة لانها جماد والطير عطف على الجبال او
مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء وكنا فاعلين قادرين على امثاله ليس ببدع منا وان كانت
عجبا عندكم او فاعلين للانبياء امثال ذلك وعلمناه صنعة لبوس اللبوس اللباس والمراد الدرع
قال قتادة كانت صفائح فاول من حلقها وسردها داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لكم متعلق
بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير في لتحصنكم
لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وبالنون لله تعالى فهل
انتم شاكرون اصله فهل تشكرون لا قتضاء الاستفهام الفعل فعدل عن الجملة الفعلية
الى الاسمية ولم يقل فهل انتم تشكرون لئلا يشم رائحة التجدد ويفهم منه طلب دوام الشكر وهو
امر اخرج في صورة الاستفهام واخرج في هذا القالب للمبالغة في طلب دوام الشكر مع التقريع
ولسليمان الريح وسخرنا له واتى باللام فيه ومع في داود عليه السلام على تعلقه بسخرنا لان في
نفع تسخير الريح وهو جريانها بامره مختص به بخلاف تسبيح الجبال بعد اشتراكهما في خرق
العادة عاصفة وصفت الريح هنا بالعصف وهو شدة الهبوب وفي سورة ص بالرخاوة لكونها
في نفسها رخية طيبة كالنسيم وفي فعلها بكرسيه عليه السلام وابعادها به في مدة يسيرة عاصفة وقيل كانت
عاصفة تارة ورخاء اخرى على حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال
من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها اي مائلة بكرسيه اليها اي الى الشام وكان منزله بها و
تحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما يقتضيه الحكمة ومن الشياطين
من يغوصون له في البحار ويستخرجون نفائسه ومن منصوب المحل عطف على الريح او
مرفوع بالابتداء ومن الشياطين خبره قدم عليه فساغ الابتداء به وهي نكرة على انها موصوفة
ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر على ما فصل في سورة ص وكنا لهم
حافظين اي يزيغوا عن امره او يميلوا الى الفساد والذي هو مقتضى جبلتهم وايوب
اذ نادى ربه نصب باضمار اذكر واذ بدل منه اني مسني اي باني وقرئ بالكسر على اضمار القول
او تضمين النداء معناه الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم مختص بما في النفس من مرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما وصف نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك
عن عرض المطلوب رعاية لحسن السؤال ولطف لحق الادب وكان روميا من ولد عيص
بن اسحق عليه السلام استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده
وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها

بلائي
لما كانت مدة الرخاء، فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة
مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به عظيم بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم لما كشف الله
عنه احيى ولده باعيانهم ورزق مثلهم معهم رحمة على ايوب من عندنا وذكرى للعابدين وتذكرة
لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة او لرحمتنا للعابدين
وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واذا اوقعنا الرحمة والذكر على العابدين ولم نخصص الرحمة
بايوب دخل هو فيهم دخولا اوليا وافادت الرحمة والذكر بالاحسان وكان من باب اقامة
المظهر مقام المضمر فكان آكد وابلغ لاثبات الرحمة له بالبرهان واسمعيل وادريس وذا الكفل هو
الياس عليه السلام وقيل يوشع عليه السلام وقيل زكريا عليه السلام سمي بذلك لانه كان ذا
الحظ من الله تعالى او تكفل امته وقيل كان له ضعف عمل انبياء زمانها وضعف ثوابهم و
الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل هؤلاء من الصابرين على مشاق
التكاليف وشدائد النوائب وادخلناهم في رحمتنا قد سبق تفسيره في قصة لوط من هذه
السورة وتفسير انهم من الصالحين وذا النون وصاحب الحوت يونس م اذ ذهب مغاضبا لقومه
لكثرة ما قاساهم في دعوتهم وشدة شكيمتهم لطول ما ذكرهم فلم يذكروا فهاجرهم او اغضبهم بمهاجرته
لخوفهم لحوق العذاب بهم عندها وكان عليه ان ينتظر الاذن فلم يصبر وظن ان المهاجرة اولى لكونها
للغضب لله ودينه والبغض للكفر واهله فابتلي ببطن الحوت وهو بناء المفاعلة للمبالغة
لان المغالب يبعد وسعه في الفعل او بمعنى مغضبا وقرئ به فظن ان لن نقدر عليه من القدر
وهو التضييق لا من القدرة وبعضهم انه قرئ مثقلا ويجوز ان يكون نقدر مخففا من القدرة
بمعنى ان لن نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت فالظلم

في بدء خلقكم من تراب لخلق آدم منه او من الاغذية المكونة منه
وهي الماء القليل من النطف وهو الصب والمراد المني قطعة من الدم
الجامد وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ يقال خلق العود اذا سواه
وملس من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء اي مسواة وغير
مسواة كان الله تعالى خلق المضغ متفاوتة في التسوية والتعديل فيتبع ذلك تفاوت الناس
في الصورة والقامة والشكل والتمام والنقص او مصورة وغير مصورة او تامة وساقطة
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على
ذلك ثانيا بل هو اهون عند العقل وادخل في المقدورية والحاق التبيين غير متعد الى مفعول
ايما الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يدخل تحت الذكر ولا الحيطة الوصف

وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت او بمعنى اي سبحانك
ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه
الحوت الى الساحل والغم غم الالتقام وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص
وقرئ ننجي مثقلا وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم
ومن شدد الجيم فوجه صحته مشكل لا يكاد يتمشى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وحيدا اي ارزقني ولدا يرثني وانت خير الوارثين استسلام وتفويض بعد السؤال لا
اقتراح وجراءة على الله تعالى اي الامر اليك فان لم ترزقني فلا باس فانت خير الوارثين
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي حسنا خلقها وكانت سيئة الخلق وقيل جعلناها
صالحة للولادة بعد عقرها وقيل ان حق النظم والترتيب ان يذكر اصلحنا قبل ووهبنا
انهم اي الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات المسارعة المبادرة وتعديتها الى
وانما عدل عنها الى في للدلالة على انهم لا يفترون بتحصيل بعض الخيرات بل نظمهم في الجد والرغبة
الى تحصيل بعض آخر منها وهذه الدلالة بجعل الخيرات بل نظمهم في الجد والرغبة الى تحصيل بعض
آخر منها وهذه الدلالة بجعل الخيرات ما فيه المسارعة لا ما اليه ويدعوننا رغبا ورهبا اي
طمعا وخوفا كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال او المفعول
له اي للرغبة فينا والرهبة منا وهو باشارة الى انهم يعلمون ان النفع والضر من الله
تمهيد لما دل عليه قوله وكانوا لنا خاشعين من ثباتهم واستمرارهم على تخصيص الخشوع له
قد سبق تفسير الخشوع والمعنى انهم لما استحقوا الاجابة الى طلباتهم وما نالوا من الله تعالى ما نالوا
الا بهذه الخصال والتي واذكر التي يعني مريم وانما ذكرها بطريق الكناية لان تنويه الشان بالاسماء
حق الرجال احصنت فرجها الاحصان احراز الشيء من الفساد والفاء النفي بعيدة في قوله
فنفخنا فقد دلت على ان المراد حفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب بل سنة قوية
فلا يصلح الاحتراز عنه منشا للتفضيل فيها اي فعلنا النفخ في مريم من روحنا من جهته
والمراد من الروح جبرئيل م فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافته الينا
للتشريف وجعلناها وابنها اي حالهما وهي ولادتها اياه من غير فحل ولذلك وحد قوله
آية والتقدير وجعلناها آية وابنها كذلك وبعضهم قرأه آيتين للعالمين فان من تامل حالهما
تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم الامة الملة والاشارة الى ملة التوحيد والاسلام
اي ان هذه الملة ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة حال من معنى الاشارة في هذه اي بشارتها
واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه

واته بالرفع على الخبر وقرئ برفعهما على انهما خبران او قدر لكلٍ مبتدأ على ان امة وانا ربكم رب
واحد لا اله غيري فاعبدون لا غيري وتقطعوا امرهم بينهم كان الخطاب السابق عاما للكل
كافة فالتفت الى الغيبة لينعى على الذين تفرقوا في الدين وكانوا شيعا بتقبيح فعلهم الى
آخرين تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى اي جعلوا امر دينهم
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه قطعة قطعة كل ثم توعدهم بان كل
واحدة من تلك الفرق الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه استعير الكفران لمنع الثواب والحرمان كما
استعير الشكر لاعطائه وقوله ان الله شكور ونفي نفي الجنس للمبالغة فانه ابلغ من ان يقال
فلا يكفر سعيه ثم بولغ واكد في عدم تضييع سعيه بانه نحو تقديم الجار والمجرور وانا له كاتبون
اي لذلك السعي في صحيفة عمله مثبتون له فلا يضيع بوجه وحرام وقرئ وحِرْم كحلال وحِل
على قرية اي ممتنع على اهل قرية اهلكناها اردنا اهلاكهم باستئصال اهلها انهم لا يرجعون
رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وان مع اسمها وخبرها مبتدأ خبره
حرام وقرئ انهم بالكسر على ان الكلام تم قبله والمبتدأ محذوف ودلت عليه الآية المتقدمة
اي وحرام على قرية اهلكناها ان العمل الصالح والايمان والسعي المشكور غير المكفور ثم استونف
على سبيل التعليل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر وعلى قراءة الفتح ايضا لا يبعد هذا الوجه
اي لانهم لا يرجعون حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني
اذا وما في حيزها فتحت يأجوج ومأجوج المفتوح حقيقة هو السد المنسوب اليهما وانما
اسند اليهما على التجوز لعلاقة ظاهرة ونكتة لا يخفى لطف موقعها وهي متعلقة بحرام او بمحذوف
دل عليه الكلام او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة
وفتح السد من اماراتها كنى به عنه وهم يعني يأجوج ومأجوج من كل حدب مرتفع من
الارض ولفظة كل للمبالغة في الكثرة او المراد الناس كلهم ويعضده قراءة ابن عباس جدث
بالجيم والثاء وهو القبر ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اي القيمة فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم
يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد وتوهم الجمع بين
البدل والمبدل منه فقط لان اذا باقية على حالها لم يتحقق بدلا منه يلزم الامتناع ويجوز ان يكون
الضمير بعدها ضمير القصة وابصار الذين كفروا مبتدأ شاخصة خبره وان يكون ضميرا مبهما يفسره
ابصار الذين كفروا يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا

اليوم

اليوم بل كنا ظالمين انفسنا بعدم الاعتبار بانذار المنذرين اضراب عن الاخبار عن استغراقهم
في الغفلة وابطال له بالاعتراف بما هو الحق انكم وما تعبدون من دون الله اراد الاوثان
اذ الخطاب للمشركين لا الشياطين واعوانه لما سيأتي ان ما تعبدون لا يتناول ذوي العقول
ولا دلالة على ذلك فيما روي انه ع م لما تلى الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك
ورب الكعبة اليس اليهود قد عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة
فقال ع م بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية وليس فيه تخصيص تأخر عن الخطاب لان ما لمن لا يعقل فلا يتناولهم
ودل على ذلك ما روي ان النبي ع م قال ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان ما لما لم يعقل فعلى هذا
يكون قوله تعالى ان الذين سبقت الآية لدفع احتمال المجاز والتغليب لا لتخصيص العام كما
سبق الى بعض الاوهام حصب جهنم الحصب ما يرمى به فعل بمعنى مفعول اي يحصب بهم في النار و
قرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها لان الورود للنار وان لم يلزمه العذاب على ما دل عليه قوله تعالى وان منكم
الا واردها ليس من شأن المعبود المختار وكل اي العابد والمعبود فيها خالدون انما
قرنوا بآلهتهم زيادة تعذيبهم فان ما اصابهم انما اصابهم بسببهم فاذا قرنوا بهم
ازداد غمهم وحسرتهم للقاء المؤذي ولانهم قدروا انتفاعهم في الآخرة بهم واذا وجدوا
الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم ومن هذا اتضح وجه خلودها في النار
لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وفيه تجوز من جهة نسبة فعل البعض الى الكل وتغليب
جهة الملائهم على مجموع العقلاء وغيرهم ولا تأثير للتغليب في الاول وهم فيها لا يسمعون من الهول
وشدة العذاب وذلك بعد حين لما ورد في بعض الآيات من مكالمتهم مع خزنة النار
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة القصوى او البشرى بالثواب
او التوفيق للطاعة اولئك عنها مبعدون لدخول الجنة سبقت العناية في البداية
فظهرت الولاية في النهاية وفي عبارة مبعدون اشارة الى انهم يردونها ويقربون
منها اولا ولما كان ذلك مظنة ان ينالوا اذاها عند ورودهم اياها وقربهم منها دفعه بقوله
لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة تلهبها من ضمير مبعدون يعني انهم في حال
عنها وعن آثارهم المؤذية يردونها ويبعدون عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون الشهوة طلب
النفس اللذة اي دائمون في الاستغراق في مشتهياتهم وتقديم الظرف للاختصاص

[illegible]

ومحافظة الفاصلة لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم
وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون توعدون فيه في الدنيا والعامل في يوم نطوي السماء
فتلقاهم او الفزع اولا يحزنهم والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث
كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة من قرا
على الجمع اي المعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه وفيه ان حق التشبيه ان يكون بالمعهود المعروف وطي ذلك الملك لم يعرف الا من هذا
الكلام وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه انه ليس للطية خصوصية زايدة
وتخصيص التشبيه يقتضي ذلك وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان
فيه كما بدانا اول خلق نعيده اول خلق مفعول بدانا ومحل الكاف النصب على المصدر
وما كافة او مصدرية اي مثل ما بدانا اول خلق نعيده او مفعول نعيده مضمرا يفسره
نعيده اي نعيد اي نعيد اول خلق كما بداناه ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بفعل مضمر
تفسيره نعيده وما موصولة واول خلق نصب على الظرف لبدانا او نصب على الحال من ضمير
الموصول المحذوف المقدر في بدانا اي نعيد مثل الذي بداناه في اول خلقنا اياه او حال
كونه اول خلق شبه الاعادة بالابداء في تعلق القدرة بهما على السواء والمراد اثبات
صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية لهما اي كما اوجدناه
اولا ايجاده عن عدم نعيده ثانيا عن عدم وانما وحد خلق ونكر ليبين تفصيله واحدا
واحدا او المعنى اول الخلائق كما تقول اول رجل جاءني يعني اول الرجال وانما نكرت ووحدت
ليبين تفصيلهم رجلا رجلا وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اي
علينا انجازه انا كنا فاعلين في الازل على ان نفعل ذلك لا محالة او قادرين على ان نفعل
ذلك هو تحرير ما قالوا والذي يظهر لي ان الخلق بمعنى المخلوق ونتبعه بالاول لاخراج
المخلوق ثانيا وهو الروح عن متناول الكلام لانه في اعادة البدن وهو المخلوق اولا لقوله
ثم انشاناه خلقا اخر فتدبر ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر
اي التورية ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون
عامة المؤمنين وامة محمد ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا
لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم في الدارين ويصلح معاشهم ومعادهم

وان وباد

وان وباد كفر بعضهم ليسعوا انما هو من عند انفسهم وعنادهم لا منه وقيل كونه رحمة للكفار
امنهم به من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف وتاخير عقوبتهم قل انما يوحى الي
ان ما في انما كافة ويجوز ان يكون موصولة بمعنى ان الذي يوحى الي انما الهكم اله واحد
لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة
لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة والتوحيد مما يصلح اثباته بالسمع فان تولوا و
تعرضوا عن التوحيد فقل اذنتكم اذنتكم من اذن اذا علم لكنه شاع استعماله في الاخبار
اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء على الحال من المخاطبين اي مستوين
في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او مصدر محذوف
اي ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم واني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير
وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ما توعدونه من غلبة المسلمين او من الحشر
لكنه كاين لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرونه به من الطعن والاسلام ويعلم
ما تكتمون وما تكتمونه من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وما ادري لعله فتنة لكم
وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم واختبار لينظر كيف تعملون ومتاع وتمتيع
واستدراج لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد به في وقت قدره فيه
بمقتضى حكمته قل رب احكم اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل امر باستعجال العذاب
فعذبوا ببدر وكان مقتضى العدل ذلك وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان
المطلوب منه المعونة على ما تصفون ما تصفونه من الحال بان الشوكة تكون لهم

وان دابر الاسلام تحقق اياما ثم تسكن خيب الله تعالى
امالهم وكذب ظنونهم ونصر رسوله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون عليهم
والله اعلم بالحقيقة
والصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني آدم بالتقوى ثم علل امرهم به بفظاعة الساعة حيث
قال ان زلزلة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم سوى التدرع
بلباس التقوى والتردي بردآء التقوى ويبقوا على انفسهم ويقوها عن الردى بملازمة التقوى
والزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها
واضافتها الى الساعة اضافة المصدر الى الفاعل على التجوز في الاسناد كانها هي التي
تزلزل الاشياء او الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به او بتقدير في كقوله تعالى بل مكر
الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها وعن الحسن
انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها واضافتها
الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل وصفها بالعظم وابهمها تعظيما لها كأنها شيء
لا يكتنه كنه عظمته اخذ في تصوير هولها بصورة تنكيرها فليس المراد من قوله يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها ذهول المرضعة ووضع
الجنين بل شدة الهول هذا على القول الاول والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ
تذهل معروفا ومجهولا اي تذهلها الزلزلة من الذهول وهو الذهاب عن الامر بدهشة
وحيرة لان الذهل لا يعني السلو قال الشاعر ش صحا قلبه يا عزّ او كاد يذهل وما
مصدرية او موصولة والمرضعة هي التي تكون في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع
التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع وانما المعنى على القول الكا وعلى الجمهور
ان هولها بحيث اذا فوجئت به التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت
عنه دهشة ولقد احسن من قال تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل
ما في بطنها لغير تمام وترى وتظن الناس سكارى حقيقة لا على التشبيه وما هم بسكارى
في الواقع ولكن عذاب الله شديد اذهب عقولهم لشدته وطير تمييزهم بهوله
بحيث لا يفرق بينهم وبين من ذهب السكر بعقله وتمييزه وانما جمع فاعل
الرؤية اولا وافرد ثانيا لان الاولى علقت بالزلزلة والزلزلة يراها الناس كلهم والثانية
علقت بكون الناس على حال السكر فلا جرم ان يجعل اوداً بك رائيا ورفع على اسناد ترى
اليهم على تأويل الجماعة وسكارى حال وقرئ سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل
ومن الناس لا يخفى ما في هذا التعبير من التحقير بشأنه حيث نزله بمنزلة من احتاج الى

الاخبار عنه بانه من جنس الانس من يجادل يخاصم خصومة شديدة في الله بغير علم نزلت في
النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله تعالى والقرآن اساطير الاولين ولا
بعث بعد الموت وهي عامة في كل مجادل لا يرجع الى علم ويتبع كل شيطان مريد في جداله وسيره
والمريد المتجرد للفساد كتب عليه على الشيطان انه الضمير للشان من تولاه اي جعله وليا
وتبعه وقرئ انه بالكسر على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه
فانه يضله خبر لمن او جواب له ويهديه الى عذاب السعير ولا يحصل من ولايته الا الضلال
عن طريق الحق او الجنة والهداية الى عذاب النار باغوائه واغرائه الى ما يؤدي اليه وحمله
عليه اي يلزمه ذلك فكانه كتب عليه اضلال من يتولاه لانه مجبول عليه وقرئ فانه بالفتح
على انه مبتدأ محذوف الخبر اي فحق انه يضله او خبر مبتدأ محذوف اي فشأنه انه
يضله ولا وجه للعطف الا ان يجعل الضمير للمجادل ومن تولاه خبران وجاز على هذا
ان يكون الضمير في عليه له ايضا يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه
مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب والطرد وتنوين ريب للتحقير والتقليل
ولو لكن جيء بكلمة الشك اي ان اتضح دليله فان بقي فيكم ادنى ريب فالنظر في بدء خلقكم
مزيله فانا خلقناكم من تراب خلق آدم منه او من الاغذية المكونة منه ثم من نطفة
وهي الماء القليل من النطف وهو الصب والمراد المني ثم من علقة قطعة من الدم الجامد
ثم من مضغة وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ مخلقة يقال خلق العود اذا سواه وملسه
من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء وغير مخلقة اي مسواة وغير مسواة
كان الله تعالى خلق المضغ متفاوتة في التسوية والتعديل فيتبع ذلك تفاوت الناس
في الصورة والقامة والشكل والتمام والنقص او مصورة وغير مصورة او تامة وساقطة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على
ذلك ثانيا بل هذا اهون عند العقل وادخل في المقدورية واطلاق التبيين غير متعد الى
مفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يدخل تحت الذكر ولا يحيط به
الوصف ونقر في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى وهو وقت الوضع
وعلم منه حال قرينه المقابل له بطريق المفهوم ثم نخرجكم طفلا حال وتوحيده لارادة الجنس
او لانه مصدر في الاصل او على تأويل كل واحد وقرئ ونقر بالنصب وكذا نخرجكم عطفا على
نبين والمعنى انا خلقناكم مدرجين لغرضين احدهما التبيين والثاني ان نقر في الارحام من
نولده او تنشأ او تبلغوا حد التكليف فتكلفوا والغرض في المتعقبة هو الاخراج على نحو

الاشد والشلوح للتكليف لكن لما كان الاقرار وما تلاه من مقدمات صح ادخاله في التعليل وقرئ
بالياء رفعا ونصبا وتقر بالضم من قررت الماء اذا صببته ثم لتبلغوا اشدكم الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد وكانه شدة
في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
او بعده قبل الهرم وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم
والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته من سخافة
العقل وقلة الفهم والاستواء المستفاد في ذكر شيئا في سياق النفي للمبالغة في نسيانه
ما علمه وانكاره لما عرفه وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ
ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج البهيج الحسن السار
للناظر اليه وهذه دلالة ثانية على البعث كررها الله في كتابه لظهورها وكونها
مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على
احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي حاصل
بسبب ان الله هو الحق الثابت الوجود في نفسه الذي يتحقق به الاشياء وانه يحيي
الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته ونسبتها الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات
لزم اقتداره على الكل وان الساعة آتية لا ريب فيها لا ينبغي ان يرتاب فيها لان التغير
من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور اي انه حكيم
لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ولما كان المراد
احياء موتى الانسان عبر عنها بما هو من خصائصهم فعبر بمن في القبور من
من جنس الانسان مطلقا بطريق الكناية ومن الناس من يجادل في الله في صفاته يصفه
بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم ضروري ولا هدى كسبي فانه غالبا يكون
بتعليم الغير وارشاده ولا كتاب منير اي وحي اي يجادل تخمين وتقليد لا باحد
من الثلثة ثاني عطفه ثني العطف كناية عن الكبر والخيلاء بالتبختر او عن الاعراض
عن الحق استخفافا وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله تعليل
للمجادلة وقرئ بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال
الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا

بان الله هو الحق

خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق عذاب النار المحرقة ذلك بما قدمت يداك
اشارة الى الخزي والعذاب وغير النظم بالالتفات الى الخطاب واشير بلفظ البعيد
للتنبيه وتعظيم الموعد به وتهويله والاباء على تناهي الخطب والجرأة بسبب ما اقترفته
من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما في بما اي وبان الله يجب ان العدل
هو الذي اقتضى ذلك لا الظلم ولفظ المبالغة لان قليل الظلم منه مانع مع علمه بقبحه واستغنائه
كالكثير منا وللاباء الى ان من في غاية الكمال شانه ان يكون وصفا لذلك ومن الناس
من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه فان اصابه خير اطمان به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بالظفر قر والا فر روي
انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا
وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني
هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وذكر الفتنة
في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يصدر عنه قصدا انما المقصود منه الابتلاء خسر الدنيا
بذهاب عصمته والآخرة بحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال وبالرفع على
الفاعلية او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى الاول يكون من باب وضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه اي لا يقدر على شيء اصلا فان النفع والضر في التعبير بهما عن جميع الآثار
كالسماء والارض في التعبير بهما عن مجموع الاجسام واعادة كلمة ما للدلالة على استقلال
كل من الوصفين المذكورين في اخراج موصوفه الى معرض الذم ذلك هو الضلال البعيد عن
المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه فطالت وبعدت مسافة ضلاله يدعو
لمن ضره بكونه معبودا لايجابه القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي
يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى وانما قال اقرب ولا قرب للنفع
تهكما استهزاء بهم واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد
وقيل انها داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء
وصراخ حين يرى استضراره به او باناه ما في عبادة اقرب من [illegible] المنفصل ويجوز ان
يكون مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس
العشير الخالط ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة المؤمن الصالح وعقاب الكافر الطالح لا دافع له ولا مانع

من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار معناه ان الله تعالى ناصر رسوله
في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل الله
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص وسعه في ازالة غيظه الى سماء سه كما يفعل
من بلغ به الغيظ كل مبلغ ثم ليختنق من الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل للبه القطع او فليمدد حبلا الى السماء المظل وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي ان ينزل عليه
فلينظر وليتصور في نفسه هل يذهبن كيده هل يذهب نصر الله الذي يغيظه ان فعل
ذلك وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث اجتهد فلم يقدر الا عليه او على
سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه
من نصر الله وكذلك مثل ذلك الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا انزال
آخر يقصد تشبيه هذا الانزال به فالكاف مقحم "اقحاما" كاللازم لا يكادون يتركونه
في لغة العرب وغيرهم انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله
يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او اثباته انزله كذلك
مبينا ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا يعني عبدة الاوثان قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن
والصابئون نوع من النصارى فلا يكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد او بالحكومة
بينهم واظهار المحق منهم من المبطل وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأ كيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله فلينظر كل امرء معتقده وقوله وفعله
وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض استعير السجود للانقياد والمطاوعة لما يريد الله تعالى من الافعال لانه
هيئة من هيئات المكلف لا هيئة ادل منها على الذلة والتسخير ومن يعم اولي العقل و
غيرهم من التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها في العادة وكثير من الناس تخصيص بعد التعميم
للاباء الى ان من الكافر من لا ينقاد لحكمه ولا يتسخر لامره ولا يلزم عطفه على ساير
الساجدين المحذور عند الجمهور لما فيه من استعمال اللفظ الواحد مجازا وحقيقة في
حالة واحدة اذ يجوز ان يجعل فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد اي ويسجد له كثير
من الناس السجود الحقيقي ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر مدلولا عليه بخبر قسيمه

اي

اي حق له الثواب او الخبر مذكور على ما سبق وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة
ويجوز ان يكون كثير الثاني تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على
الساجدين بالمعنى العام موصوفون بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليهم
العذاب حقا ومن يهن الله بان حكم عليه بالشقاوة فما له من مكرم يجعله سعيدا
وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والاكرام هذان خصمان
اي فريقان يختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس وقال هؤلاء خصمان
اختصما جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وروي
ان اهل الكتاب والمؤمنين تخاصموا فقال اهل الكتاب نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله
من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل
لخصومتهم وهو المراد بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم على مقادير
جثثهم ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب واخبر لفظ الماضي لانه كائن
لا محالة يصب خبر ثان او حال من الضمير في لهم من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار يصهر
به حال من الحميم او من الضمير في رؤوسهم والصهر الاذابة وقرئ بالتشديد للتكثير ما في بطونهم
من الشحوم والجلود فا في اللحوم اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم
فيذاب به ما في باطنهم وظاهرهم ولهم مقامع من حديد سياط منه جمع مقمعة
وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم
بدل اشتمال من منها باعادة الجار والاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعني
كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم وارادة الخروج كناية عن الهرب
منه كقوله يريد ان ينقض اعيدوا فيها بالمقامع والمراد اعادتهم الى معظم النار لانهم
يخرجون منها ثم يعودون اليها لقوله تعالى وما هم بخارجين منها ولقوله فيها دون اليها
وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ثم ذكر جزاء
الخصم الآخر بقوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار تغيير النظم في التفصيل بترك العطف واستئناف الكلام
وادخال حرف التأكيد واسناد الادخال الى الله تعالى تعظيم لشأن المؤمنين واحماد
لحالهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا البست الحلي فهي حالية شدد للنقل وقرئ
مخففا مبنيا للمفعول من اساور صفة مفعول محذوف والاساور جمع اسورة

ما الشي المذاب [illegible] بها الصوف [illegible]

ولو كان بسبب ان الكلام على [illegible] لفعل كلما ارادوا
اعيدوا [illegible] [illegible]

وجمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف على اساور او ذهب على انها مرصعة
وقرئ منصوبا على اضمار فعل اي يلبسون او يؤتون او عطفا على محل الجار والمجرور و
لباسهم فيها حرير تغيير الاسلوب فيه للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد مع رعاية
الفاصلة وهدوا الى الطيب من القول ابهم الفاعل ولم يقل هداهم الله في ابقاء
حق التعظيم وابهم القول وجي بالطيب ثم بين تحيتهم لشانه وايماء الى انه هو الملقب
بالطيب وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط
الحميد كرر هدوا تنبيها على ان كل واحد منهما امر مرضي بالاصالة تام مستقل في الهداية
اليه واختيار اسم الحميد من اسماء الله تعالى للاشارة الى خصوصية القول الطيب اي سبيل
طريق المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى او طريق المحمود عاقبته وهو الاسلام وقيل
طريق الجنة واضيف الى الله تكريما للجنة بنسبتها اليه وان طريقها طريقه ان الذين
كفروا خبر ان محذوف دل عليه جواب الشرط اي الذين كفروا نذيقهم من عذاب اليم
ويصدون عن سبيل الله عطف على كفروا وصدوا ولقوله تعالى في موضع آخر ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله اي يواظبون على الصدود وهو الصرف عن الحج خاصة
وليس المراد الحال والاستقبال بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم
فلان يحسن الى الفقراء ويكرم الضيفان ولذلك حسن عطفه على الماضي والمسجد
الحرام عطف على سبيل الله الذي جعلناه للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر
وباد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يجوز بيع ارض مكة ولا
اجارتها ولا يعارضه قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم لان الاضافة باعتبار
انهم يملكون البناء ولا شراء عمر رض دار السجن فيها لانه اشترى البناء دون الارض
وان اريد البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس والاول هو الظاهر لقوله تعالى سواء العاكف
فيه المقيم بمكة والباد اي الكائن في البدو اي ليس لاحد ان يمنع احدا عنه
قيل كانت بيوت مكة لا تتخذ لها ابواب حتى ظهرت السرقة فيهم فقال عمر رض
لرجل منهم وهو اول من اتخذ بابا اتخذت بابا للحجيج فقال لا ولكن احرز
المتاع عن السرقة فقال له انه لا يحل لاهل مكة ان يأخذوا اجور بيوتهم وفي
جواز بيع ارض مكة عن ابي حنيفة روايتان قال في الجامع الصغير لا يجوز وروى
ابن زياد عنه انه يجوز وللناس مفعول ثان لجعلناه وسواء خبر مقدم والعاكف مبتدا
والجملة حال او مفعول ثان وقرئ سواء بالنصب على انه مفعول ثان او حال ف

العكف

العاكف مرفوع على الفاعلية اي مستويا العاكف فيه والباد وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد الالحاد العدول
عن القصد واصله الحاد الحافر بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة
الجار او صلة له او ملحدا بسبب الظلم كالاشراك والاقتراف الآثام وعلى قراءة فتح الياء
في يرد يكون الباء في بالحاد للتعدية اي ومن اتى فيه بالحاد ظالما نذقه من عذاب اليم
جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت
مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعبادة ولما كان المقصود من النبوة العبادة قرنت
بالنهي عن الشرك والامر بتطهير البيت فان في قوله ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود مفسرة كأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له
لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي عن الاوثان والاقذار ان تطرح حوله للطائفين والمصلين
وانما عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك وقد
اجتمعت وفصل بين الاول والآخرين بالواو وجمع بين الآخرين بغيرها ولان القيام
تعظيم الله تعالى والركوع والسجود تذلل فاتحد هذان وغيرهما الاول وقيل ان مصدرية
موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي واذن في الناس ناد
فيهم وقرئ آذن من الايذان بالحج بدعوته والامر به والحج القصد البليغ الى مقصد منيع
روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له
ان يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول
الله صم امر ان يفعل في حجة الوداع والاول اظهر وجواب الامر يأتوك رجالا مشاة جمع
راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر معطوف على رجال كأنه قال رجالا وركبانا والضامر
البعير المهزول والاطناب المضوي وزيادة لفظ كل للمبالغة في تعميم الامر لكل من يقدر
على المركب ولو ضعيفا وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في
الحديث يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج اي طريق واسع عميق بعيد وانما عبر عن البعد
بالعمق لمناسب الوصف المعتبر في مفهوم الفج وقرئ معيق والمعنى واحد ليشهدوا ليحضروا
متعلق باذن او بيأتوك منافع لهم دينية ودنياوية ونكرها لان المراد نوع منها مختص
بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كني بالذكر
عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على ان المقصود ما يتقرب به الى الله تعالى

في أيام معلومات هي عشر ذي الحجة وأيام النحر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام علق الفعل بالمرزوق
وبينه بالبهيمة تحسيناً للكلام بنوع من البلاغة لم توجد في غير هذه العبارة وتنبيهاً للكناية
بالتورية وتعظيم المرزوق بالإبهام والتوضيح للتحريض على التقرب بها وقد سبق في المائدة
ما يتعلق بتفسير بهيمة الأنعام فكلوا منها أمر إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية
من التحرج فيه أو ندباً لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واستعمال التواضع
وهذا في هدي التطوع والمتعة والقران لأنه دم نسك فأشبه الأضحية دون بقية
الهدايا وأطعموا البائس الذي أصابه بؤس أي شدة الفقير المحتاج والأمر فيه للوجوب
وقد قيل به في الأول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه
والمراد قضاء إزالته وقيل قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد
وذلك عند الإحلال ولذلك صدره بكلمة التراخي وليوفوا نذورهم ما يوجب حجهم
والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وإن لم ينذر أو ما ينذرون من أعمال
البر في حجهم وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل وقيل
طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو الكريم ومنه عتاق
الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق الخروج من ذل العبودية إلى كرم الحرية أو المعتق من الغرق
لأنه رفع زمن الطوفان أو من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه
فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فإنه قصد إخراج ابن الزبير رضي الله عنه الذي تحصن به منه دون
التسلط عليه ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وهو وأمثاله للفصل بين كلامين
ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة
فيجوز أن يكون عاماً في جميع أحكامه وأن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله
البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام فهو أي التعظيم خير له والتعظيم القيام بمراعاتها
مع اعتقاد أنها واجبة المراعاة عند ربه يعني في الآخرة وأحلت لكم الأنعام
إلا ما يتلى عليكم إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما
أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة وفي عبارة يتلى إشارة
إلى أن التحريم لا يكون إلا من جهة الشارع بنص متلو فاجتنبوا الرجس من الأوثان
صدره بالفاء السببية لأنه لما حث على تعظيم حرمات الله تعالى لزم وجوب المحافظة
على حدوده وأعظمها التوحيد فدخل وجوب الاجتناب من عبادة الأوثان فيه دخولاً
أولياً وتبيين ومن للبيان أي الرجس الذي هو الأوثان وهو غاية المبالغة في النهي

عن تعظيمها حيث سماها الرجس وعرفه بلام الجنس وأمر بالاجتناب عن عينه وبينه بالأوثان كأن جنس الرجس
ما هو الأوثان كل ذلك تنفيراً عن عبادتها وخصوصاً بجعلها الرجس الذي ينفر الإنسان عنه بطبعه
واجتنبوا قول الزور قرنه بالشرك في وجوب الاجتناب عنه ولم يعطف بل كرر واجتنبوا
تنبيهاً على أصالة تحريمه وتعميماً لما ذكر فإن الشرك يلزمه قول الزور إذ المشركون يدعون ألوهية الوثن
ويدخل فيه تحريم البحائر وغيره من مفتر بأنهم فيكون كالعلة لتحريم الشرك بتحريم لازمه
الإثم وقيل المراد بقول الزور شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور
الإشراك بالله ثلاثاً وتلا هذه الآية والأظهر العموم ليتناول الشهادة وسائر الأكاذيب والزور
من الزَّوْر وهو الانحراف كما أن الإفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع
حنفاء لله مستقيمي الطريقة على أمر الله وأصل الحنف الاستقامة وقيل للمائل القدم أحنف
تفاؤلاً بالاستقامة غير مشركين به غيره في العبادة وهما حالان من الواو ومن يشرك
بالله لما أوضح في التمثيل عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر في التعجب المناسب لمقام التهويل
فكأنما خر من السماء سقط منها فتخطفه الطير الخطف الاستلاب بسرعة أو
تهوي به الريح أي تسقطه والهوي السقوط في مكان سحيق بعيد شبه حال المشرك في
هلاكه هلاكاً لا خلاص معه بحال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعاً في حواصلها
أو عصفت به الريح فهوت به في بعض المهالك البعيدة هذا إذا جعلته من باب التشبيه
المركب وتمثيل صورة حاله بصورة حال من هلك على إحدى الصورتين وإن جعلته من
باب التشبيه المفرق شبهت النطق القابل للتوحيد في علو رتبته بالسماء والمشرك
بالساقط والأهواء المردية الموزعة أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به
في تيه الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والشرك
الذي فيه بالمكان السحيق وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب أو للتنويع فإن من المشركين
من لا خلاص له أصلاً ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ذلك أي الأمر ذلك
ومن يعظم شعائر الله معالم دينه أراد بها الهدايا لأنها من معالم الحج والمخصص قبلها وما بعدها
وتعظيمها اعتقاد كون التقرب بها من معاظم الطاعات واختيارها حساناً سماناً غالية الأثمان
وترك المكاس في شرائها روي أن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار وجزاؤه محذوف
تقديره فهم متقون حقاً لدلالة التعليل التالي مقامه ولهذا أدخل الفاء الجزائية عليه والضمير
في فإنها لتعظيمات من عظموا شعائر الله من تقوى القلوب أي ناشئة منها واللام عوض

عن المضاف اليه اي من تقوى قلوبهم واضافتها اليها للاحتراز عن تقوى المرائي لكم فيها منافع
كثيرة دينية ودنيوية من درها ونسلها وظهرها وصوفها والتصدق بفوائدها الى اجل مسمى الى وقت
نحرها ثم محلها الى البيت العتيق ثم موضع حل نحرها منتهية الى البيت او قريب اليه وهو الحرم وثم
يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده
منافع دينية اعظم منها ولكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به
الى الله وقرئ بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله على ما رزقهم الله علة للجعل
مبينة ان المقصود من المناسك ذكر الله عز وجل اسمه عليها من بهيمة الانعام فيه
تنبيه على ان القربان لا يكون الا من النعم فالهكم اله واحد فله اسلموا الفاء في الموضعين
للسببية وتقديم له للتخصيص اي لما كان المقصود الاصلي من وضع المناسك ذكر الله
وتوحيده فاعلموا ان الهكم والجميع الامم اله واحد فله خاصة اخلصوا الذكر دون غيره
واجعلوه لسالما اي خالصا لا تشوبوه بالاشراك البتة وبشر المخبتين المتواضعين
الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
قلوبهم هيبة لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف
والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها لعظم
بدنها ماخوذة من بدن بدانة وهي الابل خاصة وقد دل عليه الحاق رسول الله صلى
البقر بالبدنة حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ولا دلالة فيه
على صيرورة البدنة متناولة للجنسين في الشريعة وانتصابه بفعل يفسره جعلناها
لكم وقرئ بالرفع على الابتداء كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام
الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير منافع
دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر الله اكبر لا اله الا
الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وطرف سنبك الرابعة
لانها تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند
الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم
اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض بعد نحرها

فاد

نابنه وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر اي اذا ماتت حل لكم الاكل منها و الاطعام
والقانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعا وقناعة ويؤيده انه قرئ
القنع وهو الراضي والمعتر المتعرض بالسؤال وقيل القانع السائل من قنعت اليه اذا
خضعت وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه و
اعتره واعتراه بمعنى كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وفرط
قوتها حتى تاخذوها فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضى الله ولن يقع منه
موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء
ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم
امر الله والتقرب اليه والاخلاص له والنحر عنها قيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن
نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك
سخرها لكم كرر تذكير النعمة وتعليلا بقوله لتكبروا الله على ما هداكم اي لتعرفوه
باقتداره اياكم وتعلموا ان القادر على ما لا يقدر عليه غيره فتعظموه بالكبرياء وتشكروه
على انعامه عليكم بالهداية الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها فتعديته بعلى على
تضمين معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه وانما ترك المبشر
للاشارة الى انه مما لا يكتنهه العبارة ان الله يدافع وقرئ يدفع اي يبالغ في الدفع
مبالغة من يغالب فيه عن الذين امنوا حذف المفعول للتعميم ثم علل بقوله ان الله
لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمه اي لانه لا يحب اضدادهم وضمنه الايماء
الى ان اعاديهم الواجب دفعهم هم المشركون والتنصيص عليهم بانهم الخائنون الكفا رون
والتعريض بان اضدادهم المؤمنين هم الامناء الشاكرون وان الله يحبهم وعلى
مقتضى ما ضمنه اي بصيغة المبالغة والا فتقتضي الظاهر انه يحبه عن كل خائن وكافر وقيل انما
بعضه لهما اذن رخص للذين حذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه وقرئ يقاتلون
بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب و
مشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه
الاية وهي اول ما نزل في القتال بعدما نهي عنه عليه السلام في نيف وسبعين اية وان
الله على نصرهم لقدير وعد لهم وارد على سنن كلام الملوك المقتدرين الجبارين وتاكيد

لما سبق من الوعد بدفع اذى الكفار فان النصر ليس مطلق العون بل العون بدفع الضر الذين في محل
جر بدل من الذين او نصب باعني او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق
بغير حق موجب استحقاقه الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله ابدالا ان يقولوا من حق
تاكيد للمدح بما يشبه الذم على طريقة قول النابغة   ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب   اي بغير موجب سوى التوحيد الموجب للاقرار والتمكين
والاكرام ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على المشركين بالجهاد
لهدمت الهدم كناية عن الابطال والتعطيل على وجه المبالغة اي لاستولى المشركون على اهل
الملل وعطلوا متعبداتهم صوامع وبيع وصلوات الصوامع جمع صومعة وهي
متعبد الرهابنة والبيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى ومصلاهم والصلوات جمع
صلوة وهي كنيسة اليهود وسميت صلوة لانها يصلى فيها وقيل كلمة معربة اصلها بالعبرانية
صلوتا ومساجد ومساجد المسلمين انما خص التعبير بالمسجد عن مصلاهم لان
السجدة من اركان صلوتهم خاصة وانما اخرت عن غيرها لما في التقديم من القرب
من الهدم يذكر فيها لا في المساجد خاصة بل في جميع ما تقدم لانه كالتعليل لصونها عن
التهديم بالدفع المذكور اسم الله كثيرا صفة مصدر محذوف اي ذكرا كثيرا ولينصرن
الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله اخبار من الله عن الغيب ووعدا نجزه بـ
تسليط المهاجرين والانصار على صناديد العرب والاكاسرة العجم وقياصرة الروم
ان الله لقوي على نصرهم عزيز غالب على امره وفيه تاكيد لوعده الذين بدل ممن ينصره
او صفة اخرى للذين يقاتلون قوله ولولا دفع الله اعتراض بين الصفتين ان
مكناهم في الارض وبسطنا لهم في الدنيا اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر اي اقاموا بامر الدين حق القيام وعن عثمان رض هذا
والله ثناء قبل بلاء اي اثنى عليهم قبل ان يحدث من الخير ما احدثوا وفيه دليل على
صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين ولله عاقبة
الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد لوعده وان يكذبوك تسلية
للرسول عم من تكذيب قومه اياه اي لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم
قبل قومك قوم نوح نوحا عم وعاد هودا عم وثمود صالحا عم لم يقل فيهما قوم صالح
وقوم هود لان الاصل في التعبير هو العلم والعدول عنهما الى التعبير بالامر العام لغرض
نقد العلم وقوم ابرهيم ابرهيم عم وقوم لوط لوطا عم واصحاب مدين شعيبا عم

لم يقل ههنا وقوم شعيب لان المكذب له من قومه اصحاب مدين خاصة وكذب موسى غيره
ولم يقل وقوم موسى لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط واورد الفعل
لتعظيمه وبيان ان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع كانه قيل وكذب
موسى مع عظم آياته ووضوح معجزاته فما ظنك بغيره وبنى الفعل للمفعول اتماما للكلام
بالتجريد لما سبق له فامليت للكافرين فامهلتهم الزاما للحجة ثم اخذتهم عاقبتهم
على كفرهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة نقمة والحيوة هلاكا والعمارة
خرابا والبقاء استئصالا فكاين من قرية منصوب المحل بفعل مقدر يفسره اهلكناها
او مرفوعة بالابتداء والخبر اهلكناها بمعنى باهلاك اهلها وهي ظالمة اي اهلها فهي
خاوية جملة معطوفة على اهلكناها لا محل لها من الاعراب على الاول وفي محل الرفع على الثاني
على عروشها متعلق بخاوية او خبر بعد خبر والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط
او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله والعرش كل مرتفع مظل من سقف او خيمة او
كرم او ساقطة على عروشها بان خرت السقوف على الارض ثم سقطت جدرانها فوق
السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وعلى الوجه الثاني من الاعراب فهي خاوية
فهي قائمة مع عروشها او مائلة مشرفة على السقوف الساقطة بل سقطت السقوف
على الارض وبقيت الجدران مشرفة عليها وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة
في البوادي فيها الماء عطلت وتركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من
اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مجصص من الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من
شاد البناء اذا رفعه اخليناه عن ساكنيه حذف لدلالة معطلة عليه والانسب لهذا
ان معنى خاوية على عروشها خالية مع عروشها والاظهر ان البئر والقصر على العموم اي اهلكنا
البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها والآبار عن وارديها افلم يسيروا
في الارض حث لهم على السفر ليعتبروا وما يرون من مصارع المهلكين وبقاء آثارهم وهم
وان كانوا قد سافروا لكنهم لم يعتبروا فكانهم لم يسافروا والعدم الفائدة لهم
فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من توحيد الله وقدرته عند الاعتبار
والاستبصار او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من
شاهدوا آثارهم وانما ذكر الاذن دون البصر مع انه انسب ان يذكر نظرا الى انساق
الكلام للاعتبار بالآثار لان المقصود بيان حصول طريقي العلم الاستدلال والاخذ من
افواه الرجال والوصول اليها بالسير للاعتبار والبصر من وسائل الطريق الاول فلذلك

لم يذكر اصالة **فانها** الضمير للقصة وفي قرآءة ابن مسعود رض فانه على تاويل الشان ويجوز
ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمي راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه **لا تعمي
الابصار ولكن تعمي القلوب** اي ما عميت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن
الاعتبار والآفة في عقولهم باتباع الهوى والتقليد **التي في الصدور** تاكيد لنفي
التجوز فائدة مثال القلب لب كل شي والتنبيه على ان العمى المتعارف الذي في
البصر لا اعتبار به وليس بعمى في الحقيقة بالنسبة الى عمى القلب فان العمى الحقيقي هو
عمى القلب الذي محله الصدر فهو مقرر لما ذكر ان الامر على خلاف ما عليه الجمهور من ان العمى
انما هو في البصر حقيقة وفي القلب استعارة قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال
ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى ويرد عليه انه لا
يكون المعنى لا تعمى الابصار في الآخرة ولكن تعمى القلوب ويرد قوله رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده** لا بامهال
ولا باهمال لان المحال في حق الملك المتعال وحقيقته يستعجلونك اخبار في معنى
الاستفهام على سبيل الانكار اي لم تستعجلون بالعذاب المتوعد به كانهم شاكون
في وقوعه ومحال ان يخلف الله وعده فلا بد من وقوعه وان طال الزمان **وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون** اي كيف يستعجلونك بعذاب من ايام عذابه في
طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد طوال **وكاين من قرية** كرره
للتهويل وتصوير حالهم في الاملاء وبيان ان الظلمة لا يهملون غير معذبين امهلوا ولم
يهملوا وانما عطف الاول بالفاء لكونها بدلا من قوله فكيف كان نكير وبناها على
النسب واما هذه فحكمها ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن
يخلف الله وعده وان يوما عند ربك على سبيل الاعتراض وبيان ان الاستعجال امر
منكر اذ لا بد من تحقق العذاب **امليت لها** كما امهلتكم **وهي ظالمة** مثلكم اصل
من قرية من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع
اليه الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل **ثم اخذتها** بالعذاب **والي المصير**
اي حكمي مرجع الجميع وتقديم الي للاختصاص والمبالغة للوعيد اي الي لا الى غيره **قل
يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين** الخطاب عام للمؤمن والكافر والمنذر به قيام
الساعة وانما كان عليه الصلوة والسلام نذيرا مبينا لان بعثته من اشراطها
فاجتمع به الانذار فالا وحالا فقولا انا لكم نذير مبين كقوله انا النذير العريان وقد دلت

علی ذلک

علی ذلک تعقيب الخطاب بالانذار بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله **فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة** لو نوبهم عند الحساب لان الحسنات يذهبن السيئات
ورزق كريم في الجنة الكريم من كل نوع ما اجتمع فيه فضائله **والذين سعوا في آياتنا** بالرد
والعناد بالطعن فيها حيث سموها سحرا او شعرا واساطير وتثبيط الناس عنها بقال سعى في
امره اذا اصلحه او افسده بسعيه **معاجزين** مسابقين في السعي جادين فيه مسابقين
له او سابقين في زعمهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم من عاجزه فاعجزه اذا
سابقه فسبقه لان كل واحد من المتسابقين في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به واذا سابقه
قبل اعجزه وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الاتيان على انه حال مقدرة **اولئك
اصحاب الجحيم** النار الموقدة وقيل اسم دركة من دركاتها **وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي** قد سبق تفسيرهما في سورة الاعراف وسورة مريم وبيان الفرق بينهما بعموم الثاني
وخصوص الاول ومن شرط في الرسول شريعة يجدده فكانه نفى ما زعم من الدلالة في قوله
وكان رسولا نبيا على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة **الا اذا تمنى** تلا فانه التمني
تمني كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل تابع **القى الشيطان في امنيته**
في تلاوته قالوا انه عم قرا في نادي قومه والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى
سكت فقال الشيطان تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقراها متصلا
بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه هو الذي تكلم بها وهذا معنى
القاء اللعين في قرآءة سيد المرسلين وكان يتكلم في زمن النبي ويسمع كلامه
فقد روي انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم وهذا الاخل بالوثوق على القرآن لاندفاعه بقوله **فينسخ الله
ما يلقي الشيطان** اي يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان **ثم يحكم الله آياته** اي
يثبتها ويحفظها عن تطرق النقصان ولحوق الزيادة من الشيطان ولما كان الاحكام
بهذا الوصف اعلى رتبة من النسخ المذكور صدره بكلمة ثم ولا احتمال لان يكون هذا
الكلام ونظائره كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون من زيادة الشيطان لان
ظهور الاعجاز عند انضمامه الى ما يبلغ به المجموع مقدار اقصر سور القرآن ودل
على انه من الرحمن قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
لا ياتون بمثله فلا دلالة في الآية على جواز السهو من الانبياء ونطرق الوسوسة اليهم
والله عليم بما اوحى الى نبيه وبقصد الشيطان **حكيم** يدع ما يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك

اي يلجعلوا الخطاب او الرسول الانذار ... سعد

انما قال يا ... ... سعد

ليفتن الله تع به قوما بقوله ليجعل الله ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في
قلوبهم مرض شك وتردد والقاسية قلوبهم المجازمين بمعتقدهم الباطل سواء
كان او مصرا ومن زعم ان المراد من الاول المنافق فكانه غافل عن ان المنافق اقسى
قلبا من الكافر المجاهر وان الظالمين من باب وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا
على الفريقين بالظلم لان الفتان ان يقول بعد ذكرهما وانهم لفي شقاق خلاف بعيد
عن الحق ويلزمه البعد عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد
المطابق للواقع وهم المؤمنون انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من
عند الله فلا يلتبس ما يلقي الشيطان من الباطل ولا يدخل فيه فيؤمنوا فيعتقدوا به
ويطيعوا باحكامه فتخبت فيطمئن له قلوبهم بالخشوع والخضوع والخشية وان الله لهادي
الذين آمنوا فيما اشكل عليهم بالتوفيق للنظر الصحيح والكشف بنور هدايته الى
صراط مستقيم هو طريق التاويل لما يتشابه بالتطبيق على الاصول المحكمة فلا يلحقهم
حرج ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية فقد سبق في اول سورة البقرة الفرق
بين المرية والريب والشك منه من القرآن حتى تاتيهم الساعة القيمة والمراد اتيان
الموت فانه من طلايعها ولذلك قال عم من مات فقد قامت قيامته بغتة فجاءة
او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقم
لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم وقيل العقيم الذي لا خير فيه يقال ريح
عقيم اذا لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين فيه ينوب
عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم نزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم
بالمجازاة والضمير يعم الفريقين دل عليه تفصيل الحكم بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الفاء
في جزاء الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تع وان عقاب
الكافر مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب كما قال في
جنات النعيم وفي تقديم الجار والمجرور دلالة على ان العذاب للهم مخصوص بهم لايشاركهم
فيه المؤمنين ثم خص قوما من الفريق الاول بتفضيله فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا
من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا
الرزق الحسن الذي لا يلحقه الم الانقطاع ولا يسبقه تعب الكسب وذلك في البرزخ قبل
دخول الجنة لان الرزق الحسن في الجنة لا اختصاص له بالمجاهدين من المؤمنين وانما سوى

بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الموعد لاستوائهما في القصد وما في اصل وسعهما من العمل
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا هو الجنة دل هذا على
ان ما تقدم من الرزق قبل دخولها بدل من قوله ليرزقنهم الله يرضونه صفة للمدخل
وهذا وصف لها بكل جميل لانها وقع موقع الرضى فقد كمل وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه
مجاهدا او آمال من مات وهو ينتظر مجاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا روي ان طوائف
من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا فقد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تع هاتين الآيتين ذلك
للفصل بين الكلامين اي الامر ذلك فما بعده مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به
اي لم يزد في الاقتصاص وانما سميت الجناية المبتداة باسم جزائها الذي هو العقاب
لا بين السبب والمسبب من الملابسة فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا وللازدواج
وليتصور سرعة ارتداء السبب اليه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله اي من جازى
بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله تع ان ينصره ان الله لعفو يمحو آثار الذنوب
غفور يستر انواع العيوب وانما وعد المنتصر بهما لانه اتبع هواه في الانتقام واعرض
عما ندب الله تع اليه بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو فان الله تع مع كمال قدرته وتعالي شانه
لما كان يعفو فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا
القادر على صحة ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي ذلك النصر
بسبب ان الله تع قادر على التصرف في العالم على وفق مشيته ومقتضى حكمته ومما ذكر من
التقلب في الملوين بتغليب احدهما على الآخر كناية عن التصرف في الافلاك بالتحريك على
وجه عليه مدار الكائنات في عالم الكون والفساد كيف يشاء والنصر المذكور من جملة
ما يقتضيه الحكمة وان الله سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلف في النهار
الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يعزب عنه شيء بشيء في الليالي وان
توالت الظلم ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بسبب انه هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وكل ما كان كذلك كان مبدا لما سواه عالما بذاته
وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما تدعون من دونه
الها وقرئ بالتاء على مخاطبة المشركين وبالبناء للمفعول فيكون الواو لما في معنى الآلهة

هو الباطل المعدوم في حد ذاته او الباطل الالوهية وان الله هو العلي اي العالي على كل
شيء بالقهر والسلطان بدون توهم المكان الكبير عن ان يساويه شيء فضلا عن ان يكون اعلى منه
شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولهذا رفع
فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا له لدل على نفي الاخضرار كما في قولك
الم تر اني انعمت عليك فتشكر والمقصود اثباته والرفع لعطفه على انزل ونسبته به
متسبب البته كذلك في المثال لانه عطف على انعمت واما النصب فلا وجه له الا التسبب
عن الاسلام ويؤل المعنى في المثال الى ما رايت فما شكرت اي لو رايت لشكرت وكذلك
في الآية على ان فيها مانعا عن ان يكون وهو اصباح الارض مخضرة لا يصح ان يتسبب عما
بعد الاستفهام وانما عدل عن الماضي ولم يقل اصبحت لاستحضار الحال الماضية و
التنبيه على كمال صنع الصانع بالمشاهدة والدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان
وقرئ مخضرة على مفعلة اي ذات خضرة كمبقلة ومسبعة ان الله لطيف واصل
فضله او علمه الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض
ملكا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء وما سواه محتاج الى الغير الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من علينا
بتسخيره لنا ما بنا حاجة اليه في معايشنا من الحيوان وغيره فلا اصلب من الحجارة
والحديد وقد ذللها نتخذ منها ما نريد فقوله ما في الارض عام لكن المراد منه ما ينفعنا
بقرينة قوله لكم والفلك عطف على ما او قرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره
حال منها او خبره ويمسك السماء بيد القدرة ان تقع من ان تقع او كراهة
ان تقع على الارض الا باذنه الا بمشيته وقيل لا ستمالها بذاتها وانما قيل انها
مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط فتقول غيرها منظور
فيه ان الله بالناس لرؤوف رحيم لفتحه عليهم ابواب المنافع ودفعه عنهم انواع
المضار والرؤف ابلغ من الرحيم وانما قدم عليه محافظة على الفاصلة وكذا تقديم
الناس عليهما لهما وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة و
مضغة ثم يميتكم اذا جاء اجالكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور
لجحود لما افاض عليه من النعم مع ظهورها لكل امة جعلنا منسكا كرره ثم
واو للتاكيد والتعبير وتعليق الزيادة به وجيء بالواو في الاولى لانها وقعت مع ما يناسبها

من الآي الواردة في امر النسائك فعطف عليها واما هذه فواقعة مع اجانب من معناها
فلم تجد معطوفا عليه هم ناسكوه هم عاملون به فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر
في امر الدين والنسائك لانهم جهال او اهل عناد ولان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع
وقيل المراد نهي رسول الله صلعم عن التعرض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما
تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عناد اي لا تلتفت اليهم ولا تمكنهم من ان ينازعوا
وعن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه البتة وهذا انما يجوز في الفعل الذي
بين اثنين وروي انها نزلت في خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتله الله يعنون الميتة وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يزيلوك
عنه والمراد زيادة التثبيت بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه وقال الزجاج هو
من باب المغالبة اي لا يغلبنك في المنازعة من نازعه فنزعه اي غلبه في النزاع وادع
الناس الى ربك اي الى عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان
جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا الا المجادلة بعد وضوح امر دينك
واجتهادك في ترك النزاع فادفعهم بان الله اعلم بما تعملون من الجدال الباطل والعناد
فيجازيكم عليها وهذا وعيد مع رفق الله يحكم يفصل بينكم بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين
يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالآيات والبينات فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين والخطاب عام وفيه تسلية لرسول الله صلعم بما يلقى منهم ومن تمام التسلية تقرير
على مضمون ما ذكر بقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض من الغيب والشهادة
ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه وتكليفه لانه ليس من شأن الكتب
المعارف ولما كان الاثبات في اللوح مظنة الحاجة في الحفظ الى الكتبة دفعه بقوله ان ذلك
اي الاحاطة به واثباته في اللوح على الله يسير لعدم الحاجة الى الآلة فان علمه مقتض لذاته
فلا يخفى عليه شيء فلا يهمنك امرهم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وما ليس لهم به علم ما لم يتمسكوا في جواز عبادته ببرهان نازل بالوحي من عند الله ولا
بعلم ضروري او نظري اي ليس لهم في ذلك مستند لا من جهة النقل ولا من جهة العقل
وانما قدم الوجه النقلي لانه الاصل في امر العبادة وفي العبارة عنه بما ذكرنا دفع الا انه
مع انقسامه الى اربعة اقسام مذكورة في علم الاصول يرجع الى الوحي واعادة عبارة
ما مع الحاجة اليها لافادة المعنى المذكور كما عادها في قوله ما لا يضره وما لا ينفعه وما للظالمين
وما للذين ظلموا بهذا الظلم الشنيع من نصير يعينهم بدفع العذاب عنهم ووضع الظاهر

موضع المضمر للتسجيل على المشركين بالظلم وإذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات
الدلالة على العقائد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر أي تظهر فيها ظهوراً بيناً حتى
يعرفه كل من يراه المنكر الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً وهذا
منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو الأمر المنكر الفظيع من التهاب
الغيظ وما يقصدونه من الشر يكادون يسطون السطو الوثب والبطش بالذين يتلون
عليهم آياتنا هم النبي عم وأصحابه رض قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلوا عليكم النار خبر مبتدأ
محذوف كأن قائلاً قال ما هو فقيل النار أي هو النار أو مبتدأ خبره وعدها الله الذين
كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر وعلى هذين الوجهين يحتمل
أن تكون الجملة حالاً بإضمار قد وأن يكون استئنافاً كما إذا وقعت خبراً وبئس المصير
النار يا أيها الناس ضرب مثل بين لكم حالة غريبة سميت مثلاً على سبيل الاستعارة
لأن الأمثال إنما سيرت لكونها مستغربة فلهذا نودي الناس لها وأكد غرابتها بقوله
فاستمعوا له وأبهم وبين إن الذين تدعون أي تدعونه وقرئ مبنياً للمفعول من
دون الله آلهة يعني الأصنام لن يخلقوا ذباباً من الذب لأنه يذب وسمي ذباباً
لأنه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره وتخصيصه لمهانته وضعفه وتأكيد النفي
بلن للدلالة على استحالة خلق الذباب منهم كأنه قال محال أن يخلقوه ولو اجتمعوا له
بجوابه المقدر المدلول عليه بالمذكور في موضع الحال جيء بها للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه
منه أي هذا الخلق الأقل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه
لم يقدروا عليه عن ابن عباس رض أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا
سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه والظاهر أن المراد جعل امتناع خلقهم ذباباً وانتفاء
استنقاذهم عنه عند سلبه شيئاً منهم مثلاً لانتفاء قدرتهم استلزم انتفاء الألوهية
تستلزم الاقتدار على جميع المقدورات ويستحق بها العبادة فإن ما لا يقدر على خلق أحقر
شيء بل على الاستنقاذ منه كيف يستحق أن يعبد عبادة من له كمال القدرة على إيجاد كل
شيء وتسخيره وهذا غاية في تجهيلهم واستركاك عقولهم ضعف الطالب والمطلوب
الصنم الطالب للاستنقاذ والذباب المطلوب أن يستنقذ منه وفي هذا التذييل إيهام
التسوية وتحقيق أن الطالب يعني الصنم أضعف لأنه قدم عليه أن جنس الخلق الأذل هو السالب

وذلك طالب خائب عن طلبه ولما أجراهم مجرى العقلاء بإثبات الطلب لهم وبين أنهم أضعف من أول
الحيوان فقد نبه على مكان التهكم في ذلك ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث
أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة أو غلوا في الاتصاف بأضداد صفاته
إن الله لقوي قادر على خلق الممكنات كلها عزيز غالب على كل شيء ولا يغلبه شيء فكيف
يشرك به شيء سيما أحقر الأشياء وأعجزها وأذلها ولما قرر الوحدانية ونفى الآلهة الأنداد
أراد أن ينفي عنها ما يدعون لها من التوسل بها إلى الله تع والتقرب إليه بتوسطها فقال
الله يصطفي يختار من الملائكة رسلاً يتوسطون بينه وبين الأنبياء عم بالوحي ومن الناس
رسلاً يبلغون رسالاته إلى من دونهم ويدعونهم إليه ويشفعون لهم فلا وسيلة غير هذين
الصنفين ولا تقرب إلى الله بغيرهما ففيه نفي لما ادعوه من قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ورد لقولهم واعتقادهم أن الرسول لا يكون
من البشر إن الله سميع لأقوال الرسل فيما يتقبله المقول بصير بأحوال الأمم في الرد والقبول
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما مضى وما غبر لا يخفى منهم خافية وإلى الله ترجع الأمور
وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها ومدبرها فلا اعتراض لأحد على حكمه وتدبيره واختيار
رسله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير درج في هذه
الأوامر من الأخص إلى الأعم فأمر بالصلوة المشتملة على أصناف الطاعات من القلبيات
والقوليات والبدنيات وعبر عنها بالركوع والسجود لأنهما أعظم أركانها ثم لمطلق العبادة
كالصوم والزكوة والحج ثم سائر الخيرات كصلة الرحم ومكارم الأخلاق والإصلاح بين الناس
وأمثالها وقيل كان الناس في أول الإسلام يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فأمروا
بالجمع بينهما في الصلوة لعلكم تفلحون أي افعلوا هذا كله وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين
به متكلين على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رض قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان
قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رض فضلت سورة الحج بسجدتين
وبذلك احتج الشافعي ورأى السجدتين فيها وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيها إلا سجدة
واحدة لأنهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة
وجاهدوا في الله في شأنه ومن أجله أمر بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر
لقوله عم عند رجوعه من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر حق جهاده
أصله جهاداً حقاً أي خالصاً لوجه الله تع فأضيف الحق إلى الجهاد للمبالغة كقولك هو حق عالم
ثم أضيف الجهاد إلى ضمير الله إما للملابسة لاختصاصه به من حيث إنه مفعول من أجله وإما

للاتباع في الالفاظ **هو اجتباكم** اختاركم لدينه ولنصرته وبناء الفعل للضمير للاختصاص المفيد لوجوب الجهاد
اي هو وحده اجتباكم دون غيره والذي اجتباه الله بنفسه لا بد له من الجهاد الاكبر لقضاء حق
القرب والولاية والاصغر لقوة يقينه ووثوقه بحفظه وكلاءته ولاعلاء كلمته واعزاز دينه
ففيه تنبيه على المقتضي للجهاد وفي قوله **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ضيق بتكليف ما يشتد
القيام به عليكم على انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه وضمنه الاشارة الى الرخصة
في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد فلا ذنب
الا وقد جعل لكم منه مخرجا ويرد عليه ان الحرج لا ينفى بوجود المخرج في الجملة لما عرفت انه
عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص **ملة ابيكم** نصب على الاختصاص اي بالدين ملة
ابيكم او على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم او بمضمون ما تقدم على المصدر اي وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه **ابرهيم** عطف بيان وانما
جعله ابا لان كل نبي ابو امته من حيث الحقيقة وهو كان ابا محمد عم واب الاب اب او لان
اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم **هو** اي الله تع **سماكم المسلمين من قبل** من قبل
القرآن في الكتب المتقدمة **وفي هذا** اي في القرآن وقيل الضمير لابرهيم وهو وان لم يسم
المسلمين لكن سموا به بسبب تسميته اياهم مسلمين من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وقوله في هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ويشهد للاول قراءة ابي رض
سماكم اي هو فضلكم بالاجتباء وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول يوم القيمة متعلق
بسماكم او باجتباكم شهيدا عليكم بانه بلغكم او بعصيان من عصى وطاعة من اطاع وتكونوا
شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم **فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** اي واذ قد خصكم بهذه
الكرامة والشرف فاعبدوه وتقربوا اليه بانواع الطاعات **واعتصموا بالله** واثقوا به في
مجامع اموركم **هو موليكم** فلا تطلبوا النصر والولاية الا منه **فنعم المولى**
ونعم النصير حيث لا يمنعكم رزقكم بعصيانكم ويعينكم
على طلب المبارزة ويدفع عنكم المضار
والله سبحانه وتعالى اعلم بالحقيقة
والصواب واليه
المرجع والمآب

سورة المؤمنون مائة وسبع عشرة آية مكية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون لفظة قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه واذا دخلت على الماضي دلت على ثباته
والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة عن المرهوب اي فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا وافلح دخل
في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اذا اوصله الى الفلاح وعليه قراءة قد افلح على
البناء للمفعول وقرئ قد فلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على الابهام
والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وافلح بضمة اكتفاء بها عن الواو ولما كان المؤمنون
متوقعين بمثل هذه البشارة من فضل الله بشروا بما دل على ثبوت ما توقعوا والمؤمن
في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في
تفسير سورة البقرة **الذين هم في صلوتهم خاشعون** الخشوع في الصلوة خشية القلب مع
التواضع والباد البصر موضع السجود روي انه عم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما
نزلت رمى ببصره نحو مسجده **والذين هم عن اللغو معرضون** لما بهم من الجد ما شغلهم عنه اللغو
ما لا يعنيك من قول او فعل كالهزل واللعب وكلما توجب المروءة الغاؤه لما ذكر الخشوع
اتبعه الاعراض عن اللغو ليجمع بين فعل ما ينبغي ان يفعل وترك ما ينبغي ان يترك وهما
الاصلان اللذان عليهما مدار التكليف وبالغ في اوصاف المؤمن بايراد الصلات
جملا اسمية وتقديم صلة الاعراض والتعبير بالاسم دون الفعل وايراد الاعراض
مكان الترك لان اصله ان يكون في عرض غير عرضه ليدل على التجنب والبعد عنه بالكلية
مباشرة وتسببا وميلا وحضورا والتعبير عنه بالاسم دون الفعل وكذلك قوله **والذين هم**
للزكوة اي التزكية **فاعلون** لان الفاعل لا يفعل الا الحدث الذي هو المصدر ولهذا سمي الفعل
المطلق ويمكن ان يفسر بالعين ويقدر مضافه اي لاداء الزكوة وانما لم يقل مؤدون
لان في زيادة فاعلون دلالة على المداومة **والذين هم لفروجهم** الفرج يشتمل على سوءة الرجل والمرأة
حافظون من قولهم احفظ على عنان فرسي بمعنى امسك ولا بد فيه من تضمين معنى النفي ليصح
الاستثناء اي يمسكون لا يطلقونها على احد **الا على ازواجهم** او حال اي والين على ازواجهم
او قوامين عليهن والمعنى حافظون في كل حال الا في حال ولايتهم على ازواجهم او متعلق
بمحذوف دل عليه فانهم غير ملومين اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم
غير ملومين عليه **او ما ملكت ايمانهم** اي اماءهم ولم يقل من اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء

اذ الملك اصل في غيرهن والحرية فيهم اولات الاناث لنقصان عقلهن من جنس غيرهن وانما قال
ما ملكت ايمانهم ولم يقل ما ملكوا اظهارا للملك اليميني في مقابلة ملك المنفعة الظاهر من قرينة
واشعارا باختصاص سببه حل الوطء في الملك المذكورين لا يتعداهما الى ملك الرقبة فانها اذا
خلت عن ملك اليمين كما في الكتابية لا يوجد الحل المذكور فانهم غير ملومين الضمير لحافظون
او لمن دل عليه الاستثناء اي فان المطلقين لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف
عنده وحذف مفعول الابتغاء للتعميم وجاء باسم الاشارة اي فاولئك المبتغون ووسط
الضمير وعرف العادون اي من احدث ابتغاء وراء ذلك للجمع الفسخ والاشباع
فيه فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه كل ذلك مبالغة في التحذير عن
الزنا وافرده بالذكر بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى ما
النفس واعظمها خطرا والذين هم لاماناتهم وعهدهم قيل لما يؤتمنون عليه ويعاهدون عليه من
جهة الحق او الخلق وقراءة لا حاجة الى الصرف عن الظاهر فان العهد وكذا الامانة مما راعى
راعون الراعي القائم على الشيء بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم والرعية وقرئ لامانتهم على الافراد
لانها في الاصل مصدر او لامن الالباس والذين هم على صلوتهم يحافظون يواظبون عليها
ويؤدونها في اوقاتها وجاء بلفظ الفعل فيها لما فيها من التجدد والتكرار والفعل المضارع
في الجملة الاسمية يدل على دوام التجدد وقرئ بلفظ الجمع هنا ليفيد المواظبة على اعدادها و
انواعها ولم يقرأ به فيما سبق لان الكلام هناك في الخشوع وهو مطلوب في جنس الصلوة و
في بدء الاوصاف وختمها بذكرها تعظيم لشانها واعلاء لقدرها اولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس اي يصلون اليه
والى ما فيه من النعيم المقيم بلا تعب الكسب ويبقى في ايديهم فان الوراثة اقوى بسبب التملك
حيث لا يعقبه فسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد ولا اسقاط والفردوس هو البستان الواسع
الجامع لاصناف الثمر وفي اطلاق الوارثين وتقييدهم بما ترى من التفخيم لا يرد به وتعظيمه
واستعارة الوراثة وايراد اسم الاشارة اشعارا بانهم استحقوا ذلك الخطب الجليل
من تلك الاعمال والصفات لا بسببيتها بل بمقتضى وعده وهذا القدر يكفي في التحريض عليها
هم فيها خالدون انث الضمير على تاويل الجنة او الطبقة فانها اوسط الجنان واعلاها
ومن هنا تبين ان ما قيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم
لانه خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار لا يناسب المقام ولقد خلقنا

الانسان من سلالة السلالة صفوة الشيء التي تخرج منه كانها تسل منه كالصفاوة والفعالة بناء
مفعول فيه معنى القلة كالقمامة والقلامة والسلافة ومن هنا للابتداء متعلق بخلقنا وفي قوله
من طين للبيان صفة لسلالة اي سلالة هي طين والانسان ادم ع م ثم جعلناه ثم جعلنا
نسله على حذف المضاف لقوله ثم وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين او الجنس لانه لما خلق اول فرد منه من سلالة من طين وساير افراده خلقوا ولكن الوجه كان
الجنس مخلوقا من سلالة من طين واما ما قيل المراد بالطين آدم ع م لانه خلق منه والسلالة نطفة
فلا وجه له لما فيه من اخراجه ع م من الجنس المذكور حيث جعل مخلوقا من نطفة نطفة بان خلقنا
منها في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وصف المستقر بالقرار مبالغة كانه نفس القرار
ووصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيه على الاسناد المجازي تجسما لا من المبالغة ثم خلقنا
النطفة علقة بان جعلنا النطفة البيضاء علقة حمراء بتدريج بعد زمان فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما فانبتنا
عليها لحما فصار لها كاللباس وقرئ عظما وضعا للواحد موضع الجمع لعدم اللبس واختلاف
العواطف لاختلاف الاستحالات والتكونات في التراخي وعدمه فثم للاستحالة الرابعة
والفاء للتكون الاتي الاثم الاثم في قوله ثم انشأناه فانها مستعارة لما بين الخلقين من
التفاوت خلقا آخر التنكير للتنويع اي نوعا آخر من الخلق مباينا للخلق الاول نفخ الروح
فيه وجعله حيوانا مباينة ما ابعدها اذ كان جمادا فجعله حيا سميعا بصيرا ذا اعضاء ظاهرة
وباطنة في كل واحد منها عجايب كلمة وغرايب صنعه ولطايف قوة لا يفي بها وصف واصف
ولا يبلغها شرح شارح واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين
بدل او خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض
من من المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه روي ان عبد الله بن سعد
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول
الله صلعم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي
فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وهذه الرواية غير صحيحة لان السورة مكية وارتداده
كان بالمدينة على ما اعترف به الراوي ثم انكم بعد ذلك لميتون لصايرون الى الموت لا محالة
ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون
للمحاسبة والجزاء ومعنى التراخي قد علم من الظرف فايراد اداته ليس لافادة بل لايفاء حق البلاغة

ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق لانه طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة وانما
العرش والكرسي فغلب من الطرائق لعدم المماثلة بينهما وبينها وما كنا عن الخلق وما كنا عنها وعن
حفظها وامساكها ان تقع عليكم غافلين وفي التعبير عنها بالخلق فضل مبالغة في تعظيم شأنها
وزيادة كنا لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يقتضيه الحكمة
او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه في الارض فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض انهارا او ينابيع
وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون
كما قدرنا على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه وانواعه ومبالغة في الايعاد وتعدية
بالباء تاكيدا له وال على ذهاب بو معه بمعنه من الظهور ليس في الاذهاب ذلك وهو في غاية
البلاغة وزعموا انه ليس في قوله ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين هذه المبالغة والبلاغة
وليس الامر كما زعموا على ما نقف عليه في موضعه باذن الله تعالى فانشانا لكم به بالماء جنات
من نخيل واعناب لكم فيها في الجنة فواكه كثيرة من غير الجنسين المذكورين يتفكهون بها ومنها ومن
الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان
ياكل من حرفته ويجوز ان يكون المراد لكم في النخيل والاعناب انواع من الفواكه كالرطب
والعنب والتمر والزبيب والبسر والحصرم والدبس والعصير وغير ذلك ومنها طعام تاكلونه
وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشانا لكم به شجرة تخرج من طور
سيناء جبل موسى وهو اما اسم مركب من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس واما اسم مضاف
الى بقعة اسمها سيناء ومن كسر سين سيناء منعه الصرف للتعريف والعجمة او التانيث
على تاويل البقعة لا للالف لان الف فعلاء ليست للتانيث فانه فعلال كرباس من
السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال من السين كعلباء وحرباء
ومن فتح السين منعه لالف التانيث كصحراء تنبت بالدهن في موضع الحال اي تنبت
ملتبسة بالدهن ويجوز ان يكون الباء للتعدية كما في قولك ذهبت بزيد ويؤيده قراءة
ابن مسعود تخرج بالدهن وصبغ للآكلين وقرئ تنبت من الانبات وهو بمعنى نبت
واصله دخل في النبات والمفعول محذوف اي تنبت زيتونا ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول
اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وانما خص الانواع الثلثة بالذكر من بين الثمار لانه اكرم الاشجار وافضلها واجمعها للمنافع
فان النخل والعنب يجمعان التفكه والتغذي والزيتون يجمع الاصطباح والاصطباغ وان لكم

وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على

في الانعام

علته في سورة النحل

في الانعام لعبرة تعتبرون بها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان على انها
استيناف لبيان العبرة ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها
وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وقد غلب استعمال الانعام في الابل
ولذلك قرنت بالفلك لانها سفائن البر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا
الله قصته وما بعده من القصص مسوقة لبيان كفران الناس النعم المتلاصقة حتى ابتلوا بزوالها
ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى
التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه ويهلككم ويعذبكم برفضكم
بعبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها والهمزة الداخلة على الفاء لانكار التعقيب
او التعقيب الانكار فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه قد سبق في تفسير سورة
الاعراف وجه توصيف الملأ بهذا الوصف ما هذا الا بشر مثلكم كناية عن زعمهم عن
نفي الرسالة عنه يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل ويترفع عليكم بالرياسة
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا بكون البشر رسولا او
بنوح ونبوته او بما يأمرهم به من تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي كل من دونه من الالهة
ان يقبل هذا الكلام وذلك لكونهم في فترة متطاولة او لعنادهم وانهماكهم في الغي فكذبوا
في ذلك لان يدفعوا الحق بما امكنهم ولذلك جننوه حيث قالوا ان هو الا رجل به جنة مع
علمهم بانه ارجح الناس عقلا والجنة الجنون فتربصوا فانتظروا به حتى حين ان هو مجنون
فلا تعجلوا في عقوبته بل دعوه الى وقت فاما ان يموت او يرجع عن هذا او تعجلوا به ما شئتم
قال رب انصرني عليهم باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم
اياي او بدل تكذيبهم اياي فاوحينا اليه اي اجبنا دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا مبالغة في الحفظ كان معه من الله حفاظا يحفظونه بعيونهم لئلا يفسد عليه
عمله ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا عذابنا والمراد من مجيئه
ظهور طليعته وهو فوران الماء من التنور وانما قال وفار التنور مبالغة اخرج
سبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ في الانذار والاعتبار وروي انه قيل لنوح ع
اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء
من التنور اخبرته امراته فركب فاسلك فادخل فيها سلك يجي لازما ومتعديا وجاء
اسلكه بالنقل من اللازم من كل من كل امة زوجين اثنين تاكيد والاضافة اي
من كل امتي الذكر والانثى واحد من زوجين واهلك اي اهل بيتك ومن امن معك الا من سبق

عليه القول اي القول من الله تع بهلاكه لكفره وانما جي باللام حيث كان نافعًا في قوله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى منهم اي من اهلك وهذا يابي عن تخصيص تفسيره بمن آمن ولا تخاطبني في الذين ظلموا وهذا
نهي عن الدعاء لهم بالانجاء على ابلغ وجه ومن خص الخطاب بالدعاء فقد اخل بحق البلاغة
جعل عن الدعاء معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول مع الصلة موضع الضمير ولم يقل ولا تخاطبني
فيهم ايماء الى العلة ولما لوح الى ان الحكمة تقتضي هلاك الظالم استانف قوله انهم مغرقون
بالتوكيد اي لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ثم بالغ في ذلك بامره بالحمد على هلاكهم
والنجاة منهم عقيب النهي عن الدعاء فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا تمكنتم
عليها راكبين فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين امره بالحمد على نجاته ونجاة
من معه اشارة الى ان نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة في حقه وامتنانا بها ايضا ولو قال
فقولوا لم يحصل هذا المعنى وايضا كبرياء الربوبية تقتضي ان لا يترقى الى خطابه حضرتها
الا نبي مثله وان كلامه يغني عن كلامهم ولا يستاهل الاجابة الا امثاله وقل رب لما نهاه
عن الدعاء لاجلهم امره بدعاء هو اهم له وانفع وهو ان ينزله منزلا مباركا انزلني
في الارض من السفينة لا في السفينة لانه عبر عنه سابقا بعبارة تدل على الصعود
وقد حصل الفراغ عنه وعن اظهار الامتنان بما يترتب عليه من نعمة النجاة منزلا مباركا
يبارك له فيه ويتسبب لزيادة خير الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال
وانت خير المنزلين ثناء مطابق لمسئلته امره بان يشفعه به مبالغة فيها وتوسلا
به الى الاجابة انما امره بالقولين المذكورين لا بالحمد والدعاء تعليما لطريقهما اظهارا
لفضيلة الحمد والدعاء بالعبارة بين المذكورين ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه
لايات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشان والقصة كنا لمبتلين
لمختبرين بهذه الآيات عبادنا للنظر من يعتبر ويذكر لقوله ولقد تركناها آية فهل
من مدكر وقيل لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وليس في الاخبار كثير فائدة ثم
انشانا خلقنا من بعدهم قوما آخرين عادا قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح فانه قول هود ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في سورة
الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم اي من ظهرانيهم وفي زمرتهم ولم ياتهم في موضع
آخر رسولا التنكير للتعظيم منهم من قبيلتهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان
مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه

وادخال

وادخال الهمزة على الفاء لانكار عدم التقوى بعد العلم بانه لا اله لهم غيره وفيه تنزيل لهم منزلة العالم به
من العلم به وتنبيه على ظهور الدلائل على ذلك وقال الملا من قومه الذين كفروا لما تضمن ارسلنا معنى
القول عطف عليه قولهم بالواو اي اجتمع في الحصول ذاك الحق وهذا الباطل وكذبوا بلقاء
الآخرة اي بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء يعني بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة
الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه
ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة ولذلك ترك في قصة نوح لترك قيد المماثلة وما
خبرية وحذف العائد الى الثاني لدلالة ما قبله عليه او لشبه حذف المنصوب اي تشربونه
ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به وينهاكم عنه انكم اذا اذا وقع في جزاء الشرط وجواب
للذين قاولوهم من قومهم لخاسرون بالاتباع لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا اتباع من
مثلهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما كان كونهم
ترابا معلوما بطريق العقل وكونهم عظاما ثابت هذا معلوما بطريق الحس كان الثاني
اشد وقعا في الاستبعاد عند العامة فلذلك اخر بل نقول لولا مشاهدة العظام لكان
الوهم يعارض العقل في كونه ترابا فهو كالتتمة للاول ولذلك تراه يذكر مؤخرا في جميع المواضع
انكم مخرجون من العدم الى الوجود تارة اخرى وثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لطول الفصل
بين الاول والثاني او مخرجون مبتدا خبره الظرف والجملة خبر ان الاولى اي انكم اخراجكم
اذا متم او مرفوع بفعل مقدر هو جواب الشرط والشرطية خبر ان انكم اذا متم وقع اخراجكم
هيهات هيهات من الاسماء الافعال واقع موقع بعد وفاعلها مضمر اي بعد التصديق
الوقوع واللام في لما توعدون للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد
قيل فما الذي له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون او فاعلها ما توعدون واللام زائدة
اي بعد ما توعدون من البعث وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ
بالفتح منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على
لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا
فوضع هي موضع الحيوة لدلالة الخبر عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغني
عن التصريح به كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية
دخلت على هي التي في معنى الجنس فوازنت لا التي لنفي الجنس نموت ونحيى يموت منا بعض و
يولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله فيما يدعيه من
ارساله وفيما يعدنا من البعث والمفتري قد يكون صادقا في نفسه ويكون الكذب في نسبته

لا المفتري عليه فقولهم كذبا بالوقوع بعد الاضمحلال وهذا الاضمحلال وهذا في غاية الضلال وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين وتقديم له للمحافظة على الفاصلة قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون قد سبق
تفسيره فاجاب الله تعالى دعاءه حيث قال عما قليل عن بمعنى بعد وما زايدة لتوكيد معنى
القلة او بمعنى شيء او زمن وقليل صفته له وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين على ما فعلوا
اذا عاينوا ما يحل لهم فاخذتهم الصيحة الصعقة الهائلة لا صيحة جبريل عم لما عرفت ان
القصة قصة هود عم لا قصة صالح عم بالحق باستحقاقهم ذلك او بالوجه الثابت الذي لا مدفع
له او بالعدل من الله او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل
مما بلي واسود من الورق والعيدان وهذا التشبيه يناسب حال قوم هود عليه السلام
فبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها واللام
في للقوم الظالمين لبيان من دعا عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ويحتمل الاخبار
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة من مزيدة للاستغراق ق
امة اجلها الوقت الذي عين لهلاكها وكتب وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى
والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين على انه مصدر بمعنى المواترة
وقع حالا والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من
الوتر وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل مع الارسال الى المرسل ومع المجيء
الى المرسل اليهم لان مبدأ الارسال منه ومنتهى المجيء اليهم فالرسول يلابسهما جميعا
فيصح اضافته اليهما فاتبعنا بعضهم فاتبعنا بعض الامم والقرون بعضا في الهلاك وجعلناهم
احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث
ومنه احاديث الرسول عم ويكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا
وهو المراد ههنا فبعدا لقوم لا يؤمنون سبق تفسيره آنفا ثم ارسلنا موسى
واخاه هارون للاشعار بان ارساله عم كان تبعا لموسى عم تعرض لاخوته له ونزل
ذلك الوصف منزلة الاصل حيث جعل اسمه بدلا عنه بآياتنا الآيات التسع و
سلطان مبين وحجة واضحة لظهور بطلان المخالف ويجوز ان يكون المراد به العصا و
افرادها بالذكر لانها ام المعجزات واولها وتعلقت بها معجزات شتى كما ذكر كانها
ليست بعضها لما استبدت به من الفضل ويجوز ان يكون المراد الآيات انفسها لانها
آيات وحجة بينة الى فرعون وملائه للاستخلاص بني اسرائيل عن ايديهم على ما افصح
عنه في سورة الشعراء حيث قال فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل

معنا

معنا بني اسرائيل اي خلهم يذهبوا معنا الى الشام فاستكبروا عن تصديقهما في الرسالة المذكورة
وعن الايتمار بامرهما لا عن المتابعة لانهما عليهما السلام لم يدعوهم الى على ذلك قولهما يذهبوا
معنا الى الشام وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن انذعن وننقاد لبشرين مثلنا
البشر اسم الجنس كما يطلق على الجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا يطلق على الواحد كقوله
بشرا سويا وبهذا الاعتبار ثني ومثل كغيره يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث
كقوله انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثالهم وقومهما
يعني بني اسرائيل لنا عابدون على الحقيقة لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة
فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم موسى الكتاب
التورية لما كان ايتاؤه موسى عم في حكم ايتائه قومه قال لعلهم يهتدون اي لعلهم يعملون
بشرائعها ومواعظها فان الاهتداء بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل بما فيها لا بحملها
وجعلنا ابن مريم عبر عنه بكنيته دون اسمه لما فيها من الاشارة الى وجه كونه آية وهو ولادته
من غير اب وذلك ان الاصل في النسب هو الاب فلا يعدل الا عند فقده وامه آية
بولادتها اياه من غير مسيس فهما معا آية واحدة او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في
له المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة
الثانية عليها وآويناهما الى ربوة هي الارض المرتفعة قيل هي بيت المقدس وقيل
غيره ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها
يستقرون فيها لاجلها ومعين المعين الماء الجاري على وجه الارض مفعول من عانه
اذا ادركه بالعين نحو ركبه اذا ضربه بالركبة اي يدرك بالعين لظهوره فميمه على هذا زايدة
او فعيل من معن الماء اذا جرى فاصله الابعاد في الشيء او من الماعون الذي هو المنفعة
اي نفاع فميمه اصلية يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليسا من
ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في
زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا
به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه او هو خطاب لمحمد عم لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه
وكان يأكل من الغنائم او لعيسى عم لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل امه وهو اطيب ص
الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ والامر
للترفيه والاباحة ومع الاحتمال الاول تم الاحتجاج به على الرهبانية في رفض الطيبات المستلذة
واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه بالكسر

على الاستئناف وبالفتح بحذف اللام والمعلل فاتقون او هو معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم
وبان هذه وتقديره واعلموا ان هذه وقرئ بالتخفيف امتكم ملتكم وطريقتكم امة واحدة
في اصول الشرائع والمعتقدات او جماعتكم جماعة واحدة متفقة في التوحيد والايمان و
نصبها على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا تقطع
بمعنى قطع ما امروا به من الشرائع والاحكام امرهم والضمير لما دل عليه الامة من اربابها
او لها زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم اديانا
وقيل تفرقوا في دينهم كل ينتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا ويؤيده
قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة مستعارة من زبر الحديد ويجوز ان يكون حالا من
امرهم او من الواو وكل حزب كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم
بما لديهم من الكتاب والدين او من الهوى والرأي فرحون معجبون معتقدون انهم على
الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم
مغمورون فيها او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل حتى حين
الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الاستعجال بعذابهم بهم
ايحسبون انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما لا خبر له
فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع
لهم في الخيرات والعائد في خبر ان الى اسمها محذوف اي نسارع لهم به والمعنى ان هذا
الامداد ليس الا استدراجا لهم في المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات
ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل
باهل الخير من المسلمين بل اضراب عما يحسبونه لا يشعرون بل هم اشباه البهائم لا فطنة
بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك فيعلموا انه استدراج لا مسارعة
في الخيرات ان الذين هم من خشية ربهم الخشية خوف يشوبه التعظيم مشفقون حذرون
حق الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والاشفاق خوف مع اعتناء والذين هم بآيات
ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون يصدقون مدلولها ونزولها من عند الله
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم
وجلة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما يكره انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى

عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون فيها اشد الرغبة فيبادرونها والاصح طباقا لما تقدم
وقاله ان المعنى انهم يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية ويتعجلون في الدنيا المنافع
ووجوه الاكرام لانهم اذا سوعغ بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وهم لها سابقون
اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل
الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا حال من فاعل يسارعون او عطف على اولئك يسارعون
عطف الجملة على الجملة لها صلة سابقون او علة او خبر هم سابقون خبر بعد خبر ولا نكلف نفسا
الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على الساعين
ولدينا كتاب اي ما عملوه غير ضايع بل مثبت في كتاب اي اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق يبين الصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او
نقصان ثواب وتقديم هم للمحافظة على الفاصلة ثم عاد الى ذكر الكافرين فقال بل قلوبهم
في غمرة في غفلة غامرة من هذا من الذي وصف به السابقون ولهم اعمال خبيثة من
دون ذلك متجاوزة عما وصفوا به والاشارة بذلك للتعظيم هم لها عاملون معتادون
فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر والجوع حين دعا
عليهم رسول الله صلعم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد
اذا هم يجأرون الجؤار الصراخ بالاستغاثة اي فاجأوا به وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة
بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي يقال لهم لا تجأروا
انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم
نصر من جهتنا قد كانت آياتي يعني القرآن تتلى عليكم اي قد استمر تجدد تلاوته عليكم وقتا
بعد وقت فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون عنها اي عن سماعها وتصديقها على اشنع
وجه مستمرين على ذلك والنكوص ان يرجع القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه
مستكبرين على المسلمين به بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم
والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت او آياتي لانها بمعنى كتابي ومعنى
استكبارهم به تكذيبهم به استكبارا على النبي او مستكبرين بسببه اي اذا تليت عليكم
حدث بسبب استكباركم او يتعلق الباء بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن
وبالطعن فيه وذلك انهم يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن

وتسميته سحرًا او شعرًا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع او بقوله تهجرون وهو من الهجر بالفتح
الهذيان وبالضم الفحش وقرئ تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش ومن هجر الذي هو في هجر
اذا هذى اي تعرضون عن القرآن وتهذون في شانه او تفحشون افلم يدبروا القول القرآن
ليعلموا عند تدبره انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به اوليخافوا عند تأمل
اقاصيصه مثل ما نزل على من قبلهم من المكذبين والهمزة للتقرير والتوبيخ اي ابعد وضوح
آيات المتلوة عليهم فلم يدبروه وام في قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين منقطعة اي عدم
تدبرهم اجاءهم ما لم يأت آباءهم الاقدمين من كتاب او رسول او امن من عذاب
الله فلم يخافوا كما خاف اباءهم الاقدمون كاسمعيل ومن اعقابه فالهمزة فيه للانكار
ويجوز ان يكون المراد بالاولين الذين مضوا ممن سبقوهم من الامم من الذين قبلهم
فيكون الهمزة للتقرير ايضًا ام لم يعرفوا رسولهم اضراب عما ذكروا انكار لعدم معرفتهم
اياه فيدخل تحت الاضراب والانكار ولا وجه لما قيل لاحد هذه الوجوه لان الآتي بعده
من جملة الوجوه فلا وجه للفصل بينها بما ذكر ام يقولون به جنة اضراب وانكار ايضًا
لقولهم به جنة لانهم كانوا يعلمون انه ارجحهم عقلًا واتقنهم رأيًا واصوبهم نظرًا ويجوز
ان يكون الهمزة للاستفهام وام من المتصلة ويكون الكلام على طريق المجادلة بالتي هي
احسن اي اي هذه الامور كائن كما يقول المناظر ان الامر لا يخلو من احد هذه الاقسام
لكن الاقسام كلها باطلة الا القسم الاول وهو عدم التدبر وعبر عنه بقوله بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لمخالفته اهواءهم فلذلك لم يدبروه فانما قيد الحكم بالاكثر
لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافًا من توبيخ قومه او لقلة فطنته ولعدم فكرته
لا لكراهة الحق ولو اتبع الحق على سبيل الفرض والتقدير كما يعرض المحالات اهواءهم
في الشرك بان كانت في الوجود آلهة شتى لفسدت السموات والارض كما سبق تقريره
في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا او ولو اتبع الحق الذي قام به السموات
والارض اهواءهم لانقلب باطلًا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى شيء منه او ولو اتبع
الحق الذي جاء به محمد عليه السلام وهو الاسلام اهواءهم وانقلب شركًا لجاء الله تعالى
بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه ولم يؤخر وانما قيل معناه ولو كان الله الهًا يتبع
اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الهًا بل شيطانًا فعنده ما لا يخفى من جرأة على
الله تعالى وسوء ادب فاحش ومن فيهن خص العقلاء تنبيهًا على ان وجود الغير تبع له بل اتيناهم
بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه

بقولهم لو ان عندنا ذكرًا من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه وانما اعاد الذكر
باسمه تفخيمًا وام في قوله ام تسألهم منقطعة خرجًا والخرج ما يخرجه الى الامام من زكوة ارضك
والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج
اخص من الخراج لقولك خراج القرية وخرج الكردة زادوا اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت
القراءة الاولى يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلًا من عطاء الخلق فخراج ربك فالكثير
من عطاء الخالق خير منه وصلك من عطائهم وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم قد سبق تفسيره في الفاتحة والتنكير هنا للتعظيم ولما الزمهم الحجة وازاح العلة
بحصر الاقسام التي تقتضي الانكار والاتهام وتبين انتفاءها الا عدم التدبر وكراهتهم الحق
لمخالفته اهواءهم واقام الدليل على امتناع موافقته لما هم عليه من التقليد واتباع الهوى لما
يلزم من ذلك من الفساد الكلي ثبت ان ما عليه هو الصراط المستقيم الذي استقامته
بشهادة العقول السليمة والفطرة الصافية وانه يدعوهم اليه وانهم لتنكبهم عن الصراط الذي
لعادلوا وانما عدل في قوله وان الذين لا يؤمنون عن الصراط لناكبون عن الضمير الى الموصول لله
للتنصيص على علة عدولهم وليكون كالبرهان على عدولهم لو قولهم في الموصول دو لا اولياً
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتمادوا في طغيانهم في افراطهم
الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون اي لعادوا الى ما
كانوا عليه من اللجاج في الطغيان ولذهب عنهم هذا الابلاس والتمسكن بين يديه يسترحمونه
عمهين عن الهدى ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم بالعذاب اي القتل والاسر
يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فما خضعوا وما تذللوا ولم يوجد منهم تضرع
استكان استفعل من الكون لان المتذلل انتقل من كون الى كون كالمستحيل من حال الى
حال او افتعل من السكون اشبعت فتحته حتى اذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد باب
الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون الابلاس اليأس من
كل خير وقيل السكوت مع التحير اي خابلسوا اشد عتاد وخضعت رقابهم حتى جاء اعتاهم
يستعطفك روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة
واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء
بالسيف والابناء بالجوع فنزلت وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلًا
ما تشكرون قليلًا نصب على المصدر وما زائدة للتوكيد بمعنى حقًا اي شكرًا قليلًا تشكرون

حتى وانما خص السمع والابصار والافئدة بالذكر في مقام الامتنان لانها اصول المدركات المنتفع بها
في المنافع الدينية والدنيوية ولا يمكن الاستكمال الا بها فانه موقوف على الاعتبار والاستماع
والاستبصار بالنظر والاستدلال فهي اصول النعم الموجبة للشكر ولما كان العمدة في الشكر
استعمالها فيما خلقت لاجله ومقدمتها الاقرار بواهبها ومنشئها قال وهو الذي
ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد
تفرقهم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل قد سبق تفسيره اي هو المختص باعتبار فكيف بانشاء
الجوارح المذكورة وانشائكم والمختص بالاحياء والاماتة وله خاصة اختلاف الليل و
النهار وهو متوليه لا يقدر على تصريفهما غيره والاختصاص مستفاد من تقديم الضمير و
الظرف افلا تعقلون تعقد هذه الدلائل الواضحة لا يعقلون بالنظر والاستدلال واستعمال
المدركات المذكورة ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها فلا
ينكرونه والالتفات من التكلم الى الغيبة مما لا يخفى فائدته من التعظيم كما في ربهم و
نوع العصاة بالتكبر والافتتان فيه وقرئ يعقلون بالياء على الالتفات ايضا او على
ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون كما
قال الكفار قبلهم قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما قد سبق وجه تأخر قوله عظاما من قوله ترابا
أإنا لمبعوثون تكرار الهمزة للمبالغة في الانكار والاستبعاد والتأكيد بانّ واللام لتوجيه
الانكار الى الجزم بالبعث واعتقاد تحققه والايقان به كما عليه الرسول والمؤمنون
ويخبرون عنه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اي البعث من قبل من قبل مجيء محمد ان هذا الا اساطير
الاولين الاساطير جمع اسطورة وهذا البناء لما يتلهى به كالاضحوكة والاعجوبة وقيل جمع
اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له قل لمن الارض ومن فيها انما قيل من
تغليبا للعقلاء او لانه يلزم ان يكون لغيره من طريق الاولى ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من
اهل العلم او من العالمين بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم سيقولون
لله لانهم مقرون بانه الخالق قل اي بعدما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر
الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه
في الربوبية قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظم تصغير للسموات
السبع مع هذه العظمة في جنبه وهذا غاية في التعظيم سيقولون لله لان ذلك ايضا
قد تقرر عند العرب باخبار اهل الكتاب وقرئ الله بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه
لفظ السؤال والاول محمول على المعنى لان قولك من ربه معناه لمن هذه الاشياء وهذا جواب صحيح

والنهار

قال الشاعر اذا قيل من رب العباب بموقفه • ورب الجياد الجرد قيل لخالد قل افلا تتقون
افلا تخافون فلا تشركوا به ولا تنكروا اقتداره على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء مالكيته
ومدبريته وقيل الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فينبئ عن عظم الملك وهو يجير وهي
يغيث من يشاء ممن يشاء من اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته وتعديته
بعلى لتضمينه معنى النصرة ولا يجار عليه ولا يغيث احد منه احدا ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى
تسحرون تخدعون فتصرفون عن توحيده وطاعته مع ظهور الامر وتظاهر الادلة وهذه
الاسولة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم في الامور الدينية حيث جهلوا مثل هذا الجلي
الواضح واللازم بما لا يمكن من له ادنى مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم
قبل ان يجيبوا بقوله سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم الى الاجابة بما
اجاب به فلا يمكن لها قل ان يجيب بجواب آخر ثم انه روعي في السؤال قضية الترقي
فسئل عمن له الارض وما فيها ثم سئل عمن له السموات والعرش العظيم والارض بالنسبة
اليه كلا شيء ثم سئل عمن بيده ملكوت كل شيء فاتى باسم العام وكلمة الاحاطة واوثر
الملكوت وهو الملك الواسع وقيل بيده تصويرا وتخييلا وكذلك روعي هذه النكتة
في الفواصل فعبر اولا بعدم التذكر فان ايسر النظر يكفي في الخلاص عنهم ثم بعدم الاتقاء
وفيه وعيد ثم بالتعجب من خدع عقولهم فيخيل الباطل حقا والحق باطلا وانى لهم التذكر
والخوف بل اتيناهم بالحق بالتوحيد واستحالة نسبة الولد والشريك اليه وانهم لكاذبون
حيث انكروا ذلك وادعوا له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة
احد وما كان معه في الوجود من اله يساهمه في الالوهية اذا جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لذهب لانفرد كل اله
بما خلق بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتهم امتياز ملك واحد عن ملك الآخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما هو حال
ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز الممالك والتغالب
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء واما قيل فلم يكن بيده ملكوت كل شيء ولم يكن
واحد منهم الها مطلقا واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع
الممكنات الى واجب واحد فيرد عليه ان الاجماع والاستقراء لا يناسب المقام واما البرهان
فانما قام على وجوب انتهاء سلسلة الموجودات الى واجب بالذات ولا يلزم منه ان لا تعدد
الواجب ولا يكون في الوجود سلاسل ينتهي بعضها الى واجب وبعضها الى واجب آخر

سبحان الله عما يصفون عما يصفونه من نسبة الولد والشريك اليه لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر على الصفة دليل آخر على نفي الشريك بناء على
توافقهم انه المتفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني
ما يوعدون ان الشرطية وما والنون مؤكدتان لمعنى الشرط وجواب الشرط فلا تجعلني اي ان
كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة رب تكراره بين
الشرط والجزاء نداء معترض للتنبيه على فضل التضرع والجواب فلا تجعلني في القوم الظالمين
فلا تجعلني قرينا لهم في العذاب عن الحسن اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره اني
حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء وهو اما لهضم النفس والقيام بحق العبودية
مع علمه بانه لا يفعله واما للاعلام بان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم لقوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا
يستعجلون العذاب انكارا وعنادا ويضحكون منه استهزاء فقيل لهم ان الله قادر
على انجاز ما وعد عاجلا لكن يؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لا نعذبهم
وانت فيهم وقيل اراه يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة لما فيه من صيغة
التفضيل والاجمال والتفصيل بابهام الموصول وتبيين الصلة اي بالصفح عن الاساءة
مقابلة السيئة بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل
الوسع فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة ودفعها بالتي هي احسن نحن اعلم
بما يصفون بما يصفونك به من صفات السوء او بوصفهم لك وسوء ذكرهم وهو وعيد
لهم وتسلية له عليه الصلوة والسلام اي والله اعلم بقولهم وفعلهم وهو مجازيهم وقل
رب اعوذ بك امره بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل لدلالة المكرر لذاته تضرعا و
ابتهالا وبالتعوذ من ان يحضروه او يحوموا حوله من همزات الشياطين شبه حث الشياطين
بالوساوس الناس على المعاصي بهمز الراضة للدواب على المشية بالمهماز والجمع اما لتعدد
الوساوس او لتنوعها او لتنوع المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون وعن ابن
عباس رض عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع وقيل عند الصلوة والتخصيص بحالها
لانها احرى الاحوال بان يخاف عنده حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون
غاية لها اي لا يزالون يذكرونك بسوء الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض للاغضاء عنهم
مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او
بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على تفريطه السابق لما اطلع على الامر اللاحق رب

ارجعون

ارجعون ردني الى الدنيا والخطاب بلفظ الجمع للتعظيم او لتكرير ارجعني كما قيل في قفا واطرقا
وهو يناسب الجواد والتفرج لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته لعلي آتي
بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا وقيل فيما تركت من المال او في الموضع الذي تركته
وهو الدنيا كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة اي طائفة من الكلام المنتظم
بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة
والندامة عليه او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم امامهم والضمير
للجماعة برزخ البرزخ الحاجز قال الضحاك هو الحاجز بين الدنيا والآخرة وقيل
بينهم وبين الرجوع المذكور والعلم بانه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا يفيد الاقناط الكلي
عن الرجوع الى الدنيا ولكنه لا يصلح امرا الغاية فاذا نفخ في الصور للبعث والنشور
والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيدان الصور ايضا جمع الصورة اذ الاصل
في القراءة الثواني فلا انساب بينهم يومئذ للنفي منع الانساب لانفعها فان لكل امرئ
يومئذ ما اكتسب لا ما انتسب قيل لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء
الدهشة فيه بحيث يفر المرء من اخيه وامه وصاحبته وبنيه وقيل نظير ولا يتساءلون
كما يفعلون اليوم وهذا ليس عقيب نفخة البعث بعد زمان لقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا
فانه صريح في انهم يتساءلون وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس
ذلك عند القيام بالنفخة الثانية والفاء الجزائية لا تدل على التعقيب فمن ثقلت موازينه
فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قد سبق
تفسيره في سورة الاعراف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم والجملتان في حكم
الصلة فلا محل لهما من الاعراب او خبر بعد خبر لاولئك فهو في محل الرفع كالذي
خسروا او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تحرقها قال الزجاج اللفح كالنفخ
الا ان اللفح اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحراق والكلوح ان تتقلص
الشفتان وتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ
سرته الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن آياتي في الانذار
فكنتم بها تكذبون تعنيف وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب بسببه قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة
سوء العاقبة وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها كالسعادة والكتابة اي

لا الى الدنيا وبانه فيوم الى يوم يبعثون لا يرجع غاية بعدم الرجوع المذكور

فاذا نفخ في الصور
كانوا لا افتخار الانساب ... رضي الله عنه

غلبت علينا الاعمال الردية والاحوال القبيحة التي شقينا بها وكنا بها قوما ضالين عن الحق والصواب
وليس هذا باعتذار بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ولا صحة لما قيل غلب علينا ما كتب علينا
من الشقاوة لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه
يختاره والعلم تابع للمعلوم لا العكس فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل بسبب التقدير
الازلي ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا
قال اخسؤوا فيها انزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه لازما
ومتعديا شبهوا بالكلب في الذلة والهوان فطردوا باخسأوا ولا تكلمون في رفع العذاب
او ولا تكلمون اصلا قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم الكلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون انه ان الشان وقرئ
بالفتح اي لانه كان تعليل لوجوب الانزجار منهم فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل
هم الصحابة رض وقيل اهل الصفة خاصة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا في ترتيب
طلب المغفرة والرحمة على الايمان دلالة على كفايته فيها وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا هزؤا واشتغلتم ساخرين حتى انسوكم بكثرة تشاغلكم بهم ذكري اي تركتم
ان تذكروني فتخافوني في اوليائي والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في
ياء النسبة زيادة قوة في الفعل ومبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن
الكسائي والفراء ان المكسورة من الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية
اي سخرتموهم واستعبدتموهم والاول مذهب الخليل وسيبويه وكنتم منهم تضحكون
استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم بالفتح ثاني مفعولي جزيتهم وبالكسر
استئناف كانه لما ابهم الجزاء للتعظيم ولم يبينه اتجه ان يسأل سائل كيف حالهم
فقال انهم هم الفائزون مخصوصون بالفوز بجميع مراداتهم قال اي الله او
المامور بسؤالهم من الملائكة وقرئ قل على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار
كم لبثتم في الارض في الدنيا احياء وامواتا في القبور عدد سنين اي كم عدد سنين
لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة
لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم الذي يستحق ان يعبر عنه بالقلة
فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من
العذاب مشغولون من تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس

ويحصون

ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرونها فكيف بمن دونهم قال وقرئ قل ان لبثتم الا قليلا
اي ما لبثتم الا زمنا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في
الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها افحسبتم توبيخ آخر على تغافلهم وتجهيل
مع انكار انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم
لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون عطف على
انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ
ترجعون بفتح التاء فتعالى الله من ان يخلق عبثا تعليل لما تقدم الملك الحق الذي يحق
له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه ومن عداه
مملوك بالذات مالك بالعرض زائل الملك لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب
العرش الذي يحيط بالاجرام الكريم بالجر على انه صفة العرش وانما وصف بالكرم
لان الرحمة والخير والبركة الالهية تنزل منه ويجوز ان يكون توصيفه بالكرم لنسبته الى اكرم
الاكرمين مجازا كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ بالرفع على انه
صفة لرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشتراكا لا برهان له به صفة
اخرى لاله اي لا حجة له عليه لان البرهان عقلي او نقلي وليس في واحد منهما ما يجوز ان يكون
معه اله آخر وهذا وان كان مذكورا في موضع الصفة فليس للتمييز لان الباطل لا يجوز
ان يكون له دليل ضعيف فضلا عن برهان وانما جيء بها للتاكيد ولبناء الحكم بالوعيد
عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض ص
بين الشرط والجزاء لبيان الملازمة كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله
مثيب قوله فانما حسابه عند ربه كناية عما ذكر اي فهو مجاز له بما يستحقه انه اي
ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه او على انه خبر اي حسابه هو انه لا يفلح الكافرون من باب
وضع الظاهر موضع المضمر اذ اصله حسابه انه لا يفلح هو لان من يدعو في معنى الجمع
فمعنى حسابه انه لا يفلح حسابهم انهم لا يفلحون فعبر تقطيعا لشانهم وتفضيحا
لصورة حالهم وايماء الى ان عدم الفلاح لكفرهم وصيغة الجمع للتنبيه على انه لا يغني
اجتماعهم والا فالظاهر ان يؤتى بصيغة الافراد لان الفلاح منتف عن جنسهم و
زاوج بين فاتحة السورة وخاتمتها بقوله قد افلح المؤمنون في الفاتحة وانه

لا يفلح الكافرون في الخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا
اغنته عن رحمة غيره لا تغني عن رحمته
والله تعالى اعلم المفسد من
المصلح واليه يرجع
الامر كله

سورة النور ستون وآيتان مكية والعو ثلثمائة وستة عشر كلمة وخمسة الاف وستمائة وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدإ محذوف او مبتدا لانها مخصصة بالتنكير الدال على التعظيم كقوله شر
اهر ذا ناب انزلناها صفة او خبر ومن نصبها جعلها مفسرة لناصبها فلا يكون
لها محل الا اذا قدر اتل ونحوه ولا يجوز تقديره دونك لان اداة الاغراء لا تحذف
وفرضناها فرضنا ما فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للتكثير او للمبالغة وانزلنا فيها
آيات بينات ادلة واضحات لعلكم تذكرون كي تتعظوا الزانية اي المراة التي
مكنت من الزنا فالمكرهة خارجة عن حدها قدمت هنا لا اصالة لها في الزنا وذلك ان حرمة
الوطء التي بها يتحقق الزنا منتفية باطلة المحل عن الملكين وشبههما كما قدم الزاني
في الحكم الاتي ذكره لاصالته فيه والزاني رفعهما بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط لان اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر والجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم
والخطاب لجماعة المسلمين الا انهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وعموم
الآية يتناول المحصن وغير المحصن ثم خص منه المحصن بحديث الرجم وشرايط احصان
الرجم العقل والبلوغ والاسلام والحرية والدخول بنكاح صحيح وبها على صفة الاحصان
ورجمه عليه السلام يهوديين قد زنيا كان بحكم التورية ثم نسخ يؤيده قوله عليه السلام
من اشرك بالله فليس بمحصن والتغريب المروي منسوخ بعموم الآية كالحبس و
الاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما لان الفاء انما تدخل على الجزاء
وهو اسم للكافي ولا تأخذكم بهما رافة الرافة رقة الرحمة واخذها كناية عن تاثيرها
في النفس بحيث يظهر اثرها في العمل ثم منع النهي الى المسامحة في اقامة الحد كما ينبغي في دين

الله في طاعته او في حكمه وانما قال بهما ليعلم حكم الرافة باحدهما بطريق الدلالة ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يوجب الاجتهاد بامر الله تعالى وهذا من باب التهييج والهاب
الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر اي فاجلدوهما ولا تعطلوا الحد وليشهد
عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة طائفة فرقة يمكن
ان يكون حلقة من صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء من المؤمنين ليعتبروا وينزجروا
هو فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يليق
الا نكاح واحد منهما ومرجعه الى نفي ميلها عن نكاح غيرهما فالغير بنتان على سنن
واحد وانما عول في الثانية عن الصريح الى الكناية كراهية اسناد النكاح اليها ووجه ما ذكر
ان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وهو نظير
قوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية فالآية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا فيها
عديل الشرك في القبح وحرم ذلك على المؤمنين لما فيه من التشبه بالفساق وحضور
مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة والطعن في النسب ومجالسة
الزواني كم فيها من التعرض لاقتراف المفاسد والاثام فكيف بمزاوجتهن ولذلك
عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه
يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال والذين يرمون المحصنات اي يقذفون الحرائر العفائف المسلمات
المكلفات بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واشتراط اربعة
شهداء بقوله ثم وانما عدل عن القذف الى الرمي البعيد المستلزم لصلابة الرمي والغيرة
المذكوران اعتبارهما لا يناسب المقام ثم كلمة التراخي دل على انه لا يجب عليه الاتيان بالشهود
على الفور لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون على زنى المقذوفة لان القذف بغير الزنا يكفي
فيه الشاهدان ولا يجب الحد بقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب
الحد بل يوجب التعزير كقذف غير المحصن بالزنا ونصب ثمانين نصب المصادر كنصب مائة
ونصب جلدة على التمييز ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص
الواقعة اولان قذفهن كان اغلب هذا ما قالوا وانا اقول اريد الانفس المحصنات كما في
قوله تعالى والمحصنات من النساء فلا تخصيص ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا شهادة

زوج المقذوفة ولكن يشترط طلب المقذوف لان فيه حقه من حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي حنيفة
وضربه اخف من ضرب الزنا قيل لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ويرد عليه
التعفيف بضرب التعزير فيما اذا كان المقذوف غير محصن فانه اشد من ضرب الزنا
مع قيام العلة المذكورة ولا تقبلوا لهم شهادة نكر شهادة في موضع النفي فيعم كل شهادة
ورد شهادتهم ليس لانه يفسق والا لما تخلف عنه في قذف غير المحصن بل لانه من تمام
الحد فيتعلق باستيفاء الحد او بعضه خلافا للشافعي فيهما لا يقال ماله قبل الحد
اسوأ مما بعده لانه ان اريد انه كذلك عند الناس فمم وان اريد انه كذلك عند الله فلا
يجدي لان المعتبر ما عند الناس حتى قيل تقبل شهادة الفاسق الوجيه واصل الكلام ولا
تقبلوا شهادتهم واما غير النظم بزيادة اللام لا لافادة التنكير لانها تحصل بالتوقف
الاستغراق على وجه اقوى بل لاظهار وجه كون الرد المذكور من الحد باشعار ان في قبول
الشهادة نفعا للشاهد لانه يتضمن الاكرام وضده يتضمن الاهانة ابدا الى آخر
اهليتهم للشهادة لا الى آخر عمره ولذلك تقبل شهادة الكافر المحدود في قذف بعد
اسلامه لحدوث اهلية اخرى للشهادة بالاسلام ولا خلاف للشافعي ههنا وانما
خلافه في انصراف الاستثناء الآتي ذكره اولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل
في حيز جزاء الشرط لانه حكاية حال الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر لا عند الله
العالم بالسرائر بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اي القذف
واصلحوا احوالهم بالاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف استثناء من الفاسقين
ويدل عليه تعليل الاستثناء بقوله فان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم
والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عندنا ان يكون منصوبا
لانه عن موجب تام والذين يرمون ازواجهم هذا بيان حكم قذف الزوجات بالزنا ولم يكن
لهم شهداء يشهدون لهم الا انفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا
بمعنى غير فشهادة احدهم اربع قرئ بالرفع على انه خبر والمبتدا فشهادة احدهم وبالنصب
لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر وهو شهادات والعامل فيه المصدر الذي هو
شهادة في قوله شهادة احدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة
احدهم اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها

انه لمن الصادقين اي فيما رماها من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق
الفاعل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين في الرمي ويدرا عنها العذاب ويدفع عنها الحبس والحد ان تشهد
اربع شهادات بالله انه اي الرامي لمن الكاذبين في الرمي والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين فيه قرئ الخامسة بالنصب عطفا على اربع وبالرفع على
الابتداء وما بعدها الخبر وخص الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا
كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جري اللعن على السنتهن وسقوط
وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن واذا التعنا كما بين في
الفقه لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما وعند زفر والشافعي تقع بتلاعنهما الفرقة
وتكون الفرقة تطليقة بائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمه الله وعند ابي يوسف وزفر والشافعي
تحريم مؤبد واما ان حكم لعان الزوج سقوط حد القذف عنه وثبوت حد الزنا عليها فالفقه
ساكت عنه ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ترك جواب لولا وهو ابلغ لان النفس تذهب
في تقدير جوابه كل مذهب ولقد احسن من قال رب سكوت ابلغ من النطق ان الذين
جاؤا بالافك وهو ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء واصله من الافك وهو القلب
لانه قول منقلب عن وجهه والمراد ما افك به على ام المؤمنين عائشة رض وقصته معروفة
عصبة جماعة قيل من العشرة الى الاربعين يقال تعصب القوم اذا اجتمعوا على هيئة
فيد بعضهم بعضا ومنه العصبة لانه يجمعهم التعصب فتى عبارة العصبة ههنا اصح موقعا
ورجحانها على عبارة الجماعة من جهة الدلالة على الكم والكيف وهم عبد الله بن ابي راس النفاق
ورئيس المتعصبين وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
منكم من المعدودين من اهل ملتكم وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار وفيه اظهار
لوجه غرابة ذلك الافك وخبر ان عصبة وقوله لا تحسبوه مستانف والخطاب للرسول
وابي بكر وعائشة رضي الله عنهما وصفوان رضي الله عنه ومن ساءه ذلك من المؤمنين و
المؤمنات والهاء للافك شرا لكم الشر ما زاد ضرره على نفعه والخير ضده بل هو خير لكم
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم و
تعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما
اكتسب من الاثم اي لكل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه مختصا به وكان
بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت وليس في عبارة امرئ اخراج حمنة بنت جحش

عن هذا الحكم بل ترك ذكرها احالة الموقف صاحبها على الدلالة تنزيلاً لشأنها وتحقيراً لها والذي تولى
كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه اي قرب من آخر عمره ولم يبعد عن المعاصي خصوصاً
عن مثل هذه المعصية منهم من الخائضين في الافك وهو ابن ابي فانه بدأه واذاعه عداوة
لرسول الله صلعم له عذاب عظيم في الآخرة روى ابو داود عن عائشة رض قالت لما نزل
عذري قام النبي صلعم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة
فضربوا حدهم وهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش قال علماؤنا
وانما لم يحد عبد الله بن ابي لان الله تعالى قد اعد له في الآخرة عذاباً عظيماً فلو حد في الدنيا
لكان ذلك كفارة من عذاب الاخروي وانما حد هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم اثم ما صدر
عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة ذلك في الآخرة وقد قال عليه السلام في الحدود انها
كفارة لمن اقيمت عليه في قوله تعالى له عذاب عظيم الى عدم وجوب الحد على ابن ابي ولذلك
لم يحده النبي صلعم ثم وبخ الخائضين فيه فقال لولا هلا اذ سمعتموه اي الافك ظن
المؤمنون والمؤمنات بانفسهم بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله تعالى ولا تلمزوا
انفسكم خيراً عفافاً وصلاحاً وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر
ولم يقل ظننتم بانفسكم ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان
على ان الاشتراك فيه مقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول
عائب وطاعن وبين الادب الحسن قبل القائل به وانما جاء الفصل بين لولا وفعله
بالظرف لانه منزلة من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك
للاهتمام بالظرف والايذان بان لا يخلو في اول وقت السماع بالاتيان بالمحضض عليه كما
يقول المستبق المطلع على حقيقة الحال فوق بالظن المصحح بالقول ليفيد ان اللائق
بالمؤمن ان يبني قوله على ظن الخير في اول وقت السماع هذا افك مبين كذب ظاهر
لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء هلا جاؤوا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء
فاذ لم يأتوا بالشهداء الاربعة فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته وفي عبارة عند تعظيم
لما في احكام الشرع من معنى العمل بالظاهر هم الكاذبون من جملة المقول تقريراً لكونه
كذباً فان ما لا حجة عليه كذب في حكم الشرع ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم
ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء بوجود غيره اي لولا اني قضيت ان اتفضل
عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو
والمغفرة بسبب توبتكم واستسلامكم للحد لمسكم عاجلاً فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه

بما افضتم في الحديث وخضتم واندفع عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف
لمسكم او لافضتم تلقونه التلقي كالتلقف والتلقن الا ان في التلقي معنى الاستقبال وفي التلقف
الحذق في التناول وفي التلقن الاحتيال في التناول ذكره الراغب ولا اختصاص له بالكلام
فلذلك قال بالسنتكم اي بان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة رضي الله عنها
حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا نادٍ الا طار فيه وتقولون بافواهكم انما قيد
بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان المراد بيان انهم يقولون كلاماً لا يساعده
القلب بادنى درجات في العلم فالتنكير في قوله ما ليس لكم به علم للتقليل وتحسبونه هيناً
سهلاً لا تبعة له فهذه ثلثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير علم واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم في الوزر ثم اخذ
يوبخهم على التهم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يتفوهوا به فقال ولولا
وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصلح لنا ان نتكلم بهذا قد تقدم فائدة تقديم
الظرف ووجه الفصل بين لولا و سبحانك سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب
في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان يكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة
فان فجورها تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريراً لما تقدم وتمهيداً
لما تأخر هذا الاشارة الى القول المخصوص ويجوز ان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس
محرم شرعاً فضلاً عن تعرض الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهتان زور يبهت من يسمع عظيم وفي بعض الاخبار ان ام ابي ايوب قالت لابي
ايوب الانصاري رض اما بلغك ما تقول الناس في عائشة رض فقال ابو ايوب سبحانك
هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله يعظكم الله اي يحذركم ان تعودوا لمثله
في ان تعودوا لمثل ما فعلتم من القول به وسماعه وتلقيه ابداً ما دمتم احياء مكلفين
ان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد
عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا
وتتأدبوا والله عليم بالامر ونهي حكيم فيه ان الذين يحبون يؤثرون ان تشيع ان
تنتشر الفاحشة اي ما فحش جداً والمعنى يحبون شيوعها ويشيعونها لان عذاب
الدنيا لا يكون الا بعد اشاعتها وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل المجاز المرسل
لان كلا من معنى المحبة والاشاعة مقصود بل من قبيل الاكتفاء عن ذكر الشيء بذكر ما يقتضيه

تنبيهًا على القوة في المقتضي ويجوز ان يكون المعنى يحبون الفاحشة بحيث شيوعها على المقيمين
في الذين آمنوا في حق المؤمنين وهم المقذوفون منهم او فيما بين المؤمنين لهم عذاب أليم في الدنيا
بالحد والآخرة في النار والله يعلم بواطن الامور وسرائر الصدور وانتم لا تعلمون فعاقبوا في
الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله تعالى يعاقب على السرائر من حب الاشاعة وغيره ان لم
يتوبوا عنها ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعذاب كرر المنة بترك المعاجلة با
بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في تعظيم الجريمة والتوبيخ لهم وان الله رؤوف حيث اظهر
براءة المقذوف واثاب رحيم بغفرانه جناية القاذف اذا تاب وهذا لان الرأفة
رقة الرحمة وهي تناسب حال المقذوف يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا الاتباع الاقتداء بالداعي
الذاهب في جهة باقتفاء اثره في الذهاب في تلك الجهة فالمتبع في الحقيقة نفس الداعي
لا اثره وانما اضيف الاتباع ههنا الى الاثر تنزيلا له منزلة الداعي مبالغة خطوات
الشيطان اريد بخطوة الشيطان تعديه حدود الله وتجاوزه عنها بالوسوسة خطوات
الشيطان حذف جزاؤه لظهوره واقيم علته مقامه فانه يأمر تعليل للجزاء المحذوف
والجملة الشرطية قائمة مقام تعليل النهي بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع
في الجملة فهو تعميم بعد التخصيص وفائدة التنبيه بتقديم الخاص على اختصاصه بزيادة
الاعتناء في شأنه من جهة الامر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنب نوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا ما دام حيا مكلفاً
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع بمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل
ولا يحلف افتعال من الالية بوزن البداية وقرئ ولا يتأل وانه نزلت في ابي بكر وقد
حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولو الفضل
منكم في الدين وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله تعالى عنه والسعة في المال ان يؤتوا اي كراهة
والمساكين
ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت
مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط وليصفحوا الصفح الاعراض اي
وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم هذا
غاية تلطف في الخطاب اي فاذا احببتم مغفرة الله لكم فاعفوا لغيركم والله غفور رحيم
اي فتأدبوا بادب الله تعالى واعفوا وارحموا ولما نزل الا تحبون قال ابو بكر بلى يا رب
ثم عاد لمسطح الى ما كان وكفر يمينه ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به

كناية عن براءتهن مما رمين به المؤمنات بما يجب الايمان به استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين
كابن ابي اذ رميت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم
فكأنه قذفهن واعاد الكلام مؤكدا لما عسى ان يسبق الى الاوهام من قصة مسطح ان
قذفة عائشة رضي الله عنها مغفورون بالجلد والتوبة لعنوا في الدنيا والآخرة بتكلم المؤمنون
في الدنيا بلعنهم والملائكة في الآخرة ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم ودل ذلك على مجيء بعد
وهو العامل في يوم لا العذاب لانه موصوف تشهد عليهم وقرئ بالياء للتقدم و
الفصل يوم هذا في حق القذفة وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم الآية في حق المشركين
فلا منافاة وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله تعالى على ما نطق به قوله تعالى قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء بغير اختيارهم على ما دل عليه قولهم لم شهدتم علينا وفي ذلك
العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم بالنصب وصفا ثابتا على المدح لقراءة مجاهد
بالرفع وقراءة ابي يوفيهم الله الحق دينهم والاصل في القراءات التوافق ويعلمون عند ذلك
ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الالوهية لا يشاركه في غيره ذلك لارتفاع
الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه
افك عائشة رضي الله عنها فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر
الخبيثات من القول والفعل للخبيثين من الرجال وعلى هذا بقيته وقيل الخبيثات من النساء
للخبيثين من الرجال وكذا بقيته والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وفيه تنزيه
عائشة رضي الله عنها لما انها زوجة رسول الله صلى فهي طيبة لزوج طيب وامرأة المنافق القاذف
خبيثة اولئك مبرؤون مما يقولون اي فيهم واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون
مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها
وما رميت او رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون
اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك لهم مغفرة في المحشر
مستأنف او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي اختصكم
سكنا تاما سواء سكنتم فيها او لم تسكنوا اي لا تدخلوا بيوتا يسكنها غيركم وبدايتهم
سكنى الام فانه لا يجوز ان يدخل عليها مما مضى روي ان رجلا قال للنبي عم استأذن
على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استأذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة
قال لا قال فاستأذن وهو تأديب بما يرجع الى التحرز عن الاطلاع على عورة الغير
حتى تستأنسوا اي تستعلموا من في البيت باي وجه امكن قال تعالى فان آنستم منهم رشدا

صلى الله عليه وسلم

[illegible]

اي علمتم وفي سنن ابن ماجة عن ابي ايوب الانصاري رض قال قلنا يا رسول الله هذا السلام فما
الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ويؤذن اهل البيت
وتسلموا على اهلها بان يقولوا السلام عليكم ادخل وعنه ع التسليم ان يقول السلام عليكم
ادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستيذان
ذلكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن
وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم
يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي
انزل اليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعلموا ما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا
ياذن لكم وانما قال فان لم تجدوا دون فان لم يكن لمكان التنفيذ المامور به في ضمن
الامر بالاستيناس فلا تدخلوها بعد ان كان لكم فيها حاجة حتى يؤذن لكم لا لان التصرف
في ملك الغير بغير اذنه محظور ولانه لا ينتظم ما اذا كان الداخل معيرا بل لان المانع عن الدخول
ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة والمراد من الاذن ما يعم
الاذن دلالة كما اذا عرض حرق او غرق او نحو ذلك واما الذي فيه منكر فلا يكون داخلا فلا
يكون في معرض الاستثناء وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم
فما لا يخلو عنه الالحاح من الكراهة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما
خوطبتم به فيجازيكم عليه والله بما تعملون عليم في ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالخانات
والربطات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الرحال والسلع والجلوس للشرى والبيع وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله
البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد
او يطلع على عورات وقل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم لم يذكر ما يغض البصر عنه ويحفظ
الفرج لان ذلك معلوم بالعادة فان من شيعة يعلم ان المراد منه المحرم دون المحلل فلا حاجة
الى الاستثناء وليس كل المحرم مما يجب غض البصر عنه بخلاف حفظ الفرج فان كل ما يحرم
يجب حفظه عنه فلذلك ادخل حرف التبعيض في الاول واطلق الثاني ذلك ازكى لهم لما فيه من البعد
عن ريبة الاثم ان الله خبير بما يصنعون من احالة النظر واستعمال سائر الالات وما يقصدون
بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
انما قدم غض البصر على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور وبذر الهوى طموح العين
ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب والمنهي اظهار مواضع الزينة

اذ اظهارعينها مباح فالمراد بها مواضعها للاظهار بجازا او اظهارها وهي في مواضعها لاظهار مواضعها
لا لاظهار اعيانها الا ما ظهر منها اي بلا اظهارمنهن كما اذا هبت الريح وكشفت منها البية
والاستثناء عن الحكم الثابت بطريق الاشارة وهو الاستحقاق بالمواخذة في دار الجزاء بسبب
ظهورها وقدر وجه هذا النوع من الاستثناء في تفسير قوله تع الا ما قد سلف من سورة
النساء وما ظهر باظهارمنهن ضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ونحو ذلك في حكم ما ظهر بلا اظهار
منهن واما جريان العادة والجبلة على ظهوره فلا عبرة به بصلح وجها للاستثناء المذكور وليضربن
وليصفن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على
جيوبهن كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن
الخمر من ورائهن فيبقى مكشوفة فامرن ان يسدلن من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين
زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن لازواجهن او ابائهن
ويدخل فيهم الاجداد او اباء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او ابنائهن ويدخل
فيهم النوافل او ابناء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن ويدخل فيهن النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة
او نسائهن اي الحرائر المؤمنات فان مطلق هذا اللفظ للحرائر والاضافة لاخراج
الكافرات فانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء
والعبيد لما روي عن النبي ع انه اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال ع انه ليس عليك باس انما هو
ابوك وغلامك وقال سعيد بن المسيب لا يغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون
الذكور ويرد عليه انه يلزم ان يكون في المذكور الخطاب محل واللازم منتف بلا شبهة
او التابعين الذين يتبعون القوم فياكلون معهم ويرتفقون بهم غير بالنصب على الاستثناء
او الحال وبالجر على البدل او على الوصفية اولي الاربة الحاجة اي الى النساء وهم الذين
لا يشتهون النساء فلا يحتاجون اليهن من هذه الجهة وهذا ليس بواقع على الخصي و
المجبوب والمخنث لانهم يشتهون ويشتهون او الطفل الذين جوفهن فصلح ان يراد به
الجمع بدلالة الوصف لم يظهروا على عورات النساء لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او
لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ولا يضربن اي الارض بارجلهن عند
المشي ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وانما نهى عنه
لان سماع هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها فلان دلالة فيه على ان ابداء الزينة نفسه

منصوص بالنهي فيما تقدم وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف
عن الشهوات وقوله لعلكم تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك الآن يكون للمحوق سيما
بها يحتمل وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امراة بكرا كان او ثيبا
واصله ايايم فقلبت والخطاب للاولياء والسادة والامر للندب لا يقال في الآية دليل
على ان تزويج النساء الايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالي لانا نقول
الرجل لا يلي الرجل الايم الا باذنه فلذا لا يلي على المراة الا باذنها لان الايم ينتظمها ولا فارق
من جهة النظم والصالحين تخصيصهم لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم من عبادكم
وامائكم اي غلمانكم وجواريكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعد من الله تعالى
بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى في هذه الآية ولقوله عم التمسوا الرزق بالنكاح سنه والله واسع
عليم ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف الذين لا يجدون
نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله انظر كيف رتب هذه الاوامر
اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن
به الدين المغني عن الحرام ثم بعزف النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز
عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم اي والمماليك الذين يطلبون
الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت
الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وانما سمي ذلك العقد به
لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال وجوزها حالا ومؤجلا منجما وغير منجم لاطلاق
الامر وعدم المال لا يستلزم العجز عن الاداء في الحال لانه قادر على الاستقراض ان علمتم فيهم
خيرا قدرة على الكسب او امانة او ديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط كما ان الندبية في انكاح
الايامى متعلقة بشرط الصلاح وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة لقوله تع وفي الرقاب وعندنا في
معناه حطوا من بدل الكتابة شيئا قل او كثر وياباه عبارة الايتاء لانها تقع على التمليك لا على
الحط ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء
خاصة وهو مصدر البغي ان اردن تحصنا تعففا عن الزنا وانما قيد بهذا الشرط لا لان
الاكراه لا يتحقق بدونه لانه على تقدير التسليم يكون سببا للترك لا للذكر بل لانها نزلت في
ابن ابي وكانت له جوار يكرههن على البغاء وفيه توبيخ بالموالي اي اذا عيب في التحصن فانتم احق

بذلك

بذلك وايثاره ان على اذا لان ارادة التحصن في الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا لا بتغاكم فان الفعل هنا
منزل منزلة المصدر كما في قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وذلك لان الابتغاء لا
يكون سببا متقدما ولا يكون غاية متاخرة عرض الحيوة الدنيا من اجورهن واولادهن ومن
يكرههن حذف جوابه اي فعليه وبال اكراههن لا يتعدى اليهن واتم تعليل هذا الجواب وهو قوله
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن وفي مصحف ابن مسعود رض كذلك وانما
قال بعد اكراههن لشرع المعاتبة على المكره فان المكرهة مع قيام العذر اذا كانت بصدد
المعاتبة حتى احتاجت الى المغفرة فما حال المكره للدلالة على ان حد الاكراه الشرعي والمصابرة
الى ان ينتهي اليه فيه تكليف ضيق والله يعفو ذلك بلطفه ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات المراد
الآيات التي تبينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود وجاز ان يكون
الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود وجعل
الفعل لها مجازا او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة
فانها كقصة يوسف ومريم عم وموعظة للمتقين اي هم المنتفعون وان كان الموعظة للكل الله نور السموات
والارض بين وضوح الدلالات وجلاء البينات وان من غفل عن الحق فليس لخفاء الدليل واشتباه
السبيل فقال الله هادي اهل السموات والارض اي الى ما بهم الحاجة اليه في مصالح دينهم
ودنياهم وهي كلمة مطلقة في هذا المعنى يقال فلان نور بلده اي به يهتدون الى امورهم وعن رأيه
يصدرون الى مصالحهم مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة والمراد به الادلة
التي يهتدي بها عباده كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج شامي ازهر الزجاجة كانها كوكب دري مضيء
بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وقرئ بالكسر والهمز كأنه يدرأ
الظلام بضوئه وقرئ بالضم والهمز شبهه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة
ونحوهما يوقد بالياء والبناء للمفعول من اوقد وقرئ بالفوقانية كذلك على اسناده الى الزجاجة
بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين من شجرة اي ابتداء
ثقوبه من شجرة الزيتون بمعنى رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض
التي بارك فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية اي لا نابتة في شرق المعمورة
ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود او لا في مضحى الشمس عليها دائما فتحرقها او في
مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة في مقناة ولا خير فيها في مضحى وقيل

ولا في نبات

رضي الله عنها

اي ليس تحت يقع الشمس عليها حينًا دون حين بل بحيث يقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء
واضحة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او بربوة ما دل عليه الحديث المذكور من انه لا خير فيها
لان اشراق الشمس دايمًا تحرقه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالصفاء و
الوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا النور الذي شبه به الحق
نور متضاعف فقد تناصر فيه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوي
النور وهذا لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكوة كان اجمع لنوره بخلاف المكان
الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت
وصفاؤه وضرب المثل يكون به بدلي لا بمحسوس معهود دليله عن مثابه ولا معهود يهدي الله
لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب انما تنفع بمشيئته ويضرب الله
الامثال للناس تقريبا الى افهامهم وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شيء عليم فيبين كل
شيء بما حقه ان يبين في بيوت متعلق بمشكوة اي كمشكوة في بعض بيوت الله تع ويحتمل
او بيوقد اي يوقد في بيوت فيكون تقييدًا للممثل به بما يكون تحبيرًا ومبالغة فان قناديل
المساجد يكون اعظم ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف
بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بيسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه تؤكيد
نحو زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف اي سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة
تلايمها اذن الله اي امر ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام لما يتضمن ذكره حتى
المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال قال ابن عباس رض
كل تسبيح في القرآن صلوة اي يصلي فيها بالغداة صلوة الفجر وبالاصال
سائر الصلوة وهو المعنى وجمع قرينه والاصيل الوقت الذي بعد العصر الى المغرب
صرح به الجوهري وصدر الافاضل وجمعه اصل واصال فمن قال والاصال جمع اصل جمع اصيل
فقد اخطأ من تبين وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرئ يسبح بالفتح على اسناده
الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه يسبح وقرئ بالتاء مكسورة لتانيث الجمع ومفتوحًا
على اسناده الى اوقات الغدو وانما خص الرجال بالذكر اذ ليس على النساء والصبيان الحضور في
المساجد لا تلهيهم لا تشغلهم تجارة اي بالسفر ولا بيع اي في الحضر وحكمها على بيع ليكون لزيادة
افادة لا لمجرد اعادة عن ذكر الله اي خارج الصلوة واقام الصلوة اي وعن اقامة الصلوة التاء
في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان
فحذفت احدهما لالتقاء الساكنين فبقي اقاما فدخلت التاء عوضًا عن المحذوف فلما اضيفت

اقيمت

اقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت وايتاء الزكوة يعني انهم يسلكون سبيل الكسب ولكن اذا حضر
حق الله تع او حق عباده بدوا به يخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة اخرى لرجال
يومًا يوم القيمة اي الحامل لهم على اقامة هذه الاشياء خوف القيامة تتقلب فيه القلوب ببلوغها
الى الحناجر والابصار بالشخوص والزرقة او تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران
والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان لقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا ما وعدناه المندوب
واحترز بالاحسن عن الحسن وهو المباح اذ لا جزاء له ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على
الثواب الموعود على العمل تفضلًا والله يرزق من يشاء بغير حساب ثوابًا لا يدخل في
حساب الخلق تقرير للزيادة وتنبيه لكمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الرحمة والاحسان
والذين كفروا اعمالهم كسراب اي الذين كفروا اعمالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي
يظنون صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى
في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري بقيعة
بقيع القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار يحسبه الظمآن
الظمآن شديد العطش ماء التشبيه في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه
اي جاء الى ما توهم انه ماء لم يجده شيئًا اي لم يجده شيئًا نافعًا يقال هو النسبي يراد
في نفعه هذا اذا كان المعنى اذا جاء السراب واما اذا كان المعنى اذا جاء موضعه فمعنى لم يجده
شيئًا لم يجده في ذلك الموضع شيئًا كان يتراءى له لانه لا يرى ذلك اذا حضر وكذلك الكافر
اذا قدم على اعماله التي هي حسرات عليه يوم القيمة لم يجدها نافعة او لا يراها لانها صارت
هباء منبثًا ووجد الله اي وجد عقاب الله عنده اي بطل حسناته ويبقى عقاب
سيئاته معه الا عند قدومه فوفاه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيًا كاملًا ووحد بعد تقدم
جملًا على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله
حساب عن حساب قوله ووجد الله عطف على ما تقدم من التمثيل على سبيل العطف على
المعنى ومن غفل عن هذا زعم انه من تتمة التمثيل فتعسف في وجهه او كظلمات في بحر او بهما
كما هو في اوكصيب في لجي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر او
من فيها اي يعلوه ويغطيه موج هو ما ارتفع من الماء من فوقه موج من فوق الموج موج آخر من
فوقه اي من فوق الموج الاعلى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر
ظلمات اي ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب

[illegible]

على المجيء به وما قبل او للتنويع فان اعمالهم ان كانت صالحة فكالسراب ان كانت قبيحة فكالظلمات
لقوله ووجد الله عنده لان الاعمال الصالحة لا يكون في عاقبتها وخامة وان لم يكن نافعة مع الكفر
اذا اخرج يده وهو اقرب الى ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها والضمائر
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومن لم يهده
الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من
ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان في الايقان ان الله
يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة ومن الاسناد التسبيح فلا حاجة
الى التغليب هنا وفي يفعلون او ابو به الملائكة والثقلان والطير على الاول تخصيص لما فيها من
الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة
ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها لما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة
على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم الضمير لكل وكذا في
صلوته وتسبيحه ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا تكاد
العقلاء يهتدون اليها والله عليم بما يفعلون من الصلوة والتسبيح وغيرهما ولله ملك السموات
والارض لا شريك له فيه والى الله المصير مرجع الكل وانما عدل عن الضمير تنبيها الم تر ان الله
يزجي سحابا يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب
اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة ثم يؤلف بينه تذكيره للفظ اي بضم
بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله
من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وينزل من السماء ماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء ومن جبال
فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا
من السماء من الجبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة
موقع المفعول فيصيب به بالبرد من يشاء فيضره في نفسه او في زرعه ويصرفه عن من يشاء فلا يصيبه
يكاد سنا برقه ضوء برقه يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة
من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يُذهِب على زيادة الباء يقلب الله الليل و
والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة
لدلالة على وجود الصانع القادر العليم وللتنبيه على وضوح الدلالة قال لاولي الابصار دون لاولي
البصائر ثم بين دليلا آخر فقال والله خلق كل دابة حيوان يدب على وجه الارض وقرئ خالق كل
دابة بالاضافة قال الراغب اصله حكاية صوت حركة الشيء ثم قيل دبت اذا مشى ويقال للكل

ما يدب دابة ثم خص الفرس من ماء هو جزء مادته وسبب حيوته على ما اشير اليه في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي
وقيل من ماء مخصوص وهو النطفة ولا يلزم حينئذ الى ادعاء الغلبة في المخلوق من النطفة وتنزيل
الغالب منزلة الكل لجواز ان يراد من الدابة ما يخلق بالتوالد بقرينة من ماء اي من نطفة كما
اريد من الشيء في قوله كل شيء حي ما به الحيوة بقرينة حي فمنهم من يمشي على بطنه كالحوت والحية
في الزحف مشيا استعارة لقيامه مقام المشي وليس هذا من قبيل ذكر المقيد وارادة المطلق
كما اذا ذكر المشفر واريد به الشفة مطلقا لان خصوصية الزحف مقصودة والمشاكلة البديعية
طريقة اخرى لا ينصار اليها عند صحة الاستعارة البيانية ومنهم من يمشي على رجلين كالانس و
الطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش قيل ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فانه
اعتمادها اذا مشت على اربع ولا يخفى ما فيه من التعسف وتذكير الضمير لتغليب العقلاء و
التعبير بمن عن الاوصاف ليوافق التفصيل الجملة قيل قدم ما هو اعرف بالقدرة وهو الماشي
بغير آلة مشي ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع وفيه نظر لان مبناه الغفول عن ان المشي
في الاول مستعار للزحف يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء
لقد انزلنا آيات مبينات مبينات للحقائق بانواع الدلايل والله يهدي من يشاء بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الذي يوصل الى الجنة والآيات
لالزام الحجة لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلث فرق فرقة صدقت
ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون على هذا الترتيب فبدا بالمنافقين ويقولون آمنا بالله
وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم يتولى اي يعرض عنها فان الاعراض عن الرسول ثم
بعدم الطاعة في اوامره اعراض عنه تعالى فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وفايدة
ثم للاستبعاد اظهارا لقبح صنيعهم وما اولئك بالمؤمنين الاشارة الى القائلين بآمنا فيكون
اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم يؤمنوا بقلوبهم لاشتراكهم في فساد
الاعتقاد وظهور الاعراض وان كان من بعضهم فالرضاء من كلهم او الى الفريق المذكور خاصة
وانما اتى بالواو دون الفاء لان عدم ايمانهم ليس لتوليهم بل الامر بالعكس والتعريف للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون او الثابتون عليه في الايمان ويرجع العهد
الى وصف الايمان الخالص ولما فيه من التنصيص على نفي ذلك الوصف عنهم لم يقل وما اولئك من
المؤمنين لما فيه من احتمال ان يرجع العهد الى الموصوفين به اذ لا يلزم من عدم كونهم من المعروفين
بذلك الوصف ان لا يكون موصوفا به اصلا واذا دعوا الى الله ورسوله الدعوة الى الرسول ع م
وذكر الله تمهيد لتعظيم دعوته واظهار مكانته وليس هذا طريقة الابدال ليحكم بينهم اي ليحكم الرسول

لان الحاكم ظاهر والا لم يقل ليحكم عليهم اشعارا بان اعراضهم غير مخصوص بصورة الظن بالحكم عليهم بل
شامل لصورة الشك فتنافي الاعراض فيما اذا اشتبه الامر حالا وان كان الحكم لهم مآلا ومن غفل
عن هذه الاعتبار اللطيف قال في تفسير قوله تع اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم
الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه ولم يدر ان
شرحه على وجه ابلغ فيما ذكرناه لا فيما ذكره وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا
اليه مذعنين طلبا لحقهم لا رضى بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة فباعتبار
ما في الاسراع من معنى الاتيان يجوز ان يكون الي صلة لمذعنين ويكون تقديمه للاختصاص و
محافظة الفاصلة افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله الحيف الجور
بنقص الحق انما قدم صلة الحيف على قوله ورسوله اظهارا بان على تقدير وقوعه يكون من الله تع
تعالى شانه عما يقول الظالمون ولا يكون فيه دخل للرسول عم لانه مبلغ لا مثبت قسم الامر في
صدودهم عن حكومته اللهم بمعتقد وان الحكم لهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين
بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك او خائفين الحيف في قضائه ووجه التقسيم ان
امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان
منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول فلذلك اضرب بقوله بل اولئك هم الظالمون
عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول وظلمهم يعم الخلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف و
الفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين
اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلعم والمنافق الى كعب بن الاشرف
ويقول ان محمدا يحيف علينا يريدون ان يبطلوا ما لهم من الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعونه
في مجلس رسول الله عم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه هذا ما ادى اليه النظر الجليل والذي ادى
اليه النظر الدقيق هو انه اضراب عن نفس التقسيم بعد وقوع التقسيم فانهم هم الكاملون في الظلم
الجامعون لتلك الاوصاف على الكمال فلذلك صدوا عن حكومتك ودل على ذلك اسم الاشارة
والتعريف بلام الجنس وتوسيط ضمير الفصل انما كان قول المؤمنين وقرئ قول بالرفع و
النصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم الرسول وقرئ على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى
ليفعل الحكم بينهم بكلام الله الذي انزل عليه ان يقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم
المفلحون الفائزون على عادته تع في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره كما لا ينبغي
ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما

يستقبل فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم اي حلف المنافقون
بالله وهو جهد اليمين لانهم بذلوا مجهودهم وجهة مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى
وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها وكادتها واصل اقسم جهد اليمين اقسم
يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله
فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم لئن امرتهم
بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة
معروفة للنبي عم خبر من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ولا تصدقون او الذي يطلب منكم
طاعة معروفة لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا
طاعة ان الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم قل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله تع به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا
فانما عليه على الرسول ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه
في امره ونهيه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين البلاغ بمعنى التبليغ كالاداء
بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات وقد ادى وانما بقي
ما حملتم فان اديتم فلكم والا فعليكم ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات الخطاب للنبي عم والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم
في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف
الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الاعداء امنا منهم بغلبتهم عليهم كان رسول الله عم واصحابه رض مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده
فاظهرهم الله على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق والغرب يعبدونني حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون
بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى
ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او بعد حصول الخلافة فاولئك
هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث كفروا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة
العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر التكاليف الشرعية بالاداء

والنواهي ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكريرا الامر بطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم للتاكيد وتعليق الرحمة به او بالمدرج فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اي فائتين الله تعالى بان لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وقرئ بالياء والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم
ذكره والمفعولان ما ذكر آنفا ومأواهم النار لان عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا
ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير
المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع
الى تتمة الاحكام السابقة بعد الفراغ من الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف
من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال و
النساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته
فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم والصبيان الذين لم يبلغوا فكنى عن البلوغ الى حد الرجولية ببلوغ
الحلم اي الاحتلام لانه اقوى دلائله منكم من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة من قبل
صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب
اليقظة ومحل النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلوة
الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة بيان للحين وهي نصف النهار في القيظ فانها وقت
وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة
والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم
ويجوز ان يكون مبتدأ ما بعده خبره وقرئ بالنصب بدلا عن ثلث مرات واصل العورة
الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار على عمر رض وقت الظهيرة وهو نائم
وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رض وددت ان الله تعالى نهى عن الدخول في هذه الساعات
الا باذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت هذه الآية ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه
المرات بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن الاوقات في ترك الاستيذان وليس
فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار
البالغين ومماليك الغير وأما نفي الحرج عن الطرفين لانه الحرمة في وقت الحرمة عن الطرفين
وبهذا تبين ان المراد بالاستيذان في حق المماليك والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق
المخاطبين واما ما قيل هذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة فنشأه
الغفلة عما حكاه المهدوي عن ابن عباس رض من ان ذلك كان واجبا اذا كانوا لا غلق لهم

ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص
في ترك الاستيذان وهو شدة المخالطة وكثرة المداخلة وفيه وفي الفرق بين الاوقات الثلث
وغيرها بانها عورات دليل على تعليل الاحكام بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف
بعضكم على بعض والجملة مؤكدة لما قبلها ويجوز ان يكون بدلا منه بمعنى لا بد لهم من ذلك للخدمة
فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لافضى الى الحرج كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
الآيات اراد بالآيات علل الاحكام بمعنى كما بين لكم علة الاستيذان بين العلل في غيره عند الحاجة
اليه من الاحكام التعليلية والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده واذا بلغ الاطفال منكم
اي من الاحرار دون المماليك الحلم الاحتلام كناية عن بلوغهم حد الرجولية اي اذا بلغوا
وارادوا الدخول عليكم فليستأذنوا في جميع الاوقات كما استأذن الذين من قبلهم اي
الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الكبار من الاحرار او الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم
في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او
بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال
من الاحرار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا بالاذن كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره
تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن
فقعودهن كناية عن اليأس عن التمتع الكلي فالتوصيف بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه لتقرير هذا المعنى وتاكيده فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ
من معنى الشرط بسبب اللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة والجلباب
الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات زينة يريد الزينة التي امر باخفائها في
قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الآية اي لا يقصدون بوضعها التبرج ولكن التخفف وحقيقة التكلف
في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها الا انه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن اي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيسترن خير لهن من وضعها
لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقاصدهن ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى
الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم ويأذنونهم
ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون عن ذلك ويقولون نخشى ان لا يكون انفسهم بذلك
طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد به بيان

الكرمية بل الطهارة النسوية بينه وبين قرنائه كقوله تعالى تكلم الناس في المهد وكهلا او بيوت آبائكم
او بيوت امهاتكم لم يذكر بيوت الاولاد احاطة لحالها على الدلالة او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به
الغلق واريد بملكه كونه في يده وحفظه قال ابن عباس رض هو وكيل الرجل وقيمه
في ضيعته وماشيته له ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته او
صديقكم او بيوت صديقكم وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط وكان الرجل من السلف
يدخل دار صديقه وهو غائب ويسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر
مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الان فقد غلب الشح على الناس فلا يوجد
صديق حكمه هذا الا انه يوجد ويتخلف عنه الحكم لغلبة الشح وكان لعذره وجوه
عدل فيه عن صيغة الجمع ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين وهو فيمن
تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض
او اشتاتا متفرقين جمع شت وهو فيمن تحرج عن الاكل وحده فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة
وهذا كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي من هو جنسكم تحية نصب بسلموا لانه في معنى
تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز
ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده مباركة لانها دعوة
مؤمن لمؤمن بامر الله تعالى ترجى بها زيادة الخير والثواب طيبة يطيب بها نفس
المستمع وفي حديث انس رض قال عم متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار
الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام
المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم
تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين آمنوا
بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمع والاعياد
والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع على سبيل المجاز للمبالغة لم
يذهبوا حتى يستاذنوه اي ويأذن لهم ولما اراد ان يريهم عظم الجناية في الذهاب
عن مجلسه اذا كانوا معه على امر جامع جعل ترك الذهاب بلا اذن ثالث الايمان بالله

في صاحب الهداية

تعالى

تعالى والايمان برسوله وجعلهما كالتمهيد له ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث
اعاده على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض
بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استاذنوك في الانصراف لبعض شأنهم ما يعرض
لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم فيه
رفع شأنه عم بتفويض الامر الى رأيه فيه دلالة على ان بعض الاحكام مفوض الى رأيه
وتقييد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه حتى يكون المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا
تعسف ظاهر واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم
لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول
كدعاء بعضكم بعضا نهي عن التسوية بين الدعائين والمقصود النهي عن لوازمها
كجواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن وذلك لان المبادرة الى
اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وحمل الدعاء على النداء والتسمية او على الدعاء
عليه لا يناسب السباق واللحاق والفصل بين اجزاء الكلام بالاجنبي من المنافي
يخل بمقتضى البلاغة وحسن الاتساق قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون
قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او بان يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال اي ملاوذين
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون المؤمنين والضمير لله لان الامر في الحقيقة او للرسول عليه السلام
لانه المقصود بالذكر ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة
واو لمنع الخلو فلا ينافي الجمع والاية تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين
والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض
مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها
ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء اي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو
يوم القيمة والخطاب والغيبة في الكلامين المذكورين يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين
على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون الاول عاما والثاني خاصا بهم فينبئهم يوم القيمة
بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه خافية

سورة الفرقان سبعون وسبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله وهي كلمة
تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب وترتيبه على انزال القرآن لما فيه
من كثرة الخير الذي نزل الفرقان مر تفسيره في آل عمران على عبده وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته
او المرسلون بالكتب السماوية على ان الفرقان اسم جنس لها ليكون العبد او الفرقان للعالمين
للثقلين نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة معلومة للرسول عليه السلام
ولا يجوز ان يكون معلومة لكل احد الذي رفع على انه خبر مبتدا محذوف او على الابدال
من الذي نزل او على المدح او نصب عليه له ملك السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما
زعم اليهود والنصارى وشركوا العرب في عزير والمسيح والملائكة ولم يكن له شريك
في الملك كما زعمت الثنوية وخلق كل شيء لا كما قالت المجوس انه لم يخلق الظلمة ولا كما قالت
المعتزلة انه غير خالق لافعال العباد فقدره تقديرا اي قدر كل شيء تقديرا بما وافق
الحكمة خلقه والغلب لمحافظة الفاصلة واتخذوا من دونه آلهة الضمير للكافرين لو لالة
نذيرا عليهم تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون وصف آلهتهم بما يدل على انها لا تستحق العبادة اي لا يقدرون على الخلق
ومع ذلك هم مخلوقون وانما قال يخلقون اظهارا لفضل صدورها وفيه وجه آخر لعدم
استحقاق العبادة ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة على التصرف فيها
بالدفع والجلب فلا حاجة الى تقدير مضاف وتقديم الضر لان دفعه اهم من جلب النفع
وانما قال لانفسهم اظهارا لغاية عجزهم فان من لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه في
حق غيره بدون العكس ولا يملكون موتا قدمه على الحيوة على عكس ترتيب الوجود لتقدم
الضر على النفع ولا حيوة ولا نشورا اراد به الاحياء بعد الموت اي انهم بمعزل عن الالوهية
لعراهم عن لوازمها واتصافهم بما ينافيها وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين
كفروا ان هذا ما هذا القرآن الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه
يعني محمد عليه السلام واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم
الآخر وهو يعبر عنه بعبارته فقد جاؤوا اتوا جاء يستعمل في معنى فعل فيتعدى تعديته واما بحذف
الجار وايصال الفعل فلا بد فيه من السماع ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا

من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه والزور القول المائل عن القصد وقالوا اساطير
الاولين ما سطره المتقدمون وقد مر بيان الاساطير اكتتبها اي كتبها لنفسه او استكتبها
وقرئ على البناء للمفعول لانه اي واصله اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وافضى الفعل الى الضمير
فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى
عليه من كتابه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب والاصيل
العشي لانه اصل الليل واوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اخفاء المعنى في الكتب
والمراد سرهما في السموات والارض من خفايا الاحوال يعني ان في القرآن اخبارا عما لا يعلمه
الا الله من الجنة والنار وما فيهما ولا تعرض لها في التورية والانجيل ولو كان ما فيه ما هو ماخوذ من
اليهود او النصارى لم يزد عليهما وايضا فيه اخبار عن الحوادث السماوية
والارضية قبل حدوثها وليس فيها احتمال الاخذ من كتب المتقدمين انه كان غفورا
ساترا للذنوب ومؤخر الانتقام رحيما بالامهال وعدم الاستعجال وادرارا
للانعام ليتوب بعضهم ويرجع عن الاصرار ويخرج من اصلاب المصرين اصحاب الاعتبار
والاخبار وزيادة كان لافادة الدلالة على العادة وقالوا مال وقعت اللام في المصحف
مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم انه رسول
وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيها هذا والجملة الاولى كناية
عن غاية الاكل ولا يخفى ما فيها من تقبيح الحال الذي ينتفيه مساق المقال والثانية
كناية عن الغرض من المشي في الاسواق وهو طلب اسباب المعاش اي ان صح انه
رسول الملك المتعال فما باله يفعل هذه الافعال يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا
بريئا عن لوازم البشرية ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك
حتى يتساندا في الانذار بقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ثم تنزلوا الى ان
يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش فقالوا او
يلقى اليه كنز ثم تنزلوا فقالوا او تكون له جنة يأكل منها اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل
ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وحتى عطف المضارع وهو
يلقى وتكون على انزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون لانه
جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين في قوله وقال الظالمون اياهم
باعيانهم غيرانه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ان تتبعون الا رجلا مسحورا
سحر فغلب على عقله فيخيل اليه الشيطان ملكا وكلامه وحيا انظر كيف ضربوا لك الامثال

اي قالوا فيك تلك الاقوال الغريبة واخترعوا لك تلك الاحوال النادرة فضلوا عن طريق الحق
في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيها فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره
لا يدري ما يصنع او فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسه عليهم تبارك الذي
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا
ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى وقوله جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرئ بالرفع لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز
في جزائه الجزم والرفع ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ
بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم يقول
بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة متصل بما يليه كانه قال
بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل
مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيأنا
للمكذبين بها نارا شديدة الاستعار والاسعار تهييج النار وقيل الايقاد
اذا رأتهم اذا قابلتهم وصارت منهم بقدر ما يرى منه كقولهم دورهم تتراءى
اي تتناظر وتتقابل بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث
لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها
تغيظا وزفيرا صوت تغيظ وشبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره
وهو صوت يسمع من جوفه هذا ما يتراءى في بادي النظر والذي يظهر عند
التأمل هو انه تمثيل من قبيل المجاز التمثيلي الشائع في كلام الله تعالى شبهت
النار في تلك الحال وذلك في غاية البلاغة لقوة دلالة الكلام على حالها وانما
قال لها دون منها او فيها تنصيصا على ما به يتم التمثيل وهو ان يكون التغيظ والزفير
لها لا لما فيها واذا القوا منها بيان تقدم فصار حالا مكانا في مكان ضيقا لزيادة
العذاب فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال
او يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك
ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون واثبوراه اي تعال
يا ثبورا فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اوهم
احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا

حزنا كثيرا او كثرته اما لدوام العذاب بتجدده او لانه انواع الكفر من الشرك والتكذيب والاشارة
الى مكان العذاب وهو النار وانما قال اذلك خير ولا خير في النار توبيخا وتهكما للكفار
ويجوز ان يكون الاشارة الى الكنز والجنة واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها
لانها حاصلة بقوله خالدين كانت لهم جزاء على اعمالهم بالوعد الازلي ومصيرا مرجعا لهم
فيها ما يشاؤون ما يشاؤونه من انواع الملاذ والمشتهيات والمشية تتبع العلم فالتفاوت
في درجات اهل الجنة وانواع تلذذهم بحسب علمهم وانما ذكر فيها مع عدم الحاجة اليه
للتنبيه بتقديمه على ان حصول كل المشتهيات لا يكون الا في الجنة خالدين حال من احد
ضمائرهم والضمير في كان لما يشاؤون وعلى في قوله على ربك استعير لما في منزلة الوجوب
في التأكيد من جهة الوعد والسؤال ومن وهم انه على حقيقته لامتناع الخلف في وعده
ثم قال ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز لان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب
للانجاز فقد وهم حيث لم يفرق بين الوجوب على الله تعالى والوجوب منه فان اللازم هو
الاول والذي صححه ودفع المحذور عنه انما هو الثاني وعدا مسؤولا اي كان ذلك موعودا
حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤولا سأله الناس في دعائهم ويوم يحشرهم للجزاء وما
يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه وما وضعه عام ولذلك يقال لكل شبح
يرى ولا يعرف ما هو او يراد به الوصف او لتغليب الاصنام لاتحقيرا لان المغلب عليه من الانبياء
والملائكة لا يليق ذلك بشانهم بل باعتبار الغلبة عبادهم وانما قلنا يعم كل معبود اذ لا
قرينة للتخصيص لا بالاصنام وذلك ظاهر ولا بالانبياء والملائكة لان كل شيء ينطق يومئذ
فلا يكون السؤال والجواب قرينة له فيقول للمعبودين أأنتم اضللتم عبادي الاضافة
لتعظيم جريمة الاضلال لا للتشريف لانهم مشركون هؤلاء بدل من عبادي ام هم ضلوا
السبيل لاخلالهم بالنظر لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح والاستفهام
للتقريع والتبكيت للعبدة ولذلك قدم الضمير على الفعل ايلاء لحرف الاستفهام للمقصود
بالسؤال وهو الفاعل لا الفعل وانما حذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل
لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا يقدر على شيء او قصدوا به
تنزيهه تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتخذ من دونك
من اولياء للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا الى ان يتولى احدا
دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله
ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض لان من لا تزاد في المفعول الثاني

بل في الاول وعلى الثاني مزيدة لتاكيد النفي ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا ان لم نضلهم ولم نحملهم
على الامتناع من الايمان صح ان يستدرك بلكن فقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بالاموال و
الاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر
لآلائك والواو العصية في وكانوا للعطف على محذوف تقديره فكفروا وكانوا قوما بورا
هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد قال ابن الزبعرى يا رسول الاله
ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور فقد كذبوكم التفات فقد كذبكم المعبودون وهذه
المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف
القول وقد سبق تحقيق هذا في قوله فقد جاءكم بشير ونذير من سورة المائدة بما تقولون
بقولكم فيهم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وقرئ بالياء
ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا الخ فما تستطيعون وقرئ بالتاء
على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم ولا نصرا فيعينكم عليه ثم خاطب المكلفين
على العموم بقوله ومن يظلم منكم الشرك وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء
مقيد بعدم المزاحم وهو التوبة اجماعا وبالاحباط بالطاعة والعفو عندنا في الآخرة نذقه
عذابا كبيرا وهو عذاب النار وفي عبارة نذقه اشارة الى ان العذاب جسماني وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لا لاجل اللام في الخبر
لان دخولها وخروجها هنا سواء بل لانه موضع ابتداء تقديره الا هم يأكلون
والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين
الا آكلين وماشين وانما حذف لدلالة المرسلين عليه ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير
وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم ايها
الناس لبعض فتنة ابتلاء ولا دلالة فيه على القضاء والقدر لان قوله اتصبرون علة للجعل
لا للتقدير والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ومن الفتنة ان يحسد
المبتلى المعافى ويحتقر المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن
الضجر وكان ربك بصيرا بصير بمن صبر وضجر من ضجر او بالصواب فيما ابتلي به وغيره
وقال الذين لا يرجون الرجاء توقع الخير الذي يقوى في النفس وقوعه وبهذا القيد الاخير
يفارق الامل لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون عقابنا الا ان الراجي قلق فيما
يرجوه لما يخالفه او لان الرجاء في لغة تهامة الخوف واللقاء المصير الى الشيء من غير حائل
ولهذا صح لقاء الجزاء لان العباد يصيرون اليه في الآخرة وعلى هذا يصح ان يقال لابد من لقاء

الله تعالى لولا هلا انزل علينا الملائكة رسلا دون البشر او شهودا على نبوته عليه السلام
او نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته ويأمرنا باتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى
ارادوا لها ما يتفوق الافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله تعالى في الكمال وقاسوها
وما هو اعظم من ذلك وعتوا العتو الخروج الى افحش الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى
مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة
ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف
بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم فانه في فحوى هذا الفعل دليل
على التعجب من غير لفظه الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون
الملائكة ملائكة العذاب او الموت ويوم نصب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة
يمنعون البشرى او يعدمونها وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون او خبر وللمجرمين تبيين او خبر
ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل او
باضمار اذكر ثم اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف
اليه لا يعمل في المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا
لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين ظاهر في موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بانه
المانع للبشرى والموجب لما يقابلها او عام يتناولهم ولحكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم
من نفي البشرى لعامة المجرمين نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر ويقولون
حجرا محجورا عطف على المدلول اي يقول الكفرة هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى
ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولونه عند لقاء عدو وهجوم مكروه او يقولها الملائكة
بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح او الكسر فانهما
لغتان فيه غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف فيه
ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت لا قدوم هنا ولا شبه
القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف
وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى اسبابه
وما تحت يده فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا وعلى هذا يكون الكلام
المذكور تمثيلا على سبيل الاستعارة لا استعارة في مفرداته بخلاف ما اذا كان المعنى
وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم فاحبطناه هباء منثورا فانه يكون الاستعارة
في المفردات لان في الكلام والهباء الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس والهباء

ايضا وفاق التراب ويقال له اذا ارتفع ومنثورا صفة وليس فيه تشبيه على تقدير التمثيل
واما على المعنى الثاني فقد شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره
بحيث لا يمكن الاجتماع ولا ينتفع به الانتفاع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز و
المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا
قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة في نصف النهار وان لم يكن مع ذلك
نوم وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم ويقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وفي لفظ الخير والاحسن تهكم بهم ويوم واذكر يوم تشقق السماء اصله
تتشقق فحذف التاء بعضهم وادغمها في الشين الآخرون بالغمام بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الملائكة في ظلل من
الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد
الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر و
للرحمن صلة او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ
او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا لما ينالهم من الاهوال والتشديد في
السؤال ثم الخزي والنكال ثم النار والاغلال ويفهم منه تيسيره على المؤمنين وفي الحديث
يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها في الدنيا
ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه
من روادفهما ولافادة الدلالة على استمرار تلك الحالة ضمن الفعل المذكور معنى الاستواء
تعداه بعلى والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة ابن ابي معيط يقول جملة في محل النصب على الحال
يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول تابعا سبيلا هداه الله اليه وتنكيره للاشعار
بكمال الاتباع يا ويلتى وقرئ بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته
يقول لها تعالى فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية
عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه
او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني من الله اعتراف بالقصور من قائله
وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالفته ومخالفة الرسول او كل
من تشيطن من الجن والانس للانسان المطيع له خذولا مبالغة في الخذلان اي من
عادته ترك من يواليه وقت حاجته اليه وقال الرسول اي في الدنيا بثا الى الله ولو كان
في الآخرة لما عدل عن سنن ما تقدم يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا

اي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومهم
لان الانبياء عليهم السلام اذا شكوا الى الله قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا وانما اقبل عليه مسليا
وواعدا النصر عليهم فقال وكذلك اي كما جعلناه لك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين فاصبر كما صبروا
ومعنى الكلمة الكريمة كائنا في او ثبت من كل نبي فلا يشكل بآدم عليه السلام فانه لم يكن مبتلى بعداوة
قومه والعدو يجوز ان يكون واحدا او جمعا وكفى بربك هاديا الى طريق الصبر المؤدي
الى النصر والباء زائدة وهاديا تمييز ويجوز ان يكون حالا اي كفى ربك في حال الهداية ونصيرا
لك عليهم وقال الذين كفروا اي احبار اليهود لولا هلا نزل عليه القرآن اي انزل عليه
كخبر بمعنى اخبر به لان قوله جملة اي مجتمعا واحدة دفعة واحدة كالتوراة والزبور وهذا
فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته وعدول عن مقتضى اصول البلاغة من وجوب رعاية
المطابقة لمقتضى المقام في كل جملة من الكلام ولا يتيسر تلك الرعاية عند نزول مجموع
القرآن دفعة واحدة والشريعة من وجوب تقديم المجمل والعام والمنسوخ وتأخير البيان
والخاص والناسخ ولا يتيسر ذلك ايضا على التقدير المذكور والتذكير من وجوب رعاية شرط
التكرير وهو ان لا يكون في اوقات متعددة مع انه لتعرف فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك
جواب لهم اي انزلناه انزالا كذلك الاشارة الى مدلول قولهم لان معناه لم ينزل عليه القرآن
مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فؤادك لنقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان
المتلقن وان لم يكن اميا انما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء ولو القي عليه جملة
واحدة لعجز عن حفظه او لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الاصول وتتابع الرسول لان قلب
المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك قوة قلبه ومنها ان نزوله بحسب الوقائع يوجب زيادة بصيرة و
غوص في المعنى ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة
واما الناسخ والمنسوخ لا يجتمعان وكذا اسباب النزول لا يجتمعون فليس من الفوائد
وان كان من جملة البواعث كذلك ويحتمل ان يكون كذلك من تمام كلام الكفرة وكذلك من
تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السالفة واللام على
الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل و
اصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة
كأنه مثل في البطلان الا جئناك بالحق الدافع له واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا
التفسير التكشيف عما يدل عليه الكلام الذين يحشرون اي يساقون ويجرون على وجوههم

الى جهنم وهم منصوب او مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ
في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل سبيلا وصف السبيل بالاضلال من الاسناد
المجازي للمجاري والمفضل عليه هو الرسول عم على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل
سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب التورية
وجعلنا معه في عبارة معه اشارة الى اصالة موسى عم في امر الدعوة اخاه هارون بدل او عطف
بيان وزيرا هو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برأيه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي
النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يؤازر بعضهم بعضا فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا اي فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا التدمير
الاهلاك بامر عجيب اراد الاختصار فاقتصر على حاشيتي القصة لان المقصود منها وهو الزام
الحجة ببعثة واستحقاق التدمير بتكذيبهم فالفاء فصيحة وهي فاء سببية ولا يلزم منها
التعقيب وقوم نوح منصوب بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر اي اغرقنا قوم نوح
والعامل في لما ذلك المحذوف كذبوا الرسل انكروا البعثة مطلقا كالبراهمة اغرقناهم
بالطوفان وجعلناهم قصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين لقوم نوح عم واصله
اعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه
عذابا اليما في جهنم واما عذابهم في البرزخ فغير متراخ عن اغراقهم وعادا وثمود عطف على
هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وانما صرف ثمود على تاويل الحي
او لانه اسم الاب الاكبر ومنعه ثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس هم قوم شعيب عم
كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبينما هم حول الرس وهو البئر غير المطوية انهارت
بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا او هم اصحاب الاخدود
والرس الاخدود وقرونا واهل اعصار قد مر تفسير القرن في سورة الانعام بين ذلك
اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من الامم
التي كانت قبلهم اي حذرنا كل امة ان ينزل بها ما نزل بمن قبلها فلما اصروا اهلكوا كما قال
وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا واصل التتبير التفتيت ومنه التبر لفتات الذهب
والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا
لانه فارغ له ولقد اتوا يعني اهل مكة على القرية سدوم وهي اعظم قرى قوم لوط عم التي امطرت
مطر السوء اي اهلكت بالحجارة ومطر السوء مفعول ثان والاصل امطرت القرية مطرا

او مصدر محذوف الزوائد اي امطار السوء افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما
فيها من اثار عذاب الله تع بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يخافون نشورا فلذلك
لم ينظروا ولم يتعظوا واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا موضع هزوا
او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار واستحقار اي قائلين اهذا
الذي بعث الله رسولا والعائد الى الذي محذوف اي بعثه واخراجه في موضع التسليم بجعله
صلة وهم في غاية الانكار تهكم واستهزاء ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا فعن
عبادتها لولا ان صبرنا عليها ثبتنا دلالة على فرط مجاهدة رسول الله عم في دعوتهم وعرض المعجزات
عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم
بعبادة الهتهم ولما عدوا عبادتهم الاصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها ضلالا اوعدهم
الله تع فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وهو وعيد ودلالة على انه
لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه اي من اطاع هواه فيما ياتي ويذر فهو عابد هواه
وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى
الهدى وانما قدم المفعول الثاني للاشعار بان المعبود حقه التقديم والتعظيم فهم قد اضلوا حيث
اتخذوا اهواءهم الهة افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة
ما يهواه او فانت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط فالاستفهام
الاول للتعجب والتقرير والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ما تتحدى
لهم الايات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام منقطعة
معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها
وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا
ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم
الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها
ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان
الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو
اشد المضار ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي وانما ذكر الاكثر لان
فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من امن
الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل اي بسطه فعم الارض

وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو و
يبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما لا يزول
ولا يذهبه الشمس وفيه دليل على انه تعالى يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب والاضطرار
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فان الاشياء
تعرف باضدادها ثم قبضناه القبض جمع المنبسط من الشيء والمراد ازالته بايقاع الشمس
موقعه الينا الى حيث اردنا قبضا يسيرا سهلا او قليلا قليلا وجاء بثم في الموضعين
لتفاضل الامور وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه الساتر باللباس والنوم
سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او النائم مسبوت لانه انقطع
عمله وحركته وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انبعاث من النوم كنشور الميت او
ينشر فيه الخلق للمعاش وفي هذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق اظهار لنعمته على
خلقه فان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة الم
الشبيهين بالموت والحيوة عبرة لمن اعتبر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ على التوحيد
ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرئ بالفتح على انه مصدر وصف به
وقرئ نشرا بتخفيف نشر جمع نشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته قدام المطر لانه
ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا بليغا في
طهارته وذلك لانه لم يشبه شيء بخلاف ما نبع من الارض ونحوه فانه تشوبه اجزاء
ارضية من مقره او ممره او مما يطرح فيه وقيل مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء لما يتوضأ به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن لنحيي به بالنبات
بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد او المكان او لانه غير جار على الفعل كسائر ابنية
المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وقرئ نسقيه و
سقى واسقى لغتان والاناسي جمع انسي على القياس ككرسي وكراسي او انسان و
اصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وادغمت وقدم احياء
الارض على سقي الانعام والاناسي لان حيوتها سبب لحيوتها فقدم ما هو سبب حيوتها
على سقيها وخص الانعام من بين الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها
فكان الانعام بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة
لان اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقي السماء واعقابهم

وهم كثير يعيشون بما ينزل من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان
الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان
من حقهم ان يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط للاحياء ولقد
صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل
ليذكروا ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا ويعتبروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيه
فيشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها
وانما عدل عن الضمير كيلا يتوهم ان المراد اكثر ذلك الكثير او صرفنا المطر بينهم في البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ
وديمة فابوا الا كفورا وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن
ابن عباس رض ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الاية ولو
شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها يعني ان المقصود من البعثة ابلاغ الدعوة
والزام الحجة لا الاهتمام في امر الهداية وقبول البداية والا لفعلنا ما هو ادعى لذلك من دعوة
كل اهل قرية بنذير مستقل فلا تطع الكافرين فلا توافقهم هواهم في بعض الامور ابتغاء
لقبولهم الدعوة ودخولهم في طريق الهداية واما ما قبل نبيا ينذر اهلها فيخف عليك
اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك تعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة فلا تطع الكافرين فيما يدعونك عليه
ان موجب ذلك العطف بالواو دون الفاء على انه افصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشدد
والتصبر ولا تطع الكافرين ولم يجز ان فيه تغييرا لنظم القرآن وابانا للمقصود وجاهدهم
بترك طاعتهم الذي دل عليه فلا تطع يعني انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد
في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لانه جهاد مع كل الكفرة على ما فهم مما سبق من تعميمه
لا لجميع القرى وجملة الامم ثم عاد الى تعداد النعم فقال وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمي الماء الكثير الواسع بحرا
هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة و
قرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد وبارد وقد نقل الازهري عن الكسائي
صحة مالح وان كان الفصيح ملح وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا
وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه او سترا ممنوعا عن الاعين
كقوله حجابا مستورا وهو الذي خلق من الماء من النطفة بشرا اي انسانا ان

حقيقته وهو الروح غير مخلوق منها فجعله نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي
ذكورا ينسب اليهم ويقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
وهو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين
ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر
على ربه على معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا يعني للشيطان وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز
وما ارسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للعاصين كافرا كان او مؤمنا قل ما اسألكم
عليه على التبليغ الذي دل عليه الا مبشرا ونذيرا اجرا الا من شاء الا فعل من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان و
الطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا
لشبهة الطمع واظهار الغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب
والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم
تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالة وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت
وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفاء شرورهم
والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يعتمد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن
ان يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد وكفى به بذنوب عباده
ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلقا يعني انه عالم باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم
الكلام فيه وذكره ههنا لزيادة الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق
الكلام فيه وذكره هنا لزيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل و
المتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامور فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ
امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او للحي و
ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به السؤال
كما يعدى بعن لتضمنه معنى البحث والاستفسار يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء
وقيل انه صلة خبيرا اي فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته و
هو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه واذا قيل
لهم للمشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا
عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما او لانهم ظنوا انه اراد
غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بالسجود له او لامرك لنا من غير عرفان

اي

وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر المذكور نفورا تباعدا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به لظهورها وارتفاعها
قال الزجاج كل ظاهر مرتفع يقال له برج وجعل فيها سراجا يعني الشمس لتوقدها لقوله
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الكواكب الكبار وقيل الشمس والكواكب الكبار
وعلى هذا يلزم تخصيص القمر بالذكر بعد دخوله في السرج مع ان حق التخصيص بالذكر للشمس
لظهور تفضيلها على سايرها وقمرا منيرا اي مضيئا بالليل وقرئ قمرا كالرشد والرشد
والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة جعلها ذوي خلفة يخلف كل منهما
الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار
وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الاء الله ويتفكر في
صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم
وعباد الرحمن مبتدأ خبره في اخر السورة اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض
واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وقرئ عباد الرحمن على انه جمع عابد كتجار وتاجر
هونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا هينا والهون الرفق واللين اي يمشون
بسكينة ووقار وتواضع دون مراح واختيال وتكبر ولذا ولقوله ويمشون في الاسواق
كره بعض العلماء الركوب في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء بما يكرهون قالوا
سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم هلكم
فاقيم السلام مقام التسليم قيل نسختها اية القتال ولا حاجة له لان الاغضاء عن السفهاء
مستحسن شرعا ومروءة هذا بيان نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا
جمع ساجد وقياما جمع قائم والبيتوتة ادراك الليل وهي ان يدركك الليل نمت فيه او لم
تنم وتخصيصها لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للمحافظة الفاصلة
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما و
منه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق
وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم ووثوقهم على استمرار
احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي
ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت وفيها اسم ان ومستقرا حال او
تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتمل ان الحكاية والابتداء من الله تعالى

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق والاقتار التضييق عما لا بد منه
وعن ابن عباس الاسراف الانفاق في معصية الله وان قل والاقتار منع حق الله تعالى من المال و
قال عليه السلام من منع حقا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بضم التاء وبضم الياء
وكسر التاء وبفتح الياء وكسر التاء والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو ضد الاسراف
وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما القوام بالفتح العدل وبالكسر
العاد وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون
الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون مع الله الها آخر اي لا يشركون ولا يقتلون النفس
التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها وهي نفس الانسان الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف
او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا
لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده
ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال ابو عبيدة الاثام
العقوبة وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم
القيمة بدل من يلق لانه في معناه واتحاد مضاعفة العذاب من يلق الاثام وقرئ يضاعف
على الاستيناف او على الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا ذليلا الا من تاب عن الكفر وآمن
بمحمد وعمل عملا صالحا بعد توبته فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم
بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او بتوفيقهم للمحاسن بعد القبائح وكان الله غفورا
ولذلك يكفر السيئات رحيما يبدلها بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا ومن خرج عن المعاصي
ودخل في الطاعة اي تاب وحقق توبته بالعمل الصالح فانه بذلك يتوب الى الله متابا
مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه لان حضورهم و
نظرهم دليل الرضاء به وسبب وجود الزيادة فيه واذا مروا باللغو بمعنى اذا مروا باهل اللغو
والمشتغلين به وهو ما ينبغي ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن
التلوث به بالوقوف عليه والخوض فيه والذين اذا ذكروا بآيات ربهم اي قرئ عليهم القرآن
او وعظوا به لم يخروا عليها صما وعميانا ليس بنفي للخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه
قول الشاعر ٭ بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت ٭ اي بايدي
رجال شاموا سيوفهم فقد كثرت القتلى يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين
باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله

قوله ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فالقرآن يفسر بعضه بعضا
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين
ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله قرة اعين وهو من
قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد او للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به
عيوننا من طاعة وصلاح فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله تعالى سر بهم قلبه وقرت بهم
عينه لما يرى من مساعدتهم في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه وانما قيل اعين على القلة دون عيون
لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون
بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله
ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في الاصل او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد
طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على
الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض
الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير و
بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ
يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها حسنت اي الغرفة مستقرا
ومقاما موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما ومثله اعرابا
قل ما يعبأ بكم ربي ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب على المصدر كانه قيل
اي عبء يعبؤ بكم ومعناه ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته لولا دعاؤكم
لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اي انه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون اي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم او يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه آلهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم فقد كذبتم بما اخبرتكم به
حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ
فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان الخطاب لعامة الناس بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون جزاء التكذيب او اثره لزاما لازما يحيق بكم
وانما اضمر من غير ذكر للتهويل او التنبيه على انه مما لا يكتنه به الوصف وقرئ لزاما
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت ٭ والحمد لله على التمام وعلى سيد رسله افضل السلام وعلى آله

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها تلك الاشارة الى آيات السورة
آيات الكتاب المبين المظهر للحق من الباطل لعلك باخع نفسك قاتلها عما يقال بخع
الشاة اذا بالغ ذبحها بقطع عظم رقبتها وبلوغ الذبح الى البخاع وهو العرق الذي في الصلب
ان لا يكونوا مؤمنين من اجل امتناع قومك عن الايمان لعل هنا للاشفاق اي اشفق على
نفسك بتخفيف هذا الغم والهم ولما كان مظنة ان يقال ان ذلك لتنفيذ امر الله تعالى وتحصيل المرا
الالهية من الاوامر والنواهي تدورك دفعه بقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فانه
قاسر لهم على الايمان اشير الى ذلك بقوله عليهم يعني ان ايمان تلك الطائفة ليس بمراد لنا
انما المقصود من بعثتك تبليغ احكام التكليف على ما يقتضيه الحكمة فليس امرنا عن
ارادة ولا نهينا عن كراهة فظلت عطف على ننزل عطف اكن على اصدق لانه لو قيل
انزلنا بدله لصح اعناقهم لها خاضعين للخضوع امارة الانقياد اللازم للاذعان وهو
المراد هنا بطريق الكناية اصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع
الخضوع وترك الخبر على اصله وفي الكناية المقصود من عبارة الخضوع اشارة الى ان فهم
تلك الآية فهي حجة وبرهان فلا يفوت الاختيار المعتبر في صحة الايمان وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين اي ما يجدد لهم الله تعالى بوحيه على نبيه موعظة وتذكيرا
الا استمروا على ما اعتادوا عليه من الاعراض فقد كذبوا حذف المفعول اشارة
الى ان تكذيبهم تجاوز عن حد الخصوص الى حد العموم فان تكذيبهم محمدا كان تكذيبا
لسائر الانبياء المخبرين عنه والمبشرين به بل تكذيبا لله تعالى ايضا والفاء في فسيأتيهم
فصيحة تفصح عن محذوف معطوف على المذكور تقديره واستهزؤوا به انباء ما كانوا به
يستهزؤون اتيان الخبر عبارة عن وقوع المحذور المنتظر وهذا وعيد لهم وايذان بانهم
سيعلمون اذا مسهم العذاب يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤون
به اولم يروا الى الارض الواو للعطف على محذوف تقديره اولم ينظروا في عجائب
قدرته تعالى ولم ينظروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج الزوج اللون قاله الفراء
وكل للاحاطة وكم للكثرة كريم كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي
نفعه عام وفيه دلالة على كمال القدرة ولذلك قال ان في ذلك انبات تلك الانواع

لآية عظيمة على ان منبتها تام القدرة والحكمة عام النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علمه وقضائه
وكان هنا صلة في قول سيبويه وان ربك لهو العزيز المنيع الذي لا يغالب فليس بعجز وضعفه
طالت مع هؤلاء في الشرك والعتو الرحيم فلا يعجل بعقوبتهم اذ لا يخاف الفوت ويقبل توبة
من تاب منهم قبل الموت ولما كان مساق الكلام في بيان القدرة قدم صفة العزة على الرحمة
والرحمة اذا كانت عن قدرة كانت اعظم وقعا واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف
لما بعده ان ائت ان مصدرية او تفسيرية القوم الظالمين لانفسهم او لبني اسرائيل قوم فرعون
عطف بيان وليس فيه اقتصار على قومه بل اكتفاء بالدلالة في جانبه واعتناء للاشارة الى
ان ظلم قومه لاتباعهم له الا يتقون استئناف للتعجب من افراطهم في الظلم واجترائهم
عليه وقرئ بالتاء على الالتفات للتوبيخ والحث واصل الاتقاء صرف الامر بحاجز
بينه وبين الصارف والمراد اتقاء العقاب بالطاعة قال رب اني اخاف الخوف انزعاج
النفس بتوقع الضرر ان يكذبون ويضيق صدري لتكذيبهم اياي مستأنف او عطف على
اخاف ولا ينطلق لساني بان يغلبني الحمية على ما ارى من المحال واسمع من الجدال ونصبهما
يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلثة على هذا التقدير وبالتكذيب
وحده بتقدير الرفع فارسل الى هرون اي ارسل اليه جبرائيل واجعله نبيا يعينني على
الرسالة ولم يكن هذا الالتماس منه عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس عون في
تبليغ الرسالة وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر وكفى بطلب العون دليلا على
التقبل لا على التعلل ومن الدليل على ذلك وقوع فارسل معترضا بين الاوائل والرابعة
فانه لو كان تعللا لاخر ولهم علي ذنب دعوى جرم وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون
كان عنوه فان خوف تلف النفس وخوف فوات مصلحة الرسالة وانما قدم
الكل على الاول تعوذا لمصلحة الرسالة على مصلحة نفسه الخاصة كما هو اللائق بشأن اولي العزم
من الانبياء عليهم السلام قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده بالدفع
اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والفاء فصيحة دلت على محذوف تقديره
ظاهر من التفصيل في موضع آخر حيث قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا
اذهبا الآية ومن قال في تفسيره امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فقد تكلف
ثم قال هنا فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي دل عليه
كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته وهو هرون لم يكن على الصيغة
انا معكم يعني موسى وهرون عليهما السلام وفرعون مستمعون الاستماع من السمع

بمنزلة الناظر من الرؤية والكلام من قبيل التمثيل والمراد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر
واستمع ما يجري بينكما وبينه فالمعية واردة على حقائقها كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ويجوز ان يقال افراد الرسول لاتفاقهما
كلمتهما اتحد الرسول معنى وثني في قوله انا رسولا ربك وذلك لانه كان في هارون جهتان جهة
الرسالة من الله وجهة الوزارة لموسى عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا
فحين قيل فقولا انا رسولا ربك نظر الى جهة رسالته من الله تعالى وحين قيل لا انا رسول رب
نظر الى جهة وزارته لموسى عليه السلام ولكون موسى عليه السلام اصلا في باب الرسالة كان مخاطبة
فرعون اياه ومجادلته معه خاصة ان ارسل معنا بني اسرائيل اي بان اطلق بني اسرائيل
عن اسر الاستعباد وخلهم يذهبوا حيث شاءوا او هو كارسال الصيد واهل القيد قال فرعون
لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ذلك الم نربك التربية تنشئة الشيء حالا بعد حال فينا في
منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث فيهم
ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعدما عدد
عليه من نعمته وانما عرض رعاية لآداب الملوك وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتله بالوكز
وانت من الكافرين يعني حيث قتلت خبازي قال فعلتها اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين
الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل او من الذاهلين عما يؤول اليه
الوكز لانه اراد به التأديب والضال عن الشيء هو الذاهب عن معرفته ففررت منكم الفرار
الذهاب على وجه التحرز من الادراك لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما حكمة
من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء
مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك اي تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله وابى ان يسمى
نعمة الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم
ذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون امتن
على موسى عليه السلام بتعبيد قومه واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه
وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب
ما طعن وراه انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة
المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف حقيقته

ان كنتم موقنين اي ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا او ان كان يرجى
منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذي
يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال لمن حوله من اشراف قومه الا تستمعون
متعجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون ان لهما ربا فاحتاج موسى عليه السلام الى ان يستدل
بما شاهدوا حدوثه وفناءه قال ربكم عدولا الى ما لا مجال للنزاع فيه وانما قال ورب آبائكم
الاولين لان فرعون كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدم قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا سخرية وترفع عن نسبته
الى نفسه ولو سخرية ولذلك لم يقل الينا قال رب المشرق والمغرب وما بينهما انتقل الى هذا لان
طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب
مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء
والاماتة على نمرود بن كنعان ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفة الا بهذا
الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع ظهور آثار صنعه قال لئن اتخذت الها
غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا
ديدن المعاند المحجوج واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني
وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة
العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد
هذا المعنى وان كان اخصر قال اولو جئتك الواو للحال وهمزة الاستفهام اما دخلت
على الفعل المقدر والمعنى افتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين يبين صدق دعواي يعني
المعجزة قال فأت به بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين في انك قادر على
اتيانه وهذا الكلام بمعزل عن الدلالة على ان المعجزة لا يأتي بها الا الصادق فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان حية عظيمة يقال انثعب الماء اذا جرى باتساع و
المثعب المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجري باتساع لعظمته والجان ايضا
هو العظيم من الحيات وذكر في القاموس فلا تدافع بين هذا وبين كانها جان على ان التشبيه
للجان في الاهتزاز لا ينافي الثعبانية على تقدير المخالفة بينهما في القدر مبين اي بان عن نفسه
انه ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة بالشعوذة و
السحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه او كمه والنزع اخراج الشيء مما كان متصلا به
او ملابسا له فاذا هي بيضاء لها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق وفي قوله

للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة قال للملا
للاشراف ليلبس عليهم حوله منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف
ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملا اى كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر
عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل
بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك
الخير تامرون تشيرون في امره من المؤامرة وهي المشاورة قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما
وانما اشاروا بذلك لانهم راوا ان الناس يفتتنون ان قتل او حبس وان السحرة اذا قاومه
زال ذلك الافتتان فكان له عذر في قتله او حبسه بحسب اراه وابعث في المداين حاشرين
رجالا يحشرون والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ثم انهم عارضوا قوله ان هذا
لساحر عليم بقولهم ياتوك بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا
بعض قلقه فجمع السحرة اي انفذ الحاشرين في المداين وانهم حشروا فجمع السحرة فالفاء
فصيحة لميقات يوم معلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقت
لهم موسى عليه السلام في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به
اى حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا
وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان
كانوا هم الغالبين ان غلبوا موسى ه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض ان لا يتبعوا
موسى ه فساقوا الكلام مساق الكناية والغلبة الاستعلاء بالقوة فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا الاجر الجزاء على العمل بالخير واذا كان بالشر يسمى عقابا
ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا اي حينئذ لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة
عنده زيادة عليه ان غلبوا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم بالسحر و
التمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ولذلك زاد قوله
ما انتم ملقون فان قوله القوا كان كافيا في جوابهم حين قالوا اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي جاؤا بسحر عظيم وقالوا فالواو فصيحة بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته وهي من ايمان الجاهلية والعزة القوة التي يمتنع بها
من لحاق ضيم لعلو منزلتها فالقى موسى عصاه الفاء فصيحة تنبئ عن مقدر ذكر في سورة الاعراف
فاذا هي تلقف التلقف تناول الشيء بالفم بسرعة ما يافكون ما يقلبونه عن
وجهه بتمويههم وتزويرهم او افكهم تسمية للمافوك مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم

شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وواعدكم ذلك وتواطاتم عليه وقد افتضح من هذا في سورة الاعراف واراد به
التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم
قالوا فصيحة وموصولها شرط محذوف وهو على ما ذكر في سورة الاعراف ان هذا لمكر مكرتموه في
المدينة لتخرجوا منها اهلها ثم صرح بما كنى عنه فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق
طرفا وهذه الطريقة في السياسة على الحكمة فانه لا يياس الجاني عن الحيوة والنعش فيكون
القتل بعده سياسة اخرى بخلاف ما اذا قطعهما من شق واحد فانه يكون القتل راحة
وازاحة للعذاب المحض ولاصلبنكم اجمعين اي لا اترك واحدا منكم لا يناله عقوبتي قالوا
لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك او علينا انا الى ربنا منقلبون قد تم تفسيرها في سورة
الاعراف انا نطمع الطمع طلب النفس للخير الذي يقدر فيها انه يكون ان يغفر لنا ربنا خطايانا ما
فعلناه من السحر وغيره والخطيئة الزوال عن الاستقامة المؤدية الى الثواب ان كنا لان
كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي
الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة
او على طريقة المدل بامره المتحقق لصحته واوحينا الى موسى وكان هذا بعد سنين من ايمان
السحرة ان اسر بعبادي يعني بني اسرائيل واضافهم الى نفسه للتشريف لانهم امنوا به
وصدقوا نبيه والاسراء السير في الليل وانما زيد قوله انكم متبعون يتبعكم عدوكم وهو علة
الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل لتبعه العدو في الحال فلا يحصل
لهم التقدم وكذا لو ساروا في اخره فارسل فرعون اي ففعل موسى عليه السلام ذلك وخرجوا
فاخبر ذلك فرعون فارسل فالفاء فصيحة في المداين مداين مصر وتعديته ارسل بفي دون
الى للتنبيه على الاستعجال منه وسرعة الامتثال من الرسل وعلى ان ملك مصر كان معمورا
في عهده بحيث سار الرسل كالحراس عنده في المداين وفيه كسر استبعاد ما ذكر في كثرة جنده
حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول والشرذمة الجمع
المحتقر ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم وصفهم بها واتى بصيغة الجمع باعتبار الاسباط واختار
جمع السلامة التي هي للقلة وانما استقلهم وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه وانهم
لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا بخروجهم من مصر بلا اذن منا وذهابهم باموالنا
التي استعاروها وانا لجميع حاذرون وقرئ حذرون فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد
حذره يعني نحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا
خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به العجز والفتور

فاخرجناهم باحداث الداعي على الخروج من جنات وعيون وكنوز انما اخصها لانه اموالهم الظاهرة قد
انطمست وثمة غفل عن هذا سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله ومقام كريم يعنى بهيج
كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج والجر على انه صفة مقام اي مثل ذلك المقام
الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل
لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم مشرقين يقال اتبع فلان فلانا
وتبعه اذا اقتفى اثره وقال الزجاج يقال اشرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا
اضاءت فلما تراءا الجمعان اي تقابلا بحيث راى كل منهما الآخر قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون قال موسى كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي اي وعد
النجاة ولذلك قال معي دون معنا سيهدين طريق النجاة ويجوز ان يكون من قبيل التمثيل
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم فانفلق اي فضرب فانفلق فانشق
فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وفي حذف الفعل وترتيب الانفعال على الامر
المذكور في الظاهر اشعار بان ذلك الامر الخارق اثر امره تعـ لا اثر ضرب موسى عليه السلام
فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في
شعب وازلفنا وقربنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
وانما قال ومن معه ولم يقل قومه لينتظم مومن آل فرعون فانه كان بين يدي موسى عم
ويدل على نجاتهم كانت ببركة مصاحبة موسى عم ومتابعته ثم اغرقنا الآخرين باطباق البحر
عليهم وكلمة ثم دلت على تاخر غرق الهالكين عن خروج الناجين وذلك بحبس جبرائيل
اولهم ليلحق به آخرهم حتى لا يشذ منهم احد ان في ذلك اي فيما فعل بموسى عم وفرعون
لآية لعبرة عجيبة لا توصف وماكان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها
احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا
وقالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز غير عاجز عن الانتقام من
اعدائه الرحيم يوخر العذاب برحمته ليتوب منه من تاب واتل عليهم على مشركي العرب
نبأ ابراهيم خبره العجيب الشان اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي شيء تعبدون سألهم
ليريهم ان ما يعبدونه ليس مستحقا للعبادة قالوا نعبد اصناما فكان السؤال عن المعبود
لا عن العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على
نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار ويحتمل ان يكون نظل بمعنى ندوم فلا يدل

على اختصاص عبادتهم بالنهار قال ابراهيم عليه السلام هل يسمعونكم هل يجيبونكم اذ تدعون
فان سمع بمعنى اجاب شايع ومنه سمع الله لمن دعى ولو كان يسمعون على معناه الحقيقي
لقيل هل يسمعون كم تدعون او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتموها قالوا بل
اضرابا اي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشيء من ذلك ولكن وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون فقلدناهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل
على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا الحق باطلا فانهم عدو لي العدو والصديق يجيئان
في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء لي الى يوم القيمة لقوله تعالى
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب
اي فاني عدو لهم وفي قوله لي دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول الا رب العالمين
استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه فيدخل فيه المعبود بحق ولا
حاجة الى ان يقال وكان من آبائهم من عبد الله تعـ لانهم ايضا يعبدون الله تعـ
الا انهم يشركون الاصنام في العبادة دل على ذلك قوله اذ نسويكم برب العالمين
الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناجح الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال
في يهدين مع سبق الهداية بالهداية لانه يحتمل يهدي للاتم الافضل والاتم الاكمل
او الذي خلقني لاسباب خدمته فهو يهدي الى آداب خلته والفاء للسببية ان جعل
صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية والذي
هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان
بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة
باقتضاء الحكم اضاف الاطعام الي وولي الانعام لان الركوب الى الاستباعاد
الانعام واذا مرضت لم يقل امرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه
ما ينقص الضر ولان ذلك لم يكن مقصودا بذاته كسائر ما سبره من افعاله تعالى
الكاملة وانما هو من روادف الطعام والشراب ولهذا قال واذا مرضت على الفرض
ولم ينسبه اليه نسبة البواقي تنبيها على الفصل بينهما فهو يشفين ان شفيت لا غيره
لانه يشفين لامحالة والذي يميتني لم يقل امات لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء
الى روض البقاء لوعد اللقاء فليس هو كالمرض ولما كانت الاماتة والبعث مما لا يمكن
اسنادها الا الى الله تعالى كالخلق لم يحتج الى توكيد بخلاف الهداية والاطعام والسقي
والشفاء فانها مما يمكن اسنادها الى غير الله تعالى وانما اتى باداة التراخي في قوله

ثم يحييني لا نارا والاحيا في الآخرة دون القبر وباداة التعقيب في الهداية والشفاء لانهما يعقبان
الخلق والمرض وباداة الجمع المطلق في النفي لانه قد يعقب الاطعام وقد يتأخر عنه
وقد يتقدم عليه والذي اطمع طمع العبد في المولى بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين استغفار الانبياء عليهم السلام تواضع منهم لربهم و
هضم لانفسهم وتعليم لامم في طلب المغفرة قدم الثناء على الله تعالى وذكره بالاوصاف
الحسنة بين يدي طلبته ومسألته ثم سأله تعالى فقال رب هب لي حكما كمالا في
العلم والعمل لابطلم في عداد الكاملين في صلاح الدين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب
ولا صغيره والحقني بالصالحين اي الانبياء عليهم السلام ولقد اجابه حيث قال وانه في
الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق اي ثناء حسنا وذكرا جميلا و
في العبارة باللسان عن القول ما لا يخفى من البلاغة وانما اضافه الى الصدق اضافة
الموصوف الى الصفة الدالة للاختصاص به والعراقة فيه احترازا عن الاطراء
في شأني في الآخرين في الامم التي تجيء بعدي فاعطي ذلك فكل اهل دين يتولونه ويثنون عليه
بلا اطراء واجعلني من متعلق بمحذوف اي وارثا ورثة جنة النعيم سأله ان يفعل
معه من الالطاف ما يختار عند الطاعات لان الجنة لا ينعم فيها الا بالاستحقاق وان كان
الدخول فيها بمحض لطف الله تعالى فلذلك قال من ورثة فان الوارث يأخذ الميراث بلا
كسب منه واغفر لابي طلب هداية الى الايمان اقتضاء مقتضى حق ابوته ولهذا قال
إنه كان من الضالين اي استمر على الضلال في الازمنة الماضية قاله تأسفا وتلهفا لا
اخبارا واظهارا وكان ذلك الطلب قبل ان مات ابوه ولما مات على الكفر فتبين
انه عدو الله تبرأ منه ولا تخزني الاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء
يوم يبعثون الضمير للناس لانه معلوم اي لا تخزني على رؤس المحشر بتعذيب اي يوم المحشر فهو
من تتمة الاستغفار لابيه يوم لا ينفع مال بدل من اليوم الاول ولا بنون احدا كما ينفع في
الدنيا بفديه ماله ويذب عنه بنوه إلا من اتى مفعول لينفع اي الا من اتى الله بقلب سليم من الكفر
والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف
في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب فموصوف الجليل استثناء
الا انه لم يجعله صفة له فقوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين
اي قربت عطف جملة على جملة اي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها ويتحجون
بحشرهم اليها وبرزت الجحيم اي اظهرت فيروها مكشوفة ويتحسرون على انهم يسوقون

اليها في اختلاف الفعلين دلالة على ان ارض المحشر قريب من الجحيم للغاوين الغاوي العامل بما يوجب
الخيبة من الثواب واصل الغواية الخيبة قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لايما وقيل لهم على وجه التوبيخ والتقريع اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم بانتصار
وهذا لانهم والهتهم وقود النار كما قال فكبكبوا كبوا وطرح بعضهم على بعض فيها في جهنم
هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير
في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في
قعرها وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن اجمعون تأكيد
للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده وان لم يجعل مبتدأ بل معطوفا على هم يكون اجمعون تأكيدا
للضمير الذي هو هم ولما عطف عليه وهو الغاوون وجنود ابليس وهذا ان الاحتمالان قائمان
في الضمير المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان ينطق الله تعالى الاصنام
حتى يصح التقاول والتخاصم ويؤيده الخطاب في نسويكم تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في استحقاق العبادة وما
اضلنا الا المجرمون اي رؤساؤهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده ومن سن الشرك
فما لنا من شافعين من الاباعد كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة ولما اتى بصيغة
الجمع لمصلحة الفاصلة تدورك حق المقام بزيادة من التبعيضية ولا صديق حميم من الا
قارب كما ترى للمؤمنين اصدقاء قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو
الصديق الخالص فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين جواب لو محذوف
وهو لفعلنا كيت وكيت او لو في مثل هذا للتمني كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنيي
لو وليت من التلاقي ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان
يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها
لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن
دعوته للقوم لا حسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق
الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع
والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل
الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح القوم مؤنثة

ولذلك يصح على قوله المرسلين فومن الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح انما قال
اخوهم لانه كان منهم الا تتقون خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام اني لكم رسول امين كان
مشهورا بالامانة فيهم لمجيئه في قرني فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد و
الطاعة لله تع وما اسئلكم عليه على ما اتلو من الدعاء والنصح من اجر الاجر عبارة عن المنفعة
المستحقه فاما الذي لايكون مستحقا فذلك لايسمى اجرا بل هبة ان اجري الا على رب العالمين
بحكم وعده وفيه دلالة على عظم شان ما امر بتبليغه وهذا هو الموجب للطاعة فيما يدعوهم
اليه فلذلك اعاد قوله فاتقوا الله واطيعون وانما حسم الطمع المستفاد مما تقدم فغاض
عن ايجابها ثم ان في قوله رب العالمين اشارة الى ان التزام الاجر في ذلك مصلحة تربيتهم
لا لامر يعود الى نفسه مع نفع او دفع قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الواو للحال وقد مضمرة
بعدها دليل قراءة واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال الارذلون
جمع الارذل على الصحة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة
نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن
نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه
اخلاصا او طمعا وطمعه وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على
بواطنهم الا على الله فان المطلع على السرائر لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم واتبعك الارذلون من استدعاء
طردهم استنكافا عن الشركة معهم في المتابعة خصوصا اذا كان لهم فضل التقدم
وقدم السبق وتوقيف ايمانهم عليه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا
الا رجل مبعوث لانذار المكلفين من الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء و
كم من ذليل عند الناس وهو عزيز عند الله تع وبالعكس فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع
الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا
لئن لم تنته يا نوح عما تقول والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة الى ما وقع عنه
النهي واصل النهاية بلوغ الحد لتكونن من المرجومين من المضروبين بالحجارة قال رب
ان قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا لخوفهم واستخفافهم عليه
فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم
لانه يفتح المستغلق ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه و
من معه في الفلك المشحون المملوء ومنه شحنة البلد اي الذي يملؤه كفاية كانت السفينة

مملوه

نجاة

مملوة من الكتان وانواع الحيوان من سباع البهايم وجوارح الطير فكانت في قصتهم هذه نجاة في
ومن هنا اتضح وجه توصيف الفلك بالوصف المذكور في مقام الامتنان ثم اغرقنا ثم
للتفاوت بين الحالين لا للتراخي ولذلك قال بعد اي بعد انجائه ومن معه الباقين من
قومه ان في ذلك لاية عظيمة شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
المنتقم باهلاك من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة من وحد واقر كذبت عاد المرسلين هي
قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اجري
قد تقدم تفسيره عن قريب اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع والبناء وضع شاي على
شاي الى حيث ينتهي والريع الارتفاع من الارض ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه
بالزيادة والنماء اية بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع
ماخذ الماء او قصورا مشيدة او حصونا اي تجعلون في كل موضع عال مشرف علامة
تعبثون ولا تحتاجون اليها لسكناكم انما تريدون به المباهاة والمراآة وواعبث
لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا فتحكمون بنيانها واذا بطشتم البطش العسف
قتلا بالسيف وضربا بالسوط بطشتم جبارين الجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه
وهو في صفة الله تع مدح وفي صفة غيره ذم وقال الحسن بطش الجبرية هو المبادر من غير تثبت
ولا توقف فذمهم الله تع بذلك ونهاهم هود عليه السلام فاتقوا الله بترك هذه الاشياء
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها
عليهم فقال امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها
وقرن العيون بالجنات في قوله وجنات وعيون لان قوامها ودوام منافعها بها
كرر الامر بالاتقاء مرتبا على امداد الله تع اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا و
تنبيها عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل
بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث
على التقوى فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الا نعام
قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اي مستو عندنا وانما قيل علينا لان المراد الا ستواء
من جهة التاثير اوعظت الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ام لم تكن
من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة بارتكاب
الاطناب للمبالغة في جانب السكوت عن الوعظ لكونه مقصودا فان الاخراج من

عواد الواعظين ابلغ من بني الماضي للوعظ والمحافظة على رؤس الاي إن هذا الا خلق الاولين وقرئ
خلق بفتح الخاء من الاختلاق اي ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين وقرئ بضم الخاء
اي ما هذا الذي نحن عليه من تهيئة اسباب المعاش واتخاذ الابنية الا عادة الاولين وما نحن
بمعذبين في الدنيا ولا بعث فلا عذاب في الآخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم
اياه بريح صرصر عاتية إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره في هذه السورة أتتركون
انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم فيما ههنا في
الدنيا ستقر في هذا المكان من النعم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره
بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل وافراد النخل تفضيلا
على سائر اشجار الجنات طلعها هو ما يخرج من النخل كنصل السيف هضيم لين نضيج
كأنه قال قد ارطب ثمره فانه مادام رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم وتنحتون
من الجبال بيوتا فارهين بطرين وهذا هو المناسب لما في سورة الحجر من قوله آمنين لا معنى
حاذقين طيب قلب فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا اي لا تمتثلوا امر المسرفين اقام
الكلام عن الظاهر والكلية عن المبادرة حيث لم يقل ولا تطيعوا المسرفين تنزيلا لشانهم عن درجة
الاطاعة وتبعيدا لهم عن حيز المطاعين واما جعل الامر مطاعا على المجاز الحكم فلاسب المقام
الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
دلالة على خلوص فساد وبهم المستفاد من الاسناد الى كلمة الارض بناسب هذا قالوا انما
انت من المسحرين الذين سحر كثيرا حتى غلب على عقله ما انت الا بشر مثلنا كناية عن
استحالة كونه رسولا بناء على زعمهم ان رسول الله لا يكون من جنس البشر خصوصا بلا
امتياز له عن سائر الافراد ولكن صالحا عليه السلام رد قولهم هذا بان يقال اني رسول
بواسطة الملك ولي امتياز عن سائر البشر بالمعجزة الخارقة للعادة فقالوا في مقابلة
فأت بآية خارقة للعادة ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة وفي
سورة الاعراف هذه ناقة الله لكم آية لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه
ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم فيه ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة
الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب يوم
عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب لان اليوم اذا عظم بسببه

كان موقعه من العظم فعقروها الفاء فصيحة والجمل المحذوفة مذكورة في سورة الاعراف وانما اسند العقر
الى الجميع لانه كان بامرهم ومعاونتهم عليه او رضاهم عنه فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر
فاصبحوا نادمين لا على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لانه مردود بقوله في
وقالوا بعد ما عقروها يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين بل على ترك ولدها
وقد تقدم وجه ذلك في سورة الاعراف فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود وهو الرجفة
الحادثة من الصيحة إن في ذلك لآية عظيمة وما كان اكثرهم مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم
في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا
انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم وإن ربك لهو العزيز الرحيم جامع لجهتي الانتقام
والانعام كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره في هذه السورة أتأتون الذكران اي
أتأتون من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهم قد اعوزتكم او أتأتون من
بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم فالمراد بالعالمين على الاول الناس
وعلى الثاني كل من ينكح وعلى هذا الجمع للتغليب وبني هذا الوجه على اختصاص ذلك الفعل
بالانسان وفي نظر وتذرون ما خلق لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان
ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم
كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وانما خص الازواج بالذكر لعمومه فان الاماء مخصوصة بالاحرار
بل انتم قوم عادون بل اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى شيء والعادي المتعدي في
ظلمه المتجاوز فيه الحد والمراد ههنا التجاوز عن حد الشهوات بالزيادة على سائر
الناس بل الحيوانات او الافراط في المعاصي مطلقا وعلى هذا الاضراب للترقي قالوا لئن
لم تنته اي لم تمتنع من انكارك علينا وتقبيح امرنا يا لوط لتكونن من المخرجين من جملة من
اخرجناه من بيننا وطردناه من ديارنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء
حال قال اني لعملكم من القالين فلا اكره مفارقتكم ولا ارضى بمجاورتكم القلي البغض
الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد وانما قال من القالين للتنبيه على انه غير متفرد بذلك بل
واحد من الجماعة المعروفين وايضا هو ابلغ من قال وان كان هو ارجح من جهة اللفظ
لما بينه وبين قال من صنعة التجنيس رب نجني واهلي مما يعملون من شومه وعذابه فنجيناه
واهله اي من آمن به اجمعين باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا
مقدرة في الغابرين العجوز المرأة التي قد عجزت عن امور كثيرة لكبر سنها وهي امرأته على ما

عنه قوله الا امرأة كانت من الغابرين اي الباقين من لذاتها واهل بيتها وقيل والغابر الباقي
في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره ثم دمرنا الآخرين التدمير الاهلاك
وامطرنا عليهم مطرا امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء فاعل مطر
المنذرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف والمراد بالمنذرين جنس الكافرين ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره كذب اصحاب الايكة قال الخليل
الايكة غيضة تنبت السدر والاراك ونحوه من الشجر المرسلين اذ قال لهم شعيب انما لم يقل
اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل مدين وفي الحديث ان شعيبا
اخا مدين أرسل اليهم والى اصحاب الايكة الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين مر تفسيره في هذه السورة اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا
من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف ولو قيل ولا تخسروا لكان ابلغ في النهي على ما تقدم
في تفسير ولا تكونوا الى الذين آمنوا وانما عدل عنه الى ما ذكر تعريضا لانهم يتم بتلك الحال
وزنوا بالقسطاس المستقيم الوزن وضع الشيء بازاء المعيار بما يطابق منزلته منه
في ثقل المقدار اما بالزيادة او النقصان او التساوي والقسطاس الميزان او القبان
فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي
ولا تبخسوا الناس يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم
بقطع اطرافها ولو لا المراد النهي عن المعتاد لقيل ولا تبخسوا الناس شيئا لانه ابلغ في النهي
ولا تعثوا في الارض وهذا ايضا نهي عن معتادهم ولذلك عدل عن الابلغ في النهي وهو ولا
تعدوا في الارض والعثو اشد الفساد وذلك قد يكون لمصلحة كتخريب ديار
الكفار فلدفع هذا الاحتمال قيل مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني
ما تقدمهم من الخلائق الخلق الخليقة واريد به الخلق وقيل الجبلة الخلق المتجسد الغليظ
ماخوذ من الجبل في تناسب التعبير بها عن خلقة عاد وثمود قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا ترك اداة الجمع في قصة ثمود ليفيد التوكيد والتقرير والقطع
بانه بشر مثلهم اي لا ينبغي ان نؤمن برسالتك الا بشيء تمتاز به عنا ولهذا قالوا
فأت به ان كنت من الصادقين واتى بها هنا للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغة في تكذيبهم فكانهم قالوا نحن وانت في عدم صلاحية الرسالة من جهة
كوننا بشرا سواء وتلك المزية علينا في كونك مسحرا و[illegible] اكدوا ذلك بقولهم وان
نظنك لمن الكاذبين والظن بمعنى اليقين ولذلك ادخل ان واللام ولما كان هذا الرد

ابلغ من الاول لما طلبوا البرهان هنا كما طلب ثمود حيث قالوا فأت بآية ان كنت من الصادقين
بل قطعوا بما يدل على الياس من ايمانهم لقولهم على سبيل الاستهزاء فاسقط علينا كسفا
جمع كسفة وهي قطعة من السماء عقوبة ان كنت من الصادقين كما قطع قريش بقولهم ان كان
هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء قال ربي اعلم بما تعملون اي ان الله تعالى اعلم باعمالكم
وبما تستحقونه عليها من العذاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء
فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة على نحو ما اقترحوا والظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح وعذبوا
بالحر سبعة ايام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا
فاحترقوا ولهذا اي ولكونهم معذبين في ذلك الوقت بسبب آخر غير الظلة اضيف
العذاب الى اليوم دون الظلة وقطع اضافة العذاب عنها لا يخرج عن نوع الاشعار
بان عذابهم قبل نزول النار من الظلة بلغ الى حد كان ذلك خلاصا لهم من العذاب
انه كان عذاب يوم عظيم قد مر ان وصف اليوم بالعظم ابلغ من وصف
العذاب به ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص
السبع المذكورة على وجه الاختصار تسلية لرسول الله صلعم وتهديدا للمكذبين به
وانه لتنزيل رب العالمين اي ان القرآن لمنزل من عند الله لمصلحة العالمين نزل به
الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين الله تعالى على وحيه وقرئ نزل مشددا
والروح منصوبا اي جعل الله تعالى الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية على قلبك
الحم القلب والمعنى عليك لانه محل الوعي والتثبيت وليعلم ان المنزل محفوظ عن المخالطة
والمغالطة لوصوله الى القلب بالذات لا بواسطة الصوت وآلة السمع فافهم هذا
السر الدقيق لتكون من المنذرين اقتصر على الانذار لعمومه الحق بتين ولانه ازجر
للسامع بلسان عربي بلغة العرب متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي
ليكون ممن انذروا بلغة العرب وهو هود وصالح وشعيب ومحمد مبين للكل ما
يحتاجون اليه من امور دينهم ودنياهم وانه لفي زبر الاولين يعني ذكره مثبت
في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها فلا دلالة فيه على ان القرآن
قرآن اذا ترجم بغير العربية والزبر جمع زبور كرسل ورسول وقد تقدم بيانه
اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد صلعم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه
بنعته المذكورة في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها

جبره وان يعلمه الاسم تقديره اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية وقرئ تكن بالتا بنتو آية
بالرفع على انها اسم كان وخبره لهم وان يعلمه حال وقيل في تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم و
المبتدا وانما اسند والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها او خبر
مبتدا محذوف اي اولم يحصل لهم آية ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه
او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم
واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف كما قالوا الاشعرون اي
الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان
مؤنثه عجماء وزيادة كان لافادة معنى الاستمرار والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار
فافهم سر هذا الاعتبار كذلك سلكناه اي مثل ما ذكرنا من التكذيب به على تقدير قراءة
الاعجم او قلنا التكذيب به في قلوب المجرمين بقراءة افصح العرب لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم المراد به معاينة العذاب عند الموت وذلك ايمان الياس فلا ينفعهم فياتيهم
بغتة يعني ان العذاب الذي يستعجلونه يجيئهم فجاءة والبغتة حصول الامر العظيم الشان
من غير توقع وتقديم الاسباب وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا حذف النون منه
عطفا على قوله يروا هل نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون
اليها افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم
عند حلول العذاب طلب النظرة فجيء بالهمزة للانكار والفاء للدلالة على ترتبه على
السابق الا انها اخرت لان همزة الاستفهام حقها الصدارة وان استعير لمعنى
آخر قال يحيى بن معاذ اشد الناس غفلة من اغتر بحياته ❀ والتذ بمراداته ❀
وسكن الى مالوفاته ❀ والله تعالى يقول افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين في دفع العذاب وتخفيفه
والفاء جي بفعل الرؤية والاستفهام ليكون في معنى اخبر افادة لمعنى التعجب والانكار
وان من حق القصة ان يخبر بها كل احد حتى يتعجب وزيادة كان في الموضعين لافادة
الاستمرار وما اهلكنا من قرية الا لها لم يدخل الواو على الجملة بعد الا كما في اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا
زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف منذرون اي بصيغة الجمع لان من قرية
عام فكانه قيل وما اهلكنا من القرى والعدول عنه لافادة الدلالة على ان المراد الكل
الافرادي لا الكل المجموعي ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار

اوحال من الضمير في منذرون او الرفع على انه صفة منذرون باضمار ذوو وجعلهم ذكرى لامعانهم
في التذكير او خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى في الجملة اعتراضية ولا يجوز ان يكون ذكرى
متعلقه باهلكنا مفعولا له لان مذهب الجمهور ان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها الا ان يكون
مستثنى او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة وما كنا ظالمين اي ليس من
شاننا الظلم فنعذب قوما غير مستحقين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي
القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم نزل وما تنزلت به اي بالقرآن الشياطين انما اتي بصيغة التكلف
والجمع لانه على تقدير وقوع المنفي لا يكون الا بزيادة كلفة ومشقة من جماعة منهم على
ما بين عند تفصيل كيفية استراق السمع رد لما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي
الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون ذلك نفي اولا الوقوع
ثم الليافة ثم القدرة ثم بين علة عدم القدرة بقوله انهم عن السمع لكلام الملائكة
لمعزولون لممنوعون والعزل تنحية الشيء عن الموضع الى طرفه وسبب ذلك ما ذكر في سورة
الجن من كونهم مرجومين بالشهب فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين انما
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرك في العبادة مع عدم الحاجة اليه في حقه تمهيدا لبيان ترتب
العذاب عليه على وجه لا يتخلف عنه اصلا حيث لا يتخلف عنه في حق خير الخلق فكيف
في حق غيره وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته
وليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا فان النجاة في اتباعه دون قربه والعشيرة
تنتظم الفخذ وما فوقها واخفض جناحك ❀ والن جانبك وتواضع مستعار
من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان يحط لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم ولافادة هذا التعميم ذكر قوله من المؤمنين والا فالايمان واتباعهم
توامان فان عصوك ❀ مرتبط بقوله وانذر عشيرتك الاقربين وكان اصل الكلام
انذر فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا
من اعمالهم الا انه غير التعبير في الشقين تنزيلا للمقدر منزلة المحقق في الجانب
الغالب وعمم حكمه تنبيها على ان امر الانذار اصلا غير مخصوص انما الاختصاص بالقرابة
عليه السلام في وصف تعقيبه وخص حكم شق العصيان بهم لبطء ذلك الحكم في حق غيرهم
بالطريق الاولى فقل لهم اني بريء لما كان الحكم في صورة الاتباع وجوديا وفي صورة
خلافه عدميا امر بنفس الحكم في الاولى وبالاظهار قولا في الثانية وهذا من دقائق الا
عتبار فلما يتنبه له الاذكياء والاحبار مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم امر بالبراءة

من عليهم لانهم اشعارا بانهم لا يتركون باظهار العصيان بل يدعون الي الاطاعة مرة بعد اخرى
باللطف الان نزل الامر بالعنف وتوكل التوكل تفويض الامر الى من يملكه و قرئ فتوكل
على الابدال من جواب الشرط على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته بنصرك
عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم الذي يراك الرؤية علم خاص
بنوع من المحسوس غير متوقف على النظر بل قد تحصل بطريق اخر ولذلك زاد موسى ع م قوله انظر
اليك حين طلب الرؤية المعهودة حين تقوم متهجدا وتقلبك اي ويرى
تقلبك في الساجدين في المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة
وهو ذكر ما كان يفعله من جوف الليل من قيامه للتهجد وتردده وقيل تصرفه فيما
بين المصلين بالقيام والركوع والسجود اذا امّهم ولا يخفى ما في التعبير عن اركان صلوته
حال الامامة بالتقلب في الساجدين مما يخل بشانها ثم ان المناسب عطفه على تقوم
والعدول عن سننه لكونه جنسا اخر في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه رض ليطلع
عليهم من حيث لا يشعرون ويعلم انهم كيف يعبدون الله في خلواتهم انه هو السميع لما
تقوله وفعله يهون عليه معاناة مشاق ما تحمله من التهجد والتفقد حيث اخبر برؤيته له
اذ لا مشقة على من يعلم انه يعمل بمراى مولاه هل انبئكم على من تنزل الشياطين انما
قال تنزل لانه اكثر ما يكون في الهواء وانه تقرير الرتبة تنزل على كل افاك اثيم
على من يبلغ في الافك والاثم الغاية لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت الشياطين
اكد ذلك بان بين ان محمدا ع م لا يصح لان تنزلوا عليه بوجهين احدهما انه انما
يكون على شرير كذاب كثير الاثم وهم الكهنة والمتنبئة ومحمد ع م يشتم الافاكين ويذمهم
فكيف تنزل الشياطين عليه وانما زاد كلمة كل اعتبارا لما في من من معنى العموم والا فلا
حاجة اليه في اصل الكلام وثانيهما ما ذكر بقوله يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب
تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يحفظها الجني فيقرها في اذن وليه
فيزيد فيها اكثر كما جاء في الحديث من مائة كذبة ولا كذلك محمد ع م فانه اخبر عن مغيبات
كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها ويلقون حال اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك
لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجر او استيناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على
الافاكين فقيل لانهم يفعلون كيت وكيت واكثرهم اي اكثر الافاكين كاذبون يفترون
على الشياطين ما لم يوحوا اليهم واختصاص هذا النوع من الكذب باكثرهم لا ينافي تناول

جنس

جنس الكذب كلهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد ع م ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه
شاعرا ألم تر انهم في كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم
بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم
ويبهتوا البرئ ويفسقوا التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وذلك لغلوهم في افانين
الكلام ولهجهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة وقد ينسبون لانفسهم ما لا يفعلونه لما كان
اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفي
اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة
حال الرسول ع م بحال اربابها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء للشعراء من
المؤمنين الصالحين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير
وذكروا الله كثيرا اي كان ذكر الله وتلاوة القرآن اغلب عليهم من الشعر
واذا قالوا شعرا قالوه في توحيده والثناء عليه وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا
هجوا اي ردوا هجاء من هجا رسول الله عليه السلام والمسلمين وسيعلم الذين ظلموا
تهديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق
والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام
والتهويل وقرئ اي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء
والمعنى واحد ذكر الثعلبي ختم السورة
بما يقطع اكباد المتكبرين المتمردين
والله تعالى اعلم بالصواب و
اليه المرجع والمآب

سورة النمل تسعون وخمس آيات مكية والفواصل وتسع واربعون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك اشارة الى آي السورة آيات القرآن وكتاب مبين عطفه على القرآن كعطف احدى
الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم والابانة انه يبين ما اودع فيه من الحكم والاحكام
او لصحته باعجازه وانما عرف القرآن ونكر الكتاب على عكسه في سورة الحجر لانهما اسمان
علمان للمنزل على نبينا عليه السلام ووصفان له باعتبار معناهما الاصليين فايهما جعل
اسما والآخر صفة صح وكتاب قرئ بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه على معنى وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات
والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او من كتاب او صفة له او خبران اخران او
خبران لمحذوف اي هي هدى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة تقدم تفسيره
في سورة البقرة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير
النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او استيناف كأنه قيل و
هؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا هؤلاء
الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة بخلق الشهوة فيهم حتى رأوا ذلك حسنا كما قال
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقد مر البحث مستوفى في اسناد التزيين اليه
في تفسير سورة البقرة فهم يعمهون يتحيرون ويترددون في ضلالهم كما يكون
حال الضال عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب بما كان منهم من سوء الاعمال وهم
في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك
لتلقى القرآن اي تلقى عليك بتلقى من لدن حكيم مصيب في اقواله وافعاله عليم بكل شيء
واحواله فليس الاول منهما مشتملا على الثاني حتى يكون حقه التأخير والتنكير فيهما للتعظيم
وهذه الآية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من القصص ويأتي ذلك من لطايف حكمته
ودقايق علمه اذ قال موسى اي اذكر قصته اذ قال وقيل متعلق بعليم لاهله اني آنست
نارا الايناس الابصار بالشيء مع سكون النفس اليه سآتيكم منها بخبر اي عن
حال الطريق لانه قد ضلها روي انه لم يكن معه غير امرأته وانما ورد الخطاب بلفظ
الجمع لكناية عنها بالاهل اقامة لها مقام الجماعة في الانس بها والسكون اليها في
الامكنة الموحشة والسين للتقريب وتقليل مدة الوعد كيلا تستوحش اهلها وفي التعبير

بالاتيان دون الابصار نوع تمهيد لها او آتيكم بشهاب قبس الشعلة المقطعة من النار والنهاية بائنة
منها واضافته اليه لانه يكون قبسا وغير قبس وقرئ منونا على ان القبس بدل منه او
وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر بصيغة الترجي في موضع
آخر والترديد للدلالة على عدم الخلو منهما على العادة فلا ينافي الجمع وبيان ان كلا منهما امر
مهم باعث للسعي في تحصيله لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها من البرد
الطاء بدل من تاء افتعل لاجل الصاد فلما جاءها اي النار التي ابصرها نودي ان بورك
ان مخففة من الثقيلة تقديره بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض
لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى
القول من في النار ومن حولها اي جعل البركة والخير فيمن في مكان النار وهم الملائكة
ومن حول مكانها اي موسى عليه السلام بحدوث امر ديني فيها وتصدير الخطاب بذلك بشارة
بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين
من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها او للتعجب من ذلك الامر او تعجب
من موسى عليه السلام لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة
مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان
يظهره على يده من المعجزة المصلحة لاثبات النبوة والق عصاك عطف على محذوف تقديره
يفهم من التفصيل المذكور في سورة طه لا على بورك لان الفصل بينهما بجملة النداء في قوله
يا موسى انه فلما رآها تهتز حال من المفعول والاهتزاز تحرك بحركة متوافقة
كأنها جان اي حية سريعة الحركة ولى موسى عليه السلام مدبرا اعرض عنها وجعلها يلي ظهره خوفا
منها بمقتضى البشرية ولم يعقب لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان
ولى فنودي يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي وحذف المفعول لظهوره او مطلقا
على تنزيل المتعدي منزلة اللازم اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا ينبغي لهم ان
يخافوا حال تقريبي اياهم بالخطاب وفيه اشارة الى ان تلك الحالة كانت معدة
للرسالة الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك
به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون من الله مغفرة ورحمة ولم يقصد به تعريض
موسى عليه السلام لانه لم يكن وقتئذ مرسلا وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف
اي ومن ظلم ثم بدل حسنا اي اتى بالتوبة بعد سوء مبتدلا له بالحسن ان كان ذلك منه

سببا لتبديل السيئة بالحسنة وفي التعبير عنه بالحسن مبالغة في حسنها لبعدها عن مظنة سوء الرأي
والترك فان الفعل قلما يخلو عنه وهذا البدل لما لم يحصل بالفعل عنه وادخل يدك في جيبك
انما قال في جيبك لانه كان عليه مدرعة صوف لاكم لها تخرج بيضاء فيه جمع بين امري
التكليف والتكوين من غير سوء فيه لما كان خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما يستقبح
ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك واما احتمال البرص بعقول عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر
بالبال في امثال هذه الآيات العظام حتى يحتاج الى دفعه في تسع آيات اي آية في تسع
آيات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة و
الجدب ونقصان المزارع منه واما الفلق فليس منها لانه لم يبعث به اي فرعون
الى فرعون وقومه اي مرسلا اليهم انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا
لم يقل جاء موسى بها لانها كانت خارجة عن حيز طاقته وفي بعضها لم يكن منه تصرف
عادي مبصرة اي واضحة بينة جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا عن
ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والكلمة
العوراء تغوي فهو من قبيل الاستعارة المكنية وهي ابلغ من المجاز قالوا هذا سحر
مبين واضح سحريته قوبل بين المبصر والمبين وجحدوا بها يقال جحد حقه وبحقه بمعنى
ذكره في الديوان والجحود هو الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا و
الواو في واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم
اي جحدوها بالسنتهم وقد استيقنوا بقلوبهم وفي التعبير بانفسهم عن قلوبهم
تنزيل لا له الاقرار منزلة الترجمان ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان و
انتصابهما على العلية من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق والاحراق في
الدارين ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو الحكم والشرايع او
علما اي علم وقالا الواو فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فعملا شكرا لله فيما فعلا مما لا
يفي ببيانه العبارة الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير
المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما دل على ذلك تقييدهم بالايمان فان المؤمن لا يخلو
عن علم وفيه اخراج الكفار عن حيز الاعتبار وتعظيم لشأن التفضيل بتوصيف المفضل عليه
بوصف جليل ودليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس
الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان
يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه

كثيرا وتسا و باوورث سليمان داود النبوة والملك بان قام مقامه في ذلك بعد موته ولهذا
قال ورث فان حقيقة الميراث انتقال التركة من ملك الى ملك والتركة ما بقي بعد الموت و
استعير ههنا لما ذكر واما العلم فقد شاركه اباه فيه بل ترجح عليه حال حياته على ما افصح عنه
قوله تعالى ففهمناها وقال تشهيرا لنعمة الله واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى تذكر المعجزة التي
هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه يا ايها الناس علمنا منطق الطير النطق
والمنطق في المتعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان ولا يقال لغير الانسان
الا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت لما له صوت ولما لا صوت له واوتينا من كل شيء
المراد به كثرة ما اوتي يقال فلان يعلم كل شيء ويقصد به كل احد والضمير في علمنا واوتينا له و
او نبيا له ولابيه او له وحده وهي النون نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل الطاعة
على صفته وحاله التي كان عليها ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر كقوله
عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا وحشر اي
جمع من جهات مختلفة لسليمان جنوده من الجن والانس قدم الجن على الانس لان مقام
التسخير لا يخلو عن نوع خفية والطير ولو كان فيها جنس آخر لذكر ههنا فهم يوزعون يمنعون
عن التفرق والانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم وذلك احسن في الهيئة واهيب في الرؤية
حتى اذا اتوا تضمن يوزعون معنى فعل يصلح ان يكون حتى غاية له اي فهم يسيرون ملتفا
بعضهم لا يفارق بعضا على واد النمل هو واد بالشام كثير النمل وادى اتوا بعلى اما لان
اتيانهم كان من فوق او لانه اريد معنى قطع الوادي وبلوغ آخره قالت نملة تاؤها
للوحدة وهي في حكم المؤنث اللفظي جاز ان يعامل معاملة كتمرة وقملة ولانه في
قالت على انها انثى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لم يقل ادخلن لانه جعلها
قائلة والنمل مقولا لها كما يكون في اولي العقل فاجرى خطابهم مجرى خطابهم لا يحطمنكم الحطم
الكسر سليمان وجنوده نهي سليمان عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطموها
كقولهم لا ارينك ههنا نهوا سليمان او بدل من الامر لا جواب له فان النون
لا يدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا قالت النملة ذلك
على وجه العذر ووصف سليمان وجنوده بالعدل فتبسم الفاء فصيحة تفصح عن محذوف
تقديره سمع سليمان كلامها فتبسم ضاحكا شارعا في الضحك آخذا فيه من قولها
متعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرط لظهور
عدله وانما قال ضاحكا لان التبسم قد يكون من غضب وقد يكون من استهزاء وتبسم الضحك

لا يكون الا عن سرور فان قلت الظاهر من هذا ان سليمان عم كان عالما بلسان غير الطير من الحيوانات فما وجه تخصيصه بالذكر في مقام اظهار الشكر على ما اتاه الله تعالى من جلائل النعم قلت قد اجاب الشعبي عن هذا حيث قال كان للنملة جناحان فصارت من الطير فلذلك علم سليمان عليه السلام منطقها ولولا ذلك لما علمه وقال سائلا توفيق شكر تلك النعم الجليلة **رب اوزعني ان اشكر** اي يسر لي الشكر وازعا اياه ووزع الشكر كناية عن وزع موجبه وهو كلام في غاية الفصاحة **نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي** ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة **وان اعمل صالحا ترضاه** تماما للشكر واستدامة للنعمة **وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين** في عداد هم الجنة **وتفقد الطير** حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء فقال ما لي لا ارى الهدهد بدا اولا بنفسه ثم قال **ام كان من الغائبين** قرينة احاد بصره عنه بسبب ولما كان المذكور في قوته نزل منزلته وعطف عليه على سبيل العطف من جهة المعنى وكان الغالب على ظنه هذا الاحتمال على ما دل عليه عبارة كان فلذلك قال **لاعذبنه عذابا شديدا** كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص اولاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه **اوليأتيني بسلطان مبين** بحجة تبين عذره والسلطان في الاصل اظهار ما يتسلط به والحلف في الحقيقة على احد الامرين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما **فمكث** اي كان غائبا فالقا بفصحة **غير بعيد** اي لبث زمانا غير بعيد عن وقت تفقده يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه عم ولما كان المذكور في وقت الاخبار عن مجيئه عرفوا ترتب عليه قوله **فقال احطت بما لم تحط به** يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء **وجئتك من سبا** قرئ مصروفا على انه اسم للحي او الاب الاكبر وغير مصروف على تاويل القبيلة والبلدة **بنبا** بخبر له شان انى بهذا النوع من الاطناب من جهة المعنى تشويقا له عم بكسر سورة غضبه **يقين** محقق **اني وجدت امراة** يعني بلقيس بنت شراحيل وانما قال وجدت دون رايت استعارا بغرابة الحال حيث كانت بتلك العظمة والشوكة وقرب المكان مجهولة لسليمان عليه السلام واصحابه **تملكهم** الضمير لسبا او لاهلها وانما لم يقل تملكها لانه اراد بيان ملكها وسلطنتها وتعيين ذلك بالاضافة الى اهل الديار لا بالاضافة اليها فقيه ايضا تقوية لمعنى الغرابة المقصودة بعبارة البنا حيث كانت امراة ملكة

في الكثرة

قبيلة عظيمة **واوتيت من كل شيء** قد نبهت فيما تقدم ان المراد من كل شيء في مثل هذا المبالغة ممن قبله يقول يحتاج اليه الملوك فقد فوت تلك المبالغة **ولها عرش** سرير **عظيم** كبير قدرا وقيمة **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** اضلهم الله تعالى **وزين لهم الشيطان** قالوا وفصيحة والجملة معطوفة على مقدر **اعمالهم** من عبادة الشمس وغيرها من قبائح الافعال **فصدهم** من صد السبيل اذا اعترض دونه مانع من عقبة او غيرها واخذ في غيره ففيه ثلثة معان المنع والدفع والصرف **عن السبيل** طريق الحق والصواب وانما اطلق السبيل لان السبيل الذي لا يجوز سلوكه ممنوع عنه فكانه ليس بسبيل **فهم لا يهتدون** اليه **الا يسجدوا لله** اي فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان وادغمت النون في اللام او زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان لا يسجدوا بزيادة لا وقرئ الا بالتخفيف للتنبيه ويسجدوا بمعنى يا اسجدوا بالنداء والمنادى مضمر اي يا هؤلاء اسجدوا لله وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من سليمان عم او من الله تعالى والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها **الذي يخرج الخبء في السموات والارض** لخبء ما يخفى في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** وصفه له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود وردا على من يسجد لغيره وتقديم ما يخفون على ما يعلنون مع ان مقتضى اسلوب الترقي تأخيره عنه للتسوية بين جزئي الكلام في الاهتمام **الله لا اله الا هو رب العرش العظيم** الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين عظمه وعظم عرشها بون عظيم وقرئ العظيم بالرفع نعتا لله تعالى **قال** سليمان عم للهدهد **سننظر** من النظر بمعنى التامل **اصدقت** فيما اخبرت به **ام كنت من الكاذبين** هذا ابلغ من اكذبت لانه اذا كان معروفا بالاكذب مع عظيم وبالغ فيه **اذهب بكتابي هذا فالقه** انما امره بالالقاء لان الطائر لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولة الا انه ضمنه معنى الايصال ولذلك قال **اليهم** اي اطرحه على وجه يصل اليهم ولما كان المقام مقام التأني الذي يقتضي قدرا من الزمان نبه عليه بقوله **ثم تول عنهم** تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يفعلونه بنظر منك على ما دل عليه

قوله فانظر ماذا يرجعون من الترجع لاس الرجوع اي ماذا يردون في مقابلة كتابنا قالت
يا ايها الملاء اي قالت ملكة سبا لاشراف قومها بعد ما فعل هدهد ما امر به اني القي الي
كتاب كريم حسن مضمونه او مختوم قاله . كرم الكتاب ختمه انه من سليمان استيناف
كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب وانه اي وان المكتوب او المضمون
وقرئ بالفتح على الابدال بالكتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا الا ترفعوا علي وان مفسرة او مصدرية فيكون بصلة جر محذوف اي بان او المقصود
ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين منقادين فقولها ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها صحيح في ان الدعوة كانت دعوة السلطنة لا دعوة النبوة قالت يا ايها الملا افتوني
اشيروا علي في امري في الامر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق
الاستعارة من الفتى في السن والمراد هنا الاشارة عليها بما عندهم من الراي وقصدها
بالرجوع الى استشارتهم تطيب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ولذلك قالت
ما كنت اي في الزمان الماضي قاطعة فاصلة امرا اي ممضيه حتى تشهدون بكسر
النون والفتح لحن لان النون انما تفتح في موضع الرفع وهذا موضع النصب واصله
تشهدونني فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء في الاصل
والوقف اي بحضوري اي كانت عادتي ان لا ابت امرا الا بحضركم فكيف في هذه النازلة
الكبرى فراجعها الملاء بما يقر عينها من اعلامهم اياها ما بهم من القوة والكثرة ثم سلموا
الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واولوا
باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد والالات وبالباس النجدة والبلاء في الحرب
اي قادرون على القتال لا فتور فينا ولا قصور لو قدرعددنا وعددنا وانما قدموا هذا
الكلام كيلا يتوهم العجز من تفويض الامر اليها بقولهم والامر اليك موكول فانظري
ماذا تامرين من الحرب والصلح نطعك ونمتثل امرك قالت ان الملوك اي بصيغة الجمع
تنصيصا على تعميم الحكم للافراد فان في الجنس احتمال الخصوص اذا دخلوا قرية بجيوش عنوة
بقرينة قوله افسدوها بالتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالنهب والاسر فهل تستقيم لهم
الامور زينت ما احست منهم من الميل الى المحاربة بادعائهم اسباب الغلبة
وذكرت لهم سوء عاقبة الحرب واشعرت بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان
خططهم فيسرع الى اسراف ما يعتاد من اموالهم وعماراتهم وكذلك يفعلون
تاكيد لما وصف من حالهم وتقرير بان ذلك عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها

من الله عز وجل واني مرسلة اليهم رسولا بهدية بيان لما تريد تفعله في المصالحة فناظرة
بم يرجع بالرعاية ام بالاهانة حتى اعمل بحسب ذلك المرسلون الرسول ومن ارسل معه
فلما جاء سليمان اي الرسول وقرئ فلما جاؤوا اي المرسلون قال اتمدونن بمال خطاب للرسول
ومن معه او الرسول والمرسل على تغليب المخاطب استفهام انكاري والفاء في قوله
فما اتاني الله تعليلية اي فالذي اعطاني الله تعالى من النبوة والملك وسخر لي الطير
والوحش والجن والانس والريح خير مما اتاكم فلا حاجة لي بهديتكم ولا وقع لها
عندي بل اضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي
حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها انتم بهديتكم
الهدية اسم لما يهدى كما ان العطية اسم المعطى فيضاف الى المهدي والمهدى له تقول
هذه هدية فلان تريد هو الذي اهداها واهديت اليه تفرحون لانكم لا تعلمون
الا ظاهر الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا
على امثالكم ارجع خطاب للرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلناتينهم اي ان لم ياتوني
مسلمين فلناتينهم بجنود بانواع من الجند لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل
المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من ديارهم اذلة
بالذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك وهم صاغرون الصغار ان يقعوا
في اسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو
مؤيد من عند الله وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في اخر سبعة ابيات وغلقت
الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان عم اني قادمة اليك
لانظر ما الذي تدعو اليه وشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما
بلغت على راس فرسخ من سليمان عم قال سليمان عليه السلام يا ايها الملا ايكم
ياتيني بعرشها اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب
على يده لتطلع على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عم حتى تصدقه فيها من
وتم انه قصده في ضمن هذا ما يجري اجري علما تعف عليها قبل ان ياتوني مسلمين
مستسلمين وانما نوص وصف الاسلام اعلاما بان طلبه عرشها ليس طمعا فيه فان
النبي بمعزل عن مظنة الطمع في مال من علم انه ياتيه مستسلما وانما قبل اتيانها لانه
لحظر عليه ما لها بلا بوبته فانما يصح وجها لطلبه عرشها قبل اتيانها مسلمة لا
لتقييد امره بذلك القيد قال عفريت العفريت الخبيث المنكر المعفو واوانه ولا اصل

له بحق ولذلك احتيج الي البيان بقوله من الجن روي عن ابن عباس رضه انه صخر الجني انا آتيك
صالح للتعلية والاسمية به قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه للقضاء وهو من الغداة
الي نصف النهار واني عليه اي على الاتيان به لقوي لقادر وانما عبر عن القدرة بالقوة للحاجة
في تحصيل ما ذكر الي القدرة بالقوة امين ات به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال
الفصل بين القولين لان احد القائلين لم يكن من جملة المخاطبين والطاعة هو كان منهما و
احتمال ان يكون المراد من القائل الثاني سليمان عم يرده كاف الخطاب في آتيك فانه
حقه ان يقول انا آتي به وايضا لا يناسبه قوله فلما رآه انما المناسب ان يقول
فلما اتي به والمشهور انه آصف بن برخيا كاتب سليمان عم ويناسبه التعبير عنه بقوله
الذي عنده علم من الكتاب وفي التوصيف به اشارة الى انه ما قدر عليه قدر عليه
ليس بقوة جسدانية بل بقوة صمدانية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك
الاجفان اي بين امتداد الطرف بفتحها وارتداده بطبقها وليس فيه وضع الطرف
موضع النظر فلما رآه اي العرش والفاء فصيحة اي اذن له سليمان فاتي به فلما رآه
مستقرا عنده ثابتا غير مضطرب لديه وقراره في موضعه امر آخر وراء حضوره يحتاج
الي فضل زمان بحسب العادة وبهذا الاعتبار كان لعبارة مستقرا فضيلة على
عبارة حاضرا قال تلقيا للنعمة بالشكر هذا الذي حصول مرادي وهو حضور العرش
في طرفة العين من فضل ربي علي واحسانه الي من غير استحقاق مني ليبلوني
ليتعبد بي في صورة الاختبار أأشكر انعامه ام اكفر احمده ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن وصمة الكفران ويستجلب
المزيد ويرتبط به العتيد ومن كفر صدف جزاؤه وهو فانما يكفر على نفسه اي ضرر كفره
عليه لا يتعداه لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينة واقيم تعليله مقامه فان ربي غني
عن الشكر لا يفتقر ان لم يشكر كريم بالانعام لا يتوقع عوضا ولا ينفعل لوضوح
بتفضل عند عدم حصوله فالوصف المذكور من تمام التعليل قال نكروا اراد بتنكير
عرشها تغيير معالمه عندها ولذلك زاد قوله لها لا تبديل شكلها وتغييرهيأتها ادخ
يكون منكرا مطلقا لا منكرا عندها فقط وايضا مدار الاختبار على التغيير في الجملة واما وجه
الاختبار فبيانه في تفصيله عرشها ننظر بالجزم على الجواب وقرئ بالرفع على الاستيناف
أتهتدي الي الجواب الصواب وقيل الي الايمان بالله ورسوله ويرد عليه انه لا حاجة
الي التنكير بل لا وجه له لان ابقاءه على حاله اعون على تحصيل هذا المراد والله الهادي

الي سبيل الرشاد ام تكون ام تظهر كونها من الذين لا يهتدون اي لا يقدرون على الاهتداء
قالوا ان الشياطين خافوا ان يتزوجها سليمان عم فيولد له منها ولد يجتمع له فطنة الانس
والجن لانها كانت جنية فيخرجون من ملك سليمان الي ملك هو اشد واقطع فقالوا له
ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش
وتعرف ساقها ورجلها باتخاذ الصرح عليها يأتي بيانه فالمراد من كونها من الذين
لا يهتدون كونها من الطائفة الحمقى ومن هنا تبين وجه الاطناب فلما جاءت الفاء
فصيحة والمقدر بطي بادي تامل قيل أهكذا عرشك ها للتنبيه والكاف للتشبيه
وذا اسم الاشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا
قالت كأنه هو فاجابت احسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها
حيث لم تقطع في المحتمل للامرين ولما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم
بقولها كأنه هو مع انها علمت عرشها فاوتينا العلم من قبلها من تمام كلامها اي واوتينا
العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل
هذه الخارقة للعادة وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك وكانها وقفت على
قصد سليمان عم بذلك اولا وآخرا وصدها كلام مبتدأ من الله تع ما كانت تعبد
من دون الله اي منعها عن التقدم الي الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني
الكفرة ثم بين نشأها بينهم بقوله انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على
الابدال من فاعل صدها نشوها بين اظهار الكفرة او على التعليل فيكون لام التعليل محذوفا
من ان قيل لها ادخلي الصرح الصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف ومنه
قولهم صرح بالامر اذا افصح به ولم يكن عنه وكان ذلك الصرح من زجاج ابيض شفاف
تحته ماء جار فيه سمك فلما رأته حسبته لجة اللجة معظم الماء وكشفت عن ساقيها
لتخوضه الواو فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فشمرت ذيلها فالمترتب على الحسبان
مجموع المعطوفين والواو المذكور كاشفة عن هذا وكان سليمان عم على سرير في
صدر الصرح فرأى ساقها وقدميها حسانا فصرف بصره ثم قال لها انه صرح ممرد
مملس مستو ومنه الامرد من قوارير من الزجاج واراد سليمان عم تزوجها فكره
شعرها فعمل لها الشياطين النورة فازالته فنكحها قالت رب اني ظلمت نفسي
بعبادة غيرك وأسلمت مع سليمان اي تابعة اياه لله رب العالمين فيه التفات عن
الخطاب الي الغيبة اظهارا لباعث اسلامه له تع وهو الربوبية المستتبعة لربوبية العالمين

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا بدل ان اعبدوا الله بان اعبدوا الله اي وحدوه
فاذا للمفاجاة هم مبتدا فريقان خبر يختصمون صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا قوم
صالح فريقان مؤمن به وكافر به فيقول كل فريق الحق معي وقد مر تفصيله في سورة الاعراف
قال حين قال الذين كفروا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدون به قبل الحسنة قبل التوبة
لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب
بكم لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه
لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغم التاء في الطاء وزيدت
الالف لسكون الطاء وبمن معك من المؤمنين قال طائركم عند الله اي سببكم
الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته او عملكم مكتوب عند الله
فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة وقد مر اصل ذلك في تفسير قوله تعالى وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه بل اضراب من بيان السبب الى بيان سبب التسبب
انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء وكان في المدينة مدينة ثمود
وهي الحجر تسعة رهط تسعة انفس والرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم
رهط كذا قال القرطبي يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد
الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله خبر في محل
الحال باضمار قد لانه ماض اي قالوا متقاسمين او امر اي امر بعضهم بعضا
بالقسم لنبيتنه لنقتلنه مباغتة ليلا واهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه
لرهطه الذي له ولاية الدم ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله المهلك من اهلك
يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا المهلك بكسر اللام وقرئ بالفتح ايضا فيكون
مصدرا اي لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له او ما حضرنا موضع هلاكه فكيف
توليناه وانا لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة
وهم لا يشعرون بذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان ان كانت ناقصة فخبرها
كيف وان كانت تامة فكيف حال انا دمرناهم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف او
خبر محذوف وقرئ بفتحها على خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال
او يكون التقدير لانا وحذف حرف الجر وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية
ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط او خالية من الخوي وهي حال عمل فيها

ما دل

الجزء العشرون

ما دل عليه تلك بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك فيما فعل بثمود لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا
الذين آمنوا بصالح وكانوا يتقون عصيانه ولوطا اي واذكر لوطا او وارسلنا لوطا
لدلالة ولقد ارسلنا عليه والاول انسب لما نزل اولا والثاني لما نزل مكررا اذ قال بدل من لوطا
على الاول اي واذكر وقت قول لوط وظرف على الثاني لقومه اتاتون الفاحشة الاستفهام للانكار
والتوبيخ والفاحشة الفعلة القبيحة والمراد اللواطة ابهم هنا ثم بينها بقوله لتاتون
الرجال تفسيرا وتنبيها على ان سبب الفاحشة بلغ الغاية فيها حتى صار علما لها ثم اثبت
في البيان المذكور تنبيها على ان المراد من الفاحشة محلها بطريق المجاز واياما كناية عن فعل
اللواطة وانتم تبصرون والحال ان لكم ابصارا يعني ان قباحة ذلك المحل من المحسوسات توجد
البصر كاف في ادراكها ائنكم لتاتون الرجال اثر الرجال على الذكور ليزداد قبح الاتيان
المذكور شهوة للشهوة ناظر الى قوله وانتم تبصرون كانه قبل القباحة في درجة حق من له البصر
ان يرغب عنه نفرة وانتم ترغبون فيه شهوة من دون النساء يعني ان الله انما خلق
الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل الجاهلين فانها فاحشة مع علمكم بذلك او اريد بالجهل السفاهة والمجانة
التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل انتم قوم تفتنون فغلب
الخطاب على الغيبة لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين فما كان
جواب قومه الا ان قالوا خبر كان جواب واسمه ان قالوا اخرجوا آل لوط اي لوطا و
متبعيه تناول الامر لهم دلالة انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
فينكرون هذا الفعل القذر ويعظنا انكاره تعليل للامر المذكور على وجه يعني الاستهزاء
لانه على طريقة لانك لانت الحليم الرشيد فانجيناه واهله يعني من
العذاب الواقع بقومه الا امراته قدرناها اي قدرنا كونها [illegible] للتعليل
من الغابرين الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر تفسيره في
سورة الشعراء قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالسلام
على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل
شيء وهو تعليم لكل متكلم في امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما او هو
خطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه
من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم آلله خير اما يشركون لا خير فيما اشركوه اصلا
حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم لتنبيههم

على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الابقى ثم عدد سبحانه
الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال امن بل امن خلق السموات والارض
تقرير لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم من السماء
ماء مطرا وفي قوله لكم تنبيه على ان الغيث وان لم يخل عن الغيث الا ان المقصود من انزاله
النفع فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته
وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها
بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده به بالماء حدائق الحديقة البستان عليه حائط من الاحداق
وهو الاحاطة ذات لم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت
بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها شجر الحدائق ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره االه
مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ من تخطئة رايهم امن
جعل الارض وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها
للاستقرار عليها وجعل خلالها ظرف اي وسطها وهو المفعول الثاني والاول انهارا
وبين البحرين مثله وجعل لها للارض رواسي جبالا تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين
العذب والمالح حاجزا مانعا ان يختلطا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا
يؤمنون امن يجيب المضطر اذا دعاه الاضطرار افتعال من الضرورة وهي
الحالة المحوجة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والذي احوجه
مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء الى الله تعالى او المذنب اذا
استغفر او المظلوم اذا دعا واللام للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة
كل مضطر ويكشف السوء اي الضر او الجور ويجعلكم خلفاء الارض اي فيها
وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك
والتسلط وهذا اتم من الاولين واعم واجل وقعا واتم ولهذا فصل بعدم التذ
وبولع فيه االه مع الله قليلا ما تذكرون ما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا
ويجوز ان يراد بالقلة العدم امن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر ليلا
وبعلامات في الارض نهارا والظلمات ظلمات الليل واضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات
الطرق على الاستعارة ومن يرسل الرياح بشرا من البشارة وقد مر في سورة الفرقان

بين يدي رحمته قدام المطر االه مع الله تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة
العاجز المخلوق تذييل كالنتيجة للايات السابقة امن يبدا الخلق ثم يعيده انما قيل لهم
ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانه ازيحت علتهم بالتمكن من المعرفة والاقرار ولم يبق
لهم عذر من الانكار ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية
االه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين
في دعواكم ان مع الله الها آخر قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا
الله من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعوله والله
بدل من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله تعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض
ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب
والبدل في المنقطع كما في المتصل يقولون ما في الدار احد الا حمار نزلت الاية في المشركين
حين سالوا رسول الله عليه السلام عن وقت الساعة وما يشعرون ايان تقدم في الاعراف
يبعثون بل ادارك اي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا وقرئ
ادارك اي استحكم واصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد الف الوصل ليمكن
التكلم بها علمهم في الاخرة اي في شان الاخرة والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله
بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون الاضرابات الثلث
تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم
لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة
مستطاعة ثم بما هو اسوا حالا وهو العمى وقد جعل الاخرة مبتدا عماهم ومنشاؤه ربع
فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر و
التفكر وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم وذلك حيث شكوا
وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي
لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان
تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وءاباؤنا ائنا لمخرجون
اي من القبور احياء وتكرير حرف الاستفهام انكار بعد انكار ودليل على كفر مؤكد
مبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون لا نفسه لان همزة الاستفهام وان ولام

الابتداء كل منهما يمنع عن العمل فيما قبل والضمير في أئنا لهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم
لكن غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لأن المفعول جرى مجرى التأكيد
لقد وعدنا هذا أي البعث نحن وآباؤنا من قبل أي من قبل محمد، قدم هنا هذا على نحن
وآباؤنا وفي المؤمنين أخر عنه ليدل على أن المقصود بالذكر هنا البعث وثمة المبعوث
إن هذا إلا أساطير الأولين ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الإجرام لطف بالمسلمين في ترك
الجرائم كقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ولا تحزن عليهم لأجل أنهم لم يتبعوك ولم يسلموا
فيسلموا ولا تكن في ضيق في حرج صدرك مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فإن الله
يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد أي وعد العذاب إن كنتم صادقين في أن
العذاب نازل بالمكذب قل عسى أن يكون ردف لكم تبعكم ردف يتعدى بنفسه و
باللام ومن وهم أن تعديه باللام بتضمن معنى مثل دنا فقد وهم لأن ذلك المعنى حاصل
لردف ثم إن تعديه في وقرب يجيء لا باللام بعض الذي تستعجلون أي استعجلوا
العذاب الموعود وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم
يدل على صدق الأمر وجده وعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وإن ربك لذو فضل
أي إفضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب ولكن أكثرهم لا يشكرون أي أكثرهم
لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوع العذاب وإن
ربك ليعلم ما تكن ما تخفيه صدورهم قال الرماني الإكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه
أذى لمانع يصده عنه وما يعلنون يظهرون فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم
ولكن له وقت مقدر وما من غائبة في السماء والأرض سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة
وخافية والتاء فيهما كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة
في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية إلا في
كتاب مبين بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد من الكتاب اللوح إن
هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أي يبين لهم والقصص كلام يتلو بعضه بعضا فيما
يبني عن المعنى أكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار
وعزير والمسيح والاختلاف في ذهاب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه صاحبه وهذا
تحريك للمشركين على اتباع القرآن فإنه لما كان فيه بيان لأهل الكتاب وهم يرجعون إليهم
في كثير من أمورهم فكان حقهم أن يرجعوا إليه لأنه مرجع مرجعهم وكان منزلا على بعث منهم

١٠

وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون به إن ربك يقضي بينهم بين من آمن بالقرآن
ومن كفر به بحكمه أي بعدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمي المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل
عليه قراءة بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن
يقضي عليه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم إنك على الحق المبين علل التوكل
بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق
بحفظ الله ونصره إنك لا تسمع الموتى تعليل آخر للأمر بالتوكل من حيث
أنه يقطع طمعه من متابعتهم ومعاضدتهم رأسا وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء ثم أكد حال الأصم
بقوله إذا ولوا مدبرين لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد
عن إدراك صوته وما أنت بهادي العمي الهداية لا يلزمها الاهتداء دل على ذلك قوله
وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فلا حجة لهم في قوله عن ضلالتهم
حتى يكون المنفي الهداية المنجية عن الضلالة لا مطلق الهداية لأنها غير ممتنعة في حق
العمي إن تسمع أي ما يجدي إسماعك إلا من يؤمن بآياتنا إلا الذين يصدقون
أن القرآن كلام الله تعالى أوحي ينبت بنوته فيقبل قوله فيجدي إسماعه نفعا فهم
مسلمون مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله أي جعله سالما لله خالصا له
وإذا وقع القول عليهم سمي معنى القول ومؤداه وهو ما وعدوا من قيام الساعة
وعذابه بالقول ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها أخرجنا
لهم دابة هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب
وريش وجناحان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب من الأرض أي من أرض
مكة وروي أنه عم سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني
المسجد الحرام تكلمهم وقال أبو الجوزاء سألت عبد الله بن عباس رض تكلمهم أو تكلمهم فقال
كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقيل تكلم بالعربية وتقول أن الناس كانوا بآياتنا
خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى
قولها أو حكايتها لقول الله أو علة خروجها وقرئ أن بالكسر ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم
نحشر من كل أمة فوجا أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة ومن للتبعيض
لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ومن في قوله ممن يكذب
للتبيين بآياتنا المنزلة على أنبيائنا فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا

ثم يأتون الى موضع الحساب وهي عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة
حتى اذا جاؤا احضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تهديدا اكذبتم باياتي المنزلة
على رسلي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كأنه قال اكذبتم بآياتي بادي الرأي من غير فكر
ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف
اي اجمعتم بين التكذيب وعدم القاء الاذهان لتحققها امّاذا كنتم تعملون ام اي شيء
كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون
ان يقولوا فعلنا غير ذلك وانما جاء دخول ام على ما الاستفهامية لهذه النكتة فانها خرجت
عن حقيقة الاستفهام الى البت بالحكم لا بالمعادل بل بالاول ووقع القول عليهم بما
ظلموا حل بهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب فهم لا ينطقون فيشغلهم
عن النطق والاعتذار قال تعالى هذا يوم لا ينطقون الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم شدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا
جعل الابصار للنهار وهو لاهله للمبالغة فيه بجعل الابصار حالا من احوال المجعول جنسه
لا ينفك عنها وهذا من باب ما حذف من احد المتقابلين ما اثبت في الآخر فالتقدير
جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا لينتشروا فيه ومن غفل عن هذا قال
والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب
ان في ذلك لآيات لدلالتها على الامور الثلثة لان المعنى الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار
قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك
من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب
لقوم يؤمنون خصوا بتلك الآيات لاختصاص الانتفاع بها بهم ويوم واذكر يوم ينفخ في
الصور هو قرن والنافخ اسرافيل ع وروى ابو هريرة رض انه ينفخ ثلث نفخات الاولى
نفخة الفزع ثم بعده باربعين يوما نفخة الصعق ثم نفخة البعث فما قيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ليس بذاك ففزع الفزع الخوف والجزع اخوان لكن الفزع
ما يعتري من الشيء المخيف والجزع ما يعتري من الشيء المؤلم من في السموات ومن في
الارض من الهول وعبر عنه بالماضي للاشعار بصحة وقوعه وانه كائن لا محالة ولا حاجة
له هذا الاشعار في الاول لانه منشأ الفزع فالقطع بوقوع هذا يقتضي القطع بوقوع ذلك
الا من شاء الله لانه لا يفزع بان ثبت الله قلبه قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت عليهم السلام وقيل وكل اتوه حاضرون بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره

داخرين صاغرين وترى الجبال تحسبها حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة
من جمد في مكانه اذا لم يبرح وهي تمر مر السحاب اي مرا مثل مر السحاب والمعنى انك اذا ابث
الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته
الريح وهكذا الاجرام الملتصقة المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تتبين حركتها صنع الله
مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله تعالى فكانه قيل صنع صنعا
وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل الذي اتقن كل شيء اي احكم صنعه ولقد اصاب عبارة
الصنع والاتقان محزّهما وذلك ان بقاء صور الجبال بعدما تخلخلت وصارت كالعهن
المنفوش دل على كمال الاتقان من جهة الصنع وهو تركيب الصورة في المادة وهذا الا
تقان ينتظم كل شيء قويا كان تركيبه او ضعيفا انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال
وبواطنها فيكافيهم على حسب ذلك ثم فصل ذلك بقوله من جاء يوم القيمة بالحسنة
قال اكثر المفسرين الحسنة ههنا كلمة الاخلاص والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال في حقها
فكبت وجوههم في النار فله خير منها اي خير حاصل من جهتها وهم من فزع اي من فزع
شديد مفرط الشدة وهو خوف النار او من فزع ما وان قل وقرئ بالاضافة الى يومئذ
لانه جعل يوم مع اذ كالاسم الواحد والمراد يوم القيمة آمنون آمن يعدى بالجار
وبنفسه كقوله فامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة فكبت يقال كبه واكبه اذا نكسه
وجوههم انفسهم يعبرون عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها في النار اي القوا
على رؤسهم فيها ويقال لهم تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا
من الشرك والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة خصها من بين
البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليه
بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه عليه السلام ومهبط
وحيه الذي حرمها جعلها حرما آمنا وله كل شيء خلقا وملكا وصف ذاته بالتحريم
الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لذلك
تحتها ولا خفاء في ان اجراء الوصف على الله تعالى تعظيم لشان الموصوف ولشان ما يتعلق
الوصف وزيادة اختصاص لمن اجري عليه الوصف وجعل ذلك كالمتمم المتفرع
عنه ولا كذلك لو قيل التي حرمها ووصف البلدة تخصيصا او مدحا وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين له وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو لقوله
واتبع ما يوحى اليك امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة

ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان
اتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وسائر الاحكام وما يقتضيه الاسلام فمن اهتدى
باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن
ضل بمخالفتي وحذف جواب هذه الدلالة مقابله عليه فضرر ضلاله راجعة اليه لا الي ولما
حذف ذلك اقيم تعليله مقامه وهو قوله فقل انما انا من المنذرين اي وما انا الا
رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله ثم امرانه يحمد الله تع على نعمة النبوة
او على التوفيق للعلم والعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا وفي الاخرة
فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله تعالى ولكن حين
لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون
فلا تغرنكم تاخير العقوبة فانه امهال
لا اهمال والحمد لله على التمام و
على افضل رسله افضل
السلام وعلى آله
وصحبه اولي
الكرم والا
نعام

سورة القصص ثمانون وثمان آية مكية وخمسة الاف وثمانمائة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين اي من لازم ومتعد اي مبين خيره وبركته او مبين
اعجازه بيانه نتلو نقرؤ عليك اي يقرأ جبريل عم بامرنا ومفعول نتلو من نبأ النبأ
الخبر عما هو عظيم الشان موسى وفرعون اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق اي محقين
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون استئناف مبين لذلك البعض علا
تعظم في الارض بعني مصر وانما عبر عنه بما هو اسم لجهة السفل اشعارا بانه اظهر ضد ما
يليق بشانه وجعل اهلها شيعا فرقا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا فهو
كالتمهيد لما استانف اخباره في قوله يستضعف طائفة منهم بنو اسرائيل منهم
من الشيع المذكورة فانهم لو كانوا مستغنين لما يتسر له ذلك يذبح ابناءهم ويستحيي

نساءهم بدل من الاستيناف السابق وقد تقدم تفسيره في الاعراف انه كان من المفسدين
من رسخ المعر وفيه بالفساد فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير لتخيل فاسد ونريد حكاية
حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال
من يستضعف ويجوز ان يتحقق تعلق الارادة بتكوين في زمان مترقب وهذا التكون
نعم المنة او وقع وسلطان التقدير على التدبر اظهر ان نمن نتفضل عليهم بانقاذهم
من بأسه على الذين استضعفوا وانما قال في الارض مع عدم الحاجة اليه ههنا ليمتنع
جعل التعريف في الوارثين عوضا عن الاضافة اليها ونجعلهم ائمة مقتدين في امر
الدنيا والدين ونجعلهم الوارثين اي يرثون الارض المعهود ولما كانت الوراثة اقوى
سبب في الاستحقاق والتملك حيث لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد و
اسقاط استعيرت لاستحقاقهم بمن الله تع ونمكن لهم اصل التمكن ان تجعل للشي
مكانا يتمكن عليه ويوطد فيه ثم استعير للتسلط والطلاق الامر في الارض اظهر
مقام الاضمار تعظيما لشان تلك الارض ونري فرعون وهامان كان هامان وزير
فرعون ومدبر ملكه فلذلك شركه في اضافة الجنود اليهما في قوله وجنودهما منهم من بني
اسرائيل ويتعلق بريدون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا
يحذرون من ظهور موسى عم وان ذهاب ملكهم وهلاكهم فلبس بما رأوه من الحذر التوقي
من الضرر وزيادة كان لبيان استمرارهم مدة مديدة على ذلك الحذر واوحينا الى
ام موسى قد تقدم تفسيره في سورة طه ان ارضعيه اي الهمني تذكيته وان نفسيرة
او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه
في اليم قد مر تفصيله في سورة طه ولا تخافي في الغرق والضياع ولا تحزني بفراقه
والاخطار به الخوف عم يلحق لمتوقع والحزن عم يلحق لواقع انا رادوه اليك بوجه
لطيف لتربية وجاعلوه من المرسلين في هذه الآية امران ونهيان وخبران بشارة
فالتقطه الفا فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فارضعته الى ان خافت عليه
فالقته في اليم فالتقطه آل فرعون اي اخذوه وقد وجدوه من غير طلب مع
معنى الالتقاط ومنه اللقيط واللقطة ليكون لهم اي ليصير الامر الى ذلك لا انهم
اخذوه له كقولهم للموت ما تلد الوالدة وعن هذا سموا هذا اللام لام العاقبة
والصيرورة عدوا وحزنا وعما لقنا نكالعدم والعدم ان فرعون وهامان
وجنودهما كان هامان مدبر ملك فرعون وسايس جنده فلذلك اضافهم اليها

وكانوا خاطئين مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم او كانوا
خاطئين في كل شي فليس خطاهم في تربية عدوهم ببدع منهم وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين
او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرج من التابوت
قرة عين من تفسيره في سورة الفرقان لي ولك اي هو قرة عين لنا لانه لما راءاه اصيب
اخرج من التابوت احبنا وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله
كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلايل النفع وذلك لما رات برء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل
له وهم لا يشعرون حال وذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطر عظيم في التقاط
ورجاء النفع في تبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوفين مؤكدة
لمعنى خطائهم وقيل هو تمام كلام امراة فرعون اي نتخذه ولدا والناس لا يشعرون انه لملتقط
بل يظنون انه ولدنا واصبح فؤاد ام موسى معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام
فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت وقوعه في يد ال
فرعون وقيل من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه
وياباه قوله لتكون من المؤمنين ويرده على الكل قوله وقالت لاخته قصيه ان كادت
لتبدي به اي انها كادت لتبدي لتظهر به والضمير لموسى والمراد امره والباء صلة
لولا ان ربطنا على قلبها الربط على القلب تقويته بالهام الصبر والثبات لتكون
من المؤمنين من المصدقين بوعدنا وجواب لولا محذوف اي لابدته وقالت
لاخته قصيه اي اتبعي اثره بمعنى اتبعي الملتقطين به وتتبعي خبره فبصرت به اي راته
والفاء فصيحة عن جنب عن بعد وهم لا يشعرون اي ال فرعون لا يعلمون انها اخته
وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اي منعناه ان يرضع ثديا والمراضع
جمع مرضعة وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي و
قيل او الرضاع ولا بد الجمع من قبل ان راته اخته فقالت اخته وقد دخلت دار
فرعون بين المراضع وراته لا يقبل ثديا هل ادلكم ارشدكم على اهل بيت احترز بذلك
عن الرق وزيادة الاصل فانهما مما يحترز عنه في امر الرضاع يكفلونه لكم بالارضاع
وغيره وهم له ناصحون النصح اخلاص العمل من شايب الفساد وهو نقيض الغش روي
ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت

وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي من يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي
وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن ما اوتي بصبي الا قبلني فدفعه
اليها واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر
عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان موعده حق فيرتابون فيه ويشبه التعريض بما فرطها
حين سمعت بخبر موسى فزعت ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه و
ذلك يختلف باختلاف الاعصار والاقاليم واستوى واعتدل وتم استحكامه اتيناه
حكما وعلما فقها في الدين قبل ان يبعث نبيا وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى
وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة مدينة فرعون وهي مصر بعد
ان غاب عنه مدة على حين غفلة من اهلها وهو وقت القايلة وقيل بين العشا
وياباه قوله استنصره بالامس وانما قال على حين غفلة لان الغفلة هي المقصودة
فصار هذا كما تقول جئت حين غروب الشمس فانه لا يجوز ان يقال جئت على حين
غروب الشمس قيل لما اوتي موسى حكما وعلما عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك
فاخافوه وخافهم فكان لا يدخل المدينة الا خايفا مستخفيا فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما سبطي والاخر قبطي والاشارة على الحكاية
وفي عبارة العدو نوع دلالة على ما نقلناه انفا فاستغاثه فسال ان يغيثه بالاعانة
ولذلك عدي بعلى الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى اي دفع صدره
بجمع كفه فقضى عليه فقتله اصله انهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا
من عمل الشيطان اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد وانما جعل قتل الكافر من عمل
الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه لم يؤذن له في القتل وعن جريج
ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطا انه عدو مضل
مبين ظاهر الاضلال ويلزمه ظهور العداوة دون العكس قال رب اني ظلمت
نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له باستغفاره انه هو الغفور لذنوب
المستغفرين الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم جوابه محذوف تقديره
اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا معينا للمجرمين الكافرين
او استعطاف كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني

طهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب
بركوبه كالولد مع الوالد وقيل اراد به اني لا اعين بعد هذا اسبطيا وكانوا يومئذ كفارا ومعنى
من شيعته من فرقة المتعصبة له نسبا لا دينا قال ابن عباس فلم يستثن اي لم يقل ان شاء الله
فابتلي ثانيه فاصبح في المدينة خائفا من قتل القبطي يترقب اي ينتظر ما يحدث بعد
فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعدها مبتدا استنصره بالامس يستصرخه يصيح به من
بعيد مستغيثا من قبطي آخر قال له اي لذلك السبطي موسى انك لغوي مبين بين
الغواية لانك تشارس من لا تطيقه وقيل لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ولا يناسب
فلما اراد ان يبطش لان تذكر موسى عم نسبته لذلك المحظور باعث الاحجام لا باعث
الاقدام واعا زيد ان للتاكيد والتقوية لمعنى الارادة والمقام يقتضيها وذلك ان ارادة
البطش ليست على صيغتها لانها لا تصلح ان يكون سببا للخوف بل كناية عن بسط اليد
نحو المقصود بالبطش والتي يتبعها الفعل ويراد بها اعلى الارادة البالغة الى حد العزم
لا مطلق الارادة بالذي اي بذلك القبطي الذي هو عدو لهما لموسى عم والسبطي قال
السبطي لموسى عم وقد توهم انه اراد اخذه لا اخذ القبطي حيث اغلظ له في القول اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا الجبار
فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد في الارض [illegible]
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن وكان
قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى عم علم القبطي ان
قاتله موسى فاخبر ملا فرعون فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره
كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذ اجعل من اقصى
المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان
الملا يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا
لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين
اللام للبيان وليس بصلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج
منها من المدينة خائفا يترقب التعرض له في الطريق وان يلحقه من يطلبه قال رب
نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه التوجه الاقبال
على الشيء تلقاء مدين قرية شعيب عم سميت باسم مدين بن ابرهيم عليه السلام
ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس خرج

خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسط
ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين وصل اليه ماء هم الذي يستقون
منه وكان بئرا وجد عليه وجد فوق شفيرها امة جماعة كثيرة من الناس انما قال من الناس
مع ان السقي لا يكون الا منهم تنزيلا لهم كانه قيل كانوا البالما لا يستحقون الا التعبير باسم
الجنس بل هم في ذلك في درجة احتاجوا الى بيان كونهم من جنس الانس يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء
لعجزهما عن المزاحمة مع تلك الامة ترك المفعول في يسقون وتذودان لان الغرض هو الفعل
لا المفعول اذ هو يكفي في البعث على سؤال موسى عم وما زاد على المقصود يعد لكنة وفضولا
واما البعث على المزاحمة فليس هذا موضعه فان له قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا
شيخ كبير قال موسى عم ما خطبكما اي ما شانكما تذودان سالهما عن سبب الذود فاجابا
بما مرجعه الى العجز عن المزاحمة او الاجتناب عن المخالطة ولما اتجه ان يقال خدمة السقي
كانت للرجال فما بالكم تباشرونها تداركتا الاعتذار عنه بما تقريره ليس لنا راع وابونا
شيخ كبير تحذف صدر الكلام الاستئنافي لدلالة الواو والفصيحة في اول الباقي عليه قالتا
لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء وقرئ يصدر اي ينصرف
والرعاء جمع راع وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا عطف على محذوف
بيناه آنفا شيخ كبير في السن لا يقدر على الرعي والسقي فسقى لهما فسقى عنهما لاجلهما
رغبة في المعروف واعانة للملهوف روي انه كانت ثمة بئر اخرى عليها صخرة فاقلعها وحده
واستقى منها ثم تولى الى الظل اي ظل شجرة فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
محتاج الى الطعام قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق ظهره ببطنه فقد كان يكفيه
رب اني فقير الآية قدم بيان سبب حاجته تمهيدا للاعتذار عما ارتكبه من مخالفة المعتاد
وبالخروج الى السفر البعيد بلا زاد ومراده من النازلة المذكورة ما ابتلاه الله به من قتل
القبطي فانه كان سببا لهروبه من مصر بلا تدارك لعدة السفر وانما بينه بقوله من خير دفعا
لما يتراءى من ظاهره التشكي وانما جزم بكونه خيرا لعلمه بان الخير ما اختاره الله فجاءته
احداهما الفاء فصيحة روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه تمشي على استحياء
اي مستحيية قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافئك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا
روي انها لما قالت ليجزيك اجر ما سقيت لنا كره ذلك وانما جاء بها لئلا يخيب قصدها

[illegible]

لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب عم الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب عم الست جايعا
فقال بلى ولكني اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا
ولا ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عم هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل فلما جاءه
القا فصيحه اي اباهما موسى عم فلما جاء اباهما وقص عليه القصص مصدر كالعلل سمي به
المقصوص قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين اذ لا سلطان لفرعون بارضنا
قالت احديهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره لرعي الغنم ان خير من استاجرت
القوي الامين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل
خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه مجرب معروف روي ان شعيبا عم قال
لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته وامرها بالمشي
خلفه قال اني اريد ان انكحك ازوجك احدى ابنتي هاتين لا دلالة فيه على انه
كانت له غيرهما اذ يكفي في الحاجة الى الاشارة عدم علم المخاطب بانه ما كانت له غيرهما
على ان تاجرني تكون اجيرا لي من اجرته اذا كنت له اجيرا ثماني حجج ظرف والحجة
السنة لان في كل سنة حجة فسموها بها ونصبها ابانا تعطيها لها والمعنى على ان تجعل
اجرى على تزويج اياك ابنتي رعي ماشيتي ثماني سنين والتزويج على رعي الغنم جايز
في شريعتنا ايضا فان اتممت عشرا اي عمل عشر حجج فمن عندك اي فذلك
تفضل منك ليس بواجب عليك او فاتمامه من عندك ولا احتمه عليك ولكنك ان
ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين
او المناقشة في مراعات الاوقات واستيفاء الاعمال وحقيقته شق عليه الامر انه
اذا انقاطك فكانه شق عليك ظنك بانني نقول تارة اطيقه وطورا لا اطيقه
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز
ان يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشية الله فيما
وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته قال موسى عم ذلك مبتدا وهو
اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عم والخبر بيني وبينك يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني
فيه وشارطتني عليه قايم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت
عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت اي نصب بقضيت وما زايدة
مؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي اي يعتدي علي في طلب
الزيادة عليه فاكد الجنة قد علم انه لا عدوان عليه في اتمها ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم

في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل والله على ما نقول من المشارطة
وكيل شهيد وكل اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب فلما قضى موسى
الاجل قال عم قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وسار باهله بامراته نحو مصر آنس من
من جانب الطور من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا ابقوا مكانكم اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر من تفسيره او جذوة بفتح الجيم وكسرها وضمها قطعة غليظة
من الحطب كانت في راسه نار اولم يكن ولذلك بينه بقوله من النار لعلكم تصطلون
من تفسيره فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من الشاطئ
الايمن لموسى عم في البقعة المباركة بتكليم الله فيها متصل بالشاطئ او صلة لنودي
من الشجرة بدل من الشاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى
ان مفسرة او مخففة من الثقيلة اني انا الله رب العالمين هذا يوافق ما في سورة
طه والنمل في المقصود وان خالفه في اللفظ لما دنى من النار شملته انوار القدس واحاطت
به جلابيب الانس فخاطب بالطف خطاب واستدعى منه احسن جواب فصار بذلك مكلما
شريفا اعطي ما سال وامن مما خاف وان الق عصاك ونودي ان الق عصاك
فالقاها فقلبها الله ثعبانا فلما رآها القا فصيحه تهتز الاهتزاز شدة
الاضطراب في الحركة كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب من تفسيره يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف اسلك يدك في جيبك قال في
سورة النمل وادخل يدك في جيبك عطفا على قوله الق وترك العطف هنا كيلا يذهب
الوهم الى عطفه على اقبل تخرج بيضاء من غير سوء من تفسيره واضمم اليك جناحك
اريد بضم جناحه اليه تجلده وضبط نفسه عند خروج يده بيضاء حتى لا يتحرك ولا يضطرب
من الخوف استعارة من هيئة الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحا
مضمومان اليه مشمرا ن فهذا القول هنا بمنزلة قوله ولا تخف انك من الآمنين فيما
تقدم من الرهب من اجل الرهب جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به
من ضم جناحه اليه والرهب الخوف مع تحرز واضطراب فذانك مخففا مثنى ذاك وشددا
مثنى ذلك واحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا برهانان
حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره
الرجل اذا ابيض وقيل فعلال من قولهم بوهو من ربك مرسلا بهما الى فرعون
وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت

منهم نفسا فأخاف أن يقتلون بها وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا
الردء العون الذي يدفع الشر عن صاحبه يصدقني اي ردءا مصدقا وقرئ بالجزم
جوابا للارسله ومعنى تصديقه موسى عم اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال
ان احتاج ليثبت دعواه اني اخاف ان يكذبون تعليل يقوم مقام الجواب المحذوف
على قراءة يصدقني بالرفع قال سنشد عضدك بأخيك سنقويك به اذ اليد تشتد
بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ونجعل لكما
سلطانا غلبة وتسلطا او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق
بيصلون اي لا يصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام او بنجعل لكما سلطانا اي تسلطا
بآياتنا او بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او قسم جوابه محذوف وهو لا يصلون صرف
لدلالة ما قبله عليه او هو بيان للغالبون في قوله أنتما ومن اتبعكما الغالبون لا صلة
له بل للذي بينه وهو الغالبون المقدر او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي
لامتناع تقدم الصلة على الموصول ومعمول الصلة في حكمها فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات
واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلق لم يفعل من قبل مثله او سحر تعمله
ثم تفتري به على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا
يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين حال منصوبة عن هذا اي كائنا في
زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرئ بغير واو لانه قال جوابا لمقالتهم ووجه العطف
ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحها من الفاسد ومن
تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية
هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب
انما قصد بالعرض انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة
في العقبى والاتيان بصيغة الجمع للايذان بان جميعهم لا يفلح وقال فرعون يا أيها
الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم به ولما كان الكلام في نفي العلم في مقام يقتضي نفي الوجود وعلى تقدير
ثبوته اشتباه الحال فرتب عليه الامر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على حقيقة الحال
بقوله فأوقد لي يا هامان على الطين قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه
على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط

الكلام وامره بما يؤمر به السوقة فاجعل لي صرحا القصر البناء العالي الظاهر ومنه التصريح
لظهور المعنى لعلي اطلع الطلوع والاطلاع الصعود وتعديته بالى وانما تعديته بعلى باعتبار
تضمينه معنى الاشراف الى اله موسى حسب انه في مكان كما كان هو فيه واني لأظنه من
الكاذبين في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا والظن هاهنا ليس بمعناه المتعارف
المصطلح وهو الاعتقاد الراجح بل بمعناه اللغوي وهو ما لا يكون جازما سواء كان
راجحا او مرجوحا او مساويا واستكبر هو وجنوده اي تعظموا في الارض ارض مصر بغير
الحق بالباطل لانه كان بغير استحقاق فان الاستكبار بالحق لله تعالى وظنوا
عبر عن اعتقادهم وان كان جازما بالظن تحقيرا له انهم الينا الى حسابنا وجزائنا لا
يرجعون يوم القيمة وليس هذا بعذر لهم بل ذم لهم بالجهل وترك التأمل في الآيات حتى
تعقلوا فأخذناه وجنوده اخذ عقوبة فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به
على عظم شانه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن
احد بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال يدعون الى النار الى موجبها من الكفر
والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين
من المطرودين او ممن قبح بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين ولقد آتينا
موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وعلى نبينا
بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به الرشد كما ان البصر
نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر
ولا تعرف حقا من باطل وهدى وارشادا الى الشرائع التي هي سبيل الحق ورحمة لانهم لو عملوا
بها نالوا رحمة الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت يا محمد
بجانب الجبل الغربي وهو الذي وقع فيه ميقات موسى عم فانه كان في شق الغرب
من مقامه او الجانب الغربي منه على انه من قبيل اضافة الشيء الى صفته كقوله ولدار الآخرة
اذ قضينا اوحينا الى موسى الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي
اليه او على الوحي عليه وهم نقباؤه السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره
عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه
بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا

بعد موسى فتطاول الامد فخفيت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك
واقيم سببه مقامه متضمنا لدفع ما عسى ان يخطر بالبال من احتمال ان يكون اخباره عن ذلك
بطريق الاخذ من افواه الرجال وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب عم والمؤمنين
تتلو تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصة شعيب عم وقومه وتتلو في موضع نصب
خبر ثان او حال من الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا موسى ان اخذ الكتاب بقوة ولكن رحمة من ربك
اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا اظهارا لنبوتك وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين خالد بن سنان العبسي
لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر
والمعاصي ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي نسبت الاعمال اليها وان كان من اعمال
القلوب تغليبا للاكثر على الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف
والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض
من واد واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة
بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها و
نكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم
فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون
سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال فادخلت
عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول
هو المقصود بان يكون سببا بانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة فنتبع
آياتك اراد بالآيات المعجزات وباتباعها العمل بموجب دلالتها فقوله ونكون من المؤ منين
اي من المصدقين به سلك كالمتفصل له فلما جاءهم الحق من عندنا اي القرآن او الرسول
المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب
المنزل جملة واحدة او من الآيات كاليد والعصا اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن
مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عم بما اوتي موسى من قبل
من قبل هذا القول قالوا ساحران يعني موسى ومحمد عليهما السلام وقرئ سحران اي

التورية

التورية والقرآن تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين واسناد تظاهرهما
اليهما دلالة على سبيل الاعجاز وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء عليهم السلام
قل فاتوا بكتاب من عند الله اي فاذا كذبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين فاتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى
اتبعه جواب فاتوا ان كنتم صادقين في انهما سحران مختلقان لا هداية فيهما وهذا
من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولهذا الحذف شايع عند ذكر
الداعي وتعديته اليه باللام والى الدعاء بنفسه واما قول الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فلا تعدية فيه الى الداعي فاعلم انما يتبعون
اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير
هدى من الله في موضع الحال للتاكيد او التقييد لان هوى النفس قد يوافق الحق ان
الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم ولقد وصلنا لهم القول التوصيل تكثير
الوصل وتكريره يعني ان القرآن اتاهم متتابعا في الانزال ليتصل التذكر او في النظم لتتقرر الد عوة
بالحجة والمواعظة بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون ليتذكروا فيفلحوا الذين
آتيناهم الكتاب من قبله من قبل القرآن وخبر الذين هم به بالقرآن يؤمنون نزلت
في مؤمني اهل الكتاب واذا يتلى القرآن عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق
من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله من قبل نزول القرآن
مسلمين كاينين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عم وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه
حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان يكون ايمانا
قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة
على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله او
بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية
لقوله عم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة وتوديعا ودعاء لهم
بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر
على ان تنور قلب من احببت بنور الهداية فانك شفيع الجناية لا شريك الهداية ولكن الله
يهدي من يشاء لقد اصاب كل من عبارتي الحب والمشية محزها وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين

لذلك قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي طالب وان كانت الصيغة عامة وقالوا
ان نتبع الهدى معك اي ولو قال المشركون يا محمد ان نتبع الهدى فنكون معك او نتبع الهدى
الذي معك وهو القرآن نتخطف التخطف الاستلاب بسرعة من ارضنا نخرج منها
في الحال وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم عن معارضته فرد الله عليهم بقوله اولم
نمكن لهم اي الم ندفع عنهم شر العرب ولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نجعل مكانهم في حرم
ذا امن لا يسبون فيه ولا يغار عليهم ولا يتعرض لهم بمكروه ثم هذا الحرم في موضع لا ضرع
فيه ولا زرع يجبى اليه ثمرات كل شيء اي تجمع وتجلب اليه من كل شيء ارفعه وانفعه كما يقال
ثمرة الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء رزقا مصدر لان معنى يجبى اليه
يرزق او مفعول له او حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما ينتصب
عن النكرة المتخصصة بالصفة من لدنا اي تفضلا منا فاذا كان حالهم وهم عبدة
الاصنام بهذا فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل متعلق بقوله من
لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا انه من عند الله لعلموا
ان الخوف والامن ايضا من عند الله تع ثم بين ان الامر بالعكس بانهم احقاء بان يخافوا
من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وكم من قرية
كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم
وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل او بجعلها ظرفا بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير ظرف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها
او مفعول على تضمين بطرت معنى كفرت والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ
حق الله تع فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الآثار تشاهدونها في الاسفار
لم تسكن حال والعامل فيها الاشارة الا قليلا من السكنى اي لم يسكنها الا
المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها
اي لا يملك التصرف فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى اي ليس في عادته ان
يهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها لان اهلها يكون
افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة او وما كان في
حكم الله وسابق قضائه ان يهلك قرى الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة
رسولا وهو محمد عليه السلام والظاهر المناسب لعبارة ما كان ربك هو الاول وما كنا

مهلك

مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء
في محل النصب على الحال الضمير العائد من الصلة الى الموصول اي وما اوتيتموه كائنا من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع
وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك
لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه دائم لا ينقطع افلا تعقلون ان الباقي خير من
الفاني فتستبدلونه به وقرئ بالياء التحتانية وهو ابلغ في الوعظ افمن وعدناه وعدا
حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لعدم الخلف
في وعده كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب
للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب والفاء الاولى
لترتيب الانكار المستفاد من الاستفهام والمعنى انه لما ذكر التفاوت بين متاع
الحيوة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين
ابناء الدنيا وابناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن
الوعد وثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب
باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركائي فحذف
المفعولان لدلالة الكلام عليهما ويجوز حذفهما في باب ظننت وان لم يجز الاقتصار على
احدهما قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين
والذين صفة له اغويناهم خبر المبتدأ ويفيد بقوله كما غوينا فيستفيد من الخبر
ما لم يستفد من الصلة والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم
فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختياره هم
لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذن بين غينا وغيهم فان
تسويلنا وان كان داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان
بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب فهو
كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم
ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدأ والذين اغوينا خبر المبتدأ واغويناهم استئنافا
اخبار مبتدأ بقوله غوينا تبرأنا اليك منهم مما اختاروا من الكفر ما كانوا ايانا يعبدون

بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين عن العاطف لكونهما مقررتين للاولى
وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم اي الهتكم لتخلصكم من العذاب فدعوهم لا لفرط
الحيرة بل لضرورة الامتثال فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة اذ يومئذ ينطق كل
شيء بل لعجزهم عن الاستجابة ورأوا العذاب الضمير للتابع والمتبوع لو انهم كانوا
يهتدون جواب لو محذوف اي لما رأوا العذاب ويوم يناديهم عطف على الاول
فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم ثم عن تكذيبهم الانبياء عم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفي عليهم الاخبار
والاعذار خفاء لا يرجى زواله فلم يستطيعوا ان يجيبوا بما فيه نجاة لهم واتى بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن العذر والجواب رجاء
ان يكون عنده ما ليس عند نفسه لانهم يتساوون في العجز عن ذلك بالسبب المذكور
على ما افصح عنه الفاء التفريعية لا لفرط الدهشة كما توهم فاما من تاب من الشرك
واما هذه للاشعار بزيادة اعتناء بشأن ما دخلت عليه فيما سيق له الكلام
كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ وتصديره بالفاء لتفرعه على ما تقدم معناه
فيه وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من
المفلحين يومئذ وعسى من الكرام تحقيق او ترج من التائب بمعنى فليتوقع
ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار المشيئة لجامع الايجاب بالذات
دون الاختيار ففيه تنصيص للرد على الفلاسفة كما ان في اثبات المشيئة تنصيص
للرد على من زعم انه تعالى يقتضي العالم اقتضاء النار للاحراق ما كان لهم الخيرة
ترك العاطف لانه تقرير لما قبله فان معنى ويختار ويخلق ما يختار اي يدخل تحت تكوينه
كل من تعلق به اختياره ويلزمه ان لا يكون لاختيار الغير تاثير والا لجاز ان يدخل بعض
ما اختاره الله تعالى تحت تكوينه والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر كالطيرة بمعنى
التطير اي ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه سبحان الله تنزيها له ان يزاحم اختياره
احد اختياره وتعالى عما يشركون اي الله تعالى بريء من اشراكهم وربك يعلم
ما تكن صدورهم يقال اكننت الشيء في صدري اي اخفيته اسند الاخفاء الى
الصدور مبالغة وما يعلنون اي يعلم ما اضمروه كعداوة رسول الله عم وحسده
وما اظهروه كطاعنهم فيه وهو الله الذات المستحق للعبادة لا اله الا هو
لا معبود يستحقها الا هو ترك العاطف لانه تقرير لما قبله له الحمد في الاولى

والآخرة الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار المجموع فان الحمد في الدنيا وان شاركه
فيه غيره فان المستحق للحمد لا يلزم ان يكون موليا للنعم لكن الحمد في الآخرة لا يكون الا له وله
الحكم بالقضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالبعث والنشور قل ارأيتم اي
اخبروني ان جعل الله عليكم انما قال عليكم لان النفع انما هو في تقلب الملوان فاي منهما
استمر ينقلب نفعه ضررا الليل سرمدا اي دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم
الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل الى يوم القيمة بالكسوف
او باسكان الشمس تحت الارض من اله كان حقه هل اله فذكر من على زعمهم ان غيره
آلهة غير الله صفة اله ياتيكم بضياء انما قال بضياء ولم يقل بنهار كما قال في قرينه
الآتي بليل لان النهار لا يلزمه الضياء على ما نبهت عليه آنفا والنفع فيه بوجود الضياء
فيه فانه لو خلا عنه لانقلب نفعه ضررا حتى قالوا ان الكسوف ساعة يكون سببا
لبعض الآفات من الزلازل وغيرها بخلاف الليل فانه لا يخلو عن النفع المذكور مظلما كان
او مسفرا ولما كان مبنى ما ذكر مما لا يقف عليه عوام الانام الا بالسماع عن الخواص قال هنا
افلا تسمعون ومن زعم ان ذكر السماع هنا لكثرة منفعة الضياء فقد ابعد قل ارأيتم
ان جعل الله عليكم النهار اخر امر النهار عن امر الليل لانه اصل والنهار عارض
سرمدا الى يوم القيمة باسكان الشمس فوق الافق او بتحريك كرة الارض على وفق
حركتها وانما كان الفساد في ادامة النهار في دار التكليف ~~ولم يكن في دار النعيم لانه~~
~~دار التكليف~~ ولم يكن في دار النعيم لان دار التكليف لا بد فيها من التعب والنصب
الذي يحتاج معه الى الجمام والراحة وليس كذلك دار النعيم من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال وانما تعرض لوصف
الليل دون الضياء لانه نعمة في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولما كان ما
ذكر مما يقف عليه كل من له بصر ولا يتوقف على امر آخر قال هنا افلا تبصرون
ومن في قوله ومن رحمته للسبب جعل لكم الليل والنهار اي خلقهما لاجلكم لتسكنوا
فيه اي في الليل وللتنبيه على انفراد كل من المنفعتين في علية واحد منهما على
التوزيع اعيد اللام في قوله ولتبتغوا من فضله اي في النهار وانما حذف الابتغاء
بادراكه في قرينه فيكون من باب اللف والنشر على الترتيب وفي التعبير بالابتغاء
عن كسب العباد اشارة الى انه لا مؤثر على معنى الطلب ففيه نفي للتاثير من جهته
كما ان في قوله من فضله نفيا للايجاب منه تعالى والوجوب عليه ولعلكم تشكرون

ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروا وعليها تعليل آخر للجعل المذكور ولذلك صدره باداة العطف
ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليوذن
بان لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده
ونزعنا اخرجنا واحضرنا يقال فلان ينزع الى وطنه اي يحن اليه حنينا يطالبه الى
الخروج اليه من كل امة من الامم الضالة بدليل سياق الكلام وكافة شهيدا
شاهدا عليهم بما اجابوا به رسلهم كما قال فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و
جئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال وجيء بالنبيين والشهداء وهذا صريح في انهم
غير الانبياء فقلنا لتلك الامة هاتوا برهانكم حجتكم على صحة ما كنتم تدينون به
فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة
الشيء الضايع ما كانوا يفترون من الوهية غير الله والشفاعة لهم ان قارون
للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف كان من قوم موسى
كان ابن عم موسى عليه السلام قبغى تفريع على مقدر يدل اجمالا على غناه المفرط على ما يفصح
عنه التفصيل الاتي ذكره قالها فصيح والبغي طلب العلو بغير حق ومنه قيل لولاة
الجور بغاة عليهم روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير
شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي
في موضع نصب باتينا وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به بيت المال او الصندوق لتنوء يقال ناء ينوء
نوءا اي حمل على ثقل ونهض به على مشقة حتى مال تحته وهو لازم وصار ههنا متعديا
بالباء الذي في قوله بالعصبة وهي الجماعة الكثيرة اولي القوة الشدة وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب ببغى
وما بينهما اعتراض في موضع التعليل لبغيه لا بتنوء اذ لا وجه لتخصيصه بذلك الوقت
لا تفرح اريد بالفرح هنا المرح الذي يخرج الى الاشر وهو البطر ولذلك قال
ان الله لا يحب الفرحين لانه اذا اطلق صفة الفرح فهو الخارج بالمرح الى البطر
فاما قوله فرحين بما آتاهم من فضله فخص بهذا التقييد وابتغ فيما آتاك الله من
الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا اي خذ مع هذا من دنياك ما لا بد لك منه في معاشك فانه غير ملوم على
غيرك فهو على وفق قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا واحسن

با

بالبغي
الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما وسع عليك وبسط ولا تبغ الفساد في الارض
والظلم ان الله لا يحب المفسدين بل يبغضهم والاكتفاء بنفي حبه تعالى عليهم للتنبيه على ان هذا
القدر يكفي في الزجار العاقل عن الفساد قال انما اوتيته اي المال على علم عندي اي على
استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التورية او علم الكيميا او العلم
بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم وزيادته لافادة معنى الاختصاص
له اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال او اكثر
جماعة وعددا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه
في التورية او سمعه من حفاظ التواريخ والواو للعطف على مقدر اي الم يقرا في
التورية او الم يسمع من الحفاظ ولم يعلم الخ او رد لادعائه العلم وتعظيمه بنفي العلم المهم
عنه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي نفسه مصارع الهالكين
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاينة فانهم
يعذبون بها بغتة كانه لما هدده بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك
بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة
فخرج على قومه معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام من عدم تنصحه بما
قيل له واظهاره اسباب البطر فالفاء فصيحة في زينته حال من فاعل خرج اي
متزينا قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على سبيل الرغبة في البساد يا للتنبيه
ليت لنا مثل ما اوتي قارون غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير
ان تزول عنه انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين اوتوا
العلم باحوال الآخرة ويلكم اصله ويلك دعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون
بل من الدنيا وما فيها وفي حذف المفضل عليه تعظيم للمفضل كما في قوله الله اكبر ولا يلقيها
اي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي
فخسفنا به بقارون اي ساخت به الارض وذهبت في جهة السفل وبداره الارض روي
انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فشحت نفسه فعمد الى ان يفضح موسى
بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى عليه السلام خطيبا

فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال فان
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشد
موسى عم بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى
ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما
شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه
فاخذته الى عنقه وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال وموسى عم لا يلتفت اليه
لشدة غضبه ثم قال خذيه فانطبقت عليه فعذب بما يناسب ما اقترفه من الجريمة
فقال الله تع لموسى عم استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتي لو استرحمني مرة لرحمته
ثم قال بعض بني اسرائيل انما اهلكه ليرث ماله فدعا الله تع حتى خسف بداره واموالهم
فما كان فالفاء الفصيحة للعطف والترتيب على محذوف دل على مفهومه الاجمالي سياق
الكلام له من فئة اعوان قدر تفسيره على وجه التفصيل في سورة البقرة ينصرونه
من دون الله انما ذكر امتناع نصره بدفع عذاب الله تع مع انه معلوم لان المراد
بيان انه لم يكن الامر على ما قدره من امتناعه بحاشيته وجنده فان ذلك الذي عتى
حتى تردى في طغيانه ثم اخبر بقوله وما كان من المنتصرين انه كما لم يكن له من ينصره لم
يكن هو ايضا ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته
لم يقل مثل مكانه اكتفاء بما ذكره قبل هذا بالامس استعير لزمان قريب يقولون
ويكأن الله اي صاروا يقول بعضهم لبعض الم تعلموا ان الله ويكأن كلمة تقرير معناها
الم تر الم تعلم قال الفراء وروي ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه
وراء البيت اي اما ترينه وقال قطرب معناه كلمتان ويك بمعنى ويلك بحذف اللام قال
عنترة ولقد شفى نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدم وهذا الحذف
للتخفيف لكثرة الاستعمال واما ما قيل ان وي للتعجب وكأن للتشبيه فمعناه ان التشبيه
لا يناسب المقام يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة منه
تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض لولا ان من الله علينا بصرف ما كنا تمنيناه
بالامس لخسف بنا لنوكيد فينا ما ولده فيه ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله والمكذبين
برسله وما وعدوا له من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها
كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون

علوا

علوا في الارض غلبة ولا فسادا ظلما على الناس لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك
ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون و
العاقبة المحمودة للمتقين عما لا يرضاه الله تع من جاء بالحسنة فله خير منها تفسيره
في النمل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه فلا يجزون فوضع
الذين عملوا السيئات موضع ضميرهم لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين
بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا
يعملون وحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض
عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد يعني مكة اي رده
ردة عليه السلام اليها يوم الفتح وانما نكر لانها كانت في ذلك اليوم معادا له شان و
مرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله عم وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الكفر
وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق عم
الى مولده ومولد ابائه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر
ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب
والاذلال يعني به نفسه والمشركين فهو تقرير للوعد السابق وما كنت ترجو تفسيره
الرجاء في سورة الفرقان ان يلقى يوحى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك
الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك هو محمول على المعنى اي وما القي عليك الكتاب الا
رحمة لاجل الترحم او الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك فلا تكونن
ظهيرا عونا للكافرين ○ ولا يصدنك عن آيات الله بعد قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت
اليك اي بعد وقت انزاله وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين
بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله تهييج وقطع اطماع المشركين مساعدة
لهم على ان العصمة لا تمنع النهي والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار لا اله الا هو صفة
لالها آخر وفيه من الفساد ما فيه كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته والوجه يعبر به
عن الذوات وانما قال هالك لان المراد كونه كذلك في حد نفسه
وذلك ليس بمتجدد فان كل ممكن في حد نفسه ليس بموجود
له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه
ترجعون للجزاء بالحق
والحمد لله على التمام وعلى سيد رسله افضل السلام وعلى آله وصحبه اولي الكرم والانعام

سورة العنكبوت ستون وتسع آيات مكية وتسعمائة وثمانون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم من تفسيره ذكر الا فاويل وسبق التفصيل و بهنا دليل الاستقلال بنفسه او بما يضم معه و بهو وقوع
الاستفهام بعده أحسب الناس الحسبان قوة احد النقيضين على الآخر كالظن ولا يصح تعليقها
بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فاذا اردت الاخبار عن مضمون ثابت عندك على
وجه الظن لا اليقين اوقعت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتم عملك والكلام
الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان ههنا أن يتركوا فانه سد مسد المفعولين
كما في قوله ان يسبقونا ونظايره لان المعنى احسب الناس انفسهم متروكين والترك رفض
الشيء قصدا واختيارا او قهرا واضطرارا ومن الاخير قولهم ترك فلان لما يخلفه بعد
موته وثاني مفعولي ان يتركوا متروك بدلالة الحال اي كما هم او على ما هم عليه وان يقولوا آمنا
بمعنى قولهم متعلق بيتركوا على انه عنه مستق وهم لا يفتنون خبر مختبرين بما يتبين به
حقيقة ايمانهم نزلت في جماعة آمنوا واذاهم المشركون والمراد من الفتنة الامتحان بشدائد
التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات
وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على
اذاهم وكيدهم وقيل معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه
وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب وفي الفصل
بين تركوا ومعموله وما يجتمعه من الاهتمام بشأن الخبر لكونه مصب الانكار معارض
بما يتجه من ايهام ان يتركوا غير مختبرين لعلة اخرى ولقد فتنا اي اختبرنا وهو موصول
باحسب او بلا يفتنون الذين من قبلهم من الامم بانواع الفتن والمعنى ان ذلك سنة
قديمة جارية في الازمان السالفة فلا ينبغي ان يتوقع خلافها ويجوز ان يكون كقولك
الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني بعض الانبياء كزكريا ويحيى وجرجيس عليهم السلام
قد امتحنوا وصبروا فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن
الكاذبين فيه وعلم الله تعالى بالكائنات منزه عن النسبة الى الزمان وعما يترتب عليهما من
التبدل والتغير فهو هنا كناية عن تحقق المعلوم قطعا وظهوره على وجه البلغ فالمعنى
وليميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطا يتبين صدق العبد من كونه في
اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في ايام الرخاء وصبر في ايام البلاء فهو من الصادقين
ومن بطر في ايام الرخاء وجزع في ايام البلاء فهو من الكاذبين ويعضده قراءة فليعلمن

من الاعلام اي ليعرفنهم الناس من هم فحذف المفعول الاول ويجوز ان يكون من قولهم فارس معلم اي
اعلم نفسه في الحرب بثوب او غيره فيكون من العلامة فالمعنى فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة
كبياض الوجه وسواده ام حسب ام هنا منقطعة لعدم شرط الاتصال وهو ان لا يكون
بعدها جملة ومعناها بل للاضراب بمعنى الانتقال من قصة الى قصة لا بمعنى الابطال والاضراب فيها
لان ذلك بعد ذا انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بالذم الذين
يعملون السيئات من المعاصي واما الكفر فليس من جنس العمل لانه لا ينال الا فيما كان عن
فكر وروية نص عليه الراغب فحال الكفر يعلم بما ذكر دلالة ان يسبقونا ان يفوتونا فلا
نقدر ان نجازيهم على مساويهم يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة ان على مسند و
مسند اليه سد مسد المفعولين ساء ما يحكمون ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم
حكمهم او نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف اي حكما يحكمونه حكمهم
هذا من كان يرجو لقاء الله يترقب ثوابه او يخاف عقابه فالرجاء يحتملهما فان
اجل الله المضروب للثواب والعقاب لآت لا محالة تعليل لجواب الشرط المحذوف
تقديره فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحققه واتيان الوقت المضروب
لها كناية عن اتيانها والتعبير عنها بلقاء الله للتفخيم والتهويل واضافة لقاء الى الله
في الموضعين للتعظيم ويجوز ان يكون على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان
مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخطه
لما سخطه منها وهو السميع لما يقوله عباده العليم بما يفعلونه فلا يفوته شيء
ومن جاهد نفسه بالصبر على مخالفتها في طاعة الله فانما يجاهد لنفسه لان منفعة
ذلك يرجع اليها ان الله لغني عن العالمين فلا ينفع له في طاعتهم ومجاهدتهم وانما كلفهم
رحمة عليهم ومراعاة لمصالحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
التكفير اذهاب السيئة بالحسنة كاذهاب الكفر بالايمان والمعصية بالتوبة ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون انما قال احسن لان المباح حسن ولا جزاء له ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائهما فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى حكمه حكم امر في
معناه وتصرفه ومعنى وصيت زيدا بعمرو امرته بتعهده ومراعاته وان جاهداك اي
وقلنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم يعني بالهيته عبر عن نفيها بنفي
العلم اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه
فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع المطيع

والعاصي منكم فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتها
على العصيان وحث على الثبات والاستقامة في الطاعة روي ان سعد بن ابي وقاص
لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل من الضح حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام
كذلك فشكى سعد رض الى النبي عم فنزلت هذه الاية والتي في سورة لقمان والتي في الاحقاف
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في الانبياء والاولياء بان نحشرهم
معهم ومن الناس من يقول آمنا بالله اي في الاضرار عنهم بانهم من الناس
عقيرتانهم فاذا اوذي في الله اي في طاعة الله وفي للسببية كما في المثنى فيه جعل
فتنة الناس اي اذاهم له للصرف عن طاعة الله في لعذاب الله في الخوف منه فيطيعهم
ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم
فاعطونا نصيبنا من المغنم او ليس الله باعلم صيغة افعل هنا لمطلق الزيادة واثبات العلم
على الوجه الابلغ والواو للعطف على محذوف تقديره اليس الله باشد عذابا من الكافر بما في
صدور العالمين من الاخلاص والنفاق فكيف يتوهم هذا المنافق انه يخفى حاله
على المسلمين ولا يخبر الله به وهو عالم لم يعدا تهديد دنيوي لكان قوله وليعلمن الله الذين
آمنوا وليعلمن المنافقين تهديد اخروي وكنى بالعلم عن اثره وهو الجزاء على المعلوم
وعبر عن الاخلاص بالايمان احترازا للاقرار باللسان الخالي عن التصديق بالجنان
عن حد الايمان وفي اختلاف الصيغتين اشعار بثبات المنافق على النفاق ومزيته
على الكفر بزيادة النفاق في محله وقال الذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل
خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول والمعنى
تعليق الحمل على الاول على الوجه المبالغة والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت
تشجيعا لهم على الاتباع ولهذا رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم
من شيء انهم لكاذبون في ذلك من الاولى للتبيين والثانية لتاكيد الاستغراق
وليحملن اثقالهم اوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم واوزارا للضالين
باضلالهم وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يكذبون على الله سوال توبيخ و
اللام في الفعلين للقسم وحذف فاعلها الواو ونون الرفع ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث الى حدوث الطوفان

واختيار

واختيار هذه العبارة لما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واخراج المميز اولا بالسنة ثم بالعام
لان تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة فاخذهم الطوفان هو
ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما والواقع طوفان الماء و
هم ظالمون انفسهم بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة اي والذين حملهم نوح
في السفينة وجعلناها اي السفينة لانها بقيت اعواما حتى مر عليها الكثير وراوها فحصل
لهم العلم بها او الحادثة آية علامة او عبرة للعالمين يعتبرون بها وابراهيم عطف
على نوحا وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله
ظرف لارسلنا فيفيد دلالة على انه لم ينتها ونبئ في امر الرسالة حيث بلغ الدعوة كما
امر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم انما
تعبدون من دون الله اوثانا الوثن ما يعمل من حجر او طين وتخلقون اي تكذبون
او تصنعون وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق افكا وقرئ افكا وهو
مصدر كالكذب واللعب والافك مخفف عنه كالكذب واللعب من اصلهما و
احتمل منهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله ان الذين تعبدون من
دون الله لا يملكون لكم رزقا استدل على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور
وباطل ثم استدل عليها من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل النصب على المصدر
اي لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله
لا عند الاسباب الرزق كله انما لم يقل من الله لعدم الدلالة فيه على الامر بترك الاعتماد
على الاسباب العادية ثم بين طريق الطلب فقال واعبدوه اي في كل حال واشكروا
له لما مضى من الافضال مستعدين للقاء بهما فانه اليه ترجعون فيجازيكم
بما علمتم من الشكر والكفران والعبادة والطغيان وهو وعد ووعيد وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم كقوم نوح وهود وصالح وما على الرسول الا البلاغ المبين
اي وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم
وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسول فقد تم امره
حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته
او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول
ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم عليه السلام

اولم يروا وقرئ بالتاء على تقدير القول كيف يبدئ الله الخلق اي قد رأوا ذلك وعلموه
وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليس الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على
حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الخلق
ان ذلك اي الاعادة على الله يسير سهل قل حكاية كلام الله لابرهيم عليه السلام
سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم لتعرفوا عجائب
فطرة الله في المشاهدة وبدأ بمعنى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة
الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج
من العدم ولما كان المقصود من السياق الاستدلال من الابتداء على الاعادة و
الدليل النفسي اقرب واوضح من الآفاقي ذكر الرؤية في الاول والنظر في الثاني وكان القياس
ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة
فلما قررهم في الابداء بانه من الله تعالى احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء
فاذا لم يعجزه الابداء وجب ان لا يعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذلك الذي انشأ النشأة
الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه
مبتدأ ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء الاعادة فهو قادر على الاعادة
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون
وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة
ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من
ولي يتولى امركم فيحرسكم عن بلائه ولا نصير يمنع عذابه ويدفعه عنكم والذين
كفروا بآيات الله بدلائله على وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا
من رحمتي في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم في الآخرة بكفرهم
فما كان جواب قومه قوم ابرهيم وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه اي قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين
ثم اتفقوا على تحريقه فانجاه الله من النار اي فقذفوه فيها فانجاه
الله من النار بجعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي
عدم تأثيرها فيه مع شدتها وتوقدها وكونها باردة عليه وحارة على غيره وروي انها لم تحرق
الا الحبل الذي اوثقوه به وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار وذلك لذهاب حرها

لقوم

لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما تتفق الناس على مذهب فيكون ذلك
سبب تحابهم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف
او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرئت منونة ناصبة بينكم
والوجه ما سبق وقرئت مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة
او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد
محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ
لقد تقطع بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض يتبرأ القادة من الاتباع ويلعن
بعضكم بعضا يلعن الاتباع القادة ومأويكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها فآمن له لوط اي صدقه في جميع ما قال واتبع له لا انه احدث الايمان في
ذلك الوقت لان الكفر لا يجوز على الانبياء عليهم السلام وقال ابرهيم اني
مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز اي المنيع
الذي يمنعني من اعدائه الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه خيري روي انه هاجر
مع لوط ابن اخيه وسارة بنت عمه الى حران ثم منها الى الشام ونزل فلسطين ونزل
لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة
من عجوز عاقر ولم يذكر اسمعيل لدم ويرده قوله وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق
وجعلنا في ذريته النبوة فانه شجرة الانبياء والكتاب يريد به الجنس فيتناول الكتب
الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا بالثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر
ومحبة اهل الملل له واما ما تقدم ذكره فالعطف عليه يأبى عن دخوله في الاجر وانه
في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم الدرجات العلى ولوطا عطف على ابرهيم او
على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح
ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن
قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها ائنكم لتأتون الرجال
وتقطعون السبيل طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم
وتأتون في ناديكم المنكر في مجلسكم الذي تجتمعون فيه ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله
المنكر كالمضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح والخذف بالحصا
ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا

بعذاب الله ان كنت من الصادقين قد سبق في سورة الاعراف **قال رب انصرني**
بانزال العذاب **على القوم المفسدين** بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك
مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب **ولما جاءت**
رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد لقوله قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم وهذه تشعر بانها قريبة من موضع ابرهيم
والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم اي الظلم
قد استمر فيهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون وانما قال ان اهلها ولم يقل انهم
تضمينا للتعليل الاشعار بتسببه حيث طبيعتهم وهو خبث طينتهم ففيه اشارة الى
ان المراد من اهل القرية من نشا فيها فلا يتناول لوطا ومن لم يتنبه لهذا
زعم ان في قولهم الاية تخصيصا للاهل عمن عداه قال ان فيها لوطا معارضة للموجب
بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم واما الاعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم فلا يناسب
حال المعترض لانه مبناه الغفول عن الاشارة التي قدمنا بيانها قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله وليس بيننا خطاب بعد حكم شرعي فلا وجه لما قيل
فيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين
في العذاب قال في سورة الحجر قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم
اجمعين الا امراته والتوفيق بين القولين بان يقال ان الحكاية قد يكون على وجه
التفصيل والنقل بالعبارة او بمرادفها وقد يكون على وجه الاجمال والنقل بحاصل
المعنى فالمذكور ثمة من قبيل الثاني والمذكور هنا من قبيل الاول ثم اخبر عن مصير الملائكة
الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه
مجيئهم وان صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على الآخر كانهما وجدا في
جزء واحد من الزمان كانه قيل لما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث
خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم
وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد
الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت
ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فصار ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو منصوب
على التمييز وقالوا عطف على محذوف منفي على ما تقدم تقريره فاعلموا بانهم رسل ربه
فكشفوا الحال وقالوا وذلك لما راوا اثر الضجرة قالوا وهي لا تخف الخوف

انزعاج

انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا تحزن لا على تمكنهم منا لاندفاع الخوف والحزن من تلك الجهة
باعلامهم انهم رسل الله بل على نفسه واهله لما علم ان نزول الحادثة عظيمة فقولهم انا منجوك
تعليل لنفي الخوف والحزن واهلك نصب باضمار فعل لان موضع الكاف جر على المختار
او بالعطف على محلها باعتبار الاصل الا امراتك كانت اي في امر الله من الغابرين
الباقين في الهلاك انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي
بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب فاستعمل لما يضطرب
منه النفس بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على تجديد الفسق في كل حين ولقد
تركنا منها من القرية اية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل الحجارة الممطورة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار و
الاعتبار وهو متعلق بتركنا او ببينة والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا
قال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر الامر بالرجاء امر بسببه اقتضاء
ولا تجوز فيه ولا يجوز ان يكون الرجاء بمعنى الخوف واليوم مجاز عما فيه من الثواب
او العقاب ولا تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره فكذبوه فاخذتهم
الرجفة هي زلزلة الارض تحت القدم وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة اي صيحة
جبرائيل وهي سبب الرجفة فاصبحوا في دارهم في ديارهم على ما ذكر في سورة هود
فاكتفى هنا بالواحد لامن اللبس جاثمين الجاثم البارك على ركبته مستقبلا بوجهه
الارض اي منبطحين على هذه الحال وعادا وثمود منصوبان بفعل دل عليه ما قبله مثل
اهلكنا وقرئ ثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم ذلك يعني وصفه
من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم وكانوا اهل
مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم الصد الصرف عن الخير ولا يقال لصده عن الشر ولكن لا يقال
صرفه عن الترك ومنعه منه عن السبيل الصراط المستقيم الذي هديهم اليه الرسل
وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان
العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون
وهامان معطوف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه
اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بسبب من جهته فمنهم من ارسلنا

عليه حاصبا الحاصب ريح تأتي بالحصباء وهي الحصى الصغار كقوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة كمدين
وثمود ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون ومنهم من أغرقنا كفرعون وقومه وأما قوم
نوح فليس من المذكورين الغرق لا يكون إلا في الماء بخلاف الخسف ولذلك زاد فيه
قوله به الأرض وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم
بغير جرم وزيادة كان لبيان أنه ليس من عادته ذلك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
بالتعريض بالعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعني مثل من أشرك
بالله الأوثان كمثل العنكبوت التاء فيه كتاء طاغوت يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث اتخذت بيتا أي كمثل العنكبوت فيما تخذه لنفسها من بيت فإن ذلك
لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يغني غناء البيوت فكذلك الأوثان لا ينفعهم في الدنيا والآخرة
ولا وجه لما قيل في تفضيل بينها بل ذلك أوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعا ما لأن قضية
التشبيه عكس هذا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت من هنا ظهر أن الوهن تشبيه
ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن والضعف لا تشبيه
ذواتهم بالعنكبوت لو كانوا يعلمون يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم
أوهن من ذلك ويجوز أن يجعل الكلام بعد تشبيه دينهم ببيت العنكبوت مخرج الا
ثيرا وبيت العنكبوت دين المشركين وعبادة الأوثان فيكون استعارة مصرحة
تمثيلية إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على إضمار القول أي قل للكفرة
إن الله يعلم وقرئ يدعون بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون
ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون أو مصدر
وشيء مصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على
الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل
على المعنيين فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه وإن الجماد
بالإضافة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم
وإن من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الأمثال يعني هذا المثل ونظائره
نضربها للناس تقريبا لما بعد من أفهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها
إلا العالمون الواقفون على أن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المستورة
حتى تبرزها وتصورها للأفهام خلق الله السموات والأرض بالحق محقا يعني
لم يخلقها باطلا بل لحكمة وهي أن تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم

قدرته كما أشار إليه بقوله إن في ذلك لآية للمؤمنين خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها اتل
ما أوحي إليك من الكتاب تقربا إلى الله بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا
لمعانيه فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه
وأقم الصلوة أي دم على إقامتها إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فدر تغيرها
والنهي مجاز عن المنع روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له عليه السلام فقال إن صلوته ستنهاه فلم يلبث
أن تاب ولذكر الله أكبر أي والصلوة أكبر لأنها ذكر الله أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر
من غيرها من الطاعات ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر
الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ولا تجادلوا أهل الكتاب أصل الجدال
شدة الفتل إلا بالتي إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب
بالكظم والمشاغبة بالنصح إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد فلم
ينفع فيهم الرفق وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة إلا بالتي هي أحسن إلا الذين
ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلوهم بالسيف وقوله وقولوا آمنا بالذي
أنزل إلينا وأنزل إليكم من جنس المجادلة بالأحسن وعن النبي عليه السلام لا تصدقوا أهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم
وإن كان حقا لم تكذبوهم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له
خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وكذلك ومثل
ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب ومصدقا لكتبهم بأن نزل عليها وصف فيها
فالذين آتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه تفريع على نزول القرآن على ما
وصف في كتابهم وإنما قال يؤمنون به دون آمنوا لأن منهم من لم يؤمن بعد ومن
هؤلاء الإشارة إلى أهل مكة أو إلى عامة العرب لا إلى من في عهد الرسول من أهل
الكتاب لأنهم داخلون فيما تقدم ولا مجال لتخصيصه بمن تقدم عهده لأن التفريع
يأباه وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها ولذلك قال وما يجحد فإن الجحد
ليس مطلق الإنكار بل بعد الإنكار بعد الوقوف إلا الكافرون الآلات يرون للجحود
بعد وضوحه عندهم عنادا وما كنت تتلو من قبله أي من قبل نزول القرآن عليك
فيهم منه أنه عليه السلام كان قادرا على التلاوة والخط بعده من كتاب عربيا كان أو عبريا
أو سوريانيا أو فارسيا ولا تخطه بيمينك فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم

الشريفة على أمي لا يقدر على القراءة والخط خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد وما فيه من الاطناب المعنوي لافادة ان الكتابة من اشرف الصناعات فحقها ان تكون باليمين دون اليسار المخصوصة بخسائس الامور على ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله اليمين للوضوء واليسار للاستنجاء، اذ تقديره ولو كنت تتلو الكتاب وتخطه اذاً لارتاب لشك المبطلون من اهل الكتاب وقالوا نجد في كتبنا انه امي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وانما سماهم مبطلين لانهم وجدوه في كتبهم كذلك فغيروه قيل اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وفيه ان ذلك الارتياب لا يرتفع بكونه امياً فان التعلم من الغير لا يتوقف على القراءة والكتابة بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من حفاظ القرآن كونه آيات بينات للاعجاز وكونه محفوظاً في الصدور بخلاف سائر الكتب السماوية فانها لم تكن معجزات في حدود انفسها وما كانت تقرأ الا في المصاحف وفي قوله الذين اوتوا العلم تشريف للحفاظ وتنبيه على ان حفظه حقيقة انما يكون بالوقوف على معانيه وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل الاعجاز وقالوا عطف على اللازم مما تقدم اي لا يعتدوا بتلك الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء وانما قيل لست املكها فآتيكم بما تقترحونه فلا يناسب المقام لان الاقتراح كان من الله تعالى لا منه عليه السلام وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا التبليغ وما امرت به من الانذار والابانة بما اعطيت من الآيات والاقتصار على ذكر الانذار لزيادة التهديد لهم في حقهم والآن ... غير مقصور عليها كما بل التبشير ايضاً من شأنه اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب الكامل في جنسه يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كل آية بعد كونها ان في ذلك اي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون لمن همه الايمان دون التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل وهو الذي

يعبد

يعبدون من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى على مقتضى الحكمة لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلاً وليأتينهم العذاب في الاجل بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبله وقعة بدر منه يستعجلونك بالعذاب اعادة لربط قوله وان جهنم لمحيطة اريد بجهنم ما يوجبها او نزل الاحاطة المقدرة منزلة المحققة المقطع بوقوعها وهذا بحسب النظر الجليل واما الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو ان الله تعالى منزه عن النسب الزمانية فالكائنات كلها واقعة في اوقاتها المعينة بالنظر اليه تعالى فلا تجوز في احد جزئي الكلام بالكافرين اللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالاً بحكم الجنس على حكمهم ولا وقف على الكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وذكر ارجلهم للدلالة على ان تلك التغشية في حال انتصابهم ويقول الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ويقول بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك والفاء في قوله فاياي فاعبدون جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفاً علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولاً واحداً والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله ويوقف على العاملين على ان الذين صبروا خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن و

والثاني والوصل اجود فيكون الذين نعتاً للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون في جميع ذلك
الا على الله وكأين وكم من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما
تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم و
اجتهادكم في الكسب سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله فانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم
اسباب الكسب لكنتم اعجز من اضعف الدواب فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة
روي انهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
وهو السميع لقولكم يخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول اهل مكة ليقولن الله اي هم
مقرون بذلك ولا يخفى ضعف التمسك بوجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الو جود
في هذا المطلب فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيده مع اقرارهم بهذا كله
الله يبسط الرزق يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر يقال قدر الرزق وقتره
اذا ضيقه له اي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لانه مبهم غير معين فكان
الضمير مبهما مثله وليس المراد من الموسع له والمضيق عليه واحدا باعتبار الوقتين
او في حق قوله يقدر ان يصدر باداة التعقيب ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح
العباد وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله معترفين بذلك فكيف يشركون به ما لا يقدر على شيء اصلا قل الحمد لله
على هذه النعمة العظمى فان الماء مادة حيوة كل شيء بل اكثرهم لا يعقلون فلا يعقلون
ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد وكلمة بل اضراب عن
جهلهم الخاص والاتيان بما هو حجة عليهم يعني انهم مسلوبوا العقول فلا يبعد عنهم
مثله وقوله قل الحمد لله معترض وياتي في سورة لقمان تفسير هذه الآية بوجه آخر
وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير كيف وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو
ولعب اي ما هي لسرعة زوالها وعدم النفع لها الا كما يلتهي ويلعب به الصبيان
ويجتمعون اليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه
ساعة ثم ينقضي وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي هي دار الحيوة الحقيقية لعدم
طريان الموت عليها او كانها في ذاتها حيوة اذ ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة
والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحيوة

لما

لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحيوة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال
على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ويوقف على الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة
الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا
بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه ما قبله من شرح
حالهم بطريق الاشارة وليس هنا محذوف اي هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد
فاذا ركبوا في البحر دعوا الله في تلك الحالة مخلصين له الدين حقيقة حيث لا يدعون
معه غيره لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو وهذا اي التوافق بين العلم والعمل حقيقة
الاخلاص لا صورته وايضا سياق الكلام في تقبيح حالهم وكمال القبح في انقلابهم عن
الاخلاص الى الشرك بغتة فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجأوا المعاو دة
الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي وكذا في وليتمتعوا على قراءة الكسر
اي يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود اليه كافرين بنعمة النجاة متمتعين باجتماعهم
على عبادة الاصنام وتوادهم عليها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المخلصين من المؤمنين
فانهم يشكرون نعمة الله تعالى اذا نجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة
لا الى التمتع والتلذذ وعلى هذا الوقف على يشركون ومن جعل لام الامر متشبثا
بقراءة السكون على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقف عليه
فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اي اهل مكة انا جعلنا بلدهم
حرما ممنوعا مصونا عن النهب والتعدي آمنا يأمن داخله سواء كان من اهله
او من غيرهم عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا
اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها
مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا
به غيره وتقديم الصلتين لمحافظة الفاصلة والاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان جعله شريكا فانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وهذا القول منهم باختيار انه التقرب لا يكون الا طاعة في معنى القول
بان تلك العبادة طاعة امروا بها وهذا افتراء منهم على الله تعالى ثم انه الا افتراء
نفسه وان كان ذلك لا يخلو عن كذب لكن المفتري قد يكون صادقا والمفتري ههنا و
كون عبادة الاصنام طاعة لما كان كذبا زاد قوله كذبا زيادة في تقبيح شأنهم او كذب
بالحق يعني الرسول او الكتاب وفي لما جاءه تسفيه لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتأملوا

فظ حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير
لثوائهم فيها اي الا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله وكذبوا بالحق هذا
التكذيب او الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترءوا مثل هذه الجراءة
والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ليتناول كل ما يجب مجاهدته من الاعادي الظاهرة و
الباطنة بانواعها فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا
لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وان الله لمع المحسنين
بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب
والمغفرة في العقبى
والله اعلم بالحقيقة والصواب
واليه المرجع والمآب

سورة الروم ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم غلبت في القراءة المشهورة على البناء للمفعول وسيغلبون على
البناء للفاعل وقرئ بالعكس واضافة غلبهم في الاولى الى المفعول وفي الثانية الى الفاعل
في ادنى الارض ارض العرب لانها الارض المعهودة عندهم اي في ادنى ارض العرب
منهم او ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وقيل ادنى ارضهم بلاد
عدوهم اما الدلالة على الاضافة فظاهرة من ذكرهم واما النهاية فلحديث المغلوبية
وعن مجاهد هي اذرعات ارض الشام من العرب وهم من بعد غلبهم وقرئ بسكون
اللام فالغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب سيغلبون في بضع
سنين البضع ما بين الثلاث الى العشر وفي المجمل ما بين الواحد الى التسعة روي انه
لما بلغ مكة خبر غلبة فارس الروم فرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل الكتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم
فنزلت وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل
كان النصر يوم بدر للفريقين والمعنى على القراءة الثانية ان الروم غلبوا على ريف الشام
وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وقد غلبهم المسلمون في السنة التاسعة ونحوها

بعض

بعض بلادهم لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي ليس الامر في الحالين الا لله وقرئ
من قبل ومن بعد على الجر من تقدير مضاف كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا وآخرا و
يومئذ ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة اي ويوم اذ يغلب
الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له لما
فيه من انقلاب التفاؤل وغيظ من شمت بهم من كفار مكة او بظهور صدق
المؤمنين فيما اخبروا به المشركين وقيل وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر
المؤمنون ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم
ينتقم من عباده تارة بالنصر عليهم ويتفضل عليهم اخرى بنصرهم اياهم وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان ما تقدمه في معنى وعد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف
لك بها اعترافا لا يخلف الله وعده اعتراض ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده او
صحة وعده لبلوغهم في الجهل غاية حتى يستحقوا ان يقال فيهم لا يعلمون مطلقا يعلمون
بدل من لا يعلمون وفي هذا الابدال مع انه من لطائف علم البديع اشعار بان سلب
العلم الذي هو الجهل لا ينافي وجود العلم بظاهر امور الدنيا بل هو هو لا فرق بينهما
ظاهرا من الحياة الدنيا فيه اشارة الى ان للحياة ظاهرا وهو ما يعرفه الجهال من التمتع
بزخارفها والتنعم بملاذها وجمع اسبابها وضبطها وباطنا وهو ما يعرفها العقلاء من
الاعتبار بها وبسرعة انقضائها وكون محلها منجز الاولياء ومجاز الآخرة يجب
التزود منها بالتقوى والطاعة وتنكير ظاهرا يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا
من ظواهرها وهو التمتع منها بالاكل والشرب كالبهائم لا جملتها فان من ظواهرها
معرفة خواصها والاستدلال بها على صانعها وكيفية الانتفاع بها لصلاح الدارين ففيه
ذم لهم بالجهل البليغ وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا يخطر
ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وعلى كلا
الوجهين في توسيطه وتكريره اشعار بانهم معدن الغفلة عن الآخرة ومنتهاها ومتمادون
فيها بالغون النهاية كأنهم لا غافل عنها غيرهم اولم يتفكروا كلمة استنطاق ومعناها هلا
يتفكروا والم اخروا التفكر والواو للعطف على محذوف تقديره الم يلتفتوا ولم يتفكروا
وقوله في انفسهم يجوز ان يكون ظرفا وان يكون صلة للتفكر على الاول مع انه لا يكون
الا في النفس زيادة تصوير لحال المتفكرين وتقرير كقولك كتبته بيميني كانه قيل

اولم يحدثوا التفكر في انفسهم العاطلة الفارغة عن التفكر والتأمل وعلى الثاني معناه اولم يتفكروا
في انفسهم التي هي اقرب الاشياء اليهم وفيما فيها من عجايب الصنع وبدايع الحكم التي اودعها
الله تعالى فيها وفي انتقالاتها في السن الى الشيخوخة والضعف وضرورة فنائها ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما متعلق بعلم او قول محذوف دل الكلام عليه اي
فيعلموا او يقولوا هذا القول الا بالحق حال اي الا ملتبسة بالحق اي بالحكمة البالغة
والصواب واجل مسمى اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت
الحساب والثواب والعقاب او الا وهي ملتبسة بالحق وتقدير اجل مسمى بعين ما خلقها
باطلا ولا ينبغي خالدة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم اي بلقاء جزائه عند الاجل
المسمى والبعث لكافرون منكرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود
وغيرهم من الامم العاتية المترتب على ذلك السير ثم وصف حالهم فقال كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض وقلبوا وجهها لزرع البذور واستنباط المياه و
استخراج المعادن وغيرها وعمروها بالاهتمام في امر البناء والغرس اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها وفيه تهكم بهم لانهم اهل واد غير ذي زرع لا عمارة لهم ولا حرث
وهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها مع انهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط
في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في الاقطار باظهار انواع الآثار وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم
فما صح له ان يظلمهم لان حاله تعالى منافية للظلم لكنا بغي عدم كون تدميرهم واستئصالهم
ظلما ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث اجترؤا على ما اوجب تدميرهم من الكفر
والتكذيب والمعاصي ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي عوقبوا في الدنيا بالتدمير
ثم كانت عاقبتهم العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وهي جهنم التي اعدت للكافرين
والسوأى تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كا لبشرى
نعت بها للمبالغة فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الموجب للعقوبة
السوأى اساءتهم المفرطة ان كذبوا بآيات الله علة اي لان كذبوا او بدل من السوأى
او عطف بيان له او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله اي اقترفوا الخطيئة
السوأى والتهويل في ان يكون كذبوا تفسيرا او ان هي المفسرة بمعنى اي لان الاساءة
اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما

اشبهها

اشبهها ويجوز ان يكون معناه اساؤا السوأى اي اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا
عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لو ولما لارادة الابهام اي ما لا يدخل
تحت الوصف وقرئ عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذ كورة
وكانوا بها يستهزؤن عدل عن صيغة الماضي وزاد عبارة كان للدلالة على الاستمرار
التجددي في امر الاستهزاء المتضمن للتكذيب والمحافظة على رؤس الفاصلة الله
يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والالتفات للمبالغة
والتنبيه على انه المقصود وقرئ بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت ويئس من ان يحتج
ومنه ناقة مبلاس اذا لم يكن فيها رغاء وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته
ولم يكن لهم من شركائهم من الذين اشركوهم بالله وعبدوهم من دونه شفعاء
يجيرونهم من عذاب الله تعالى وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين
يئسوا منهم وانما جيء بلم يكن وكانوا على لفظ الماضي لتحقق وقوعه وقيل كانوا في
الدنيا بسببهم كافرين وزيادة كان للمحافظة على الفاصلة ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون في الاحوال والمآل على ما فصل بعدها والضمير للخلق او ضمير يرجعون
واعادة يوم تقوم الساعة للتهويل فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في
روضة الفاء للتفصيل الروضة البستان وكل ارض ذات نبات وماء تسمى روضة
وتنكيرها للتفخيم بالابهام اي في روضة لا يعرف قدرها في علو شأنها يحبرون يسرون
من حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك
في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه وفي بناء الاحضار دلالة على الكره و
انهم مجبرون على الحضور في العذاب واما يحبرون فللدلالة على انه سرور فوق ما
بالطبع والعادة فلا بد من سابقة تسرهم بانواع المسار التي لم يكن للانسان
مثلها في الدنيا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما ذكر الوعد و
الوعيد اتبعه بما يعين طريقا للخلاص عن الدركات الى الوصول الى الدرجات
كأنه قيل اذا صح ووضح عاقبة المعرضين عن عبادته وطاعته والمقبلين اليها فسبحوا
الله تسبيحا دائما وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون
فيه وله الحمد في السموات والارض للشواهد الناطقة فيهما باستحقاقه الحمد ممن
له تميز من اهلها ووجوبه عليهم وعشيا انما عدل هنا عن سنن نظائره لانه لم يصرف

من العشي فعيل لا يقال اعشى كما يقال امسى واصبح واظهر وحين تظهرون امر في صورة
الاخبار لكونه اكد بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها آيات قدرته
وتجدد فيها نعمه وانما خص التسبيح بطرفي النهار لان آثار القدرة فيهما اظهر والحمد بالعشي
والاظهار لان تجدد النعم فيها اكثر واتم والعشي آخر النهار من عشي العين اذا نقص
نورها والظهيرة وسطه ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد
في السموات والارض اعتراض وقيل المراد بالتسبيح والتحميد في الاوقات المعينة
الصلوة وعن ابن عباس رض ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب
والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولا
يلزم منه ان يكون الآية مدنية لان الخمس فرضت بمكة يدل عليه حديث المعراج ولانه
بينة يخرج الحي من الميت الطاير من البيضة والحيوان من النطفة ويخرج الميت
من الحي بالعكس ويحيي الارض باخراج النبات منها بعد موتها بيبسها وكذلك
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور بالبعث فانه تعقيب الموت بالحيوة و
اخراج الحي من الميت والمراد ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرة القادر
في الاخراج والاحياء المذكورين دليل قاطع على البعث ومن آياته ان خلقكم من
تراب لان اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا
منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت
من ضلع آدم عم وساير النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا
من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها يقال سكن اليه اذا مال اليه ومنه السكن
وهو الالف المسكون اليه وذلك لان الالف انما يكون بين المتناسبين لان الجنسية
علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء مودة
ورحمة التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينهما سابقة معرفة ولا قرابة
توجب ذلك لينتظم امر النسب والتربية والارث او بين افراد الجنس لابقاء امر المعاش
على التعاون المحوج الى التواد والتراحم ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون
ما في ذلك من الحكم والمصالح ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
لغاتكم في العربية والعجمية وغير ذلك من لغات كل صنف واهل كل اقليم ولهجاتهم
والوانكم اشكالكم وهيأتكم من تخاطيط الاعضاء والصور فانه لا يكاد يتفق اثنان
في الشكل فالهيئة وعليه يبتني التعارف المحتاج اليه في ضبط النظام ان في ذلك لآيات

حيث ولدوا من اب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون للعالمين لكل
عقل من اهل العلم وقرئ بالكسر ويرجحها قوله وما يعقلها الا العالمون ومن
آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ظاهر الآية يدل على المنام في الليل والنهار
وابتغاء الفضل فيهما وهو معنى صحيح فان المنام في النهار الصيفية الطويلة هو القيلولة
المستحبة في السنة لاستراحة القوى النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية و
كذا ابتغاء الفضل في الليالي الشتوية من المباحات لقصر النهار وقصورها عن حاجات
الناس ويجوز ان يكون منامكم بالليل والنهار من باب اللف وترتيبه منامكم و
ابتغاؤكم من فضله من النهار ففصل بين المتعاطفين بالزمانين اشعارا بان كل
واحد من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيد الاختصاص
تكرر هذا المعنى في القرآن ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يدركون المحسوس
لما كان المشار اليه من جنس ما يدرك بالمشاهدة وبالسماع من الغير كما في حق الاعمى
والكل اضعف الطرفين عبر به عن ادراكه اعلاما للدلالة وهذا من لطايف الاعتبار
الذي قلما يتنبه له الا من له الاختبار ومن آياته يريكم البرق من آياته خبر مبتدا
محذوف اي من آياته ما يذكر او ما يتلى عليكم ثم قيل يريكم البرق وهو اما بيان لذلك
او بدل منه او يريكم مبتدا على حذف أن ورفع الفعل كقوله الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى او تنزيل الفعل منزلة المصدر المرفوع اي ومن آياته اراءتكم البرق كقوله
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمصدر تقديره آية يريكم بها البرق كقوله
فما الدهر الا تارتان فمنها اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي تارة اموت فيها
خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر ونصبهما
على المفعول له وانما جاز مع انهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل لان الاراءة متضمنة
للرؤية او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي ارادة خوف وطمع و
تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشياطين او على الحال
اي خائفين وطامعين وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها
يبسها وقد سبق وجه الفاء التعقيبية بين الانزال والاحياء في تفسير سورة النحل
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية
تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره
اي بقوله كونا قائمتين والمراد به تعلق ارادته بقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم

بحيث شبهتا في قيامهما على وفق ارادته بمامور مطيع امتثل امر آمر مطاع بلا توان وتنصيص للمبالغة
في كمال قدرته ونفاذ امره وعدم تخلف المراد عن ارادته وكذا قوله ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون شبه الموتى بالمامور المطيع لتصوير ترتب خروجهم على
دعائه من غير توقف عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قال ومن آياته قيامهما
ثم خروجكم من الارض بسرعة اذا دعاكم دعوة فيقول ايها الموتى اخرجوا وثم
مستعار لبعد هذه الحالة من قيام السموات والارض بامره وهي خروج الموتى
كلهم من الارض دفعة عند قوله قوموا واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة
وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرطية ومن الارض متعلق بدعاكم لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله وله من في السموات والارض فقد سبق ما يتعلق
بمن في مثل هذا المقام كل له قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون
عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو الاعادة وتذكيره للمطابقة
اهون او على تاويل ان يعيده عليه اي اسهل عليه من الانشاء بالنسبة الى عقولكم
والقياس على اصولكم والا فجميع الممكنات بالنسبة الى قدرته سواء والاعادة في نفسها
عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وانما قدمت الصلة في قوله علي هين لقصد
الاختصاص ولا وجه له ههنا فلذلك اخرت وقيل الضمير في عليه للخلق اي الاعادة
اهون على الخلق لانه وجود دفعي على التمام واما الانشاء فهو وجود متدرج من
النقصان الى الكمال فعليه فيه شق ومشقة وله المثل الاعلى في السموات والارض
اي الوصف العجيب الشان الذي ليس لغيره ما يشابهه او يدانيه كالقدرة الكاملة
والحكمة البالغة يصفه به ما في السموات والارض دلالة ونطقا وهو العزيز القوي
القادر المطلق على ابداء كل ممكن واعادته لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه الحكيم الذي
يجري شؤونه وافعاله على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا في التوحيد من انفسكم
اي منتزعا من اقرب شيء اليكم وهي انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليكم
من شركاء فيما رزقناكم في اموالكم التي رزقناكموها اي هل ترضون لانفسكم ان
يشارككم عبيدكم فيما رزقناكم من الاموال وهو بشر مثلكم وانتم عبيد مثلهم فانتم فيه
سواء فتكونون انتم وهم سواء في التصرف فيها من غير فرق ومن الاولى للابتداء
والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي لانه للانكار
تخافونهم ان يستبدوا بالتصرف فيها كخيفتكم انفسكم كما يخاف بعض الاحرار بعضا

او شارك في ميراث او مال مشترك ان يكون دونه او يستقل بتدبيره والتصرف فيه او تخافون
ان تستبدوا بتصرف دونهم مخافة بعض الاحرار بعضا فاذا لم ترضوا بذلك لانكم
وانتم وعبيدكم سواسية في البشرية فكيف ترضون لرب الارباب ومالك العبيد
والاحرار ان يكون بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل التفصيل نفصل الآيات
اي نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها تصويرا وتشكيلا لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اضراب عن تبصر المشركين
وهدايتهم واثبات ان هداهم لا يجدي عليهم شيئا اتبع التفات من الخطاب
الى الغيبة للاعراض والمتاركة الذين ظلموا بالشرك كقوله ان الشرك لظلم عظيم
اهواءهم بغير علم حال اي انما قيده به لان العالم اذا ركب الهوى فربما ردعه علمه و
اما الجاهل فيهم كالبهيمة لا يرده شيء فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر ان
يهدي من اضله خذله والفاء للسببية والاستفهام للانكار اي اذا اتبع الظالمون
اهوائهم جاهلين لا وازع لهم فلا يقدر احد ان يهديهم وما لهم من ناصرين
ينقذونهم من ضلالتهم ويمنعونهم من تبعاتها الذين ظلموا ومن اضل الله موضوعان
موضع الضمير والاول للتسجيل عليهم بالظلم والتعليل لاتباع الهوى والثاني للتعليل
لامتناع قبولهم الهدى فاقم وجهك للدين تمثيل للاقبال عليه والاستقامة
اليه حال من قصد شيئا غير ملتفت عن سمته يمينا وشمالا اي قوم وجهك له و
عدل اليه غير منحرف عنه اصلا وكناية عن كمال الاهتمام فان من اهتم بالشيء غاية
الاهتمام عقد طرفه عليه وسدد نظره اليه وقوم له وجهه مقبلا عليه بكليته و
الفاء للسببية اي اذا لم ينجع هداك فيهم فاقم وجهك للدين واتركهم حنيفا
حال من ضمير اقم او من الدين فطرة الله نصب على الاغراء اي الزموا فطرة
الله او عليكم فطرة الله والاضمار على خطاب الجماعة لقوله منيبين فانه حال من
ضمير العامل المقدر وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا فانه عطف على المقدر واضافة
الفطرة الى الله وتوصيفها بقوله التي فطر الناس عليها للاختصاص والتعظيم وانه
لا ينبغي ان تبدل وتغير ولا يقدر احد ان يغيرها حسما لاطماع المشركين وحكما
بان توحيده ذاتي لا يمكن تغييره وبينه للتاكيد والتقرير بقوله لا تبديل لخلق الله
فعيله دلالة على ان المراد من الفطرة الخلقة اي الحالة التي جبلوا عليها من قبولهم للتوحيد
ودين الاسلام وتمكنهم من ادراكه بحيث لو خلوا وما جبلوا عليه لما اختاروا عليه دينا آخر

وشهدت عقولهم الفطرية ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الانس والجن وقد افصح عن هذا
قوله عم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري
وقوله عم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه او يمجسانه
ان يراد بالفطرة دين الاسلام فيكون معنى لا تبديل لا ينبغي ان يبدل وانما وحد الخطاب
اولا ثم جمع لانه خطاب للنبي وان الدين له بالاصالة ولهم بالتبعية ذلك اشارة
الى الدين المامور باقامة الوجه له الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه اي راجعين الى الله بالتوبة
ومقبلين عليه بالطاعة من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى والمراد من التكرار المبالغة
في الرجوع الى الرضى والانقطاع عن الهوى او تضمين التنبيه على قبول التوبة كرة بعد اولى
وقيل الانابة الانقطاع الى الله تعالى بالطاعة واصله على هذا القطع ومنه الناب لانه قاطع
واتقوه واقيموا الصلوة خصها بالذكر لانها عماد الدين ولا تكونوا من المشركين ممن
يشرك به غيره في العبادة وفيه نهي عن الرياء في الصلوة فانه شرك خفي من الذين
بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وانما عبر عن تركه بالمفارقة
لما عرف انهم جبلوا على قبوله فنزل قبوله منزلة فعله مبالغة في قوة قبولهم اياه
وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا
يتابع كل فرقة امامها الذي اصلها والشيع الفرق التي يجمع كل فريق منها
على مذهب خلاف مذهب الفريق الاول كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون
يحسبون انه الحق والجملة في محل النصب صفة لشيعا او كل حزب مبتدا خبره من الذين
فارقوا مستطعا عما قبله وفرحون صفة كل واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم
منيبين اليه راجعين اليه من دعا غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة من ذلك الضر رحمة خلاصا
اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم وفي
عبارة ثم ولفظ اذا فهم اشارة الى انهم مع امتداد ايام شدتهم وتاثرهم منها
في الغاية يشركون كما بطل طلبهم الخلاص منها ليكفروا بما آتيناهم اللام مجاز
للعاقبة وقيل من بعض التهديد فتمتعوا على الاول امر للتهديد كقوله اعملوا ما شئتم
والفاء للسببية على تقدير شرط محذوف اي اذا اصررتم على الشرك وعاديتم في الكفر
فتمتعوا او على الالتفات عطف على ليكفروا والالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة في
التهديد فسوف تعلمون وبال تمتعكم ام انزلنا ام بمعنى بل للاضراب عن الكلام السابق

الهمزة

والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ عليهم سلطانا التنكير للتعظيم وفي
الدلالة على ان ما ينزل في مثل هذا الامر حجة ان يكون برهانا عظيم الشان واضح الدلالة
ولهذا عبر عن دلالة الواضحة بالنطق في قوله فهو يتكلم اي بالتصريح دون التوصيف
بما كانوا به يشركون بالامر الذي بسببه يشركون به تعالى في الالوهية واذا اذقنا
الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة
شدة بما قدمت ايديهم اي بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون قنطوا من الرحمة
بالكلية واتى بصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا
للقنوط وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا واذا المفاجاة جواب الشرط
ناب عن الفاء لتاخيها في التعقيب ثم انكر عليهم بطرهم وقنوطهم بانهم قد علموا ان
الله هو الباسط القابض فما لهم لا يشكرون على نعمة ولا يرجعون اليه تائبين من
معصيته كالمؤمنين حتى يعيد عليهم رحمة ويبسط عليهم نعمة وهذا ما اراد بقوله اولم
يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر عبارة واشارة ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة لا وبخهم على البطر والقنوط
وعلق التبيه بارتكاب المعاصي والذنوب حثهم على ما يجب عليهم واوعد على ارتكاب ما
حرم وحرضهم على ما يجب ان يفعل في حال السعة ولذلك جاء بالفاء السببية وقال
فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل اذا فرض حق الاخيرين بالنصيب المسمى
لهما من الزكوة وجب ان يفسر حق الاول بالنفقة الواجبة لئلا يلزم استعمال لفظ
الامر للوجوب والندب معا في استعمال واحد ولهذا احتج ابو حنيفة بهذه الآية
في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وخص الشافعي رحمه الله
وجوبها بالوالدين والاولاد وقاس سائر القرابات على ابن العم اذ لا ولاد بينهم ذلك
خير للذين يريدون وجه الله اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا واولئك هم
المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم من زخارف الدنيا النعيم المقيم في العقبى وما
آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة وقرئ بالقصر اي ما جئتم به من اعطاء
الربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يربوا فلا يزكو عند الله
ولا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربا وقيل هو من الربا
الحلال اي وما تعطونه من الهدية لتاخذوا اكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تريدوا
بذلك وجه الله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا

فاولئك هم المضعفون المضعف ذو الضعف كالمقوي والموسر بمعنى ذي القوة وذي اليسار
وقرئ بفتح العين والراجع منه محذوف ان كانت ما موصولة تقديره المضعفون به
او فمؤتوه اولئك هم المضعفون وذوو الاضعاف من الثواب او الذين ضعفوا
اموالهم ببركة الزكوة وفيه التفات حسن للتعظيم كانه قال لملائكته وخواص خلقه
تعريفا لحالهم فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو
امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون وتغيير العبارة والنظم عن سنن المقابلة
للمبالغة في المدح او للتعميم اي من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون فيكون ابلغ
برهانا الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من
يفعل من ذلكم من شيء الله مبتدأ والذي خلقكم خبره او صفته والخبر هل من شركائكم
والرابط للجملة بالمبتدأ ذلكم لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان
شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة لاستغراق النفي وكل منها مستقلة
بتأكيد تعجيز الشركاء وتجهيل عبدتها فان معنى الاستفهام الانكار المستلزم
للنفي على سبيل التأكيد اثبت الله هذه الافعال التي هي من لوازم الالوهية و
خواصها ونفاها عن شركائهم من الاصنام وغيرها مما دل عليه البرهان والعيان
ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك انه منزه ان يكون له شركاء سبحانه
وتعالى عما يشركون قيل لما يجيبوا عما سئل عنه عجزا قال استبعادا سبحانه
ظهر الفساد في البر والبحر مثل الموتان في الكلأ والدواب والجدب والقحط وكثرة
الحرق والغرق وقلة الريع والنسل وخيبة الصيادين والغاصة وخسران
التجار واحتباس الامطار ومحق البركات وشمول الآفات بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم وذنوبهم وقيل ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي
البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن الحسن ان المراد بالبحر المدن و
القرى التي على شاطئه ليذيقهم بعض الذي عملوا اراد وباله في الدنيا فان جزاءه
الموعود في الآخرة وما كان ما في الدنيا موجب شآمة ما عملوا ومقتضى شأن ذلك
العمل نزل منزلته واللام للعلة استعيرت هنا لترتب المسبب على السبب لعلهم
يرجعون لارادة الرجوع عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل امرهم بالسير في الارض والنظر في آثار من اهلك الله من
الامم قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه

كان

كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان منهم من اهلكهم بسبب المعاصي ولم يكن الشرك
وحده سبب تدمير الكل فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه
عوج بعد قد بلغ الاعتدال مبلغه فلا تهتمن لاعراض هؤلاء واقصد انت الطريق الذي
يوصلك اي الدين المستقيم وهو ما تقدم ذكره فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين
القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يوم يأتي من الله يوم لا يقدر ان
يرده احد او يأتي يوم لا رد له من جهة الله اي لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون تفرق الاشخاص على ما ورد
في قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث لا تفرق العز بغير كما ظنه من قال فريق
في الجنة وفريق في السعير فان المبالغة في التفرق المستفادة من يصدعون انما
تناسب الاول ثم استأنف لبيان شأنهم في تلك الحال فكأنه يقول للكل امر يومئذ
شأن يشغل به من كفر فعليه كفره وبالكفر مبالغة في احاطة جميع المضادة
لان مضرة الكفر وباله غاية في المضار لا وراءها وهي احاطة النار ومن عمل
صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلة في الجنة لا انعم ولا احب للراحة
منه وهو تمثيل لحالهم بحال من يمهد فراشه ويوطئه لنفسه في غاية النعومة بحيث
لا يصيبه في مرقده ما ينغصه عليه من ادنى خشونة وتقديم الظرف في الموضعين
للاختصاص وصيغة الافراد في الكافر للدلالة على انفراده في زمان عذابه تشديدا له فان
الوحشة نقمة اخرى وصيغة الجمع في المؤمن للدلالة على ان لهم نعمة الانس زيادة
على ثوابهم الجزيل وفي مقابله من كفر بمن عمل صالحا تنبيه على ان العمل الصالح من
روادف الايمان لا يوجد مع الكفر ولما كان العمل الصالح كناية عن الايمان لم يبق قسم
آخر مجهول الاحوال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله مما يتفضل
عليهم لان الثواب من الفضل والعقاب من العدل وقوله تعليل ليصدعون والا
قتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء من جزاء
الكافرين بفحوى قوله انه لا يحب الكافرين وتوصيف المؤمنين بالعمل الصالح
ليس للتخصيص بل للتنبيه على ان الايمان الخالص استتباع العمل الصالح او ليمهدون
والموصول مع صلته من باب وضع الظاهر موضع المضمر والتصريح بالتكرار للمدح
والاشعار بانه هو الموجب للكرامة واستحقاق الفضل والترغيب في الايمان و
العمل الصالح وكذا انه لا يحب الكافرين بعد قوله من كفر فعليه كفره فانه تقرير بعد تقرير

على الطرد والعكس اي يدل الاول في الثاني وبالعكس وذلك ان قوله ليجزي الذين امنوا منطوقه على
اختصاصهم بالجزاء التكريمي ومفهومه على انهم اهل الولاية والزلفى وقوله انه لا يحب الكافرين
لتعليل الاختصاص يدل بمنطوقه على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم ومفهومه على ان
مقتضى الجزاء لاضدادهم موفر بحب المؤمنين ومن اياته اي ومن ايات قدرته
وحكمته ان يرسل الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله عم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان الريح
تنزل لا يلقح السحاب الا من رياح مختلفة يريد اجعلها لقاحا للسحاب ولا تجعلها
عذابا وتحقيق ذلك مجيء الجمع في ايات الرحمة والواحد في قصص العذاب وقرئ الريح
على ارادة الجنس ثم عدد الفوائد في ارسالها فقال مبشرات اي ارسالها للبشارة
في الغيث وليذيقكم من رحمته ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب
الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك عطف على
علة او علل شيء محذوف دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى لانه في معنى التعليل
كانه قيل ليبشركم وليذيقكم او متعلق بمحذوف دل عليه ان يرسل تقديره وليذيقكم
وليكون كذا وكذا ارسلناها ولتجري الفلك عند هبوبها بامره ولتبتغوا من فضله
بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات لما وسط بين دلائل التوحيد تسلية الرسول
ووعده اختصر الكلام بادراج ذكر العز بعين في طي ذكر الانتصار والنصر قريبا للمقصود
وقصر الطريقة والمعنى فجاؤهم بالبينات فمنهم من امن ومنهم من كفر فانتقمنا في
الدنيا من الذين اجرموا اي كفروا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار
بان الانتقام من المجرمين كان لاجلهم وتعظيم لهم واظهار لكرامتهم عند الله في بان
جعلهم مستحقين على الله بنصرهم مستوجبين لان يظهرهم على عدوهم ولذلك قدم الخبر
على الاسم اعتناء بهم وبحقية نصرهم عليه وقد يوقف على حقا على ان فيه ضمير الانتقام
ويبتدأ علينا نصر المؤمنين الكشاف من معنى الحق يعلينا الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه في السماء اي يجعله متصلة تارة في الجو كيف يشاء سائرا
وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا
تارة اخرى وقرئ بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به والمراد بالسماء
جهة العلو وسمتها فترى الودق المطر يخرج في التارتين من خلاله وسطه فاذا

اصاب

اصاب به بالودق من يشاء من عباده يريد اصابة بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
لمجيء الخصب وان كانوا ان هي المخففة من الثقيلة واللام في لمبلسين الفارقة بينها و
بين النافية من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد كقوله فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها والدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وتمادي
ابلاسهم لتفيد مبالغة في استبشارهم فان الفرح بنزول المطر على قدر اغتمامهم بانقطا
ويفيد معنى التاكيد واللام في لمبلسين اي ايسين متحيرين من الغم متقبضين و
كذلك معنى السببية فانظر الى آثار رحمة الله من النبات والاشجار وانواع الثمار
وغير ذلك اي اذا كان كل الاستبشار في نزول المطر وحل الغم في احتباسه فانظر
الى آثار رحمة كيف هو واعتبر والضمير في فانظر لكل مخاطب كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى اي ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها
هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات
وفي ان واللام تاكيد وتقوية للدليل في مقابلة انكارهم ثم قرره وقواه بقوله وهو
على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على السواء ولئن ارسلنا
ريحا فراوه اي فراوا اثر رحمة الله لان الرحمة الغيث واثره النبات مصفرا
باس جاف لانه اذا يبس اصفر وقيل الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم
يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد جزاء الشرط ولذلك فسر بالمستقبل اي ليظلن من بعد اصفراره
يكفرون نعمه وهذه الايات ناعية على الكفار قلة تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تدبر
وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتكلوا على الله في الاحوال كلها ولا يضطربوا
فيشكروا نعمه عند السعة والرخاء ويصبروا عند الضيق والبلاء ولا يكفروا ويجزعوا
الشدة واللأواء ويرضوا بما جرى من القضاء فيفوزوا في الدارين بالنعماء
والفاء في فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء للسببية اي اذا
كفروا ولم يتنبهوا بهذه الايات الواضحات ولم يسمعوه فهم موتى او صم عمي فانك
لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم ولا تهدي العمي وتقييد الحكم بقوله اذا ولوا مدبرين
للمبالغة في غفلتهم وتماديهم في جهلهم وعدم نجع الدعوة فيهم فان الاصم وان لم يسمع
فاذا كان مقبلا فربما يفطن بالاشارات والحركات واما اذا كان مدبرا فلا احتمال
بسماعه وفهمه وما انت بهادي العمي انما عدل ههنا عن صيغة الفعل الى صيغة الفاعل

لانه لم يرد نفي الهداية التامة ولذلك ضمنها معنى الاذهاب فقال عن ضلالتهم يقال هداه
عن الضلالة اي ابعده عنها بالهدي ومن قرئ وما انت تهدي العمي فقد اكتفى بما في قوله
عن الضلالة من الدلالة على المراد • والله الهادي الى الرشاد • ان تسمع الا من
يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوا الى سماع اللفظ وتدبر المعنى فهم منقادون لما تأمرهم
به فهم مسلمون منقادون لاوامر الله تع الله الذي خلقكم من ضعف ابتدأكم منه وجعل
اساس امركم وما عليه من سكم الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وذلك حال الطفو لية
والصبى وقرئ ضعف بالفتح والضم وهما لغتان كالفقر والفقر والضم اقوى قراءة
لما روي ان ابن عمر رض قال قرأتها على رسول الله من ضعف فاقرأني من
ضعف بالضم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ثم ردكم الى الضعف والشيخو خة
وزيادة قوله وشيبة للتنبيه على ان المراد التبدل بحسب السن ففيه دفع لذهاب
الوهم الى ان يراد بالجعل الاول الخلق من النطفة ومن الثاني نفخ الروح في البدن
والتنكير مع التكرير لان المتأخر غير المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وشيبة وهو العليم القدير فان هذه الانتقالات في الاحوال المختلفة دالة على انه تع
يخلق على مقتضى المشية والعلم والقدرة لان التغيير من صورة الى صورة والترديد
من حالة الى حالة مع امكان خلاف ذلك دليل على الارادة المبنية على العلم والحكمة
المفضية الى القدرة ويوم تقوم الساعة القيمة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا
والكواكب للزهرة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من الدنيا وقيل لانها تقع بغتة
كما تقول لمن تستعجله في ساعة يقسم المجرمون يحلف الكافرون ما لبثوا في
الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث
ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو يحتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة
الظاهر من القسم ان ما ذكروه على زعمهم لبثا منهم لانهم استقلوا مدة لبثهم اضافة
الى مدة عذابهم لان ذلك القول منهم قبل الدخول في زمان عذاب الآخرة والوقوف
على مدتها فلا وجه للاضافة اليها كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق
يؤفكون يصرفون في الدنيا عن الصدق الى الكذب ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملك والانس والجن
لقد لبثتم في كتاب الله فيما كتبه واوجبه لكم على ان في للتعليل كما في قوله عم ان
امرأة دخلت النار في هرة حبستها الى يوم البعث ردوا ما قالوه وحلفوا عليه

الملعوم

والملعوم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقوله فهذا يوم البعث اي
فقد تبين بطلان قولكم والفاء فصيحة دخلت جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم
منكرين البعث فهذا يومه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرئ بالياء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تأنيثها غير
حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون الاستعتاب الاسترضاء يقال استعتبني
فلان فاعتبته اي ازلت عتبه وارضيته والمعنى لا يطلب منهم ان يرضوا ربهم
بالتوبة والطاعة كما طلب منهم في الدنيا ولا يقال لهم ارضوا ربكم ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ولقد بينا كل امر من امور الدين والتوحيد واحوال الآخرة
في هذا القرآن بالتمثيل او وصفنا لهم كل صفة هي في التعجيب والغرابة كالمثل كصفة
المبعوثين واحوالهم ومقاولاتهم وعدم فائدة معذرتهم وتوبتهم واستعتابهم
ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ولكن لقسوة قلوبهم
واحتجابها بزخرفاتهم ولئن جئتهم بآية عظيمة لنسبوك ومن معك من المؤمنين الى
التزوير والابطال والذين موضع الضمير للتصريح بكفرهم ذما وبيان ان كفرهم
هو الموجب للعناد والانكار ونسبة المحق الى التزوير والابطال كذلك مثل ذلك الطبع
العظيم يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون من باب اجراء المتعدي مجرى اللازم اي
الذين لا علم لهم ولا يطلبونه ويصرون على معتقداتهم الباطلة حتى طبع على قلوبهم وذلك
بسبب الجهل المركب المانع من ادراك الحق ومعرفة المحق والفاء في فاصبر للسببية على
تقدير شرط اي اذا علمت انهم جهال مطبوع على قلوبهم فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرك
واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
ولا يحملنك على الخفة والقلق قول هولاء الجهلة فانهم قوم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ لا يستحقنك
من الاستحقاق اي لا يزيغونك فيكونوا احق
من المؤمنين • والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب

والحمد لله على التمام وعلى خير خلقه محمد افضل السلام وعلى آله وصحبه اولي الفضل والانعام

سورة لقمان عليه السلام ثلثون وثلث آيات مكية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في سورة يونس ع م هدى ورحمة حالان
من الآيات والعامل فيها تلك من معنى الاشارة وقرئ بالرفع على اضمار مبتدا او خبر مبتدا
محذوف للمحسنين الجامعين بين العلم والعمل وقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيانه كما قال الزيلعي الذي يظن بك الظن كان قد
راى وقد سمعا او الذين يعملون الحسنات كلها وتخصيص القائمين بهذه الثلث بالذكر
لانافتها وفضل الاعتداد بها وتكرير الضمير للتوحيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون سبق تفسيره في سورة البقرة ومن الناس
من يشتري لهو الحديث نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري اخبار الاكاسرة
من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم من احاديث رستم
واسفنديار فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري القينات
ويحمل على معاشرتهن من اراد الاسلام ومنعه عنه ينشغله باللهو واللهو كل باطل
الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لا اصل لها والغناء
والاشتراء من الشرى كما روي عن النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه
منه واختاروه عليه والاضافة بمعنى من وهي تبيينية سواء اراد بالحديث المنكر او الاعم
منه نعم على الثاني التبعيض باعتبار ان بينهما عموما وخصوصا من وجه ولكن لا يكون
من مقتضى الاضافة ليضل عن سبيل الله اي عن دينه او عن قراءة القرآن وقرئ
ليضل بفتح الياء اي ليثبت على الضلال عن الدين ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه
او بالتجارة حيث استبدل الباطل بالحق والضلالة بالهدى حال من ضمير يشتري
اي جاهلا والضمير في ويتخذها للسبيل لانها مؤنثة هزوا سخرية وقرئ يتخذها
بالنصب عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار هم
الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كان لم
يسمعها مشبها حاله في عدم التفاته اليها حال من لم يسمعها كان في اذنيه
وقرا ثقلا لا يقدر ان يسمع كان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان محذوفا
اصلها كانه لم يسمعها جملة وقعت حالا من ضمير ولى مستكبرا كان بدل من الاولى
او حال من ضمير لم يسمعها فهما حالان متداخلتان ويجوز ان يكون مستانفتين

فبشره

بشره بعذاب اليم تهكم بهم والمعنى اعلمه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
النعيم جنة من الجنان الثمانية كالمأوى والعدن وقد سبق التفصيل في سورة البقرة والتعبير
عن جنة واحدة بالجنات للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات
والعامل ما تعلق به اللام من معنى الاستقرار وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول
لنفسه لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم والثاني لغيره لان معناه
الصدق والثبات وليس كل وعد كذلك وهو العزيز القوي الذي لا يغلبه احد فيمنعه عن
انجاز وعده وانفاذ وعيده الحكيم الذي يفعل ما يفعل بمقتضى الحكمة خلق السموات
بغير عمد ترونها قد سبق في تفسير سورة الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ
ان تميد بكم لئلا تضطرب بكم قيل تشابه اجزائها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها
وفيه نظر اذ لم يقم دليل على تشابه اجزائها بل الظاهر خلافه وبث فيها من
كل دابة واستخلاف الالتفات في محل البلاغة لان انشاء هذه الامور العظام فما
ما يحتويهم من انزال الماء وانبات اصناف النبات موضع للتنبيه والايقاظ
للعبادة والشكر على النعمة والاعراض عن الشرك وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم صنف كثير المنفعة استدل بما ذكر من الاشياء الدالة على كمال
قدرته وحكمته على الوهيته وتوحيده واستحقاقه للعبودية ثم بكتهم بقوله هذا
خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي ماذا خلقته آلهتكم حتى
استوجبوا عندكم العبادة ماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا
بصلته واروني معلق عنه ثم اضرب عن تبكيتهم والتهكم بهم الى التسجيل عليهم
بالظلم والتورط في ضلال ليس بعده ضلال فقال بل الظالمون في ضلال مبين
ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمن
الحكمة للجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة هي الكمال العلمي مع العلم بحقايق
حقايق الاشياء على ما هي عليه والملكة التامة على الافعال الفاضلة ان اشكر لله ان
هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وانما فسر ايتاء الحكمة بالشكر تنبيها على ان الحكمة
المعتدة بها هي المقتضية للعمل الصالح والشكر لله تعالى والعبادة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان
نفعه عايد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر حذف جزاؤه وهو فانما يكفر
على نفسه اي ضرر كفره لا يتعدى عنها لا نهامه بقرينة قرينه واقيم مقامه تعليله وهو قوله
فان الله غني عن الشكر لا ينتفع بوجوده ولا يتضرر بعدمه حميد بذاته حقيق بان يحمد

وإن لم يحمده أحد ومحمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال وهو أنطق من لسان المقال
وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني تصغير إشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا
فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما إن الشرك لظلم
عظيم لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه أصلا ووصينا الإنسان
بوالديه إلى قوله تعملون آيتان معترضتان في أثناء وصية لقمان لابنه تأكيدا لما فيها
من النهي عن الشرك وذكر الوالدين استطرادا كأنه قال ووصينا بمثل ما وصى به حتى
أن الوالدين اللذين وصينا بتعظيمهما وبرهما وطاعتهما وجعلنا مما تلوا الباري في
وجوب الشكر والطاعة لهما إن أمرا بالشرك لم يجز طاعتهما وتقليدهما فيه مع وجوب
مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف فما ظنك بغيرهما حملته أمه لما أوصى بالوالدين
أكد الوصية في حق الأم خصوصا بذكر مصاحبتها الحمل والفصال وما يكابده من المشاق
والمتاعب فيها فاعترض بين المفسر والمفسر تذكيرا لحقها العظيم مفردا
ولذلك قال النبي عليه السلام لمن قال من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد الثالثة
ثم أباك وهنا حال وهو في الأصل نصب على المصدر من فعل وقع حالا أي تهن وهنا
أو ذات وهن على وهن أي تضعف ضعفا أي ضعفا متزايدا لأن الحمل كلما ازدادت
مدته ازداد ثقله فازداد ضعفها فوق ضعف وفصاله في عامين وفطامه في
انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وتوقيت الفصال بالعامين بيان أن
هذه المدة أقصى غاية الرضاع أن اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا والجملتان معترضتان
بين المفسر والمفسر أو بدل من والديه بدل الاشتمال إلي المصير هو ترغيب وترهيب
وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم أي باستحقاقه للإشراك وقيل
أراد بنفي العلم نفي المعلوم أي أن تشرك بي ما ليس بشيء كقوله ما تدعون من دونه من
شيء فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صفة مصدر محذوف أي صحابا
معروفا أو مصاحبا معروفا بخلق حسن وبر واحتمال وصلة وحلم وغير ذلك مما يقتضيه
الشرع ويقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من أناب إلي أي سبيل المؤمنين في
دينك ولا تتبع سبيلهما فيه ثم إلي مرجعكم أي مرجعك ومرجعهما فأنبئكم بما كنتم
تعملون فأجازيكم على إيمانك وأجازيهما على كفرهما روي أنها نزلت في سعد بن أبي
وقاص رضي الله عنه وأمه وفي القصة أنها مكثت لإسلامه ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى
شجروا فاها ولذلك قيل من أناب إليه أبو بكر رضي فإنه أسلم بدعوته يا بني

إنها

إنها إن تك مثقال حبة من خردل أي إن الخصلة من الإساءة والإحسان إن تك مثلا في الصغر
كحبة الخردل والمثقال مقدار يساوي غيره في الوزن وقرئ مثقال بالرفع على أن الضمير
للقصة وكان تامة وتأنيث المثقال لإضافته إلى الحبة أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة
فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض في أخفى مواضع وأحرزه كجوف صخرة أو
أعلى مكان كمحدب سماء من السموات أو أسفله كقعر الأرض وقرئ فتكن بكسر
الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته أي مبيته يأت بها الله يحضرها
يوم القيمة فيحاسب بها عاملها إن الله لطيف ينفذ علمه في البواطن فيصل
إلى كل خفي خبير بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها يا بني أقم الصلوة
تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما أصابك من
الشدائد لا سيما في ذلك إن ذلك إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به من عزم الأمور
مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب والزام مصدر أطلق للمفعول
ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله فإذا عزم الأمر أي جد والمعنى من عازمات الأمور
ولا تصعر خدك ولا تمل صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء
يصيب البعير فيلوي عنقه منه للناس أي لأجلهم لم يقل عن الناس لأن المنهي ما يكون
تصعيرا للناس وتحقيرا لهم لا الميل عنهم مطلقا فإنه إذا كان لأمر آخر لا يكون منهيا
ولا تمش في الأرض مرحا مصدر في موضع الحال بمعنى مرحا أو مصدر محذوف الفعل أي تمرح
مرحا أو مفعول له أي للمرح بمعنى لأجل البطر والبطالة لا لغرض صحيح ديني أو دنيوي
إن الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو في مقابلة المقدم من
المنهيين وكذا الإتيان بصيغة المبالغة لتوافق رؤوس الآي وإنما لم يقل ونحوه
يكون المحبة مسلوبة عن كل منهما أصالة للتنبيه على أن الوصف في الجملة في عدم محبوبيته
كاف في الانتهاء عنه ومن هنا ظهر الوجه للعدول عن إثبات البغض إلى سلب المحبة
ثم إن النفي دخل على أداة السور لفظا وهي داخلة عليه معنى أي لا يحب واحدا منهم و
الاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع واقصد في
مشيك واعدل فيه أي توسط بين الإسراع والدبيب يعني لا تثب وثوب الشطار
ولا تدب دبيب المتماوتين قال النبي عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول
عائشة رضي في عمر رضي كان إذا مشى أسرع فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب
المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك

وانقص منه واقصر ويجوز الغض في الصوت مستعاراً من غض البصر فانه خفض إِنَّ أَنكَرَ الأَصوَاتِ
أوحشها لَصَوتُ الحَمِيرِ والحمار مثل في الذم البليغ ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفي الآية ذم بليغ للرافعين اصواتهم حيث شبهوا بالحمير واصواتهم بالنهاق ثم طرح
التشبيه واخرج الكلام مخرج الاستعارة كل ذلك لتهجين الصوت في التنفير عنه والحث
على الغض والترغيب فيه وتوحيد الصوت لان المراد جنسه الذي هو المثل في النكير لا
افراده أَلَم تَرَوا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم لاجلكم مَا فِي السَّمَاوَاتِ ما في جهة العلويات من
الكواكب واوضاعها والسحاب وامطارها بان جعلها اسبابا لمنافعكم وَمَا فِي الأَرضِ
اي في الجهة السفلية بان سلطكم عليها ومكنكم من الانتفاع بها بوسط او بغير وسط
وَأَسبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً محسوسة وَبَاطِنَةً معقولة ومخفية عنكم ما لم تدركوه بعقو لكم
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ في توحيده وصفاته بِغَيرِ عِلمٍ مستفاد من دليل
وَلَا هُدًى راجع الى نبي وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ منزل بل بتقليد صرف كما صرح به في قوله وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا وَجَدنَا عَلَيهِ آبَاءَنَا وفيه منع صريح
عن التقليد في الاصول أَوَلَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم جواب لو محذوف لدلالة
نتبع عليه اي لاتبعوهم والواو للحال والهمزة للانكار والتعجب والضمير لآبائهم
ولهم اي اتبعوهم في حال دعاء الشيطان اياهم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ اي الى ما يؤدي
اليه من الشرك والتقليد وَمَن يُسلِم وَجهَهُ إِلَى اللهِ من اسلم اليه المتاع اذا دفعه
اليه ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمين معنى الاختصاص اي
من جعل ذاته ونفسه سالماً خالصاً لله وَهُوَ مُحسِنٌ في عمله فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ
الوُثقَى فقد تعلق باوثق ما يتعلق به مثلت حال المتوكل المفوض نفسه الى الله في
بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة
من حبل متين مأمون الانقطاع وتقديم إِلَى اللهِ للاختصاص اي صائرة الى الله لا الى غيره
عَاقِبَةُ الأُمُورِ فيجازي عليه وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحزُنكَ كُفرُهُ فلا يهمنك كفره وكيده للاسلام
فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك والمستفيض في الاستعمال احزن في
الماضي ويحزن ثلاثياً مجرداً في المستقبل إِلَينَا مَرجِعُهُم خاصة فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا
فنعاقبهم على اعمالهم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ان الله يعلم ما في صدور عباده
فيجازيهم على حسبه نُمَتِّعُهُم قَلِيلاً تمتعاً او زماناً قليلاً فتمتعا بمزخرفات الزايل بالنسبة
الى الدايم ثُمَّ نَضطَرُّهُم إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ استعار الغلظ من الاجرام الغليظة لثقل العذاب

ولئن

وثقله الزامهم العذاب باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه وَلَئِن
سَأَلتَهُم مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ لوضوح البرهان الملجئ الى الاذعان
به قُلِ الحَمدُ لِلَّهِ على الزامهم على اقرارهم بان الخالق هو الله وحده وانه يجب ان يكون
له الحمد وان لا يعبد معه غيره بَل أَكثَرُهُم لَا يَعلَمُونَ ان اقرارهم يلزمهم وبل اضراب
عن دعوتهم بجهلهم وانهم لا ينتبهون بالتنبيه ولا يتفطنون ان قولهم عليه لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ تقرير للتوحيد باختصاص الملك به ودخول آلهتهم في
ملكه إِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ عنهم وعن اسلامهم وحمدهم الحَمِيدُ المستحق للحمد المحمود
منك ومن كل عارف وان لم يحمدوه وَلَو أَنَّمَا فِي الأَرضِ مِن شَجَرَةٍ أَقلَامٌ
توحيد شجرة لتفصيل الجنس وتقصي كل واحدة من جنس الشجر الى الاستغراق فيعم
اي جميع ما في الارض من شجرة شجرة حتى لا يبقى واحدة منها الا كانت قلما والبحر
بالرفع عطفاً على محل ان ومعمولها ويمده من بعده حال او للابتداء على انه مستانف
والواو ليس للحال وبالنصب عطفاً على اسم ان واضمار فعل يفسره يمده اي ولو ثبت
كون اشجار الارض كلها اقلاما وكون البحر ممدودا بِسَبعَةِ أَبحُرٍ او على الابتداء
والواو للحال اي ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا فاستغنى بالواو عن
الضمير لكون امثال هذه الاحوال جارية مجرى الظروف ويجوز ان يكون اللام بدل
الاضافة اي وبحرها والضمير للارض وقرئ وبحر يمده على التنكير ولا وجه له الا العطف
على محل ان واسمها وقرئ يُمِدُّه من مد الدواة وامدها واغنى عن ذكر المداد بقوله يمده
مَا نَفِدَت كَلِمَاتُ اللهِ اختار جمع القلة على جمع الكثرة وهي الكلم للاشعار بانها لا تفي
بالقليل منها فضلا عن الكثير والتقدير ولو ان اشجار الارض كلها اقلام والبحر
المحيط دواة فجعل البحر بمنزلة الدواة والابحر السبعة مملوءة مدادا تمدها ابدا وكتبت
بها كلمات الله وتنفد الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات
إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لا يعجزه شيء ولا يخرج عن علمه وحكمته امر ومن كان كذلك لا تنفد كلماته
وحكمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا وقد اوتينا التورية وفيها
كل الحكمة وقيل امروا وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تتلو فيما انزل
عليك انا قد اوتينا التورية وفيها علم كل شيء واما ما قيل انها نزلت حين سالوه
عن قوله وما اوتيتم من العلم صح الا قليلا ومخالفته لنزول التورية وفيها علم كل شيء فمردود علمه انه لا يصلح
سبباً للنزول اذ ليس فيما نزل تعرض لوجه التوفيق بينهما وَمَا خَلقُكُم وَلَا بَعثُكُم إِلَّا

كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها لأنه لا يشغله شأن عن شأن فلا يتفاوت عنده القليل والكثير
لأنه يكفي في وجود الكل تعلق إرادته القديمة منضمة إلى قدرته الذاتية كما قال إنما
أمرنا إذا أردنا شيئا أن نقول له كن فيكون إن الله سميع لكل مسموع بصير لكل
مبصر فلا يشغله إدراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث ألم تر أن الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من الشمس
والقمر يجري في فلكه إلى أجل مسمى أي منتهى معين الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى
آخر الشهر وقيل إلى يوم القيامة لأنه منتهى جريهما ومنقطعه استعمل الجري هنا مع
حرف الانتهاء وفي فاطر مع حرف الاختصاص أي يجري لإدراك أجل معين لأن بلوغ
الجري إلى منتهاها يوافق اختصاص الجري بإدراك الأجل المعين في المعنى فكلا المعنيين
يتوافقان في إفادة المقصود وأن الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الوصف
الذي وصف به من كمال القدرة والحكمة بأن الله بسبب أن الله هو الحق الثابت
في ذاته أو الثابت الألوهية وأن ما تدعون من دونه الباطل الممتنع الألوهية
أو المعدوم في حد ذاته وأن الله هو العلي الشأن الكبير السلطان أو المترفع
عن كل شيء الكبير أن يشرك به شيء ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله بإحسا
[illegible] سبابه أو برحمته والباء للصلة أو الحال وهو استشهاد آخر على باهر قدرته
[illegible] وشمول نعمته ليريكم من آياته أي بعض دلائل قدرته وحكمته ورحمته
إن في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق يتعب نفسه بالتفكر في الأنفس والآفاق
شكور يعرف النعم ويعرف مانحها وهما صفتا المؤمن فإن الإيمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن وقيل صبار على بلائه
شكور لنعمائه وإذا غشيهم وإذا علاهم وغطاهم موج مرتفع منزلهم كالظلل
جمع الظلة وهي كل ما أظلك من الجبل أو السحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال كقلة
وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما يخالف الفطرة من الهوى
والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ثابت
على الطريق القصد الذي هو التوحيد أي باق على الإخلاص الحادث في البحر وقليل ما هم
أو متوسط في الكفر لأنه جابره بعض الانزجار والخاصة عن غلوائه وما يجحد بآياتنا
إلا كل ختار مبالغ في الغدر ناقض للعهد الفطري أو لما عاهد الله عليه في البحر والختر
أشد الغدر كفور لنعمة الله يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما التنكير للتفخيم والهول

لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ أي لا يغني والجملة صفة يوما والعائد محذوف
أي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد أو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا و
تغيير النظم بالعدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية للتوكيد والدلالة على أن المولود أولى
بأن لا يجزي شيئا عن والده وحسم أطماع المؤمنين أن ينفعوا آباءهم الكفار في الآخرة فإنهم تم
كانوا يتوقعون ذلك وللمبالغة في التوكيد جيء بلفظ هو ومولود دون ولد لأن الولد قد
يطلق على ولد الولد بخلاف المولود فإنه لا يطلق على ولد الابن بالنسبة إلى الذي ولد منه
أي لو قصد النفع لمن ولد منه لم يقدر عليه فضلا أن ينفع لأجداده كذا قيل ومبناه على
تخصيص الخطاب والحكم والظاهر العموم فالوجه أن يقال أن الابن من شأنه أن يكون جازيا
على والده لما عليه من الحقوق لما فيه من الشفقة فليس الحال كالأول إن وعد الله بالثواب
والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزينتها فإن نعيمها دانية
ولذتها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان وقرئ بضم الغين بجعل الغرور غارا
للمبالغة أو إرادة زينة الدنيا لأنها غرور وإطلاقه على الاسم المسبب على السبب إن الله
عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي أن الحارث بن عمرو أتى النبي صلعم وقال متى
قيام الساعة وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر أم أنثى
وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت أي محفوظ علمها من جهته لا يصل إليه غيره فإن كون
الشيء عنده عبارة عن كمال حفظه وبهذا الوجه يظهر اختصاص العلم المذكور به وينزل
الغيث أي يرسل المطر النافع بحسب المصالح على التدريج في أوقات متعددة ويعلم
ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحي أم ميت أتام أم ناقص وما تدري نفس أية نفس كانت
وإنما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف
وإن أعملت حيلتها ماذا تكسب غدا من خير أو شر فربما كانت عازمة على خير فعملت
شرا أو عازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس بأي أرض تموت أي أين تموت إن الله عليم خبير
وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمي بها مرامي القدر حتى
تموت في مكان لم يخطر ببالها وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل
في كلهن واعلم أن الانطباق على سبب النزول المذكور والاتفاق بما روي في صحيح البخاري
عن ابن عمر رض مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ثم تلا إن الله عنده علم الساعة الآية إنما
يكونان على تقدير أن يظهر علم أوقات نزول الغيث وعلم أحوال الحمل به ويؤذن بأن يكون
على تقدير قوله وينزل الغيث وأن ينزل الغيث عطفا على الساعة أي وعلم إنزال الغيث

تحذف ان كقوله الا ايها اللائمي احضر الوغى وقيس على هذا
قوله ويعلم ما في الارحام والله تعالى اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة السجدة ثلثون آية مكية وثلثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ان جعل الم اسما للسورة فهو مبتدأ
تنزيل الكتاب خبره على ان التنزيل بمعنى المنزل ومن رب العالمين صلة تنزيل او ضمير ثان وان
جعل تعديدا للحروف فتنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره من رب العالمين ولا ريب فيه
اعتراض لا محل لها من الاعراب والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة اي لا ريب في ذلك
يعني في كونه منزلا من رب العالمين او الخبر لا ريب فيه ومن رب العالمين خبر ثان
او حال من الضمير في فيه على انه للتنزيل او الكتاب ام يقولون افتراه مؤيد لرجوع
الضمير في فيه الى مضمون الجملة وكذا قوله بل هو الحق من ربك لان قولهم هذا مفترى
انكار لان يكون من رب العالمين والهمزة في ام يقولون انكار لقولهم وتعجيب منه فيكون
الكلام مصدرا باعجازه واثبات انه من رب العالمين مقررا بانه لا ريب في ذلك ثم
متعقبا بالاضراب عن ذلك الى انكار قولهم افتراه والتعجيب لظهور امره في الاعجاز ثم
بالاضراب عن الانكار الى تعيين المقصود بعد رد قولهم واثبات انه الحق من ربك ثم
بيان الغرض منه بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير ولا يشكل هذا بقوله وان من امة
الا خلا فيها نذير من قبلك لانهم كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
سبق تفسيره في سورة الاعراف ما لكم من دون الله من ولي ولا شفيع ما لكم اذا
جاوزتم رضاه احد ينصركم او يشفع لكم افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر
من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا كلها باسباب سماوية نازلة آثارها الى الارض
لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويكتب عنده في صحف ملائكته في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى
ان يبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل
الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في زمان هو في الحقيقة الف سنة

لان المسافة مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وفيه نظر
اذ لا يلزم من قطع المسافة الطويلة في مدة قصيرة ان تكون تلك المدة طويلة في الحقيقة وذلك
ظاهر نعم لو قيل في قوله مقداره تجوز فان المقدار المذكور للمسافة باعتبار قطعها المعتاد
لكان له وجه ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر على وفق علمه العزيز الغالب على
امره الرحيم على العباد في تدبيره على وفق مصالحهم تفضلا وامتنانا الذي احسن كل
شيء خلقه حسنه على وفق الحكمة والمصلحة موفرا عليه ما يستعده ويليق به وان تفاوت
الى حسن واحسن وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة
المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرئ بفتح اللام فالشيء على الاول مخصوص
بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم عليه السلام من طين ثم جعل نسله
من سلالة النسل الذرية سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل وتخرج من صلبه والسلالة
ما يسل من الشيء ويخرج من ماء مهين ضعيف حقير ثم سواه ثم قومه بتصوير اعضائه
على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بان له خلقا عجيبا وان
له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف
ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وانما
قدم السمع على البصر لكونه سمعيا نظرا الى البصر فان الكلام على اسلوب الترقي من الشريف
الى الاشرف قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا وقالوا قيل
القائل ابي بن خلف ولاجاجة الى رضاهم بقوله في الاسناد اليهم بل يكفي وجود القول
بينهم كقوله واذ قتلتم نفسا أئذا ضللنا في الارض اي صرنا
ترابا مختلطا بتراب الارض بحيث لا نمتاز منه او غبنا فيها وقرئ صللنا من صل
اللحم اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض وقرئ اذا على الخبر والعامل فيه
ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقا وقرئ انا على الخبر بل هم
بلقاء ربهم كافرون لما ذكر كفرهم بالبعث اعرض عنه الى ما هو ابلغ في الكفر بما بعد الموت
من الرجوع الى الله تعالى والجزاء قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم التوفي استيفاء النفس من قولك توفيت
حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كملا اي يقبض نفوسكم بتمامها
ملك الموت الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم عند انتهاء مدد اعماركم وفي قوله
وكل بكم اشارة الى وجه التوفيق بين هذه الآية وقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها وهو ان فعل الوكيل فعل الموكل ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء

ولو ترى الافصح ان يكون الخطاب لكل احد ممن يتأتى له الرؤية ولا يقدر لترى مفعول
لان المعنى او يكون منك الرؤية في هذا الوقت اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم من الذل
والحياء والندم عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الخوف اذ التقدير
قائلين ربنا ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا
عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة
انا موقنون بالبعث والحساب الآن وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا
والمضي فيها وفي اذ لان المترقب من الله تعالى بمنزلة الواقع ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني
سبق حكمي وقضائي وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ولكن اقتضى الحكم خلاف
ذلك وما ذكر من سبق القضاء بكناية عن ذلك الاقتضاء فليس فيه تسبب عدم ايمانهم
عن سبق التقدير الازلي به كما سبق الى بعض الاوهام فذوقوا يعني ما انتم فيه من الخزي
والغم بما نسيتم بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا اي بترككم العمل لهذا اليوم كانكم نسيتموه
فلم تذكروه انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب او جازيناكم على نسيانكم وفي استئنافه
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد اي او علموا
ان هذا العذاب خالد لكم غير زائل عنكم بما كنتم تعملون ما عملكم من الكفر والمعاصي وانما
كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة كما علله بتركهم
تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك وهذا ينادي على انه
لا عذر لهم في ذلك من جهة القضاء الازلي انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها
وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله تعالى وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز
عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون
عن الايمان والطاعة تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع الفرش ومواضع
النوم مبالغة في الاعتناء بقيام الليل كانهم يقومون بالطبع لا بالاختيار كما يقومون
لحاجاتهم الطبيعية يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته
وعن النبي ع م في تفسيرها قيام العبد من الليل وقيل كان ناس من الصحابة رض يصلون
من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم
نفس واحدة من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما اخفي لهم على البناء للمفعول
والفاعل وقرئ وما اخفي على انه مضارع اخفيت وما نخفي وما اخفيت والفاعل في الكل

هو الله تعالى وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة او استفهامية بمعنى اي شيء علق عنها الفعل من قرة
اعين مما تقر به اعينهم وقرئ من قرات اعين لاختلاف الانواع جزاء بما كانوا يعملون
مفعول له اي اخفي للجزاء او مصدر اي جزوا جزاء او حال على التسمية بالمصدر والفا للسببية
اي اذا القينا من كانوا يخفون عبادتهم بالليل فلا يعلم نفس ما اخفينا لهم وفي الابهام
ثم التوضيح والتفسير بقرة اعين تفخيم لشان جزائهم وتعظيم له وان جعل ما استفهامية
زيد تعظيم على تعظيم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الفاء للتعقيب والهمزة للانكار
ابعد ما ذكر من ثواب المؤمن وكرامته هل يكون مساويا للفاسق الخارج عن الايمان
في الشرف والمثوبة لا يستوون تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى الحقيقي الابدي فان الدنيا منزل مرتحل عنها
وقيل نوع من الجنان كما في قوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى عن ابن عباس رض
تأوي اليها ارواح الشهداء نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون باعمالهم واما
الذين فسقوا فمأويهم النار جنة مأويهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين
كقوله فبشرهم بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها قد سبق تفسيره
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم
من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من الاسر والقتل والقحط سبع
سنين دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان وليد بن عقبة فاخر عليا رض يوم بدر فنزلت هذه الايات
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ولم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
لان الاعراض عن هذه الآيات مع وضوحها وانارة جوها وارشادها الى الفوز
بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد عقلا كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك
الفرصة ثم لم تنتهزها ومنه ثم في بيت الحماسة * لا يكشف الغماء الا ابن حرة
يرى غمرات الموت ثم يزورها * انا من المجرمين منتقمون استئناف مؤذن بان
الانتقام منهم هو اشد الانتقام لانه لما بين انه اظلم من كل ظالم ثم دل على انه ينتقم
من كل مجرم والظالم مجرم كان من هو اظلم اشد انتقاما فلهذا المعنى وضع المجرمين
موضع الضمير ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من
لقائه من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن اي انك اوتيت مثل ما اوتيه
كقوله وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك

او من لقاء موسى الكتاب ويؤيده انتظام قوله وجعلناه اي المنزل على موسى عليه السلام
هدى لبني اسرائيل واعاد الضمير الى موسى اي من لقائك موسى فيأباه تقييده بالنهي
باداة التفريع وجعلنا منهم ايمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا
اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا لصبرهم وقرئ لما اي حين اصبروا وكانوا باياتنا
يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق
من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم
الواو للعطف على مقدر يتضمن المعطوف اي الم يؤمنوا والم تدعهم اولم يهد لهم والفاعل
ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام
كما هو بمضمونه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال او ضمير ربك ويدل له
قراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وبلادهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون فوسبق في سورة الروم وجه
توصيف القوم بالسمع وكان الظ توصيفهم بالابصار اولم يروا الواو للعطف
الاستفهام على نظيره وتاخيره عن اداته لصدارتها انا نسوق الماء الى الارض
الجرز التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء او لانه ازيل او رعي ولا يقال للتي لا تنبت
كالسباخ جرز لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه اي من
الزرع انعامهم من عصفه وتبنه وانفسهم من حبه وثمره قدم الانعام على الاكل لان
ما ياكلها من الورق والقصيل يحصل مقدما افلا يبصرون فيستدلون به على كمال
قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله وفتحت
السماء فكانت ابوابا لا من قوله ربنا افتح بيننا فان اطلاق يوم الفتح على
يوم القيمة لانفتاح ابواب السماء لا لانتصار المسلمين من الكفار ان كنتم صادقين
في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم
القيمة لانه يفتح فيه بين المؤمنين وبين اعدائهم وينصرون عليهم وقيل هو يوم بدر
او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون في احد اليومين فانهم لا ينفعهم ايمانهم
حال القتل ولا يمهلون وتطبيق الجواب على سؤالهم من حيث المعنى لان غرضهم من
الاستفهام لم يكن طلب تعيين الوقت بل الاستعجال كانه قيل لا تستعجلوا به فانه اذا
جاء لا ينفعهم الايمان ان آمنتم ولا تنظرون ان استنظرتم والذين كفروا من باب
وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وان الكفر المستمر الى وقت العذاب

هو الذي يوجب عدم نفع الايمان وبعض الانظار فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هي منسوخة
باية السيف وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة
عليهم وهلاككم وقرئ منتظرون بفتح الظاء اي انهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرون هلاكهم
فانهم هالكون لا محالة والله اعلم
بالحقيقة والصواب اليه
المرجع والمآب

سورة الاحزاب سبعون وثلث آيات مدنية والفان وثمانون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي نودي به في جميع القرآن بيا ايها النبي ويا ايها الرسول تعظيما له وتعليما للعباد
كيف ينادونه اتق الله امره بالتقوى تعظيما للتقوى واعلاما للامة بانه باب عظيم
يجب ان يعتد به ويحافظ عليه والمراد به الامر بالثبات عليها هو عليه ليكون مانعا له عما
نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تساعدهم على شيء يعود بوهن
في الدين ولا تقبل لهم رأيا في ذلك روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابي واعطاهم رسول الله ع
الامان على ان يكلموه فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك
وربك فكره وآزرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت اي اتق الله في
نقض العهد ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا
منك ان الله كان عليما بعواقب الاعمال حكيما في تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى
اليك من ربك من الامر والنهي ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه
ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرئ بالياء اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك
وتوكل على الله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا موكولا اليه كل امر قال الزجاج
ولفظ كفى وان كان الخبر فالمعنى اكتف بالله ما جعل الله لرجل تنكيره وزيادة من في
قوله من قلبين بعد النفي للتعميم والاستغراق اي ما جعل الله لفرد واحد من جملة
الرجال فضلا عن الصبيان والنسوان قلبين البتة بوجه من الوجوه في جوفه تاكيد
وزيادة تصوير للسامع ليكون اذا سمع تصوير جوف انسان مشتملا على قلبين فيكون
اسرع الى الانكار وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم

ابناءكم وما جعل الزوجية والامومة في امرة ولا الدعوة والبنوة في ذكر جعل نفي اجتماع القلبين في جوف اصلاً
لانتفاء الاجتماعين الاخيرين وذلك ان العرب تزعم ان اللبيب الاريب له قلبان
ولذلك قيل لابي معمر جميل بن اسد الفهري ذو القلبين وكان رجلا من احفظ العرب
وارواهم وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فاكذب الله تع قوله
وقولهم وضرب به مثلا في الظهار والتبني فانهم كانوا يقولون المراة المظاهر عنها ام
ودعي الرجل ابنه والمعنى كما لم يجعل الله تع قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو
ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة
بينهما وبينه امه وابنه الذي بينها وبينه ولادة ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت
علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه
معنى التجنب لان الظهار كان في الجاهلية طلاقا فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة ونظيره آلى من امراته فانه عدي بمن لتضمنه معنى التباعد والا فآلى بمعنى حلف
فلا يتعدى بمن وذكر الظهر في تشبيههم كناية عن البطن في التحريم كانهم تحاشوا عن ذكره
لانه يقارب ذكر الفرج فكنوا بالظهر عنه لانه عمود البطن او للتغليظ في التحريم فانهم
كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي وهو المدعو ولدا
فعيل بمعنى مفعول وحقه ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى والجمع على افعلاء انما يكون للفعيل
بمعنى الفاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء فهو شاذ عن القياس كقتيل واسراء ووجهه
التشبيه اللفظي ذلكم اشارة الى ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم اي لا حقيقة
له ولا يطابق الواقع والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي
السبيل سبيل الحق وفي فصل بعض الجمل الواقعة في هذه الآية ووصل بعضها ما لا يخفى
على العالم بعلم المعاني المدرب في طريق النظم ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وهو
افراد للمقصود من اقوال الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر
ادعوا واقسط افعل المستعمل لمطلق الزيادة من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
في الصدق فان لم تعلموا آباءهم اي ان لم تعرفوا آباءهم حتى تنسبوهم اليهم فاخوانكم
في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي وهذا مولاي
اي في الدين وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به قبل النهي او بعده على سبيل النسيان
او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدتموه بعد النهي وكان
الله غفورا رحيما يغفر الخطا ويعفو عنه وعن العامد اذا تاب النبي اولى بالمؤمنين

ى

من انفسهم في كل شيء من امور الدين والدنيا فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم وفلاحهم
بخلاف انفسهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم
عليه اتم واقدم من شفقتهم عليها وحقه آثر لديهم من حقوقهم وان يبذلوها دونه وان
يتبعوه كلما دعاهم اليه وصرفهم عنه روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج
فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وفي قراءة ابن مسعود رض النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم اي في الدين وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته
من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم
كناية عن التحريم خاصة ولذلك قالت عائشة رض لسنا امهات النساء لا عنه وعن
استحقاق التعظيم اذ ينتظم النساء ويرده الاثر المذكور واولوا الارحام وذوو
القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من
التوارث بالموالاة في الدين وبالهجرة في كتاب الله اي في اللوح او فيما اوحى الى
النبي ع م وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تع من المؤمنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام وتخصيص المهاجرين بالذكر بعد التعميم لدفع ما عسى ان يسبق الى الوهم
من عدم تناول الحكم لهم لما فيهم من فضيلة الهجرة او صلة لاولى اي واولوا الارحام بحق
القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم العام من معنى النفع والا
حسان وانتصاب ان تفعلوا على الظرف اي الا وقت ان تفعلوا وعدي بالى لانه في معنى
ان يسدوا والمراد بفعل المعروف التوصية وبالاولياء المؤمنون والمهاجرون لما
بينهم من الولاية في الدين ان الاقرباء بعضهم اولى ببعض من الاجانب في كل نفع من
ميراث وهدية وهبة وصدقة ومعاونة وغير ذلك الا في الوصية كان ذلك اشارة
الى ما ذكر في الآيتين جميعا في الكتاب في اللوح او في القرآن وقيل في التورية مسطورا
مثبتا او مذكورا واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعوة الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
بن مريم تخصيص للمشاهير واصحاب الشرائع من الانبياء عليهم السلام بالذكر
لبيان شرفهم وفضلهم ولذلك قدم محمدا عليه السلام على الجميع لكونه افضلهم
وانما قدم عليه نوح ع م في قوله تع شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك لان الغرض من مساق الكلام ثمة بيان اصالة الدين وقدمه واستقامته فكانه

فإنه شرع لكم الدين الأصيل القويم الذي وصينا به نوحاً في العهد القديم والذي أوحينا إليك في العهد الحديث وما وصينا به من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير فهو دين قديم أصيل اتفق عليه وعلى إقامته الأنبياء كلهم ولم يتفرقوا فيه ‹وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً› تكرير للتوكيد وزيادة وصف الميثاق بالعظم وفخامة الشأن ولذلك نكر وغلظ أي ميثاقاً موثقاً بالأيمان الغلاظ وسماه ميثاقاً فالأعهداً دلالة على توثيقه باليمين والغلظ استعارة من وصف الأجرام لتصوير معنى القوة والوثاقة في الحس ‹ليسأل الصادقين عن صدقهم› تعليل لأخذنا ميثاقهم وليسأل الله يوم القيامة عن مواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدق عهدهم أو الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أو تصديقهم إياهم تبكيتاً لهم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق ‹وأعد للكافرين عذاباً أليماً› عطف على أخذنا لأن المعنى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعد للكافرين أو على ما دل عليه ليسأل أي فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين ‹يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود› يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً ‹فأرسلنا عليهم ريحاً› من الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا ... لما سمع بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج إليهم في ثلاثة آلاف فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله تعالى عليهم صباً باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال ‹وكان الله بما تعملون› من ضرب الخندق وغيره ‹بصيراً› وقرئ بالياء أي بما يعمل المشركون واليهود من التحزب والتضام ‹إذ جاؤكم› بدل من إذ جاءتكم ‹من فوقكم› من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ‹ومن أسفل منكم› أي من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش لم يقل ومن تحتكم مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار اظهاراً لما في مقابلته من التجوز وإنما اختير ذلك لأنه أحسن لفظاً ومعنى من أعلى منكم ‹وإذ زاغت الأبصار› مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً ‹وبلغت القلوب الحناجر› رعباً فإن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فيربو ويرتفع القلب

بارتفاعها

بارتفاعها إلى رأس الحنجرة أو مثل في شدة الخفقان واضطراب القلب فإن صاحب الخفقان الشديد يتوهم من شدة انتفاخ الرئة أن قلبه بلغ الحنجرة وهي رأس قصبة الرئة وهي مخرج النفس ‹وتظنون بالله الظنونا› الظنون المختلفة والخطاب للمؤمنين فمنهم الأقوياء الثابتو الأقدام يظنون الابتلاء من الله تعالى وإنجاز وعده بالنصر ومنهم من يخاف الزلل وضعف الاحتمال ومنهم الضعاف الذين يشكون في أمرهم ويستأذنون والمنافقون يظنون أن المسلمين يستأصلون ‹هنالك ابتلي المؤمنون› اختبروا وتميز المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ‹وزلزلوا زلزالاً شديداً› وأزعجوا أشد إزعاج من شدة الفزع فالزلزال الاضطراب العظيم ‹وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض› ضعف اعتقاد ‹ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً› وعداً باطلاً إذ وعدنا بالعز من إعلاء الدين والظفر على المشركين ‹وإذ قالت طائفة منهم› يعني أوس بن قيظي ومن وافقه ‹يا أهل يثرب› اسم المدينة وقيل اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها ‹لا مقام لكم› لا موضع قيام لكم ههنا وقرئ بالضم على أنه مكان أو مصدر من أقام ‹فارجعوا› إلى المدينة وانخزلوا من معسكر الرسول إلى منازلكم وقيل لا مقام لكم بالمدينة إن بقيتم على دين محمد فارجعوا إلى الشرك وأسلموا محمداً حتى يمكنكم المقام بها ‹ويستأذن فريق منهم النبي› للرجوع ‹يقولون إن بيوتنا عورة› بسكون الواو وبكسرها فالعورة بالسكون الخلل مبالغة في وصفها بالعورة كأن أنفسها عورة وبالكسر ذات العورة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة تخفيف عورة ‹وما هي بعورة› بل هي حصينة ‹إن يريدون إلا فراراً› ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال ‹ولو دخلت عليهم› دخلت المدينة أو بيوتهم ‹من أقطارها› من جوانبها وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ‹ثم سئلوا الفتنة› الردة ومقاتلة المسلمين ‹لآتوها› لأعطوها وقرئ بالقصر أي لجاؤها وفعلوها ‹وما تلبثوا بها› أي بالفتنة أو بإعطائها ‹إلا يسيراً› ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو بالمدينة أي بالفتنة بها بعد الارتداد إلا زماناً يسيراً أو لبثاً يسيراً لأن الله تعالى يهلكهم ويستأصلهم ‹ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار› عن ابن عباس رض عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن وعن محمد بن إسحق هم بنو حارثة عاهدوا يوم أحد رسول

الله ءمن قبل ثم تابوا ان لا يعودوا بعد ان نزل فيهم ما نزل وكان عهد الله مسؤلا
عن الوفاء به مجازي عليه ابن تاته ذلك قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل نفعا تاما في دفع الامرين المذكورين بالكلية اذ لابد لكل شخص من حتف انفه
او قتل في وقت لا لانه سبق به القضاء لانه تابع للمقتضي فلا يكون باعثا بل لانه
مقتضي ترتب الاسباب والمسببات بحسب العادة على مقتضى الحكمة فلا دلالة فيه على
ان الفرار لا يغني شيئا حتى يشكل بالنهي الواقع في الكتاب عن القاء النفس بالتهلكة
وبالامر الواقع في السنة بالفرار عن المضار كيف وقد دل قوله واذا لا تمتعون الا
قليلا على ان في الفرار نفع في الجملة اذ المعنى لا تمتعون على تقدير الفرار الا متاعا قليلا
او زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية
فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي مما اراد الله انزاله بكم
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة العصمة هي المحافظة من السوء فلا يكون من الرحمة
فاقترانها بالسوء في حكم العصمة على طريقة عطف عامل حذف وبقي معموله على عامل
آخر يجمعهما معنى واحد اختصارا اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة ويجوز ان يكون
الرحمة قرينة السوء في العصمة لا تقابل معنى المنع كما كان الرمح قرين السيف في قوله
ومتقلدا سيفا ورمحا في التقلد لانه في معنى الحمل فلم يحتج الى تقدير ومتقلدا ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله قد
هنا للتحقيق وان دخل على المضارع المعوقين المثبطين الناس عن رسول الله وهم
المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قد سبق تفسيره
في سورة الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا اي اتيانا قليلا او زمانا قليلا او باسا
قليلا اي يخرجون معكم يوهمون المؤمنين انهم معهم ولا يقاتلون الا قتالا قليلا اذا اضطروا
اليه لقوله وما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم وقت الامن او بالمعاونة
او النفقة في سبيل الله او الغنيمة عند الظفر جمع شحيح نصب على الحال من فاعل يأتون
او المعوقين او القائلين او على الذم فاذا جاء الخوف اي وقت الحرب رأيتهم ينظرون
اليك لواذا بك تدور اعينهم في موضع الحال اي دائرة اعينهم والكاف في كالذي
يغشى عليه في موضع النصب على المصدر اما من ينظرون اي نظرا مثل نظر الذي يغشى
عليه او من تدور اي دورانا مثل دوران عين الذي يغشى عليه من الموت من شدة
سكرات الموت خوفا وجبنا فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم

جزو

270

ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة بعد ان كانت حصرة بالخوف قال قطرب سلقت المرأة
وصلقت اي صخبت واصله رفع الصوت قال عم ليس منا من حلق او سلق اي حلق شعره
عند المصيبة او رفع صوته بالنياحة اشحة على الخير حال من ضمير سلقوكم او نصب على الذم
ويؤيده قراءة من قرأ بالرفع وليس بتكرير لان كلا منهما يفيد فائدة اخرى اولئك لم يؤمنوا
اخلاصا والقاء في فاحبط الله اعمالهم للسببية اي ابطل الله تعالى ما عملوه من اعمال البر
بسبب نفاقهم وعدم ايمانهم حقيقة فانه شرط صحة العبادة وقبولها وكان ذلك الا
حباط على الله يسيرا هينا لتعلق ارادته من غير مانع عنه يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا من شدة الجبن والخوف ففروا الى المدينة وقد انهزم الاحزاب وهم من
استيلاء الرعب عليهم لا يصدقون بذلك وان يأت الاحزاب كرة اخرى يودوا
لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو بين الاعراب يسألون
كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة
ولم يفروا الى المدينة ووقع قتال ما قاتلوا الا قليلا الا قتالا رياء وخوفا من التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة خصلة حسنة يجب ان يؤتسى به وهي المصابرة
على الجهاد والثبات على الجارية ومقاساة الشدائد والاولى بفصاحة القرآن يكون
في في قوله لكم في رسول الله للتجريد اي لقد كان لكم رسول الله بنفسه اسوة حسنة
اي هو قدوة يجب ان يقتدى به كما تقول في فلان صديق صادق ومعناه المبالغة
في الصداقة اي كان فيه من جمل صداقته صديقا آخر لمن كان يرجو الله واليوم الا
خر يرجو ثواب الله او لقاءه والعاقبة المحمودة ومن نعيم الآخرة او ايام الله واليوم
الآخر خصوصا ويجوز ان يكون يرجو الله من باب المواطنة كما تقول رجوت زيدا و
فضله اي فضل زيد والرجاء ههنا يجوز ان يكون بمعنى الامل وبمعنى الخوف ولمن كان صلة
لحسنة او صفة لاسوة وقيل بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم والاكثر
على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا قرن الرجاء بالذكر الكثير المؤدي الى
ملازمة الطاعة لئلا يكون رجاؤه طمعا فارغا فان المقتدي برسول الله عم من كان
كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله لانهم وعدوا
ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الآية
وفي قوله عم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام
ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع او عشر اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم

قد اقبلوا للقتال قالوا للقتال قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء ايمانا بالله وبوعده
وتسليما لقضائه وقدره والهاء الاسمين في قوله وصدق الله ورسوله للتعظيم اي
ظهر صدق خبرهما او صدقا في النصر والثواب كما صدقا في البلاء وما زادهم ضمير الفاعل
فيه لما راوا او للخطب او البلاء الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما
لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال التنكير للتفخيم صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اي صدقوا فيما عاهدوه عليه من الثبات مع الرسول والمصابرة على قتال اعداء
الدين بحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره اي صدقني في سن بكره نذر رجال
من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ع م ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم
عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم ويجوز ان يجعل المعا هد
عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا له سنفي بك فاذا وفوا به فقد صدقوه من قولك
صدقني اخوك اذا قال لك الصدق فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد
كحمزة ومصعب وانس رضي الله عنهم قيل النحب استعارة للموت فان الموت لازم
لكل حيوان فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه كان هذا القائل غافل عن
النذر المذكور في سبب النزول لان موجبه ان يكون النحب على حقيقته وقضاء نذرهم
يجوز ان يكون كناية عن شهادتهم ومنهم من ينتظر كعثمان وطلحة رض وما
بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من انتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع
رسول الله ع م يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله ع م اوجب طلحة اي الجنة
تبديلا شيئا من التبديل تعريض بمن بدل من اهل النفاق وتبديلهم ولذلك قال
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين تغليبا للمنطوق والمعرض
جعل المنافقين كانهم قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد الصادقون بوفائهم
عاقبة الصدق فاللام مجاز للعاقبة فانها وان امكن حملها على الحقيقة بالنسبة
الى الصادقين لكن لا يمكن حملها عليها بالنسبة الى المنافقين لان التعذيب لم يكن
غرضا لهم ولا يستعمل اللفظ الواحد حقيقة ومجازا في استعمال واحد فيجب حملها على
المجاز لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب والعقاب ان شاء اذا
لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ويجوز ان يعذبهم ان شاء او يوفقهم للتوبة
ان الله كان غفورا بقبول التوبة رحيما بعفو الحوبة ورد الله الذين كفروا
يعني الاحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا حالان متداخلان او متعاقبتان اي مغيظين

غير ظافرين ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملائكة وكفى هنا بمعنى وقى يتعدى لاثنين واذا كانت بمعنى حسب فالاكثر في
لسان العرب ان يكون الفاعل مصحوبا بالباء نحو كفى بالله وكان الله قويا على احداث
ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل
الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به من
حصن وغيره وقذف في قلوبهم الرعب والفزع والخوف فريقا تقتلون وتاسرون
فريقا انما اخر عن قوله تاسرون وغير النظم للدلالة على ان الكل محصور في البعض قيل
كان بنو قريظة ومع رسول الله عليه السلام فنقضوا العهد باستدعاء ابي سفيان و
جاؤوا لمحاربة المسلمين فلما فرغ رسول الله ع م من قريش ودخل الحجرة فوضع السلاح سمع
وجبة على باب الحجرة فنظر فاذا جبريل عليه السلام على فرس ابلق وعلى ثناياه النقع فقال
يا رسول الله وضعت السلاح ونحن ما وضعنا اسلحتنا بعد ان الله تعالى يامرك ان لاتصلي
العصر الا ببني قريظة فنادى رسول الله عليه السلام لذلك في المسلمين فخرجوا اليه ولحق
بهم رسول الله ع م وحاصرهم احدا وعشرين يوما ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رض
فحكم بان يقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم ونسائهم ويغنم اموالهم فقال ع م لقد حكمت
بحكم الله تعالى فيهم ففعل ذلك ومن الله تعالى على المسلمين بذلك واورثكم ارضهم مزارعهم
وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم اي جعلها لكم بعدهم وارضا
لم تطؤوها اي لم تصيروا اليها بعد قاصدين قتال اهلها وهذا وعد بانجاز ارض اخرى
قيل هي ارض فارس والروم وقيل هي مكة وقيل هي خيبر وفدك وكان الله على كل شيء
قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها ذكر
الحيوة الدنيا توطئة وتمهيدا للاختصاص اي ان كنتن تردن زينة الحيوة الدنيا وكذ ذكر الله
في يردن الله ورسوله فانه لاختصاص الرسول به فتعالين اصل تعال ان يقوله من في
المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين
هنا اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك قام
يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن التسريح كناية عن رفع قيد النكاح
وذلك بوقوع البينونة سراحا جميلا لا ضرار فيه اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة
نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة رض وكانت احب
اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح

في وصي رسول الله عليه السلام ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل
لك النساء من بعد الآية وتعليق التسريح بارادتهن زينة الدنيا وجعلها قسيماً لارادتهن
الرسول دليل على انها اذا اختارت زوجها لا يقع البينونة واما انه لا يقع الطلاق اصلاً
فلا دلالة فيما ذكر عليه لما نبهت عليه آنفا ان التسريح يُنبئ عن البينونة وتقديم التمتيع
على التسريح المسبب عنه من الكرم فان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما تنكير اجراً للتعظيم اي اجراً اجراً عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات وانما عدل فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة على استحقاقهن
لاصل الاجر والمزية فيه على سائر المحسنات يا نساء النبي من يأت منكن
بفاحشة مبينة بكبيرة في القبح مبينة ظاهر قبحها من بيّن بمعنى تبيّن يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن من النساء اي مثليه لان ما قبح من
سائر النساء كان اقبح منهن فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة فضل العاصي وزيادة
العتاب تتبع زيادة قبح المعصية ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر وعوتب
الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به غيرهم من الصغائر وكان ذلك اي التضعيف
على الله يسيرا لا يمنعه عنه كونهن نساء النبي عم بل هو سبب له فكيف يصير صارفا
عنه ومن يقنت منكن يدم على الطاعة لله ورسوله عم وذكر الله هنا كذكره
في قوله فقد اطاع الله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن
رضى النبي عم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل ايضا بالياء حملا على لفظ من ويؤتها
على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي
لستن كاحد من النساء في الفضل واحد في الاصل وحد بمعنى واحد واستعمل
في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه ولذلك جاء هنا بمعنى
جماعة واحدة من جماعات النساء ان اتقيتن الله بمعنى ان استقبلتن احداً فلا
تخضعن بالقول فلا تجئن قولا خاضعا لينا خنثا كقول المريبات واتقى بمعنى استقبل
معروف في اللغة قال النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
اي استقبلتنا باليد وهذا المعنى ابلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى
ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات في انفسهن والتعليق ظاهره يقتضي انهن
لسن متحليات بالتقوى فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول اي لا تخضعن

فلا يطمع الفاجر وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن
من وقر يقر وقارا او من قر يقر قرارا حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى
القاف واستغنى بها عن همزة الوصل كقولك ظلن بكسر الظاء وقرئ قرن بفتح القاف
واصله اقررن فحذفت الراء ونقلت فتحتها الى القاف كقولك ظلن بالفتح وقيل من قاد
يقاد اذا اجتمع ومنه القارة للجبل لاجتماعه ولا تبرجن التبرج الخروج بالزينة تبرج
الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة التي يقال لها الجاهلية
الجهلاء وهي الزمن الذي فيه ولد ابراهيم عم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح عم وقيل بين ادريس
ونوح وقيل زمن داود وسليمان عم والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق في الاسلام اي لا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل
جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله عم قال لابي الدرداء رض ان فيك جاهلية
قال جاهلية كفر ام اسلام وقال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة و
اطعن الله ورسوله في سائر ما امر به ونهى عنه امرهن بالصلوة والزكوة على الخصوص
ثم بالطاعة على العموم اعتناء بشانهما وايماء الى انهما اصل جميع الطاعات البدنية و
المالية من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه الى جميعها انما يريد الله استئناف لتعليل
امرهن ونهيهن بما امرهن به ونهاهن عنه ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم
اهل البيت نصب على النداء او على المدح ويطهركم من المعاصي تطهيرا استعار الرجس
للاثم والطهر للتقوى للتنفير عن القبائح والترغيب في المحاسن وفي التصريح والتخصيص باهل
البيت تعظيم للنبي عم وبيان شرف اهل بيته واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة لما وعظهن بما يزكي نفوسهن جمع الى اعمال التزكية ما يحلي قلوبهن من العلم والحكمة
فذكرهن في بيوتهن من الكتاب الجامع بين الآيات الدالة على التوحيد والنبوة وبين الحكم
والشرائع المحققة لقوانين العدالة في مهابط الوحي ومنازل العلم والهداية فيجب عليهن ان
يحفظنه ولا يغفلن عنه ان الله كان لطيفا خبيرا حيث علم ما ينفعكم ويصلحكم فانزل عليكم
واخبركم به وفيه تحريض على الانتهاض والانتهاء ان المسلمين والمسلمات الداخلين في
السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به
والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في نياتهم

واقوالهم واعمالهم والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين و
الخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات
بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم أعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا
من الصغاير التي لا يخلو الانسان منها بحكم السهو لانها مكفرات وأجرا عظيما على الطاعات
روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر
به انا نخاف ان لا يقبل طاعة فنزلت وقيل لما نزل فيهن قالت نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكر ضروري لانهما صنفين مختلفين تحت جنس
واحد فلا بد من توسيط العاطف واما عطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري
ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفايدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذين
الصفات وما كان وما صح لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله اي بادا الجمع دون
التفريق للدلالة على احد المفصلين لا ينفك عن الاخر فان قضا الله لا يظهر الا من جهة
الرسول وقضاوه لا يكون الا بامر الله أمرا ان يكون لهم الخيرة وهي ما يتخير وجمع الضمير
على المعنى فان النكرة في سياق النفي يفيد العموم من أمرهم وهذا الجمع للتعظيم اي لا يجوز
لهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله
ورسوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
وسبب نزوله انه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته على مولاه زيد بن حارثة
فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله فنكحها اياه وإذ تقول
للذي أنعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وأنعمت عليه
بعتقه وتربيته وما وفقك في حقه يعني زيدا أمسك عليك زوجك يعني زينب وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان
الله مقلب القلوب وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن ذلك والقى الله
في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك
منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك
عليك زوجك امره بامساكها وزيادة عليك لتضمين معنى الحبس اي احبسها ولا تطلقها
واتق الله في امرها ولا تطلقها تعليلا بتعظمها وتكبرها وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه
من نكاحها ان طلقها زيد وهو الذي ابداه الله تعالى وتخشى الناس اي قالة الناس بانه

امرأة ابنه وتخفي عطف على تقول والله أحق أن تخشاه حال اي حقيقا في ذلك ان تخشى الله
واعتراض اي والله احق ان تخشاه في كل حال ويجوز ان يكون الواو في تخفي واو الحال على وانت
تخفي اي تقول امسك مخفيا في نفسك ما الله مبديه وكذا في وتخشى ويحتمل العطف اي تجمع بين
ان تقول وتخفي وتخشى والحال اي تخفي في نفسك خاشيا قالة الناس فيك وليس العتاب في
الاخفاء وحده فانه احسن بل في الاخفاء مخافة قالة الناس فيه واظهار ما ينافي اضماره
فان الاولى فيه ان يصمت او يفوض الامر الى رايه حتى يخالف سره علانيته لان الانبياء
عليهم السلام كذلك وعن عائشة رض لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فلما
قضى زيد منها وطرا اذا تعلقت همة الرجل بشيء وبلغ حاجته منه قيل قضى منه وطره اي
فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وقضاء الوطر كناية
عن الطلاق نحو لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها اي امرنا بتزويجها منك او ولينا
تزويجها منك ويؤيده انها كانت تقول لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن
اولياؤكن الآن انطباق التعليل الآتي ذكره على الاول وقيل كان السفير في خطبتها زيد و
ذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا تعليل للتزويج وهو دليل على ان حكمه صلى الله عليه وسلم وحكم المؤمنين
واحد الا ما خصه الدليل وقضاء الوطر هنا كناية عن الطلاق لان الحكم المذكور غير مشروط
ببلوغ الحاجة منهن وكان أمر الله مفعولا جملة اعتراضية اي وكان امره الذي يريد تكوينه
مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قسم له
وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله
اسم موضوع موضع المصدر وهو مؤكد لما تقدم اي سن الله سنة في الذين خلوا
من قبل في الانبياء الماضين عليهم السلام وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم ووسعه عليهم في
باب النكاح وغيره وقد كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة
حرة وسبعمائة سرية وكان أمر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مقطوعا
الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او نصب على المدح او رفع عليه
ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا للصغيرة والكبيرة فيجب ان
لا يخشى غيره ما كان محمد أبا أحد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على
الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الاب وابنه من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض

عمومه بكونه ع م ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال قبل ولو بلغوا
كانوا رجالا لا رجالهم ولا وجه له لما ستعرف ان التاكيد بقوله وخاتم النبيين لا ينتظم معه ولا يكونه
ابا للحسنين لانه قصد المولود منه لا ولد الولد ولكن كان رسول الله بالنصب عطفا على ابا
احد وكل نبي ابو امته من حيث انه يعلمهم ويربيهم ويجب عليهم تعظيمه وتوقيره وعليه
شفقتهم ونصيحتهم لا في ساير الاحكام وزيد منهم لحكمه حكمهم فيما ذكر لا انه ولد منه والادعاء
والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف
اي ولكن هو رسول الله وقرئ ولكنّ بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من
عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين اي وكان خاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم
على قراءة الكسر او ختموا به على قراءة الفتح يعني الطابع ولو كان له ابن بالغ لكان نبيا
لما روي انه ع م قال حين توفي ابراهيم لو عاش لكان نبيا فلم يكن هو خاتما فهو موكد
لكونه ليس ابا احد من الرجال ولا يقدح في ذلك نزول عيسى ع م لانه اذا نزل كان على
دينه لانه لا ينافي استقلاله في النبوة انما ينافي استقلاله في الرسالة بل لانه كان نبيا
قبله ع م لا بعده فلا ينافي كونه خاتما للانبياء على انه آخرهم بعثة وكان الله بكل شيء
عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا اذكروا الله باصناف الذكر من التقديس والتمجيد والتكبير والتهليل
وكل ما هو اهل من انواع الثناء وسبحوه بكرة واصيلا خصص التسبيح بالذكر من بين
ساير الاذكار بيانا لفضله واختصاصه بالشرف لان التنزيه اصل الاذكار ومقدم
على كل حمد وثناء والتقييد بالوقتين المذكورين لذلك ايضا اي لبيان فضلهما وشرفهما لكونهما
طرفي الليل والنهار ومجمع الملائكة ومختلفهما ويجوز ان يراد بهما الدوام هو الذي يصلي
عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم والصلوة المشتركة بين الله تع
وملائكته هي اقامة الخيرات والكمالات مما يسعد المومنين في الدارين ويجلهم او العناية
بذلك مستعارة من الصلوة التي هي شرف وكمال لهم ولهذا علله بقوله ليخرجكم من الظلمات
من ظلمات الكفر والمعاصي الى النور اي نور الايمان والطاعات ولما كانت الملائكة واسطة
الفيض كان لهم مدخل في الامداد النورية الكمالية وقيل من الرحمة والرافة والتعطف المعنوي
استعيرت من الصلوة المشتملة على الحنو والانعطاف في الركوع والسجود للحنو و
الانعطاف العايد على المريض والمراة على ولدها ثم نقل بكثرة الاستعمال الى الترحم والترؤف
المعنوي ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم وتراف ولان الملائكة وسايط الرحمة

ويستجاب

ويستجابوا الدعوة في الاستغفار لهم نسبت الرحمة اليهم كما نسبت الى الله على ان الاستغفار
ترحم ويؤيده قوله وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم واناقة قدرهم واستعمل
في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم القيمة
او عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام باخبار السلامة عن كل مكروه و
آفة والتنكير للتعظيم واعد لهم اجرا كريما في الجنة وتغيير النظم في تحيتهم واعد للمبالغة
فيما هو اهم وادل على الكرامة وللمحافظة على الفاصلة يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت عليهم مقبول القول في تصديقهم وتكذيبهم وطاعتهم وعصيانهم وهو
حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله اي الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به
من صفاته باذنه بتيسيره لما كان التصرف للغير في حق المالك متعذرا انما يتيسر
بالاذن استعير الاذن للتيسير والتسهيل ايذانا بان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى
التوحيد والاسلام امر صعب متعذر لا يستطاع الا اذا سهله الله تع ويسره
ولا يصح حمله على الحقيقة لان قوله ارسلناك داعيا يغني عن الاذن بمعناه الوضعي و
سراجا منيرا شبه النبي ع م بالسراج لاستضاءة من تحير في ظلمات الجهل بنوره
واهتداء من ضل بضوئه ولانه قد جلى الله تع ظلمات الشرك بنور توحيده او نور البصاير
بنور هدايته كما ينور الابصار بنور السراج وبولغ في وصفه بالانارة لان من السراج
ما لا ينير وقيل ذا سراج منير على ان السراج مستعار للقرآن وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا اي عطاء واسعا او ثوابا جزيلا او فضيلة على ساير
الامم وصف بخمس صفات ثم قابل كلا منها بخطاب يناسبه وصفه بكونه شاهدا
واضمر ما يقابله لانه عطف بشر عليه فانه مقابل المبشر فيجب ان يكون معطوفا
على ما يناسب الوصف الذي عطف عليه مبشرا وهو مراقب امتك وقابل نذيرا
بالنهي عن موافقة الكفار والمبالاة بهم الوارد في قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان
ذلك اشد الانذار كانه قال خفهم وشانهم فانا الكافيكم وذلك تهييج له ع م على ما هو عليه من
مخالفتهم وقابله داعيا الى الله باذنه بقوله وتوكل على الله فانه ميسر لكل عسير وسراجا
منيرا بقوله وكفى بالله وكيلا اي موكلا اليه الامر في الاحوال كلها لان من انار برهانه على
جميع خلقه حقيق بان يكتفى به عن غيره ولا يستعان الا به يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم
المؤمنات النكاح العقد وخصص المؤمنات مع ان الحكم المذكور يستوي فيه المؤمنات
والكتابيات تعليم لما هو الاولى وتحريض عليه فان الاولى بالمؤمن ان يتخير لنطفته ولا يختار

وعصيانهم بيان

للنسل الا الطيبة الطاهرة وما في المائدة بيان الجواز وفي التراخي في ثم طلقتموهن دفع لما عسى
ان يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن فيها الاصابة يؤثر في العدة كما في النسب من قبل ان
تمسوهن المس كناية عن الجماع فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او
تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن
قراءة تعتدونها بالتخفيف على حذف الجار واوصل الفعل الى المضمر بنفسه كقوله ويوم شهدناه
اي شهدنا فيه ومنطوقه ساكت عن العدة بمجرد الخلوة الصحيحة ولا عبرة للمفهوم فلا مانع
لالحاق الخلوة بالمس في ايجاب العدة فمتعوهن للوجوب اذا لم يكن مفروضا لهن
فان للمفروض لها نصف المهر ويجوز ان يحمل على الراجح والاولى اي القدر المشترك بين
الوجوب والندب فيتناولها فان متعة المفروض لها مستحبة ولم يجب الا نصف المفروض
لها قبل المسيس من المطلقات وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا من غير اضرار ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي
آتيت اجورهن مهورهن اذ المهر اجر على البضع وايتاؤها اعطاؤها والمعتبر فيه الا
التزام كما في اعطاء الجزية وقد نبه على هذا من قال اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها
في العقد فانه في حكم الاعطاء وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وهي صفية و
جويرية فاعتقهما وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك الجمع في العمات والخالات دون العم والخال لشيوع الكلام على وفق الواقع
كما في قرينة التابع اللاتي هاجرن معك مع ليس للقرآن بل لوجود ما يحسب
كقوله واسلمت مع سليمان والتقييد المذكور للتخصيص لما روي عن ام هانئ
انها قالت خطبني رسول الله عم فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الآية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اتفق
ولذلك نكرها اي رضيت بالنكاح له بلا مهر فالهبة المذكورة مجاز عن تمليك
المتعة بلا عوض وليس معناه ان قالت وهبت نفسي للنبي حتى ينتهض حجة في الخلافية
المشهورة بيننا وبين الشافعي علينا او لنا وامرأة عطف على ازواجك وما بعدها
ولا يمنعه التقييد بان الاستقبالية لان المراد بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك
حل امرأة مؤمنة او نصب بفعل مضمر يدل عليه احللنا لك امرأة وقرئ ان بالفتح على
التعليل بتقدير حذف اداته او على الظرف اي وقت ان وهبت او مدة هبتها ان اراد

النبي

النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له
حلها الا بقبوله والارادة المذكورة عبارة عنه ولا وجه لحملها على الحقيقة لان قوله يستنكحها ينبو
عن الارادة بمعناها الوضعي والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي ثم الرجوع اليه
في قوله خالصة للايذان بانه مما خص به لنبوته وتكريره تفخيم لاستحقاق الكرامة لاجله
وخالصة مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا اي خلص لك احلالها خالصة مصدر بمعنى خلوصا
او حال من الضمير في وهبت او صفة مصدر محذوف اي هبة خالصة وقرئ خالصة
بالرفع اي ذلك خلوص لك من دون المؤمنين او تلك المرأة خالصة لك من دونهم
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث
لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها عليهم كيف ينبغي ان يفرض عليهم والعدول
من عبارة الاماء الى ما ذكر للدلالة على ان مدار الحل على ملك اليد ولذلك لا يتحقق الحل
اذا تخلف ملك اليد عن ملك الرقبة كما في المكاتبة لكيلا يكون عليك حرج علة لقوله
خالصة لك وما بينهما اعتراض لبيان ان الفرق بينه وبين المؤمنين ليس لمجرد التوسيع
عليه كما ههنا بل لمعان من خواص النبوة يقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة
وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في امكان
الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
فلا تقسم لها وتؤوي اليك وتضم اليك من تشاء وتضاجعها او تطلق من تشاء و
تمسك من تشاء ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح
عليك في شيء من ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى اقرب ان تقر اعينهن ولا
يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن الى قرة اعينهن وذهاب حزنهن حصول رضاهن
جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء لا تفاضل بينهن فيتبعا بينهن ثم ان سويت بينهن
وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن على بعض علمن ان ذلك من عند الله
وبوحيه وتعريضه فيطمئن نفوسهن ويرضين ولا يتغايرن والله يعلم ما في قلوبكم
وغيره لمن لم ترض منهن بما دبر الله في وفوض الى مشيئته وكان الله عليما بذات
الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا يحل لك النساء
اي ذلك الجنس واتيان صيغة الجمع ثم ابطاله بالتعريف لعدم المفرد من لفظها ولم
يقل امرأة لعمومها المملوكة بملك اليمين والمراد المملوكة بملك النكاح بقرينة قوله من
ازواج وقرئ بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال

نسوة فيه الفصل اجود من بعد من بعد التسع لانه نصاب رسول الله ءم من الازواج كما ان
الاربع نصاب امته او من بعد اليوم حتى انه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى
ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهن من ازواج لا بكلهن ولا ببعضهن بان تطلق
احديهن وتنكح اخرى مكانها كرامة لهن وجزاء لما اخترن ورضين به فقصر رسول الله ءم
عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن رض ومن في من ازواج هي الاستغراقية مزيدة
لتاكيد في التبدل من جنس الازواج ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال
من الضمير الذي هو فاعل تبدل اي مفروضا اعجابك بهن او من المفعول الذي هو من
ازواج لانه في سياق النفي مختصا بالمعرفة المستغرقة الاترى الى تجويزهم ان يقع
مبتدا، وعن عايشة رض ما مات رسول الله عليه السلام حتى احل له النساء، يعني ان
الاية قد نسخت ولا نسخها ان يكون اما بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك
او بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الاول وترتيب النزول
ليس على ترتيب المصحف وقيل المعنى لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي
نص على احلالهن لك من الاعرابيات والكتابيات والغرايب والاماء بالنكاح فانهن
لا يناسب منصب النبوة وجلالة الا ما ملكت يمينك استثناء منقطع لان النساء وان كان
في الاصل يتناول الحراير والاماء لكن غلب استعماله في الازواج وهو المراد هنا على ما مر
بيانه وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده و
تخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي لم يقل بيت النبي ءم
كيلا يسبق الوهم الى ان المراد بيت الذي هو فيه الا ان يؤذن لكم اي الا بان يؤذن
لكم او الا ماذونا لكم ولا يجوز نصبه على الظرف لانهم قد نصوا على ان المصدرية لا تكون
في معناه تقول اجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز اجيئك ان يصيح الديك
ولا ان يقدم الحاج الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للدلالة على ان حكم
النهي لا يرتفع بمجرد الاذن دلالة بفتح الباب ورفع الحجاب مثلا بل لا بد معه من
صريح الدعوة وبعضهم غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته وادراكه حال
من فاعل لا تدخلوا او من المجرور في لكم وقرى بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير
من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جايز عند البصريين وقرى اناه بالامالة لانه مصدر انى
الطعام اذا ادرك قيل الخطاب مخصوص بقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه والا لم يجز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن خاص والظاهر ان الخطاب عام

بز

الاذن
لغير المحارم وخصوص السبب لا يصلح مخصصا على ما تقرر في الاصول نعم يكون وجها للتقييد
بقوله الى طعام فيندفع وسيم اعتبار مفهومه ولكن اذا دعيتم فادخلوا هذه الفاء للجزاء
ولا دلالة فيها على بلا مهلة واما الفاء في قوله فاذا طعمتم فللتعقيب بلا مهلة للدلالة
على انه ينبغي ان يكون دخولهم بعد الاذن والدعوة على وجه يشرعوا في الاكل كما دخلوا
ففيه تقرير لما اشير اليه بقوله غير ناظرين اناه من النهي عن الدخول للطعام قبل ادراكه
فانتشروا فتفرقوا ولا تمكثوا روي عن انس انه قال انا اعلم بهذه الاية لما زفت
زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت وصنع طعاما للناس
فاكلوا وتفرقوا وبقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقال رسول الله عليه السلام ليخرجوا ثم
رجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله عليه السلام شديد الحياء
فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت ولا مستانسين لحديث اي ولا مستا
بعضكم لبعض لاجل الحديث او مستمعين حديث اهل البيت والاول يرجحه سبب
النزول عطف على ناظرين او منصوب على تقدير فعل اي ولا تدخلوها او ولا تمكثوا
مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله
فيما لا يعنيه فيستحيي منكم تعليل للمحذوف دل عليه السياق اي ولا يخرجكم فيستحيي
منكم ولذلك صدره باداة التعليل ولو كان المعنى يستحيي من اخراجكم لكان
حقه ان يصدر بالواو العاطفة والله لا يستحيي من الحق لما كان الحياء يمنع
الحيي من بعض افعاله واقواله وان كان حقا قيل ان الله لا يستحيي من الحق اي
لا يمتنع من امتناع الحيي وهو مجاز او على طريقة قوله قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
يعني اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله تعالى فامركم بالخروج واذا
سالتموهن الضمير لنساء النبي لدلالة ذكر البيوت او دلالة الحال عليهن متاعا
شيئا ينتفع به فاسئلوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رض قال يا رسول
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه ءم
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة رض فكره النبي ءم ذلك
فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من خواطر الشياطين وما كان لكم وما صح لكم ان
تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من
بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج
المستعيذة في ايام عمر رض فهم برجمها فاخبر بانه ءم فارقها قبل ان يمسها فترك

من غير نكير إن ذلكم أي إيذاؤه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما استئناف
لتعظيم النبي ع م وإيجاب حرمته حيا وميتا فلذلك بالغ في الوعيد عليه فقال إن تبدوا
شيئا من نكاحهن وغيره أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما فيعلم
ذلك ويجازيكم عليه وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود تهويل عظيم ومبالغة شديدة
في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن
ولا أبناء أخواتهن استئناف لمن لا يجب الاحتجاب عنه روي أنه لما نزلت آية
الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء
حجاب فنزلت وإنما لم يذكر العم والخال مع شرع الاهتمام عليها دل عليه في البيان
ما في عدم الاكتفاء بالانتهاء في حق اللاح فإن ذكرا بنته يجب عليه دلالة لأنه كره ترك
الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفاهما لأبنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات
ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والإماء وقيل من الإماء خاصة وقد سبق في تفسير
سورة النور واتقين الله فيما أمرتن به التفات إلى الخطاب بعد الغيبة لإظهار
الاعتناء بأمر الحجاب والتشديد عليهن في ذلك وأنه من باب التقوى الواجب
رعايته والمحافظة عليه ثم أوعد على ذلك بقوله إن الله كان على كل شيء شهيدا
سواء عنده السر والعلن لا يتفاوت عنده شيء من الأحوال فليكن عملكن في الحجب
أحسن مما كان قبل الاحتجاب إن الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون بإظهار
شرفه وتعظيم شأنه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا أنتم أيضا فإنكم أولى
بذلك فقولوا اللهم صل على محمد والسلام عليه ع م في الجملة إن الذين يؤذون
الله ورسوله جاز أن يكون مجازا أي يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي
وأن يكون حقيقة وذكر الله توطئة للتعظيم والاختصاص أي يؤذون رسول الله لعنهم
الله أبعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الإيلام
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها
ذلك أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن إيذاء الله و
رسوله لا يكون إلا بغير حق وإيذاؤهم قد يكون بحق فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا
ظاهرا روي أنها نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رض وقيل في أهل الإفك
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا أيها النبي قل لأزواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين بها وجوههن

واعطافهن

واعطافهن ويرخينها على أبدانهن إذا برزن لحاجة يقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك
على وجهك والجلباب الملحفة وكل ما تستتر به من كساء وغيره ومن للتبعيض لأن المرأة
تتلفع ببعضها وترخي بعضها على جبينها أو لأن لها جلابيب كانت النساء في أول
الإسلام يبرزن في درع وخمار كما كانت عادتهن في الجاهلية لا فرق بين الحرة والأمة
في ذلك وربما كان الشبان والشطار يتعرضون لهن فإذا عوتبوا فيه يقولون حسبناها
أمة فأمرن أن يتحجبن ويخالفن بزيهن زي الإماء فلذلك قال ذلك أدنى أن
يعرفن يميزن من الإماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض
لهن بما يكرهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليم آداب
المكارم لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف
إيمان أو قلة ثبات عليه وقيل أهل الريبة والفجور والزناة من قوله فيطمع الذي في
قلبه مرض والمرجفون في المدينة الذين يرجفون بأخبار السوء عن سرايا
رسول الله ع م فيقولون هزموا وقتلوا وبالجملة ما يكسر قلوب المؤمنين والإرجاف
الأخبار الكاذب لأنه متزلزل غير ثابت يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة
من الرجفة وهي الزلزلة لنغرينك بهم الإغراء التحريش جعل مجازا عن قصدهم
بالسوء أي لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم و
المرجفون عن أراجيفهم لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم من أنواع
التعذيب ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا عطف على لنغرينك لأن النفي مما جاء
به القسم ولو قيل لئن لم ينتهوا لا يجاورونك لكان صحيحا وإنما عطف بثم لأن الجلاء
عن الأوطان كان أعظم عليهم من كل بلاء وأشد من كل ما أصيبوا به من العذاب
فبعد حاله عن حال المعطوف عليه أي ثم يفعل بهم ما يضطرهم إلى الجلاء من المدينة
وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يتهيئون للرحيل ويرتحلون بعيالهم
منها ويرحلون بهم ملعونين نصب على الذم أو الحال فالاستثناء شامل له
أيضا أي لا يجاورونك إلا ملعونين ولا يجوز انتصابه بأخذوا في قوله أينما ثقفوا
وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها والتشديد
للدلالة على التكثير وكذا التنكير سنة الله في الذين خلوا مصدر مؤكد أي سن
الله في الأنبياء الذين مضوا من قبل ذلك سنة وهو الأخذ والتقتيل في الذين نافقوا
وأفسدوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لأنه تعالى لم يبدلها ولا يقدر أحد على تبديلها

يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها كان المشركون يسألون رسول الله عنه استعجالا
على سبيل الهزء واليهود امتحانا لان الله تعالى عمى وقته في التورية وفي جميع كتبه قل إنما
علمها عند الله لم يطلع عليه احدا لا نبيا ولا ملكا ثم بين لرسول الله ص بقوله وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين
وتذكير قريبا على تأويل الشيء او اليوم او الزمان ويجوز انتصابه على الظرف اي في زمان
قريب إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الايقاد
خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم ظرف
ليجدون او لنصب باذكر ويقولون حال تقلب وجوههم في النار كما تقلب اللحم عند الشي
او حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخصت الوجوه بالذكر لانها اشرف اعضاء الانسان
واعزها او عبر بها عن الجملة وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ويقولون يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب زيادة الالف في الرسولا والسبيلا
لاطلاق الصوت جعلت فواصل لآي كتزابن السجع وفواية الشعر وفائدتها الوقف
والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم وقرئ ساداتنا على
جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين
اي مثلي ما اتيتنا من العذاب لضلالهم واضلالهم لنا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد
وقرئ بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فاستحقوا العذاب في العقبى فبرأه الله مما قالوا في حقه لما اظهره
الله تعالى براءته مما قرفوه به انقطع كلامهم فيه فبرئ عليه السلام من قولهم فحصل لهم
الخجالة في الدنيا بظهور كذبهم وافترائهم على رسولهم وذلك ما روي في القصص من تحريض
قارون امرأة على قذفه بنفسها او اتهامهم اياه بقتل هرون ع م فاحياه الله تعالى فاخبره
براءة موسى ع م او قرفوه بعيب في بدنه من برص او أدرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله
على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يدفع عنه التهم و
يحافظ عليه ووجهه بصونه عن كل وصم ونقيصة وقرئ عبدا وجيها يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا
السداد القصد الى الحق يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما
نهى عن القول المؤذي لرسول الله قرن النهي بالامر بالقول السديد الحق وحفظ اللسان

عن الكذب

الكذب والغيبة والرمي لبتعاضد الامر والنهي مترادفين عليهم مع اتباع النهي الوعيد الشديد
في ضمن قصة موسى ع م واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الشر والادى بالوا
الى الخير والتقى وافرد القول السديد بالذكر وان كان داخلا في التقوى لانه اجتناب من
رذيلة الكذب لفضله كانه جنس براسه كما خص جبريل ع م من بين الملائكة يصلح لكم
اعمالكم بالقبول والاثابة عليها وذلك بالتوفيق لصالح الاعمال ويغفر لكم ذنوبكم و
يجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزا عظيما عاش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها الاشفاق
خوف مع اعتناء وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة فانه
لما علق الفوز العظيم بها اراد ان يقرر انه حق لها فاستعار الامانة لها لانها واجبة
الاداء كالامانة وبين انها من عظمها بحيث لو وضعت على هذه الاجرام العظام مع
احكامها وقوتها وكانت ذات شعور لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته تجديرا بالقايم بحقوقها والراعي لها ان يفوز بخير الدارين
وسعادة المنزلين وحق لمن اضاع حقوقها وخان فيها ان يرهق باشد العذاب
ويبوء بشر المآب انه كان ظلوما حيث لم يراع حقوقها ولم يؤدها ولم يف بها
جهولا حيث لم يعرف عظم قدرها وفخامة شانها فلم يؤدها وهذا الحكم على الجنس بحسب الاغلب
ووجه آخر وهو ان يراد بالطاعة الانقياد لامر الله تعالى مطلقا بحيث يشمل الاختياري و
الطبيعي وبعرضها استدعاؤها الذي يعم ارادة صدوره ما خلقت هذه الاجرام لها
عنها وطلب ما خلق الانسان له منه وبحملها الامتناع من ادائها والخيانة فيها يقال
حمل الامانة واحتملها اذا لم يؤدها الى صاحبها فيخرج من عهدتها وتزول عن ذمته
لان الامانة اذا كانت عليه كانها راكبة له وهو حاملها كما يقال ركبته الديون
فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا يكون هو حاملها وبابائها حملها اتيانها بما اراد الله تعالى
منها طوعا وانقيادا وباشفاقها موافقتها لامر الله والامتناع عن مخالفته على
انها مجازات فيكون المعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها لم يمتنع من طاعتنا وانقياد
لما امرنا به وادت امانتنا ولم تخن واذعنت لما اردنا منها كقوله اتينا طائعين واما
الانسان مع كونه عاقلا ولم يطع انه كان ظلوما لانه لم يؤد حقنا وامانتنا ولم يف بعهدنا
وخاننا جهولا بوخامة عاقبته ولام التعليل للعاقبة لان التعذيب يعقب حمل الامانة

وبجوز ان يراد بالامانة العقل وما يلزمه من التكاليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الي
استعدادهن وباباتهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية
وعلي هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوايد العقل ان يكون مهيمنا علي القوتين
حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم المقصود من التكاليف تعديلهما وكسر
سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات و
يتوب الله علي المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه بنتجه كالتاديب
للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونه ظلوما جهولا في
جبلته لا يخليه عن شي منه وقري يتوب بالرفع علي ان العلة قاصرة علي
فعل الحامل ويتوب الله ابتداء الكلام وكان الله
غفورا حيث تاب علي فرطاتهم رحيما حيث
اثاب علي طاعته والله تعالي
اعلم بالحقيقة والصواب
واليه المرجع و
الماب

سورة سبا اربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض قد سبق ان في وصف المحمود بعد اثبات الحمد له
اشعارا بانه موجب لاستحقاقه للحمد فالمعني انه تعالي حقيق بالحمد لاجل انعامه بجميع
النعم الدنيوية ولهذا عطف عليه بقوله وله الحمد في الآخرة الحمد علي النعم الاخروية عطف
المقيد علي المطلق اي انه المحمود علي نعم الدنيا في الدنيا وعلي نعم الآخرة في الآخرة وتقديم
الصلة للاختصاص لكون النعم الاخروية منه تعالي بلا واسطة واما نعم الدنيا فقد يكون بواسطة
من يستحق الحمد ايضا لتسببه لها والفرق بين الحمدين بان الاول منهما واجب دون الثاني
لانه علي نعمة واجبة الايصال الي مستحقها لا يمشي علي اصل اهل السنة وذلك ظاهر ولا علي
اهل الاعتزال لانهم لا ينكرون التفضل في الآخرة غايته انهم لا يقولون في كون الكل تفضلا ووجوبه
بحكم الوعد لا ينافيه لان الوعد منه تعالي مع عدم شموله لانواع النعم الاخروية فضلا عن
افرادها كان تفضلا وما يجب بحكم التفضل لا يخرج عن صدقه علي انه لا يثبت به الاستحقاق

ظلوما

فلا يجدي نفعا في دفع الخلل فتامل وهو الحكيم المحكم في افعاله المصيب في اقواله الخبير بما في الضماير
من السراير فيهما للايذان بانه تعالي كما يستحق الحمد لانه منعم يستحقه لانه منعوت بصفات
الكمال وان انعامه علي وجه الحكمة والصواب وعن علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب
ثم فصل علمه وحكمته بعد الاجمال بقوله يعلم ما يلج في الارض من ماء المطر ووقف النبات
واصول الاشجار واما الكنوز والدفاين والاموات فما يوضع فيها لا ما يلج فيها و
الولوج الدخول في مضيق وما يخرج منها من مياه العيون والنبات والاشجار وحشرات
الارض واما الفلزات فما يخرج لا ما لا يخرج وما ينزل من السماء من الملائكة والكتب
وقطرات الامطار والصواعق وامثال ذلك وما يعرج فيها من الملائكة والاعمال والادخنة
والادخنة وغيرها وتعديته بفي بتضمين معني يقال عرج في الدرجة اذا ارتقي وهو مع وفور هذه النعم
وسبوغها الرحيم بالنعم الدينية من العلم والحكمة والهداية الغفور للمفرطين في اداء
مواجب شكرها عقبه بهذين الوصفين تتميما للمقصود يعني انه تعالي مع انه اولهم بتلك النعم و
شهد منهم ذلك التقصير يزيد في تلك النعم ويغفر لهم ذلك التفريط وقال الذين كفروا
لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها النفي اما للانكار واما استبطاء للموعود استهزاء وسخرية كقولهم متي
هذا الوعد قل بلي وربي لتاتينكم رد لقولهم واثبات لما نفوه بما هو الغاية في المبالغة
بتكرير الايجاب مع التاكيد القسمي واتباع المقسم به بالوصف المقرر لوقوعه و التعليل
الموجب لثبوته وقري لياتينكم بالياء التحتانية علي ان الساعة بمعني اليوم او علي ان الفاعل
عالم الغيب اي لياتينكم امره وعلي الاول كان المذكور رفعا علي المدح اي هو عالم الغيب
او مبتدا خبره لا يعزب عنه وقري عالم الغيب بالجر صفة لربي وعلام الغيوب
للمبالغة ولا يعزب بكسر الزاء وضمها من العزوب وهو البعد مثقال ذرة مقدار اصغر
نملة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر جملة مؤكدة لنفي العزوب و
رفعهما علي الابتداء ويؤيده القراءة بالفتح فيهما علي نفي الجنس كقوله لا حول ولا قوة بالرفع
والنصب والاستثناء في قوله الا في كتاب مبين اي اللوح المحفوظ يابي عطف المرفوع
علي مثقال والمنصوب علي ذرة علي انه فتح لامتناع الصرف الا ان يجعل الضمير في عنه
للغيب ويجعل المثبت في اللوح بارزا عن الغيب مشهودا للملائكة الاعلي كما قال بعضهم
ولا يساعده المعني لان المعني الغيبي اذا برز الي الشهادة لم يعزب عنه بل يبقي في
الغيب علي ما كان عليه بروزه فهي جملة مستقلة والواو عاطفة للجملة علي الجملة لتاكيدها
في بيان علمه تعالي بالغيب ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات تعليل لقوله لتاتينكم

صح

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم إذ لا تعب فيه ولا منّ عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال
وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجّزين أي مثبطين الناس عن
قبولها أولئك لهم عذاب من رجز من سوء العذاب أليم مؤلم وقرئ بالرفع والجر
ويرى الذين أوتوا العلم أي ويعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن تابعهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وكعب
الأحبار وأضرابهما الذي أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق مفعولان ليرى و
هو فصل ومن رفع الحق جعله مبتدأ والحق خبرا أو مبتدأ والجملة في موضع المفعول الثاني ليرى
وهو في محل الرفع على أنه كلام مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين
في الآيات وقيل في محل النصب عطفا على ليجزي أي وليعلم العلماء عند مجيء الساعة أنه
الحق عيانا كما علموا الآن برهانا فيحتجوا به على المكذبين الساعين أو ليعلم علماء أهل
الكتاب الذين لم يؤمنوا أنه الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي إلى صراط العزيز
الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعض كفار
قريش لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام وإنما عبروا عنه برجل
على التنكير ولم يذكروه باسمه مع شهرته فيما بينهم للتجهيل وإخراج كلام مخرج الأ
عاجيب التي لا يعرف قائلها وواضعها بل يحكى للتلهي والسخرية فلذلك أخرج هو مخرج
من لم يعرف وفي قوله ينبئكم دون يخبركم تأييد لما ذكر فإن النبأ خبر فيه غرابة و
شأن إذا مزقتم إذا متم وفرقتم كل ممزق نصب على المصدر أو على الظرف على أنه
اسم مكان أي فرقتم كل تفريق وصرتم ترابا أو كل موضع من بطون السباع وحواصل
الطيور ومذاهب السيول والعامل في الظرف ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد أي بعثتم
وجدد خلقكم وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد أو بمعنى مفعول من جد النساج إذا قطعه
وأصله في الثوب ثم شاع وإنما قدم الظرف اعتناء باستبعاده وإيذانا بأنه سبب
التعجب لبعده عن العقول وأصل ينبئكم إنكم تبعثون وتجدد خلقكم إذا متم فقدم و
أخر وبدل وغير لما قلنا ولذلك بالغوا في التأكيد بأن واللام متعجبين ومعجبين من
جزمه بالبعث أي لا يقنع بإمكانه بل يجزم بوقوع محال مثله وهذا هو السبب في حصرهم
قوله في الافتراء والجنون بناء على أن كونه صدقا وحقا أمر بيّن الاستحالة عندهم
فالنبي بين قسمي الكذب افترى الهمزة استفهام دخلت على الألف المجتلبة فأسقطتها
للاستغناء عنها على الله كذبا أقصد وتعمد كذبا بالغا كذبه أم به جنة أم حل جنون

فيقول

280

فيقول بغير قصد عادلوا بين الافتراء والجنون لأن هذا القول عندهم إنما يصدر عن أحد هذين لأنه
إن كان يعتقد خلاف ما أخبر به فهو مفتر وإن كان لا يعتقد فهو مجنون بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد إضراب عن تقسيمهم لبطلانه إلى أن الكافرين وقعوا
بسبب إنكارهم للبعث وعدم إيمانهم بالدار الآخرة في العذاب والضلال معا ولم يفطنوا لغاية ضلالهم
للقسم الثالث الذي هو الحق وأنه عليه السلام بعيد من القسمين المذكورين لم يقل قط إلا
صدقا وحقا ووضع الموصول موضع الضمير للإيذان بأن سبب استبعادهم للبعث
ونسبة الافتراء والجنون إليه الذي هو الضلال المحض إنما هو عدم إيمانهم بالآخرة وقرن
العذاب بالضلال إشعارا بأن العذاب يلزم الضلال غير منفك عنه كأنهما في وقت
واحد لسرعة أداء الضلال إليه ووصف الضلال بالبعد من الإسناد المجازي لأن
البعد صفة الضال إذا بعد عن الجادة أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم
من السماء والأرض تذكير لهم بما هم عاينوه من كمال قدرة الله تعالى وتهديد على تكذيبهم
أي أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض فيستدلوا بذلك على
أنهم في سلطان الله تعالى يجري عليهم أحكامه إن نشأ نخسف بهم الأرض كما فعلنا بقارون أو نسقط عليهم كسفا قطعة من السماء كما فعلنا صح
بأصحاب الأيكة لتكذيبهم بالآيات البينات بعد ظهورها إن في ذلك أي في النظر
إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض لآية بينة ودلالة واضحة على قدرة الله تعالى
لكل عبد منيب راجع إلى الله لأن الراجع إليه تعالى متفكر في آياته الدالة على أنه قادر على
البعث وعلى عقاب المكذبين ولقد آتينا داود منا فضلا على سائر الناس و
يندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن أو على سائر الأنبياء عليهم السلام
في زمانه وهو ما ذكر بعده من المعجزات الخاصة به يا جبال بدل من فضلا بإضمار قولنا
أو من آتينا بإضمار قلنا أوبي رجعي معه التسبيح وقرئ أوبي من الأوب أي
ارجعي معه في التسبيح لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه وذلك يخلق صوت فيها مثل صوته
معجزة له كخلق الكلام في الشجرة وقيل سيري معه أينما سار والطير وقرئ عطفا
على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية لكون بنائه بسبب العارض وهو وقوعه منادى
مقام مبني الأصل وهو كاف ادعوك بالحركة الإعرابية أو عطفا على فاعل أوبي أي أوبي
أنت والطير كقوله اسكن أنت وزوجك الجنة وبالنصب على محله ولا نأبى في القراءة
بالرفع لهذا لأن مبناه على أن يتعين فيها العطف على لفظ الجبال وقد عرفت أنه
غير متعين أو على أنه مفعول معه وقيل عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير وأصل النظم

ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير وعدل الى هذه الصيغة للفخامة والدلالة
على كمال قدرته وعزة سلطانه وكبريائه حيث جعل الجبال والطير كالعقلاء المطيعين الذين
اذا دعاهم سمعوا واجابوا واذا امرهم اذعنوا واطاعوا اشعارا بان كل حيوان وجماد
مطيع له ومنقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه لينا
كالشمع يصرفه بيده كيف يشاء بغير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة بالالة او بشدة
قوته ان اعمل ان هي المفسرة اي امرناه ان اعمل او المصدرية اي بان اعمل سابغات
دروعا واسعات يقال سبغ الثوب اذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه والمراد زيادة
عن البدن حتى يستر الساعدين والساقين وهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح
وكانت ثقالا ولذلك امره بالتقدير بان يجمع بين الخفة والحصانة اي لا تقصد
الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزول المنعة وقدر في السرد سرد الدرع وهو ان
تحكمها وتجعل نظام حلقها ولاء غير مختلفة ومنه سرد الكلام نظمه في نسق واحد
وقيل التقدير امر به وقدرها الحلقة اي لا تجعلها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع
ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها وقيل هو في المسمار اي اجعل المسامير على قدر
الحلق لا تغلظها فتخرق ولا تدقها فتقلق وهذين القولين على الوجهين المذكورين
في تفسير النا له الحديد فرد الاخير بان دروعها لم يكن مسمرة مردود لان عدم الحاجة
الى التسمير على تقدير ان يكون الحديد لينا بالالة واما اذا كان على طبيعته فلينه
داود عم بشدة قوته فلابد من التسمير وبهذا التفصيل ظهر ضعف ما قيل ويؤيد الرد
المذكور والنا له الحديد واعملوا الضمير لداود عم واهله صالحا عملا يوافق امر الله
اني بما تعملون بصير ترغيب وترهيب ولسليمان الريح وسخرنا لسليمان الريح
فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها
بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك واسلنا له عين القطر النحاس المذاب
اسال له معدن النحاس فكان ينبع له نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عين القطر
وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل من في محل النصب عطفا على الريح ومن الجن
حال متقدمة او في محل الرفع على الابتداء ومن الجن خبره بين يديه قدامه باذن
ربه بتيسيره وقد سبق وجه هذه الاستعارة في سورة الاحزاب ومن يزغ
يعدل منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان عم نذقه من عذاب السعير
عذاب النار قيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن امره ضربه ضربة احرقته

يعملون

يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد انما عبر عن المسجد بالمحراب لاختصاصه
من بين سائر البيوت وتماثيل صور الملائكة والنبيين والعباد كانت تعلق في المساجد
على هيئتها كل العبادات التي اعتادوها لتراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولم يكن عمل
التصاوير اذ ذاك حراما وجفان وصحاف كالجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير
لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة
وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات
على الاثافي لا تنزل عنها كناية عن عظمها وهذه الكناية كانت في منزلة التشبيه في
قرينها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا مفعول له او حال بمعنى شاكرين
او نصب على المصدر اي اشكروا شكرا وحذف فعله لدلالة اعملوا عليه من حيث
ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان يكون مفعولا به على طريق المشاكلة بمعنى انا سخرنا
لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم لنا شكرا وقليل من عبادي الشكور
المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في اكثر اوقاته فلما قضينا
عليه على سليمان الموت ما دلهم الضمير للجن على موته الا دابة الارض اي الارضة
اسمها السرفة والارض وهو تاثر الخشبة منها فعلها فاضيفت اليه تاكل منساته
المنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا
وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن التخفيف قياسي ومنساته على مفعالة كما يقال في
الميضاة ميضاه ومن سائته اي من طرف عصاه استعيرت من سية
القوس وفيه لغتان كقحة وقحة فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى
او من تبينه اذا تحققه ان لو كانوا يعلمون الغيب ان مع صلتها بدل من الجن
بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله اي تبين جهل زيد او مفعول به وعلى الاول الظهور
في المعنى للمبدل من الجن لا لهم اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين وعلى الثاني معناه تحقق الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب كما
يزعمون لعلموا موته حال وقوعه فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره او علم الجن كلهم
علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في
ادعائهم علم الغيب لقد كان لسبأ الانتظام بين القصتين ان الاولى في مدح الشكور
والثانية في ذم الكفور وبيان جزائهما وقرئ سبأ منصرفا اي لاولاد سبا وهو
سبا بن يعرب بن قحطان وبالفتح ممنوعا عن الصرف على معنى القبيلة او المدينة

بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام عن قتادة في تفسير ابي السعود رحمه الله

وسبأ بقلب الهمزة الفا في مساكنهم مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب وقرئ مسكنهم بفتح الكاف وكسرها حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية اي علامة تدل ان لهم الها خلقهم ورزقهم لان ما اعطاهم من انواع الشجر والوان الثمر كان خارجا عن وسع البشر جنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف اي هي جنتان وقرئ بالنصب على المدح ودل ذلك على ان في رفعه معنى المدح والمراد جماعتان من البساتين لا بستانان اثنان عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منها في تقاربها وتضامها والتفاف اغصانها كجنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم اي قلنا على لسان الانبياء المبعوثين اليهم او لهم اوهم احقاء بان يقال لهم او قال لهم لسان الحال بلدة طيبة لم تكن سبخة ولا عاهة فيها ولا هامة استيناف للدلالة على موجب الشكر وتعليل للامر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة ورب غفور وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ بلدة ورب بالنصب على المدح او اسكنوا واعبدوا فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي الذي فيه السكر او الوادي الذي جاء منه السيل وقيل المطر الشديد او الجرذ الذي نقب السكر عليهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين تسمية البدل جنتين للمشاكلة مع التهكم ذواتي اكل خمط الاكل بالضم والسكون الثمر والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك وقيل كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى يمكن اكله وقرئ اكل بالتنوين والاضافة الى خمط واذا نون جعل خمط بدلا منه كانه قيل ذواتي اكل بشع اذا جعل اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما الاضافة فلان الخمط في معنى البرير وهو ثمره واثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا وشيء من سدر قليل السدر شجر النبق وهو مما يطيب اكله ولذلك كان يغرس في الجنان الاول ويرغب فيه ولذلك قلله بالقلة وبالغ فيه بقوله وشيء من سدر اذ بقي اثر مما على الجنان المبدلة يتذاكرون به ما كان ويتحسرون عليه والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين ذلك جزيناهم بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم بالرسل وتقديم المفعول مع جزيناهم للاهتمام والتعظيم ولذلك اخبر اليه بذلك وهل نجازي

لما استعمل الجزاء في معنى العقاب قيل هل يجازى بمعنى يعاقب اي هل يجازى بمثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل الا الكفور الا البليغ في الكفران او الكفر وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير قيل كان القادر منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال او المقال لا قول ثمه ولكن لما مكنت اسبابهم ومكنوا من السير فكانهم امروا بذلك واذنوا فيه ليالي واياما آمنين اي ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فانه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان طالت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا طيب العيش وملوا العافية والترفه وبطروا النعمة فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وهو بان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا بها على الفقراء فعجل الله لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسطة وقرئ ربنا باعد على لفظ الخبر ومعناه على خلاف ذلك وهو استبعاد مسايرهم على فصد ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه كانهم تشاكوا على ربهم وتشكوا اليه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء ورفع بين باسناد الفعل اليه وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث بها عظات وعبر يتحدث بهم ويتمثل فيقال تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لآيات لكل صبار على الطاعة والبلاء شكور للنعم في الرخاء ولقد صدق عليهم ابليس بالرفع ظنه بالنصب اي حقق عليهم ظنه صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع ظنه اي وجده ظنه صادقا وقرئ بتخفيف صدق على الوجهين ومعنى الاول صدق ابليس في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك اي تجهد جهدك ومعنى الثاني قال له ظنه الصدق حين خيله اغواؤهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على ان ظنه بدل منه اي صدق عليهم ظن ابليس فاتبعوه ان جعلنا الضمير هنا وفي عليهم لبني آدم كان كالبرهان على ان اهل سبا اتبعوا الشياطين فاغواهم ومعنى صدق ظنه

ابليس في تخيله اغواءهم انه حين وجد آدم ضعيف العزم وقد اصغى للوسوسة قال ان ذريته
اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم الا فريقا من المؤمنين فقلل
المؤمنين بالنسبة الى الكفار على ان من للبيان اي الا فريقا هم المؤمنون لقوله
لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وان كان للتبعيض فهم المخلصون
لقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وما كان له عليهم من سلطان من تسلط و
استيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة الا ليظهر علمنا بايمان
من آمن وشك من شك بتميزهم عن مظاهرة الرسول والمؤمنين وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول والمراد بالعلم متعلقه ليترتب عليه الجزاء ولذلك علل التسليط به وفي قوله
ممن هو منها في شك وتغيير نظم الصلتين بايراد الجملة الاسمية وتنكير الشك وجعله
مستقرا لهم ما لا يخفى اي ممن هو راسخ في شك عظيم لا يرعوي منه اي لا يتوب وعلى
الكفر يموت وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين
ادعوا الذين زعمتم حذف مفعولا زعم والتقدير زعمتموهم آلهة اما الاول فلطول الموصول
بصلته واما الثاني فلقيام صفته مقامه وهو من دون الله وهو وصف شايع اذا كان
معلوما ولا يستقيم ان يكون هو مفعوله الثاني لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما
ولا لا يملكون لانهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
ودفع ضر كما تدعون الله تعالى هل يستجيبون لكم بشيء لا يملكون بانفسهم واختيارهم
مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر استيناف الجواب عنهم بعدا رهم اشعارا
بانه متعين ضروري لا يحتمل غيره ولا يمكنهم الافصاح عنه لكونه حجة عليهم قوله في السموات
والارض تعميم عرفي اي لا يملكون شيئا ما في موضع ما او لان آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر
اما سماوية واما ارضية والجملة المعطوفة على الاستينافية كلها لبيان منافاة صفاتهم
للالوهية بالكلية التزاما لهم وما لهم فيهما من شرك في هذين الجنسين من شركة في خلقهما
ولا في ملكهما وما له منهم من ظهير من عون يعينه على خلقهما وتدبيرهما يعني انهم
في العجز والبعد عن صفات الربوبية بهذه المثابة فكيف يصح ان يعبدوا ويدعوا
ويرجوا كما يعبد الله تعالى ويدعى ويرجى ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا تنفعهم من
جهة الشفاعة ايضا كما تزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقرئ على
البناء اي الا لمن اذن له ان تشفع او لمن اذن ان يشفع له فان اللام المتعلقة بالشفاعة

قد يكون للشافع وقد يكون للمشفوع له والاليق بهذا الموضع ان يكون من بعض المشفوع له
واللام الثانية كالثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله والمعنى لا تنفع الشفاعة الا كائنة
لمن وقع الاذن للشفيع لاجله حتى يكون ردا لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي لا ينفعكم
شفاعتهم لانهم لا يؤذنون ان يشفعوا لامثالكم حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام
فان توقف الشفاعة على الاذن مؤذن بان ثمة انتظارا للاذن وفزعا للراجين للشفاعة
والشفعاء من لا يؤذن لهم كانه قال يتربصون فزعين حتى كشف الفزع عن قلوبهم
بالاذن في الشفاعة والتفزيع كشف الفزع وازالته وقرئ مخففا بمعنى الشدة وقرئ
بالدال المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه
شيء وفزع مخففا اصل فزع بالزاء المعجمة فزع الوجل عنها ثم ترك ذكر الوجل واسند
الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم المدفوع واصل المخفف فزع الوجل اي
انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور قالوا اي قال بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى من المؤمنين وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير
ذو العلو والكبرياء وليس لملك مقرب ولا نبي مرسل ان يتكلم ذلك اليوم الا
باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض تقرير
لقوله لا يملكون ولذلك امره بالجواب بعد سؤالهم بقوله قل الله لتعينه عند العقل
وفيه اشعار بانهم ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون بقلوبهم
لعلمهم ان لا جواب الا هذا وان الجم العناد وحب الشرك افواههم ان ينطقوا به وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين الذين يخصون
الرازق وحده المتفرد بالقدرة الواجب لذاته بالعبادة ومن المشركين الذين يشركون
به الجماد النازل في ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين من الضلال والهدى وهو
غاية في الانصاف الذي هو من سمعه من الموافق والمخالف رضيه وفي طيه بعدما تقدم
من التقرير البليغ تعريض بمن هو في ضلال من الفريقين ومن هو على الهدى ابلغ من
التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب واما خولف بين حرفي
التعدية لان المحق كالمستعلي على جواد يركضه حيث يشاء او على منار مشرف على كل
احد مطلع على كل شيء والمبطل كالمحبوس في مطمورة لا يمكنه التفصي منها لا يدري وجه الخلاص
او كالمنغمس في ظلام مرتبك لا يدري وجهه يتوجه اليها ثم اتبعه بقوله قل لا تسالون

عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون بما هو ابلغ من الاول في ارخاء العنان والانصاف فيه حتى بلغ
ذروة الاخباة نسب الاجرام الى نفسه واصحابه والعمل اليهم وهو بناء على الفرض والتقدير
فلا يلزم اجرامهم ولا تخرج عن التعرض المذكور ابضاع الهكم قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة
ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح
الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين
الحقتم به شركاء استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة تبصرا اياهم بخطائهم العظيم وزيادة
في التبكيت اي اروني بهم باي صفة الحقتموه به في استحقاق العبادة واشركتموهم به في
التعظيم وكيف فاسمعه الجماد الذي في غاية العجز والذل بالقادر الذي قهر كل شيء بالقدرة
كلا ردع لهم عن دينهم بعدما بصرهم بابطاله عند المقايسة بل اضراب بعد الردع
عن الشرك الى حصر الالهية في الله تعالى ومحض التوحيد والله العزيز الحكيم الموصوف
بالغلبة وكمال القدرة والحكمة تنبيه لهم على تفاحش غلطهم وتعامي بصائرهم كأنه قال
اين شركاؤكم من هذا الوصف وهو راجع الى الله او ضمير الشان كما في قوله قل هو الله
احد وكيف ما كان فهو دال على انفراده بالوصفين اللذين ابانهم الحجة وما ارسلناك الا كافة
للناس كافة من كف اذا منع صفة مصدر محذوف اي ارسالة عامة محيطة بهم مانعة لهم
من ان يخرج منهم احد وقال الزجاج جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من
الكاف والتاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ويجوز جعله حالا
من الناس متقدمة فان تقدم الحال على صاحب المجرور مختلف فيه ومذهب ابي علي وابن
كيسان وابن برهان وابن مالك الى انه يجوز وهو الصحيح ولا حاجة الى ان يتأول اللام
بمعنى الى فان ارسل يتعدى باللام كقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا بشيرا ونذيرا للمطيعين
والعاصين ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط
تعنتهم لا من فرط جهلهم ولذلك عطفه بالواو دون الفاء متى هذا الوعد يعنون
المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ولما كان سؤالهم عن تعيين الميعاد تعنتا وانكارا
لا استرشادا جاء الجواب تهديدا ووعيدا مطابقا لما قصدوه قل لكم ميعاد يوم
الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والاضافة للتبيين كما تقول
سحق ثوب قبل ويؤيده انه قرئ ميعاد يوم فابدل منه اليوم وقرئ يوما على التعظيم
وتقديره لكم ميعاد اعني يوما ويجوز ان يكون الرفع ايضا على التعظيم لا تستأخرون ساعة

ولا تستقدمون اي اذا فاجأكم لا تستطيعون عنه تأخرا ولا عليه تقدما وقال الذين كفروا لن
نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم السلام
الدالة على البعث روي ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عنه فاخبروهم انهم يجدون
نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ثم اخبر عن صورة
حالهم في الآخرة فقال له او لكل من يستحق ان يخاطب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول اي لو ترى في الآخرة موقفهم عند المحاسبة وهم
يتحاورون ويتراجعون القول وجواب لو محذوف للدلالة على ما لا يدخل تحت الوصف
من العجب او الهول والفزع يقول الذين استضعفوا اي الاتباع للذين استكبروا
للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا بصيغة المضارع تصويرا للحال ثم عدل عنها
الى الماضي ولذلك ترك العاطف هنا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
قد يتسع ظروف الزمان ما لا يتسع في غيرها فيضاف بعضها الى بعض والى الجمل فلذلك
اضيف بعد الى اذ واذا بل كنتم مجرمين اولى الاسم الهمزة لانكار ان يكونوا هم
الصادين لهم عن الهدى بعد ان جاءهم وتمكنوا منه واثبات انهم الذين صدوا
باختيارهم وآثروا الضلال على الهدى ولذا اضربوا عن دعواهم الاضلال الاول بالحوالة
عليهم الى انهم هم الذين اجرموا بكسبهم وقال عطف هذا الكلام على كلامهم الاول بالواو
دون كلام المستكبرين في جوابهم لانه ابتداء جواب حقه الاستيناف الذين استضعفوا
للذين استكبروا وكرر المستضعفون عليهم وقابلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل
والنهار مبطلين اضرابهم بالاضراب عنه الى ان الاضلال كان من جهة مكركم
الدائم وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد لا من جهتنا واختيارنا واضيف
المكر الى الظرف على الاتساع واجراء الظرف مجرى المفعول به اي مكركم لنا في الليل
والنهار ويجوز ان يكون اضافة المكر الى الليل والنهار من باب الاسناد المجازي
واضافة المصدر الى الفاعل جعل الليل والنهار ماكرين وقرئ مكر الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين على الاصل ومكر الليل والنهار بالرفع والنصب من الكرور
اما الرفع فعلى الابتداء او الخبر اي سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم
سبب ذلك واما النصب فعلى المصدر اي تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اذ تأمروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اذ بدل من الليل والنهار اي مكركم في زمان امركم ايانا

بالكسر ونصب على الظرف لكر او تعليل اي لامركم ايانا بالكفر واسروا اي اسر الظالمون الموقوفون الندامة للزمتهم الندامة لما راوا العذاب اي اخفوا الكلام بالندامة فيما بينهم على سبيل التسارّ والتناجي اخفى نذامة المستكبرين على الضلال والاضلال و ندامة المستضعفين على الضلال والاتباع واظهروها على سبيل الجزع والتفجع على ان الهمزة للازالة كما في قولك اشكيته واشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي باب وضع الظاهر موضع الضمير اي في اعناقهم للتصريح والتنويه بذمهم والدلالة على ان الكفر هو الذي استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان الرسل كلهم منوا بما مني به من قومه من التكذيب والمفاخرة بالاموال والاولاد الا قال مترفوها تخصيص المتنعمين بذلك لان معظم الدواعي الى الكفر والانكار التكبر والمفاخرة بالاموال والاسباب التي هي منشأ الطغيان ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون لانه مقابلة الجمع بالجمع لان قوله من نذير في سياق النفي للعموم ولان الانبياء عليهم السلام كلهم متفقوا في اثبات التوحيد والبعث وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن واولى النفي الاسم في قوله وما نحن بمعذبين لانهم اعتقدوا ان اختصاصهم بالغنى واسباب التنعم والترفه انما هو لكرامتهم عند الله تعالى او قاسوا امر الآخرة على امر الدنيا فقالوا ذلك على انه وقع لم يكونوا معذبين لانهم اكرم على الله تعالى من ان يعذبهم انما المعذبون من يهون عند الله من اهل الفقر والفاقة وسوء الحال في الدنيا وفيه استهزاء بالانبياء واصحابهم من الفقراء واستهانة بهم اي ان صدق وعدكم بالبعث فانهم المعذبون لا نحن كما في الدنيا قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء مكرما كان عنده او مهانا فلا التوسيع يدل على الاكرام ولا التضييق على الاهانة ولا يتعلق السعادة والشقاوة الاخرويتان بتوسيع الرزق الدنيوي وتضييقه قيل ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئة وفيه نظر لما تقرر في موضعه ان المشية بجامع الايجاب انما المنافي له القدرة على الفعل والترك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم وقوفهم على مواقف الحكم واسرارها فيظنون ان التنعم والغنى وكثرة

الاولاد

الاولاد وقلتهم للكرامة والهوان عند الله تعالى في الدنيا وقرر ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اخبر عن الاموال والاولاد بالتي على ارادة الجماعة لان الجمع المكسر يستوي فيه ذكور العقلاء وغيرهم وقرئ باللاتي لانها جماعات وقرئ بالذي اي بالشيء الذي وزلفى في محل النصب على المصدر اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن وعمل صالحا الظاهر انه استثناء منقطع اي لكن من آمن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه وقيل استثناء متصل من مفعول تقربكم اي لا تقرب الاموال والاولاد احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير والفقه في الدين ويربيهم على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من آمن واولاده فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا الى سبعمائة والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول اي اولئك لهم ان يجازوا الضعف وقرئ جزاء الضعف وقرئ جزاء الضعف على الاصل وجزاء الضعف بنصب جزاء ورفع الضعف اي لهم الضعف جزاء على انه تمييز او مصدر لفعله الذي دل عليه لهم على فعله اي يجزون جزاء ويجوز كونه حالا نصب بالمصدر وجزاء الضعف برفعهما على ان الضعف بدل من جزاء والفاء في اولئك للسببية وبالغ بها وباسم الاشارة وبقوله بما عملوا في ان الموجب للكرامة والزلفى عند الله تعالى هو الايمان والعمل الصالح لا غيرهما وهم في الغرفات اي في غرف منازل الجنة وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس آمنون اي كل مخوف ومكروه والذين يسعون في آياتنا اي في ابطالها وصرف الناس عنها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون عبر عن موضع العذاب بالعذاب مبالغة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له انما اعاده لان ما سبق باعتبار الاشخاص وهذا باعتبار الاوقات بالنسبة الى شخص بدلالة له فيكون ادل على المقصود وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا لا معوض سواه وهو خير الرازقين لانه قادر على مواصلة رزقه وزيادة ما شاء لمن يشاء بغير حساب وليس العبد كذلك والمالك رازق حقيقة دون العبد فلا يناسب تفضيل احدهما على الآخر لانه يقتضي الشركة في اصل الفعل حقيقة ويوم نصب بقالوا او باذكر يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين

باجاريه

وتبكيتاً واقناطاً لهم عما يتوقعون شفاعتهم فهو وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة وتخصيص الملائكة لا لانهم اشرف معبوديهم لان عيسى عم اشرف منهم ولا لاختصاصهم بصلاحية الخطاب منهم بل لان مبدأ الشرك عبادتهم قالوا سبحانك تنزيهاً لك ان يعبد معك غيرك انت ولينا انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم ارادوا باثبات موالاة الله تعالى ونفي موالاتهم براءتهم من الرضا بعبادتهم لان تخصيص موالاتهم به تعالى واثبات معاداتهم اياهم ينافي ذلك ثم اضربوا عن عبادتهم لهم الى اثبات عبادتهم للجن بقوله بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين الذين يخيلونهم ذلك لانهم اطاعوهم في عبادة غير الله تعالى او يتمثلون الصور الجنية ويحسبونها ملائكة اكثرهم بهم مؤمنون انما قال اكثرهم لان عبادة بعضهم كان عن وهم واحتمال لا عن تصديق واعتقاد فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً اذ الامر يومئذ لله تعالى فلا يملك احد شيئاً من الضر والنفع لا لغيره ولا لنفسه وانما نفي الملك دون القدرة لما في البعض من القدرة على الشفاعة باذن الله تعالى ونقول عطف على يملك مبين للمقصود من تمهيد للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار تخصيص العقاب بالذين ظلموا التصدير المقابلة بهم في قوله ولو ترى اذ الظالمون تخصيص باختصاصهم بالعقاب لان الكلام فيهم وفي قوله التي كنتم بها تكذبون دلالة قاطعة على ان عود الضمير على المضاف اليه لا يخل حسن الكلام اذا لم يكن في محل الاشتباه واذا تتلى عليهم آياتنا آيات القرآن بينات واضحات الدلالات على اعجازه قالوا ما هذا يعنون رسول الله عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم الصد الصرف عن الخير عما كان يعبد آباؤكم عن دين آبائكم وقالوا ما هذا يريدون القرآن الا افك كذب مفترى على الله وقال الذين كفروا للحق لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول اي اطلاق الكذب عليه باعتبار معناه وهذا اي اطلاق السحر عليه باعتبار لفظه وبلاغته لما جاءهم ان هذا اي الحق الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي الاشارة بهذا في المواضع الثلاثة تحقيره ال على جراءتهم على الله تعالى ورسوله عليه السلام وكتابه ورسالاته فلهذا قوبلت بما يدل على غضب شديد واظهار عظيم تعجب من كفرهم بليغ بايقاع الموصول والصلة موضع الضمير في قوله قال الذين كفروا وتعريف الحق وايراد لما الدالة على مبادهتهم بالكفر وتسمية الحق البين بالسحر المبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعني ليس فيها دليل على صحة الشرك او امر به وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او للتكثير من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها

بنذرهم

بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم العقاب على تركه وقد بان من قبل بالبرهان وجه بطلانه فمن اين وقعت لهم الشبهة وهذا غاية في تجهيلهم وتسفيه رأيهم ويجوز ان يكون معناه انهم قوم جهال اميون لا كتاب لهم ولا بلى نشأوا على طباعهم الجاهلية في الجاهلية لا تثبت لهم بوجه ولا تمسك بشبهة كقوله ام آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ثم هددهم بقوله وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة والقدرة وطول الاعمار وعظم الاجرام وكثرة الاموال وقيل معنى المعشار عشر العشر فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري فكيف كان حالهم في التدمير والاستئصال حيث لم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء ويجوز ان يكون المعنى وما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فاستوصلوا مع ان الحجج والبينات لم يتكرر عليهم كما تكررت على هؤلاء فكيف كان حالهم في انكاري فكيف يكون حال هؤلاء مع تكرر البينات وتكثرها فيعتبروا بحالهم وليحذروا من مثلها فكذبوا عطف على كذب الذين عطف المفيد على المطلق بالفاء السببية اي فعلوا التكذيب واقدموا عليه حتى تعودوا به فصار سبباً لتكذيب رسلي ويجوز ان يعطف على ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه قل انما اعظكم انصح لكم بواحدة بخصلة واحدة ان تعلموا اصبتم الحق وتخلصتم وفسرها بقوله ان تقوموا لله خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا والمراد القيام من مجلس رسول الله عم ولا يجوز ان يكون عطف بيان لان بواحدة نكرة وان تقوموا معرفة لتقديره قيامكم لله والتخالف في عطف البيان لم يذهب اليه ذاهب مثنى وفرادى متفرقين اثنين متناظرين على النصف دون التعصب والجدال او واحداً واحداً متفكرين فان الاجتماع والازدحام مما يشوش الخواطر ويمنع البصائر ويهيج العناد والتخاصم او تقوموا بهذا الامر من قولهم قام بالامر اذا اجتهد فيه ومعنى لله خالصاً لوجه الله معرضاً عن المراء والتقليد ثم تتفكروا في امره عم ومحل الجر على البيان او البدل او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة ما نافية متعلقة بتتفكروا اي تتفكروا فتعلموا ما به من جنة ويجوز ان يكون استئنافاً تنبيهاً من الله تعالى لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة من غير تحقق بيقين وبرهان مبين فيفتضح على رؤوس الاشهاد

وبلغ به في معرض الهلاك كيف وقد انضم اليه آيات باهرة ومعجزات قاهرة ويجوز ان يكون
استفهامية اي ثم تتفكروا في احواله واقواله وافعاله هل فيه ما يهمه ويدل على ان به جنة
وقوله ان هو الا نذير لكم يرجح كون ما نافية بين يدي عذاب شديد قدامه كقوله عم
بعثت في نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر فهو لكم جزاء الشرط اي اي شيء
سالتكم من اجر الرسالة فهو لكم ويجوز ان يكون ما موصولة والفاء لتضمنها معنى
الشرط والغرض نفي الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فاسترده
وهو يعلم انه لم يعطه شيئا او اثبات الاجر لهم وهو ما اراد بقوله قل ما اسئلكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وبقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله تعالى ينفعهم وكذا مودة قرباه فان فيه قربانهم
الى الله تعالى وعلى الاول قيل كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين الجنون وتوقع
نفع دنيوي عليه لانه لا يخلو من ان يكون لغرض او لا واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا
منهما ولا يخفى ضعفه لان توقع النفع الدنيوي غير منحصر في سؤال الاجر وذلك ظاهر
ان اجري الا على الله اي ما يتوقع عليه الا الثواب من الله تعالى وهو على كل شيء شهيد
مطلع يعلم صدقي واني لا اطمع في شيء ولا اتوقع اجرا الا منه قل ان ربي يقذف
بالحق مستفاد من معناه يعني الالقاء اي يلقيه الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه
ويزهقه علام الغيوب خبر ثان او صفة لربي محمولة على محل ان واسمها او خبر مبتدا
محذوف او بدل من المستكن في يقذف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح اي اعني
او اخص وقرئ بكسر الغين كالبيوت وبفتحها كالصبور على انه مبالغة غائب وهو
البليغ في الغيبة والخفاء قل جاء الحق الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اي
زهق الباطل وهو الشرك بحيث لم يبق له اثر ولا يبدئ ولا يعيد مثل في الهلاك لان
الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فصار مثلا فيه
ومنه قول عبيد ۞ اقفر من اهله عبيد ۞ فاليوم لا يبدي ولا يعيد ۞ وقيل الباطل
الابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده ان المنشئ والباعث هو الله تعالى وقال الزجاج
اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام قل ان ضللت عن الحق فانما
اضل على نفسي فان وبال ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اصل
الكلام ان ضللت فبما وسوس الي الشيطان وضرره على نفسي وان اهتديت فبما يوحي
الي ربي ونفعه لها فعدل الى ما ذكر فبقي في احد القسمين الحكم وفي الآخر السبب اكتفاء

بانهم مما ذكر في احدهما حال الآخر وهذا غاية الايجاز وقلما يتنبه لمثله الا الحذاق وانه
سميع قريب يسمع ويدري قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء وان اخفاه ولو
ترى اذ فزعوا حذف جوابه للتهويل اي لرأيت امرا هائلا لا يمكن وصفه ووقت الفزع
وقت البعث وقيام الساعة او وقت الموت وقيل يوم بدر ولو واذ والافعال الماضية
بعدهما وهي فزعوا واخذوا وحيل وفعل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال للدلالة على
تحقق وقوع معانيها عند الله تعالى وكل ما يفعل الله تعالى في المستقبل فهو بمنزلة الماضي
لتحقق وقوعه لا محالة فكانه قد وقع فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه
اي لا فوت لهم واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى
بطنها او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم
او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده ما قرئ واخذ معطوفا على
محل لا فوت اي لا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد عم لمرور ذكره في
قوله ما بصاحبكم او بالعذاب المذكور في قوله بين يدي عذاب شديد وانى لهم التناوش
ومن اين لهم التناوش اي التناول السهل من مكان قريب يعني تناول الايمان من مكان
بعيد فانه يكون في حيز التكليف وقد بعد عنهم تمثيل لطلبهم المستحيل وهو ان ينفعهم الا
وقت العذاب في الآخرة كما نفع المؤمنين في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول
الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا وقرئ التناوش بهمز
الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادور وعن ابن عمر رض والتناوش بالهمز التناول من
بعد من قولك تاشت اذا ابطأت وتاخرت وقد كفروا به اي بمحمد عم او بالعذاب من
قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به ويتكلمون بما لم يظهر في
رسول الله عم من قولهم ساحر وشاعر وكذاب ولم يشاهدوا منه شيئا من ذلك
من مكان بعيد اي قد اتوا هذا الغيب من جهة بعيدة عن حاله عم لانه ابعد شيء
مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي هو معروف بها الزور والكذب
وعلى تقدير عود الضمير على العذاب معنى وقذفهم بالغيب قياسهم امر الآخرة على
امر الدنيا وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة والعطف على وقد كفروا على حكاية
الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا آخر لهم بان مثلت حالهم في طلب المستحيل وهو
نفع الايمان في الآخرة بمن يقذف شيئا الى من لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه لغاية بعده وقرئ يقذفون على البناء للمفعول على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم

يان

ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة
او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله فارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم من قبل
باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجازان
الا ان فيهما ان المريب بالمعنى الاول منقول ممن يصح ان يكون
مريبا من الاعيان والمعنى الثاني منقول من صاحب
الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر
يصف به الشك للمبالغة والله
اعلم بالصواب واليه
المرجع والمآب

سورة الملائكة اربعون وخمس آيات وسبعمائة وسبعون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر وهو الشق فاستعمل في الخلق ابتداء
على طريقة المجاز المرتب على الكناية والاضافة حقيقية لانه بمعنى الماضي على انه قرئ بلفظه
ولذلك وصف به المعرفة جاعل الملائكة وقرئ بالرفع على المدح رسلا وسائط
بينه وبين عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة اولي اجنحة
اولي اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا او نعت له مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة
غير منصرفة اي صنف منهم اجنحتهم اثنان اثنان وصنف اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وصنف
اجنحتهم اربعة اربعة ولعلهم لم يكونوا يجاوزون ما بينهم والاحوال التي سخرت لها
وما روي انه عليه السلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح فلعله مخصوص
به ولم يذكر لانه ليس من جنس المكرر يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة
على ان الاختلاف المذكور امر تقتضيه مشيئته وحكمته وانما عمم الخلق ليتناول كل زيادة
في جميع الخلائق من حسن الصوت وحصافة العقل وذكاء القلب وشهامة وشجاعة
النفس وسماحتها الى ما لا يتناهى ان الله على كل شيء قدير استئناف للتعليل فان
القدرة الكاملة الشاملة لا بد له من مرجح لا من خارج لانه ينافي كمال القدرة
فهو المشيئة ما يفتح الله للناس استعير الفتح للاطلاق والارسال واوما اليه
لقوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له من رحمة تنكيرها للاشاعة والتعميم اي من اية

رحمة كانت معنوية او صورية سماوية او ارضية فلا ممسك لها فلا احد يقدر على امساكها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وقدم لانها الاصل واطلق المسك ليتناولها وغيرها من النقم
والغضب اشعارا بقوله سبقت رحمتي على غضبي فلا مرسل له فلا احد يقدر على
ارساله انث ضمير الاسم الاول المتضمن للشرط على المعنى لتفسيره بالرحمة وذكر الثاني
على اللفظ لاطلاقه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب القادر على ما يشاء
ليس لاحد ان ينازعه في الارسال والامساك الحكيم الذي لا يفعل ما يفعل الا بحكمة واتقان
علم ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت المتصرف في الكل على الاطلاق امر الناس
بشكر نعمه وتخصيصه بحقه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم الخطاب عام
وكذا النعمة ولا عبرة بالخصوص في سبب النزول والمراد بذكر النعمة شكرها بالقلب
واللسان والجوارح برؤيتها منه لا من غيره واداء حقوقها بالثناء على المنعم والطاعة
له واستعمالها في مرضيه ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله
هل من خالق غير الله وقرئ بالحركات الثلاث اما الرفع فللحمل على محل من خالق
بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق واما الجر فللحمل
على لفظه واما النصب فعلى الاستثناء يرزقكم من السماء والارض صفة لخالق
او تفسير لها مثله ان جعلته مرفوع المحل باضمار فعل لا بالابتداء اي هل يرزقكم من
خالق او استئناف دل على انه لا خالق غير الله وعلى وجوب شكر نعمه فهو احسن
الوجوه وعلى الوجهين الاخيرين لا محل له من الاعراب لا اله الا هو منصوب مثل
يرزقكم في الوجه الثالث اذ لو وصلته مثل يرزقكم في الوجهين الاولين لفسد المعنى
لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق متناقض فانى
تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك غيره وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام وبعث له على التأسي بالرسل السابقين
في الصبر على تكذيبهم اي وان يكذبوك فتأس بالرسل العظام واصبر على تكذيبهم فوضع
فقد كذبت رسل من قبلك موضعه لبيان السبب واستغنى بذكر السبب عن المسبب
ايجازا وتنكير رسل للتعظيم المقتضي لزيادة التسلية والحث على الصبر اي رسل
عظام ذوو عدد كثير واولو آيات بينات وقد مني بها على قرب منها وفيهم ادابا
الله ونكذبهم بها بعد السمع البالغ في قوله فانى تؤفكون والى الله ترجع الامور
وعد ووعيد اي فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله

الجزاء بالثواب والعقاب حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فلا يخدعنكم الدنيا
ولذاتها وشهواتها فيذهلكم التمتع بها عن السعي للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم
بالله الغرور الشيطان فانه هو البالغ في الغرور بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على
المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على الدفع
بقوة الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد
وقعود ان الشيطان لكم عدو تذكير لبني آدم ما فعل بابيهم آدم ثم بالاغواء
والتغرير وتحذير عن موالاته فاتخذوه عدوا بالغ في العداوة في عقائدكم وافعالكم
وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
مبالغة في التحذير عن عداوته بتقرير ما وبيان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع
الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجابه ووعد لمن خالفه وبنى الامر
على الايمان والعمل الصالح وتركهما ليقطع الاطماع الفارغة ويهيج الهمم العالية ولما
ذكر الفريقين قرر الوعد والوعيد بقوله افمن زين له سوء عمله لغلبة وهمه وهواه
على عقله فانتكس رايه فرآه الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق
للنظر الصحيح من فهما وراى الحق حقا فاحسنه واختاره وراى الباطل باطلا فاجتنبه
وتركه والهمزة للانكار ودخلت على الفاء العاطفة لانكار الجهل وفقد النظر والتمييز
واتبع الشيطان فراى القبيح الذي زين له حسنا لمن ليس كذلك وانما حذف الجواب
لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه وقال الزجاج الجواب ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه اي فلا تهلك نفسك
للحسرات وعليهم صلة تذهب كقولك هلك عليه حبا او بيان للمتحسر عليه ويجوز ان يكون
حالا على انها كلها صارت حسرات لفرط التحسر وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف
اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتاسف عليهم وقرئ فلا تذهب
نفسك اي فلا تهلكها والفاآت الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب
والثالثة على المسبب ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم
والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية وقد خولف به عما
قبله وما بعده الى المضارع استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة
من آثاره الريح السحاب وما يقارنه من انزال المطر وغيره وهكذا يغير النظم في كل امر

عجيب فعل مختص بحال يستغرب او تهم المخاطب او بتميز بنوع شرف وغير ذلك والتفت
في فسقناه الى بلد ميت من الغيبة الى التكلم الذي هو ادل على الاختصاص بالقدرة الباهرة
والضمير في فاحيينا به الارض للمطر الدال عليه السحاب او للسحاب لانه السبب فهو
سبب او للسوق المدلول عليه بعد موتها بعد يبسها كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور
الاموات في صحة المقدورية اذ لا فرق بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه ولا مدخل
لها فيها وقيل في كيفية الاحياء ان الله تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت به اجساد الخلق
من كان يريد العزة اي القوة والقدرة والمنعة فليطلبها من عند الله فحذف الجزاء استغناء
عن المدلول بالدليل وهو قوله فلله العزة جميعا اي عزة الدنيا والآخرة ثم بين ان الذي
يطلب به العزة هو التوحيد والعمل الصالح فقال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
الكلم الطيب هو قول لا اله الا الله وصعوده اليه مجاز عن قبوله اياه والمستكن في يرفعه
للكلم لان الصاعد بنفسه هو ولا خلاف في ان العمل لا يقبل الا بالتوحيد والايمان ويؤيده
القراءة بنصب العمل وقيل لله تعالى والمرفوع العمل وتخصيصه بهذا الشرف لما فيه من الكلفة
وقيل للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه والكلم اسم جنس من الاجناس التي يفرق بين واحدها
والجنس بالتاء كتمر وتمرة وقرئ يصعد على البناء للمفعول ويصعد على البناء للفاعل من اصعد
ونصب الكلم والفاعل هو المتكلم به لانه يصعده الى الله تعالى والذين يمكرون السيئات
نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات او لمضاف الى المصدر اي اصناف المكر
السيئات او ضمن يمكرون معنى يكسبون فنصب السيئات مفعولا به والمراد مكرات قريش
في دار الندوة وقد مر تفصيلها في الانفال لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون
به ومكر اولئك هو يبور اولئك اشارة الى الذين يمكرون السيئات جيء به للدلالة على عظم
مكرهم واشتهاره اوجب فساده وعدم نفاذه وتوسيط هو للحصر اي هو خاصة يبور
يفسد دون مكر الله تعالى بهم والامور مقدرة لا يتغير لا يصلح علة لفساد مكرهم لما قررناه
في مواضع من انه لا تاثير في التقدير كما زعمه الجبرية ولا دلالة على ذلك في قوله والله خلقكم
من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا اصنافا او
ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له لما اثبت
القدرة الكاملة والعلم الشامل اراد اثبات القضاء والقدر فقال وما يعمر من معمر
باب تسمية الشيء بما يؤول اليه اي وما يعمر من احد الابرى انه يرجع الضمير في قوله ولا ينقص
من عمره والنقصان من عمر المعمر محال وهو من التسامح في العبارة ثقة بفهم السامع

هذا بحث اجليل من النظر واما الذي من النظر فيحكم بصحة ان المراد بالذي قدر له عمر طويل يجوز ان يبلغ
حد ذلك العمر وان لا يبلغ فيزيد عمره على الاول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغيير في التقدير
وذلك ان المقدر لكل شخص انما هو الانفاس المعدودة لا الايام المحدودة والاعوام الممدودة ولا
خفاء في ان ايام قوي الانفاس يزيد وينقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم هذا
السر العجيب الا في كتاب وهو اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى
الزيادة والنقصان وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر والعذب ما يقطع العطش
ويردعه من اعذب عن الشيء اذا امسك عنه والفرات الذي يكسر العطش والسائغ
الذي يسهل انحداره والملح الماء الذي فيه ملوحة ولا يقال مالح والاجاج اشد المياه
ملوحة وهو الذي يلذع ملوحة يلتهب ويقال اجيج النار اي التهابها والاجة
شدة الحر ثم وصف البحرين بما فيهما من النعم والفوائد على سبيل الاستطراد او استئنافا
وتفضلا فقال ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها اما غير
النظم حيث لم يقل وتلبسون حلية لتفاوت الحال حيث كان الاول سهل المأخذ و
الثاني في زيادة السين نوع دلالة الى مزيد كلفة في اخراجها وفي عبارة كل دلالة على
ان قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان على ظاهره ويجوز ان يكون وصفهما من
تمام المثل وهو انهما وان اشتركا في فوائد كثيرة كما ان الكافر وان كان المقصود من
الانسان فيه مفقودا كالمقصود الاعظم من الماء في البحر الملح ولكن قد يشارك
المؤمن في فوائد دنيوية كالشجاعة والسخاوة وامثالها او ان الملح وان لم يبق
فيه خاصية الماء وقد جوهره بما اختلط به وابطل فطرته كالكافر لكنه مفضل عليه بان
فيه فوائد كثيرة ومنافع جمة بخلاف الكافر فانه لا خير فيه ولا نفع فيكون على طريقة
قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة الاية وترى الفلك فيه في كل مواخر
شواق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واضمر للعلم به
ونعمته واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم
تشكرون لعل مستعار من معنى الترجي للارادة ولذلك سلك به مسلك التعليل و
عطف على قوله لتبتغوا كأنه قال لتبتغوا من فضله وتشكروا على ذلك يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى قد سبق
تفسيره ذلكم اشارة الى الموصوف بالصفات المذكورة وفيه اشعار بان فاعلية لها

موجبة لثبوت الاخبار المترادفة الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله بيان ولا يجوز ان يكون صفة
لانه علم لا يوصف به له الملك جملة استئنافية مقررة لمعنى التعظيم الواقع في ذلكم او لمعان الصفات
المذكورة او لكنها اخبار مترادفة ولا يأبى المعنى عن خبرية ربكم لانه يكون قد اخبر بانه
المشار اليه بتلك الصفات والافعال او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة لا محل
لها من الاعراب واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
مقدمة منضمة الى الاولى ليتعقد القياس منهما ترتبا دالا على انها لا تصلح للالهية ولا
يستحق العبادة والقطمير القمع الذي في رأس الثمرة وقيل لفافة النواة ثم قرر نفي الا
لوهية عنها بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانها جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض والتقدير ما استجابوا لكم بتحصيل سؤلكم لعدم قدرتهم على شيء ويوم القيمة
يكفرون بشرككم اي يكفرون هذا على ان يكون الكلام في الاصنام يحدثهم بان ينطقهم
الله يوم القيمة فينكرون ان يكونوا اهلا للعبادة او ينكرون ان تكون تلك العبادة
حقا وانما ذكر افعالهم بالواو والنون لانه وصفهم بصفات العقلاء وان كان في
الملائكة والانبياء ونحوهم فمعنى قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لغيبتهم عنهم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون ذلك ومعنى انكارهم شرككم انهم يوم القيمة يقولون
ما كانوا يعبدون الجن او ينكرون ان يكون ذلك حقا ولا ينبئك مثل خبير التنكير
للتعظيم اي ولا يخبرك بحقيقة الامر على ما هو عليه خبير مثل خبير اي خبير عليم بكل خفية
وجلية يعني ما اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بكل شيء يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للماهية بناء على المبالغة
وتوسيط انتم للحصر اي انتم جنس الفقراء مطلقا دون سائر الخلائق يعني انكم لكثرة
حوائجكم وشدة افتقاركم وغاية ضعفكم بالنسبة الى سائر الخلائق كانكم جنس
الفقراء ليس غيركم فقراء ولذلك قابله بقوله والله هو الغني مطلقا وبالذات لوجوب
وجوده لا غنى سواه لاحتياج الكل اليه وزاد عليه الحميد لان الغني قد لا يجود فلا
يحمد وهو الجواد المنعم بجميع النعم وقد انعم عليهم بالوجود وكل ما يحتاجون اليه فكان
حميدا مطلقا ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم اطوع منكم وما ذلك على الله
بعزيز بصعب ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى فلا تغتروا
بقول كبرائكم القائلين ولنحمل خطاياكم ولا يخالف هذا قوله تعالى في حق الضالين المضلين
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لان الحاملين كلا من اوزاره وان تدع مثقلة

نفس اثقلها الاوزار الي حملها لحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لا يحمل شيئاً من وزرها
اي لا غياث لمن استغاث منهم حذف مفعول ان تدع للتعميم اي وان تدع كل من
في العالم واحداً واحداً لم يجب ولهذا اضمر المدعو في ولو كان ذا قربي قربى
ذو قربي علي حذف الخبر ويجوز ان يكون تامة الآن النا قصة اوقع وافصح وانما
تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل اي يخشونه غائبين عن عذابه
او من المفعول اي يخشون عذابه غائبا عنهم او نصب على الظرف اي في السر
والغيبة من الناس واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار واختلاف
الفعلين للدلالة علي استمرار خشيتهم ومن تزكى ومن تطهر عن دنس
المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم
الصلوة لانهما من جملة التزكي والي الله المصير ترغيب ترهيب وما يستوي
الاعمى والبصير مثل اخر للكافر والمؤمن او للصنم والله تعالى وتاخير البصير لمحافظة الفاصلة
ولا الظلمات ولا النور مثل للباطل والحق وانما جمع الظلمات دون النور لان الحق
واحد بخلاف الباطل فانه علي انواع متعددة ولا الظل ولا الحرور مثل للثواب
والعقاب والحرور فعول من الحر غلب علي السموم وقيل غلب علي ما يكون بالليل
والسموم ما يكون بالنهار والواوات بعضها عاطفة الوتر علي الوتر كالتي بين
ولا الظلمات ولا النور وكررت لا فيما كرر لتاكيد المنافاة فالظلمات تنافي
النور والظل ينافي الحرور والاعمي لا ينافي البصر انما المنافاة بين الوصفين
ولذلك يكون الشخص الواحد بصيرا في وقت واعمي في وقت آخر فلهذا لم يذكر لا بينهما
وما يستوي الاحياء ولا الاموات مثل للعقلاء الذين دخلوا في الاسلام
والجهال الذين لم يدخلوا فيه واصروا علي الكفر آثر صيغة الجمع هنا لانه اراد
نفي المساواة بين الافراد اي ليس في جنس الاموات فرد يساوي فردا من
جنس الاحياء ولا صحة لهذا المعني في الاعمى والبصير فانه قد يوجد في جنس الاعمى
ما يساوي بعض افراد البصير بل يفضل عليه فلذلك آثر فيه صيغة الافراد تفضيلا
للجنس علي الجنس ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ
بعظاته وبناء الفعل علي الاسم يفيد انك لا تسمع من تشاء وما انت بمسمع
من في القبور وما شانك في ارادة اسلام من تشاء من قوم مخذولين الا مثل من
يريد ان يسمع من في القبور وهو ترشيح لتمثيل المصرين علي الكفر بالاموات ومبالغة

في اقناطه عنهم ثم قال ان انت الا نذير اي لست بمسمع فانه الاسماع ليس اليك ولا حيلة
لك في اسماع المطبوع علي قلوبهم ما عليك الا الانذار انا ارسلناك بالحق حال من احد
الضميرين اي محقين او محقا او صفة مصدر محذوف اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة
لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا مضيء بها ونذيرا من نبي او عالم قائم مقامه في الانذار
وانما خصه بالذكر لان البشارة انما تكون بالشرع فهي من خصائص الانبياء فالبشير
لا يكون الا نبيا او نائبا عنه بخلاف الانذار فانه كما يكون بالشرع يكون بالعقل فلذ
وجد الثاني في كل امة دون الاول ولا يشكل هذا بقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من
نذير لان المراد من العذاب فيه النذير بالشرع وان يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم تسلية للرسول جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة علي نبوتهم
وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير وبجنس الكتاب كالتورية والزبور و
الانجيل ولما كان الاشياء المذكورة في جنس الانبياء وجد بعضها في جميعهم وهي
البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب اسند المجيء بها اليهم مطلقا
علي ان الكل منهم جاؤا بالكل لان كل واحد منهم جاؤا بكل واحد ثم اخذت الذين
كفروا فكيف كان نكير قد سبق تفسيره في سورة سبا الم تر ان الله انزل من السماء
ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها كالرمان والتفاح والتين والعنب
وغيرها مما لا يحصى او اصنافها علي ان كلا منها اصناف مختلفة او هيئاتها من الحمرة
والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد طرائق مختلف الوانها اي جبال كل بعض
منها علي لون وطريقة مخالف لآخر كما في الثمرات او من الجبال ذو جدد اي جنس ذو
خطط بيض وحمر مختلف الوانها اي بعض مختلف الالوان وبعض علي لون واحد
وقرئ جدد بضم الدال جمع جديدة وهي الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
وغرابيب سود عطف علي بيض او علي جدد مخطط ذو طرائق مختلفة ومنها ما هو علي
لون واحد غرابيب والغربيب البالغ في السواد وهو من التوابع المؤكدة ومنه
الغراب وعليه تفسير عكرمة ووجهه ان يضمر المؤكد قبله لانه تابع ثم اوقع بيانا له
حيث اللبس كقول النابغة ۞ والمؤمن العائذات الطير ۞ وتفسير الاصل فيه لزيادة
التاكيد كانه دل علي المعني الواحد بطريق الاضمار والاظهار فيكون لتكرار التاكيد بوجه
ابلغ ۞ ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار
والجبال انما يخشي الله من عباده العلماء ما يخشي احد تعالى من عباده الا العلماء بالله

وبصفاته وافعاله فان الخشية على قدر العلم فمن كان اعلم بالله كان اخشى منه وفي الحديث اعلمكم
بالله اشدكم خشية ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وعظمته وحكمته اتبعه بقوله انما
يخشى الله انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن يعرفه حق معرفته وتاخير الفاعل للحصر فيه
ولو قدم لانعكس الحصر فكان في المفعول ومن قرا برفع الاول ونصب العلماء استعار الخشية
للاجلال والتعظيم اي ما يجل الله من بين الناس كما يجل المهيب المخشي الا العلماء ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لان من قدر على العقوبة والانتقام والعفو و
الغفران حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءة القرآن
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم يعني لا يمنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به
سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما او سرا في المسنونة وعلانية في المفروضة
يرجون تجارة خبر ان او حال من ضمير انفقوا والخبر انه غفور شكور تجارة تحصيل ثواب
بالطاعة والطلب لانه لا يصلح متعلقا للرجاء لن تبور لن تكسد ولن تهلك بعني بالخسران
صفة للتجارة ليوفيهم متعلق بلن تبور او بيرجون او علة للافعال المذكورة من
التلاوة واقامة الصلوة والانفاق اي فعلوا ما فعلوا من الطاعات راجين تجارة
لن تبور ليوفيهم ويزيدهم على الموعود من فضله متعلق لجميع ما ذكر من التوفية
والزيادة لا للزيادة خاصة اذ يلزم ان لا يكون تلك التوفية متفضلا بل موديا
ما وجب عليه كما زعمت المعتزلة انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم مجاز عن اعطاء
الجزيل على العمل القليل والذي اوحينا اليك من الكتاب القرآن ومن للتبيين او
الجنس ومن للتبعيض هو الحق اي الكامل في كونه حقا مصدقا حال مؤكدة لان الحق
لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه من الكتب المتقدمة ان الله بعباده لخبير
بالبواطن بصير بالظواهر فلو لم يؤتك اهلية واستحقاق لهذه الكرامة لم يوح اليك
مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار الكتب وتقديم الخبير لان العمدة بالامور
الروحانية اكثر وهي العمدة ثم اورثنا الكتاب اي اعطيناه بلا طلب كسب كالمال
الموروث الذين اصطفينا من عبادنا يعني امة محمد فانهم مختارون من بين
سائر الامم وفي عبارة اورثنا اشارة الى ان الكتاب المذكور يكون باقيا في هذه الامة يرثه
بعضهم عن بعض الى قيام الساعة ولا يضيع كما ضاع سائر الكتب فالمعنى نورثه على عادة
الله تعالى في اخباره عما يتحقق وقوعه وكما ان ورثة الدنيا ثلثة اصناف صاحب فرض وعصبة و
ذوو الارحام كذلك ورثة الدنيا اصناف فمنهم ظالم لنفسه وهو من عاش عاصيا ومات عاصيا

3

من اهل الايمان الذي قال النبي عم فيهم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي قدمه اهتماما لانه ابعد الاصناف
عن كرامة الاصطفاء واللام للاختصاص لان فعل الظلم يتعدى بنفسه وفائدته الاحتراز
عن الظلم لغيره لان التجاوز في حق ذلك الغير ومنهم مقتصد وهو من عاش عاصيا
ومات مطيعا ومنهم سابق بالخيرات وهو من عاش مطيعا ومات مطيعا نقل عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول سابقنا
سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور فالاصناف المذكورة على مراتب في الوصول
الى المقصد متأخر ومتوسط وسابق حاز قصب السبق لكن لا بفضيلة ذاتية كما في
سباق الدنيا بل بفضل من الله والى هذا اشير بقوله باذن الله بتيسيره وقد سبق
وجه هذا المجاز والباء الاولى للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله
ومنه قوله عم سبقك بها عكاشة ذلك الاصطفاء هو الفضل الكبير لما ذكر الاصناف الذ
بحسب احوالهم في دار العمل فرق بينهم ولما ذكرهم باعتبار مآلهم الى دار الجزاء جمعهم فقال
جنات عدن بدل لان الفضل هو السبب او المسبب خبر مبتدأ يدخلونها ابو عمرو
الثلث يدخلونها ويجوز ان يكون الاشارة الى السبق واختصاص السابقين بعد التقسيم
ثوابهم والسكوت عن القسمين الاخيرين للانذار والحث على التوبة والتشويق الى
شأو السابقين وقرئ جنات منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على بناء
المفعول يحلون فيها حال مقدرة او خبر ثان وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي
حالية من اساور من للبيان او للتبعيض اي يحلون بعض اساور كانه بعض فاق سائر
الابعاض كما سبق المحلون به غيرهم وهذا على تقدير ان يكون الاشارة الى السبق
من ذهب من للبيان لا للتبعيض اذ يلزم ان يكون الخبر خلوا عن الفائدة ولؤلؤا عطف
على ذهب اي من ذهب مرصع من لؤلؤ او ذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ لؤلؤا عطفا
على محل من اساور ولباسهم فيها حرير التنكير للدلالة على انه نوع غير معهود من جنس
الحرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او من اجل
المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين
الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله لا واجب عليه لا يمسنا
فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب
اللغوب الفتور والكلال دون التعب فهو من باب التدلي لا من باب التتميم ولذلك اعاد
قوله لا يمسنا فيها ولم يقل ولا لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا

جواب النفي ونصبه باضمار ان اي لا يموتون بموت ثان فيستريحوا نحو فقضى عليه اذا اماته قال تعالى
فوكزه موسى فقضى عليه فلابد من صرف قوله فيموتوا عن الحقيقة الى المجاز صونا عن وصمة
اللاغية وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت
فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب جهنم
لقوله كلما خبت زدناهم سعيرا فان فيه دلالة على ان مظنة الخفة في غيرهم سنة الشدة في
عنهم كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران اي قرئ بالنون والياء
والفاعل هو الله تعالى وقرئ يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وهم يصطرخون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل في الاستغاثة لجهد المغيث
صوته فيها في جهنم ربنا باضمار القول اي يستغيثون ويقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل اعتراف منهم بان ما عملوه كان غير صالح حسبوه صالحا و
تحسر عليه والدلالة على ان طلب الخروج لتلافيه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اي من
اراد ان يتذكر توبيخ من الله تعالى على طلبتهم وتعيير على تعييرهم والقول اي نقول لهم اتتمنون
الرجوع ولم نعمركم مدة يمكن فيها التذكر والتدبر وما يتذكر فيه يتناول كل عمر يمكن فيه الا
من العلم الموجب للنجاة وان قصر الا ان التوبيخ في التطاول اعظم وقيل ما بين العشرين
الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وجاءكم
النذير عطف على معنى اولم نعمركم لانه تقرير بلفظ الاستفهام ومعناه معنى الخبر
كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير اي المنذر او الكتاب وهذا الزام الحجة عليهم بالعقل
والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع والفاء في فذوقوا
للسببية اي بما ذكرتم فذوقوا ... وكذا الثانية الا ان فيها معنى التعليل فما للظالمين
من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض ما غاب
فيها عنكم انه عليم بذات الصدور تعليل لان ما في الصدور اخفى الغيوب فاذا علم علم
كل غيب في العالم فيعلم انه لو ردتم الى الدنيا لم تعملوا غير الذي كنتم تعملون كقوله ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة
وخليف ويجمع الخليفة على خلائف والخليف على خلفاء والخطاب عام على ان المعنى انه
جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها واباح لكم منافعها لتؤمنوا به وتشكروه
وقيل لمن بعث اليه رسول الله صلعم فانهم من قبلهم وشاهدوا من آثار هلاكهم ما فيه معتبر و
راوا ما فيه مزدجر فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة فعليه كفره اي فعليه وبال كفره لا على غيره

مقت الله اعظم

ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا بيان له والمقت اشد البغض والتنكير للتعظيم لان
من كان مقت وكذا التنكير في خسارا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا وهو خسار الآخرة وتكرير
الكافرين والتصريح في موضع الاضمار ذم وبيان لكون الكفر مقتضيا لكل واحد من الامرين
القبيحين المذمومين بالاصالة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله
يعني آلهتهم واضافة الشركاء اليهم لملابسة لانهم جعلوهم شركاء الله اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا
به العبادة اي شيء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع
الله تعالى في خلق السموات فاستحقوا بذلك الشركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا
ينطق بانهم شركاؤه ويجوز ان يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا على ان السؤال عن دليل آلهتهم اهو برهان عقلي ام نقلي فهم على بينة منه على حجة من
ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية وقرئ بينات فيكون ايماء على ان الشرك امر خطير لا بد
فيه من تعاضد الدلائل ام منقطعة على معنى الاضراب عن العقلي وانكار النقلي ثم اضرب عنهما
صريحا بقوله بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا واثبت ان ذلك لاتباعهم ما هو
الا غرور زخرف وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله بعضهم بدل من الظالمين وهم الرؤساء
والمراد من البعض الآخر الاتباع ويجوز ان يكون وعد الشيطان للكافرين كما قال يعدهم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا امانيهم ان يشفع لهم اصنامهم ويقربهم الى الله
زلفى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا يمنعهما من ان تزولا لان الامساك
منع اولان لا تزولا كقوله ان تميد بكم اي لان لا تميد بكم ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما
ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او بعد الزوال واللام موطئة للقسم وان امسكهما
جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء
انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين ان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك
كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض غفورا لمن تاب عن الشرك ووحده
مؤمنا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
اي واحدة من الامم من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم او من الامة التي يقال فيها
هي احدى الامم او وصفها تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما تقول فلان
احد الرجال فلما جاءهم نذير التنكير للتعظيم ما زادهم اي النذير او مجيئه بلغ قريشا
قبل مبعث النبي صلعم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم

الرسل فكذبوهم فوالله لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله عليه السلام كذبوه والاسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا نفورًا الا نفورًا عن الحق وتباعدا عنه استكبارا في الارض بدل من نفورًا او مفعول له او حال اي مستكبرين ومكر السيئ عطف على نفورا على ان الاصل وان مكروا السيئ اي المكر السيئ فحذف الموصول استغناء بوصفه ثم بدل ان والفعل بالمصدر فصار ومكر السيئ ثم اضيف ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله تعالى فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين انتظار سنتهم وهي انزال العذاب على من كذب من الامم قبلهم مجاز عن استقبالهم لذلك ووقوعه في المستقبل لا محالة كالشئ المنتظر المترقب فلن تجد لسنة الله تبديلا بان لا يعذبهم ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله الى غيرهم وقوله أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما كانوا يشاهدونه في متاجرهم ومسايرهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته اي ليس من شأنه ذلك من شئ في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ثم بين ان تأخير العذاب عنهم ليس للعجز بل للحكمة فتفضيه فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها اي الانس وحده وقيل ما ترك الانس وغيرهم من سائر الدواب بشوم ذنوبهم على ان في الآثار وجرح الاول قوله ولكن يؤخرهم اي يؤخر كل واحد منهم الى اجل مسمى معلوم عنده قيل هو يوم القيمة وفيه ان الكل لم يؤخر اليه فاذا جاء اجلهم وقتهم عذبهم حذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه وهو قوله تعالى

فان الله كان بعباده بصيرا وذلك

ان العمل يوجب العلم كاللازم

لشان الحكيم والله

اعلم واحكم

سورة يس ثمانون وثلاث آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في الاعراب وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كاين للحذر في الهرب من التقاء الساكنين لا للبناء او على اضمار حرف القسم ومنع الصرف او بالنصب على اتل يس وبالضم كحيث او بالرفع على هذه يس وبتفخيم الالف واما لتها وبادغام النون في واو والقرآن وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به الحكيم ذي الحكمة وصف به باسناد بلغة طى عند الخليل بن عوين وبالسريانية عند ابن عباس وعند سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد عليه السلام دليله انك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار في قولهم لست مرسلا على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين او حال من المستكن في الجار والمجرور وفايدته التصريح بالمدح والجمع بين وصفه ووصف شريعته وتعظيمه وتعظيمها المستفاد من التنكير تنزيل العزيز الرحيم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على المدح او على انه مصدر اي نزل تنزيل وبالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى الارسال في المرسلين ان جعلت ما في ما انذر آباؤهم نافية فالجملة في محل النصب صفة لقوما اي قوما غير منذر آباؤهم قبل لقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وفيه نظر اذ لا يلزم من عدم ايتانهم النذير ان لا يكونوا منذرين فان ابائهم باهل الكتاب وهم يعلمون ذلك يكفي في الانذار وان جعلتها موصولة او موصوفة فهي مع صلتها او صفتها مفعول ثان لتنذر اي لتنذر قوما الذي انذر به او شيئا انذر به اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وان جعلتها مصدرية فهي في محل النصب على المصدر اي لتنذر قوما انذار ابائهم والمعنى انذارا مثل انذار آبائهم وعلى الاول يتعلق فهم غافلون بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم الانذار هو سبب غفلتهم وعلى الباقي تعليل للارسال والانزال اي انك لمن المرسلين لتنذرهم فانهم غافلون والمراد بآبائهم الاقربون الذين في زمن الفترة والجاهلية ان حمل ما انذر على النفي والاقدمون من ولد اسمعيل الذين كانت فيهم النذارة ان حمل على الاثبات لقد حق القول على اكثرهم اي ثبت ووجب عليهم لما علم من اعيانهم انهم يموتون على الكفر باخبارهم اياه واصرارهم عليه فهم لا يؤمنون لذلك واخبر عنهم به واما قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلا يعين الاشخاص ولا يقتضي ان يكون ذلك اكثر المذكورين انا جعلنا في اعناقهم اغلالا مثل تصميمهم على الكفر وعدم مبالاتهم بالانذار وتدبرهم بالآيات فتمثيل تقريرا لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بحالهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وجعلهم كالمحصورين المحبوسين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فلا يتبصرون العبر ولا يتأملون في آيات الله تعالى فيعتبروا او ينزجروا فهي الى الاذقان الضمير للاغلال اي من عريضة تبلغ

بكرها الاذقان والذقن مجمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه الى السماء و ذلك هو الاقماح
فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم يقال قمح البعير اذا ترك رأسه مرفوعا
من ضيقه وقال الفراء المقمح الذي يغض بصره بعد رفع رأسه وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا قرئ بالفتح والضم وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقيل
ما كان من اعمال الناس فبالفتح وما كان من خلق الله تعالى فبالضم فاغشيناهم فاغشينا
ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان يطمح الى شيء والمعنى فاعميناهم و
قرئ بالعين الغير المعجمة من العشاء فهم لا يبصرون فلا ينتفعون بالانذار وهم مضمون
قوله وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم قد سبق تفسيره في سورة البقرة لا يؤمنون
استئناف لبيان عدم نفع الانذار في حقهم لما بين ان الانذار لا ينجع فيهم وان المقصود
من الانذار وهو ايمان المنذر لا يترتب عليه وان الانذار وعدمه بالنسبة اليهم سواء
اخبر ان انذارهم كلا انذار فقال انما تنذر الانذار المجدي المستتبع لفائدة من اتبع
الذكر اي آمن بما جاء من عند الله تعالى فالذكر القرآن وخشي الرحمن بالغيب الخشية
كناية عن الائتمار بالاوامر والانزجار عن المناهي ويعضده قوله فبشره بمغفرة و
اجر كريم وذلك ان الغفران جزاء الايمان والاجر الكريم جزاء العمل كما قال والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وفي عبارة الرحمن اشارة الى ان ما في
الخشية من الخوف ينبغي ان لا يخلو عن الرجاء وذلك لان مقابل كل منهما مذموم وانما
قال بالغيب اذ عند العيان لا يبقى للخشية شان انا نحن نحيي الموتى بعثهم بعد مماتهم
او نخرجهم من الضلالة بالهداية ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
والطالحة عبر عن احاطة علمه باعمالهم بالكتابة التي تضبط بها الاشياء وكنى بذلك عن
المجازاة فانتظم مع قوله نحيي الموتى وآثارهم وما بقي بعدهم من آثار حسنة او سيئة
ونحوه قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعمال واخر من آثاره وكل شيء
منصوب بعامل يفسره احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء في امام مبين يعني اللوح المحفوظ
لانه اصل الكتب ومقتداها واضرب لهم اي مثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب
كذا اي من هذا المثال وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل ومثلا اصحاب القرية
على حذف مضاف تقديره اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على مفعول
واحد كاجعل ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له اي اضرب لهم مثل اصحاب القرية
والقرية انطاكية عبر عنها ههنا بالقرية وفيما يأتي بالمدينة رعاية في كل من المقامين لمناسبة

وقل

وذلك ان ما في اصل القرية من معنى الجمع يناسب الاصحاب وما في اصل المدينة من معنى الاطاعة
يناسب عرض ذلك الرجل من كلامه وهو الحث على اتباع المرسلين وانتصاب اذ بانه بدل
من اصحاب القرية جاءها عدل عن الظاهر وهو ارجاع الضمير الى الاصحاب لان المذكور اوفر
فائدة حيث دل على انهم بلغوا الرسالة اليهم في معقر عزهم ومركز شوكتهم المرسلون رسل
الله عم ذكره ابن عباس رض وكعب وهو الظاهر من قوله اذ ارسلنا اليهم ومن قولهم
ما انتم الا بشر مثلنا وقيل رسل عيسى عم واسناد الارسال اليه تعالى لانه فعل رسوله وخليفته
وفيه تعظيم عيسى عم واسناد الارسال اليه تعالى بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان واذ بدل
من اذ الاولى اثنين هما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا بثالث هو شمعون
وقرئ مخففا من عزه اذا غلبه وانما حذف المفعول لان المراد ذكر المعزز به وما لطف فيه
من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وحق الكلام المنصب الى غرض يجرد سياقه له كان ما
سواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون التأكيد بان لسبق الانكار منهم بمضمون الخبر
بتكذيبهم الرسولين والمعتبر علم المخبر بانكار المخاطب لا صدوره منه وهو حاصل ايضا فلا صحة
لما قيل انه ابتداء اخبار وانما جواب عن انكار قالوا ما انتم الا بشر مثلنا اي لا مزية لكم علينا
يقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل
الرحمن من شيء اي وحيا من السماء ان انتم الا تكذبون فيما تدعون وانما اوثر صيغة الفعل
مع ان صيغة الفاعل ابلغ اعتبارا لمعنى التجدد فكانه قيل تجددون الكذب وتتابعون
وتستمرون على ذلك قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لما نفوا الرسالة وبالغوا في ذلك
قابلوا انكارهم في الجواب بمزيد التأكيد بقولهم ربنا يعلم لانه استشهاد بعلم الله تعالى جار
مجرى القسم في التوكيد كما يقول شهد الله وبزيادة اللام وبتقوية التأكيد وبخبر الاداء
بقولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة
لصحته فان الاستشهاد على الدعوى انما يحسن بعد وضوحه قالوا انا تطيرنا تشاءمنا
بكم يعني سمعنا منكم ما هو من جهة الفال نتطير ونكره يلحقنا في انفسنا او في اهلينا او في
اموالنا او غير ذلك من اسبابنا وامورنا فكفوا عن هذا الكلام ولا تبغوا ودونا به لئن
لم تنتهوا عما نهيتم عنه لنرجمنكم لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم المراد به
ما يترتب منها البشرة قالوا طائركم معكم اي سبب شؤمكم معكم وهو سوء اعتقادكم و
فساد اعمالكم أإن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وقرئ أان بالف
بينهما وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي أإن وعظتم تطيرتم وتوعدتم

[illegible]

بالرجم والتعذيب وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة أي أن تطيرتم لأن ذكرتم
وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الإخبار أي إن ذكرتم تطيرتم وتطيرتم لأن ذكرتم و
أين ذكرتم بمعنى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ لأنه إذا شؤم المكان بذكرهم
كان بحلولهم فيه أشأم بل أنتم قوم مسرفون قوم عادتكم الإسراف في
العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو أنتم مسرفون في غيكم وضلالكم حيث تشاءمتم بمن
يجب التبرك به من رسل الله وجاء رجل من أقصى المدينة هو حبيب بن إسرائيل
النجار وكان ينحت الأصنام يسعى يقصد وجه الله تعالى بالذب عن رسله وهو من قوله
وسعى لها سعيها والسعي في الأصل المشي بسرعة وخفة حركة ثم استعير للجد في
إصلاح أمر أو فساده قال استئناف على تقدير سؤال سائل عما قال عند ذلك
يا قوم اتبعوا المرسلين باح بإسلامه ليشغل القوم عن الرسل وقوله يا قوم
دلالة وإظهار منه أنه لا مباينة بيننا ولا تهمة في إرادة السوء بكم اتبعوا من لا يسألكم
أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم
وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ورشحها وقواها بإبراز
مناصحتهم في صورة المناصحة لنفسه ليكون أدخل في إمحاض النصح حيث أراد لهم
ما أراد لنفسه وليتلطف بهم ويداريهم حتى لا يتعصبوا فيقبلوا فوضع قوله وما لي
لا أعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وأومأ إلى المراد
بقوله وإليه ترجعون مبالغة في التهديد والإنكار وإليه أرجع ثم عاد إلى
المساق الأول فقال أأتخذ من دونه آلهة أي أصناما دل على أنهم كانوا عبدة
أصنام إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا نفي الشفاعة رأسا كقوله
لا ترى الضب بها ينجحر ولا ينقذون لا يقدرون على إنقاذي من ذلك الضر أي لا نفع من
جهتهم بالشفاعة ولا دفع بالقدرة إني إذا لفي ضلال مبين تعريض على ترك عبادة
خالقهم إلى عبادة من لا يضر ولا ينفع وقد برهن في أثناء كلامه على ضلالهم حيث ذكر
أن الله تعالى هو المبدئ الفاطر وإليه الرجوع ومنه الرحمة العامة الشاملة وله القدرة التامة
الكاملة وهو الذي إذا أراد بأحد شيئا من الضر والنفع فعل فإن ترك عبادته
إلى عبادة ما لا يضر ولا ينفع ولا يغني شفاعة شيئا ولا يقدر على إنقاذ من ابتلاه
الله تعالى بالنصرة والمظاهرة أو أشركه به في عبادته فإني إذا لفي ضلال بين لا يخفى
على عاقل إني آمنت بربكم فاسمعون فاتبعون السماع هنا مجاز عن الاتباع

إذ لا وجه للترتيب بين سماع القول منه وإبائه قبل رجوعه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق
أنطاكية وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل قيل ادخل الجنة استئناف لأن قصته مظنة
السؤال عن حاله كأن سائلا سأل فقال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في
نصرة دينه والتسخي بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولما كان السؤال عن المقول سيق
الجواب لبيانه وحذف ما لا حاجة إليه وهو بيان المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله
قال يا ليت قومي يعلمون استئناف على تقدير سؤال سائل عما قال عند ذلك الفضل العظيم
بما غفر لي ربي ما مصدرية أي بغفران ربي لي أو موصولة أي بالذي غفره لي من ذنبي ويحتمل
أن يكون استفهامية أي بأي شيء غفر لي ربي على الأصل مع أن الأكثر حذف الألف تقول
قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت تمنى أن يعلم قومه بأنه غفر له بإيمانه فيرغبوا
في الإيمان وهذه مرتبة أولياء الله تعالى يريدون الخير لمن أراد بهم الشر ويتمنون أن لا يكون
لله تعالى عاصيا وجعلني من المكرمين بإعطاء المنزلة الرفيعة في الجنة دل على أن الجنة
مخلوقة وعلى أن القبر روضة من رياضها أو حفرة من حفر النيران وما أنزلنا على قومه
من بعده من بعد قتله من جند من السماء استحقارا لإهلاكهم وإيماء إلى تعظيم رسول
الله ﷺ أي كفينا أمر إهلاكهم بصيحة واحدة من ملك وما أنزلنا عليهم جندا من الجنود
السماوية كما فعلنا يوم بدر والخندق وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا أن ننزل لأن في
إنزال جنود السماء من معظمات الأمور التي لا يؤهل لها مثلك وقد أهلك الله تعالى
كل أمة بسبب يقتضيه حكمة ولم ينزل جنود السماء لانتصار أحد من الأنبياء عليهم السلام
إلا لانتصار محمد عليه السلام وذلك لكرامته عند الله تعالى وتفضيله على سائر الأنبياء عليهم السلام وإلا لكفى
في نصرته ملك واحد إن كانت إلا صيحة واحدة ما كان العقاب المذكور لأن الأصل
ما وقع شيء إلا صيحة واحدة ولكن طوبقت بها الصيحة لأنها في حكم فاعل الفعل وعليها
قراءة الحسن فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم بتأنيث الفعل المبني للمفعول ورفع مساكنهم
وقرئ إلا صيحة بالرفع على كان التامة أي ما وقعت إلا صيحة فإذا هم خامدون بناء على
تشبيه الحرارة الغريزية بحرارة النار وانطفائها بخمود النار على الاستعارة بالكناية
أي خمدوا كما تخمد النار وذلك أن الروح عند النزع الشديد يتحرك مع الدم إلى الباطن
دفعة فيختنق من شدة الانحصار والاجتماع فينطفئ يا حسرة على العباد الحسرة هي بلوغ
النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيرا لا موضع فيه لزيادة التلهف كالبصر الحسير الذي
لا قوة فيه للنظر والبعير الحسير الذي لا قوة له على المسير وهذا نداء للحسرة عليهم كأنها قيل لها

تعالى يا حسرة فهذه من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها وهي ما دل عليه ما يأتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون ويجوز ان يكون المعنى انهم متحسر عليهم من الله تعالى على سبيل الاستعارة
والمراد تعظيم ما جنوه على انفسهم وفرط انكاره له وتعجبه منه ويعضده قراءة من قرأ
يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول لا
بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف والمعنى
انهم احقاء بان يتحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين الم يروا معلق
عن العمل في كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لانها
وضعت لانشاء التكثير او لان اصلها الاستفهام وانما جاز تعليق فعل الرؤية لانه بمعنى الم يعلموا
الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا المنطلق وان لم يعمل في لفظه و
لهذا البدل انهم اليهم لا يرجعون من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة
اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقيل انه بدل من موضع كم اهلكنا وليس بدلا
من كم وحده لان العامل فيه هو كم اهلكنا ولا يصح عاملا في البدل وقرئ بالكسر على الاستيناف
وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وان كل لما جميع ان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرئ لما بالتشديد على ان ان نافية ولما بمعنى
الا وكل بمعنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجمع بمعنى الاجتماع وان بجمعهم المحشر فالتنوين
في كل عوض من المضاف اليه اي كلهم محشورون مجموعون لدينا محضرون للحساب يوم القيمة
وقيل محضرون في النار معذبون وآية لهم الارض الميتة الارض الميتة مبتدأ خبره آية لهم
واحييناها استيناف لبيان كون الارض الميتة آية لهم ويجوز ان يكون صفة للارض
لان المراد الجنس المطلق لا ارض بعينها فجاز وصفها بالنكرة وان يكون آية مبتدأ ولهم صفتها
والارض خبرها وان يكون احييناها خبرا للارض والجملة خبر آية او صفة لها واخرجنا منها
حبا المراد بالحب الجنس وتقديم الظرف في قوله فمنه يأكلون للدلالة على ان الحب
معظم ما يؤكل ويعاش به ويقوم البدن بالارتزاق منه الا يرى انه اذا فقد حضر الهلاك كما بالقحط
وعم البلاء وجعلنا فيها جنات بساتين من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك
جمعها دون الحب فان كونه قوام البدن باعتبار جنسه لا باعتبار تنوعه واما ما قيل ان ذلك
لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع خلاف ما هو المشهود
وعليه الجمهور فانهم قالوا العالمين اشعار بالاختلاف دون العالم وذكر النخيل دون التمور
مع طابقتها الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وجني ثمارها وقرئ

خصاصها

بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى في ان التشديد للمبالغة والتكثير من العيون
من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف اي شيئا من العيون ليأكلوا من
ثمره الضمير للتفجير اي ليتمتعوا بفوائده يقال ثمرة التجارة الربح وتخصيص الاكل بالذكر لانه
معظم الفوائد وقرئ بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وما عملته ايديهم عطف على الثمر او على
او على موضع من ثمره والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس والخل وكل ما يتخذ من التمر والعنب
وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة وما عملت من غير
راجع لان حذف الراجع من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون استبطاء وحث على
شكر نعمه سبحان الذي خلق الازواج كلها الاجناس والاصناف مما تنبت الارض من
النخل والشجر والزرع والثمر ومن انفسهم الاولاد ذكورا واناثا ومما لا يعلمون ومن
ازواج لم يطلعهم الله تعالى عليها ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل فيه الوجهان
المذكوران فيما تقدم من نظيره وفي نسلخ منه النهار الوجوه المذكورة في احييناها من
الاستيناف والصفة والخبرية والسلخ الكشط يقال سلخ جلد الشاة اذا كشط
فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله فاذا هم مظلمون داخلون
في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين من فلكها ينتهي اليه دورها في آخر كل
سنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ الى مستقر لها
وقرئ لا مستقر لها اي لا استقرار لها الى ان يكورها الله تعالى يوم القيمة على ان لا بمعنى ليس
ذلك تقدير العزيز العليم ذلك الجري على هذا التقدير العجيب ما هو الا تقدير الغالب
بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه اي قدرنا مسيره منازل
على حذف المضاف وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها
ولا يتقاصر عنه على السواء الى الثامنة والعشرين فيدق مستقوسا كالعرجون القديم
ثم يستتر ليلتين اذا نقص الشهر او ليلتين اذا تم وهذا ما ذكر بقوله حتى عاد كالعرجون
القديم العرجون العود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخل وقال الزجاج هو
فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه به
من ثلثة اوجه لا الشمس ينبغي لها اي لا يصح ولا يستقيم لها ان تدرك القمر وتجتمع
معه وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان التدبير الالهي اقتضى المعاقبة وايلاء الشمس
حرف النفي للدلالة على انها مسخرة لم يتيسر لها الا ما اريد لها من السير والطريق واناء وضعها

بالادراك ووصف القمر بالسبق لسرعة سيره بالنسبة اليها فانه يقطع بحركته في شهر ما تقطع الشمس في سنة
من المسافة فيناسبه السبق ومن ههنا ظهر شبه السبق للليل دون النهار في قوله
ولا الليل سابق النهار اي لا الليل يسبقه فيزيل ضوءه لذلك وقيل المراد بهما ايا ما وهي
الشمس والقمر فيكون عكس الاول وذلك ان صلاح النبات والحيوان وجميع الشئون الالهية
مبني على تعاقبهما وان يكون لكل منهما سلطانه على حياله وقرئ سابق النهار بالتنوين و
نصب النهار على الاصل وكل التنوين عوض من المضاف اليه اي كل واحد منهما في فلك
غير فلك الآخر الجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر
والنجوم وعلى هذا المراد من الفلك الجنس يسبحون يسيرون بانبساط فان كل ما
انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء وانما جمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم
وآية لهم انا حملنا لم يقل وآية لهم الفلك كما قال وآية لهم الليل لان العجب حملهم على
الفلك لا نفس الفلك فانه بيت مبني من الخشب ذريتهم اولادهم ومن يهمهم
وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه عليه السلام عن قتل
الذراري يعني النساء وتخصيص الذريات لانه لا قوة لهم على السفر فكان الامتنان
في حقهم اظهر في الفلك قيل المراد فلك نوح عليه السلام وقال تعالى فانجيناه ومن
معه في الفلك المشحون فعلى هذا يراد بالذرية الاسلاف لانه من الذرء وهو الخلق
فيصح الاسم الاصل والنسل لان بعضهم خلق من بعض ويجوز ان يكون المعنى انه
تعالى حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لان الخطاب
للكفار ولا فائدة في وجودهم فلم يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في اصلابهم من
المؤمنين ولم يقل على الفلك مع انه الانسب للحمل لان معنى الحفظ المستفاد من حرف الظرف
ادخل في الامتنان وانسب لما قصد من توصيف الفلك بقوله المشحون لما كانت السفينة
مملوة بانواع المخاوف من سباع البهائم وجوارح الطير وهوام الدواب فكان بني آدم
فيما بينهم من آثار اللطف العظيم والقدرة الباهرة لولا ذلك الاعتناء اللطيف لكان
الموصوف بالمشحون بمعزل عن مقام الغرابة المستفادة من عبارة الآية لان القرار
على الفلك المشحون الثقيل اهون من القرار على الفلك الخالي الخفيف ولذلك لم يوصف
الفلك به في قوله وعلى الفلك تحملون وخلقنا لهم من مثله مثل جنس الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او من مثل فلك نوح من السفن والزوارق وان نشأ
نغرقهم فلا صريخ لهم الصريخ والصارخ بمعنى المستغيث ويجيء بمعنى الاغاثة لانه اصله

مصدر بمعنى الصراخ وقد سبق تفسيره في سورة السابقة ولا هم ينقذون اي لا يخلصون
بعد ذلك الا رحمة منا ومتاعا الى حين الا لرحمة منا وتمتيع بالحيوة الى زمان قدر
لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم من الوقايع النازلة بالامم المكذبة
قبلهم وما خلفكم من الساعة واهوالها او نوازل السماء ونوائب الارض او ما
تقدم من ذنوبكم وما تأخر او فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة لعلكم ترحمون لتكونوا
راجين رحمة الله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى للتأكيد وجواب
اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم
اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة فهو تذييل مؤكد
لما سبق من حديث الاعراض واذا قيل لهم انفقوا لم يذكر المنفق عليه لان ايجابه
وان كان عن الانفاق وعلى المؤمنين خاصة الا ان موجب ما تعللوا به سد
باب الانفاق رأسا او للاشعار الى هذا ترك المنفق عليه مما رزقكم الله
الاشارة الى ان البخل به في غاية القبح فان ابخل البخلاء من يبخل بمال الغير
قال الذين كفروا بالصانع تعالى يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما
وذلك انهم لما سمعوا المؤمنين يعلقون الامور بمشية الله تعالى يقولون لو
شاء الله لكان كذا وانه حوا هذا الكلام فرصة واتخذوه هزوا ويستهزؤون
بالمؤمنين يجيبون به عند امرهم بالانفاق والتصريح بالوصفين من الكفر
والايمان لبيان ان المقول لهم هم الكافرون والقائلين هم المؤمنون وان كل
وصف حامل لصاحبه على ما صدر عنه اذ كل اناء بالذي فيه يترشح وايضا لما
كان الغرض الرد على المؤمنين لا الامتناع عن الاطعام لانهما يفتخرون به
كان حق المقام التصريح بوصف الايمان في المقول له ومن هنا تبين وجه
آخر للعدول عن عبارة الانفاق الى عبارة الاطعام اباء عن الانفاق رأسا
من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل نزلت في مشركي مكة حين استطعمهم فقراء
المؤمنين من اموالهم التي جعلوها لله تعالى من حرثهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم
موهمين ان الله تعالى قادر على اطعامهم ولا يشاء اطعامهم فنحن احق بذلك ان انتم
الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئته تعالى ويجوز ان لا يكون من
تتمة كلامهم ويكون جوابا من الله تعالى لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم بان ذلك
من فرط ضلالتهم وجهالتهم لان الله تعالى يطعم من يطعم باسباب منها حث الاغنياء

على الطعام الفقرآء ونحو نفقتهم له ويقولون متى هذا الوعد اي وعد البعث ان كنتم صادقين
فيما تقولون خطاب للنبي ع م واصحابه رض ما ينظرون ما ينتظرون اراد الانتظار
المفهوم من قولهم متى الا صيحة واحدة اي عذابا يفجأهم فيستاصلهم يقال صاح
بهم الزمان اي هلكوا قال الشاعر صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها
على الاذقان وقيل هي نفخة الاماتة وذكر في الصيحة امور تدل على هولها وعظمها
احدها التنكير وثانيها واحدة اي لا يحتاج معها الى الثانية وثالثها تأخذهم اي
تعمهم بالاخذ وتصل الى من في اقطار الارض ومثلها لا يكون الا عظيما وقوله وهم
يخصمون اي تاتيهم بغتة وهم في امنهم وغفلتهم يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطرون امرها ببالهم مما يعظم به الامر فان العامل المقبل على مهم اذا صاح به
صائح يكون ارتجافه اعظم بخلاف المنتظر لها فلا يستطيعون ان يعهدوا في شئ
من امورهم توصية ولا يرجعون ولا ان يرجعوا الى اهليهم ومنازلهم ليموتوا
حيث يسمعهم الصيحة ونفخ في الصور هي نفخة البعث وقد سبق في سورة المؤمنين
فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء واذا للمفاجاة
الى ربهم ينسلون النسول الاسراع في الخروج ولفظ الرب اصاب المحز
لانه من سآء واضطر الى التوجه الى من احسن اليه يكون ذلك اشد الما واكثر
ندما من غيره قالوا يا ويلنا من بعثنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقرئ من بعثنا ومن هبنا
على من الجارة والمصدر وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم ولو
استتر عذاب الكفار في قبورهم بالنار لما صح منهم القول المذكور هذا ما وعد
الرحمن هذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة محذوف الراجع ودل على هذا
قوله يا ويلنا هذا يوم الدين وصدق المرسلون اي صدقوا فيه ويجوز ان يكونه
اعتراضا افاقوا بهم وتنبهوا يتذكرون ما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم
او بعضهم بعضا وقيل هذا ليس من كلامهم بل جواب الملائكة او المؤمنين لهم
لكن عدل عن سننه ومطابقته للسوآل لاغراض منها تنبيههم على ان الذي يهمهم هو
السوال عن البعث لا عن الباعث ومنها تذكير لكفرهم وتكذيبهم الرسل وتوبيخهم
على ذلك ومنها تنبيههم الى اهوالهم التي هم فيها واخبارهم بوقوع ما انذروا به كانه
قيل لهم ليس هذا بالبعث الذي تعرفونه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السوآل

عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الافزاع والاهوال الذي وعده الله تعالى في كتبه
المنزلة واخبر به على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة وقرئت
بالرفع على كان التامة والضمير في الناقصة للنفخة التي دل عليها ونفخ فاذا هم
جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما
عن الاسباب التي ينوطونهما بالقياس عليها بما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ وكذا ما بعده من وصف اهل
الجنة تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وترغيبا وترهيبا ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل عن ذكر اهل النار ولو خطر ذلك ببالهم وفيها احد من اقاربهم
او معارفهم سهل عليهم لما هم فيه والتنكير في شغل للتعظيم والتنبيه على انه اعلى ما يحيط
به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام والشغل العارض الذي يذهل الانسان عن امر
لولا ذلك العارض لكان متوجها اليه فاكهون وقرئ فكهون كفطن على انه حال
والخبر هو الظرف والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به هم
وازواجهم هم مبتدا او تاكيد للضمير في شغل او في فاكهون والمعنى على تقدير التاكيد
ان ازواجهم يشاركونهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكآء والازواج جمع زوجة
وهي حرة الرجل التي تحل له وطؤها في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده
قراءة في ظلل على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش لهم
فيها فاكهة عبر عن كل ما يرزقون فيها بالفاكهة للتنبيه على انهم مستغنون عن حفظ الصحة
بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ
ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعآء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل
اذا شوى وحمل لنفسه ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل
يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى و
قال الزجاج هو من الدعآء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم وما موصولة او موصوفة
مرتفعة بالابتدآء ولهم خبرها سلام بدل منها او صفة اخرى قولا مصدر مؤكد
لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على
الاختصاص وهو من مجازه ان الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رض والملائكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وامتازوا اليوم يقال [illegible] فانفردوا

يتمايز بعض عن بعض أيها المجرمون اي انفردوا عن المتقين والمراد من اليوم يوم الحشر قال الضحاك
يمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة الاوثان
فرقة ولكل فرقة في النار بيت يدخل فيه ويرد بابه فيكون فيه ابدا لا يرى ولا يرى
ويشكل هذا بقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء ألم اعهد
اليكم يا بني آدم في الخطاب ببني آدم نوع ايماء الى ان ذلك العهد كان في عهد آدم
ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهد الله اليهم
ما ركز في عقولهم ونصب لهم من الحجج العقلية والادلة السمعية الآمرة بعبادته
الناهية عن عبادة غيره وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه
لهم والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا وصاه انه لكم عدو مبين تعليل للمنع من عبادته
وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم
من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه جملة استئنافية لبيان
المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاخير والتنكير في الصراط للتعظيم والمبالغة ولقد
اضل منكم جبلا كثيرا رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له ادنى عقل وتمييز فقوله افلم تكونوا تعقلون استفهام تقريع على
تركهم الانتفاع بالعقل والجبل الخلق واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لانه مطبوع على الثبات
هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في دار التكليف اصلوها اليوم الزموا العذاب
بها واصل الصلا اللزوم ومنه المصلي الذي اثر السابق للزومه اثره بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم اليوم نختم على افواههم اي نفعل بافواههم ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا
بالسنتهم وتكلمنا ايديهم بانطاق الله تعالى اياها على ما نطق به قوله تعالى قالوا انطقنا
الله الذي انطق كل شيء فلا مساغ للتأويل بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على
افعالها وتشهد ارجلهم اسند الختم الى نفسه دون الكلام والشهادة دفعا لوهم
الاجبار واظهارا للتوسط الاختيار بعد الاقدار على النطق والتكلم ولما كان كلام
الايدي اقرارا على الغير المنكر نزل تصديق الارجل اياها منزلة الشهادة فعبر
عن تكلمها بالشهادة بما كانوا يكسبون ان الكسب باليد اخص فيكون الاخبار
منها اقرارا ومن الرجل شهادة لانها حاضرة وقلما تباشر ولهذا احق التكلم بمعنى
الاقرار بالايدي والشهادة بالارجل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس محو الشيء

وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي
بضمتين مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة
وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا
جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال
بيضاوي

او للتبعيض فان التوحيد سلوك
بعض الطريق المستقيم
بيضاوي

اذا قيل لهم ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان جحدوا وقالوا ما عبدناه وما اطعناه
في شيء من المنكرات فيختم الله على افواههم
ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا بالسنتهم وتشهد
عليهم جوارحهم شيخ زاده

حتى يذهب اثره والطمس على العين تعفية شقها حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط
فطلبوا الطريق الذي اعتادوا سلوكه سابقين وانما اعتبر قيد السبق على طريقة
التضمين لان التعذر في سلوك الاعمى الطريق اظهر ويجوز ان يكون من باب حذف
الجار وايصال الفعل اي فاستبقوا الى الصراط او نصبا على الظرف فانى يبصرون
لم يقدروا ان يسلكوه ولم يبصروه ولم يعلموا جهة سلوكه فضلا عن غيره ولو نشاء
لمسخناهم بتبديل صورهم وابطال قواهم وقدرهم على مكانتهم في مكانهم المكانة
والمكان كالمقامة والمقام او باجمادهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون
ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل اي انهم احقاء بان يفعل بهم ذلك ولا عجز فينا
لكنا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة امهالهم قبل ولا يرجعون عن تكذيبهم ومن
نعمره نطل عمره ننكسه بالتشديد وبالتخفيف من التنكيس والانتكاس وقرئ
بفتح الكاف من النكس في الخلق اي نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته
وقواه عكس ما انشأناه عليه افلا تعقلون اي من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ
فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدريج وما علمناه الشعر اي بتعليم القرآن
وهو رد لقولهم ان محمدا شاعر والمراد ان القرآن ليس بشعر واين هو من الشعر
فان الشعر كلام موزون مقفى منتظم من المخيلات المرغبة والمنفرة وما ينبغي
له اي يليق به ولا يصح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن
فان الشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى وقيل
لا يتأتى له ان اراد قرضه وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قال بعضهم
انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم تكن شعرا واما قبل نفي هذا الوزن
من الشعر فمكابرة لان اشعار العرب على هذا قررها الخليل وغيره واما قوله هل
انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فلعله قالها ساكنة التاء او محركة
من غير اشباع ولا يكون شعرا الا اذا كسرت التاء باشباع ان هو الا ذكر اي عظة
وتذكير من الله عز وجل وقرآن مبين كتاب سماوي بين كونه ليس من كلام البشر
لظهور اعجازه لينذر اي القرآن او الرسول ويؤيده القراءة بالتاء الفوقانية من كان
حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله تعالى واختصاص الانذار به لانه
هو المنتفع به دون غيره ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على
الكفر وفي ذكرهم في مقابلة من كان حيا تنزيل لهم منزلة الاموات لحرمانهم عن ثمرة الحيوة

اولم يروا ايشركون ولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه لا يقدر
على تولية غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة من عمل من يعمل بالايدي
للمبالغة في الاختصاص والتفرد باحداثها انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة
ولطائف الحكمة وكثرة المنافع جمعا بين اظهار القدرة والامتنان بتذكير النعم المختصة
بها ولهذا اكده بقوله فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم وملكناهم اياها فهم فيها
متصرفون تصرف الملاك وذللناها لهم التذليل من جملة النعم الظاهرة لولاه لما قدر
عليها احد ولهذا الزم الله في الراكب بشكر هذه النعمة وتسبيحه بقوله سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم هو ما يركب ومنها ياكلون اي سخرناها
لهم ليركبوا ظهرها وياكلوا لحمها ولهم فيها منافع مجمل مفصل في قوله تعالى وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا الاية ومشارب من اللبن وما يتخذ منه جمع مشرب وهو
الشرب او موضع الشرب انما لم يقل ومنها يشربون لان ابتداء الشرب ليس
منها بخلاف الاكل افلا يشكرون لخالق هذه النعم ورازق هذه النعم واتخذوا
من دون الله آلهة بعدما راوا العذاب البارع واثارها الظاهرة لعلهم
ينصرون طمعا في ان ينصروا بهم ويتعززوا لكا قال ليكونوا لهم عزا والامر على عكس
ما قدروا لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم يحد مؤنتهم
ويذبون عنهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر قيل هم يوم القيمة لعدا بهم
ويرد عليه ان فيه زيادة تفكيك في الضماير فيتنافر النظم الذي هو اعجاز القرآن
ومراعاته اهم ما يجب على المفسر وايضا المتبادر من لهم النفع دون الضر
وقيل محضرون اثرهم في النار وياباه عبارة الجند فانه جمع معد للحرب
فلا يحزنك قولهم الفاء للسببية اي اذا علمت حالهم وما لهم قيل ولا يحزنك قولهم فيك
انك شاعر وساحر وكاهن وكاذب وساير وجوه الاذى بالقول فانا مجازوهم
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل للنهي وفيه وعيد شديد لهم وزيادة تسلية
لرسول الله عليه السلام فان قلت اليس مقتضى البلاغة تقديم ما يعلنون حتى
يكون نظم الكلام على اسلوب الترقي قلت ذلك مقتضاها بحسب جليل النظر
ولها مقتضى بحسب دقيقه فانما هو تاخيره حتى يكون لكل من جزئي الكلام حظ
من الاهتمام وذلك انه يكون للجزء الاول اهتمام التقديم وللجزء الثاني اهتمام التفخيم
بعد الانتهام بطريق الالزام وعلى تقدير التقديم يفوت احد الاهتمامين كما لا يخفى

على ذوي الافهام اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الاية الهمزة والواو العطف للتقرير
والتعجب من حال الانسان اي اينكر الانسان البعث ولم ير مبداء خلقه وابتداء
نشاته وفيه تسلية اخرى لرسول الله عليه السلام بتهوين ما يقولون بالنسبة الى
انكارهم للبعث وتقبيح بليغ لانكارهم لا ترى ابلغ واحق منه ولا اعجب ولا ادل على
تمادي كفر الانسان وازدياد جحود النعم حيث يتقرر في علمه انا خلقناه من شيء قليل
وبلغناه الى قدر جليل وانما لم يقل من ماء مهين مع ما فيه من المناسبة لقرينة
رعاية لحق الكلام بتجريده لما سيق له من المرام وذلك محذوف ما يجعل عرضا اخر
وهو الامتنان بالاعزاز والاكرام ومن لم يتنبه لهذا قال انا خلقناه من اهون
شيء واقذره وهو مع مهانة اصله وخساسة عنصره يتصدى بمخاصمة الجبار الذي
شرفه بعد خستها وكرمه بعد ذلته ويقول من يحيي العظام فاذا هو خصيم
مبين اذا للمفاجاة والفاء فصيحة للعطف على مقدر تفصيل لما بلغ مظنة اظهار
الشكر والحمد على آثار قدرتنا فاجاءنا باعلان الكفران والجحد مبالغا في
الخصومة مع ما عاني نفسه من الخبائث وحاله ان خصامه في اللوم وصف له
ابلغ حجة عليه وهو انه منشا من موات والاعادة اهون من الابداء فخصامه
محض مكابرة وضرب لنا مثلا انما سمي قوله مثلا لكونه امرا عجيبا وقصة غريبة
كالمثل حيث انكر قدرة الله تعالى على انشاء الموات وقد انشاه الله تعالى من
الموات ونسي خلقه ولا يتذكر خلقه وهو اقرب شيء اليه قال من يحيي العظام
وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم بال يفتته بيده فقال
اترى ان الله يحيي هذا بعدما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار
فنزلت والرميم اسم لما بلي عظما كان او غيره بغير صيغة كالرمة والرفات لا فعيل
بمعنى فاعل ولا مفعول فلهذا لم يؤنث مع كونه خبرا عن مؤنث وقيل لانه معدول
عن فاعل وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اخواته كبغيا
في قوله تعالى ما كانت امك بغيا فانها مصروفة عن باغية وفي ما هو دلالة على ان
في العظام حياة وانها تنجس بالموت قل يحييها الذي انشاها اول مرة انما قال
انشاها دون احياها اشارة الى الفرق بين الاحياءين من حيث ان الاول منهما انشاء
والثاني اعادة فلا جرم يكون اهون ولا تغير في جانب الفاعل وهو بكل خلق عليم يعلم
كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات وجمع اجزائها جلائلها ودقايقها

الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ووصف الشجر بالاخضر حملاً على اللفظ وقرئ بالخضراء على المعنى
نارا نوعا غريبا من النار حيث يحدث مما يقطر منه الماء ومن هنا ظهر وجه توصيف
الشجر بالاخضر نقل عن ارباب الحكمة ان النار على اربعة انواع نار تاكل ولا تشرب
وهي النار المعهودة ونار تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر ونار تاكل ولا تشرب
وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار الحجر فاذا انتم منه توقدون
لا تشكون في انها نار يخرج منه استدل بالنشأة الاولى على الثانية ثم باقتداح
النار من الشجر الاخضر وهي من زناد الاعراب واكثرها من المرخ والعفار
يقطع منها غصنان مثل السواك وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ
وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تعالى مع مضادة الماء النار
وانطفائها به فمن قدر على ذلك كان على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس
وبلي اقدر اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
دليل ثالث كانه قال ابعد ما مر من الدليلين لا يقدر من خلقهما مع كبر جرمهما
وعظم شانهما على خلق مثلهم مع صغرهم وخفائهم بالنسبة اليهما فقيل على عادتهم
لان المعاد مثل للمبدا في اصول البنية والذات والصفات ويرده ان المذهب
خلاف ذلك بلى جواب من الله تعالى مشعر بان الجواب متخصص في هذا وهو الاثبات
بعد النفي وهو الخلاق العليم المبالغة في الخلق والعلم المستفادة من الصفتين
المذكورتين تناسب المقام انما امره قوله عليه الصلاة والسلام في سورة النحل انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ومن حمل الامر هنا على الشان فقد غفل عن
ذلك البيان شبه تاثير قدرته في مراده بامر آمر مطاع ورد على مامور مطيع
لم يلبث ان يمتثل فقال انما امره في ايجاد الاشياء اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي
تكون فيكون فيحدث من غير امتناع عليه ولا توقف في المامور والافتقار الى الآلات
وحركات عن الآمر حسما لمادة الشبهة في قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وهو
من الاستعارة التمثيلية يقوم مقام تعليل لقدرة الله تعالى على اعادة الموتى اي من كان
ايجاده للاشياء بهذه المثابة فكيف يعجز عن الاعادة وقرئ فيكون بالنصب
عطفا على يقول والرفع على تقدير جملة اسمية اي فهو يكون معطوفة على اخرى مثلها
وهي انما امره ان يقول فسبحان تنزيه له تعالى عما وصفه به المشركون وتعجب
من ان يقولوا فيه ما قالوا والفاء للسببية اوردها تعليلا لكونه المتصرف في ملكوت

كل

كل شيء بمقتضى مشيته وموجب حكمته فكيف يمتنع عليه شيء والملكوت مقابل الملك على ما
في الدعاء المأثور سبحان ذي الملك والملكوت فان لكل شيء له جسمانية كثيفة وروحانية
لطيفة فجسمانية الظلمانية من عالم الخلق وهو عالم الخلق وعالم الشهادة وروحانيته النورانية
من عالم الملكوت وهو عالم الامر وعالم الغيب ومعنى كون ملكوت كل شيء بيده ان
تصرفه فيه بواسطة الاسباب والآلات على مقتضى حكمته
واليه ترجعون وعد ووعيد للمقربين والمنكرين
والله تعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع
والمآب

سورة والصافات مائة وستون آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا الواو للقسم والصف ترتيب الجمع على خط واحد فالزاجرات زجرا
صفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء المتوسط بين الصفات اما لترتبها مع اتحاد
الموصوف واما لترتب الموصوفات والاول اما لترتبها في الوجود واما لترتبها في بعض
الوجوه بحسب التفاضل او التناقص وكذا الثاني اما في الوجود واما في
الاعتبار ويحتمل هنا اتحاد الموصوفين وترتب الصفات في التفاضل على ان الصف
طاعة وكمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر والسوق الى الخير والتلاوة افاضة
المعارف والحكم على الانبياء عليهم السلام او في التناقص على ان الصف هو الخضوع بين
يدي الله تعالى في مواطن القرب والزجر زجر الشياطين والتلاوة الذكر بالتسبيح والتحميد
وكذا اذا اريد تعدد الطوائف وتغايرها وقد يترتب على التفضل على ان الطوائف
الصافات فضلا والطوائف الزاجرات افضل والتاليات اكثر فضلا او
بالعكس فالتاليات ذكرا اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة الصافين في مراتب العبودية
بحسب تفاوت فيضان الانوار الالهية عليهم منتظرين لاوامره من قوله وانا لنحن
الصافون الزاجرات للعباد عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم
بالاضلال او الاجرام العلوية والسفلية كالسحاب والرياح وغير ذلك بما امروا من
تدابيرها التاليات لآيات الله تعالى من الكتب المنزلة على انبيائه عليهم السلام وغيرها
من التقديسات والتسبيحات وسائر الاذكار او بنفوس العلماء العباد الصافات

اقامتها في الصلوات وخصوصاً في الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات كلام الله
وشرائعه وحكمه او بنفوس الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالى الصافين في صفوف الجهاد
والزاجرين للخيل الذاكرين مع ذلك لله تعالى والتالين لآياته لا يشغلهم تلك الشواغل عنها
كما حكي عن علي رض وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما
زجر من معاصي الله تعالى والتاليات كل من تلا كتاب الله تعالى وقرئت بادغام التاء
الثلث فيما يليها لقرب مخرجها من مخرج التاء ان الهكم لواحد جواب للقسم وفائدة
الاقسام تعظيم المقسم وتأكيد المقسم عليه على ما هو الاصل في كلامهم واما تحقيقه بالحجة
بقوله تعالى رب السموات والارض فان انتظامهما على الوجه الاكمل دليل على وحدة الصانع
على ما مر في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله رب خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
على المدح اي هو رب السموات ويجوز ان يكون بدلا من واحد وما بينهما بينها والافعال
العباد فيدل على انها من خلقه تعالى ورب المشارق مشارق الشمس في السنة قيل
وهي ثلثمائة وستون تشرق في كل يوم في واحد وفي نظيرها وبحسبها اختلاف المغارب
ولذلك اكتفى بذكرها ولدلالتها عليها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر واما كونها ادل على
القدرة وابلغ في النعمة فلا يصلح وجها للاكتفاء المذكور انما يصلح وجها لتخصيص المشارق
بالذكر على تقدير الاكتفاء بأحدهما انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب الزينة
الكواكب الزينة مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة
واضافتها الى المفعول ان جعلتها مصدراً اي بان زان الله تعالى الكواكب وحسنها لانها
انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب بالتنوين ونصب الكواكب
وقد قرئ كذلك او الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب وان
جعلتها اسما فالاضافة للتبيين فان الزينة مبهمة قد تكون بالكواكب وقد تكون بغيرها
اي بزينة من الكواكب كقولك باب ساج او بزينة هي الكواكب ويعضده قراءة
بالتنوين وجر الكواكب على الابدال ويجوز في النصب ايضا الابدال من محل الجار
والمجرور بهذا المعنى ويجوز على قراءة الجر ان يراد بالزينة ما زينت به الكواكب من
اضوائها واوضاعها المختلفة كشكل الثريا بوجا وزينتها للناظرين اي بالاشكال
وعن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب واعلم ان تفسير السماء بالدنيا بانه
من حمل الزينة على ما يحسب الظهور في الحس لعدم التمييز بين العليا والدنيا في ذلك
مع التقييد المذكور قد يحمل لما اشتهر من ان ما عدا القمر من الكواكب ليس في السماء الدنيا

وحفظا

وحفظاً عطف على محل قوله بزينة الكواكب على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء
وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
او منصوب بفعل مقدر على المصدر اي وحفظناها حفظا او على التعليل اي وحفظا زيناها بالكواكب
من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة لا يسمعون ابتداء الاختصاص لبيان حال المسترقة
السمع لا تعلق له بما قبله الا من حيث المعنى ورجوع الضمير فيه الى كل شيطان اما من حيث
اللفظ فلا يجوز ان يكون صفة لكل شيطان ولا معنى للحفظ من شياطين لا يسمعون فيبقى
ولا استئناف اذ لو سئل لم يحفظ من الشياطين لما صح الجواب لانهم لا يسمعون
ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها فقد ركب شططا لان كل واحد من الحذفين
على الانفراد غير منكر واما جمعهما فمن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها الى الملأ الاعلى
وهم الملائكة لانهم سكان السماء والثقلان الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وقرئ لا يسمّعون
بالتخفيف وتشديد يتسمعون فلا يتسمعون وهذا يفيد التخفيف من التشديد وعدي
يسمعون بالى لتضمنه الانتهاء اي لا ينتهون بالسمع او التسمع الى الملأ الاعلى لا لتضمنه
معنى الاصغاء اذ ح لا يلزم انتفاء السمع او التسمع اذ لا يلزم من انتفاء المجموع انتفاء
كل جزء منه نعم وهم ان فيه المبالغة في النفي فتدبره ويقذفون يرمون بالشهب
من كل جانب من كل جهة يصعدون الى السماء منها للاستراق دحورا مفعول له اي للدحور
وهو الطرد او حال اي مدحورا او مصدر لان القذف والدحور متقاربان في المعنى فكأنه قيل
يدحرون دحورا او على انه جاء بمجيء القبول والولوع ولهم عذاب واصب دائم اي انهم
مرجومون في الدنيا بالشهب وقد عد لهم في الآخرة عذاب غير منقطع الا من خطف
الخطفة من مرفوع المحل بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان
الذي خطف الخطفة وقرئ خِطِّف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخَطِّف بفتح الخاء
وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف والخطف الاستلاب بسرعة والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة فاتبعه لحقه وقرئ فاتّبعه بالتشديد
وقد مر التفصيل في تفسير سورة ط شهاب نجم رجم اي ثم يقذفون بالشهب مدحورين
عن ذلك الا من امهل ريثما خطف خطفة فاتبع بشهاب قيل نجوم الرجوم غير نجوم الزينة
تلك ثابتة وهذه سائرة منقضة قال الشعبي لم يقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم
فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيامة فاتوا
عبد ياليل الثقفي وكان قد عمي فاخبروه بما فعلوه قال لما ان النجوم تهافت من السماء فقال انظروا

[illegible]

لا تنجلوا فان كانت النجوم التي تعرف فهي عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث
فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف قال فما تمكثوا الا يسيرا حتى اتاهم خبر النبي ، وفيما روي عن
ابن عباس رض ان ذلك حدث بميلاد النبي م وعلى كلا التقديرين الحادث قذف الشياطين
بالشهب لا الشهب نفسه فلا قدح فيه بدلالة اشعار الجاهلية على وجود الشهب قبله ولا
حاجة الى ان يقال انه لحادث كثرتها لا وجودها واما ما قيل ان اصل الشهب بخار يصعد
الى الاثير فيشتعل فغيره نقض الكتاب لانه صريح في ان اصل الشهب الكواكب المشبهة
بالمصابيح وان انقضاضها واشتعالها لحكمة القذف لا بانطفاء طبعها عند وصولها الى
الاثير ثاقب الشديد الاضاءة كأنه يثقب بضوئه فاستفتهم لما كانت الهمزة في
الاصل للاستفهام قيل فاستفتهم اي فاستخبرهم ولم يقل فقررهم وان خرجت الى
معنى التقرير والضمير لمشركي مكة او لبني آدم عليه السلام أهم اشد خلقا يحتمل اقوى
خلقا واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاءة الاخرى أم من
خلقنا المراد منه ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما و
المشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على
غيرهم فقال من خلقنا ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا أم من
عددنا بالتخفيف والتشديد وقوله إنا خلقناهم من طين فانه الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم اياه
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء لازب لازم ماجاوره ملاصق به
اي اصل خلقتهم هو الطين اللازب وليس الا التراب والماء وهو على حاله فمن اين
استنكروا ذلك بل عجبت من انكارهم البعث ويسخرون اي وهم يسخرون
منك ومن تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ عجبت بضم التاء وحمل الكلام على المجاز
فان العجب روعة تعتري الانسان عند استعظامه بشيء وهو على الله تعالى محال
فهو في حقه اما لمجرد الاستعظام ولها على سبيل الفرض على انه عند الله يجوز
عليه العجب بعجب او التخييل من باب الاستعارة على ما مر في قوله تعالى يا حسرة على
العباد وان الامر في نفسه متعجب منه وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم و
قنوطكم وسرعة اجابته اياكم وإذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء
لا ينتفعون به وإذا رأوا آية معجزة من آيات الله تعالى كانشقاق القمر ونحوه
يستسخرون يبالغون في السخرية كانهم يطلبون من انفسهم السخرية منها و

تطهون

ويجتهدون في ذلك او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا إن هذا إلا سحر
مبين ظاهر سحريته أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا
فبدل الفعلية بالاسمية وقدم الظرف وكرر الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بانه المنكر
في نفسه وفي هذا الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من القراءة بطرح احدى الهمزتين
أو آباؤنا مبتدا خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد
ام عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر ويجوز عطفه على محل ان واسمها على خلاف مذهب سيبويه
لانه يقول ان عمرا في قولك ان زيدا قائم وعمرو مرفوع على الابتداء واما عطفه على الضمير في
مبعوثون فلا صحة له لان همزة الاستفهام لا تدخل على الجمل فعلى تقدير العطف على
المفرد كان الفعل عاملا فيه بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها
فيما بعدها وادخال الهمزة الانكارية على الواو لزيادة الاستبعاد على معنى ايبعث ايضا
آباونا يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وقرئ او آباؤنا باو الفاصلة قال صاحب المطالع
او اذا كانت للتقرير او التوبيخ او الرد او الانكار او الاستفهام كانت مفتوحة الواو
واذا جاءت للشك او التقسيم او الابهام او التورية او التخيير او بمعنى بل او بمعنى حتى او بمعنى
الى وكيف كانت عاطفة فهي ساكنة الواو الأولون الاقدمون قل وقرئ قال نعم اي
نعم تبعثون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه واما قيام المعجز على
صدق المخبر عن وقوعه فلا يجدي في حق القائلين انه سحر مبين والكلام معهم بعدما
انكروا الاعجاز والرسالة وأنتم داخرون صاغرون وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان
فإنما هي مبهمة لا ترجع الى شيء موضحها خبرها ويجوز ان يرجع الى البعثة الدال عليها
لمبعوثون والفاء جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هي الا زجرة واحدة
اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي اذا صاح عليها وامرها بالاعادة كما مر
في الابتداء ولذلك رتب عليها قوله فإذا هم ينظرون احياء يبصرون او ينتظرون ما
يفعل بهم وقالوا يا ويلنا مر تفسيره في سورة يس هذا يوم الدين كلام الكفرة هذا
يوم الفصل كلام الملائكة جوابا لهم ويجوز ان يكون الاول ايضا من كلام الملائكة
وان يكون الثاني ايضا من كلام بعض الكفرة لبعضهم اي هذا يوم الجزاء الذي ندان فيه
ونجازى باعمالنا هذا يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال الذي كنتم به تكذبون
فيه دلالة على ان الرسل عليهم السلام جدوا الاخبار بعذاب النار وسائر الاهوال
في دار القرار وهم اصروا على الانكار واستمروا على الاصرار احشروا الذين ظلموا

خطاب الله تعالى للملائكة او خطاب بعضهم لبعض بامر الله تعالى والحاصة الى الحشر لانهم يخرجون من الاجداث كانهم
جراد منتشر وفراش مبثوث والحشر السوق الى مجمع واحد من الجهات المختلفة وازواجهم
قرناؤهم من الشياطين قال ابو سعيد الخدري رضه في تفسير قوله تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا
يفارقه وقال عطا في تفسير قوله تعالى واذا النفوس زوجت اي قرنت نفوس المؤمنين
بحور العين ونفوس الكفار بالشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله دل هذا على
ان المراد من الذين ظلموا المشركون وقوله عليه السلام على وفق قوله تعالى حكاية عن الملائكة
بل كانوا يعبدون الجن بل هم عبدوا الشياطين الذين امرتهم بذلك في جواب ابن الزبعري
دل على انها على عمومه وان الاصنام ونحوها غير داخلة فيه فالضمير في قوله تعالى فاهدوهم
بجميع المذكورين الى صراط الجحيم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها وفيه تهكم بهم لما
مر في تفسير سورة الفاتحة ان الهداية دلالة بلطف وفي الصراط ايضا نوع تهكم لان طريق
مستو لا التواء فيه ولا اعوجاج وقفوهم واحبسوهم هذا الحبس عند مجيئهم النار على ما دل
عليه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا جاؤها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم فالسؤال في قوله تعالى انهم مسؤلون ليس عن عقائدهم واعمالهم بل عما كانوا
يرجون منه الشفاعة والنصرة بدلالة قوله تعالى ما لكم لا تناصرون وقوله تعالى في موضع آخر
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون توبيخ
لهم وتهكم بهم بالعجز عن التناصر وتخلص بعضهم لبعض بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا
متعاضدين بل هم اليوم مستسلمون اي ليس احد يقدر على نصر احد بل الكل منقادون
لما يراد بهم وكلمة بل حرف ابتداء لا عاطفة واقبل بعضهم على بعض يعني الكفرة والشياطين
يتساءلون يتخاصمون قالوا يعني الكفرة للشياطين انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن
القوة والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه قالوا يعني الشياطين للكفرة بل
لم تكونوا مؤمنين اضراب عن مقدر دل عليه المساق اي ما اجبرناكم على الضلال
بل انتم اعرضتم عن الايمان واخترتم الكفر عليه بالاختيار وما كان لنا عليكم من سلطان
من تسلط يسلبكم التمكن ويقسركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان وهذا
اوفق لما في موضع آخر من قوله تعالى وقال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد
فحق علينا اي اذا لم نقسركم فلزمنا قول ربنا انا لذائقون اي حكم ربنا بانا لذائقون
لعذابه ولما اخبروا ذلك عن انفسهم عدلوا عن الخطاب الى لفظ المتكلم فحكى الله تعالى قولهم

ولو حكي وعيد الله تعالى كما هو لقال انكم لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فدعوناكم الى الغي لانا كنا
غاوين فاحببنا ان تكونوا امثالنا وما اجبرنا لانكم فلم استجبتم الغي على الرشد اي غاية
ما في الباب انا دعوناكم فلم اجبتم وقبلتم فكان تقرير لقولهم فحق علينا قول ربنا
اي ليست غوايتكم في الحقيقة منا ولو كان كل غواية باغواء غاو فمن اغوانا فانهم
اي الاتباع والمتبوعين من الكفرة والشياطين يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون
كما كانوا في الغواية مشتركين انا كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين بالمشركين
بدلالة السياق واللحاق وفي الاطلاق ما لا يخفى من المبالغة في كون الاشراك جرما جعلت
لم يعد سائر المعاصي جرما نظرا اليه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
عن الاذعان والقبول ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون
رسول الله صلعم بل جاء بالحق اضراب عن مقدر دل عليه السياق وصدق المرسلين
اذ هو وهم عليهم السلام على طريقة واحدة في دعوى الامم الى التوحيد وترك عبادة غيره
وفيه رد على المشركين بان ما جاء به من التوحيد حق يطابق عليه البرهان العقلي والبيان
النقلي من المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ
بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله بتقدير التنوين وقرئ لذائقون
العذاب على الاصل وفي عبارة الذوق دلالة على ان لهم عذابا جسمانيا وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم وانما حذف المضاف للمبالغة في المماثلة كما في التشبيه
البليغ الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي لكن عباد الله المخلصين ثوابهم
مضاعف وقيل متصل عن الضمير في تجزون ولذا انبنوا على انها للعموم اولئك لهم
نفذ به للتخصيص رزق معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله
فواكه فان الفاكهة ما يتلذذ به ولا يتقوت وذلك لانهم مستغنون عن التغذي اذ لا
تحلل هناك فيكون رزقهم كله للتفكه والتلذذ لا للتقوت وهم مكرمون عند الله تعالى
لا يلحقهم هوان وذلك من اعظم الثواب والبقية بذوي الهمم في جنات النعيم اي في
جنات ليس فيها الا النعيم ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك
وكذا على سرر يحتمل الحال والخبر فان جعل خبرا كان متقابلين حالا من الضمير فيه
او في مكرمون ويجوز ان يتعلق متقابلين على ان متقابلين حال من مكرمون يطاف
عليهم بكاس الكاس الزجاجة ما دامت فيها الخمر وقد يطلق على الخمر مجازا كما في
قوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين والمعين الماء

اجاريه على وجه الارض الظاهرة للعيون وانما وصف بما يوصف به الماء لانها تجري في الجنة في انهار
كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان لكأس ولذة
وصف بالمصدر للمبالغة كأنها نفس اللذة او تانيث اللذ يقال لذ الشي فهو لذ ولذيذ ولذة
تانيث لذ بوزن فعل كجلد وطب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته لا فيها غول اي فساد
من انواع المفاسد التي يكون في خمور الدنيا من خمار وصداع واختلاط عقل ولغو وعربدة
وغير ذلك والغول الاهلاك والافساد ومنه الغول وتقديم الظرف وايلاؤه حرف النفي
لافادة نفي الغول عنها واثباته في غيرها لان اثباته في غيرها غير مقصود بل لافادة ان
المنفي عنها ما هو الثابت في غيرها اي ليس فيها ما في خمور الدنيا من اغتيال العقل ولا هم
ينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله وقرئ ينزفون بضم الياء
من انزف ينزف اذا سكر وانما افرد النزف من انواع الغول وافرده بالذكر للدلالة على ان
السكر من اعظم المفاسد كانه مفسدة براسها وجنس آخر غير داخل تحت الغول وعندهم
قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين
العين النجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في
الاداحي فانه مصون عن الغبار في غاية الصفاء ولونها بياض به صفرة حسنة وهي
احسن الوان الابدان وبها تشبه العرب مخدراتهم وتسميهن بيضات الخدور
وقيل اراد به المصون عن الكسر يعني انهن عذارى صحيحات قال الفرزدق خرجن
لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام ويؤيده ما في سورة الرحمن فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال في صفة الحور كانهن بيض مكنون وفي صفة
الولدان كامثال اللؤلؤ المكنون واشار بذلك الى ان الحور للصحبة دون الولدان لان
اللؤلؤ للنظر لا للذوق والبيض لها فاقبل بعضهم على بعض عطف على يطاف عليهم
يتساءلون اي يتحادثون على الشراب يسائل بعضهم بعضا عما جرى له وعليه في الدنيا
وعن رفقائه وتعبير النظم الى الماضي للاشعار بتحقق وقوع تلك اللذة خاصة من بين
سايرها وهي التحادث على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات
الا احاديث الكرام على المدام قال قائل منهم من مكالمتهم كان لي قرين جليس
في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين وقرئ بالتخفيف والتشديد اي يوبخني على
التصديق بالبعث او التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما لا يقال ذكر كونهم
عظاما بعد ذكر كونهم ترابا تنزل من القوي الى الضعيف في مقام الاستبعاد بل ذكر

ذلك

ذلك يغني عن ذكر هذا الا انا نقول كونهم عظاما محض جسما ومحتو لكونهم ترابا عقلا فلا غنية
ولا تنزل ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون
من دانه اذا ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال اي ذلك القائل هل
انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا وقرئ مطلعون بالتخفيف والمعنى يقال طلع علينا فلان
واطلع واطلع بمعنى فاطلع اي عرض لهم الاطلاع فقبلوا عرضه فاطلع بعد ذلك هذا ايضا
وقرئ بالتشديد على قراءة مطلعون مشددا وبالتخفيف على قراءة مطلعون مخففا كلاهما
على المضارع المنصوب جوابا للاستفهام وقرئ مطلعون بكسر النون والتخفيف على
ارادة مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير الامرونه
وقيل شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لما بينهم من التاخي كانه قال تطلعون وهو
ضعيف لا يقع الا في الشعر وعلى قراءة المضارع معناه هل انتم مطلعون الى القرين
فاطلع ايضا وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه شرط في اطلاعه الملائكة
لرعاية ادب المجالسة وهو انه لا يستبد بشي دون جلسائه فاذا قبلوا فكانهم
مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة اي اطلعوني على قريني ايها الملائكة فاطلع اصحابي
من اهل الجنة عليه فراه اي قرينه في سواء الجحيم في وسطها قال تالله ان كدت لتردين
لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كقوله ان كاد
ليضلنا ولولا نعمة ربي بالعصمة والهداية لكنت من المحضرين في العذاب معك
افما نحن بميتين الهمزة للتقرير والتوبيخ وعطف على الفاء العاطفة لما بعدها على
معطوف محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين بمن شانه الموت
وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء
للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين
كالكفار والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم فيما وعد الله تعالى لهم بخلاف حال
الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وهو اتمام كلامه لقرينه تعريضا له
تقريعا وعودا الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله تعالى و
اغتباطا بحاله وحال رفقائه وتحجيها وزيادة في تقريع قرينه ان هذا اي الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقوله وتصديقا له واشارة
الى ما هم فيه من النعمة والخلود والامن من العذاب وقرئ لهو الرزق العظيم اي ما

رزقوه من السعادة لمثل هذا اي لنيل مثل هذا ان عملوا اعمالا فليعمل العاملون لا للحظوظ
الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهذا معنى تقدم الغاية وايراد فاء السببية
من عادة الله تعالى ان يتبع الوعد بالوعيد فلما فرغ من بيان الرزق المعلوم و
وصف اهل الجنة في نجاتهم وانسياق كلامهم الى قصة المؤمن وقرينه شرع
في رزق الكافر ووصف اهل النار اذلك اي اذلك الرزق المعلوم الموصوف
خير نزلا نصب على الحال والنزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له ويجوز حمله على
معنى الحاصل على انه نصب على التمييز ام شجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق
منتنة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة وفيه ان الرزق المعلوم
وما ذكر معه من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم وراء ذلك من اللذات بعد
اقامتهم لا يدخل تحت الوصف وكذلك شجرة الزقوم وما ذكر معه انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء وامتحانا لهم في الدنيا حيث
قالوا لما سمعوا انها في النار كيف يكون ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان
من قدر على خلق حيوان يعيش فيها ويلتذ بها كالسمندر فهو قادر على خلق الشجر فيها
وحفظه على احراقها انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وقرئ نابتة مكان تخرج قيل
منبتها في قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها طلعها الطلع ما يطلع اولا من النخلة
عند اثمارها وهو كمام ثمرها كأنه رؤس الشياطين استعير الطلع من حمل النخلة
لحمل شجرة الزقوم وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح
المنظر لان استقباح الشيطان وكراهة منظره امر راسخ في طباع الناس وهذا
تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا فانهم لآكلون
منها من الشجر اي من طلعها فمالئون منها البطون اما لغلبة الجوع الشديد واستيلائه
عليهم وانما لانهم مقسورون على اكلها تعذيبا ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم اذا
شبعوا وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم واحرق الزقوم بطونهم سقوا شرابا
من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم و
قرئ لشوبا بالضم وهو اسم لما يشاب ويجوز ان يكون ثم لاستبعاد البعد في شرابهم
من مزيد البشاعة والكراهة من طعامهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي لهم معاد
ومنازل معينة في دركات الجحيم اذا اعوجوا جاؤا الى الزقوم فاذا اعطشوا جاؤا الى
الحميم ثم يرجعون الى معادهم ومنازلهم من دركات الجحيم وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان

مصيرهم

مصيرهم ثم ان منقلبهم لالى الجحيم يطوفون بينها وبين حميم آن على ما اخبر الله تعالى عنه بقوله انهم
الفوا اي صادفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم الوقوع في تلك الشدائد كلها يعني
ان ذلك بسبب تقليدهم اباءهم الضالين فهم على آثارهم يهرعون الاهراع الاسراع
الشديد كانما يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبيه بالرعدة وفيه اشعار بانهم
بادروا الى ذلك من غير توقف على تأمل ونظر ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش
اكثر الاولين بالتقليد وترك النظر ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء عليهم السلام
حذروهم العواقب وانما قال فيهم دون اليهم دلالة على امعانهم في الانذار بعد ارسالهم فيما بينهم
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا فكذبوا فاهلكوا اجمعا الا عباد الله
المخلصين الذين آمنوا منهم فاخلصوا دينهم لله تعالى او اخلصهم الله تعالى لدينه على اختلاف
القراءتين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد قومه لانهم رأوا آثارهم و
سمعوا اخبارهم ثم شرع في تفصيل المنذرين والمنذرين فقال ولقد نادانا نوح
حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف
اي فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع في نادانا والمجيبون دليل العظمة والكبرياء واظهارهما
اي ولقد دعانا فحققنا وعظمنا انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا
منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغم الذي كان فيه من اذى
قومه لان بذلك دعا ربه فاجابه والكرب الحزن الثقيل على القلب وجعلنا ذريته
هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم دون غيرهم ولا دلالة فيه على عدم بقاء ذرية غيره
حتى يخالف ظاهر قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح لان الذرية تتناول اولاد البنات
دل عليه عد عيسى عليه السلام من ذرية نوح ام على ما مر في سورة الانعام وتركنا عليه
في الآخرين من الامم كلهم بهذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين على الحكاية كقولك
قرأت الحمد لله اي يسلمون عليه تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية في العالمين
من الملائكة والثقلين جميعا كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الكل عن آخرهم
انا كذلك نجزي المحسنين علل مجازاته بتلك التكرمة السنية وعظمها بقوله كذلك اي مثل
تلك الجزاء العظيم وهي تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه ابدا باحسانه ثم علل احسانه
بايمانه واضافه الى ذاته تعالى في زمرة خواصه بقوله انه من عبادنا المؤمنين لاختصاصه
به كل ذلك لجلالة قدر الايمان وعلو شانه وانه الغاية القصوى من صفات المدح
والتعظيم اذ جعله موجبا لكرامته واختصاصه مع كونه نبيا مختارا ترغيبا للعباد في

الايمان والاذن وبادي الايقان ثم اغرقنا الآخرين ثم اخبر تعالى انه اغرق من لم يؤمن من قومه
وان من شيعته ممن شايعه في التوحيد واصول الدين لابرهيم ولا يبعد في ذلك اختلاف
الشرايع فانها تختلف بحسب اختلاف الامم وكان بينهما الفان وستمائة واربعون
وما كان بينهما من الانبياء الا هود وصالح عم اذ جاء ربه منصوب بمقدر اذكر او بما
في الشيعة من معنى الشايعة لا بان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله
لابرهيم وايضا لام التاكيد يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم
علينا زيد لم يجز بقلب سليم من جميع آفات القلب كالشرك والشك والفك
والغش وغير ذلك استعار المجيء للاخلاص والاعراض عما سوى الحق بالتوجه
اليه اذ قال لابيه وقومه بدل من اذ جاء ماذا تعبدون سؤال توبيخ ائفكا
آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له اي اتريدون آلهة افكا فقدم المفعول ومع
آلهة للعناية لان الانكار متوجه اليه ثم قدم المفعول له عليه لان الاهم عنده ان يكافحهم
بانهم ليسوا على غرض صحيح ويقرر عليهم انهم على الباطل ويبني امرهم على الافك او مفعول
به وآلهة بدل منه او تفسير وبيان للمبالغة جعلت انفسهم افكا او اريد عبادتهم
على حذف المضاف لدلالة ما تعبدون عليه او حال بمعنى اتريدون آلهة من دون الله
آفكين والافك اشنع الكذب واقطعه واصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فما ظنكم
برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته الى
عبادة غيره وهو كالحجة على ما قبله ومعنى انكار الظن انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن
عبادته الى عبادة غيره فضلا عن القطع به او فما ظنكم به انه اي شيء هو حتى جعلتم الاصنام
له اندادا او فما ظنكم به انه يفعل بكم اي هل تظنون انه كيف يعاقبكم على عبادة غيره فنظر
نظرة في النجوم في اوضاعها واتصالاتها او في كتابها او في علمها يوهمهم الاستدلال على حاله
فكانوا منجمين فقال اني سقيم انما قال ذلك لانه ارادوا ان يصحبهم الى عيدهم
وكان اغلب اسقامهم الطاعون فاوهمهم السقم فهربوا منه على ما دل عليه قوله تعالى فتولوا
عنه مدبرين فاعرضوا عنه مولين الادبار مخافة العدوى لانه مرض معد فيفعل
باصنامهم ما فعل وقوله اني سقيم من معاريض الكلام وليس بكذب اي سقيم
القلب لكفركم او مشارف للسقم لان من كان بصدد الموت كان مستعدا للسقم
ولا يخلو صحيح من ذلك فلم يكن كاذبا فيما اظهر من الكلام فلم يلحقه بشيء من الملام
اذا كان في نفسه قصد كسر الاصنام فاحتال لاظهار الحق وابطال الباطل فكان عملا

مبرورا وسعيا مشكورا فراغ فذهب في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة الى آلهتهم
بناء على زعمهم اي الى اصنامهم التي يزعمونها آلهة كقوله اين شركائي فقال الا تاكلون
اي الطعام الذي عندكم ما لكم لا تنطقون بجوابي استهزاء وتهكم بها وبعبدتها وايماء الى
انحطاطها عنهم فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا ضربا نصب على الحال بمعنى ضاربا
او على المصدر من فعل مقدر هو حال اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او من راغ لانه في
معنى ضرب كانه قيل فضربهم مقبلا عليهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته
فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل معناه بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم عم يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون
من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا
ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا
اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه قال
ابرهيم عليه السلام لهم بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الانبياء عليهم السلام
اتعبدون ما تنحتون نحت الخشبة بزنها بقول اتعبدون اصناما تعملونها انتم والله
خلقكم وما تعملون وخلق ما تعملونه من الاصنام فان جواهرها بخلقه واشكالها
وان كانت بنحتهم ولذلك نسب اليهم عملها فانها باقداره تعالى اياهم عليها وخلقه
ما يتوقف عليه اعمالهم من الآلات والجوارح والدواعي وقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم في النار الشديد الوقود من الجحمة وهي شدة التاجج فارادوا به كيدا صنعوا
لاهلاكه حظيرة مملوءة بالنار ومنجنيقا لرميه اليها من بعيد لان شدة حرها كانت
مانعة عن الحضور عندها فكذلك عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع من الحيلة فجعلناهم
الاسفلين لما غلبهم بالحجة ارادوا ان يهلكوه كيلا يظهر للعامة عجزهم فابطل الله تعالى
كيدهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وصار كيدهم حجة اخرى له عم ومعجزة اخرى بالقدنوعي
بانه من عند الله تعالى والمراد من المعجزة في امثال هذا المقام الامر الخارق للعادة مطلقا
لا مصطلح اهل الكلام وقال اني ذاهب الى ربي مهاجر الى حيث امرني ربي وهو
الشام او حيث اتجرد فيه للعبادة سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي
واستقامة امر ديني وانما بت القول لان الله تعالى وعده الهداية فبنى الامر على وعده
لقوة يقينه او بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده لقوة توكله وتفويضه الامر
اليه تعالى ولم يبنه على الرجاء كما بنى عليه موسى عم حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل

لانه كان في امر الدنيا لا في امر الدين فلا دلالة فيه على قصور موسى عم في ذلك الباب والله اعلم بالصواب
رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين استانس به في الغربة و يتفرج به عن
الكربة اراد به الولد لان الهبة غالبة فيه وان جاءت في الاخ ايضا كما في قوله تعالى ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هرون نبيا على ان الموهوب فيه نبوة هارون لا نفسه عم واما البشارة
بالغلام فلا تدل على ارادة الولد بخصوصه فبشرناه بغلام حليم الفاء لترتب
على هب لي كقوله تعالى فاستجبنا له ولانه اقل لفظا واكثر معنى من هذا لاحتوائها
على البشارة بالولد وانه ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لا لان الصبي البالغ لا يوصف بالحلم
بل لان الغلام من طر شاربه وبانه يكون حليما وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء عم باقل
ما نعتهم بالحلم لعزة وجوده وما نعت الله الا ابرهيم وابنه عليهما السلام فلما بلغ معه
السعي معه متعلق ببلغ اي بلغ السعي مقارنا له وذلك لا يقتضي بلوغهما معا حد
السعي كما لم يقتض قول بلقيس اسلمت مع سليمان ان يكون اسلامهما معا وفي
الحديث كنا نحبس مع رسول الله تمامه في صحيح البخاري ويجوز ان يتعلق بالسعي
فان لمعمول المصدر اذا كان ظرفا او شبهه يجوز تقديمه عليه لان الظرف مما يكفيه رايحة
من الفعل فلا حاجة في العمل فيه الى تاويل المصدر مع الفعل على انه ليس كل ماول بشيء
حكمه حكم ما اول به والمراد باختصاص الاب بالسعي معه بيان صغر سنه اي لم يبلغ
ان يسعى في الحوائج الا مع ابيه لا مع غيره لان اباه ارفق الناس به واعطفهم عليه لا يكلفه
الا ما سهل عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته
ولم يصلب عوده وفائدة ذلك البيان اظهار انه مع حداثة سنه وغضاضة غصنه
بلغ مبلغا من رصانة الحكم وكبر النفس وفسحة الصدر ما سهل عليه احتمال تلك البلية
العظيمة ويسر له الاجابة بذلك الجواب الحكيم قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك اي يامر الله تعالى ويدل عليه قوله افعل ما تؤمر وذلك ان رؤيا الانبياء عليهم السلام
وحي كما في اليقظة وانما لم يقل رايت لانه راى مرة بعد اخرى والامر به انما كان في
المنام دون اليقظة ليكون مبادرته عم الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص
فانظر ماذا ترى من الراي وانما قال على وجه المشاورة مع انه حتم من الله تعالى عليه
ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه
الزلل ان صبر وليوطن نفسه عليه ويتلقى البلاء مستانسا به ويكتسب المثوبة
بالانقياد لامر الله تعالى وقرئ ماذا ترى من الاراءة اي ماذا تبصر من رايك وتبديه

وماذا تُرى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي قال يا ابت افعل ما تؤمر
اي ما تؤمره حذفه وهو منصوب واصله ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به واتصل الضمير منصوبا بالمجاز حذفه او امرك على اضافة
المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به على الاصل ستجدني ان شاء
الله من الصابرين على الذبح او على ما قضى الله به فلما اسلما استسلما لامر الله واسلم
واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد له وخضع وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك
هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه فقولهم سلم لامر الله واسلم
له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه
وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر
بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى
وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه
ان يا ابرهيم في ابناء النداء على القول اشعار بتمثيل حاله بحال من يحتاج في خطابه
الى رفع الصوت وان كان الخطاب عن قرب زجرا له عما اقبل عليه وتوغل فيه قد
صدقت الرؤيا بصدق العزيمة والاتيان بما في وسعه من المقدمات وروي انه امر
السكين بقوته على حلقه فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به
الحال ولا يحيط به الوصف والمقال من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما الله تعالى وشكرهما
على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين
النفس عليه من الثواب والرضوان والكرامة عند الله والفوز بالدين الذي ليس وراءه
مطلوب انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة
والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز
فيه المخلصون عن غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وانما
قال وفديناه والفادي بالحقيقة هو ابرهيم عم والله تعالى هو المفدي منه لان الله
هو الذي وهب له الكبش فكان هو المكتفي من الفداء بهبته فاسند الى نفسه اسنادا
الى المسبب مجازا بذبح الذبح اسم ما يذبح عظيم عظيم الجثة سمين وهي سنة في الاضاحي
وقيل عظيم القدر لانه كان فداء لنبي من انبياء الله تعالى وهو اسمعيل عليه السلام في قول
ابي بكر وابن عباس وابن عمر رضه وجماعة من التابعين واسحق عم فيما روي عن علي رضه

وابن مسعود رض والعباس رض وجماعة من التابعين والاول اظهر لان الذي وهب له اثر الهجرة
ولان البشارة باسحق عم معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسمعيل عم والآخر ابوه عبدالله فان عبدالمطلب نذر ان يذبح ولدا ان
سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبدالله ففداه
من الابل ولان ذلك كان بمكة ولان قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة في يد اسباط
اسمعيل عليه السلام حتى احترق البيت ولان البشارة باسحق عم كانت مقرونة
بالاخبار عن ولادة يعقوب عم منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا واما ماروي
انه اسحق عم فاخبار لم يثبت صحتها وتركنا عليه في الآخرين ثناء حسنا
ولا وقف عليه لان سلام على ابرهيم مفعول تركنا كذلك نجزي المحسنين لم يذكر
ههنا انا مع ذكرها في اواخر القصص كلها لانه فيما سبق فيما مره فاكتفي به انه
من عبادنا المؤمنين قد سبق بيانه في هذه السورة وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين حالان مقدران كقوله فادخلوها خالدين اي بشرناه باسحق عليه السلام
مقدرا كونه نبيا منتصبا كونه من الصالحين ولا حاجة الى تقدير مضاف كما قيل فان
تقدير الحال لا يوجب وجود ذي الحال بل تقدير وجوده وفي ذكر الصلاح بعد النبوة
تعظيم لشانه وباركنا عليه على ابرهيم عم وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبهما انبياء
وافضنا عليهما بركات الدين والدنيا وتكرير الجار واظهار اسحق عم للاشعار بانه
المتبرك عليه بالاصالة والاستقلال لا بالتبعية لكونه نبيا وابا لانبياء بني اسرائيل
وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام ومن ذريتهما محسن في عمله بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعصية مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في
الهدى والضلال وان الظلم في الاعقاب لا يعود بعيب ولا نقيصة على الاسلاف
وان المدح والذم انما يترتبان على كسب المرء وحسن عمله وقبحه وصلاحه وفساده في
نفسه لا على عمل الاصول والفروع والاباء لا تاثير للعرق الطيب والخبيث اصلا حتى
يلزم ان يهدم امر الطبايع والعناصر بالكلية فينافي ما هو الظاهر من قوله تعالى
عتل بعد ذلك زنيم ومن قوله عليه السلام لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده
بعد ذلك من ان النطفة اذا خبثت خبث النسل منها فلذا ولانه فيما ذكر عليه ولقد مننا
انعمنا على موسى وهرون بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم من استعباد فرعون وقومه وظلمهم او من

عليه السلام

عليهم السلام

الغرق

310

الغرق ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل
الى الحق وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين مر تفسيره في هذه السورة وان الياس لمن المرسلين قيل ان الياس
كان ادريس عم رفع قبل الطوفان الى السماء ونزل بعده ببعلبك ويعضده قراءة ابن مسعود
رض وان ادريس في موضع وان الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من سبط
هرون اخي موسى عم اذ قال لقومه الا تتقون الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه
وهو علم صنم كان لهم عظموه غاية التعظيم واخدموه اربعمائة سادن يلقنون شرايع الضلالات
من الشيطان ويقولون ان بعلا امر بكذا ونهى عن كذا وكان اسم مدينتهم بك وهي من بلاد
الشام فنسبت اليه وركب اسمهما اسما وسميت بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال
من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
تتركون عبادة الله تعالى ولم يقل وتدعون مع ما فيه من ضعف التجنيس لا لانه مذموم فانه
اذا كان بدا عن التصنع يكون ممدوحا واقعا في كلام الله تعالى وكلام الرسول عليه السلام
بل لانه في دعا اثرا زائدا على الترك لا يناسب المقام وهو معنى الحفظ ومنه الوديعة الله ربكم
ورب آبائكم الاولين قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة
اذا وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه
اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
استثناء من واو فكذبوه او من المحضرين ولا فساد فيه لان استثناءهم من القوم
المحضرين لعدم تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف بالمخلصين لا من المكذبين فآل المعنى
واحد وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس وقرئ على الياسين
بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون ولا يجوز حمله على
الجمع اذا قرئ بالقطع اذ لا بد للجمع من التعريف بالالف واللام واما قراءة آل ياسين
فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل
مكة شرفها الله تعالى لتمرون في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه عليهم على منازلهم
مصبحين اي مساء اي بكرة ومروركم عليها بالليل والنهار وهو الداعي الى الاعتبار
افلا تعقلون ابعد هذه المعاينة ما لكم عقول تعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين

وقرئ يونس بضم النون وكسرها اذ ابق الى الفلك الاباق فرار العبد الى حيث لا يهتدي اليه
طالبه وكان يونس عليه السلام هرب من قومه بغير اذن ربه الى حيث طلبوه ولم يجدوه
على ما مر في تفسير سورة يونس عليه السلام الآبق لهرب باعتباره هذا العبد لا باعتبار العبد
الاول فقط المشحون المملوء فساهم اي فارع اهل الفلك بالقاء السهام فكان من
المدحضين اي من المغلوبين وحقيقته من المزلقين اي عن مقام الظفر في الاسهام
روي انه عليه السلام لما وعد بعذاب قومه خرج من بينهم هاربا قبل ان يأمر الله تعالى به
فركب في السفينة فوقفت فقالوا هاهنا آبق وفيها يزعم البحارون ان السفينة اذا كان
فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه ومنه اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه
او مليم نفسه واللوم العتب وقرئ بالفتح من ليم كما جاء مشيب في مشوب فلولا
انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس مدة عمره وقيل
في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل
من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون عبارة اللبث دلت على الحياة فالمعنى
لكان محبوسا في بطن الحوت الى يوم القيمة ويفهم منه ان لا يمع الهلاك عند النفخة
الاولى الحيوانات البحرية وفيه حث على اكثار الذكر وتنبيه على ان من اقبل الثقة
في الرخاء اخذ بيده عند الضراء واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت ولا طائل تحته
ذكره فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر
ونجم وما روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح
حتى انتهوا الى البر فلفظه مردود بقوله فنادى في الظلمات على ما مر في تفسير سورة
الانبياء عليهم السلام وهو سقيم معتل بما حل به وروي انه بدنه عاد كبدن الصبي
حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين اليقطين ما ينبسط
على وجه الارض من الشجر ولا يقوم على ساق كشجر الدباء والبطيخ والقثاء والحنظل
وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء وفائدة الدباء
ان الذباب لا يقع عليها وهي اسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا ويدل عليه انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس عليه السلام و
ارسلناه الى مائة الف هو اما الارسال الى قوم آخرين واما ارساله ثانيا الى قومه الذي
خرج من بينهم وجوز ان يكون المراد الارسال لان الواو يدل على الترتيب وباباه الفاء

في قوله فآمنوا الا انها تدل على التعقيب بلا مهلة او يزيدون باعتبار آخر وذلك ان المكلفين منهم
كانوا مائة الف واذا ضم اليهم من بصدد التكليف كانوا اكثر ومن هنا ظهر وجه التعبير
بصيغة التجدد دون الثبات واما على ما قيل ان المعنى في مرائي الناظر اي اذا نظر اليهم قال
هم مائة الف او اكثر فلا يظهر وجه العدول عن الظاهر وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه
او جددوا الايمان بحضرته فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وقرئ حتى حين فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون معطوف على فاستفتهم في اول السورة وان تباعدت
بينهما المسافة لا امرا ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا باستفتاء قريش عن وجه
انكار البعث وساق الكلام جارا بما يلائمه من القصص موصولا بعضه ببعض ثم
امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حيث جعلوا الله تعالى الاناث ولانفسهم
الذكور في قولهم الملائكة بنات الله تعالى مع كراهتهم الشديدة لهن واستنكافهم من
ذكرهن كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ولقد زادوا
في ذلك على الشرك ضلالات آخر التجسيم وتجويز الفناء على الواجب الوجود تعالى شانه
لان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث
جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لانفسهم واستهانتهم بالملائكة حيث
انثوهم ولهذا كرر الله تعالى انكار ذلك في كتابه العزيز مرات وبين فظاعتها في آيات وجعله
مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وخص الانكار هاهنا بامرين
منها مما اقرب الى فهم العامة واقطع عندهم بمقتضى العادة التقسيم المذكور وتأنيث
الملائكة حيث جعل المعادل للاستفهام ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما
خص علم المشاهدة لان الانوثة ليست من لوازم ذواتهم حتى يكون للعقل طريق الى
معرفة ذلك ولم ينزل به كتاب فلا طريق الى علم امثال ذلك الا بالمشاهدة مع ما فيه
من الاستهزاء بهم والتسفيه لرايهم حيث يبتون به القول كانهم شاهدوا خلقهم
والتخصيص بتقديم الظرف في الربك ولهم وايلاؤه حرف الانكار لزيادة التشنيع
وتفظيع قولهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون الافك الكلام
المصروف من الحق الى الباطل والولد فعل بمعنى المفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث بالغ في الانكار بالاداة واللام وتقديم من افكهم لظهور استحالته ووضوح
حجة التوحيد اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء
اخذ صفوة الشيء وقرئ بكسر الهمزة وجوز ان يكون على الاخبار باضمار القول

بقوله لكاذبون اي لكاذبون في قولهم اصطفى البنات او بدله من قولهم ولد الله على انه من كلام الكفرة
وبدون ذلك تلك القراءة ضعيفة جدا لكون هذه الجملة مكتنفة بالانكار من جانبيها و
اقتضاء المقام اختصاصها بزيادة الانكار لانه بالغ في انكار الولادة فاقتضى الحال
ان يقول خصوصا الاناث في جعلها للانبات او فيها دخيلة بين نسبتين ويخل
نظم الكلام والجملة الاعتراضية التاكيد بها اعني وانهم لكاذبون تزيدها ضعفا لانها
مقررة لنفي الولد عن اصله مؤكدة لذلك فاذا وجهتها الى هذه خرجت عن كونها
مبينة للافك وصارت كانها مجوزة للولادة المذكورة مطرقة لصدقهم لو قالوا بها
وكذا الالتفات في قوله ما لكم كيف تحكمون اي بما لا يرتضيه عقل يا باه افلا تذكرون
انه منزه عن ذلك وقرئ تذكرون من ذكر والاولى ان يقال ان تلك القراءة على حذف
حرف الاستفهام لوضوح دلالة قرائنه وشهادة معادله في قوله ام لكم سلطان
مبين حجة نزلت عليكم من السماء او من خبر من نبي بان الملائكة بنات الله اي لا
تجوزه عقل ولا نزل به نقل فان كان شيء من ذلك فاتوا بكتابكم الذي ينطق بذلك
كقوله تعالى ام انزلنا عليكم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ان كنتم صادقين
في دعواكم وهذه الآيات واردة على سخط عظيم واستبعاد لاقاويلهم شديد
وما الاساليب التي وردت عليها والتراكيب التي انتظمت بها الا ناطقة بتسفيه
احلامهم وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان
يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعل معتقدا ويتظاهر به
مذهبا وجعلوا بينه اي بين الله تعالى وبين الجنة يعني الملائكة عليهم السلام ذكرهم
باسم الجنس وضعا منهم وتقصيرا بهم ان يبلغوا هذه المناسبة التي اثبتوها لهم وان
كانوا في انفسهم مكرمين معظمين لاقتضاء المقام التحقير نسبا وهو زعمهم انهم بنات
الله تعالى والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله تعالى وبينهم واثبتوا بذلك جنسية جامعة
له وللملائكة والجنة جنس يشمل كل مجتن ولا يؤنس لكن من صفا ذاته وتنور ونسك
وطهر وكان خيرا كان ملكا ومن تكدر جوهره واظلم وخبث ومرد وكان شرا كان
شيطانا وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن وقيل قالوا ان الله تعالى والشيطان اخوان
فعلى هذا لا يتناول اللفظ الملائكة ولقد علمت الجنة انهم اي الكفرة لمحضرون النار و
معذبون بما يقولون وانما نسب العلم الى الذين ادعوا لهم تلك النسبة وعظموهم ووضع
محضرون موضع كاذبون للمبالغة في التكذيب اي ان الذين تخصونهم بهذا النسب وتشرفونهم

يعلمون

يعلمون انهم في ذلك كاذبون مفترون بما يقولون فيعذبون به وقيل ان فسرت الجنة بالشياطين جاز
ان يكون الضمير في انهم لهم ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى يعذبهم ويحضرهم النار ولو كانوا
مناسبين له تعالى لما عذبهم وفيه ان علم الشياطين بذلك غير معلوم لا بشهادة العقل ولا بشهادة
النقل على ان نسبة العلم اليهم قليل الجدوى سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب
الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين اي ولكن المخلصين ناجون او
من واو يصفون اي ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه به ولاستعظام ذنبهم اوقع
التنزيه معترضا بين الاستثناء والمستثنى منه فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم
ما انتم عليه على الله تعالى بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء يقال فتن فلان على فلان امرأة
اذا افسدها عليه وانتم ضميرهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب والفاء في
فانكم للسببية من الاستثناء اي اذا كان المخلصون برآء من ذلك فلا تفتنون انتم
وما تعبدون الا من هو من اهل النار ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع وما تعبدون ساد
مسد الخبر كقولك كل رجل وصنعته اي فانكم مع ما تعبدون يعني فانكم قرناء وهم
واصحابهم لا تزالون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين
او حاملين على طريق الفتنة والضلال الا من هو ضال مثلكم صال النار فهو كلام مبتدأ
الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اي لستم تضلون احدا الا اصحاب النار الذي سبق
في علمه تعالى انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وقرئ صال بضم اللام على الجمع
والتقاء الساكنين بمعنى صالوا محمولا على معنى من والتوحيد في هو على اللفظ او على
حذف لامه واجراء الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية
من بالى كعافية من عافى او على القلب حتى يصير صايل ثم يقال صال في صايل كما يقال
شاك في شائك وما منا الا له مقام معلوم اي رتبة معلومة عند الله تعالى معينة
لا يتجاوزها وهو حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والوجه ان يكون
هو وما قبله من قوله سبحان الله الى قوله لنحن المسبحون من كلامهم متصلا بقوله
ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا
سبحان الله تنزيها ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان
بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونه وليس
هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كما قيل لان احدا المحذوف مبتدأ
والا له مقام معلوم خبره وانا لنحن الصافون اقدامنا واجنحتنا في اداء الطاعة

ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون ربنا عما لا يليق بشانه والاول اشارة الى درجاتهم
في الطاعة وهذا في المعارف وما في انا واللام وتوسيط الفصل وتوسيط الخبر في جملتي اخر كلام
الملائكة من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دايما من غير فترة دون غيرهم وان
كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اي وانهم كانوا يقولون اي مشركوا
قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما كذبنا وخالفنا كما كذبوا وخالفوا فكفروا به اي لما جاءهم الذكر
الذي هو اشرف الاذكار والكتاب الذي هو اشرف الاذكار هو مهيمن من بين الكتب كفروا
به فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اذا حل بهم الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اي حكمنا او وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وهي باعتبار الغالب والمقضي بالذات لا باعتبار كل مرة وانما سميت كلمة وهي كلمات
لانتظامها في معنى واحد فهي في حكم كلمة واحدة وقرئ كلماتنا وقرئ على عبادنا على تضمين
سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة هي
الموعد لنصرهم قيل هو بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما يصيبهم من القتل والا
سر والمراد بالامر بابصارهم على حالة تنبيه على انه كاين لا محالة قريب كانه قدامك وفي تسلية
له عليه السلام وتنفيس عنه فسوف يبصرون يبصرونك على ما يالك مما قضينا لك من
النصرة والغلبة وسوف للتاكيد في الوعيد لا للتبعيد روي انهم لما نزل فسوف
يبصرون قالوا متى هذا فنزل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل اي العذاب وقرئ
على البناء للمفعول مسندا الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد وقرئ نزل مشددا
بساحتهم بفنائهم فساء وقرئ فبئس صباح المنذرين المخصوص بالذم محذوف
اي فساء صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس لا فتقار فعل الذم ذلك والصباح
الغارة ولما كانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا سميت الغارة به اي وقت
وقعت ولو عشاء شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فهو من باب التمثيل وقيل
هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد
والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون في تكريره تاكيد لوقوع
الميعاد على تاكيد وتسلية بعد تسلية واطلاق الفعلان في الكل بعد تقييد الفعل الاول
بالمفعول لزيادة المبالغة في عذابهم كما بولغ في نصرة اي انه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به

الوصف

317

الوصف من انواع المسرة واصناف المساءة او اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه واضافة الرب الى العزة
لاختصاصها به اذ لا عزة الا له ولمن يعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته الثبوتية والسلبية
مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم مع تخصيص
بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من تبعهم من النعم وحسن
العاقبة ولذلك اخره عن التسليم ولما كان مدار الكلام في هذه السورة على مقالة
المشركين في الله تعالى بنسبة الولد والشريك اليه تعالى ومقالة الرسل معهم وما قاسوا
اياهم وما منحوا من التاييد والنصرة عليهم ختمها على وفق ما ضمنت بالتنزيه عما تهم
يصفونه والتسليم على المرسل بما تحملوا من اعباء الرسالة واذى المرسل اليهم
والتحميد على ما انعم به عليهم من النصرة في العواقب واعزاز الدين
واعلاء كلمته والله تعالى اعلم بالحقيقة والصواب
واليه المرجع والمآب تم تفسير القرآن
العظيم للحبر الشامي والبحر
الطامي والحمد لله
رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين
م